

الحافظ ابن كثير

البيدائيه والنبييه

مكتبة المعارف

بيروت

ابو الفداء  
الحافظ ابن كثير  
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

# البيد السبعة والنصائح

١٣٨٦

الجزء السابع

الطبعة الاولى ١٩٦٦ م . ١٣٨٦ .  
الطبعة الثانية ١٩٧٤ م . ١٣٩٤ .

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح  
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المعارف

شارع الامير امين  
بيروت

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سنة نزلت حشرة من الحجرة

استهلت هذه السنة والصدیق عازم علی جمع الجنود لیبغثهم إلی الشام ، وذلك بعد مرجه من الحج عملاً بقوله تعالی : [ یا ایها الذین آمنوا قاتلوا الذین یلوئمکم من الکفار ولیجدوا فیکم غلظة واعلموا أن الله مع المتقین ] . وبقوله تعالی [ قاتلوا الذین لا یؤمنون بالله ولا بالیوم الآخر ] الآیة . واقتداء برسول الله (س) ، فانه جمع المسلمین لغزو الشام - وذلك عام تبوک - حتی وصلها فی حرس شدید وجهد ، فرجع عامه ذلك ، ثم بعث قبل موته أسامة بن زید مولاه لیغزو تخوم الشام كما تقدم ولما فرغ الصدیق من أمر جزيرة العرب بسط یمینه إلی العراق ، فبعث إلیها خالد بن الولید ثم أراد أن یبعث إلی الشام كما بعث إلی العراق ، فشرع فی جمع الأمراء فی أماکن متفرقة من جزيرة العرب . وكان قد استعمل عمرو بن العاص علی صدقات قضاة معه الولید بن عقبه فیهم ، فكتب إلیه یرثه إلی الشام : « إنی كنت قد رددتک علی العمل الذی ولأکھ رسول الله (س) مرة ، وسماه لک أخرى ، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغک لما هو خیر لک فی حیاتک ومعادک منه ، إلا أن یكون الذی أنت فیه أحب إلیک » فكتب إلیه عمرو بن العاص : إنی سهم من سهام الاسلام ، وأنت عبد الله الرامی بها ، والجامع لها : فانظر أشدبها وأخشأها فارم بی فیها . وكتب إلی الولید بن عقبه

بمثل ذلك ورد عليه مثله ، وأقبلا بعد ما استخلفا في عملهما ، إلى المدينة . وقدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن فدخل المدينة وعليه جبة ديباج ، فلما رآها عمر عليه أمر من هناك من الناس بتحريقها عنه ، ففضض خالد بن سعيد وقال لعلي بن أبي طالب : يا أبا الحسن ! أغلبتم يابني عبد مناف عن الأمرة ؟ قال له علي : أمغالبه تراها أو خلافة ؟ فقال لا يغالب علي هذا الأمر أولى منكم . فقال له عمر بن الخطاب : أسكت فض الله فك ، والله لا تزال كاذباً تخوض فيما قلت ثم لا تضر إلا نفسك . وأبلغها عمر أبا بكر فلم يتأثر لها أبو بكر . ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد قام في الناس خطيباً فأتى على الله بما هو أهله ، ثم حث الناس على الجهاد فقال : ألا لكل أمر جوامع ، فمن بلغها فهي حسبه ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد فان القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا إيمان لمن لا خشية له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله للمؤمنين للمسلم أن يحب أن ينخص به ، هي النجاة التي دل الله عليها ، إذ نجى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة .

ثم شرع الصديق في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات ، فيقال إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص ، فجاء عمر بن الخطاب فثناه عنه وذكره بما قال . فلم يتأثر به الصديق كما تأثر به عمر ، بل عزله عن الشام وولاه أرض « تيماء » يكون بها فيمن معه من المسلمين حتى يأتيه أمره . ثم عقد لواء يزيد بن أبي سفيان ومعه جمهور الناس ، ومعه سهيل بن عمرو ، وأشباهاه من أهل مكة ، وخرج معه ماشياً يوصيه بما اعتمده في حربه ومن معه من المسلمين ، وجعل له دمشق . وبعث أبا عبيدة بن الجراح علي جند آخر ، وخرج معه ماشياً يوصيه ، وجعل له نيابة حمص . وبعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين . وأمر كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر ، لما لحظ في ذلك من المصالح . وكان الصديق اقتدى في ذلك بنبي الله يعقوب حين قال لنبيه [ يابني ] لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ] . فكان سلوك يزيد بن أبي سفيان على تبوك . قال المدائني بإسناده عن شيوخه قالوا : وكان بعث أبي بكر هذه الجيوش في أول سنة ثلاث عشرة . قال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان : خرج أبو بكر ماشياً ويزيد بن أبي سفيان راكباً فجعل ، يوصيه ، فلما فرغ قال : أقرئك السلام وأستودعك الله ، ثم انصرف ومضى يزيد وأجد السير . ثم تبعه شرحبيل بن حسنة ، ثم أبو عبيدة مدداً لها ، فسلكوا غير ذلك الطريق . وخرج عمرو بن العاص حتى نزل العرصات من أرض الشام . ويقال إن يزيد بن أبي سفيان نزل اللقاء أولاً . ونزل شرحبيل بالأردن ، ويقال يبضري . ونزل أبو عبيدة بالجابية . وجعل الصديق يمدم بالجيوش ، وأمر كل

واحد منهم أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء . ويقال إن أبا عبيدة لما صر بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام .  
ويقال إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العربية من أرض فلسطين، فوجه إليهم أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم ، وقتل منهم بطريقاً عظيماً . ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفراء استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين . ويقال إن الذي استشهد في مرج الصفراء ابن خالد بن سعيد ، وأما هو ففر حتى انحاز إلى أرض الحجاز فأنه أعلم ، حكاه ابن جرير . قال ابن جرير : ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيباء اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب ، من غيرا ، وتنوخ ، وبنى كلب ، وسليح ، ونلم وجندام ، وغسان ، فتقدم إليهم خالد بن سعيد ، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ودخل كثير منهم في الاسلام ، وبعث إلى الصديق بعلمه بما وقع من الفتح ، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم ، وأمه بالوليد بن عتبة وعكرمة بن أبي جهل وجماعة ، فسار إلى قريب من إيلياء فالتقى هو وأمير من الروم يقال له ماهان فكسره ، ولجأ ماهان إلى دمشق ، فلحقه خالد بن سعيد ، وبادر الجيوش إلى لحوق دمشق وطلب الحظوة ، فوصلوا إلى مرج الصفراء فانطوت عليه مسالح ماهان وأخذوا عليهم الطريق ، وزحف ماهان ففر خالد بن سعيد ، فلم يرد إلى ذي المروة . واستحوذ الروم على جيشهم إلا من فر على الخليل ، وثبت عكرمة بن أبي جهل ، وقد تقهر عن الشام قريباً وبقى رداً لمن نفر إليه ، وأقبل شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد إلى الصديق ، فأمره على جيشه وبعثه إلى الشام ، فلما مر بخالد بن سعيد بندي المروة ، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة . ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان . ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقي معه بندي المروة إلى الشام . ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد في الدخول إلى المدينة وقال : كان عمر أعلم بخالد .

### وقعة اليرموك

على ما ذكره سيف بن عمر في هذه السنة قبل فتح دمشق ، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله . وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فإنه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد وابن هبة والليث وأبي معشر أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . وقال محمد بن إسحاق : كانت في رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط قال ابن الكلبي : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس ماضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر ، وهذا هو المحفوظ و [أما] ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه .

قلت : وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره . قال : ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفرغ ذلك الروم وحافوا خوفاً شديداً ، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر . فيقال إنه كان يومئذ بمحصر ، ويقال : كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس . فلما انتهى إليه الخبر . قال لهم : ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد ، وإنهم لا قبل لأحد بهم ، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحوهم على نصف خراج الشام ويبقى لكم جبال الروم ، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم . فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش كما هي عادتهم في قلة المعرفة والرأى بالحرب والنصرة في الدين والدنيا . فعند ذلك سار إلى حمص ، وأمر هرقل بخر وسج الجيوش الرومية صحبة الأمراء ، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف ، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاه لأبويه « تدارق » في تسعين ألفاً من المقاتلة . وبعث جرجه بن بوزيها إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان ، فمسكر بازائه في خمسين ألفاً أو ستين ألفاً . وبعث الدراقص إلى شرحبيل بن حسنة . وبعث اللقيار ويقال القيقلان - قال ابن إسحاق وهو خصي هرقل نستورس - في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح . وقالت الروم : والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا . وجميع عساكر المسلمين أعدد وعشرون ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل . وكان واقفاً في طرف الشام رداً للناس - في ستة آلاف - فكتب الأمراء إلى أبي بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً والقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله والله صر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها ، وليصل كل رجل منكم بأصحابه . وقال الصديق : والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . وبعث إبر وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به ، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق ، فكان ماسند كره . ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع ، بعث إلى أمراءه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش منزلاً واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس أخوه بندارق ، وعلى المقدمة جرجه ، وعلى المجنبتين ماهان والدراقص ، وعلى البحر القيقلان .

وقال محمد بن عائد عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز : إن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً ، وعليهم أبو عبيدة ، والروم كانوا عشرين ومائة ألف عليهم ماهان وسقلاب يوم اليرموك . وكذا ذكر ابن إسحاق أن سقلاب الخصى كان على الروم يومئذ في مائة ألف ، وعلى المقدمة جرجه - من أرمينية - في اثني عشر ألفاً ، ومن المستعربة اثني عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم : والمسلمون في أربعة وعشرين ألفاً ، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قاتلت النساء من ورأيهم أشد القتال . وقال الوليد

عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير . قال : بعث هرقل مائتي ألف عليهم ما مازان الأرمني . قال سيف : فسارت الروم فزلوا الواقصة قريبا من اليرموك ، وصار الوادي خندقا عليهم . وبعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك ، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام ، فاذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم . فاستناب المشيخ بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعا في تسعة آلاف وخمسمائة ، ودليله رافع بن عميرة الطائي ، فأخذ به على السباق حتى انتهى إلى قراقر ، وسلك به أراضى لم يسلكها قبله أحد ، فاجتاز البراري والقفار ، وقطع الأودية ، وتصد على الجبال ، وسار في غير مهيع ، وجعل رافع يدلم في مسيرهم على الطريق وهو في مفاوز معطشة ، وعطش النوق وسقاها الماء عللا بعد نهار ، وقطع مشافرها وكهها حتى لا تحتز رحل أدبارها ، واستاقها معه ، فلما فقدوا الماء نحرها فشرّبوا مافي أجوافها من الماء ، ويقال بل سقاها الخيل وشرّبوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها . ووصل والله الحمد والمنة في خمسة أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وأركه ، ولما مر بعنداء أباها وغنم لفسان أموالا عظيمة وخرج من شرقي دمشق ، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة تحاربها فصالحه صاحبها وسلمها إليه ، فكانت أول مدينة فتحت من الشام والله الحمد .

وبعث خالد بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحرث المزني إلى الصديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بن العاص - وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور - فكانت واقعة أجنادين . وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد :

لله عينا رافع أني اهتدى \* فوز من قراقر الى بوى  
حسا إذا ماسارها الجيش بكى \* ماسارها قبلك إنسي أرى

وقد كان بعض العرب قال له في هذا المسير : إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك ، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك ، فسار خالد بمن معه وسروا سرورة عظيمة فأصبحوا عندها ، فقال خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى . فأرسلها مثلا ، وهو أول من قالها رضي الله عنه . ويقول غير ابن إسحاق كسيف بن عمرو أبي نجيف وغيرها في تكييل السياق الأول : حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقصة وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه فزلوا قريبا من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره ، فقال عمرو بن العاص : أبشروا أيها الناس ، قد حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير . ويقال إن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم ، جلس الأمراء لذلك فجاء أوسفيان فقال : ما كنت أظن أني أعر حتى أدرك

قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم ، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء ، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم ، ثم تسير الأتقال والذراى فى الثلث الآخر ، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأتقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا فى مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد . فامتثلوا ما أشار به ونعم الراى هو .

وذكر الوليد عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير أن الروم نزلوا فيما بين دير أيوب واليرموك ، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر ، وأذرعات خلفهم ليصل إليهم المدد من المدينة . ويقال إن خالداً إنما قدم عليهم بعد ما نزل الصحابة تجاه الروم بعد ما صابروهم وحاصروهم شهر ربيع الأول بكاله ، فلما انسلخ وأمكن القتال<sup>(١)</sup> لقلعة الماء بعثوا إلى الصديق يستمدونه فقال : خالد لما بعث إلى خالد فقدم عليهم فى ربيع الآخر ، فعند وصول خالد إليهم أقبل ماهان مدداً للروم ومعه القساقسة ، والشامسة والرهبان يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية ، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف ثمانون ألفاً مسلسل بالحديد والحبال ، وثمانون ألفاً فارس ، وثمانون ألفاً راجل . قال سيف وقيل بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة سلسلة لثلاثين ألفاً ، فالثلاثون ألفاً قال سيف وقدم عكرمة بن معه من الجيوش فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً .

وعند ابن إسحق والمدائنى أيضاً أن وقعة أجنادين قبل وقعة اليرموك وكانت وقعة أجنادين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وقتل بها بشر كثير من الصحابة ، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقلان . وكان قد بعث رجلاً من نصارى العرب يحبس له أمر الصحابة ، فلما رجع إليه قال : وجدت قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالنهار ، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجوه . فقال له القيقلان : والله لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من ظهرها . وقال سيف بن عمر فى سياقه : ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبى عبيدة وعمرو بن العاص ناحية ، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية . فقام خالد فى الناس حطياً . فامرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف . فاجتمع الناس وتضافوا مع عدوم فى أول جمادى الآخرة وقام خالد بن الوليد فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردم ، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً ، فتعالوا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوتى اليوم إليكم ، فامروه عليهم وهم يظنون أن الأمر يطول جداً فخرجت الروم فى تعبته لم

(١) كذا فى النسختين ، الحلبية والمصرية ، والظاهر أن فيه سقطاً .



برمثا قبلها قط وخرج خالد في ثعنة لم تعبها العرب قبل ذلك . فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين كل كردوس ألف رجل عليهم أمير ، وجعل أبا عبيدة في القلب ، وعلى اليمين عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى اليسرة يزيد بن أبي سفيان . وأمر على كل كردوس أميراً ، وعلى الطلائع قباب بن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود والقتاضي يومئذ أبو الدرداء وقاصم الذي بمظهم ويحتمهم على القتال أبو سفيان بن حرب وقارهمم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود . وذكر إسحاق بن يسار باسناده أن أمراء الأرباع يومئذ كانوا أربعة ، أبو عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، وخرج الناس على راياتهم وعلى اليمين معاذ بن جبل وعلى اليسرة نفثة بن أسامة الكنانى ، وعلى الرحالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيالة خالد بن الوليد وهو المشير في الحرب الذي يصدر الناس كلهم عن رأيه . ولما أقبلت الروم في خيلاتها ونفرتها قد سدت أقطار تلك البقعة سهاباً ووعدها كأنهم غمامة سوداء يصبحون بأصوات مرتفعة ورهبانهم يتأرون الانجيل ويحثونهم على القتال ، وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش فساق بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له : إني مشير بأمر ، فقال : قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع . فقال له خالد : إن هؤلاء القوم لا بد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها ، وإني أخشى على اليمين واليسرة وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء اليمين واليسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم رداءً منأتيهم من ورائهم . فقال : له نعم ما رأيت . فكان خالد في أحد الخيلين من وراء اليمين وجعل فيس بن هبيرة في الخيل الأخرى وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله لكي إذا رآه المنهزم استعجى منه ورجع إلى القتال ، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم ، وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها ، فقال لمن من رأيتموه مولياً فاقتلنه ، ثم رجع إلى موقفه رضى الله عنه

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال : عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يامعشر المسلمين اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدأوهم بالقتال وشرعوا الرماح واستروا بالدرق والزموا السمات الا من ذكر الله في أنفسكم حتى أمركم إن شاء الله تعالى . قالوا : وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكرهم ويقول يا أهل القرآن ، ومتحفظى الكتاب وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق ألم تسمعوا لقول الله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم الآية . فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم ملتحذ من دونه ولا عز بغيره .

وقال عمرو بن العاص : يا أيها المسلمون غضوا الأبصار ، واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الاسنة فنبوا إليهم وثبة الأسد ، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمتت الكذب ويجزى بالاحسان إحساناً ، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كغزاً كفوفاً وقصراً قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد تطابروا تطابر أولاد الحجل .

وقال أبو سفيان : يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائنين عن أمير المؤمنين وأمدام المسلمين ، وقد والله أصبحتم بازاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حقه ، وقد وترتوهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنيها سنة لازمة وان الأرض وراءكم ، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبرارى ، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول ، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا وتكن هي الحصون . ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ثم عاد فنادى : يا معشر أهل الاسلام جسر ماترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

وقد وعظ الناس أبو هريرة أيضاً فجعل يقول : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم : ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلاً . قال سيف بن عمر بسنده عن شيوخه : إنهم قالوا كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر . وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول : الله الله إنكم داره العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم داره الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك . قالوا : ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ويلك ، أتخوفني بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لو ددت أن الأشقر برأ من توجهه ، وأنهم أضفوا في العدد . وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق . ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام ، وأبو جندل بن سهيل ، وفادوا : إنما نريد أميركم لنجتمع به ، فأذن لهم في الدخول على تدارق ، وإذا هو جالس في خيمة من حرير . فقال الصحابة : لانتحل دخولها ، فأمر لهم بفرش بسط من حرير ، فقالوا : ولا نجلس على هذه . فجلس معهم حيث

أحبوا وتراضوا على الصلح ، ورجع عنهم الصحابة بعد مادعوهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك .  
 وذكر الوليد بن مسلم أن ما هان طلب خالداً ليرز إليه فيما بين الصفيين فيجتمعاً في مصلحة لم  
 فقال ما هان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع ، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل  
 منكم عشرة دنانير وكيبوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم مثلها .  
 فقال خالد : إنني لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أنا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لادم  
 أطيب من دم الروم ، فبئنا لذلك . فقال أصحاب ما هان : هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب .  
 قالوا ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقمعاع بن عمرو - وهما على مجنبتى القلب - أن ينشئا  
 القتال ، فبدر ابريجزان ودعوا إلى البراز ، وتنازل الأبطال ، وتجاولوا وحى الحرب وقامت على ساق .  
 هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف ، والأبطال يتصاولون من  
 الفريقين بين يديه ، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل ، ويسير  
 أمر الحرب أتم تدبير .

وقال إسحاق بن بشير عن سعيد بن عبد العزيز عن قدماء مشايخ دمشق ، قالوا : ثم زحف ما هان  
 نخرج أبو عبيدة ، وقد جعل على الميمنة معاذ بن جبل ، وعلى اليسرة قباب بن أشيم الكنانى ، وعلى  
 الرجاله هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيل خالد بن الوليد ، وخرج الناس على رأيهم ، وسار  
 أبو عبيدة بالمسلمين ، وهو يقول : عباد الله أنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يا معاشر المسلمين  
 اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ،  
 ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤهم بالقتال ، واشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت  
 إلا من ذكر الله . وخرج معاذ بن جبل فجعل يذكركم ، ويقول : يا أهل القرآن ، ومستحفظى  
 الكتاب ، وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لاتنال ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله  
 المغفرة والرحمة الواسعة إلا للصادق المصدق ، ألم تسمعوا لقول الله عز وجل [ وعد الله الذين آمنوا  
 منكم وعملوا الصالحات ] إلى آخر الآية ؟ فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ،  
 وأنتم في قبضته ، وليس لكم ملتحذ من دونه . وسار عمرو بن العاص فى الناس وهو يقول :  
 أيها المسلمون غضوا الأبصار واجثوا على الزنك ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى  
 إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا وثبة الأسد ، فوالذى يرضى الصدق ويثيب عليه ، وبعت الكذب  
 ويجزى الاحسان إحساناً . لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً وكفراً وقصراً قصراً ، فلا  
 يهولكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد لتطايروا تطاير أولاد الحجل . ثم تكلم  
 أبو سفيان فأحسن وحث على القتال فأبلغ فى كلام طويل . ثم قال حين تواجه الناس : يا معشر أهل

الاسلام حضر ماترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ، وحرص أبو سفيان النساء فقال : من رأيتنه فأراً فاضر بنه بهذه الأحجار والعصى حتى يرجع .

وأشار خالد أن يقف في القلب سميد بن زيد ، وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليرد المهزم . وقسم خالد الخيل قسمين جعل فرقة وراء اليمين ، وفرقة وراء اليسرة ، لتلايفر الناس وليكونوا ردها لهم من وراءهم . فقال له أصحابه : افعل ما أراك الله ، وامثلوا ما أشار به خالد رضى الله عنه . وأقبلت الروم رافعة صلباتها ولهم أصوات مزعجة كالرعد ، والقساقسة والبطارقة تحرضهم على القتال وهم في عدد وعدد لم ير مثله ، فآله المستعان وعليه التكلان .

وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام ، وهو أفضل من هناك من الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا : ألا تحمل فنحمل معك ؟ فقال : إنكم لا تثبتون ، فقالوا : بلى ! فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه . ثم جاؤا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى ، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه ، وفي رواية جرح . وقد روى البخارى معنى ما ذكرناه في صحيحه . وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القيسيين والرهبان يقول : اللهم زلزل أقدامهم ، وأرعب قلوبهم : وأنزل علينا السكينة ، وألزمنا كلمة التقوى ، وجيب إلينا اللقاء ، وأرضنا بالقضاء . وخرج ماهان فأمر صاحب اليسرة وهو الدبريجان ، وكان عدو الله متنسكا فيهم ، فحمل على اليمين وفيها الأزدي ومذحج وحضرموت وخولان ، فثبتوا حتى صدقوا<sup>(١)</sup> أعداء الله ، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال . فزال المسلمون من اليمين إلى ناحية القلب ، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر ، وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم ، وانكشف زيد . ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهبوا من أمامهم من الروم وأشغلواهم عن اتباع من انكشف من الناس ، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضر بنهم بالخشب والحجارة وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول :

ياهارباً عن نسوةٍ تقيّاتٍ فعن قليلٍ ماترى سبيّاتٍ

\* ولا حصيّاتٍ ولا رضيّاتٍ \*

قال : فتراجع الناس إلى مواقعهم . وقال سيف بن عمر عن أبي عثمان الغسانی عن أبيه . قال قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك : قاتلت رسول الله ص . في مواطن وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبائع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعائة من وجوه المسلمين

(١) كذا في النسخ . ولعله صدوا .

وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن  
الازور رضى الله عنهم . وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجئ  
إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعا إليه ، فلما دفعت إليه نظر  
إليه الآخر فقال : ادفعا إليه ، فتدافعوا كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها  
أحد منهم ، رضى الله عنهم أجمعين .

ويقال إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال : إني قد تهيأت  
لأمرى فهل لك من حاجة إلى رسول الله اس ؟ قال : نعم ، تقرئه عنى السلام وتقول : يا رسول الله  
إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . قال : فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله . قالوا : وثبت كل قوم  
حلى رايتهم حتى سارت الروم تدور كأنها الرجا . فلم تروم اليرموك ( إلا ) مخاسقاً ، ومعصا  
نادراً ، وكفأ طائرة من ذلك الموطن . ثم حمل خالد بن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على  
ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف منهم ثم قال : والذي  
نفسى بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم ، وإني لأرجو أن يمنحك الله أكتافهم . ثم  
اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم ، وحمل  
المسلمون عليهم حملة رجل واحد ، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم .

قالوا : وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب ، إذ قدم البريد  
من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له : ما الخبر ؟ فقال له - فيما بينه وبينه - : إن الصديق  
رضى الله عنه قد توفى واستخلف عمر ، واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح . فأسرّها  
خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال ، وقال له والناس يسمعون : أحسنت ،  
وأخذ منه الكتاب فوضعه في كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، وأوقف الرسول  
الذى جاء بالكتاب - وهو منجمة بن زنيم - إلى جانبه . كذا ذكره ابن جرير بأسانيد .

قالوا وخرج جرجه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى  
ختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجه : يا خالد أخبرني فأصدقني ولا تكذبني ، فإن الحر لا يكذب ،  
ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه  
فلا تساه على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فبم مميت سيف الله ؟ قال : إن الله بعث فينا نبيه  
فدانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت  
فبين كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لي : أنت سيف من

سيوف الله ماله الله على المشركين . ودعالي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فانا من أشد المسلمين على المشركين .

فقال جرجه : يا خالد إلى ما تدعون ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله عز وجل . قال : فمن لم يجيبكم ؟ قال : فالجزية وتمنعهم . قال : فان لم يعطها قال : نوذنه بالحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟ قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجه : فلن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا ؟ فقال جرجه : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ؟ قال : تالله لقد صدقتك وإن الله ولى ما سألت عنه . فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد وقال : علمنى الإسلام ، فمال به خالد إلى فسطاطه فسنّ عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين . وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرزن أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقعهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام . فركب خالد وجرجه معه والروم خلال المسلمين ، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقعهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصالحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب . وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء ، وأصيب جرجه رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضى الله عنهما . وضعضت الروم عند ذلك . ثم نهد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم ، فعند ذلك هربت خيالاتهم ، واسندت بهم في تلك الصحراء ، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا . وآخر الناس صلاتى العشاءين حتى استقر الفتح ، وعمد خالد إلى رحل الروم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم ثم تبعوا من فر من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم ، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوسة ، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه . قال ابن جرير وغيره : فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قتل في المعركة . وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن : أين تنهبون وتدعوننا للعلاج ؟ فاذا زجرتهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال .

قال وتجلل القيقلان وأشرف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا : إذا لم تقدر على نصر دين

النصرانية فلنمت على دينهم . فجاء المسلمون فقتلوا عن آحرم . قالوا : وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو ، وسلطة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت خالد بن سعيد فلا يدري أين ذهب وضرار بن الأزور ، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو والدوسى ، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة . وقد أتلّف في هذا اليوم جماعة من الناس انهزم عمرو ابن العاص في أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرهم النساء ، وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير بقوله تعالى ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ) الآية .

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالا شديداً ، وذلك أن أباه مر به فقال له : يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادى من المسلمين الا محفوظاً بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ ! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة ، فاتق الله يا بني ولا يكون أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجراً على عدو الاسلام منك . فقال : أفعل إن شاء الله . فقاتل يومئذ قتالا شديداً وكان من ناحية القلب رضى الله عنه ،

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال : هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات يا معشر المسلمين ، قال : فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد . وأكمل خالد ليلته في خيمة تدارق أخى هرقل - وهو أمير الروم كلهم يومئذ - هرب فيمن هرب ، وباتت الخيول تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مر بهم من الروم حتى أصبحوا وقتل تدارق وكان له ثلاثون سرادقا وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحريز ، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم . وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك ولكن عوضهم الله بالفاروق رضى الله عنه .

وقال خالد حين عزى المسلمين في الصديق : الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت ، وكان أحب إلى من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلى من أبى بكر وأزمنى حبه وقد اتبع خالد من انهزم من الروم حتى وصل إلى دمشق فخرج إليه أهلها فقالوا : نحن على عهدنا وصلحنا ، قال : نعم . ثم اتبعهم إلى ثنية العقاب فقتل منهم خلقاً كثيراً ثم ساق وراءهم إلى حصن نخرج إليه أهلها فصالحهم كما صالح أهل دمشق . وبعث أبو عبيدة عياض بن غنم وراءهم أيضاً فساق حتى وصل ملطية فصالحه أهلها ورجع . فلما بلغ هرقل ذلك بعث إلى مقاتليها فحضروا بين يديه وأمر ملطية فخرقت وانتهت الروم منهزمة إلى هرقل وهو بمحصر والمسلمون في آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون . فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حصن وجعلها بينه وبين المسلمين وترس بها وقاله

هرقل : أما الشام فلا شام ، وويل للروم من المولود المشتم .

ومما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القمقاع بن عمرو :

ألم تَرْنَا على اليرموكِ فُرْنَا \* كما فُرْنَا بأيامِ العِراقِ  
وعِذراءِ الدائنِ قد فُتَحْنَا \* ومرجِ الصفرِ ... على العِناقِ  
فُتَحْنَا قبلها بَصْرَى وكانت \* محرمةُ الجَنابِ لدى العِناقِ  
قُتِلْنَا من أقامَ لنا وِفيْنَا \* نهبهمُ بِأسيافِ رِفاقِ  
قُتِلْنَا الرومَ حتى ما تساوى \* على اليرموكِ معرِقُ الوراقِ  
فَضَضْنَا جمعهمُ لما استَجالوا \* على الواقِصِ بالبتِرِ الرِفاقِ  
غداةً تهافتوا فيها فصاروا \* الى أمرِ يعضلُ بالذواقِ

وقال الأسود بن مقرن التميمي :

وكم قد أغرنا غارةً بمد غارةٍ \* يوماً ويوماً قد كَشَفْنَا أهاوله  
ولولا رجالُ كانَ عشو غنيمهٍ \* لدى ما قَطِرَتْ علينا أوائله  
لقيناهمُ اليرموكَ لما تضايقتُ \* بمن حلَّ باليرموكِ منه حمائله  
فلا يعدُّ من منا هرقل كِتائِباً \* إذ هَرَامَهَا رامَ الذي لا يحاوله

وقال عمرو بن العاص :

القومُ نَحْمٌ وجِذامٌ في الحربِ \* ونحن والرومُ بمرجِ نَضْرِبِ  
فان يَعودوا بها لا نَصْطَحِبُ \* بل نَعصبُ الفَرَّارَ بالضربِ الكَرِبِ

وروى أحمد بن مروان المالكي في المجالسة : ثنا أبو إسماعيل الترمذي ثنا أبو مسوية بن عمرو عن أبي إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله (س) لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة الروم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن . قال : فما بالكم تنهزون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصحون بينهم ، ومن أجل أننا نشرب الخمر ، ونزني ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط ونهني عما يرضى الله ونفسد في الأرض . فقال : أنت صدقتني .

وقال الوليد بن مسلم : أخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قال : لما نزل المسلمون بناحية الأردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق متحصرة فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ،



فبينما نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجنناه فقال : أنتما من العرب ؟ قلنا نعم ! قال : وعلى النصرانية ؟ قلنا : نعم . فقال : ليذهب أحدهما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم ، وليثبت الآخر على متاع صاحبه . ففعل ذلك أحدهما ، فلبث ملياً ثم جاءه فقال : جئتكم من عند رجال دقاق يركبون خيولاً عتاقاً أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرمان ، يرشون النبل ويبرون بها ، ويثقفون القنا ، لو حدثت جليتك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر . قال فالتفت إلى أصحابه وقال : أنا كم منهم ملاطاقة لكم به .

### انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة

#### بعد وقعة اليرموك

وصيرورة الإمرة بالشام إلى أبي عبيدة ، فكان أبو عبيدة أول من سعى أمير الأمراء . قد تقدم أن البريد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم يوم اليرموك ، وأن خالداً كتم ذلك عن المسلمين لئلا يقع وهن ، فلما أصبحوا أجلى لهم الأمر وقال ما قال ، ثم شرع أبو عبيدة في جمع الغنيمة وتخميمها ، وبعث بالفتح والخمس مع قباب بن أشيم إلى الحجاز ، ثم نودي بالرحيل إلى دمشق ، فساروا حتى نزلوا مرج الصفر ، وبعث أبو عبيدة بين يديه طليعة أبا أمامة الباهلي ومعه رجلان من أصحابه . قال أبو أمامة : فسرت فلما كان ببعض الطريق أمرت الآخر (١) فكنم هناك وسرت أنا وحدي حتى جئت باب البلد ، وهو مغلق في الليل وليس هناك أحد ، فنزلت وغرزت رمحي بالأرض ونزعت لجام فرسي ، وعلقت عليه مخلاته ونمت ، فلما أصبح الصباح قتت فتوضأت وعلقت الفجر ، فاذا باب المدينة يفتح فلما فتح حملت على البواب فطعنته بالرمح فقتلته ، ثم رجعت والطلب ورأى ذلك انتبهنا إلى الرجل الذي في الطريق ، من أصحابي ظنوا أنه كمين فرجعوا عني ، ثم سرنا حتى أخذنا الآخر وجئنا إلى أبي عبيدة فأخبرته بما رأيت ، فأقام أبو عبيدة ينتظر كتاب عمر فيما يمتدده من أمر دمشق ، فجاءه الكتاب يأمره بالمسير إليها ، فساروا إليها حتى أحاطوا بها . واستخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب في خيل هناك .

#### وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام

وذلك أن أهل فارس اجتمعوا بعد مقتل ملكهم وابنه على تملك شهربار بن أردشير بن شهربار واستغنموا غيبة خالد عنهم فبعثوا إلى نائبه المثني بن حارثة جيشاً كثيفاً نحواً من عشرة آلاف عليهم هرمز بن حادويه ، وكتب شهربار إلى المثني : إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم . فكتب إليه المثني : من المثني إلى شهربار

(١) كذا في الأصلين ولعل فيه سقطاً .

إنما أنت أحد رجلين إما باغ لذلك شرك وخير لنا ، وإما كاتب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك ، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فانكم إنما اضطررتم إليهم ، فالحد لله الذي رد كيدهم إلى رعاة الدجاج والخنازير . قال : فجزع أهل فارس من هذا الكتاب ، ولأموا شهر يار على كتابه إليه واستهجوا رأيه . وسار المثنى من الحرة إلى بابل ، ولما التقى المثنى وجيشهم بمكان عند عدوة الصراة الأولى ، اقتتلوا قتالا شديداً جداً ، وأرسل الفرس فيلاً بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين ، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله ، وأمر المسلمين فحملوا ، فلم تكن إلا هزيمة انفرس فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وغنموا منهم مالا عظيماً ، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن في شرحالة ، ووجدوا الملك قد مات فملكوا عليهم ابنة كسرى « بوران بنت أبرويز » فأقامت العدل ، وأحسنت السيرة ، فأقامت سنة وسبع شهور ، ثم ماتت ، فملكوا عليهم أختها « آرميدخت زنان » فلم ينتظم لهم أمر ، فملكوا عليهم « سابور بن شهر يار » ، وجعلوا أمره إلى الفرخزاد بن البندوان فزوجه سابور ابنة كسرى « آرميدخت » فكرهت ذلك وقالت : إنما هذا عبد من عبيدنا . فلما كان ليلة عرسها عليه هموا إليه فقتلوه ، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً ، وملكوا عليهم هذه المرأة وهي « آرميدخت » ابنة كسرى . ولعبت فارس بملكها لعباً كثيراً ، وآخر ما استقر أمرهم عليه في هذه السنة أن ملكوا امرأة وقد قال رسول الله (س) : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفي هذه الواقعة التي ذكرنا يقول عبدة بن الطبيب السعدي ، وكان قد هاجر لمهاجرة حليمة له حتى شهد واقعة بابل هذه ، فلما آيسته رجع إلى البادية وقال :

هل جبل خولة بعد البين موصولٌ أم أنت عنها بعيد الدار مشغولٌ  
وللأحبة أيامٌ تذكرها وللنوى قبل يوم البين تأويلٌ  
حلت خويلة في حي عهدتهم دون المدينة فيها الديك والفيل  
يقارعون رؤس العجم ضاحيةً منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقد قال الفرزدق في شعره يذكر قتل المثنى ذلك الفيل :

وبيت المثنى قاتل الفيل عنوةً بيابل إذ في فارس ملك بابل

ثم إن المثنى بن حارثة استبطأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام ، وما فيه من حرب اليرموك المتقسم ذكروه ، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق ، واستناب على العراق بشير بن الخصاصية ، وعلى المسالخ سعيد بن مرة العجلي ، فلما انتهى المثنى إلى المدينة وجد الصديق في آخر مرض الموت . وقد عهد إلى عمر بن الخطاب ، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر : إذا أنا مت فلا تمسين حتى تنسب

الناس لحرب أهل العراق مع المشني ، وإذا فتح الله على أمرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فانهم أعلم بحربه .

فلما مات الصديق نذب عمر المسلمين إلى الجهاد بأرض العراق لقلته من بقي فيه من المقاتلة بعد خالد بن الوليد ، فانتدب خلقاً وأمر عليهم أبا عبيدة بن مسعود ، وكان شاباً شجاعاً ، خبيراً بالحرب والمكيدة . وهذا آخر ما يتعلق بخبر العراق إلى آخر أيام الصديق وأول دولة الفاروق .

### خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كانت وفاة الصديق رضي الله عنه في يوم الاثنين عشية ، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته ، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين ، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرأ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا ، فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وكان عمره يوم توفى ثلاثاً وستين سنة ، للسن الذي توفى فيه رسول الله (ص) ، وقد جمع الله بينهما في التربة ، كما جمع بينهما في الحياة ، فرضى الله عنه وأرضاه . قال محمد بن سعد عن أبي قطن عمرو بن الهيثم عن ربيع بن حسان الصائغ . قال : كان نقش خاتم أبي بكر « نعم القادر الله » . وهذا غريب وقد ذكرنا ترجمة الصديق رضي الله عنه ، وسيرته وأيامه وماروى من الأحاديث ، وماروى عنه من الأحكام في مجلد والله الحمد والمنة . فقام بالأمر من بعده أتم القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهو أول من سمى بأمر المؤمنين . وكان أول من حياه بها المغيرة بن شعبة ، وقيل غيره كما بسطنا ذلك في ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التي أفردناها في مجلد ، ومسنده والآثار المروية مرتباً على الأبواب في مجلد آخر والله الحمد .

وقد كتب بوفاة الصديق إلى أمراء الشام مع شداد بن أوس ، ومحمد بن جريح ، فوصلوا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك كما قدمنا . وقد أمر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين ولاه وعزل خالد بن الوليد . وذكر سلمة عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالداً لكلام بلغه عنه ، ولما كان من أمر مالك بن نويرة ، وما كان يعتمد في حربه . فلما ولي عمر كان أول ماتكم به أن عزل خالداً ، وقال : لا يلي لي عملاً أبداً . وكتب عمر إلى أبي عبيدة إن أ كذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه ، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول ، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين . فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد : أمهني حتى أستشير أختي ، فذهب إلى أخته فاطمة - وكانت تحت الحارث بن هشام - فاستشارها في ذلك ، فقالت له : إن عمر لا يجيبك أبداً ، وإنه سيعزلك وإن كذبت نفسك . فقال لها : صدقت والله . فقامه أبو عبيدة حتى أخذ [ إحدى ] نعليه وترك له الآخرة ،

وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمر المؤمنين .

وقد روى ابن جرير عن صالح بن كيسان أنه قال : أول كتاب كتبه عمر إلى أبي عبيدة حين ولاه وعزل خالداً أن قال : « وأوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فتم بأمرهم الذي يحق عليك ، لا تقدم المسلمين هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستر يدك لهم وتعلم كيف ماناه ، ولا تبعث سرية إلا في كنف من الناس ، وإياك وإتقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ، فغض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ، وإياك أنت تهلك كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم . وأمرهم بالمسير إلى دمشق » ، وكان بعد ما بلغه الخبر بفتح اليرموك وجاءته به البشارة ، وحمل الخمس إليه . وقد ذكر ابن إسحاق أن الصحابة قاتلوا بعد اليرموك أجنادين ثم بفحل من أرض الغور قريباً من بيسان فكان يقال له الرذغة سمي بذلك لكثرة ما لقوا من الأوحال فيها ، فأغلقوها عليهم ، وأحاط بها الصحابة . قال : وحينئذ جاءت الإمارة لأبي عبيدة من جهة عمر وعزل خالد ، وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من مجيء الإمارة لأبي عبيدة في حصار دمشق هو المشهور .

### فتح دمشق

قال سيف بن عمر لما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق إذ أتاه الخبر بقدم مددهم من حمص ، وجاء الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل من أرض فلسطين ، وهو لا يدري بأي الأمرين يبدأ . فكتب إلى عمر في ذلك ، فجاء الجواب أن يبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم ، فانهب لها واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم ، فإن فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي يحب ، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك واستخلف على دمشق ، فإذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حمص واترك عمراً وشرحبيل على الأردن وفلسطين .

قال : فسرح أبو عبيدة إلى فحل عشرة أمراء مع كل أمير خمسة أمراء وعلى الجميع عمارة بن مخشي الصحابي ، فساروا من مرج الصفر إلى فحل فوجدوا الروم هنالك قريباً من ثمانين ألفاً ، وقد أرسلوا المياه حولهم حتى أردغت الأرض فسموا ذلك الموضع الرذغة ، وفتحها الله على المسلمين فكانت أول حصن فتح قبل دمشق على ماسياتي تفصيله . وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين ، وبعث ذا الكلاع في جيش يكون بين دمشق وبين حمص ، ليرد من رد إليهم من المدد من جهة هرقل . ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصداً دمشق ، وقد جهل خالد بن الوليد

في القلب وركب أبو عبيدة وعمر وبن العاص في المجنبتين ، وعلى الخيل عياض بن غنم ، وعلى الرحالة شرحبيل بن حسنة ، فقدموا دمشق وعليها نسطاس بن نسطوس ، فقتل خالد بن الوليد على الباب الشرقي وإليه باب كيسان أيضاً ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير ، ونزل عمر وبن العاص وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد ونصبوا المجانيق والدبابات ، وقد أُرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش بركة يكونون رداءً له ، وكذا الذي بينه وبين حمص وحاصروها حصاراً شديداً سبعمين ليلة ، وقيل أربعة أشهر ، وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعة عشر شهراً فإله أعلم . وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع ، ويرسلون إلى ملكهم هرقل - وهو مقيم بحمص - يطلبون منه المدد فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذي الكلاع ، الذي قد أُرصد أبو عبيدة رضي الله عنه بين دمشق وبين حمص - عن دمشق ليلة - فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد أبلسوا وفشلوا وضعفوا ، وقوى المسلمون واشتد حصارهم ، وجاء فصل الشتاء واشتد البرد وعسر الحال وعسر القتال ، فقدر الله الكبير المتعال ، ذو العزة والجلال ، أن ولد بطريق دمشق مولود في تلك الليالي فصنع لهم طعاماً وسقاهم بعده شرباً . وباتوا عنده في وليمة قد أكلوا وشربوا وتعبروا فناموا عن مواقفهم ، واشتغلوا عن أمانتهم ، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد فانه كان لا ينام ولا يترك أحداً ينام ، بل مرأصد لهم ليلاً ونهاراً ، وله عيون وقصائد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساءً . فلما رأى حمدة تلك الليلة ، وأنه لا يقاتل على السور أحد قد أعد سلاخيم من حبال فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال ، مثل القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدس ، وقد أحضر جيشه عند الباب وقال لهم : إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فأرقوا إلينا . ثم نهدهم وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرب في أعناقهم ، فنصبوا تلك السلام وأثبتوا أعاليها بالشرقات ، وأكدوا أسافلها خارج الخندق ، وصعدوا فيها ، فلما استروا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلام وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلوه ، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف وفتحوا الباب عنوة ، فدخل الجيش الخالدي من الباب الشرقي . ولما سمع أهل البلد التكبير ناروا وذهب كل فريق إلى أماكنهم من السور ، لا يدرون ما الخبر ، فجعل كلما قدم أحد من أصحاب الباب الشرقي قتله أصحاب خالد ، ودخل خالد البلد عنوة فقتل من وجد . وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح - وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم - فلما دعوهم إلى ذلك أجابهم . ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد . ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجدته فقالوا له : إنا قد أمنام ، فقال : إني فتحها عنوة . والتقت الأمراء في وسط البلد عند كنيسة المتسلاط بالقرب من

درب الريحان اليوم . هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره وهو المشهور أن خالدًا فتح الباب قسرًا .  
وقال آخرون : بل الذي فتحها عنوة أبو عبيدة وقيل يزيد بن أبي سفيان ، وخالد صالح أهل  
البلد فعكسوا المشهور المعروف والله أعلم .

وقد اختلف الصحابة فقال قائلون هي صلح - يعنى على ما صالحهم الأمير في نفس الأمر وهو  
أبو عبيدة - . وقال آخرون : بل هي عنوة ، لأن خالدًا افتتحها بالسيف أولاً كما ذكرنا ، فلما أحسوا  
بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم أبو عبيدة فصالحوهم ، فانفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفها صلحاً  
ونصفها عنوة ، فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقروا عليه ، واستقرت يد الصحابة على النصف .  
ويقوى هذا ما ذكره سيف بن عمر من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة  
فيأبون ، فلما أحسوا باليأس أنابوا إلى ما كانت الصحابة دعوهم إليه فبادروا إلى إجابتهم . ولم تعلم  
الصحابة بما كان من خالد إليهم والله أعلم ،

ولهذا أخذ الصحابة نصف الكنيسة العظمى التي كانت بدمشق وتعرف « بكنيسة يوحنا »  
فأخذوا الجانب الشرقي منها مسجداً ، وأبقوا لهم نصفها الغربي كنيسة ، وقد أبقوا لهم مع ذلك أربع  
عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة المعروفة « بيوحنا » ، وهي جامع دمشق اليوم . وقد  
كتب لهم بذلك خالد بن الوليد كتاباً ، وكتب فيه شهادته أبو عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد  
وشرحبيل : إحداهما كنيسة المقسلاط التي اجتمع عندها أمراء الصحابة ، وكانت مبنية على ظهر  
السوق الكبير ، وهذه القناطر المشاهدة في سوق الصابونيين من بقية القناطر التي كانت تحتها ، ثم  
بادت فيما بعد وأخذت حجارتها في العمارات . الثانية : كنيسة كانت في رأس درب القرشين وكانت  
صغيرة ، قال الحافظ ابن عساكر : وبعضها باق إلى اليوم وقد تشعثت . الثالثة : كانت بدار البطيخ  
العتيقة . قلت : وهي داخل البلد بقرى الكوشك ، وأظنها هي المسجد الذي قبل هذا المكان  
المذكور ، فانها خربت من دهر والله أعلم . الرابعة : كانت بدرب بنى نصر بين درب الجبالين  
ودرب التميمي . قال الحافظ ابن عساكر : وقد أدركت بعض بنيانها ، وقد خرب أكثرها . الخامسة :  
كنيسة بولص ، قال ابن عساكر : وكانت غربي القيسارية الفخرية وقد أدركت من بنيانها بعض  
أساس الحنية . السادسة : كانت في موضع دار الوكالة وتعرف اليوم بكنيسة القلانسيين . قلت :  
والقلانسيين هي الحواحين اليوم . السابعة : التي بدرب السقيال اليوم وتعرف بكنيسة حميد بن درة  
سابقاً ، لأن هذا الدرب كان أقطاعاً له وهو حميد بن عمرو بن مساجق القرشي العامري ، ودرة أمه ،  
وهي درة ابنة هاشم بن عتبة بن ربيعة ، فأبوها خال معاوية . وكان قد أقطع هذا الدرب فنسبت هند  
الكنيسة إليه ، وكان مسلماً ، ولم يبق لهم اليوم سواها ، وقد خرب أكثرها . واليعقوبية منهم كنيسة

داخل باب توما بين رجة خالد - وهو خالد بن أسيد بن أبي العيص - وبين درب طلحة بن عمرو بن مرة الجهني، وهي الكنيسة الثامنة، وكانت لليعقوبيين كنيسة أخرى فيما بين درب التنوي وسوق علي. قال ابن عساكر: قد بقي من بنائها بعضه، وقد خربت منذ دهر. وهي الكنيسة التاسعة وأما العاشرة فهي الكنيسة المصلبة قال الحافظ ابن عساكر: وهي باقية إلى اليوم بين الباب الشرقي وباب توما بقرب النديطن عند السور. والناس اليوم يقولون النيطون. قال ابن عساكر: وقد خرب أكثرها هكذا قال. وقد خربت هذه الكنيسة وهدمت في أيام صلاح الدين فأحرق القدس بعد الثمانين وخمسة مائة بعد موت الحافظ ابن عساكر رحمه الله.

الحادية عشرة: كنيسة مريم داخل الباب الشرقي. قال ابن عساكر وهي من أكبر ما بقي بأيديهم. قلت: ثم خربت بعد موته بدهر في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على ماسياتي بيانه

الثانية عشر: كنيسة اليهود التي بأيديهم اليوم في حارتهم، ومحلها معروف بالقرب من الجبر وتسميه الناس اليوم بستان القط وكانت لهم كنيسة في درب البلاغة لم تكن داخلية في العهد فهدمت فيما بعد وجعل مكانها المسجد المعروف بمسجد ابن السهر وردى، والناس اليوم يقولون درب الشاذوري. قلت: وقد أخرجت لهم كنيسة كانوا قد أحدثوها لم يذكروها أحد من علماء التاريخ لا ابن عساكر ولا غيره، وكان إخراجها في حدود سنة سبع عشرة وسبعمائة ولم يتعرض الحافظ ابن عساكر لذكر كنيسة السامرة بكرة. ثم قال ابن عساكر: ومما أحدث - يعني النصارى - كنيسة بناها أبو جعفر المنصور بنى قطيطة في الفريق عند قناة صالح قريبا من دارها وارمن اليوم<sup>(١)</sup>، وقد أخرجت فيما بعد وجعلت مسجداً يعرف بمسجد الجنيق وهو مسجد أبي اليمن. قال ومما أحدث كنيسة العباد إحداهما عند دار ابن الماشلي وقد جعلت مسجداً. والأخرى التي في رأس درب النقاشين وقد جعلت مسجداً. انتهى ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله. قلت: وظاهر سياق سيف بن عمر يقتضي أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت في نصف رجب سنة أربع عشرة. كذا حكاه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عائذ القرشي الدمشقي عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصين بن غلاق عن يزيد بن عبيدة قال: فتحت دمشق سنة أربع عشرة. ورواه دحيم عن الوليد. قال: سمعت أسيحا يقولون إن دمشق فتحت سنة أربع عشرة. وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر ومحمد بن إسحاق ومعمر والأموي وحكاه عن مشايخه وابن الكلبي وخليفة بن خياط وأبو عبيد القاسم بن سلام، إن فتح دمشق كان في سنة

(١) هكذا في الاصلين من قوله كنيسة بناها الى قوله وارمن اليوم.

أربع عشرة . وزاد سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر والأُموي : وكانت اليرموك بعدها بسنة . وقال بعضهم : بل كان فتحها في شوال سنة أربع عشرة . وقال خليفة : حاصرهم أبو عبيدة في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة . وقال الاموي في مغازيه : كانت وقعة أجنادين في جمادى الاولى ، ووقعة فحل في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة — يعني ووقعة دمشق سنة أربع عشرة — وقال دحيم عن الوليد : حدثني الاموي أن وقعة فحل وأجنادين كانت في خلافة أبي بكر ثم مضى المسلمون إلى دمشق فزلوا عليها في رجب سنة ثلاث عشرة يعني ففتحوها في سنة أربع عشرة . وكانت اليرموك سنة خمس عشرة ، وقدم عمر إلى بيت المقدس سنة ست عشرة .

### فَضْرِبَاتُ الْأَنْبَاءِ

واختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحاً أو عنوة؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح ، لأنهم شكوا في المتقدم على الآخر أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة ، أو فتحت صلحاً ، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً؟ فلما شكوا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً . وقيل بل جعل نصفها صلحاً ونصفها عنوة ، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة في الكنيسة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها والله أعلم .

ثم قيل : إن أبا عبيدة هو الذي كتب لهم كتاب الصلح ، وهذا هو الأُنب و الأشهر ، فان خالداً كان قد عزل عن الامرة ، وقيل بل الذي كتب لهم الصلح خالد بن الوليد ، ولكن أقره على ذلك أبو عبيدة فأنه أعلم .

وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أن الصديق توفي قبل فتح دمشق ، وأن عمر كتب إلى أبي عبيدة يعزیه والمسلمين في الصديق ، وأنه قد استنابه على من بالشام ، وأمره أن يستشير خالداً في الحرب ، فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة كتبه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة ، فقال له خالد : برحمك الله ، ما منعك أن تعلمني حين جاءك؟ فقال : إني كرهت أن أكره عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنا نحن إخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه .

ومن أعجب ما يندكرهنا ما رواه يعقوب بن سفيان الفسوي : حدثنا هشام بن عمار ثنا عبد الملك ابن محمد ثنا راشد بن داود الصنعاني حدثني أبو عثمان الصنعاني شراحيل بن مرثد ، قال : بعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى أهل البمامة ، وبعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ، فذكر الراوي فقال خالد لأهل البمامة إلى أن قال : ومات أبو بكر واستخلف عمر فبعث أبا عبيدة إلى الشام فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى أبي عبيدة بالشام ، فذكر مسير



خالد من العراق إلى الشام كما تقدم وهذا غريب جداً فان اذى لايشك فيه أن الصديق هو الذى بعث أبا عبيدة وغيره من الامراء إلى الشام ، وهو الذى كتب الى خالد بن الوليد أن يقدم من العراق إلى الشام ليكون مدداً لمن به وأميراً عليهم ، ففتح الله تعالى عليه وعلى يديه جميع الشام على ما سند كره إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن عائد : قال الوليد بن مسلم : أخبرني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن المسلمين لما افتتحو مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة بن الجراح وافداً إلى أبي بكر شيراً بالفتح فقدم المدينة فوجد أبا بكر قد توفى واستخلف عمر بن الخطاب فأعظم أن يتأمر أحد من الصحابة عليه فولاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا : مرحباً بمن بعثناه بريداً فقدم علينا أميراً ،

وقد روى الليث وابن لهيعة وحيوة بن شريح ومفضل بن فضالة وعمر بن الحارث وغير واحد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحكم عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أنه بعثه أبو عبيدة بريداً بفتح دمشق قال : فقدمت على عمر يوم الجمعة فقال لى : منذ كم لم تنزع خفيك ؟ فقلت من يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة . فقال : أصبت السنة

قال الليث : وبه نأخذ ، يعنى أن المسح على الخفين للمسافر لا يتأقت ، بل له أن يمسح عليهما ما شاء ، وإليه ذهب الشافعى فى القديم . وقد روى أحمد وأبو داود عن أبي بن عمارة مرفوعاً مثل هذا ، والجمهور على ما رواه مسلم عن علي فى تأقيت المسح للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمقيم يوم وليلة . ومن الناس من فصل بين البريد وبين فى معناه وغيره ، فقال فى الأول لا يتأقت ، وفيما عداه يتأقت لحديث عقبة وحديث على والله أعلم .

## فَضْلُ

ثم إن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحها بالسيف . وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون ، وعلى الروم رجل يقال له « سنان » تحدر على المسلمين من عقبة بيزوت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون « عين ميسنون » عين الشهداء . واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق . وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر فى سرية ليمهدوا أمرها . وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البثينة وحواران فصالح أهلها . قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله : افتتح خالد دمشق صلحاً ، وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحاً دون أرضيها . فعلى يدى يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة . وقال الوايد بن مسلم : أخبرني غير واحد من شيوخ دمشق بينهم على حصار دمشق إذ أقبلت خيل من

عقبه السلمية مخرة بالحرب فثار إليهم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت ليا والعقبة التي أقبلوا منها ، فهزموهم وطردهم إلى أبواب حمص ، فلما رأى أهل حمص ذلك ظنوا أنهم قد فتحوا دمشق فقال لهم أهل حمص إنا نصلحكم على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا .

وقال خليفة بن خياط حدثني عبدالله بن المغيرة عن أبيه قال افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه . وهكذا قال ابن الكلابي . وقالا بعث أبو عبيدة خالداً فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً . وقال ابن المغيرة عن أبيه وصالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، ووضع الخراج . وقال ابن إسحاق وغيره وفي سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة قال خليفة ويقال في سنة خمس عشرة

### وقعة فحل (١)

وقد ذكرها كثير من علماء السير قبل فتح دمشق وإنما ذكرها الامام أبو جعفر بن جرير بعد فتح دمشق وتبع في ذلك سياق سيف بن عمر فيما رواه عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة القيسي قالا : خلف الناس يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق وسار نحو فحل وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حسنة وسار أبو عبيدة وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد وأبو عبيدة على الميمنة وعمرو بن العاص على الميسرة ، وعلى الخليل ضرار بن الأزور ، وعلى الرجالة عياض بن غنم فوصلوا إلى فحل وهي بلدة بالغور وقد انحاز الروم إلى بيسان ، وأرسلوا مياه تلك الأراضي على . هنالك من الأراضي فحال بينهم وبين المسلمين ، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم وما صنعه الروم من تلك المكيدة ، إلا أن المسلمين في عيش رغيد ومدد كبير ، وهم على أهبة من أمرهم . وأمير لنا الحرب شرحبيل بن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبته . وظن الروم أن المسلمين على غرة ، فركبوا في بعض الليالي لبيبتهم ، وعلى الروم سقلاب بن مخراق ، فهجموا على المسلمين فهضوا إليهم نهضة رجل واحد لأنهم على أهبة دائماً ، فقاتلهم حتى الصباح وذلك اليوم بكامله إلى الليل . فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم سقلاب وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل الذي كانوا قد كادوا به المسلمين ففرقهم الله فيه ، وقتل منهم المسلمين بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً لم ينج منهم إلا الشريد ، وغنموا منهم شيئاً كثيراً وما لاجز يلا . وانصرف أبو عبيدة وخالد بن مهدي من الجيوش نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب . واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بيسان فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم صالحوه على مثل ما صالحت علياً

(١) بكسر الفاء . وقيل والحاء . والصحيح تسكينها .

دمشق، وضرب عليهم الجزية والخراج على أراضيهم وكذلك فعل أبو الاعور السلمي بأهل طبرية سواء،

### ما وقع بأرض العراق آنذاك من القتال

وقد قدمنا أن المثني بن حارثة لما سار خالد من العراق بن صحبه إلى الشام وقد قيل إنه سار بتسعة آلاف، وقيل بثلاثة آلاف، وقيل بسبعمائة وقيل بأقل، إلا أنهم صناديد جيش العراق، فاقام المثني بن بقی فاستقل عددهم وخاف من سطوة الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ماو كهم وملكاتهم، وامتبطاً المثني خبر الصديق فسار إلى المدينة فوجد الصديق في السياق، فأخبره بأمر للعراق، فأوصى الصديق عمر أن يندب الناس لقتال أهل العراق. فلما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء، أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق، وحرصهم ورجبهم في الثواب على ذلك، فلم يبق أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم. ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يبق أحد وتكلم المثني بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق، وما لهم هنالك من الأموال والأموال والأمتعة والزاد، فلم يبق أحد في اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم تتابع الناس في الاجابة، أمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمر على الجميع أبا عبيد هذا ولم يكن صحابياً، فقيل لعمر: هلا أمرت عليهم رجلا من الصحابة؟ فقال: إنما أومر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم. ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله (ص)، (وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل باشر الحروب) <sup>(١)</sup> فسار المسلمون إلى أرض العراق (وهم سبعة آلاف رجل) <sup>(٢)</sup> وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق (فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم ابن عتبة وأرسل عمر جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة) <sup>(٣)</sup> فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم « بوران » بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها « أزميدخت » وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك. وكان رستم هذا منجماً يعرف النجوم وعلمها جيداً، فقيل له: ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال: الطمع وحب الشرف

(١، ٢، ٣) نقص في النسخة المصرية تحقيق محمود الامام.

## وقعة النارق

بعث رستم أميراً يقال له « جابان » وعلى مجنبيه رجلان يقال لأحدهما « حشفس ماه » ويقال للآخر « مردانشاه » وهو خصي أمير حاجب الفرس ، فالتقوا مع أبي عبيد بمكان يقال له النارق ، بين الحيرة والقادسية - وعلى الخليل المثنى بن حارثة ، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً وهزم الله الفرس وأسر جابان ومردانشاه . فأما مردانشاه فإنه قتل الذي أسره ، وأما جابان فإنه خدع الذي أسره حتى أطلقه فأمسكه المسلمون وأبوا أن يطلقوه ، وقالوا إن هذا هو الأمير وجاؤا به إلى أبي عبيد فقالوا قتله فإنه الأمير فقال وان كان الأمير فاني لا أقتله . وقد آمنه رجل من المسلمين ثم ركب أبو عبيد في آثار من انهزم منهم وقد لجأوا إلى مدينة كسكر التي لابن خالة كسرى واسمها نرسی فوازرهم نرسی على قتال أبي عبيد فقهروهم أبو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيراً وأطعمت كثيرة جداً ، والله الحمد . وبعث بنخمس ما غنم من المال والطعام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة وقد قال في ذلك رجل من المسلمين

لعمري وما عمري عليّ بهين \* لقد صبحت بالخزي أهل النارق  
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم \* يجوسونهم ما بين درنا وبارق  
قتلناهم ما بين مرج مسلح \* وبين الهواني من طريق النارق

فالتقوا بمكان بين كسكر والسفافية وعلى ميمنة نرسی وميسرته ابنا خاله بندويه وبيرويه أولاد نظام وكان رستم قد جهز الجيوش مع الجالينوس فلما بلغ أبو عبيد ذلك اعجل نرسی بالقتال قبل وصولهم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت الفرس وهرب نرسی والجالينوس إلى المدائن بعد وقعة جرت من أبي عبيد مع الجالينوس بمكان يقال له باروسما فبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة وسرايا آخر إلى متاخم تلك الناحية كنهز جور ونحوها ففتحها صلحاً وقهراً وضربوا الجزية والخراج وغنموا الاموال الجزيلة والله الحمد والمنة وكسروا الجالينوس الذي جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله وكرهارباً إلى قومه حقيراً ذليلاً .

## وقعة جسر ابي عبيد ومقتل امير المسلمين وخلق كثير منهم

لما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين تدامرت الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشاً كثيراً عليهم ذا الحاجب « بهمس حادويه » واعطاه راية افريدون وتسمى درفش كايان وكانت الفرس تتيمن بها . وحملوا معهم راية كسرى وكانت من جلود الثور عرضها ثمانية أذرع . فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فأرسلوا : إما أن تهبوا إلينا وإما إن نعبركم . فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد أمرهم فلبعبرواهم إلينا . فقال ما هم بأجراً على الموت منا ثم اقتحم

إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فقتلوا قتالا شديداً لم يمهده الله والمسلمون في نحو من عشرة آلاف وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل ، قائمة لذعر خيول المسلمين فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة ومما تسمع من الجلاجل التي عليها ولا يثبت منها الا القليل على قسر . وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة ورشقهم الفرس بالنبل ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف . وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولاً ، فاحتوشوها فقتلوها عن آخرها ، وقد قدمت الفرس بين أيديهم فيلاً عظيماً أبيض ، فتقدم إليه أبو عبيد فضربه بالسيف فقطع ذلومه فحشى الفيل ، وصاح صيحة هائلة وحمل فتخطه برجليه فقتله ووقف فوقه فحمل على الفيل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل ، ثم آخر ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحداً بعد واحد ، ثم صارت الى المثنى بن حارثة بمقتضى الوصية أيضاً . وقد كانت دومة امرأة أبي عبيد رأت مناماً يدل على ما وقع سواء بسواء . فلما رأى المسلمون ذلك وهنوا عند ذلك ولم يكن بقي إلا الظفر بالفرس ، وضعف أمرهم ، وذهب ريمهم ، وولوا مدبرين ، وسأقت الفرس خلفهم فقتلوا بشراً كثيراً وانكشف الناس فكان أمراً بليغاً وجاءوا إلى الجسر فمر بعض الناس . ثم انكسر الجسر فتحكم فيمن وراء الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحواً من أربعة آلاف . فانا لله وإنا إليه راجعون . وسار المثنى بن حارثة فوقف عند الجسر الذي جاؤا منه ، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق ، فنادى المثنى . أيها الناس على هيفتكم فاني واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لا يبقى منكم أحد ههنا ، فلما عدى الناس إلى الناحية الأخرى سار المثنى فقتل بهم أول منزل ، وقام يحرسهم هو وشجيمان المسلمين ، وقد جرح أكثرهم وأثخنوا . ومن الناس من ذهب في البرية لا يدري أين ذهب ، ومنهم من رجع إلى المدينة النبوية مذعوراً ، وذهب بالخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازني إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر ، فقال له عمر : ما وراءك يا عبد الله بن زيد ؟ فقال : أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين ، ثم صعد إليه المنبر فأخبره الخبر سرّاً ، ويقال كان أول من قدم بخبر الناس عبد الله بن يزيد بن الحصين الحطمي فأنه أعلم .

قال سيف بن عمر وكانت هذه الواقعة في شعبان من سنة ثلاث [ عشرة ] بعد ابرهوك بأربعين يوماً فأنه أعلم ، وتراجع المسلمون بعضهم إلى بعض وكان منهم من فر إلى المدينة فلم يؤنب عمر الناس بل قال أنا فيكم وأشغل الله المجوس بأمر ملكهم . وذلك أن أهل المدائن عدوا على رستم فخلوه ثم ولوه وأضافوا إليه الفيرزان ، واختلفوا على فرقتين ، فركب الفرس إلى المدائن ولحقهم المثنى بن حارثة في نفر من المسلمين ، فعارضة أميران من أمراءهم في جيشهم ، فأسرهما وأمر بهما بشراً كثيراً

فضرب أعناقهم . ثم أرسل المثنى إلى من بالعراق من أمراء المسلمين يستمدهم ، فبعثوا إليه بالأمداد ، وبعث إليه عمر بن الخطاب بمدد كثير وبهم جرير بن عبد الله البجلي ، في قومه بجيلة بكاملها ، وغيره من سادات المسلمين حتى كثر جيشه .

### وقعت البويب التي اقتصر فيها المسلمون من الفرس

فلما سمع بذلك أمراء الفرس ، وبكثرة جيوش المثنى ، بعثوا إليه جيشا آخر مع رجل يقال له مهران فتوافقواهم وإياهم بمكان يقال له « البويت » قريب من مكان الكوفة اليوم وبينهما الفرات . فقالوا : إما أن تعبروا إلينا ، أو نعبركم . فقال المسلمون : بل اعبروا إلينا . فعبرت الفرس إليهم فتوافقوا ، وذلك في شهر رمضان . فعزم المثنى على المساهمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم ، وعبي الجيش ، وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت . وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة وجماعة من سادات المسلمين . وقال المثنى لهم : إني مكبر ثلاث تكبيرات قهيبا ، فاذا كبرت الرابعة فاحملوا . فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول . فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحدها حتى غالقوهم ، واقتتلوا قتالا شديدا ، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللا ، فبعث إليهم رجلا يقول : الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : لا تفضحوا العرب اليوم فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم - وهم بنو عجل - أجه وضحك . وبعث إليهم يقول : يامعشر المسلمين عاداتكم ، انصروا الله ينصركم . وجعل المثنى المسلمون يدعون الله بالظفر والنصر . فلما طال مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال بحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراني فقتل مهران وركب فرسه . كذا ذكره سيف بن عمر .

وقال محمد بن إسحاق بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبي فطعنه واحتر رأسه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصما في سلبه ، فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منظمه . وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يفتلونهم فصلا . وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه لئلا يتمكن منهم المسلمون . فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن أبعده إلى الليل فيقال إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف والله الحمد والمنة . وغنم المسلمون مالا جزيلا وطعاما كثيرا ، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضي الله عنه . وقد قتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بشر كثير أيضا وذلك لهذه الواقعة رقاب الفرس وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات وسجلة فغنموا شيئا عظيما لا يمكن حصره . وجرت أمور يطول ذكرها بعد يوم البويت وكانت هذه الواقعة بالفراق نظير البرهوك بالشام . وقد قال الأعور الشني العبدي في ذلك : -

هاجت لأعور دار الحى أحزانا \* وأسبدت بعد عبد العيس حسانا  
 وقد أرانا بها والشمل مجتمعا \* إذ بالخيلة قتلى جند مهرانا  
 إذ كان سار المثنى بالخيول لهم \* فقتل الزحف من فرس وجيلانا  
 سما لمهران والجيش الذي معه \* حتى أبادهم مثنى ووحدا

### فضيلة

ثم بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص الزهري أحد العشرة في ستة آلاف أميراً على العراق، وكتب إلى جرير بن عبد الله والمثنى بن حارثة أن يكونا تبعاً له وأن يسعاه ويطيعا، فلما وصل إلى العراق كانا معه، وكانا قد تنازعا الامرة، فالمثنى يقول لجرير: إنما بعثك أمير المؤمنين مدداً إلى. ويقول جرير: إنما بعثني أميراً عليك. فلما قدم سعد على أمر العراق انقطع نزاعهما. قال ابن إسحاق. وتوفي المثنى بن حارثة في هذه السنة: كذا قال ابن إسحاق. والصحيح أن بعث عمر سعداً إنما كان في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي.

### ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم

كان شيرين قد جمع آل كسرى في القصر الأبيض وأمر بقتل ذكرائهم كلهم، وكانت أم يزدجرد فيهم ومعها ابنتها وهو صغير، فواعدت أخواله فجاؤا وأخذوه منها وذهبوا به إلى بلادهم، فلما وقع ما وقع يوم البويب وقتل من قتل منهم كما ذكرنا، وركب المسلمون أكتافهم وانتصروا عليهم وعلى أخذ بلادهم، ومحالهم وأقاليمهم. ثم سمعوا بقدوم سعد بن أبي وقاص من جهة عمر، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرين الكبيرين فيهم وهما رستم والفيرزان فتذا مروا فيما بينهم وتواصوا وقالوا له لئن لم تقوما بالحرب كما ينبغي لنقتلكما ونشتفي بكما. ثم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل بقعة، فمن كان لها ولد من آل كسرى ملكوه عليهم. فعملوا إذا أتوا بالمرأة عاقبوها هل لها ولد وهي تنكر ذلك خوفاً على ولدها إن كان لها ولد، فلم يزالوا حتى دلوا على أم يزدجرد، فأحضروها وأحضروا ولدها فملكوه عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وهو من ولد شهر يار بن كسرى وعزلوا بوران واستوثقت الممالك له، واجتمعوا عليه وفرحوا به، وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام، واستفحل أمره فيهم وقويت شكوتهم به، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابه وتفضوا عهدهم وذمهم، وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم

بببب

وليكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لا يخفى أمرها على جيرانهم . وتناقم الحال جدا ، وذلك في ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة ، وقد حج بالناس عمر في هذه السنة وقيل بل حج بهم عبد الرحمن بن عوف ولم يحج عمر هذه السنة والله أعلم .

### ما وقع سنة ثلاث عشر من الحوادث

كانت فيها وقائع تقدم تفصيلها ببلاد العراق على يدي خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فتحت فيها الحيرة والأنبار وغيرهما من الأمصار ، وفيها سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على المشهور . وفيها كانت وقعة اليرموك في قول سيف بن عمر واختيار ابن جرير ، وقتل بها من قتل من الأعيان ممن يطول ذكركم وتراجهم رضى الله عنهم أجمعين . وفيها توفى أبو بكر الصديق . وقد أفردنا سيرته في مجلد والله الحمد . وفيها ولي عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها فولى قضاء المدينة على بن أبي طالب رضى الله عنه واستناب على الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وعزل عنها خالد بن الوليد الخزومي ، وأبقاه على شوري الحرب . وفيها فتحت بصرى صامحاً وهي أول مدينة فتحت من الشام ، وفيها فتحت دمشق في قول سيف وغيره كما قلنا واستناب فيها يزيد بن أبي سفيان فهو أول من وليها من أمراء المسلمين رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة فحل من أرض الغور وقتل بها جماعة من الصحابة وغيرهم . وفيها كانت وقعة جسر أبي عبيد قتل فيها أربعة آلاف من المسلمين منهم أميرهم أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، وهو والد صفية امرأة عبد الله بن عمر وكانت امرأة صالحة رحمهما الله . ووالد المختار بن أبي عبيد كذاب ثقيف وقد كان نائباً على العراق في بعض وقعات العراق كما سيأتي . وفيها توفى المثني بن حارثة في قول ابن إسحاق ، وقد كان نائباً على العراق استخلفه خالد بن الوليد حين سار إلى الشام ، وقد شهد مواقف مشهورة وله أيام مذكورة ولا سيما يوم البويت بعد جسر أبي عبيد قتل فيه من الفرس وغرق بالفراة قريب من مائة ألف ، الذي عليه الجمهور أنه بقى إلى سنة أربع عشرة كما سيأتي بيانه . وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب ، قول بعضهم وقيل بل حج عبد الرحمن بن عوف . وفيها استنفر عمر قبائل العرب لغزو العراق الشام فأقبلوا من كل النواحي فرمى بهم الشام والعراق . وفيها كانت وقعة أجنادين في قول ابن سحر يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى منها . وكذا عند الواقدى فيما بين الرملة وبين جسر بين على الروم القيقلان وأمير المسلمين عمرو بن العاص ، وهو في عشرين ألفاً في قول قاتل القيقلان انهزمت الروم وقتل منهم خلق كثير . واستشهد من المسلمين أيضاً جماعة منهم هشام بن العاص



والفضل بن العباس ، وأبان بن سعيد وأخوه خالد وعمرو ، ونعيم بن عبد الله بن النحام ، والطفيل بن عمرو وعبد الله بن عمرو والدوسيان ، وضرار بن الأزور ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمه سلمة بن هشام ، وهبار بن سفيان ، وصخر بن نصر ، وتميم وسعيد ابنا الحارث بن قيس رضى الله عنهم .  
وقال محمد بن سعد قتل يومئذ طليب بن عمرو وأمه أروى بنت عبد المطلب عمه رسول الله (ص) .  
ومن قتل يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة فيما ذكره الواقدي قال : ولم يكن له رواية وكان ممن صبر يوم حنين . قال ابن جرير وقتل يومئذ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة والحارث بن أوس بن عتيك رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة مرج الصفر في قول خليفة بن خياط وذلك لثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى وأمير الناس خالد بن سعيد بن العاص قتل يومئذ وقيل إنما قتل أخوه عمرو وقيل ابنه فأنه أعلم ،

قال ابن إسحاق : وكان أمير الروم قلقط فقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى جرت طاحون هناك من دماهم . والصحيح أن وقعة مرج الصفر في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي .

### ذكر المتوفين في هذه السنة مرتبين على الحروف

#### كما ذكرهم الحافظ الذهبي

أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو الوليد المكي صحابي جليل . وهو الذي أجاز عثمان ابن عفان يوم الحديبية حتى دخل مكة لأداء رسالة رسول الله (ص) . أسلم بعد مرجع أخويه من الحبشة . خالد ، وعمرو ، فدعواهم إلى الاسلام فأجابهما . وساروا فوجدوا رسول الله (ص) قد فتح خيبر . وقد استعمله رسول الله (ص) سنة تسع على البحرين وقتل بأجنادين \* أنسة مولى رسول الله (ص) المشهور أنه قتل ببدر فيما ذكره البخاري وغيره ، وزعم الواقدي فيما نقله عن أهل العلم أنه شهد أحداً وأنه بقي بعد ذلك زماناً . قال : وحدثني ابن أبي الزناد عن محمد بن يوسف أن أنسة مات في خلافة أبي بكر الصديق ، وكان يكنى أبا مسروح . وقال الزهري كان يأذن للناس على النبي (ص) \* تميم بن الحارث بن تيس السهمي وأخوه قيس صحابي جليلان هاجرا إلى الحبشة وقتلا بأجنادين \* الحارث بن أوس بن عتيك من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين \* خالد بن سعيد بن العاص الأموي ، من السابقين الأولين ، ممن هاجر إلى الحبشة وأقام بها بضع عشرة سنة ويقال إنه كان على صنعاء من جهة رسول الله (ص) . وأمره الصديق على بعض الفتوحات كما تقدم قتل يوم مرج الصفر في قول ، وقيل بل هرب فلم يتمكنه الصديق من دخول المدينة تعزيراً له ، فأقام شهراً في بعض ظواهرها حتى أذن له . ويقال إن الذي قتله أسلم وقال رأيت له حين قتله نورا ساطعاً إلى السماء رضى الله عنه \* سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة . ويقال حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن

طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي سيدهم ، أبو ثابت  
ويقال أبو قيس صحابي جليل كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدرًا في قول عروة وموسى بن عقبة  
والبخاري وابن ما كولا . وروى ابن عساكر من طريق حجاج بن أرطاة عن الحكم عن مقسم  
بن ابن عباس أن راية المهاجرين يوم بدر كانت مع علي وراية الأنصار مع سعد بن عبادة رضي  
الله عنهما .

قلت : والمشهور أن هذا كان يوم الفتح والله أعلم . وقال الواقدي : لم يشهدا لأنه نهسته حية  
فشغلته عنها بعد أن تجهز لها ، فضرب له رسول الله (س) بسهمه وأجره ، وشهد أحداً وما بعدها .  
وكذا قال خليفة بن خياط . وكانت له جفنة تدور مع النبي (س) حيث دار من بيوت نسائه بلحم  
وثريد ، أو لبن وخبز ، أو خبز بسمن أو بخل وزيت ، وكان ينادى عند أظمة كل ليلة لمن أراد القرى .  
وكان يحسن الكتابة بالعربي ، والرمي والسباحة ، وكان يسمى من أحسن ذلك كاملاً . وقد ذكر  
أبو عمر بن عبد البر ما ذكره شير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصديق حتى خرج  
إلى الشام فمات بقرية من حوران سنة ثلاث عشرة في خلافة الصديق . قال ابن اسحاق والمدائني  
وخليفة . قال : وقيل في أول خلافة عمر . وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة . وقال  
الفلاس وابن بكر سنة ست عشرة

قلت : أما بيعة الصديق فقد روينا في مسند الامام أحمد أنه سلم للصديق ما قاله من إن الخلفاء  
من قريش . وأما موته بأرض الشام فمحقق والمشهور أنه بحوران . قال محمد بن عائذ الدمشقي عن  
عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : أول مدينة فتحت من الشام بصرى ، وبها توفي سعد  
ابن عبادة . وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقرية من غوطة دمشق ، يقال لها « المنيحة » وبها  
قبر مشهور به . ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرض لذكر هذا القبر في ترجمته بالكلية فأنه أعلم . قال  
ابن عبد البر : ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله ، وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا  
قائلاً يقول :

قتلنا سيد الخزر رج سعد بن عبادة \* رميناهُ بسهم فلم يخطئ فؤاده

قال ابن جريج : سمعت عطاء (يقول) سمعت أن الجن قالوا في سعد بن عبادة هذين البيتين . له  
عن النبي (س) أحاديث ، وكان رضي الله عنه من أشد الناس غيرة ، ما تزوج امرأة إلا بكراً ، ولا  
طلق امرأة فتجاسر أحد أن يخطبها بعده . وقد روى أنه لما خرج من المدينة قسم الله بين بنيه ،  
فلما توفى ولد له ولد فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنة قيس بن سعد فأمراد أن يدخل هذا معهم ، فقال إني  
لا أغير ما صنع سعد ولكن نصيب لهذا الولد \* سلمة بن هشام بن المنيرة ، أخو أبي جهل بن هشام ،

أسلم سلمة قديماً وهاجر إلى الحبشة فلما رجع منها حبسه أخوه وأجاعه فكان رسول الله (ص) يدثونه في القنوت ولجاعة معه من المستضعفين . ثم أنسل فلحق برسول الله (ص) بالمدينة بعد الخندق ، وكان معه بها ، وقد شهد أجنادين وقتل بها رضى الله عنه \* ضرار بن الأزور الأسدي ، كان من الفرسان المشهورين ، والأبطال المذكورين ، له مواقف مشهودة ، وأحوال مجودة . ذكر عروة وموسى بن عتبة أنه قتل بأجنادين . له حديث في استحباب إبقاء شئ من اللبن في الضرع عند الحلب \* طليب ابن عمير بن وهب بن كثير بن هند بن قصي القرشي العبدي ، أمه أروى بنت عبد المطلب عمه النبي (ص) . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد بدرًا . قاله ابن إسحاق والواقدي والزبير بن بكار . ويقال إنه أول من ضرب مشركاً ، وذلك أن أباه جهل سب النبي (ص) ، فضره طليب بلحى جمل فشججه . استشهد طليب بأجنادين وقد شاخ رضى الله عنه \* عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ابن عم النبي (ص) ، كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين ، قتل يوم أجنادين بعد ما قتل عشرة من الروم مبارزة كلهم بطارقة أبطال . وله من العمر يومئذ بضع وثلاثون سنة \* عبد الله بن عمرو الدوسي قتل بأجنادين . وليس هذا الرجل معروفًا \* عثمان بن طلحة العبدي الحنفي . قيل إنه قتل بأجنادين ، والصحيح أنه تأخر إلى ما بعد الأربعين \* عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن أمير مكة نيابة عن رسول الله (ص) . استعمله عليها عام الفتح ، وله من العمر عشرون سنة ، فخرج بالناس عامئذ ، واستنابه عليها أبو بكر بعده عليه السلام . وكانت وفاته بمكة ، قيل يوم توفى أبو بكر رضى الله عنهما . له حديث واحد رواه أهل السنن الأربعة \* عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المعيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عثمان القرشي المخزومي ، كان من سادات الجاهلية كأبيه ، ثم أسلم عام الفتح بعد ما فر ، ثم رجع إلى الحق . واستعمله الصديق ، على عمان حين ارتدوا فظفر بهم كما تقدم . ثم قدم الشام وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال : إنه لا يعرف له ذنب بعد ما أسلم . وكان يقبل المسحف ويبكى ويقول . كلام ربي كلام ربي . احتج بهذا الامام أحمد على جواز تقبيل المسحف ومشروعيته . وقال الشافعي : كان عكرمة محمود البلاء في الاسلام . قال عروة : تمل بأجنادين . وقال غيره : باليرموك بعد ما وجد به بضع وسبعون ما بين ضربة وطعنة رضى الله عنه \* الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، قيل إنه توفى في هذه السنة ، والصحيح أنه تأخر إلى سنة ثمانى عشرة \* نعم بن عبد الله بن النحام أحد بني عدى ، أسلم قديماً قبل عمر ولم يتهيأ له هجرة إلى ما بعد الحديبية ، وذلك لأنه كان فيه بر بأقاربه ، فقالت له قریش : أقم عندنا على أى دين شئت ، فوالله لا يتعرضك أحد إلا ذهبت أنفسنا دونك . استشهد يوم أجنادين وقيل يوم اليرموك رضى الله عنه \* هبار بن الأسود بن أسد أبو الأسود القرشي الأسدي ،

هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت النبي (ص)، يوم خرجت من مكة حتى أسقطت، ثم أسلم بعد بحسن إسلامه، وقتل بأجنادين رضی الله عنه \* هبار بن سفيان بن عبد الأسود المخزومي ابن أخي أم سلمة. أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة واستشهد يوم أجنادين على الصحيح، وقيل قتل يوم مؤتة والله أعلم \* هشام بن العاص بن وائل السهمي أخو عمرو بن العاص. روى الترمذي أن رسول الله (ص) قال «ابنا العاص مؤمنان» وقد أسلم هشام قبل عمرو، وهاجر إلى الحبشة، فلما رجع منها احتبس بمكة. ثم هاجر بعد الخندق، وقد أرسله الصديق إلى ملك الروم. وكان من الفرسان. وقتل بأجنادين، وقيل باليرموك، والاول أصح والله أعلم \* أبو بكر الصديق رضی الله عنه تقدم وله ترجمة مفردة والله الحمد.

### سنة اربع عشرة من الهجرة

استهلّت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر، وانتظام شمل الفرس، واجتماع أمرهم على يزيد جرد الذي أقاموه من بيت الملك، ونقض أهل الذمة بالعراق عهودهم، ونبذهم الموائيق التي كانت عليهم، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم. وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد. قال ابن جرير رحمه الله. وركب عمر رضی الله عنه في أول يوم من الحرم هذه السنة في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صرار، فمسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة على بن أبي طالب، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة. ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه، ونودي أن الصلاة جامعة، وقد أرسل إلى علي فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكاهم وافقوه على الذهاب إلى العراق، إلا عبد الرحمن بن عوف فانه قال له: إني أخشى إن كسرت أن تضعف المسلمون في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة. فارثاً<sup>(١)</sup> عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأى ابن عوف. فقال عمر فمن ترى أن نبعث إلى العراق؟ فقال: فد وجدته. قال ومن هو؟ قال الأسد في برائه سعد بن مالك الزهري. فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد فأمره على العراق وأوصاه فقال: يا سعد بن وهيب لا يفرنك من الله أن قيل خلل رسول الله (ص)، وصاحبه، فان الله لا يحو السيء بالسيء، ولكن يحو السيء بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت

(١) كذا في الحلبية (بالتاء) وفي المصرية هكذا: فارثاً. راعلها فارثاً بمعنى جنح كما يفهم من النهاية والقاموس.

رسول الله (ص)، منذ بعث إلى أن فارقتنا عليه فالزمه ، فانه الأمر . هذه عظمى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين . ولما أراد فراقه قال له : إنك ستقدم على أمر شديد ، فالصبر الصبر على ما أصابك ونابك ، تجمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين ، في طاعته واجتناب معصيته ، وإتباع طاعة من أطاعه يبعث الدنيا وحب الآخرة ، وإتباع عصيان من عصاه يوجب الدنيا وبعث الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إن شاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحببة الناس ، ومن محبة الناس فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حبه ، وإذا أبغض عبداً بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس . قالوا : فسار سعد بحر العراق في أربعة آلاف ثلاثة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس ، وقيل في ستة آلاف . وشيعهم عمر من صرار إلى الأعوص وقام عمر في الناس خطيباً هنالك فقال : إن الله إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول لتحبي القلوب فإن القلوب مينة في صدورها حتى يحبيها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، فإن للعدل أمارات وتباشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهيمن واللين . وأما التباشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأموال . والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف ، فإن لم يكفه الكفاف لم يفنه شيء . إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أزمى دفع الدعاء عنه فانهاوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع قالى من يبلغناها نأخذ له الحق غير منقطع . ثم سار سعد إلى العراق ، ورجع عمر بمن معه من المسلمين إلى المدينة . ولما انتهى سعد إلى نهر زرود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالثنى بن حارثة إلا اليسير ، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه ، انتفض جرح المثني بن حارثة انذى كان جرحه يوم الجسرفات رحمه الله ورضى الله عنه ، واستخلف على الجيش بشير بن الخصاصية . ولما بلغ سعداً موته ترحم عليه وتزوج زوجته سلمى . ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره وأمه عمر بأمداد آخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً ، وقيل ستة وثلاثون . وقال عمر : والله لأردين ملوك العجم بملوك العرب . وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة عريفاً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية ، ففعل ذلك سعد ، عرف العرفاء ، وأمر على القبائل ، وولى على الطلائع ، والمقدمات ، والمجنبات والساقات ، والرجالة ، والركبان ، كما أمر أمير المؤمنين عمر .

قال سيف باسناده عن مشايخه قالوا : وجعل عمر على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي  
 ذا النون ، وجعل إليه الافباض وقسمة النى ، وجعل داعية الناس وقصتهم سلمان الفارسي . وجعل  
 الكاتب زياد بن أبي سفيان . قالوا وكان في هذا الجيش كله من الصحابة ثلثمائة وبضعة عشر صحابياً ،  
 منهم بضعة وسبعون بدرياً ، وكان فيه سبعمائة من أبناء الصحابة رضى الله عنهم . وبعث عمر كتابه إلى  
 سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وأن يكون بين الحجر والمدن ،  
 وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس ، وأن يبذروهم بالضرب والشدة ، ولا يهولنك كثرة عددهم  
 وعددهم ، فانهم قوم خدعة مكرة ، وإن أنتم صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ،  
 ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم . وإن كانت الأخرى فارجموا إلى  
 ما وراءكم حتى تصوا إلى الحجر فانكم عليه أجراً ، وإنهم عنه أجبن وبه أجمل ، حتى يأتي الله بالفتح  
 عليهم ويرد لكم الكرة . وأمره بحاسبة نفسه وموعظة جيشه ، وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فان النصر  
 يأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، وسلوا الله العافية ، وأكثروا من قول لا حول  
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، واكتب إلى جميع أحوالكم وتفصيلها ، وكيف تنزلون وأن يكون  
 منكم عدوكم ، واجعلنى بكتبك إلى كأتى أنظر إليكم ، واجعلنى من أمركم على الجلية ، وخف الله وارجع  
 ولا تدل بشئ ، واعلم أن الله قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل  
 بكم غيركم . فكتب إليه سعد يصف له كيفية تلك المنازل والاراضى بحيث كأنه يشاهدها ، وكتب  
 إليه يخبره بأن الفرس قد جردوا لخر به رستم وأمثاله ، فهم يطلبوننا ونحن نطلبهم ، وأمر الله بعد  
 ماض ، وقضاؤه مسلم ، إلى ما قدر لنا وعلينا ، فذسأل الله خير القضاء وخير القدر فى عافية

وكتب إليه عمر : قد جاءنى كتابك وفهمته ، فاذا لقيت عدوك ومنحك الله أديارهم ، فانه قد ألقى  
 فى روعى أنكم ستهزموهم فلا تشكن فى ذلك ، فاذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم  
 المدائن فانه خرابها إن شاء الله . وجعل عمر يدعو سعد خاصة وله وللمسلمين عامة .

ولما بلغ سعد العذيب اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيرزاد بن ارادويه ، فغنموا مما معه  
 شيئاً كثيراً ووقع منهم موقعاً كبيراً . فحسبها سعد وقسم أربعة أخماسها فى الناس واستبشر  
 الناس بذلك وفرحوا ، وتفاءلوا ، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحرثيم ، على هذه  
 السرية غالب بن عبد الله الليثي .

## غزوة الفارسية

ثم سار سعد قنزل القادسية ، وبعث سراياد ، وأقام بها شهراً لم ير أحداً من الفرس ، فكتب إلى  
 عمر بذلك ، والسرايا تأتي بالميرة من كل مكان . ففجعت رعايا الفرس من أطراف بلادهم إلى يزدجرد

من الذين يلقون من المسلمين من النهب والسبي . وقالوا : إن لم تنجدونا والا أعطينا ما بأيدينا وسلمنا إليهم الحصون . واجتمع رأى الفرس على إرسال رستم إليهم ، فبعث إليه يزدجرد فأمره على الجيش فاستغفى رستم من ذلك ، وقال : إن هذا ليس برأى فى الحرب ، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيراً مرة واحدة . فأبى الملك إلا ذلك ، فتجهز رستم للخروج . ثم بعث سعد كاشفاً إلى الحيرة وإلى صلوبا فأناه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاد الأرمنى ، وأمدته بالعساكر . فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر : لا يكره بك ما يأتىك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه ، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفليحاً عليهم ، وإكتب إلى فى كل يوم . ولما اقترب رستم بجيوشه وعسكر بساباط كتب سعد إلى عمر يقول : إن رستم قد عسكر بساباط وجر الخيول والفيول وزحف علينا بها ، وليس شئ أهم عندى ، ولا أكثر ذكراً منى لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل . وعبا رستم فجعل على المقدمة وهى أربعون ألفاً الجالنوس ، وعلى الميمنة الهرمزان ، وعلى الميسرة مهران بن بهرام وذلك ستون ألفاً ، وعلى الساقة البندران فى عشرين ألفاً ، فالجيش كله ثمانون ألفاً فيما ذكره سيف وغيره . وفى رواية : كان رستم فى مائة ألف وعشرين ألفاً ، يتبعها ثمانون ألفاً ، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض كان لسابور ، فهو أعظمها وأقدمها ، وكانت القبيلة تألفه . ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم النعمان بن مقرن ، وفرات بن حبان ، وحنظلة بن الربيع التميمى ، وعطاردين حاجب ، والاشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعمر بن معدى كرب ، يدعون رستم إلى الله عز وجل . فقال لهم رستم : ما أقدمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعود الله إيانا ، أخذ بلادكم وسبى نساءكم وأبنائكم وأخذ أموالكم ، فنحن على يقين من ذلك ، وقد رأى رستم فى منامه كان ملكاً نزل من السماء فنحتم على سلاح الفرس كله ودفعه إلى رسول الله (ص) فدفعه رسول الله (ص) إلى عمر . وذكروا سيف بن عمر أن رستم طاول سعداً فى اللقاء حتى كان بين خروجه من المدائن وملكاه سعداً بالقادسية أربعة أشهر كل ذلك لعله يضجر سعداً ومن معه ليرجعوا ، ولولا أن الملك استعجله ما التقاه ، لما يعلم من غلبة المسلمين لهم ونصرهم عليهم ، لما رأى فى منامه ، ولما يتوسمه ، ولما سمع منهم ، ولما عنده من علم النجوم الذى يعتقد صحته فى نفسه لما له من الممارسة لهذا الفن . ولما دنا جيش رستم من سعد أحب سعد أن يطلع على أخبارهم على الجلية ، فبعث رجلاً سرية لتأتيه برجل من الفرس وكان فى السرية طليحة الاسدى الذى كان ادعى النبوة ثم تاب . وتقدم الحارث مع أصحابه حتى رجعوا . فلما بعث سعد السرية اخترق طليحة الجيوش والصفوف ، وتخطى الألو ، وقتل جماعة من الأبطال حتى أسر أحدهم وجاء به لا يملك من نفسه شيئاً ، فسأله

سعد عن القوم فجعل يصف شجاعة طليحة ، فقال دعنا من هذا وأخبرنا عن رسم ، فقال : هو في مائة ألف وعشرين ألفاً ، ويتبعها مثلها . وأسلم الرجل من فوره رحمه الله .

قال سيف عن شيوخه : ولما توجه الجيشان بعث رسم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه . فبعث إليه المغيرة بن شعبه رضى الله عنه . فلما قدم عليه جعل رسم يقول له : إنكم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونكف الأذى عنكم ، فارجعوا إلى بلادكم ولا تمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا . فقال له المغيرة : إنا ليس طلبنا الدنيا ، وإنما همنا وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولا قال له : إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني فأنا منتقم بهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به إلا عز . فقال له رسم : فما هو ؟ فقال أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والاقرار بما جاء من عند الله ، فقال ما أحسن هذا ؟ وأي شيء أيضاً ؟ قال وأخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله . قال : وحسن أيضاً وأي شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم ، فهم أخوة لأب وأم ، قال وحسن أيضاً . ثم قال رسم : رأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا ؟ قال : إى والله ثم لا تقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة . قال : وحسن أيضاً . قال : ولما خرج المغيرة من عنده ذا كر رسم رؤساء قومه في الاسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه قبهم الله وأخزاهم وقد فصل .

قالوا : ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه وهو ربيع بن عامر ، فدخل عليه وقد زينوا جلسته بالتمارق المنهبة والزرايب الحريز ، وأظهر اليواقيت واللاكي الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة . وقد جلس على سرير من ذهب . ودخل ربيع بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس به على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتوني فان تركتموني هكذا وإلا رجعت . فقال رسم : إئذنوا له ، فأقبل يتوكأ على راحته فوق التمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفى إلى موعود الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى . فقال رسم : قد سمعت مقاتلكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال نعم ! كم أحب إليكم ؟ يوماً أو يومين ؟ قال : لا ، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال :



ماسن لنا رسول الله .س. أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ قال ! لا : ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أديانهم على أعلاهم . فاجتمع رسم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكاب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة . إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، ويصونون الأحساب . ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلاً فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ما قال ربه . وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة فتكلم بكلام حسن طويل . قال فيه رسم للمغيرة : إنما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل . فقال من يوصلني إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول من يخاصني وله أربعة دراهم ؟ ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جحرًا في كرم فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمه فتركه ، فلما سخن أفسد شيئاً كثيراً فجاء بجيشه ، واستعان عليه بفلمانه فذهب ليخرج فلم يستطع لسمنه فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا . ثم استشاط غضباً وأقسم بالشمس لأقتلكم غداً ] . فقال المغيرة : ستعلم . ثم قال رسم للمغيرة : قد أمرت لكم بكسوة . ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا . فقال المغيرة : أبعد أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم ، ولنأمدد نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم ؟ ! فلما قال ذلك استشاط غضباً . [ (١)

وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي ثنا أمية بن خالد ثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن . قال قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال لا أدري لعلنا لانزید علی سبعة آلاف أو ثمانية آلاف بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً ونحو ذلك ، فقالوا لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح ، ماجاء بكم ؟ ارجعوا . قال : قلنا ما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من تبلينا ويقولون دوك دوك وشبهونا بالمغازل . فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلاً من عقلائكم يبين لنا ماجاء بكم . فقال المغيرة بن شعبة ، أنا : فعبر إليهم فقدم مع رسم على السرير فنخروا وصاحوا ، فقال : إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم . فقال رسم : صدق ، ماجاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قوماً في شرو ضلالة ، فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبة تفتت في هذا البلد ، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة . فقال رسم إذا قتلتمكم . قال إن قتلتمونا دخلنا الجنة ، وإن

(١) ما بين التوسير المر بين زيادة عن النصية في النسخة الحلبية .

قتلناكم دخلتم النار وأديتم الجزية . قال : فلما قال وأديتم الجزية نخر وا وصاحوا وقالوا : لاصح بيننا وبينكم . فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟ فقال رستم : بل نعبركم . فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزموهم .

وذكر سيف أن سعداً كان به عرق النسا يومئذ ، وأنه خطب الناس وتلى قوله تعالى : [ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الله أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ] ، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا : لاحول ولا قوة إلا بالله ، في طردهم إياهم ، وقتلهم لهم . وقعودهم لهم كل مرصد ، وحصرهم لبعضهم في بعض الأماكن حتى أكلوا الكلاب والسنانير . ومارد شاردهم حتى وصل إلى نهاوند ، ولجأ أكثرهم إلى المدائن ، ولحقهم المسلمون إلى أبوابها . وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم ، والنعال في أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها . وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعددها . ولما استأذنوا على الملك يزيد جرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ، وكان متكبراً قليل الأدب ، ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها ؟ عن الأردية ، والنعال ، والسياط ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تفاعل فرد الله فآله على رأسه . ثم قال لهم : ما الذي أقدمكم هذه البلاد ؟ أظنتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا ؟ فقال له النعمان بن مقرن : إن الله رحمن فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص ، فكث كذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينهد إلى من غالفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط ، وطائع إياه فازداد . ففرنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا أن نبداً بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الإسلام حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فان أيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء <sup>(١)</sup> فان أيتم فالمناجزة . وإن أجبتكم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقنناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وأن أتيتمونا بالجزية <sup>(١)</sup> قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم . قال فتكلم يزيد جرد فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قري الضواحي ليكفوناكم ، لا تغزوكم فارس ولا تطعمون أن تقوموا لهم . فان كان عددكم كثر فلا يفرنكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا

(١) (١) كذا بالنسختين والمراد « الجزية » اهـ مصححه .

لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . فأسكت القوم  
فقام المغيرة بن شعبة فقال : أيها الملك إن هؤلاء رؤس العرب ووجوههم ، وهم أشرف يستحيون من  
الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، وليس كل ما  
أرسلوا له جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ،  
فجاء بني فاكون أنا الذي أبلغك ويشهدون على ذلك . إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما  
ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس  
والجعلان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فانما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا  
ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغى بعضنا على بعض ،  
وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت  
لك [ وفي المعاد على ما ذكرت لك ] فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ،  
فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته خير بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو نفسه كان  
خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد . أول ترب كان له  
الخليفة من بعده ، فقال وقتلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلا كان ، فتذف الله  
في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين . فما قال لنا فهو قول الله ، وما  
أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : أنا الله وحدي لا شريك لي كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء  
هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء وإلى يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدرتكم فبعثت إليكم هذا  
الرجل لأدلكم على السبيل التي أنجيكم بها بعد الموت من عذابي ، ولأحلكم داري دار السلام . فنشهد  
عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي  
فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم  
أدخلته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه . فاختر إن شئت الجزية وأنت صاغر ،  
وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك . فقال يزدجرد : استقبلتني بمثل هذا ؟ فقال ما استقبلت  
إلا من كلني ، ولو كلني غيرك لم أستقبلك به . فقال : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء  
لكم عندي . وقال إئتوني بقر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات  
المدائن . إرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنني مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكل  
به وبكم من بعد ، ثم أوردته بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور . ثم قال : من  
أشرفكم ؟ فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو وافات ليأخذ التراب أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء  
فحملني ، فقال : أ كذلك ؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه فخرج به من الأيوان والدار حتى أتى راحلته

فعله غلبوا ثم انجذب في السير ليأتوا به سهماً وسببهم عاصم فمر بباب قديس فطواه وقال بشروا الأير بالظفر ، فظننا إن شاء الله تعالى ، ثم مضى حتى جعل التراب في الحاجر ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر . فقال : ابشروا قد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم ، وتغافلوا بذلك أخذ بلادهم . ثم لم يزل أمر الصحابة يزيد في كل يوم علواً وشرفاً ورفعة ، وينحط أمر الفرس سفلاً وذلاً ووهناً . ولما رجع رستم إلى الملك يسأله عن حل من رأى من المسلمين ؛ فدكر له عقلهم وفصاحتهم ووحدة جوابهم ، وأنهم يروهون أمراً يشك أن يدركوه . وذكر ما أمر به أشرفهم من حمل التراب وأنه استحق أشرفهم في حمله التراب على رأسه ، ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أشعر . فقال له رستم : إنه ليس أحق ، وليس هو بأشرفهم ، إنما أراد أن يفترى قومه بنفسه ولكن والله ذهبوا بفاتيح أرضنا وكان رستم منجماً ، ثم أرسل رجلاً وراءهم وقال : إن أدرك التراب فرده تداركنا أمرنا ، وإن ذهبوا به إلى أميرهم غلبونا على أرضنا . قال : فساق وراءهم فلم يدركهم بل سبقوه إلى سعد بالتراب . وساء ذلك فارس وغضبوا من ذلك أشد الغضب واستهجنوا رأى الملك .

### قصة القادسية

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها ، وذلك أنه لما توجه الصفان كان سعد رضى الله عنه قد أصابه عرق النسا ، ودما مل في جسده ، فهو لا يستطيع الركوب ، وإنما هو في قصر متكئ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويدبر أمره ، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن عرفطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبدالله البجلي ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح ، وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد قدما على سعد مدداً من عند أبي عبيدة من الشام بعد ما شهدا وقعة اليرموك . وزعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستم كان في سستن ألفاً ، فصلى سعد بالناس الظهر ثم خطب الناس فودعهم وحثهم وتلا قوله تعالى [ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذك أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ] وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره ، ثم كبر سعد أربعاً ثم حملوا بعد الرابعة فاقتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ، وقد قتل من الفريقين بشر كثير ، ثم أصبحوا إلى مواضعهم فاقتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم ، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواضعهم ، فاقتلوا حتى أمسوا ثم اقاتلوا في اليوم الثالث كذلك وأمست هذه الليلة تسمى ليلة الهرير ، فلما أصبح اليوم الرابع اقاتلوا قتلاً شديداً وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمراً بليغاً ، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها ، وقلعوا عيونها ، وأبلى جماعة من الشجعان في هذه الايام مثل طليحة الأسدي ، وعمرو بن معدى كرب ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبدالله البجلي ، وضرار بن الخطاب ، وخالد بن عرفطة ، وأشكلم وأضرابهم . فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم

ويسمى يوم القادسية ، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة كما قاله سيف بن عمر التميمي ، هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أما كتبها وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له ، فبادر فركب بفلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدم الطلائع القادسية ، وانتهزمت الفرس والله الحمد والمنة عن بكرة أبيهم ، ولحقهم المسلمون في أقطابهم فقتل يومئذ المسلمون بكاملهم وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقتل في المعركة عشرة آلاف ، وقتلوا قبل ذلك قريباً من ذلك . وقتل من المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمائة رحمهم الله . وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة الملك وهي المدائن التي فيها الإيوان الكسروي ، وقد أذن لمن ذكرنا عليه ، فكان منهم إليه ما قدمنا . وقد غنم المسلمون من وقعة القادسية هذه من الأموال والسلاح ما لا يحصى ولا يوصف كثرة ، فحصلت الغنائم بعد صرف الأسلاب وخمست وبعث بالخمسة والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد كان عمر رضي الله عنه يستخبر عن أمر القادسية كل من لقيه من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستنشق الخبر ، فبينما هو ذات يوم من الأيام إذا هو براكب يلوح من بعد ، فاستقبله عمر فاستخبره ، فقال له : فتح الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائم كثيرة وجعل يحدته وهو لا يعرف عمر وعمر ماش تحت راحلته ، فلما اقتربا من المدينة جعل الناس يحميون عمر بالامارة فعرف الرجل عمر فقال : يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنك الخليفة ؟ فقال لا حرج عليك يا أخي .

وقد تقدم أن سعداً رضي الله عنه كان به قروح وعرق النساء ، فمنعه من شهود القتال لكنه جالس في رأس القصر ينظر في مصالح الجيش ، وكان مع ذلك لا يفتلق عليه باب القصر لشجاعته ، ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضاً باليد ، لا يمتنع منهم ، وعنده امرأته سلمى بنت حفص التي كانت قبله عند المثنى بن حارثة ، فلما فر بعض الخيل يومئذ فرغت وقالت : وامثلياه ولا مثنى لي اليوم . فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها ، فقالت - أغيرة وجبنا يعني أنها تعيره بمجلوسه في القصر يوم الحرب - وهذا عناد منها فانها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع من ذلك ، وكان عنده في القصر رجل مسجون على الشراب كان قد حد فيه مرات متعددة ، يقال سبع مرات ، فأمر به سعد فقيد وأودع في القصر فلما رأى الخيول تجول حول حصى القصر وكان من الشجعان الأبطال قال :

كفى حزنًا أن تدحم الخيل بالفتى \* وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا .

إذا قت غنائي الحديد وغلقت \* مصاريع من دوني تصم المناديا

وقد كنت ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ \* وقد تركوني مفرداً لا أخاليا

ثم سأل من زبراء أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد ، وحلف لها أنه يرجع آخر النهار فيصع

رجله في القيد فأطلقته ، وركب فرس سعد وخرج مقاتل قتالاً شديداً ، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها ويشبهه بأبي محجن ولكن يشك لظنه أنه في القصر موثق ، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله في قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال : ما هذا ؟ فذكروا له قصة أبي محجن فرضى عنه وأطلقه رضي الله عنهما .

وقد قال رجل من المسلمين في سعد رضي الله عنه :

نقاتل حتى أنزل الله نصره \* وسعدُ يبابِ القادسيةِ معصم

فأبنا وقد آمت نساءٌ كثيرةٌ \* ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنَّ أئيمٌ

فيقال إن سعداً نزل إلى الناس فاعتذر إليهم مما فيه من القروح في فخذه وإبتيه ، فعذره الناس . ويذكر أنه دعا على قائل هذين البيتين وقال : اللهم إن كان كاذباً ، أو قال الذي قال رياء وسمعة وكذباً فاقطع لسانه ويده . فجاءه سهم وهو واقف بين الصفيين ، فوقع في لسانه فبطل شقه فلم يتكلم حتى مات رواه سيف عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر فذكره . وقال سيف عن المقدم بن شريح الحارثي عن أبيه قال قال جرير بن عبد الله البجلي :

أنا جريرٌ وكنيتي أبو عمرو \* قد فتحَ اللهُ وسعدُ في القصر

فأشرف سعد من قصره وقال :

وما أرجو بجميلةً غيرَ أبي \* أوْمُلُ أجراها يومَ الحسابِ

وقد هزلتُ خيولهم خيولاً \* وقد وقعَ الفوارسُ في الضرابِ

وقد دلفتُ بعرضهم خيولٌ \* كأنَّ زهاءها إبلُ الجرابِ

فلولا جمعُ قمعاعِ بنِ عمرو \* وحمالٌ للجؤا في الركابِ

ولولا ذاكُ ألفيمٍ رعاعا \* تسيلُ جموعكم مثلَ النبابِ

وقد روى محمد بن إسحق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم البجلي - وكان ممن شهد القادسية - قال : كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفرس مرتداً ، فأخبرهم أن بأس الناس في الجانب الذي فيه بجميلة . قال : وكناربع الناس ، قال : فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً ، وجعلوا يلتقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ، ويرشقوننا بالنشاب ، فلكانه المطر ، وقربوا خيولهم بعضها إلى بعض لتلاينفروا . قال : وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي يمر بنا فيقول : يامعشر المهاجرين ، كونوا أسوداً فانما الفارسي تيس . قال : وكان فيهم أسوار لا تسكاد تسقط له نشابة ، فقلنا له يا أبا ثور نق ذاك الفارس فانه لا تسقط له نشابة ، فوجه إليه الفارس ورماه بنشابة فأصاب ترسه وحمل عليه عمرو فاعنته فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ، ومنطقة من ذهب ، ويلقا من ديباج . قال : وكان المسلمون

سنة آلاف أو سبعة آلاف ، فقتل الله رمتما وكان الذي قتله رجل يقال له هلال بن علقمة التميمي ،  
 رماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وحمل عليه هلال قتله واحتز رأسه وولت الفرس فاتبعهم المسلمون  
 يقتلونهم فأدركوهم في مكان قد نزلوا فيه واطمأنوا ، فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا إذ هجم عليهم  
 المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقتل هنالك الجبالينوس ، قتله زهرة بن حوية التميمي . ثم ساروا  
 خلفهم فكلموا تواجده الفريقان نصر الله حزب الرحمن ، وخذل حزب الشيطان وعبدة النيران ،  
 واحتاز المسلمون من الأموال ما يعجز عن حصره . ميزان وقبان ، حتى أت منهم من يقول من  
 يقايض بيضاء بصفراء لكثرة ماغنموا من الفرسان . ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم  
 وفتحوا المدائن وجلولاء على ما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وقال سيف بن عمر عن سليمان بن بشير عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعي قالت : شهدنا  
 القادسية مع سعد مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس ، شدتنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراوى  
 ثم أتينا القتلى ، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، ومن كان من المشركين أجهزنا عليه ، وومنا  
 الصبيان فنولهم ذلك - تعنى استلابهم - لئلا يكشف عن عورات الرجال .

وقال سيف باسانيده عن شيوخه قالوا : وكتب سعد إلى عمر بنخبرد بالفتح وبعده من قتلوا  
 من المشركين . وبعده من قتل من المسلمين ، بعث بالكتاب مع سعد بن عميلة الفزارى وصورته  
 « أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحناهم سنين من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال  
 طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل زهاتها ، فلم ينفعهم الله بذلك ،  
 بل سلبوه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتبعهم المسلمون على الأنهار ، وصفوف الآجام ، وفي الفجاج .  
 وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله ،  
 فانه بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كدوى النحل ، وهم آساد في النهار لا تشبههم  
 الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم »

فيقال إن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضى الله عنهم . ثم قال عمر للناس : إني  
 حريص على أن لا أرى حاجة إلا سدتها ، ما اتسع بهضنا لبعض ، فاذا عجز ذلك عنا تأسينا في  
 عيشنا حتى نستوى في الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ، ولست  
 معلمكم إلا بالعمل ، إني والله لست بملك فأستعبدكم ، ولكنى عبد الله عرض على الأمانة فان أيتها  
 ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبوا في بيوتكم وترووا سعدت بكم ، وإن أنا حملتها واستتبعتك  
 إلى بيتى شقيت بكم ، ففرحت قليلا وحزنت طويلا ، فبقيت لا أقال ولا أرد فأستعيب .

وقال سيف عن شيوخه قالوا : وكانت العرب من العذيب إلى عدن أبين ، يتر بصون وقعة

القادسية هذه ، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها ، وقد بعث أهل كل بلدة قاصداً يكشف ما يكون من خبرهم ، فلما كان ما كان من الفتح سبقت الجن بالبشارة إلى أقصى البلاد قبل رسل الأنس فسمعت امرأة ليلاً بصنعاء على رأس جبل وهي تقول :

فحييتَ عنا عكرمَ ابنةَ خالدٍ \* وما خيرُ زادٍ بالقليلِ المصردِ  
 وحييتَ عني الشمسَ عندَ طلوعِها \* وحييتَ عني كلَّ تاجٍ مفردِ  
 وحييتَ عني عصبةَ نخعيةٍ \* حسانُ الوجوهِ آمنوا بمحمدِ  
 أفاهوا لكسرى يضربونَ جنودَهُ \* بكلِّ رقيقٍ الشفرتينِ مهندِ  
 إذا توبَّ الداعي أناخوا بكلكلٍ \* من الموتِ مسودَّ الغياطلِ أجردِ  
 قالوا : وسمع أهل البصرة محتاراً يفنى بهذه الأبيات :

وجدنا الأكرمينَ بنى تميمٍ \* غداةَ الروعِ أكثرهمُ رجلاً  
 هموا ساروا بأرضٍ مكفهرٍ \* إلى الجبِ برونهمُ رجلاً  
 بحورٍ للأكسر من رجالٍ \* كأسدِ الغابِ تحسبهمُ جبلاً  
 تركنُ لهمُ بقادسٍ عزَّ نخرٍ \* وبالحيفينِ أياماً طوالاً  
 مقطعةٌ أكَفهمُ وسوقٍ \* بمزْدٍ حيثُ قابلتِ الرجالاً

قالوا : وسمع ذلك في سائر بلاد العرب ، وقد كانت بلاد العراق بكاملها التي فتحها خالد نقضت العهود والذمم والمواثيق التي كانوا أعطوها خالداً ، سوى أهل بانقيا و برسا ، وأهل أليس الآخرة ثم عاد الجميع بعد هذه الواقعة التي أوردناها ، وادعوا أن الفرس أجبروهم على نقض العهود ، وأخذوا منهم الخراج وغير ذلك . فصدقهم في ذلك تألفاً لقلوبهم وسنداً لكرههم أهل السواد في كتابنا الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقد ذهب ابن إسحاق وغيره إلى أن وقعة القادسية كانت في سنة خمس عشرة . وزعم الواقدي أنها كانت في سنة ست عشرة . وأما سيف بن عمر وجماعة فدكروها في سنة أربع عشرة ، وفيها ذكرها ابن جرير فأنه أعلم .

قال ابن جرير والواقدي : في سنة أربع عشرة جمع عمر بن الخطاب الناس على أبي بن كعب في التراويح وذلك في شهر رمضان منها ، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع في قيام شهر رمضان قال ابن جرير وفيها بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره أن ينزل فيها بمن معه من المسلمين ، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني ، وروايته . قال : وزعم سيف أن البصرة إنما مصرت في ربيع من سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت ، وجهه إليها سعد بأمر عمر رضي الله عنهم .



وقال أبو مخنف عن مجالد عن الشعبي رضى الله عنهم : إن عمر بعث عتبة بن غزوان إلى أرض البصرة في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وسار إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمائة ، فنزلها في ربيع الأول سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة ، وجمل يرتاد لم منزلاً حتى جاؤا حيال الجسر الصغير فاذا فيه حلفاء وقصب نابت ، فنزلوا . فركب إليهم صاحب الفرات في أربعة آلاف أسوار ، فالتقاء عتبة بعد ما زالت الشمس ، وأمر الصحابة فحملوا عليهم فقتلوا الفرس عن آخرهم ، وأسروا صاحب الفرات ، وقام عتبة خطيباً فقال في خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الأبناء ، وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا عما بحضرتكم ، فقد ذكر لي لو أن صخرة أقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفاً ولتلاؤه ، أو عجبتهم ؟ ولقد ذكر لي أن ما بين مصر اعين من مصاريح الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق السمر ، حتى تفرحت أشداقنا ، والتقطت بردة فشقتها بيني وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مصر من الأمصار ، وسيجربون الناس بعدنا . وهذا الحديث في صحيح مسلم بنحو من هذا السياق .

وروى علي بن محمد المدائني أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة : يا عتبة إني استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي بمك بمرجة بن هرثة . فاذا قدم عليك فاستشره وقربه ، وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة ، وإلا فالسيف في غير هوادة ، واتفق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر فتفسد عليك آخرتك ، وقد صحبت رسول الله ص . فعززت بعد الذلة ، وقويت بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلطاً ، وملكاً مطاعاً ، تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ، فيألفها نعمة إذا لم ترق فوق قدرك ، وتبطر على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وهي أخوفها عندي عليك أن يستدرجك ويخدعك فتسقط سقطة فتصير بها إلى جهنم ، أعيذك بالله ونفسي من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتفق مصارع الظالمين .

وقد فتح عتبة الأبله في رجب أو شعبان من هذه السنة . ولما مات عتبة بن غزوان في هذه السنة استعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة سنتين ، فلما رمى بما رمى به عزله وولى عليها أبا موسى الأشعري رضى الله عنهم . وفي هذه السنة ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيد الله في الشراب هو وجماعة معه ، وفيها ضرب أبا محجن الثقفي في الشراب أيضاً سبع مرات ، وضرب معه ربيعة بن أمية بن

خلف ، وفيها نزل سعد بن أبي وقاص الكوفة ، وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب . قال  
وكان بمكة عتاب بن أسيد ، وبالشام أبو عبيدة ، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص وقيل العلاء بن  
الحضرمي ، وعلى العراق سعد ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

### ذكرى من توفي في هذا العام من المشاهير

ففيها توفي سعد بن عباد في قول والصحيح في التي قبلها والله أعلم \* عتبة بن غزوان بن جابر بن  
هيب المازني ، حليف بني عبد شمس صحابي بدرى ، وأسلم قديماً بعد سنة (١) وهاجر إلى أرض الحبشة  
وهو أول من اختط البصرة عن أمر عمر في إمرته له على ذلك كما تقدم ، وله فضائل ومآثر ، وتوفي سنة  
أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشرين فله الله أعلم . وقد  
جاوز الحسين ، وقيل بلغ سنين سنة رضى الله عنه \* عمرو بن أم مكتوم الأعشى ، ويقال اسمه  
عبد الله ، صحابي مهاجري ، هاجر بعد مصعب بن عمير ، قبل النبي (ص) ، فكان يقرئ الناس  
القرآن ، وقد استخلفه رسول الله (ص) على المدينة غير مرة ، فيقال ثلاث عشرة مرة ، وشهد القادسية  
مع سعد زمن عمر فيقال إنه قتل بها شهيداً ويقال إنه رجع إلى المدينة وتوفي بها والله أعلم \* المثني بن  
حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني نائب خالد على العراق ، وهو  
الذي صارت إليه الأمرة بعد أبو عبيد يوم الجسر ، فدأرى بالمسلمين حتى خلصهم من الفرس يومئذ ،  
وكان أحد الفرسان الأبطال ، وهو الذي ركب إلى الصديق فخرضه على غزو العراق ، ولما توفي تزوج  
سعد بن أبي وقاص بامرأته سلمى بنت حفص رضى الله عنهما وأرضاهما . وقد ذكر ابن الأثير في  
كتابه الغيا في أسماء الصحابة \* أبو زيد الأنصاري النجاري أحد القراء الأربعة الذين حفظوا  
القرآن من الأنصار في عهد رسول الله (ص) ، كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك ، وهم معاذ بن  
جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال أنس أحد عمومتى . قال السكابي وأسم أبي  
زيد هذا قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حزم بن جندب بن غنم بن عدي بن النجار شهيد  
بدرأ . قال موسى بن عقبة واستشهد يوم جسر أبي عبيد وهي عنده في سنة أربع عشرة ، وقال بعض  
الناس أبو زيد الذي يجمع القرآن سعد بن عبيد ، وردوا هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك قال :  
افتخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمته  
الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، ومنا الذي اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ ، ومنا الذي  
جعلت شهادته شهادة رجلين خزيمه بن ثابت . فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد  
رسول الله (ص) ، أبي ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ ، وأبو زيد رضى الله عنهم أجمعين \* أبو عبيد بن

(١) كذا في الاصلين ولعله يريد بعد سنة من البعثة لانه من السابقين الأولين .

مسعود بن عمرو الثقفي والد المختار بن أبي عبيد أمير العراق ، ووالد صفية امرأة عبد الله بن عمر .  
 أسلم أبو عبيد في حياة النبي (ص) ، وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر في الصحابة .  
 قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : ولا يبعد أن يكون له رواية والله أعلم .  
 أبو قحافة والد الصديق واسم أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن صخر  
 ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، أسلم أبو قحافة عام الفتح فجاء به الصديق  
 يقوده إلى النبي (ص) ، فقال : هلا أقررتم الشيخ في بيته ، حتى كنا نحن نأتيه « تكريمة لابي بكر رضي  
 الله عنه فقال : بل هو أحق بالسعى إليك يا رسول الله . فأجلسه رسول الله (ص) بين يديه ورأسه  
 كالنغامة بياضاً ودعاه له ، وقال : « غيروا هذا الشيب بشيء وجنبوه السواد » . ولما توفى رسول الله  
 (ص) ، وصارت الخلافة إلى الصديق أخبره المسلمون بذلك وهو بمكة ، فقال : أو أقرت بذلك بنو  
 هاشم وبنو مخزوم ؟ قالوا : نعم ! قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ثم أصيب بابنه الصديق رضي  
 الله عنه . ثم توفى أبو قحافة في محرم وقيل في رجب سنة أربع عشرة بمكة ، عن أربع وسبعين سنة  
 رحمه الله واكرم مثواه .

ومن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي من المستشهدين في هذه السنة مرتبين على الحروف  
 أوس بن أوس بن عتيك قتل يوم الجسر \* بشير بن عنبس بن يزيد الظفري أحدي ، وهو ابن  
 عم قتادة بن النعمان ويعرف بفارس الحواء اسم فرسه \* ثابت بن عتيك ، من بني عمرو بن مبدول ،  
 صحابي قتل يوم الجسر \* ثعلبة بن عمرو بن محسن النجاري بدرى قتل يومئذ \* الحارث بن عتيك  
 ابن النعمان النجاري شهد أحداً قتل يومئذ \* الحارث بن مسعود بن عبدة صحابي أنصاري قتل يومئذ ،  
 الحارث بن عدى بن مالك أنصاري أحدي قتل يومئذ \* خالد بن سعيد بن العاص ، قيل إنه استشهد  
 يوم مرج الصفر ، وكان في سنة أربع عشرة في قول \* خزيمة بن أوس الأشهلي قتل يوم الجسر \*  
 ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أرخ وفاته في هذه السنة ابن قانع \* زيد بن سراقه يوم الجسر \*  
 سعد بن سلامة بن وقش الأشهلي \* سعد بن عبادة في قول \* سلمة بن أسلم بن حريش يوم الجسر \*  
 ضمرة بن غزيرة يوم الجسر \* عباد وعبد الله وعبد الرحمن بنو مريم بن قبيط قتلوا يومئذ \* عبد الله بن  
 صعصعة بن وهب الأنصاري النجاري ، شهد أحداً وما بعدها . قال ابن الأثير في الغابة : وقتل يوم  
 الجسر \* عتبة بن غزوان تقدم \* عقبه وأخوه عبد الله حضرا الجسر مع أبيهما قبيط بن قيس وقتلا  
 يومئذ \* العلاء بن الحضرمي توفى في هذه السنة في قول وقيل بعدها وسيأتي \* عمرو بن أبي اليسر  
 قتل يوم الجسر \* قيس بن السكن أبو زيد الأنصاري رضي الله عنه تقدم \* المثني بن حارثة الشيباني ،  
 توفى في هذه السنة رحمه الله وقد تقدم \* نافع بن غيلان قتل يومئذ \* نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

وكان أسن من عمه العباس ، قيل إنه توفي في هذه السنة والمشهور قبلها كما تقدم \* واقد بن عبد الله قتل يوم ١١ \* يزيد بن قيس بن الخطيم الأنصاري الظفري شهيداً وحيداً وما بعدها ، قتل يوم الجسر ، وقد أصابه يوم أحد جراحات كثيرة وكان أبوه شاعراً مشهوراً \* أبو عبيد بن مسعود الثقفي أمير يوم الجسر وبه عرف لقتله عنده ، نخبه الفيل حتى قتله رضى الله عنه بعد ما قطع بسيفه خرطوميه كما تقدم \* أبو قحافة التيمي والد أبي بكر الصديق ، توفي في هذه السنة رضى الله عنه . هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن أمية الأموية ، والدته معاوية بن أبي سفيان ، وكانت من سيدات نساء قریش ذات رأى ودهاء ورياسة في قومها ، وقد شهدت يوم أحد مع زوجها وكان لها تخریض على قتل المسلمين يومئذ ، ولما قتل حمزة مثلت به وأخذت من كبده فلا كتبها فلم تستطع إساغتها ، لأنه كان قد قتل أباه وأخاه يوم بدر ، ثم بعد ذلك كله أسلمت وحسن إسلامها عام الفتح ، بعد زوجها بليدة . ولما أرادت الذهاب إلى رسول الله (ص) لتبایمه استأذنت أبا سفيان فقال لها : قد كنت بالأمس مكدبة بهذا الأمر ، فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة ، والله لقد باتوا ليلهم كلهم يصلون فيه . فقال لها : إنك قد فمات ما فعلت فلا تذهبي وحدكى . فذهبت إلى عثمان ابن عفان ويقال إلى أخيها أبي حذيفة بن عتبة فذهب معها ، فدخلت وهي متتعبة ، فلما بإيها رسول الله (ص) مع غيرها من النساء قال « على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنین » فقالت : أوترنى الحرة ؟ « ولا تقنلن أولادكن » قالت : قد ربيناهم صغاراً تقنلهم كباراً ؟ ! فتبسم رسول الله (ص) ، « ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك » فبادرت وقالت : فى معروف . فقال فى معروف ، وهذا من فصاحتها وحزمها ، وقد قالت لرسول الله (ص) : والله يا محمد ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلى من أن يذلوا من أهل خبائك ، فقد والله أصبح اليوم وما على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل خبائك . فقال : وكذلك والذي نفسى بيده . وشكت من شح أبي سفيان فأمرها أن تأخذ ما يكفها ويكفى بنيتها بالمعروف ، وقصتها مع الفاكه بن المغيرة مشهورة ، وقد شهدت اليرموك مع زوجها وماتت يوم مات أبو قحافة فى سنة أربع عشرة وهى أم معاوية بن أبى سفيان .

### ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير قال بعضهم فيها مصر سعد بن أبى وقاص الكوفة دلم عليها ابن ببيعة قال لسعد : أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الفلاة ، فدلم على موضع الكوفة اليوم ، قال : وفيها كانت وقعة مرج الروم ، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالد من وقعة فحل قاصدين إلى حمص حسب

(١) بياض بالاصلين . وفى الاصابة انه توفي فى أول خلافة عمر

ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما تقدم في رواية سيف بن عمر ، فسارا حتى نزلا على ذى الكلاع ، فبعث هرقل بطريقاً يقال له توذرا في جيش معه قنزل بمرج دمشق وغربها ، وقد هجم الشتاء فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له شنس وعسكر معه كثيف ، فنازله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن توذرا فسار توذرا نحو دمشق لينارها ، فترعها من يزيد ابن أبي سفيان ، فاتبه خالد بن الوليد وبرر إليه يزيد بن أبي سفيان من دمشق ، فاقتتوا وجاء خالد وهم في المعركة فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يفصل فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم ولم يفلت منهم إلا الشارد ، وقتل خالد توذرا وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقتسموها ورجع يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبي عبيدة فوجده قد واقع شنس بمرج الروم فقاتلهم فيه مقاتلة عظيمة حتى أنتنت الأرض من زهمهم ، وقتل أبو عبيدة شنس وركبوا أكتافهم إلى حمص فنزل عليها يحاصرها .

### وقعة حمص الأولى

لما وصل أبو عبيدة في اتباعه الروم المهزمين إلى حمص ، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصاراً شديداً ، وذلك في زمن البرد الشديد ، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد ، وصبر الصحابة صبراً عظيماً بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله وهي في الخلف ، والصحابة ليس في أرجلهم شيء سوى النعال ، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا أصبع أيضاً ، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار ، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالح والملك منا قريب ؟ فيقال إن الصحابة كبروا في بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تفتطرت منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور ، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضى ، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقير . وبعث أبو عبيدة بالاحماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بجمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء ، منهم بلال والمقداد وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر قارة ويخفى أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده .

### وقعة قنسرين

لما فتح أبو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد إلى قنسرين ، فلما جاءها نار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب ، فقاتلهم خالد فيها قتالاً شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فأما من هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميتاس . وأما الأعراب فاتهم اعتذروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا

قبل مهبهم خالد وكف عنهم ثم خلس إلى البسلة فتجصنوا فيه ، فقال لهم خالد إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا . ولم يزل بهم حتى فتحتها الله عليه والله الحمد .  
 فلما بلغ عمر ما صنعه خالد في هذه الوقمة قال برحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال مني ، والله إنني لم أعزله عن ريبة ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه . وفي هذه السنة تقهر هرقل بمجنوده ، وارتمل عن بلاد الشام إلى بلاد الروم . هكذا ذكره ابن جرير عن محمد بن إسحاق . قال وقال سيف : كان ذلك في سنة ست عشرة ، قالوا : وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول عليك السلام يا سورية ، تسليم مودع لم يقض منك وطراً وهـ عائد . فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرها ، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم ، فقالوا : إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك ، فتركهم . فلما وصل إلى شمشات وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال : عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده إلا أن أسلم عليك تسليم المفارق ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤم ، وباليته لم يولد . ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم ! ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه ، وقد سأل رجلاً ممن اتبعه كان قد أسرم مع المسلمين ، فقال : أخبرني عن هؤلاء القوم ، فقال : أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالنيهار ، رهبان بالليل ، لا يأكلون في ذمتهم إلا بشمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين .

قلت وقد حاصر المسلمون قسطنطينية في زمان بني أمية فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنينه في كتاب الملاحم ، وذلك قبل خروج الدجس بقليل على ما صحت به الأحاديث عن رسول الله ص في صحيح مسلم وغيره من الأئمة والله الحمد والمنة ،  
 وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر ، كما ثبت به الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ص ، « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل » وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت ، وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملك القياصرة إلى الشام أبداً لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم . فهذا لا يعود لهم أبداً .

### وقعة قيسارية

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أمر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية وكتب إليه : أما بعد فقد ولت لك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم ، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير . فسار إليها فحاصرها ، وزاحه أهلها مرات عديدة ، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالا عظيما ، وصم عليهم معاوية ، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً ، وكل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة ، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

قال ابن جرير : وفيها كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ، ومناجزة صاحبها فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت .

### وقعة اجنادين

وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبدالله بن عمرو ، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي ، من بني مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي ، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرتطيون ، وكان أدهى الروم وأبعدها غورا ، وأنكأها فعلا ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً وبإيليا جنداً عظيماً ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر . فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا أرتطيون الروم بأرتطيون العرب ، فانظروا عما تنفرج . وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن بلال العكي على قتال أهل إيليا . وأبا أيوب المالكي إلى الرملة ، وعليها التذارق ، فكانوا بازاءهم ليشفلوم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمرو كلما قدم عليه أما اد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء . وأقام عمرو على اجنادين لاية ر من الأرتطيون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد ، وقال الأرتطيون في نفسه : والله إن هذا لعمر وأو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله . فدعا حرسياً فساره فأمره بفتكه فقال : اذهب فقم في مكان كذا وكذا ، فاذا مر بك فاقتله ، ففطن عمرو . ابن العاص فقال للأرتطيون : أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي ، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لتكون مع هذا الوالي لشهد أموره . وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت . فقال الأرتطيون : نعم ! فاذهب فأتني بهم ، ودعا رجلاً فساره فقال : اذهب إلى فلان فرده . وقام عمرو ، وذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرتطيون أنه عمرو بن العاص ، فقال : خدعني الرجل ، هذا والله أدهى العرب . وبلغت عمر بن الخطاب فقال : لله در عمرو . ثم ناهضه عمرو فاقتلوا بأجنادين قتالا عظيماً ، كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو ابن العاص ، وذلك حين أعياهم صاحب إيليا ونحمن منهم بالبلد ، وكثر جيشه ، فكتب الأرتطيون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد

أجنادين فارجمع ولا تفرّ فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو ورجلا يتكلم بالرومية فبعثه إلى أرتبون وقال : اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتب إليه معه : جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأتك خصامة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد ، واقرأ كتابي هذا محضر من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا للأرتبون : من أن علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال : صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف . فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فكتب عمرو إلى عمر يستمه ويقول له : إني أعالج حرباً كؤوداً صمدوماً ، وبلاداً أدخرت لك ، فأريك . فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر علمه ، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس كما سند كر تفصيله .

قال سيف بن عمر عن شيوخه : وقد دخل عمر الشام أربع مرات ، الأولى كان راكباً فرساً حين فتح بيت المقدس ، والثانية على بعير ، والثالثة وصل إلى سرع ثم رجع لأجل ما وقع بالشام من الوباء . والرابعة دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه .

### فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب

ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر وملخص ما ذكره هو وغيره أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب . فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه . فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم . وأشار على بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوى ما قال على ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيش نحوهم واستخلف على المدينة على بن أبي طالب وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤس الأُمراء ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبو عبيدة فكف عمر . ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله (ص) ليلة الإسراء . ويقال إنه لبي حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل ، ثم جاء إلى الصخرة



فاستدل على مكانها من كعب الأبحار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهودية . ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العمرى اليوم ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف رداثه وقيائه ، ونقل المسلمون معه في ذلك ، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جلسوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود ، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلاجل ذلك سمى ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هناك .

وقد كان هرقل حين جاء الكتاب النبوى وهو بايلياء وعظ انصارى فيما كانوا قد بالغوا في القاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود قال لهم : انكم تخلقون أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا ثم أمروا بازالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب وقد استقصى هذا كله بأسانيد ومثونه الحافظ بهاء الدين بن الجافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه المستقصى في فضائل المسجد الاقصى .

وذكر سيف في سياقه : أن عمر رضى الله عنه ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها على بن أبى طالب ، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها : « أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لا آخرتكم تكفوا أمر دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى ولا بينه وبين الله هوادة ، فمن أراد لخب ( طريق ) وجه الجنة فليزِم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ، ولا يخلون أحدكم بامرأة فان الشيطان فالتبها ، ومن سرته حسنة وساءته سيئته فهو مؤمن » وهي خطبة طويلة اختصرناها . ثم صالح عمر أهل الجابية ورحل إلى بيت المقدس وقد كتب الى أمراء الأجناد أن يوافوه في اليوم القلاني إلى الجابية فتوافقوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية ، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبى سفيان ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج ، فسار إليهم عمر ليحصبهم فاعتفروا إليه بأن عليهم السلاح ، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم . فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعد ما استخلفوا على أعمالهم ، سوى عمرو بن العاص وشرحبيل فانهما موافقان الأرطبون بأجنادين ، فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مسلة ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر : إن هؤلاء قوم يستأمنون . فساروا نحوهم فاذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدمه فأجابهم عمر رضى الله عنه إلى ما سألوا ، وكتب لهم كتاب أمان

ومصالحة ، وضرب عليهم الجزية ، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير ، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وهو كاتب الكتاب وذلك في سنة خمسة عشر . ثم كتب لأهل لد وبن هنالك من الناس كتاباً آخر وضرب عليهم الجزية ، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء ، وفر الأربطون إلى بلاد مصر ، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص ، ثم فر إلى البحر فكان يلي بدض السرايا الذين يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من قيس فقطع يد القيسي وقتله القيسي وقال في ذلك .

فان يكن أربطون الروم أفسدها \* فان فيها بحمد الله منتفعا  
وإن يكن أربطون الروم قطعها \* فقد تركت بها أو صاله قطعاً

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد ، أقبل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حتى قدما الجابية فوجدا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكباً ، فلما اقتربا منه أكبأ على ركبتيه فقبلها واعتنقها عمر معاً رضي الله عنهما \* قال سيف ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحى فرسه فأتود ببرذون فركبه فجعل يهملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده ، ففتحت إيلياء وأرضها على يديه ما خلا أجناديين فعلى يدي عمرو وقيسارية فعلى يدي معاوية . هذا سياق سيف بن عمر وقد خالفه غيرد من أئمة السير فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة .

قال محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصن بن علان قال يزيد بن عبيدة : فتحت بيت المقدس سنة ست عشرة وفيها قدم عمر بن الخطاب الجابية . وقال ابو زرعة الدمشقي عن دحيم عن الوليد بن مسلم قال : ثم عاد في سنة سبع عشرة فرجع من سرع ثم قدم سنة ثمانى عشرة فاجتمع إليه الأسراء وسلموا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال فقسها وجند الأجناد ومصر الأمصار ثم عاد إلى المدينة .

وقال يعقوب بن سفيان : ثم كان فتح الجابية وبيت المقدس سنة ست عشرة . وقال ابو معنر : ثم كان عمواس والجابية في سنة ست عشرة . ثم كانت سرع في سبع عشرة ، ثم كان عام الرمادة في سنة ثمانى عشرة قال : وكان فيها طاعون عمواس - يعنى فتح البلدة المعروفة بعمواس - فأما الطاعون المنسوب إليها فكان في سنة ثمانى عشرة كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى .

قال أبو مخنف : لما قد عمر الشام فرأى غوطة دمشق ونظر إلى المدينة والتصور والبساتين تلا قوله تعالى [ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قومنا آخرين ] ثم أنشد قول النابغة .

هما فتيا دهر يكرّ عليهما • نهاراً وليلاً يلحقان التواليا  
إذا ما هما مرّاً بجحّ بغبطة • أناخا بهم حتى يلاقوا الدواھيا

وهذا يقتضى بادی الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك ، فانه لم ينقل أحد أنه دخلها في شيء من قدماته الثلاث إلى الشام ، أما الأولى وهي هذه فانه سار من الجابية إلى بيت المقدس ، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم وقال الواقدي أما رواية غير أهل الشام فهي أن عمر دخل الشام مرتين ورجع الثالثة من سرع سنة سبع عشرة وهم يقولون دخل في الثالثة دمشق وحصص وأنكر الواقدي ذلك . قلت : ولا يعرف أنه دخل دمشق إلا في الجاهلية قبل إسلامه . كما بسطنا ذلك في سيرته . وقد روينا أن عمر حين دخل بيت المقدس سأل كعب الأخبار عن مكان الصخرة فقال : يا أمير المؤمنين اذرع من وادي جهنم كذا وكذا ذراعاً فهي ثم . فذرعوا فوجدوها وقد اتخذها النصارى مزبلة ، كما فعلت اليهود بمكان القمامة ، وهو المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي شبه بيسى فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح . وقد كذبوا في اعتقادهم هذا كما نص الله تعالى على خطئهم في ذلك . والمقصود أن النصارى لما حكموا على بيت المقدس قبل البعثة بنحو من ثلثمائة سنة ، طهروا مكان القمامة واتخذوه كنيسة هائلة بنتها أم الملك قسطنطين باني المدينة المنسوبة اليه ، واسم أمه هيلانة الحرانية البنداقانية . وأمرت ابنها فبني للنصارى بيت لحم على موضع الميلاد ، وبنت هي على موضع القبر فيما يزعمون . والغرض أنهم اتخذوا مكان قبلة اليهود مزبلة أيضاً ، في مقابلة ما صنعوا في قديم الزمان وحديثه . فلما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة ، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة حتى قيل إنه كنفها بردائه ، ثم استشار كعباً أين يضع المسجد ؟ فأشار عليه بأن يجعله وراء الصخرة ، فضرب في صدره وقال . يا ابن أم كعب ضارعت اليهود : وأمر بينائه في مقدم بيت المقدس .

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مریم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال قال ابن سلمة : فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ قال إن أخنت عنى صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله (س .) ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكفّس الكناسة في رداءه وكفّس الناس . وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج ، وقد تكلمنا على رجاله في كتابنا الذي أفردناه في مسند عمر ، ما رواه من الأحاديث المرفوعة وما روى عنه من الآثار الموقوفة مبوباً على أبواب الفقه والله الحمد والمنة .

وقد روى سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق ،

قال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؟ لا هالله لا ترجع حتى يفتح الله عليك إيلياء .  
وقد روى أحمد بن مروان الدينوري عن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن الهيثم بن غدي عن أسامة  
ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم مولى عمر بن الخطاب أنه قدم دمشق في تجار من قريش ،  
فلما خرجوا تخلف عمر لبص حاجته ، فبينما هو في البلد إذا بيطريق يأخذ بعنقه ، فذهب ينارعه فأبى  
يقدر ، فأدخله دارا فيها تراب وفأس ومجرقة وزنبيل ، وقال له : حول هذا من ههنا إلى ههنا ، وغلق  
عليه الباب وانصرف فلم يجيء إلى نصف النهار . قال : وجلست مفكراً ولم أفعل مما قال لي شيئاً .  
فلما جاء قال : مالك لم تفعل ؟ ولكنني في رأسي بيده قال : فأخذت الفأس فضربت بها فقتلته وخرجت  
على وجهي فجتت ديراً لراهب فجلست عنده من العشي ، فأشرف على فتزل وأدخلني الدير فاطمعتني  
وسقاني ، واتحفني ، وجعل يحقق النظر في ، وسألني عن أمرى قهت : إني أضلت أصحابي . فقال :  
إنك لتنظر بعين خائف ، وجعل يتوسمني ثم قال : لقد علم أهل دين النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ،  
وإني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لي كتاب أمان على دبري هذا ؟  
فقلت : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب . فلم يزل بي حتى كتبت له صحيفة ، ما طلب مني ، فلما كان  
وقت الانصراف أعطاني أناناً فقال لي اركبها ، فاذا وصلت إلى أصحابك فابعث إلي بها واحدها فانها  
لا تمر بدبر إلا أكرموها . ففعلت ما أمرني به ، فلما قدم عمر لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب  
وهو بالجابية بتلك الصحيفة فأضاهها له عمر واشترط عليه ضيافة من يمر به من المساهين ، وأن يرشدهم  
إلى الطريق . رواه ابن عساكر وغيره . وقد ساقه ابن عساكر من طريق أخرى في ترجمة يحيى بن  
عبيد الله بن أسامة القرشي البلقاوي عن زيد بن أسلم عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً عجيباً هذا بعضه .  
وقد ذكرنا الشروط العمرية على نصارى الشام مطولاً في كتابنا الاحكام ، وأوردنا له مصنفاً على حدة  
ولله الحمد والمنة .

وقد ذكرنا خطبته في الجابية بالفاظها وأسانيدها في الكتاب الذي أوردناه لمسند عمر ، وذكرنا  
تواضعه في دخوله الشام في السيرة التي أوردناها له .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني الربيع بن ثعلب نا أبو إسماعيل انؤدب عن عبد الله بن مسلم  
ابن هرمز المكي عن أبي الغالية الشامي قال : قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جبل  
أورق ، تلوح صلته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبي الرجل بالركاب ،  
وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف هو وطاقوه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، حقيبته نمرة أو شملة محشوة  
ليفاً ، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل وعليه قبض من كرايس قد رسم وتخرق جنبه . فقال :  
ادعوا لي رأس القوم ، فدعوا له الجلوس ، فقال : اغسلوا قبصي وخطوه وأعيروني ثوباً أوقيصاً .

فأتى بقميص كتان فقال : ما هذا ؟ قالوا : كتان . قال : وما الکتان ؟ فأخبروه فنزع قميصه ففعل ورقع وأتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه . فقال له الجلومر : أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الأبل ، فلو لبست شيئاً غير هذا وركت برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم . فقال : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً . فأتى برذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه بها فقال : احبسوا احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأتى بجمله فركبه . وقال إسماعيل بن محمد الصفار : حدثنا سعد بن نصر حدثنا سفيان بن أيوب الطائي عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكها بيد ، وخاض الماء ومعه بعيره . فقال له أبو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال : فصك في صدره وقال : أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام فهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة - أعني سنة خمس عشرة - كانت بين المسلمين وفارس وقعات في قول سيف بن عمر . وقال ابن إسحاق والواقدي : إنما كان ذلك في سنة ست عشرة ، ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بينهم ، وذلك حين بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره بالسير إلى المدائن ، وأن يخلف النساء والعيال بالعقيق<sup>(١)</sup> في خيل كثيرة كثيفة . فلما تفرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حوية ، ثم أتبعه بالأمرء واحداً بعد واحد ، ثم سار في الجيوش وقد حمل هاتم بن عتبة بن أبي وقاص على خلافته مكان خالد بن عرفطة ، وجعل خالداً هذا على الساقة ، فساروا في خيول عظيمة ، وسلاح كثير ، وذلك لأيام بقين من شوال من هذه السنة ، فتركوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن ، فلقيه بها يصبهرى في جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس في هربهم إلى بابل وبها جمع كثير ممن انبزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرزان ، فبعث زهرة إلى سعد فأعلمه باحتماع المنبزمين ببابل ، فسار سعد بالجيوش إلى بابل ، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفة الرداء ، وانبزموا بين يديه فرقتين ففرقة ذهبت إلى المدائن ، وأخرى سارت إلى نهاوند ، وأقام سعد ببابل أياماً ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعاً آخر من الفرس فاقتلوا قتالاً شديداً وبارزوا أمير الفرس ، وهو شهر يار ، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له نائل الأعرجي أبو نباتة من شجعان بني تميم ، فتجاولا ساعة بالرماح ، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما ، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض ، فوقع شهر يار على صدر أبي نباتة ، وأخرج خنجرًا لينبجه بها ، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه ، وأخذ الخنجر فذبح شهر يار بها وأخذ

(١) العقيق : كذا في الاصلين وفي ابن جرير بالعقيق .

فرسه وسواريه وسلبه ، وانكشف أصحابه فهزموا ، فأقسم سعد على نائل ليلبس سواري شهر يار  
وسلحه ، وليركبن فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك . قالوا : وكان أول من تسور بالعراق ،  
وذلك بمكان يقال له كوثى . وزار المكان الذى حبس فيه الخليل وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء .  
وقرأ [ وتلك الأيام نداولها بين الناس ] الآية

### وقعة نهر شير (١)

قالوا : ثم قدم سعد زهرة بين يديه من كوثى الى نهر شير فمضى الى المقدمة وقد تلقاه شيرزاد الى  
ساباط بالصلح والجزية فبعثه الى سعد فأمضاه ، ووصل سعد بالجنود الى مكان يقال له مظلم ساباط ،  
فوجدوا هناك كتائب كثيرة لكسرى يسمونها بوران ، وهم يتسمون كل يوم لايزول ملك فارس  
ماعشنا ، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له المقرط ، قد أصدوه فى طريق المسلمين فتقدم اليه ابن  
أخي سعد ، وهو هاشم بن عتبة ، فقتل الأسد والناس ينظرون وسمى يومئذ سيفه المتين (٢) وقبل سعد  
يومئذ رأس هاشم ، وقبل هاشم قدم سعد . وحمل هاشم على الفرس فأزالهم عن أما كتبهم وهزمهم وهو  
يتلو قوله تعالى [ أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ] فلما كان الليل ارتحل المسلمون  
ونزلوا نهر شير فجعلوا كلما وقفوا كبروا وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا  
فى الثالث وفرغت السنة .

قال ابن جرير : وفيها حج بالناس عمر وكان عامه فيها على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الشام أبو  
عبيدة ، وعلى الكوفة والعراق سعد ، وعلى الطائف يعلى بن أمية (٣) وعلى البحرين واليمامة عثمان بن  
أبي العاص ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

قلت : وكانت وقعة اليرموك فى سنة خمس عشرة فى رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة  
وأبى معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خياط وابن الكلابى ومحمد بن عائد وابن  
عساكر وشيخنا أبى عبد الله الذهبى الحافظ . وأما سيف بن عمر وأبو جعفر بن جرير فذكروا وقعة  
اليرموك فى سنة ثلاث عشرة . وقد قدمنا ذكرها هناك تبعاً لابن جرير ، وهكذا وقعة القادسية عند  
بعض الحفاظ أنها كانت فى أواخر هذه السنة - سنة خمس عشرة - وتبعهم فى ذلك شيخنا الحافظ  
الذهبى . والمشهور أنها كانت فى سنة أربع عشرة كما تقدم ثم ذكر شيخنا الذهبى .

### من توفي فى هذه السنة مرتين على الحروف

سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى ، وهو أحد أقوال المؤرخين . وقد تقدم \* سعد بن عبيد بن

(١) وفى فتوح العجم والعراق للواقدي « نهر شير » . وفى الطبرى « نهر سير » .

(٢) كذا بالأصلين . وفى الطبرى « المن » بفتح النونين . (٣) فى الطبرى « منية »

النعمان أبو زيد الأنصاري الأوسي ، قتل بالقادسية ، ويقال إنه أبو زيد القاري أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص). وأنكر آخرون ذلك ، ويقال إنه والد عمير بن سعد الزاهد أمير حمص . وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال : كانت في سنة ست عشرة والله أعلم \* سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن حسان بن عامر بن لؤي أبو يزيد العامري أحد خطباء قريش وأشرفهم ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان سمحاً جواداً فصيحاً كثير الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء . ويقال إنه قام وصام حتى شحب لونه . وله سعي مشكور في صلح الحديبية . ولما مات رسول الله (ص) ، خطب الناس بمكة خطبة عظيمة تثبت الناس على الإسلام ، وكانت خطبته بمكة قريباً من خطبة الصديق بالمدينة ، ثم خرج في جماعة إلى الشام مجاهداً فحضر اليرموك وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال إنه استشهد يومئذ . وقال الواقدي والشافعي : توفي بطاعون عمواس \* عامر بن مالك بن أهيب الزهري أخى سعد بن أبي وقاص ، هاجر إلى الحبشة ، وهو الذي قدم بكتاب عمر إلى أبي عبيدة بولايته على الشام وعزل خالد عنها ، استشهد يوم اليرموك \* عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد المجزومي ، صحابي هاجر إلى الحبشة مع عمه أبي سلمة بن عبد الأسد . روى عنه عمرو بن دينار منقطعاً لأنه قتل يوم اليرموك \* عبد الرحمن بن العوام ، أخو الزبير ابن العوام ، حضر بدرًا مشركاً ثم أسلم واستشهد يوم اليرموك في قول \* عتبة بن غزوان ، توفي فيها في قول \* عكرمة بن أبي جهل استشهد باليرموك في قول \* عمرو بن أم مكتوم استشهد يوم القادسية وقد تقدم ، ويقال بل رجع إلى المدينة \* عمرو بن الطفيل بن عمرو تقدم \* عامر بن أبي ربيعة تقدم \* فراس بن النضر بن الحارث يقال استشهد يوم اليرموك \* قيس بن عدي بن سعد بن سهم من مهاجرة الحبشة قتل باليرموك \* قيس بن أبي صعصعة \* عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري المازني شهد العقبة و بدرًا ، وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك ، وقتل يومئذ ، وله حديث قال : قلت يارسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال : « في خمس عشرة » الحديث ، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : ففيه دليل على أنه ممن جمع القرآن في عهد رسول الله (ص) . \* نصير بن الحارث بن علقمة بن كلفة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدي ، أسلم عام الفتح ، وكان من علماء قريش ، وأعطاه رسول الله (ص) يوم حنين مائة من الأبل ، فتوقف في أخذها وقال : لا أرتشي على الإسلام ، ثم قال : والله ما طلبتها ولا سألتها ، وهي عطية من رسول الله (ص) ، فأخذها وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك \* نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص) ، كان أسن من أسلم من بني عبد المطلب ، وكان ممن أسر يوم بدر ففاداه العباس ، ويقال إنه هاجر أيام الخندق وشهد الحديبية والفتح ، وأعان رسول الله (ص) ، يوم حنين بثلاثة آلاف ربح ، وثبت يومئذ وتوفي سنة خمس عشرة ،

وقيل سنة عشرين والله أعلم ، توفي بالمدينة وصلى عليه عمر ومشي في جنازته ودفن بالبقيع وخلف عدة أولاد فضلاء وأكابر هـ هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص تقدم وقال ابن سعد : قتل يوم اليرموك .

### تم دخلت سنة ست عشرة

استهلت هذه السنة وسعد بن أبي وقاص منازل مدينة نهرشير ، وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة من الغرب ، وكان قدوم سعد إليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة ، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها . وقد بعث السرايا والخيول في كل وجه ، فلم يجدوا واحداً من الجند ، بل جمعوا من الفلاحين مائة ألف فحبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم ، فكتب إليه عمر : إن من كان من الفلاحين لم يعن عليكم وهو مقيم ببلده فهو أمانه ، ومن هرب فأدر كتموه فشانكم به . فأطلقهم سعد بعد مداعمة إلى الاسلام فأبوا إلا الجزية . ولم يبق من غربي دجلة إلى أرض العرب أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج ، وامتنعت نهرشير من سعد أشد الامتناع ، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم إلى الله عز وجل أو الجزية أو المقاتلة ، فأبوا إلا المقاتلة والعصيان ، ونصبوا المجانيق والديابات ، وأمر سعد بعمل المجانيق فعملت عشرون منجنيقاً ، ونصبت على نهرشير ، واشتد الحصار وكان أهل نهرشير يخرجون فيقاتلون قتالاً شديداً ويحلفون أن لا يفرؤا أبداً ، فأكتبهم الله وهزمهم زهرة بن حوية بعد ما أصابه سهم وقتل بعد مصابه كثيراً من الفرس وفروا بين يديه ولجأوا إلى بلدهم ، فكانوا يحاصرون فيه أشد الحصار ، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلاب والسنانير وقد أشرف رجل منهم على المسلمين فقال : يقول لكم الملك : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونكم . قال : فبدر الناس رجل يقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة فأنطقه الله بكلام لم يدر ما قال لهم ، قال : فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون من نهرشير إلى المدائن . فقال الناس لأبي مقرن : ما قلت لهم ؟ فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما قلت لهم إلا أن على سكينه وأنا أرجو أن أكون قد انطلقت بالذي هو خير ، وجعل الناس ينتابونه يسألونه عن ذلك ، وكان فيمن سأله سعد بن أبي وقاص ، وجاءه سعد إلى منزله فقال : يا أبا مقرن ما قلت ؟ فوالله إنهم هراب . فحلف له أنه لا يدرى ما قال . فنأدى سعد في الناس ونهد بهم إلى البلد والمجانيق تضرب في البلد ، فنأدى رجل من البلد بالأمان فأمناد ، فقال والله ما بالبلد أحد ، فتسور الناس السور فما وجدنا فيها أحداً إلا قد هربوا إلى المدائن . وذلك في شهر صفر من هذه السنة فسألنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأى شئ هربوا ؟ قالوا بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجابته ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم وبينه صلح أبداً حتى نأكل



عسل افر يدين بانرج كوئي . فقال الملك : يا ويلاه ان الملائكة لتتكلم على السنهم ، ترد علينا وتجيئنا عن العرب . ثم أمر الناس بالرحيل من هناك إلى المدائن فجازوا في السفن منها إليها وبينهما دجلة ، وهي قريبة منها جداً ، ولما دخل المسلمون نهر شير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك انذى ذكره رسول الله ص أنه سيفتحه الله على أمته ، وذلك قريب الصباح ، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب ، فقال : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ما وعدنا الله ورسوله . ونظر الناس إليه فتتابعوا التكبير إلى الصبح .

### ذكر فتح المدائن

لما فتح سعد نهر شير واستقر بها ، وذلك في صفة لم يجد فيها أحداً ولا شيئاً مما يغتم ، بل قد تحولوا بكاهم إلى المدائن وركبوا السفن وضموا السفن إليهم ، ولم يجد سعد رضى الله عنه شيئاً من السفن وتعذر عليه تحصيل شئ منها بالكلية ، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ، وأخبر سعد بأن كسرى يزجر عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وأنتك إن لم تدركه قبل ثلاث فأت عليك وتفارط الأمر . فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شأوا فينا وشئونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إني قد عزم على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول : من يبدأ فيحمي لنا الفراض - يعنى ثغرة الخنازة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين ، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمائة ، فأمر سعد عليهم عاصم ابن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم : من ينتدب معي لتكون قبل الناس دخولا في هذا البحر فنحمني الفراض من الجانب الآخر ؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين - والأعاجم وقوف صفوفاً من الجانب الآخر - فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ، فقال : أتخافون من هذه النطقة ؟ ثم تلا قوله تعالى [ وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً ] ثم أقحم فرسه فيها واقنعم الناس ، وقد افترق الستون فرقتين أصحاب الخيل المذكورين : وأصحاب الخيل الإناث . فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : ديوانا ديوانا . يقولون مجانين مجانين . ثم قالوا : والله ماتقاتلون إنساً بل تقاتلون جنساً . ثم أرسلوا فرساناً منهم في الماء يلتقون أول المسلمين لينعمهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو وأصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين ، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم ، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من

الماء ، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر ، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة في دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يسمون الكتيبة الأولى كتيبة الأهوال ، وأميرها عاصم بن عمرو ، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو . وهذا كله وسعد والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس ، وسعد واقف على شاطئ دجلة . ثم نزل سعد ببقية الجيش ، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين ، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسرون على وجه الأرض حتى ملؤا ما بين الجانبين ، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن ، والوثوق بأمر الله ووعدته ونصره وتأييده ، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقد توفى رسول الله (ص) وهو عنه راض ، ودعاه . فقال « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » والمقطوع به أن سعداً دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم في هذا اليم فسددم الله وسلمهم ، فلم يفقد من المسلمين رجل واحد غير أن رجلاً واحداً يقال له غرقدة البارقي ، ذل عن فرس له شقراء ، فأخذ القعقاع بن عمرو بلبجامها ، وأخذ بيد الرجل حتى عدله على فرسه ، وكان من الشجعان ، فقال : عجز النساء أن يلدن مثل القعقاع بن عمرو . ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قرح من خشب لرجل يقال له مالك بن عامر ، كانت علاقته رثة فأخذ الموحج ، فدعا صاحبه الله عز وجل ، وقال : اللهم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعى . فرده الموحج إلى الجانب الذى يقصدونه فأخذ الناس ثم ردوه على صاحبه بعينه . وكان الفرس إذا أعيأ وهو فى الماء يقيض الله له مثل النسر المرتفع فيقف عليه فيستريح ، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها ، وكان يوماً عظيماً وأمراً هائلاً ، وخطباً جليلاً ، وخارقاً باهراً ، ومعجزة لرسول الله (ص) ، خلقها الله لأصحابه لم ير مثلها فى تلك البلاد ، ولا فى بقعة من البقاع ، سوى قضية العلاء بن الحضرمي المتقدمة ، بل هذا أجل وأعظم ، فان هذا الجيش كان أضعاف ذلك . قالوا : وكان الذى يسار سعد ابن أبى وقاص فى الماء سلمان الفارسى ، فجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه وليظهن الله دينه ، وليهزم من الله عدوه ، إن لم يكن فى الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إن الإسلام جديد . ذلت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر : أما الذى نفس سلمان

بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً . فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفرق منهم أحد ، ولم يهتدوا شيئاً .

ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة ، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن ، فلم يجدوا بها أحداً ، بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثياب والمتاع ، والآنية والالطاف والادهان ما لا يدري قيمته . وكان في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف دينار ثلاث مرات فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه . فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء ، فأخذوا في سككها لا يلقون أحداً ولا يخشونه غير القصر الأبيض فيه مقاتلة وهو محصن .

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي ، فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعد واتخذ الإيوان مصلى ، وحين دخله تلا قوله تعالى [ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم \* ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين ] ثم تقدم إلى صدره فصلى ثمان ركعات صلاة الفتح ، وذكر سيف في روايته أنه صلاها بتسليمة واحدة وأنه جمع بالايوان في صفر من هذه السنة فكانت أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك لأن سعداً نوى الإقامة بها ، وبعث إلى العيالات فأنزلهم دور المدائن واستوطنوها ، حتى فتحوا جلولاء وتكرت والموصل ، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد ذلك كما سنذكره . ثم أرسل السرايا في إثر كسرى يزجره فلحق بهم طائفة قتلوه وشردوهم واستلبوا منهم أموالاً عظيمة . وأكثروا ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليته . وشرع سعد في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف ، مما لا يقوم ولا يحمد ولا يوصف كثرة وعظمة . وقد روينا أنه كان هناك تماثيل من جص فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان ، فقال سعد : إن هذا لم يوضع هكذا سدى ، فأخذوا ما يسامت أصبعه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيماً من كنوز الأكامرة الأوائل ، فأخرجوا منه أموالاً عظيمة جزيلة ، وحواصل باهرة ، وتحفاً فاخرة . واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد في الدنيا أعجب منه . وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكال بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار ، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه ، وكان مر بعاً ستون ذراعاً في مثلها ، من كل جانب ، والبساط مثله سواء ، وهو منسوج بالذهب واللآلئ والجواهر الثمينة ، وفيه مصور جميع ممالك كسرى ، بلاده بأنهارها وقلاعها ، وأقاليمها ، وكنوزها ، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده . فكان إذا جلس على كرسي مملكته ودخل تحت تاجه ، وتاجه معلق بسلاسل الذهب ، لأنه كان لا يستطيع أن يقله

على رأسه لثقله ، بل كان يجيء فيجلس تحته ثم يدخل رأسه تحت الناج والسلاسل الذهب تحمله عنه ، وهو يستتره حال لبسه فاذا رفع الحجاب عنه خرت له الامراء سجوداً . وعليه المنطقة والسواران والسيف والقباء المرصع بالجواهر فينظر في البلدان واحدة واحدة ، فيسأل عنها ومن فيها من النواب ، وهل حدث فيها شيء من الأحداث ؟ فيخبره بذلك ولاية الامور بين يديه . ثم ينتقل الى الاخرى ، وهكذا حتى يسأل عن احوال بلاده في كل وقت لا يهمل أمر المملكة ، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكراً له بشأن الممالك ، وهو إصلاح جيد منهم في أمر السياسة . فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك والاراضي وتسلمها المسلمون من أيديهم قسراً ، وكسروا شوكتهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية ضافية ، والله الحمد والمنة . وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن فكان أول ما حصل ما كان في القصر الابيض ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن ، وما كان بالايوان مما ذكرنا ، وما يفند من السرايا الذين في صحبة زهرة بن حوية ، وكان فيما رد زهرة بغل كان قد أدركه وغضبه من الفرس وكانت تحوط بالسيوف فاستنقذ منهم وقال إن لهذا لشأنا فردد إلى الأقباض وإذا عليه سفظان فيهما ثياب كسرى وحليته . ولبسه الذي كان يلبسه على السرير كما ذكرنا ، وبغل آخر عليه تاجه الذي ذكرنا في سفظين أيضاً رداً من الطريق مما استلبه أصحاب السرايا ، وكان فيما ردت السرايا أموال عظيمة وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته والاشياء النفيسة التي استصحبوها معهم ، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم . ولم تقدر الفرس على حمل البساط لثقله عليهم ، ولا حمل الاموال لكثرتها . فانه كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملاًنا إلى أعلا من أواني الذهب والفضة ، ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً ، فيحسبونه ملحاً ، وربما استعمله بعضهم في العجين فوجدوه مرّاً حتى تدينوا أمره فتحصل الفئ على أمر عظيم من الاموال ، وشرع سعد نخمسه وأمر سامان الفارسي<sup>(١)</sup> تقسم الاربعة الاخماس بين الفاتحين ، فحصل لكل واحد من الفرسان اثنتي عشرة ألفاً ، وكانوا كلهم فرساناً ، ومع بعضهم جنائب ، وأستوهب سعد أربعة اخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين ، لبيعته إلى عمرو المسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه ، فطيبوا له ذلك وأذنوا فيه . فبعثه سعد إلى عمر مع الخمس مع بشير بن الخصاصية . وكان الذي بشر بالفتح قبله حليس بن فلان الأسدي ، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إن قوماً أدوا هذا لأمناء ، فقال له علي بن أبي طالب : إنك عفتت فعفت رعيتك ، ولورثت لورثت . ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فأصاب علياً قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفاً ،

وقد ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب ألبس ثياب كسرى خشبة ونصبها أمامه ليرى الناس ما في هذه الزينة من العجب ، وما عليها من زهرة الحياة الدنيا الفانية . وقد روينا أن عمر

(١) - ابن ربيعة الباهلي لاسمان الفارسي .

ألبس ثياب كسرى لسراقة بن مالك بن جشم أمير بني مدلج رضی الله عنه .  
قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ثنا أبو سعيد  
ابن الأعرابي . قال وجدت في كتابي بخط يدي عن أبي داود حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد ثنا  
يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن  
مالك بن جشم ، قال فأتى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما في يده فبلغنا منكبيه فلما رأهما في  
يدي سراقة قال الحمد لله سوارى كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جشم أعرابي من  
بني مدلج . وذكر الحديث . هكذا ساقه البيهقي . ثم حكى عن الشافعي أنه قال : وإنما البسهما  
سراقة لأن رسول الله (ص) ، قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه « كأتى بك وقد ألبست سوارى كسرى »  
قال الشافعي : وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سوارى كسرى : قل الله أكبر . فقال الله أكبر . ثم  
قال : قل الحمد لله الذي سلّهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابي من بني مدلج . وقال  
الهيثم بن عدي : أخبرنا أسامة بن زيد اللثي ثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر ، قال بعث سعد بن أبي  
وقاص أيام القادسية إلى عمر بقاء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه وخفيه ،  
قال فنظر عمر في وجوه القوم . وكان أجسامهم وأبدانهم قامة سراقة بن مالك بن جشم فقال ياسراق قم  
فالبس ، قال سراقة فطمعت فيه فقممت فلبست فقال أدبر فأدبرت ، ثم قال أقبل فأقبلت ، ثم قال  
بخ بخ ، أعرابي من بني مدلج عليه بقاء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه . رب يوم  
ياسراق بن مالك ، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى ، كان شرفاً لك ولقومك ،  
انزع . فترعت . فقال : اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك ، وكان أحب إليك مني وأكرم  
عليك مني . ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك مني ، وأكرم عليك مني ، وأعطيتني فأعوذ بك أن  
تكون أعطيتني لتكربني . ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . ثم قال لعبد الرحمن بن عوف :  
أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تسمى .

وذكر سيف بن عمر التيمي : أن عمر حين ملك تلك الملابس والجواهر جئ بسيف كسرى  
ومعه عدة سيوف منها سيف النعمان بن المنذر نائب كسرى على الخيرة وأن عمر قال : الحمد لله الذي  
جعل سيف كسرى فيما يضره ولا ينفعه . ثم قال : إن قوما أدوا هذا لأمناء ، أو لذوا أمانة . ثم قال :  
إن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن آخرته فجمع لزوج امرأته ، أو زوج ابنته ، ولم يقدم  
لنفسه ، ولو قدم لنفسه ووضع الفضول في مواضعها لحصل له . وقد قال بعض المسلمين وهو أبو نجيد  
نافع بن الأسود في ذلك :

وَأَمَلْنَا عَلَى الْمَدَائِنِ خَيْلًا \* بِحَرْهَا مِثْلُ بَرِّهِنَّ أَرِيضًا

فانتشلنا خزائن المرء كسرى \* يوم ولوا وحاص منا جر يضا

### وقعة جلولاء

لما سار كسرى وهو يزددجرد بن شهر يار من المدائن هاربا إلى حلوان شرع في أثناء الطريق في جمع رجال وأعوان وجنود ، من البلدان التي هناك ، فاجتمع إليه خلق كثير ، وجم غفير من الفرس وأمر على الجميع مهران ، وسار كسرى إلى حلوان فأقام الجمع الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جلولاء ، واحتفروا خندقاً عظيماً حولها ، وأقاموا بها في العدد والعدد وآلات الحصار ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك . فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى ، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو ، وعلى اليمينه سعد بن مالك وعلى اليسرة أخوه عمر بن مالك ، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهني . ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كبيراً يقارب اثني عشر ألفاً ، من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأَنْصار ، ورءوس العرب . وذلك في صفر من هذه السنة بعد فراغهم من أمر المدائن ، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء قد خندقوا عليهم ، فحاصروهم هاشم بن عتبة ، وكانوا يخرجون من بلادهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالاً لم يسمع بمثله . وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد ، وكذلك سعد يبعث المدد إلى ابن أخيه ، مرة بعد أخرى . وحسب القتال ، واشتد النزاع ، واضطربت نار الحرب ، وقام في الناس هاشم فخطبهم غير مرة ، فحرضهم على القتال والتوكل على الله . وقد تعاهدت الفرس وتعاهدت ، وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب . فلما كان الموقف الأخير وهو يوم الفصيل والفرقان ، توافقوا من أول النهار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله حتى فنى الشباب من الطرفين ، وتقصفت الرماح من هؤلاء ومن هؤلاء ، وصاروا إلى السيوف والطبرزنيات ، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إيماءً ، وذهبت فرقة المجوس وجاءت مكانها أخرى ، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال : أهالكُم ما رأيتمُ أيها المسلمون ؟ قالوا : نعم إنا كالقوت وهم مريحون ، فقال : بل إنا حاملون عليهم ومجدون في طلبهم ، حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم ، فحمل وحمل الناس ، فأما القعقاع فإنه صمم الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان ، حتى انتهى إلى باب الخندق ، وأقبل الليل بظلامه وجالت بقية الأبطال بين مهبهم في الناس وجعلوا يأخذون في التحايز من أجل إقبال الليل وفي الأبطال يومئذ طليحة الاسدي ، وعمر بن معدى كرب الزبيدي ، وقيس بن مكشوح ، وحجر بن عدى . ولم يعلموا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليل ، ولم يشعروا بذلك ، لولا مناديه ينادى : ابن أيها المسلمون ، هذا أميركم على باب خندقهم . فلما سمع ذلك المجوس فروا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فاذا هو على باب الخندق قد ملكه

عليهم ، وهربت الفرسان كل مهرب ، وأخذهم المسلمون من كل وجه ، وقعدوا لهم كل مرصد ، فقتل منهم في ذلك الموقف مائة ألف حتى جلولوا وجه الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . وغنموا من الاموال والسلاح والذهب والفضة قريبا مما غنموا من المدائن قبلها

وبعث هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو في إثر من انهزم منهم وراء كسرى ، فساق خلفهم حتى أدرك مهران منهزماً ، فقتله القعقاع بن عمرو ، وأفلتهم الفيرزان فاستمر منهزماً ، وأسر سبايا كثيرة بعث بها إلى هاشم بن عتبة ، وغنموا دواب كثيرة جداً . ثم بعث هاشم بالغنائم والاموال إلى عمه سعد بن أبي وقاص فنفل سعد ذوى النجدة ثم أمر بقسم ذلك على الغانمين .

قال الشعبي : كان المال المتحصل من وقعة جلولاء ثلاثين ألف ألف ، فكان خمسة ستة آلاف ألف وقال غيره : كان الذى أصاب كل فارس يوم جلولاء نظير ما حصل له يوم المدائن - يعنى اثني عشر ألفاً لكل فارس - وقيل أصاب كل فارس تسعة آلاف وتسع دواب . وكان الذى ولى قسم ذلك بين المسلمين وتخصيله ، سلمان الفارسي رضى الله عنه . ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبي سفيان ، وقضاعي بن عمرو ، وأبي مقرن الاسود . فلما قدموا على عمر سأل عمر زياد بن أبي سفيان عن كيفية الوقعة فذكرها له ، وكان زياد فصيحاً ، فأعجب إبراهه لها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأحب أن يسمع المسلمون منه ذلك ، فقال له : أتستطيع أن تخطب الناس بما أخبرتني به ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه ليس أحد على وجه الارض أهيب عندي منك ، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك ؟ فقام في الناس فقص عليهم خبر الوقعة ، وكم قتلوا ، وكم غنموا ، بعبارة عظيمة بليغة فقال عمر : إن هذا هو الخطيب المصقع - يعنى الفصيح - فقال زياد : إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا . ثم حلف عمر بن الخطاب أن لا يجن هذا المال الذى جاؤا به سقفا حتى يقسمه ، فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه في المسجد ، فلما أصبح جاء عمر في الناس ، بعد ما صلى الغداة وطلعت الشمس ، فأمر فكشف عنه جلابيبه ، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وذهبه الاصفر وفضته البيضاء ، بكى عمر ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا لموطن شكر ، فقال عمر : والله ما ذاك يبكيك ، والله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم . ثم قسمه كما قسم أموال القادسية .

وروى سيف بن عمر عن شيوخه أنهم قالوا : وكان فتح جلولاء في ذى القعدة من سنة ستة عشر ، وكان بينه وبين فتح المدائن تسعة أشهر وقد تكلم ابن جرير رهنا فيما رواه عن سيف على ما يتعلق بأرض السواد وخراجها ، وموضع نحر بذلك كتاب الاحكام .

وقد قال هاشم بن عتبة في يوم جلولاء :

يومُ جُلُولاءِ ويومُ رستم \* ويومُ زحفِ الكوفةِ المقدمِ  
ويومُ عرضِ الشهرِ المحرمِ \* وأيامُ خلتِ من بينهنَّ صرمِ  
شيتينِ أصدغي ففى هرم \* مثلُ نعامِ البلدِ المحرمِ

وقال أبو نبيد في ذلك :

ويومُ جُلُولاءِ الوقيةُ أصبحت \* كئائبنا تردى بأسدِ عوابسِ  
فضضتُ جموعَ الفرسِ ثم أئتتهم \* فتباً لأجسادِ المجوسِ النجائسِ  
وأفلتبنَّ الفيرزانُ بجرعةٍ \* ومهرانُ أردتُ يومَ حزِ القوانسِ  
أقاموا بدارٍ للنيةِ موعداً \* وللتربِ تحشوها خجوجُ الروامسِ

### ذكر فتح حلوان

ولما انقضت الوقعة أقام هشام بن عتبة بجلولاء عن أمر عمر بن الخطاب - في كتابه إلى سعد -  
وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان ، عن أمر عمر أيضاً ليكون رداءً للمسلمين هنالك ، ومرا ابطاً  
لكسرى حيث هرب . فسار كما قدمنا ، وأدرك أمير الوقعة وهو مهران الرازي ، قتلته وهرب منه  
الفيرزان ، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولاء ، وما جرى على الفرس بعده ، وكيف  
قتل منهم مائة ألف ، وأدرك مهران فقتل ، هرب عند ذلك كسرى من حلوان إلى الري ، واستناب  
على حلوان أميراً يقال له خسروشنوم ، فتقدم إليه القعقاع بن عمرو ، وبرز إليه خسروشنوم إلى  
مكان خارج من حلوان ، فاقتلوا هنالك قتلاً شديداً ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهمزم خسروشنوم ،  
وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا ، وأقاموا بها ، وضربوا الجزية على من  
حولها من الكور والأقاليم ، بعد ما دعوا إلى الدخول في الاسلام فأبوا إلا الجزية . فلم يزل القعقاع  
بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة ، فسار إليها كما سند كره إن شاء الله تعالى .

### فتح تكريت والموصل

لما افتتح سعد المدائن بلغه أن أهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له  
الأنطاق ، فكتب إلى عمر بأمر جلولاء واجتماع الفرس بها ، وبأمر أهل الموصل ، فتقدم ما ذكرناه  
من كتاب عمر في أهل جلولاء ، وما كان من أمرها . وكتب عمر في قضية أهل الموصل الذين قد  
اجتمعوا بتكريت على الأنطاق ، أن يهين جيشاً لحربهم ، ويؤمر عليه عبد الله بن المعتم ، وإن  
يجعل على مقدمته ربي بن الأفكل الغزي ، وعلى الميمنة الحارث بن حسان الذهلي ، وعلى الميسرة  
فراة بن حيان المعجلي ، وعلى الساقة هاني بن قيس ، وعلى الخليل عرفة بن هرثة . ففصل عبد الله  
ابن المعتم في خمسة آلاف من المدائن ، فسار في أربع حتى نزل بتكريت على الأنطاق ، وقد اجتمع



إليه جماعة من الروم ، ومن الشهاجة ، ومن نصارى العرب ، من إياد وتغلب والنمر . وقد أحذقوا بتكريت ، فحاصروا عبد الله بن المعتم أربعين يوماً . وزاحفوه في هذه المدة أربعة وعشرين مرة ، ما من مرة إلا وينتصر عليهم ويفل جمعهم ، فضعف جانبهم ، وعزمت الروم على الذهاب في السفن بأموالهم ، وراسل عبد الله بن المعتم إلى من هنالك من الأعراب ، فدعاهم إلى الدخول معه في النصر على أهل البلد ، فجاءت القصاد إليه عنهم بالاجابة إلى ذلك ، فأرسل إليهم : إن كنتم صادقين فبما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بما جاء من عند الله . فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسلموا فبعث إليهم : ان كنتم صادقين فاذا كبرنا وحملنا على البلد الليلة فأمسكوا علينا أبواب السفن ، وامنعوهم أن يركبوا فيها ، واقتلوا منهم من قدرتم على قتله . ثم شد عبد الله وأصحابه ، وكبروا تكبيرة رجل واحد ، وحملوا على البلد فكبرت الأعراب من الناحية الأخرى ، فحار أهل البلد ، وأخذوا في الخروج من الابواب التي تلى دجلة ، فتلقتهم إياد والنمر وتغلب ، فقتلوا قتلاً ذريعاً ، وجاء عبد الله بن المعتم بأصحابه من الابواب الأخرى فقتل جميع أهل البلد عن بكرة أبيهم ، ولم يسلم إلا من أسلم من الأعراب من إياد وتغلب والنمر ، وقد كان عمر عهد في كتابه إذا نصرنا على تكريت أن يبعثوا ربي بن الأفكل إلى الحصنين وهي الموصل سريعاً ، فسار إليها كما أمر عمر ، ومعه سرية كثيرة ، وجماعة من الأبطال ، فسار إليها حتى فوجئها قبل وصول الأخبار إليها ، فما كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلى الصلح فضربت عليهم الذمة عن يد وهم صاغرون ، ثم قسمت الأموال التي تحصلت من تكريت ، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف ، وسهم الراجل ألف درهم . وبعثوا بالآخماس مع فرات بن حيان ، وبالفتح مع الحارث بن حسان ، وولى إمرة حرب الموصل ربي بن الأفكل ، وولى الخراج بها عرفة بن هرة .

### فتح ما سبذان من ارض العراق

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى عمر بالمداين ، بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن ابعث جيشاً وأمر عليهم ضرار ابن الخطاب . فخرج ضرار في جيش من المدائن ، وعلى مقدمته ابن الهزيل الاسدي ، فتقدم ابن الهزيل بين يدي الجيش ، فالتقى مع آذين وأصحابه قبل وصول ضرار إليه ، فكسر ابن الهزيل طائفة الفرس ، وأسر آذين بن الهرمزان ، وفر عنه أصحابه ، وأمر ابن الهزيل فضرب عنق آذين بين يديه ، وساق وراء المهزمين حتى انتهى إلى ما سبذان - وهي مدينة كبيرة - فأخذها عنوة ، وعرب أهلها في رؤس الجبال والشعاب ، فدعاهم فاستجابوا له ، وضرب على من لم يسلم الجزية ، وأقام نائباً عليها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة كما سيأتي .

### فتح قرقيسيا وهيت في هذه السنة

قال ابن جرير وغيره : لما رجع هاشم من جلولا إلى المدائن وكان أهل الجزيرة قد أمدوا أهل حصص على قتال أبي عبيدة وخالد - لما كان هرقل بقنسرين - واجتمع أهل الجزيرة في مدينة هيت ، كتب سعد إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن يبعث إليهم جيشاً ، وأن يؤمر عليهم عمر بن مالك ابن عتبة بن نوفل بن عبد مناف ، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت ، فوجدهم قد خندقوا عليهم ، فحاصروهم حيناً فلم يظفر بهم ، فسار في طائفة من أصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث ابن يزيد ، فراح عمر بن مالك إلى قرقيسيا فأخذها عنوة ، وأتوا إلى بذل الجزيرة ، وكتب إلى نائبه على هيت : إن لم يصلحوا أن يمخروا من وراء خندقهم خندقاً ، ويجعل له أبواباً من ناحيته . فلما بلغهم ذلك أتوا إلى المصالحة .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ الذهبي : وفي هذه السنة بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص بعده فراغه من اليرموك إلى قنسرين فصالح أهل حلب ، ومنبج ، وأنطاكية ، على الجزيرة . وفتح سائر بلاد قنسرين عنوة . قال : وفيها افتتحت سروج والرها على يدي عياض بن غنم .

قال : وفيها فيما ذكر ابن الكلابي سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فحاصر إيليا فسألوا الصلح على أن يقدم عمر فيصالحهم على ذلك ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر فقدم حتى صالحهم وأقام أياماً ثم رجع إلى المدينة . قلت : قد تقدم هذا فيما قبل هذه السنة والله أعلم .

قال الواقدي : وفي هذه السنة حو عمر الربذة بخيل المسلمين ، وفيها غرّب عمر أبا محجن الثقفي إلى باضع<sup>(١)</sup> ، وفيها تزوج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد . قلت : الذي قتل يوم الجسر ، وكان أمير السرية ، وهي أخت المختار بن أبي عبيد أمير العراق فيما بعد ، وكانت امرأة سالحة ، وكان أخوها فاجراً وكافراً أيضاً . قال الواقدي : وفيها حج عمر بالناس ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت . قال : وكان نائبه على مكة عتاب ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى العراق سعد ، وعلى الطائف عثمان ابن أبي العاص ، وعلى اليمن يلى بن أمية ، وعلى الهامة والبحرين الهلاء بن الحضرمي ، وعلى عمان حذيفة بن محسن ، وعلى البصرة المغيرة بن شعبه ، وعلى الموصل ربيعي بن الأفكل ، وعلى الجزيرة عياض بن غنم الأشعري .

قال الواقدي وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - كتب عمر بن الخطاب التاريخ ، وهو أول من كتبه . قلت : قد ذكرنا سببه في سيرة عمر ، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحمل عليه في شعبان ، فقال : أي شعبان ؟ أمن هذه السنة

(١) في الاصلين : إلى ما صنع وحكاية فيه معرفة . وباضع عين أو جزيرة بساحل اليمن .

أم التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع الناس فقال : ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم .  
فيقال إنهم أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم ، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية  
الذي بعده ، فكرهوا ذلك . ومنهم من قال : أرخوا بتاريخ الروم من زمان اسكندر فكرهوا ذلك ،  
ولطوله أيضاً . وقال قائلون : أرخوا من مولد رسول الله (س) . وقال آخرون من مبعثه عليه السلام .  
وأشار على بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فانه  
أظهر من المولد والمبعث . فاستحسن ذلك عمر والصحابة ، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله (س) ،  
وأرخوا من أول تلك السنة من محرمةا ، وعند مالك رحمه الله فيما حكاه عن السهيلي وغيره أن أول  
السنة من ربيع الأول لقدمه عليه السلام إلى المدينة . والجمهور على أن أول السنة من المحرم ، لأنه  
أضبط اثلا تختلف الشهور ، فان المحرم أول السنة الهلالية العربية . وفي هذه السنة - أعني سنة ست  
عشرة - توفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله (س) ، وذلك في المحرم منها فيما ذكره الواقدي وابن  
جرير وغير واحد ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها ، ودفنت بالبقيع  
رضي الله عنها وأرضاها ، وهي مارية القبطية ، أهداها صاحب اسكندرية - وهو جريج بن مينا - في  
جملة تحف وهدايا لرسول الله (س) ، وقبل ذلك منه ، وكان معها أختها شيرين التي وهبها رسول الله  
(س) لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنة عبد الرحمن بن حسان . ويقال أهدى المقوقس معها  
جارتين أخرتين ، فيحتمل أنهما كانتا خادمتين للمارية وسيرين . وأهدى معهن غلاماً خصياً اسمه  
مابور . وأهدى مع ذلك بغلة شهباء اسمها الدلدل ، وأهدى حلة حرير من عمل الاسكندرية . وكان  
قدم هذه الهدية في سنة ثمان . فحمت مارية من رسول الله (س) بإبراهيم عليه السلام ، فعاش  
عشرين شهراً ، ومات قبل أبيه رسول الله (س) بسنة سواء . وقد حزن عليه رسول الله (س) وبكى  
عليه وقال : تدمع العين ، ويمحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ،  
وقد تقدم ذلك في سنة عشر . وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان . وقد حظيت  
عند رسول الله (س) ، وأعجب بها ، وكانت جميلة ملاحه ، أي حلوة ، وهي تشابه هاجر مارية الخليل ،  
فان كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبي كريم ، و خليل جليل ، عليهما السلام .

### ثم دخلت سنة سبع عشرة

في المحرم منها انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وذلك أن الصحابة استوخوا  
المدائن ، وتغيرت ألوانهم ، وضعفت أبدانهم ، لكثرة ذبابها وغبارها ، فكتب سعد إلى عمر في  
ذلك ، فكتب عمر : إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها . فبعث سعد حذيفة وسلمان بن زياد  
يرتادان للمسلمين منزلاً مناسباً يصلح لأقامتهم . فمرا على أرض الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء ،

فأعجبتهمما ووجد هنالك ديرات ثلاث دير حرقة بنت النعمان ، ودير أم عمرو ، ودير سلسلة ، وبين ذلك خصاص خلال هذه الكوفة ، فنزلا فصليا هنالك وقال كل واحد منهما : اللهم رب السماء وما أظلت ، ورب الأرض وما أقات ، ورب الريح وما ذرت ، والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، والشياطين وما أضلت ، والخصاص وما أجنحت ، بارك لنا في هذه الكوفة واجعلها منزل ثبات . ثم كتبنا إلى سعد بالخبر ، فأمر سعد باختطاط الكوفة ، وسار إليها في أول هذه السنة في محرمها ، فكان أول بناء وضع فيها المسجد . وأمر سعد رجلا رامياً شديد الرمي ، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم ، وعمر قصرآ تلقاء محراب المسجد للامارة وبيت المال ، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب ، فاحترقت في أثناء السنة ، فبنوها باللبن عن أمر عمر ، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد . وبعث سعد إلى الامراء والقبائل فقدموا عليه ، فأنزلهم الكوفة ، وأمر سعد أبا هياج الموكل بانزال الناس فيها بأن يعمرها ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعاً . ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعاً ، وللأزقة سبعة أذرع . وبنى لسعد قصر قريب من السوق ، فكانت غوغاء الناس تمنع سعداً من الحديث ، فكان يفتق بابيه ويقول : سكن الصوت فلما بلغت هذه الكوفة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يندح زناده ويجمع حطباً ويحرق باب القصر ثم يرجع من فوره . فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمر به عمر ، وأمر سعداً أن لا يفتق بابيه عن الناس ، ولا يجعل على بابيه أحداً يمنع الناس عنه ، فامتثل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئاً من المال فامتنع من قبوله ، ورجع إلى المدينة ، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصف ، حتى عزله عنها عمر ، من غير عجز ولا خيانة .

### أبو عبيدة وحصر الروم له بحمص و قدوم عمر الى الشام

وذلك أن جمعاً من الروم عزهوا على حصار أبي عبيدة بحمص ، واستجاشوا بأهل الجزيرة ، وخلق ممن هنالك ، وقصدوا أبا عبيدة ، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنسرين ، وكتب إلى عمر بذلك ، واستشار أبو عبيدة المساهين في أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجيء أمر عمر ؟ فكاهم أشار بالتحصن ، إلا خالداً فإنه أشار بمنجزتهم ، فمصاه وأطاعهم . وتحصن بحمص وأحاط به الروم ، وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمرهم ، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حمص لا تخرم النظام في الشام كله . وكتب عمر إلى سعد أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، ويسيرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب ، نجدة لأبي عبيدة فإنه محصور ، وكتب إليه أن يجهز جيشاً إلى أهل الجزيرة الذين مالوا الروم على حصار أبي عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض ابن غنم . فخرج الجيشان معاً من الكوفة ، القعقاع في أربعة آلاف نحو حمص لنجدة أبي عبيدة .

وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة ، فبلغ الجابية وقيل إنما بلغ سرع . قال ابن إسحاق ، وهو أشبه والله أعلم . فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم ، انشروا إلى بلادهم ، وفارقوا الروم ، وصحمت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جداً . وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهزمت الروم هزيمة فظيعة . وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الامداد إليهم بثلاث ليال . فكاتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله هل يدخلهم في القسم معهم مما أفاء الله عليهم ؟ فجاء الجواب بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فان العدو إنما ضعف وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم ، فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة . وقال عمر : جزى الله أهل الكوفة خيراً بحموتهم وحموتهم وحموتهم أهل الأمصار .

### فتح الجزيرة

قال ابن جرير : وفي هذه السنة فتحت الجزائر فيما قاله سيف بن عمر ، قال ابن جرير : في ذي الحجة من سنة سبع عشرة فوافق سيف بن عمر في كونها في هذه السنة . وقال ابن إسحاق : كان ذلك في سنة تسع عشرة . سار إليها عياض بن غنم . وفي صحبته أبو موسى الأشعري وعمر بن سعد ابن أبي وقاص ، وهو غلام صغير السن ليس إليه من الأمر شيء ، وعثمان بن أبي العاص . فزل الرها فصالح أهلها على الجزية ، وصالح حوران على ذلك . ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين ، وعمر بن سعد إلى رأس العين ، وسار بنفسه إلى دارا ، فافتتحت هذه البلدان ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية ، فكانت عندها شيء من قتال قتل فيه صفوان بن المعطل السلمى شهيداً . ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزية ، على كل أهل بيت دينار .

وقال سيف في روايته : جاء عبد الله بن عبد الله بن غسان فسلك على رجله حتى انتهى إلى الموصل فبهر إلى بلد حتى انتهى إلى نصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة . وبعث إلى عمر بن موسى النصارى من عرب أهل الجزيرة ، فقال لهم عمر : أدوا الجزية . فقالوا : أبلغنا ما مننا فوالله لئن وضعت علينا الجزية لتدخلن أرض الروم ، والله لتفضحننا من بين العرب . فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسكم ، وخالقتم أنفسكم ، والله لتؤدن الجزية وأنتم صغرة قننة ، ولئن هربتم إلى الروم لأنكتبن فيكم ، ثم لأنبينكم . قالوا : نخذ منا شيئاً ولا تسميه جزية . فقال : أما نحن فنسميه جزية ، وأما أنتم فسموه ما شئتم . فقال له علي بن أبي طالب : ألم يضعف عليهم سعد الصدقة ؟ قال : بلى : وأصغى إليه ورضى به منهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام فوصل إلى سرع

في قول محمد بن إسحاق ، وقال سيف : وصل إلى الجابية . قلت : والأشهر أنه وصل سريع ، وقد تلقاه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، إلى سريع فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاحتلوا عليه ، فمن قائل يقول : أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه . ومن قائل يقول : لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله (ص) على هذا الوباء . فيقال إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ! نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو هبطت وادياً ذا عدوتين إحداهما مخضبة والأخرى مجدبة ، فان رعيت الخضبة رعيتها بقدر الله ، وإن أنت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم قال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة .

قال ابن إسحاق في روايته وهو في صحيح البخاري : وكان عبد الرحمن بن عوف متغيباً في بعض شأنه ، فلما قدم قال : إن عندي من ذلك علماً ، سمعت رسول الله (ص) يقول : إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . فحمد الله عمر - يعني لكونه وافق رأيه - ورجع بالناس . وقال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا سفيان بن حسين بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد بن مالك بن أبي وقاص وخزينة بن ثابت وأسامة بن زيد قالوا : قال رسول الله (ص) « إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم قبلكم ، فاذا وقع بأرض أنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه » ، ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث سعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد عن سعد بن أبي وقاص به . قال سيف بن عمر : كان الوباء قد وقع بالشام في المحرم من هذه السنة ثم ارتفع ، وكان سيفاً يعتقد أن هذا الوباء هو طاعون عمواس ، الذي هلك فيه خلق من الأمراء ووجود المسلمين ، وليس الأمر كما زعم ، بل طاعون عمواس من السنة المستقبلية بعد هذه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى . وذكر سيف بن عمر أن أمير المؤمنين عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان ، ويזור الأمراء ، وينظر فيما اعتمدوه وما آثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة فن قائل يقول ابداً بالعراق ، ومن قائل يقول بالشام . فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم موارث من مات من المسلمين في طاعون عمواس ، فانه أشكل قسمها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك . وهذا يقتضي أن عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كانت الطاعون في سنة ثمانى عشرة كما سيأتى ، فهو قدوم آخر غير قدوم سريع . والله أعلم .

قال سيف بن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان قالوا : قال عمر : ضاعت موارث الناس بالشام أبداً بها فأقسم الموارث وأقيم لهم ما في نفسي ، ثم أرجع فأقلب في البلاد وأنبذ إليهم أمرى . قالوا : فأتى عمر الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع

عشرة ، ولم يدخلها في الأولى من الآخرين . وهذا يقتضى ما ذكرناه عن سيف أنه يقول بكون طاعون عمواس في سنة سبع عشرة . وقد خالفه محمد بن إسحاق وأبو معشر وغير واحد ، فذهبوا إلى أنه كان في سنة ثمانى عشرة . وفيه توفى أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان ، وغيرهم من الأعيان ، على ما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى .

### شيء من أخبار طاعون عمواس

الذى توفى فيه أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أشرف الصحابة وغيرهم .  
أورده ابن جرير في هذه السنة .

قال محمد بن إسحاق عن شعبة عن المختار بن عبد الله البجلي عن طارق بن شهاب البجلي . قال : أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنده فلما جلسنا قال : لا تحفوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تنزهوا عن هذه الترية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها ، حتى يرتفع هذا البلاء ، فإني سأخبركم بما يكره مما يتقى . من ذلك أن يظن من خرج أنه لو قام مات ، ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه ، فإما لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنه ، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس ، فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه : أن سلام عليك أما بعد فإنه قد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشافك بها ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابى هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلى : قال فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء فقال : يفر الله لأمر المؤمنين . ثم كتب إليه يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إلى ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فليست أريد فراقهم حتى يقضى الله فيّ وفيهم أمره وقضاه ، فخلني من عزمتك يا أمير المؤمنين ، ودعني في جندي . فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمانت أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأن قد . قال : ثم كتب إليه « سلام عليك أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة » قال أبو موسى : فلما أتاه كتابه دعاني فقال : يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى ، فأخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم ، فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت ، فرجعت إليه وقلت : والله لقد كان في أهلي حدث . فقال : لعل صاحبتك قد أصيبت ؟ قلت : نعم ، فأمر بيمير فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال : والله لقد أصبت ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية وفع عن الناس الوباء .

وقال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن شهر بن حوشب عن رابة - رجل من قومه - . وكان قد خلف على أمه بعد أبيه ، وكان قد شهد طاعون عمواس . قال : لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة في

الناس خطيياً فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه ، فظمن ، فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيباً بعده . فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمة بكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وإن معاذ يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظهم ، فظمن ابنه عبد الرحمن فمات ، ثم قام فدعا لنفسه فظمن في راحته فلقد رأيتُه ينظر إليها ثم يقلب<sup>(١)</sup> ظهر كفه ثم يقول : ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا . فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام فيهم خطيباً فقال أيها الناس ، إن هذا الوجع إذا وقع فأنما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا منه في الجبال . فقال أبو وائل الهذلي : كذبت والله لقد صحبت رسول الله (ص) ، وأنت شر من حماري هذا . فقال : والله ما أرد عليك ما تقول ، وأيم الله لا نقيم عليه . قال : ثم خرج وخرج الناس ففرقوا ودفعه الله عنهم . قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص فوالله ما كرهه . قال ابن إسحاق : ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ، أمر معاوية على جند دمشق وخراجها ، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا : لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلها وطل مكنه ، وفنى خلق كثير من الناس ، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك . قلت : ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم موارث الذين ماتوا لما أشكل أمرها على الأمراء ، وطابت قلوب الناس بقدومه ، وانقمت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام والله الحمد والمنة .

وقال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة ، قال : فلما أراد التفرغ إلى المدينة في ذي الحجة منها خطاب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا إني قد وليت عليكم وقضيت الذي علي في الذي ولائني الله من أمركم إن شاء الله ، فبسطنا بينكم فياًكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغناكم ما لدينا ، فجندينا لكم الجنود ، وهيأنا لكم العروج ، وبوأنا لكم ، ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤمكم وما قاتلتم عليه من شامكم ، وصمينا لكم أطعماتكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم . فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال وحضرت الصلاة فقال الناس : لو أمرت بلالا فأذن ؟ فأمره فأذن فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله (ص) . وبلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته ، وعمر أشدهم بكاء ، وبكى من لم يسر به لبعائهم ولذ كره (ص) . وذاكر ابن جرير في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد أن عمر بن الخطاب

(١) كذا بالنسختين . وفي الطبري : يقبل .



بعث ينكر على خالد بن الوليد في دخوله إلى الحمام، وتدلّكه بعد النورة بعصفر معجون بخمر، فقال في كتابه: إن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه، كما حرم ظاهر الاثم وباطنه، وقد حرم مس الخمر فلا تمسوها أجسامكم فانها نجس، فان فعلتم فلا تودوا. فكتب إليه خالد: إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: إني أظن أن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فانتهى لذلك.

قال سيف: وأصاب أهل البعرة تلك السنة طاعون أيضاً فمات بشر كثير وجم غفير، رحمهم الله ورضى الله عنهم أجمعين، قالوا: وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهله إلى الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة. فقال المهاجر بن خالد في ذلك.

من يسكن الشام يعرض به \* والشام إن لم يفننا كرب  
أفنى بني ربيعة فرساتهم \* عشرون لم يقصص لهم شارب  
ومن بني أعمامهم مثلهم \* لمثل هذا يعجب العاجب  
طعننا وطاعونا منايام \* ذلك ما خط لنا الكاتب

### كائنة غريبة فيها عزل خالد عن قنسرين أيضاً

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أدرج خالد بن الوليد وعياض بن غنم، أي سلكا درب الروم وأغاروا عليهم، فغنموا أموالاً عظيمة وسبياً كثيراً. ثم روى من طريق سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع وأبي المجالد. قالوا: لما رجع خالد ومعه أموال جزيلة من الصائفة اتجعه الناس يبتغون رفته ونائله، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويكشف عمامته وينزع عنه قلنسوته ويقيده بعمامة ويسأله عن هذه العشرة آلاف، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة ثم اعزله عن عمله. فطلب أبو عبيدة خالداً وصعد أبو عبيدة المنبر، وأقيم خالد بين يدي المنبر، وقام إليه بلال ففعل ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريد الذي قدم بالكتاب. هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره وإرادته، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك. ثم سار خالد إلى قنسرين فخطب أهل البلد وودعهم، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضاً وودعهم وسار إلى المدينة، فلما دخل خالد على عمر أنشد عمر قول الشاعر

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع \* وما يصنع الأرقام فأنه صانع

ثم سأله من أين هذا اليسار الذي تميز منه بعشرة آلاف؟ فقال: من الأنفال والسهمان. قال:

فازاد على الستين ألفاً فلك ، ثم قوم أهواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال : والله إنك على لكريم ، وإنك إلى حبيب ، ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء .

وقال سيف عن عبد الله عن المستورد عن أبيه عن عدى بن سهل . قال : كتب عمر إلى الأمصار : إني لم أعزل خالداً عن سخطه ولا خيانه ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع . ثم رواه سيف عن بشر بن سالم قال : لما قدم خالد على عمر فذكر مثله . قال الواقدي : وفي هذه السنة اعتمر عمر في رجب منها ، وعمر في المسجد الحرام وأمر بتجديد أنصاب الحرم ، أمر بذلك لمحرمته بن نوفل ، وأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وسعيد بن يربوع . قال الواقدي : وحدثني كثير بن عبد الله المري عن أبيه عن جده قال : قدم عمر مكة في عمرة سنة سبع عشرة ، فر في الطريق فكلمه أهل المياه أن يبنا منازل بين مكة والمدينة - ولم يكن قبل ذلك بناء - فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء .

قال الواقدي : وفيها تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، من فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ودخل بها في ذي القعدة . وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجها بها وأنه أمرها أربعين ألفاً ، وقال إنما تزوجتها لقول رسول الله (ص) ، « كل سبب ونسب فانه ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » قال : وفي هذه السنة ولي عمر أبا موسى الأشعري البصرة ، وأمه أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول ، فشد عليه فيما حدثني معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب : أ - بكرة ، وشبل بن معبد البجلي ، ونافع بن عبيد ، وزياد . ثم ذكر الواقدي وسيف هذه القصة وملخصها : أن امرأة كان يقال لها أم جميل بنت الاقتم ، من نساء بني عامر بن صعصعة ، ويقال من نساء بني هلال . وكان زوجها من ثقيف قد توفي عنها ، وكانت تغشى نساء الأمراء والأشراف ، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شعبة وهو أمير البصرة ، وكانت دار المغيرة تجاه دار أبي بكرة ، وكان بينهما الطريق ، وفي دار أبي بكرة كوة تشرف على كوة في دار المغيرة ، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبي بكرة شبان . فبينما أبو بكرة في داره وعنده جماعة يتحدثون في العلية ، إذ فتحت الريح باب الكوة ، فقام أبو بكرة ليغلقها ، فاذا كوة المغيرة مفتوحة ، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجلها ، وهو يجامعها ، فقال أبو بكرة لأصحابه : تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأم جميل . فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة ، فقالوا لأبي بكرة : ومن أين قلت إنها أم جميل ؟ - وكان رأسها من الجانب الآخر . - فقال : انتظروا ، فلما فرغتم المرأة فقال أبو بكرة : هذه أم جميل . ففروها فيما يظنون . فلما خرج المغيرة - وقد اغتسل - ليصلي بالناس منعه أبو بكرة أن يتقدم . وكتبوا إلى عمر في ذلك ، فولى عمر أبا موسى الأشعري أميراً على البصرة . وعزل المغيرة ، فسار إلى البصرة فقتل

البرد . فقال المغيرة : والله ما جاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً ولا جاء إلا أميراً . ثم قدم أبو موسى على الناس وناول المغيرة كتاباً من عمر هو أوجز كتاب فيه «أما بعد فإنه بلغني نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فلم مافي يدك والعجل» وكتب إلى أهل البصرة : إني قد وليت عليكم أبا موسى ليأخذ من من قويمكم لضعيفكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن دينكم وليجبي لكم فياكم ثم ليقسمه بينكم . وأهدى المغيرة لأبي موسى جارية من مولدات الطائف تسمى عقيلة وقال : إني رضيتهالك ، وكانت فارهة . وارتمل المغيرة والذين شهدوا عليه وهم أبو بكر ، ونافع بن كلثة ، وزياذ بن أمية ، وشبل بن معبد البجلي . فلما قدموا على عمر جمع بينهم وبين المغيرة . فقال المغيرة : سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني ؟ مستقبلهم أو مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها ، فإن كانوا مستقبلي فكيف لم يستروا ؟ أو مستدبري فكيف استحلوا النظر في منزلي على امرأتي ؟ والله ما أتيت إلا امرأتى وكانت تشبهها . فبدأ عمر بأبي بكر فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالليل في المكحلة ، قال : كيف رأيتهما ؟ قال : مستدبرهما . قال : فكيف استبنت رأسها قال : تحاملت . ثم دعا شبل ابن معبد فشهد بمثل ذلك ، فقال استقبالتهما أم استدبرتهما ؟ قال : استقبالتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكر ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال : رأيته جالسا بين رجلي امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان وأستين مكشوفتين ، وسمعت حفزاناً شديداً . قال : هل رأيت كالليل في المكحلة ؟ قال : لا . قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولكن أشبهها . قال : ففتح . وروى أن عمر رضى الله عنه كبر عند ذلك ثم أمر بالثلاثة فجلدوا . الحد وهو يقرأ قوله تعالى [ فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ] فقال المغيرة : اشفني من الأعبد . قال : أسكت أسكت الله فاك ، والله لو تمت الشهادة لرجنك بأحجارك

### فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري

قال ابن جرير : كان في هذه السنة ، وقيل : في سنة ست عشرة . ثم روى من طريق سيف عن شيوخه أن الهرمزان كان قد تغلب على هذه الأقاليم وكان ممن فر يوم القادسية من الفرس ، فجهز أبو موسى من البصرة ، وعتبة بن غزوان من الكوفة جيشين لقتاله ، فنصرهم الله عليه ، وأخذوا منه ما بين دجلة إلى دجيل ، وغنموا من جيشه ما أرادوا ، وقتلوا من أرادوا ، ثم صانعهم وطلب مصالحهم عن بقية بلاده ، فشاورا في ذلك عتبة بن غزوان فصالحه ، وبعث بالأخماس والبشارة إلى عمر ، وبعث وقدأ فيهم الأحنف بن قيس . فأعجب عمر به وحظي عنده . وكتب إلى عتبة بوصيه به ويأمره بمشاورته والاستعانة برأيه . ثم نقض الهرمزان العهد والصلح ، واستعان بطائفة من الأكراد ، وغرته نفسه ، وحسن له الشيطان عمله في ذلك . فبرز إليه المسلمون فنصروا عليه وقتلوا من جيشه جا

غفيراً ، وخلقاً كثيراً ، وجمعاً عظيماً ، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى سمر ، فتحصن بها ، وبعثوا إلى عمر بذلك . وقد قال الأسود بن سريع في ذلك - وكان صحابياً رضى الله عنه - .

لعمرك ما أضاع بنو أينا \* ولكن حافظوا فيمن يطيعوا

أطاعوا ربهم وعصاه قوم \* أضاعوا أمره فيمن يضيع

مجوس لا يئنها كتاب \* فلاقوا كبة فيها قبوع

وولى الهرمزان على جواد \* سريع الشد يثفنه الجميع

وخلى سرّة الأهواز كرهاً \* غداة الجسر إذ نجم الربيع

وقال حرقوص بن زهير السعدي وكان صحابياً أيضاً :

غلبنا الهرمزان على بلاد \* لها في كل ناحية ذخائر

سواء برهم والبحر فيها \* إذا صارت نواحيها بواكر

لها بجزر يهيج بجانبه \* جعافر لا يزال لها زواجر

### فتح تستر المرة الأولى صلحاً

قال ابن جرير : كان ذلك في هذه السنة في قول سيف وروايته . وقال غيره : في سنة ست عشرة وقال غيره : كانت في سنة تسع عشرة . ثم قال ابن جرير : ذكر الخبر عن فتحها ، ثم ساق من طريق سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وقالوا : ولما افتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز ، وفر الهرمزان بين يديه ، فبعث في إثره جزء بن معاوية - وذلك عن كتاب عمر بذلك - فما زال جزء يتبعه حتى انتهى إلى رامهرمز فتحصن الهرمزان في بلادها ، وأعجز جزءاً تطلبه ، واستحوذ جزء على تلك البلاد والأقاليم والأراضي ، فغضب الجزية على أهلها ، وعمر عامرها ، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها : فصارت في غاية العماره والجودة . ولما رأى الهرمزان ضيق بلاده عليه لمجاورة المسلمين ، طلب من جزء بن معاوية المصالحة ، فكتب إلى حرقوص ، فكتب حرقوص إلى عتبة بن غزوان ، وكتب عتبة إلى عمر في ذلك . فجاء الكتاب العمري بالمصالحة على رامهرمز ، وتستر ، وجند سابور ، ومدائن أخر مع ذلك . فوقع الصلح على ذلك كما أمر به عمر رضى الله عنه .

### ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين

عن ابن جرير عن سيف

، وذلك أن العلاء بن الحضرمي كان على البحرين في أيام الصديق ، فلما كان عمر عزله عنها وولاهها

لقدامة بن مظعون . ثم أعاد العلاء بن الحضرمي إليها . وكان العلاء بن الحضرمي يبارى سعد بن أبي

وقاص . فلما افتتح سعد القادسية ، وأزاح كبرى عن داره ، وأخذ حدود مايلي السواد ، واستعلى

وجاء بأعظم مما جاء به العلاء بن الحضرمي من ناحية البحرين . فأحب العلاء أن يفعل فعلا في فارس نظير ما فعله سعد فيهم ، فندب الناس إلى حربهم ، فاستجاب له أهل بلاده : فجزأهم أجزاء ، فعلى فرقة الجرود بن المعلى ، وعلى الأخرى السوار بن همام ، وعلى الأخرى خليل بن المنذر بن ساوى ، وخنيد هو أمير الجماعة . فحملهم في البحر إلى فارس ، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك - وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله ص . وأبا بكر ما أغزيا فيه المسلمين - فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا من عند اصطخر فحالت فارس بينهم وبين ستمهم ، فقام في الناس خليل بن المنذر فقال : أيها الناس ، إنما أراد هؤلاء التوم بصنيتهم هذا محاربتكم ، وأنتم جئتم لمحاربتهم ، فاستعينوا بالله وقاتلوهم ، فاتما الأرض والسفن لمن غلب ، واستعينوا بالصبر والصلاة وإتيها لكبيرة إلا على الخاشعين فأجابوا إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقبلوا قتلا شديداً في مكان من الأرض يدعى طاوس ، ثم أمر خليل المسلمين فترجلوا وقاتلوا فصبروا ، ثم ظفروا فقتلوا فارس مقتلاً لم يقتلوا قبلها مثلاً . ثم خرجوا يريدون البصرة ففرقت بهم ستمهم ، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً ووجدوا شريك في أهل اصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطارق ، فمكروا وامتنعوا من العدو . ولما بلغ عمر ما ص العلاء بن الحضرمي ، أشد غضبه عليه ، وبعث إليه فعزله وتوعده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجود إليه . فقال : الحق بسعد بن أبي وقاص | نخرج العلاء إلى سعد بن أبي وقاص (٢) | مضافاً إليه ، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فأقطعهم أهل فارس وعصاتي ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم إن لا ينصروا ، أن يغلبوا وينشبوا ، فاندب إليهم الناس واضعهم إليك من قبل أن يجتاحوا . فندب عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك ، فاندب جماعة من الأمراء الأبطال ، منهم هاشم بن أبي وقاص ، وعاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هرثة ، وحذيفة بن محصن ، والأخنف بن قيس ، وغيرهم ، في اثني عشر ألفاً . وعلى الجميع أبو سبرة بن أبي رهم . فخرجوا على البغال يجنبون الخيل سراعاً ، فساروا على الساحل لا يلقون أحداً حتى انتهوا إلى موضع الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء ، وبين أهل فارس بالمكان المسمى بطاوس ، وإذا خليل بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب ، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه ، وقد تكاملت أمداد المشركين ، ولم يبق إلا القتال . فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم ، فالتقوا مع المشركين رأساً ، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة ، وقتل منهم مائة عظيمة جداً ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة باهرة ، واستنقذ خليداً ومن معه من المسلمين من أيديهم ، وأعز به الإسلام وأهله ، ودفع

(١) بياض بالنسخة المصرية . (٢) زيادة بالمصرية عن محمود الامام .

الشرك وذله والله الحمد والمنة ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان إلى البصرة .  
ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية ، استأذن عمر في الحج فأذن له فسار إلى الحج واستخلف  
على البصرة أبا سبرة بن أبي رهم ، واجتمع بعمر في الموسم ، وسأله أن يقيله فلم يفعل ، وأقسم عليه  
ليرجع إلى ٦ . فدعا عتبة الله عز وجل فمات ببطن نخلة ، وهو منصرف من الحج ، فتأثر عليه عمر  
وأثنى عليه خيراً ، وولى بعده بالبصرة المغيرة بن شعبة ، فوليها بقية تلك السنة والتي تليها ، لم يقع  
في زمانه حدث ، وكان مرزوق السلامة في عمله . ثم وقع الكلام في تلك المرأة من أبي بكره فكان  
من أمره ما قدمنا . ثم بعث إليها أبا موسى الأشعري واليا عليها رضي الله عنهم .

### ذكر فتح تستر ثانية وأسر الهرمزان وبعثه إلى عمر بن الخطاب

قال ابن جرير : كان ذلك في هذه السنة في رواية سيف بن عمر التميمي . وكان سبب ذلك أن  
بزجرذ كان يحرص أهل فارس في كل وقت ويؤنبهم بملك العرب بلادهم وقصدهم إياهم في حضورهم  
فكتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحركوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين ، وأن يقصدوا  
البصرة . وبلغ الخبر إلى عمر ، فكتب إلى سعد - وهو بالكوفة - أن ابعث جيشاً كثيفاً إلى  
الأهواز مع النعمان بن مقرن وعجل وليكونوا بازاء الهرمزان ، وسمى رجلاً من الشجعان الأعيان الأمراء  
يكونون في هذا الجيش ، منهم جرير بن عبد الله البجلي ، وجرير بن عبد الله الحميري ، والنعمان بن  
مقرن ، وسويد بن مقرن : وعبد الله بن ذى السهمين . وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة أن  
ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهيل بن عدي ، وليكن معه البراء بن مالك ، وعاصم  
ابن عمرو ، ومجزأة بن ثور ، وكعب بن ثور ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن  
سهل ، والحصين بن معبد . وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم ، وعلى  
كل من أتاه من المدد . قالوا : فسار النعمان بن مقرن بجيش الكوفة فسبق البصريين فأنهى إلى  
رامهرمز وبها الهرمزان ، فخرج إليه الهرمزان في جنده ونقض العهد بينه وبين المسلمين ، فبادره طمعاً  
أن يقتطعه قبل مجيئ أصحابه من أهل البصرة رجاء أن ينصر أهل فارس ، فالتقى معه النعمان بن مقرن  
بأربل ، فاقتتلا قتلاً شديداً ، فهزم الهرمزان وفر إلى تستر ، وترك رامهرمز فتسلها النعمان عنوة وأخذ  
ما فيها من الخواصل والذخائر والسلاح والعدد . فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون  
بالهرمزان وأنه فر فلجأ إلى تستر ، ساروا إليها ولحقهم أهل الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً ،  
وعلى الجميع أبو سبرة [ فوجدوا الهرمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً . وكتبوا إلى عمر  
في ذلك وسألوه أن يمدم ، فكتب إلى أبي موسى أن يسير إليهم . فسار إليهم - وكان أمير أهل

البصرة واستمر أبو سبرة [ (١) على الأمانة على جميع أهل الكوفة والبصرة ، فحاصرهم أشهراً وكثر القتال من الفريقين ، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك ، وكذلك فعل كعب بن ثور ، ومجزأة بن ثور ، وأبو يمامة (٢) وغيرهم من أهل البصرة ، وكذلك أهل الكوفة قتل منهم جماعة مائة مبارزة كحبيب بن قررة ، وربيع بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود وقد تراحفوا أياماً متعددة ، حتى إذا كان في آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك - وكان يجاب الدعوة - : يبراء أقسم على ربك ليهزمهم لنا . فقال : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدني قال : فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم ، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به ، وقد ضاقت بهم البلد ، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمنه ، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد ، وهو من مدخل الماء إليها ، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فانتدب رجال من الشجعان والأبطال ، وجاؤا فدخلوا مع الماء - كالبط - إلى البلد ، وذلك في الليل ، فيقال كان أول من دخلها عبد الله بن مغفل المزني ، وجاؤا إلى البوابين فأناموهم وفتحوا الأبواب ، وكبر المسلمون فدخلوا البلد ، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعالى النهار ، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس [ كما حكاه البخاري عن أنس بن مالك قال : شهدت فتح تستر ، وذلك عند صلاة الفجر ، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس ] (٣) فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمر النعم . احتج بذلك البخاري لمكحول والأوزاعي في ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعذر القتال . وجنح إليه البخاري واستدل بقصة الخندق في قوله عليه السلام « شغلونا عن الصلاة الوسطى ملاً الله قبورهم وبيوتهم ناراً » وبقوله يوم بني قريظة « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بي قريظة » فأخرها فريق من الناس إلى بعد غروب الشمس ، ولم يعنفهم ، وقد تكلمنا على ذلك في غزوة الفتح

والمقصود أن الهرمزان لما فتحت البلد لجأ إلى القلعة فتبعه جماعة من الأبطال ممن ذكرنا وغيرهم فلما حصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تلافه أو تلافهم ، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور رحمهما الله : إن معي جعبة فيها مائة سهم ، وإنه لا يتقدم إلى أحد منكم إلا رميته بسهم قتلته ، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم ، فإذا ينفعكم إن أسرتوني بعد ما قتلت منكم مائة رجل ؟ قالوا : فإذا تريد ؟ قال : تؤمنوني حتى أسلمكم يدي فذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فحكم في بما يشاء . فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونشابه وأسرده فشدوه وثاقاً وأرصدوه ليعتوه إلى أمير

(١) لم ترد في المصرية . (٢) كذا في الحلبية . وفي المصرية : وأبو عتبة . وفي الطبري

أبو تيمية (٣) لم ترد في الحلبية .

المؤمنين عمر، ثم تسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاقسموا أربعة أخماسه فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم.

### فتح السوس

ثم ركب أبو سبرة في طائفة من الجيش ومعه أبو موسى الأشعري والنعمان بن مقرن، واستصحبوا معهم الهرمزان، وساروا في طلب المنبزمين من الفرس حتى نزلوا على السوس، فأحاطوا بها. وكتب أبو سبرة إلى عمر فجاء الكتاب بأن يرجع أبو موسى إلى البصرة، وأمر عمر زر بن عبد الله بن كليب العتيبي - وهو صحابي - أن يسير إلى جند سابور، فارس. ثم بعث أبو سبرة بالخمسة وبالهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس، فلما اقتربوا من المدينة هيوا الهرمزان بلبسه الذي كان يلبسه من الدياتج والذهب المكمل بالياقوت واللاقي. ثم دخلوا المدينة وهو كذلك فتيتموا به منزل أمير المؤمنين، فسألوا عنه فقالوا: إنه ذهب إلى المسجد بسبب وفد من الكوفة. فجاءوا المسجد فلم يروا أحداً فرجعوا، فاذا غلمان يلعبون فسألوهم عنه فقالوا: إنه نائم في المسجد متوسداً برنساء له. فرجعوا إلى المسجد فاذا هو متوسد برنساء له كان قد لبسه للوفد، فلما انصرفوا عنه توسد البرنس ونام وليس في المسجد غير ذلك، والدرّة معلقة في يده. فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا. وجعل الناس يخفضون أصواتهم لئلا ينفهوا، وجعل الهرمزان يقول: وأين حجابي؟ أين حرسه؟ فقالوا: ليس له حجاب ولا حرس، ولا كاتب ولا ديوان. فقال: ينبغي أن يكون نبياً. فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء. وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً، ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم. فتأمل وتأمل ما عليه ثم قال: أعود بالله من النار وأستعين بالله. ثم قال: الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشياءه، يامعشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدى نبيكم، ولا تبطنكم الدنيا فانها غدارة. فقال له الوفد: هذا ملك الأهواز فكلمه. فقال: لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء. ففعلوا ذلك والبسوه ثوباً صفيقاً، فقال عمر: يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر: أنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فقلبتناكم، اذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا. فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتنا. ثم قال: ما عذرك وما حجتك في انقضائك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك. قال: لا تخف ذلك. فاستقى الهرمزان ماء فأتى به في قدح | غليظ، فقال: لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في هذا. فأتى به في قدح | آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد، وقال: إني أخاف أن يقتل وأنا أشرب. فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه فأكفاه. فقال عمر:



أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش . فقال : لا حاجة لي في الماء ، إنما أردت أن أستأنس به . فقال له عمر : إني قاتلك ، فقال انك أمنتني . قال : كذبت ، فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ويحك يا أنس أنا أو من من قتل مجزأة والبراء ؟ لتأتيني بمخرج والا عاقبتك ، قال : قلت لا بأس عليك حتى تخبرني . وقلت لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك . فأقبل على الهرمزان فقال : خدعتني والله لا أنخدع إلا أن تسلم . فأسلم ففرض له في ألفين وأنزله المدينة . وفي رواية أن الترجمان بين عمر وبين الهرمزان كان المغيرة بن شعبه ، فقال له عمر : قل له من أي أرض أنت ؟ قال مهرجاني . قال : تكلم بمجنتك . فقال : أ كلام حي أم ميت ؟ قال : بل كلام حي . فقال قد أمنتني ، فقال خدعتني ولا أقبل ذلك إلا أن تسلم . فأسلم ففرض له في ألفين وأنزله المدينة . ثم جاء زيد فترجم بينهما أيضاً .

قلت : وقد حسن إسلام الهرمزان وكان لا يفارق عمر حتى قتل عمر فاتهمه بعض الناس بممالة أبي لؤلؤة هو وجفينة ، فقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان وجفينة على ما سيأتي تفصيله . وقد روينا أن الهرمزان لما علاه عبيد الله بالسيف قال : لا إله إلا الله . وأما جفينة فصلب على وجهه .

والمقصود أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسعوا في بلاد العجم خوفاً عليهم من العجم ، حتى أشار عليه الأحنف بن قيس بأن المصلحة تقتضي توسعهم في الفتوحات فان الملك يزدجرد لا يزال يستحثهم على قتال المسلمين ، وإن لم يستأصل شأو العجم وإلا طمعوا في الاسلام وأهله ، فاستحسن عمر ذلك منه وصوبه . وأذن للمسلمين في التوسع في بلاد العجم ، ففتحوا بسبب ذلك شيئاً كثيراً ، والله الحمد . وأكثر ذلك وقع في سنة ثمانى عشرة كما سيأتي بيانه فيها .

ثم تعود إلى فتح السوس وجند سابور وفتح نهاوند في قول سيف . كان قد تقدم أن أبا سبرة سار بن معه من علية الأمراء من تستر إلى السوس ، فنازلها حيناً وقتل من الفريقين خلق كثير ، فأشرف عليه علماء أهلها فقالوا : يا معشر المسلمين لا تتبعوا في حصار هذا البلد فانا نأثر فيما نرويه عن قدامنا من أهل هذا البلد أنه لا يفتح إلا الدجال أو قوم معهم الدجال ، واتفق أنه كان في جيش أبي موسى الأشعري صاف بن صياد ، فأرسله أبو موسى فيمن يحاصره ، فجاء إلى الباب فدقه برجله فتقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، ودخل المسلمون البلد فقتلوا من وجدوا حتى نادوا بالامان ودعوا إلى الصلح فأجابوهم إلى ذلك ، وكان على السوس شهر يار أخو الهرمزان ، فاستحوذ المسلمون على السوس ، وهو بلد قديم العمارة في الأرض يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض والله أعلم . وذكر ابن جرير أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس ، وأن أبا موسى لما قدم بها بعد مضي أبي سبرة

إلى جندي ساور ، كتب الى عمر في أمره فكتب اليه أن يدفنه وأن يغيب عن الناس موضع قبره ،  
فعل . وقد بسطنا ذلك في سيرة عمر والله الحمد .

قال ابن جرير : وقال بعضهم ان فتح السوس ورامهرز وتسيير الهرمزان من تستر إلى عمر في سنة  
عشرين والله أعلم وكان الكتاب العمري قد ورد بأن النعمان بن مقرن يذهب إلى أهل نهاوند فسار  
إليها فرمها - بلدة كبيرة قبلها - فافتتحها ثم ذهب إلى نهاوند ففتحها والله الحمد .

قلت : المشهور أن فتح نهاوند إنما وقع في سنة إحدى وعشرين كما سيأتي فيها بيان ذلك ، وهي وقعة  
عظيمة وفتح كبير ، وخبر غريب ونبا عجيب ، وفتح زر بن عبد الله القتيبي مدينة جندي ساور (١)  
فاستوثقت تلك البلاد للمسلمين . هذا وقد تحول يزدجرد من بلد إلى بلد ، حتى انتهى أمره إلى  
الإقامة بأصبهان ، وقد كان صرف طائفة من أشرف أصحابه قريبا من ثلاثمائة من العطاء عليهم رجل  
يقال له سياه ، فكانوا يفرون من المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تستر واصطخر ، فقال سياه  
لأصحابه : إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أما كن الملوك الأقدمين ، ولا يلقون جنداً إلا كسروه ،  
والله ما هذا عن باطل . - ودخل في قلبه الاسلام وعظمته - فقالوا له : نحن تبع لك . وبعث عمار  
ابن ياسر في غضون ذلك يدعوهم إلى الله ، فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري باسلامهم [ وكتب فيهم  
إلى عمر في ذلك ، فأمره أن يفرض لهم في ألفين ألفين ، وفرض لستة منهم في ألفين وخمسمائة ،  
وحسن إسلامهم ] (٢) وكان لهم نكايه عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصناً  
فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بدم ، فلما نظروا إليه حسبوا  
أنه منهم ، ففتحوا إليه باب الحصن ليأروه فثار إلى البواب فقتله ، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك  
الحصن ، وقتلوا من فيه من الجوس . إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدي من يشاء إلى  
صراط مستقيم .

وذكر ابن جرير أن عمر بن الخطاب عقد الألوية والرايات الكبيرة في بلاد خراسان والعراق  
لغزو فارس والتوسع في بلادهم كما أشار عليه بذلك الأحنف بن قيس ، فحصل بسبب ذلك فتوحات  
كثيرة في السنة المستقبلية بعدها كما سنينه ونبه عليه والله الحمد والمنة .

قال : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم ذكر نوابه على البلاد ، وهم  
من ذكر في السنة قبلها غير المغيرة فان على البصرة بدله أبو موسى الأشعري .  
قلت : وقد توفي في هذه السنة أقوام قبيل إنهم توفوا قبلها وقد ذكرناهم ، وقيل فيما بعدها  
وسياتي ذكرهم في أما كنهم والله تعالى أعلم .

(١) في النسختين « جند ساور بدون ياء . والتصحيح من الطبري (٢) لم ترد في الحلبية .

## ثم دخلت سنة ثمانى عشرة

المشهور الذى عليه الجمهور ان طاعون عمواس كان بها ، وقد تبعنا قول سيف بن عمر وابن جرير فى إيراد ذلك فى السنة التى قبلها ، لكننا نذكر وفاة من مات فى الطاعون فى هذه السنة إن شاء الله تعالى ، قال ابن إسحاق ، وأبو معشر : كان فى هذه السنة طاعون عمواس وعام الرمادة ، فتفانى فيها الناس . قلت : كان فى عام الرمادة جذب عم أرض الحجاز ، وجاع الناس جوعاً شديداً . وقد بسطنا القول فى ذلك فى سيرة عمر . وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد . وقيل : لأنها تسفى الريح تراباً كالرماد . ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم . وقد أجذبت الناس فى هذه السنة بأرض الحجاز ، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلاجأوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده ، وألزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس ، فكان فى زمن الخصب يبيث له الخبز باللبن والسمن ، ثم كان عام الرمادة يبيث له بالزيت والخل ، وكان يستمرى الزيت . وكان لا يشبع مع ذلك ، فاسود لون عمر رضى الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف . واستمر هذا الحال فى الناس تسعة أشهر ، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة وانشر الناس عن المدينة إلى أماكنهم .

قال الشافعى : بلغنى أن رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة : لقد انجلت عنك ولانك لابن حرة . أى واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنيت إليهم . وقد روينا أن عمر عس المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك ، ولا يتحدث الناس فى منازلهم على العادة ، ولم ير سائلاً يسأل ، فسأل عن سبب ذلك فقيل له : يا أمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال ، والناس فى هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون . فكتب عمر إلى أبى موسى بالبصرة أن ياغوثاه لأمة محمد . وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن ياغوثاه لأمة محمد . فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الاطعمات ، ووصلت ميرة عمرو فى البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة . وهذا الأثر جيد الاسناد ، لكن ذكر عمرو بن العاص فى عام الرمادة مشكلاً ، فان مصر لم تكن فتحت فى سنة ثمانى عشرة ، فاما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثمانى عشرة ، أو يكون ذكر عمرو بن العاص فى عام الرمادة وهم والله أعلم .

وذكر سيف عن شيوخه أن أبى عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً ، فأمره عمر بتفريقها فى الأحياء حول المدينة ، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها ، فلاح عليه عمر حتى قبلها .

وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة ، وأول سنة ثمانى عشرة ، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس ، حتى جعلت الوحش تأوى إلى الانس ، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال : أنا رسول رسول الله إليك ، يقول لك رسول الله (س) « لقد عهدتكم كيباً ، وما زلت على ذلك (١) ، فما شأنك » ؟ قال : متى رأيت هذا ؟ قال : البارحة . نخرج فنأدى في الناس الصلاة جامعة ، فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال : أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى أمراً غيره خير منه ؟ فقالوا : اللهم لا ، فقال : إن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية . قالوا : صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين . فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر : الله أكبر ، بلغ البلاء مدته فانكشف . ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء . وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغثوا أهل المدينة ومن حولها ، فإنه قد بلغ جهدهم . وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشياً ، فخطب وأوجز وصلى ثم جثى لركبتيه وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا . ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا النهران .

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلاً من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شىء . فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها حمر فقال يا محمداه . فلما أمسى أرى في المنام أن رسول الله (س) يقول له : « أبشر بالحياة ، إيت عمر فأقره منى السلام وقل له إن عهدى بك وفى العهد شديد العقد ، فالكيس الكيس يا عمر » ، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لعلامة استأذن لرسول رسول الله (س) . فأتى عمر فأخبره ففرغ ثم صعد عمر المنبر فقال للناس أنشدكم الله الذى هداكم للإسلام هل رأيتم منى شيئاً تكرهونه ؟ فقالوا : اللهم لا ، وعم ذاك ؟ فأخبرهم بقول المزني - وهو بلال بن الحارث - ففطنوا ولم يفتنوا . فقالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا . فنأدى في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال : اللهم عجرت عنا أنصارتنا ، وعجز عنا حولنا وقوتنا ، وعجرت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اسقنا وأحى العباد والبلاد .

وقال الخافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي (س) ،

(١) في الطبرى : فما زالت علمها .

فقال : يا رسول الله استسقى الله لأمنك فانهم قد هلكوا . فأباه رسول الله (ص) ، في المنام فقال : إيت  
عمر فأقره مني السلام واخبرهم أنهم مسقون ، وقل له عليك بالكيس الكيس . فأتى الرجل فأخبر  
عمر فقال : يارب ما آلوا إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح

وقال الطبراني : حدثنا أبو مسلم الكشي حدثنا أبو محمد الأنصاري ثنا أبي عن ثمامة بن عبد الله  
ابن أنس ، عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى يقول : اللهم إنا كنا إذا  
قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا (ص) . وقد رواه البخاري  
عن الحسن بن محمد عن محمد بن عبد الله به ولفظه «عن أنس أن عمر كان إذا قحطوا يستسقى بالعباس  
ابن عبد المطاب فيقول : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا  
فاسقنا . قال : فيسقون . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا - في كتاب المطر وفي كتاب مجابى الدعوة - حدثنا  
أبو بكر النيسابوري ثنا عطاء بن مسلم عن العمري عن خوات بن جبير قال : خرج عمر يستسقى بهم  
فصلى ركعتين فقال : اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك فما برح من مكانه حتى مطروا فقدم أعراب  
فقالوا : يا أمير المؤمنين بينا نحن في وادينا في ساعة كذا إذ أظلتنا غمامة فسمعنا منها صوتاً : أتاك  
الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أبا حفص . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان  
عن مطرف بن طريف عن الشعبي قال : خرج عمر يستسقى بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع  
فقالوا يا أمير المؤمنين ما تراك استسقيت . فقال : لقد طلبت المطر بمحاديح السماء التي يستنزل بها  
المطر ثم قرأ [ استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ] ثم قرأ [ وأن استغفروا ربكم  
ثم توبوا إليه ] الآية .

وذكر ابن جرير في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد والربيع وأبي عثمان  
وأبي حارثة وعن عبد الله بن شبرمة عن الشعبي قالوا : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفرأ  
من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار وأبو جندل بن سهل ، فسألناهم فقالوا : خيرنا فاخترنا .  
قال فهل أنتم منتهون ؟ ولم يعزم . فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم ، وأن المعنى : فهل أنتم منتهون  
أى انتهوا . وأجمعوا على جلدهم ثمانين ثمانين . وأن من تأول هذا التأويل وأصر عليه يقتل .  
فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم فسلمهم عن الخمر فإن قالوا هي حلال فاقبلهم ، وإن قالوا هي  
حرام فاجلدهم . فاعترف القوم بتحريرها ، فجلدوا الحد وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تألوه ،  
حتى وسوس أبو جندل في نفسه ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك لموسأله أن يكتب إلى أبي  
جندل ويذكره ، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك ، من عمر إلى أبي جندل ، إن الله لا يفر  
أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فتب وارفع رأسك وبرز ولا تقنط فان الله تعالى يقول

[قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم] وكتب عمر إلى الناس : إن عليكم أنفسكم ومن غير فقيروا عليه ، ولا تعيروا أحداً فيفسو فيكم البلاء ، وقد قال أبو الزهراء القشيري في ذلك .

ألم تر أن الدهرَ يعثرُ بالفتى \* وليس على صرفِ المنونِ بقادرِ  
صبرتُ ولم أجزعْ وقد ماتَ إخوتي \* ولستُ عن الصبابةِ يوماً بصابرِ  
رماها أميرُ المؤمنينَ بحتفها \* فخلانها يبكونَ حولَ المقاصرِ

قال الواقدي وغيره : وفي هذه السنة في ذي الحجة منها حول عمر المقام - وكان ملصقا بجدار الكعبة - فأخره إلى حيث هو الآن لثلاثين المصلون عنده على الطائفين . قلت : قد ذكرت أسانيد ذلك في سيرة عمر والله الحمد والمنة \* قال : وفيها استقضى عمر شريحا على الكوفة ، وكعب ابن سور على البصرة [ قال وفيها حج عمر بالناس وكانت نوابه فيها الذين تقدم ذكرهم في السنة الماضية ]<sup>(1)</sup> وفيها فتحت الرقة والرها وحران على يدي عياض بن غنم . قال : وفتحت رأس عين الوردية على يدي عمر بن سعد بن أبي وقاص . وقال غيره خلاف ذلك . وقال شيخنا الحافظ الذهبي في تاريخه : وفيها - يعني هذه السنة - افتتح أبو موسى الأشعري الرها وشمشاط عنوة ، وفي أوائلها وجه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل صلحا . وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وماحولها عنوة . وفيها بنى سعد جامع الكوفة . وقال الواقدي : وفيها كان طاعون عمواس مات فيه خمسة وعشرون ألفا . قلت : هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس - وهي بين القدس والرملة - لأنها كان أول ما نجم الداء بها ، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال الواقدي توفي : في عام طاعون عمواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفا . وقال غيره : ثلاثون ألفا . وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضي الله عنهم

الحارث بن هشام

أخو أبي جهل أسلم يوم الفتح ، وكان سيداً شريفاً في الاسلام كما كان في الجاهلية ، استشهد بالشام في هذه السنة في قول ، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة .

شرحبيل بن حسنة

أحد أمراء الأرباع ، وهو أمير فلسطين ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن قطن الكندي حليف بني زهرة ، وحسنة أمه ، نسب إليها وغلب عليه ذلك . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة وجهره الصديق إلى الشام ، فكان أميراً على ربيع الجيش ، وكذلك في الدولة العميرية ، وطعن هو

(1) لم ترد في المصرية محمود الامام .

وأبو عبيدة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد سنة ثمانى عشرة . له حديثان روى ابن ماجه أحدهما  
**عامر بن عبد الله بن الجراح** في الوضوء وغيره

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي أبو عبيدة بن الجراح الفهرى ، أمين  
هذه الأمة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد ، وهم عثمان بن  
مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عبيدة بن  
الجراح . أسلموا على يدى الصديق . ولما هاجروا آخى رسول الله (ص) بينه وبين سعد بن معاذ ،  
وقيل بين محمد بن مسلمة . وقد شهد بدرًا وما بعدها ، وقال رسول الله (ص) : « إن لكل أمة أميناً  
وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ثبت ذلك في الصحيحين . وثبت في الصحيحين أيضاً  
أن الصديق قال يوم السقيفة : وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوه - يعنى عمر بن الخطاب  
وأبا عبيدة - وبعثه الصديق أميراً على ربيع الجيش إلى الشام ، ثم لما انتدب خالداً من العراق كان  
أميراً على أبي عبيدة وغيره لعلمه بالحروب . فلما انتهت الخلافة إلى عمر عزل خالداً وولى أبا عبيدة  
ابن الجراح ، وأمره أن يستشير خالداً ، فجمع للأمة بين أمانة أبي عبيدة وشجاعة خالد . قال ابن  
عساكر : وهو أول من سمي أمير الأُمراء بالشام . قالوا : وكان أبو عبيدة طوالاً نحيفاً أجنى معروق  
الوجه ، خفيف اللحية ، أهتم ، وذلك لأنه لما انتزع الحلقتين من أوجنتى رسول الله (ص) ، يوم أحد  
حاف أن يؤلم رسول الله (ص) فتحامل على ثنيتيه فسقطنا ، فما رأى أحسن هتأ منه . توفى بالطاعون  
عام عمواس كما تقدم سياقه في سنة ست عشرة عن سيف بن عمر . والصحيح أن عمواس كانت في  
هذه السنة - سنة ثمانى عشرة - بقرية فحل ، وقيل بالجابية . وقد اشتهر في هذه الأعصار قبر بالقرب  
من عقبة ينسب إليه والله أعلم . وعمره يوم مات ثمان وخمسون سنة .

### الفضل بن عباس بن عبد المطلب

كان حسناً وسماً جميلاً ، أوقفه رسول الله (ص) ، وراه يوم النحر من حجة الوداع ، وهو شاب حسن ،  
وقد شهد فتح الشام ، وانتشهد بطاعون عمواس ، في قول محمد بن سعد والزبير بن بكار وأبي حاتم وابن  
الرقى وهو الصحيح . وقيل يوم مرج الصفر ، وقيل بأنادين . ويقال باليرموك سنة ثمان وعشرين .

### معاذ بن جبل

ابن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدي بن علي بن أسد بن ساردة بن  
يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن المدنى صحابى جليل كبير القدر .  
قال الواقدي : كان طوالاً حسن الشعر والثغر براق الشبايا ، لم يولد له . وقال غيره : بل ولد له ولد  
هو عبد الرحمن . شهد معه اليرموك . وقد شهد معاذ العقبة . ولما هاجر الناس آخى رسول الله (ص) .

بينه وبين ابن مسعود . وحكى الواقدي الاجماع على ذلك . وقد قال محمد بن إسحاق : آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب . وشهد بدرًا وما بعدها . وكان أحد الأربعة من الخزرج ، الذين جمعوا القرآن في حياة النبي (ص) ، وهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد عمر بن أنس بن مالك . وصح في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن الصنابحي . عن معاذ أن رسول الله (ص) قال له « يا معاذ والله إني لأحبك فلا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وفي المسند والنسائي وابن ماجه من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعاً « وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » وقد بعثه رسول الله (ص) إلى اليمن وقال له « بم تحمك » ؟ فقال : بكتاب الله وبالحديث . وكذلك أقره الصديق على ذلك يعلم الناس الخير باليمن . ثم هاجر إلى الشام فكان بها حتى مات بعد ما استخلفه أبو عبيدة حين طعن ثم طعن بعده في هذه السنة . وقد قال عمر بن الخطاب : إن معاذاً يبعث أمام العلماء بربوة . ورواه محمد بن كعب مرسلًا . وقال ابن مسعود : كنا نشبهه بإبراهيم الخليل . وقال ابن مسعود : إن معاذاً كان قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . وكانت وفاته شرقي غور يفسان سنة ثمانى عشرة . وقيل سنة تسع عشرة [ وقيل سبع عشرة ، عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور ] (١) وقيل غير ذلك والله أعلم .

### يزيد بن أبي سفيان

أبو خالد صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، أخو معاوية ، وكان يزيد أكبر وأفضل . وكان يقال له يزيد الخير ، أسلم عام الفتح ، وحضر حنيناً وأعطاه رسول الله (ص) مائة من الإبل وأربعين أوقية ، واستعمله الصديق على ربع الجيش إلى الشام ، وهو أول أمير وصل إليها ، ومشى الصديق في ركابه بوصيه ، وبعث معه أبا عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة فهؤلاء أمراء الأرباع . ولما افتتحوا دمشق دخل هو من باب الجابية الصغير عنوة كخالد في دخوله من الباب الشرقي عنوة وكان الصديق قد وعده بأمرتها ، فوليها عن امر عمر وأنفذ له ما وعده الصديق ، وكان أول من وليها من المسلمين . المشهور أنه مات في طاعون عمواس كما تقدم . وزعم الوليد بن مسلم أنه توفي سنة تسع عشرة بعد ما فتح قيسارية . ولما مات كان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأمضى عمر بن الخطاب له ذلك رضى الله عنهم . وليس له في الكتب شيء ، وقد روى عنه أبو عبد الله الأشعري أن رسول الله (ص) قال « مثل الذي يصلي ولا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع الذي لا يأكل إلا التمرة والتمرتين لا يفنيان عنه شيئاً » .

(١) لم ترد في الحلبية .



## أبو جندل بن سهيل

ابن عمرو ، وقيل اسمه العاص أسلم قديماً وقد جاء يوم صالح الحديدية مسلماً يرسف في قيوده لأنه كان قد استضعف فردد أبوه وأبي أن يصلح حتى يرد ، ثم لحق أبو جندل بأبي بصير إلى سيف البحر ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد فتح الشام . وقد تقدم أنه تناول آية الخمر ثم رجع ، ومات بطاعون عمواس رحمه الله ورضي عنه \* أبو عبيدة بن الجراح هو عامر بن عبد الله تقدم \* أبو مالك الأشعري ، قيل اسمه كعب بن عاصم قدم مهاجراً سنة خيبر مع أصحاب السفينة ، وشهد مابعدھا ، واستشهد بالطاعون عام عمواس هو وأبو عبيدة ومعاذ في يوم واحد رضي الله عنهم أجمعين .

## ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال الواقدي وغيره : كان فتح المدائن وجلولاء فيها . والمشهور خلاف ما قال كما تقدم . وقال محمد ابن إسحق : كان فتح الجزيرة والرها وحران ورأس العين ونصيبين في هذه السنة . وقد خالفه غيره . وقال أبو معشر وخليفة وابن الكلابي : كان فتح قيسارية في هذه السنة وأميرها معاوية . وقال غيره يزيد بن أبي سفيان . وقد تقدم أن معاوية افتتحها قبل هذا بسنتين . وقال محمد بن إسحق كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر في سنة عشرين . وقال سيف بن عمر : كان فتح قيسارية وفتح مصر في سنة ست عشرة . قال ابن جرير : فأما فتح قيسارية فقد تقدم ، وأما فتح مصر فاني سأذكر في سنة عشرين إن شاء الله تعالى . قال الواقدي : وفي هذه السنة ظهرت نار من حرة ليلاً فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها ، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفت والله الحمد . ويقال كان فيها وقعة أرمينية ، وأميرها عثمان بن أبي العاص ، وقد أصيب فيها صفوان بن المعطل بن رخصة السلمي ثم الذكواني ، وكان أحد الأمراء يومئذ . وقد قال فيه رسول الله (ص) ، « ما علمت عليه إلا خيراً » وهو الذي ذكره المناقبون في قصة الافك فبرأ الله ساحته ، وجناب أم المؤمنين زوجة رسول الله (ص) ، مما قالوا . وقد كان إلى حين قالوا لم يتزوج ، ولهذا قال والله ما كشفت كنف أنثى قط . ثم تزوج بعد ذلك ، وكان كثير النوم ، ما غلب عليه عن صلاة الصبح في وقتها ، كما جاء في سنن أبي داود وغيره . وكان شاعراً ثم حصلت له شهادة في سبيل الله . قيل بهذا البلد ، وقيل بالجزيرة ، وقيل بشمشاط . وقد تقدم بعض هذا فيما سلف . وفيها فتحت تكريت في قول والصحيح قبل ذلك ، وفيها فيما ذكرنا أسرت الروم عبد الله بن حذافة . وفيها في ذي الحجة منها كانت وقعة بأرض العراق قتل فيها أمير الجوس شهرك ، وكان أمير المسلمين يومئذ الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه . قال ابن جرير وفيها حج بالناس عمر ، ونوابه في البلاد وقضاته هم المذكورون قبلها والله أعلم \*

## ذكر من توفي فيها من الأعيان

ومن توفي فيها من الأعيان أبي بن كعب سيد القراء ، وهو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أبو المنذر وأبو الطفيل ، الأنصاري النجاري سيد القراء شهد العقبة و بدر وما بعدها ، وكان سيداً جليل القدر . وهو أحد القراء الأربعة الخزرجين الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ ، وقد قال لعمر يوماً : إني تلقيت القرآن ممن تلقاه منه جبريل وهو رطب . وفي المسند والنسائي وابن ماجه من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعاً : أقرأ أمتي أبي ابن كعب ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » . قال : وسأني لك ؟ « قال نعم » فزرت عيناه وقد تكلمنا على ذلك في التفسير عند سورة [ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ] قال الهيثم بن عدى : توفي أبي سنة تسع عشرة . وقال يحيى بن معين : سنة سبع عشرة أو عشرين . وقال الواقدي عن غير واحد : توفي سنة ثنتين وعشرين . وبه قال أبو عبيد وابن نمير وجماعة . وقال الفلاس وخليفة : توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه \* وفيها مات خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين شهد بدر وما بعدها ، وهو صحابي من السابقين وصلى عليه عمر \* ومات فيها صفوان بن المعطل في قول كما تقدم والله أعلم .

## سنة عشرين من الهجرة

قال محمد بن إسحق : فيها كان فتح مصر . وكذا قال الواقدي : إنها فتحت هي واسكندرية في هذه السنة . وقال أبو معشر : فتحت مصر سنة عشرين ، واسكندرية في سنة خمس وعشرين . وقال سيف : فتحت مصر واسكندرية في سنة ست عشرة في ربيع الأول منها . ورجح ذلك أبو الحسن ابن الأثير في الكامل لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرمادة ، وهو معذور فيما رجحه والله أعلم . وفيها كان فتح تستر في قول طائفة من علماء السير بعد محاصرة سنتين وقيل سنة ونصف والله أعلم .

## صفة فتح مصر عن ابن إسحق وسيف

قالوا : لما استكمل عمرو المسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص إلى مصر وزعم سيف أنه بعث بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزبير بن العوام وفي صحبته بشر بن أرطاة ، وخارجة بن حذافة ، وعمير ابن وهب الجمحي . فاجتمعوا على باب مصر فلقبهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام في أهل الثبات ، بعثه المقوقس صاحب اسكندرية لمنع بلادم ، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص لا تعجلوا حتى نعلم ، ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد ، فبرزا إليه ، فقال لهما عمرو بن العاص : أنما راهبا هذه البلاد فاسمعا ، إن الله بعث محمداً ﷺ ، بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ ، وأدى

إلينا كل الذي أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الاعتذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الاسلام ، فن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية و بذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظاً لرحمتنا منكم ، وأن لكم إن أجبتهمونا بذلك ذمة إلى ذمة . ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً ، فان رسول الله ص . أوصانا بالقبطيين خيراً ، لأن لهم رحماً وذمة . فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء . معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهم فأدبل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً . أمنا حتى نرجع إليك ، فقال عمرو : إن مثل لا يندع ولكني أو جلدكما ثلاثاً لتنظروا ولتنظرا قومكما وإلا نأجزتكم . قال : زدنا ، فزادهم يوماً ، فقالوا : زدنا . فزادهم يوماً . فرجعا إلى المقوقس فأبى أن يرحبهم وأمر بمناهدتهم ، فقالوا لأهل مصر : أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم . وقد بقيت أربعة أيام قاتلوا وأشار عليهم بأن يبيتوا المسلمين ، فقال الملاء منهم : ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقصر وغلبوهم على بلادهم . فألح الأربطون في أن يبيتوا للمسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشيء بل قتل منهم طائفة منهم الأربطون ، وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع . وارتقى الزبير عليهم سور البلد ، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو ومن الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو فامضوا الصلح وكتب لهم عمرو وكتاب أمان : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو ابن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ومملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبجرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا يفتقص ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما حق لصونهم ، فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجراء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة . وإن نقص نهرهم من غابته رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة ، فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثاً ، في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمة المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً على أن لا يفزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر » فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول بمصر وعمرى الفسطاط ، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكأما عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة . فأبى عمرو أن يردها عليهما ، وأمر بطردها وأخارجهما من بين يديه ، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب أمر أن كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي آمنوهم فيها أن يرد عليهم ، وكل سبي أخذ من لم يقاتل وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سبايا . وقيل إنه أمر أن يخبروا من في أيديهم من السبي بين الاسلام وبين أن يرجع إلى أهله ، فمن اختار الاسلام فلا يردود إليهم ، ومن اختارهم رده عليهم وأخذوا منه الجزية ، وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرها ، فانه لا يقدر على ردهم ولا ينبغي أن يصلحهم على ما يتعذر الوفاء به . ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبايا وعرضوهم وخيروهم فمنهم من اختار الاسلام ، ومنهم من عاد إلى دينه ، وانمقد الصلح بينهم . ثم أرسل عمرو جيشا إلى اسكندرية - وكان المقوقس صاحب الاسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم - فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم : إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم ، والرأى عندي أن تؤدي الجزية إليهم . ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول : إني كنت أؤدي الخراج إلى من هو أبغض إلى منكم - فارس والروم - ثم صالحه على أداء الجزية ، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه .

وذكر سيف أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من المسلمين يفر من الزحف فجعل عمر يزمرهم ويحثهم على الثبات : فقال له رجل من أهل اليمن : إنالم نخلق من حجارة ولا حديد . فقال له عمرو : اسكت فأنا ، أنت كلب . فقال له الرجل فأنت إذا أمير الكلاب . فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحاب رسول الله (ص) ، فلما اجتمع إليه من هناك من الصحابة قال لهم عمرو : تقدموا فبكم ينصر الله المسلمين . فتهدوا إلى القوم ففتح الله عليهم وظفروا أتم الظفر . قال سيف : فتفتحت مصر في ربيع الأول من سنة ست عشرة وقام فيها ملك الاسلام والله الحمد والمنة . وقال غيره : فتفتحت مصر في سنة عشرين ، وفتحت اسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة ، وقيل صلحا على تني عشر ألف دينار . وقد ذكر أن المقوقس سأل من عمرو أن يهادنه أولا ، فلم يقبل عمرو وقال له : قد علمت ما فعلنا بملككم الاكبر هرقل . فقال المقوقس لأصحابه : صدق فنحن أحق بالاذعان . ثم صالح على ما تقدم . وذكر غيره أن عمراً والزبير سارا إلى عين شمس فحاصراها وأن عمراً بعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، وبعث عوف بن مالك إلى الاسكندرية ، فقال كل منهما لأهل بلده : إن نزلتم فلكم الامان . فتربصوا ماذا يكون من أهل عين شمس ، فلما صالحوا صالح الباقون . وقد قال عوف بن مالك لأهل اسكندرية : ما أحسن بلدكم ؟ فقالوا : إن اسكندر لما بناها قال : لأبنين مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس . فبقيت بهجتها . وقال أبرهة لأهل الفرما : ما أقبح مدينتكم ؟ فقالوا إن الفرما - وهو أخو الاسكندر - لما بناها قال لأبنين مدينة

غنية عن الله فقيرة إلى الناس . فهي لا يزال ساقطاً بناؤها فشوهت بذلك  
 وذكر سيف أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما ولي مصر بعد ذلك زاد في الخراج عليهم  
 رهوساً من الرقيق يهدونها إلى المسلمين في كل سنة ، ويعوصهم المسلمون بطعام مسمى وكسوة . وأقر  
 ذلك عثمان بن عفان وولاية الأمور بمدد ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأمضاه أيضاً نظراً لهم ، وإبقاء  
 لهم . قلت : وإنما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص ، وذلك أنه  
 نصب خيمته وهي الفسطاط موضع مصر اليوم ، وبني الناس حوله ، وتركت مصر القديمة من زمان  
 عمرو بن العاص وإلى اليوم ، ثم رفع الفسطاط وبني موضعه جامعاً وهو المنسوب إليه اليوم . وقد غزا  
 المسلمون بعد فتح مصر النوبة فناههم جراحات كثيرة ، وأصيبت أعين كثيرة ، لجودة رمي النوبة  
 فسوهم جند الحلق . ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمنة : وقد اختلف في بلاد مصر فقيل :  
 فتحت صلحا إلا الاسكندرية ، وهو قول يزيد بن أبي حبيب . وقيل : كلها عنوة وهو قول ابن عمر  
 وجماعة . وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال : ما قدمت مقعدى هذا ولا حد من القبط عندي  
 عهد إن شئت - قلت ، وإن شئت بعث وإن شئت خست إلا لاهل الطاباس فإن لم عهداً نوفي به .

### قصة نيل مصر

روينا من طريق ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حدثه قال : لما افتتحت مصر أتى أهلها  
 عمرو بن العاص - حين دخل بؤنة من أشهر العجم - فقالوا : أيها الأمير ، لنيلنا هذا سنة لا يجرى  
 إلا بها . قال : وما ذلك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية  
 بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم أتيناهما في هذا  
 النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا  
 بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلاً ولا كثيراً ، حتى هموا بالجلد ، فكتب عمرو إلى عمر  
 ابن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل  
 كتابي ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين  
 إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإن كنت إنما تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا  
 فيك ، وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك »  
 قال : فألقي البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة  
 وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم .

قال سيف بن عمر : وفي ذي القعدة من هذه السنة - وهي عنده سنة ست عشرة - جعل عمرو  
 المسالح على أرجاء مصر ، وذلك لأن هرقل أغزا الشام ومصر في البحر . قال ابن جرير : وفي هذه

السنة غزا أرض الروم أبو بخرية عبد الله بن قيس العبدى - وهو أول من دخلها فيما قيل - فسلم وغنم وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسى . قال الواقدى : وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين ، وحده في الشراب . وولى على البحرين والجمامة أبا هريرة الدوسى رضى الله عنه . قال : وفيها شكوا أهل الكوفة سعداً في كل شئ ، حتى قالوا : لا يحسن يصلى ، فمزله عنها وولى عليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان - وكان نائب سعد - وقيل بل ولاها عمرو بن ياسر . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن عبد الملك سمعه من جابر بن سمرة . قال : شكوا أهل الكوفة سعداً إلى عمر فقالوا : إنه لا يحسن يصلى ، قال الاعاريب ؟ والله ما آلوهم صلاة رسول الله (ص) في الظهر والعصر ، اردد في الأولين وأصرف في الأخيرين . فسمعت عمر يقول : كذا الظن بك يا أبا إسحق . وفي صحيح مسلم أن عمر بعث من يسأل عنه أهل الكوفة فأتوا خيراً إلا رجلاً يقال له : أبو سعدة قتادة بن أسامة قام فقال : أما إذ أنشدتنا فان سعداً لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ، ولا يخرج في السرية . فقال سعد : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسعمة ، فأطل عمره وأدم فقره وعرضه للفتن . فأصابته دعوة سعد - فكان شيخاً كبيراً يرفع حاجبيه عن عينيه ، ويتعرض للجوارى في الطرق فيغمزهن ، فيقال له في ذلك ، فيقول : شيخ كبير مفتون أصابته دعوة سعد . وقد قال عمر في وصيته - وذكره في الستة - « فان أصابت الامرة سعداً فذاك ، وإلا فليستن به أيكم ولى ، فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة . قال : وفيها أجلى عمر يهود خيبر عنها إلى أذرعات وغيرها ، وفيها أجلى عمر يهود نجران منها أيضاً إلى الكوفة ، وقسم خيبر ، ووادى القرى ، ونجران بين المسلمين . قال : وفيها دون عمر الدواوين ، وزعم غيره أنه دونها قبل ذلك فأنه أعلم . قال : وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجى إلى الحبشة في البحر فأصيبوا فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً في البحر بعدها . وقد خالف الواقدى في هذا أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين - يعنى في خلافة عثمان بن عفان - والله أعلم . قال الواقدى : وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد بن عتبة . التى مات عنها الحارث بن هشام فى الطاعون . وهى أخت خالد بن الوليد . قال : وفيها مات هلال بدمشق ، وأسيد بن الحضير فى شعبان ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين . وهى أول من مات من أمهات المؤمنين رضى الله عنها . قال : وفيها مات هرقل وقام بعده ولده قسطنطين . قال : وحج بالناس فى هذه السنة عمر ونوابه وقضاته من تقدم فى التى قبلها . سوى من ذكرنا أنه عزله وولى غيره .

### ذكر المتوفين من الأعيان - أسيد بن الحضير

ابن سهاك الأنصارى الأشهى من الأوس ، أبو يحيى أحد النقباء ليلة العقبة ، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعث ، وكان قبل الهجرة بست سنين وكان يقال له حضير الكتاب ، يقال إنه أسلم

على يدي مصعب بن عمير . ولما هاجر الناس آخى رسول الله (ص) ، بينه وبين زيد بن حارثة ، ولم يشهد بدرًا . وفي الحديث الذي صححه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) ، قال « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أسيد بن الحضير » وذكر جماعة . وقدم الشام مع عمر وأثنت عليه عائشة ، وعلى سعد بن معاذ ، وعباد بن بشر ، رضي الله عنهم . وذكر ابن بكير أنه توفي بالمدينة سنة عشرين ، وأن عمر حمل بين عموديه وصلى عليه ودفن بالبقيع ، وكذا أرخ وفاته سنة عشرين الواقدي وأبو عبيد وجماعة .

### انيس بن مرثد بن ابي مرثد الغنوي

هو وابوه وجده صحابة وكان أنيس هذا عينا لرسول الله يوم حنين ، ، يقال إنه الذي قال له رسول الله (ص) ، « إغديا أنيس إلى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها » والصحيح أنه غيره ، فان في الحديث « فقال لرجل من أسلم » فقيل : انه أنيس بن الضحاك الأسلمي . وقد مال ابن الأثير إلى ترجيحه والله أعلم . له حديث في الفتنة قال إبراهيم بن المنذر : توفي في ربيع الأول سنة عشرين .

### بلال بن ابي رباح الحبشي المؤذن مولى بي بكر

ويقال له بلال بن حمامة . وهي أمه . أسلم قديما فمذب في الله فصر فاشتراه صديق فأعتقه ، شهد بدرًا وما بعدها . وكان عمر يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا . رواه البخاري . ولما شرع الأذان بالمدينة كان هو الذي يؤذن بين يدي رسول الله (ص) ، وابن أ مكنوم يتناوبان ، تارة هذا وتارة هذا ، وكان بلال ندى الصوت حسنه ، فصيحًا ، وما يروى « أن سينا بلال عند الله شينا » فليس له أصل . وقد أذن يوم الفتح على ظهر الكعبة . ولما توفي رسول الله (ص) ، ترك الأذان ، ويقال أذن للصدیق أيام خلافته ولا يضح . ثم خرج إلى الشام مجاهدًا ، ولما قدم عمر إلى الجابية أذن ، بين يديه بعد الخطبة لصلاة الظهر ، فانتحب الناس بالبكاء . وقيل إنه زار المدينة في غصون ذلك [ فأذن فبكى الناس بكاء شديداً ويحرق لهم ذلك ]<sup>(١)</sup> رضي الله عنهم . وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) ، قال لبلال « إني دخلت الجنة فسمعت خشف نعليك أمامي فأخبرني بأرجى عمل عملته » . فقال : ما توضأت إلا واصلت ركعتين . « فقال بذاك » وفي رواية « ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا رأيت أن علي أن أصلي ركعتين » قالوا : وكان بلال آدم شديد الأدمة طويلا نحيفا كثير الشعر خفيف العارضين . قال ابن بكير : توفي بدمشق في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة . وقال محمد بن إسحق وغير واحد : توفي سنة عشرين . قال الواقدي : ودفن بباب الصغير وله بضع وستون سنة .

(١) لم ترد في الحلية .

وقال غيره : مات بداريا ودفن بباب كيسان . وقيل دفن بداريا ، وقيل إنه مات بحلب . والأول أصح والله أعلم .

### سعيد بن عامر بن خديم

من أشرف بني جمح ، شهيد خبير وكان من الزهاد والعباد ، وكان أميراً لعمر على حمص بعد أبي عبيدة ، بلغ عمر أنه قد أصابته جراحة شديدة ، فأرسل إليه بألف دينار فتصدق بها جميعها ، وقال لزوجته : أعطيناها لمن يتجر لنا فيها رضى الله عنه . قال خليفة : فتح هو ومعاوية قيسارية كل منهما أمير على من معه .

### عياض بن غنم

أبو سعد الفهرى من المهاجرين الأولين ، شهيد بداريا وما بعدها ، وكان سمحا جوادا ، شجاعا ، وهو الذى افتتح الجزيرة ، وهو أول من جاز درب الروم غازيا ، واستنابه أبو عبيدة بعده على الشام فأقره عمر عليها إلى أن مات سنة عشرين عن ستين سنة .

### أبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب بن عم رسول الله (س) ، قيل اسمه المغيرة . أسلم عام الفتح فحسن إسلامه جدا وكان قبل ذلك من أشد الناس على رسول الله (س) ، وعلى دينه ومن تبعه ، وكان شاعرا مطبقا يهجو الاسلام وأهله ، وهو الذى رد عليه حسان بن ثابت رضى الله عنه فى قوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عني \* مغفلة فقد برح الخفاء

هجوت محمداً وأجبت عنه \* وعند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء \* فشركا لخير كما الفداء

ولما جاء هو وعبد الله بن أبي أمية ليسلما لم يأذن لهما عليه السلام حتى شفعت أم سلمة لأخيها فأذن له ، وبلغه أن أبا سفيان هذا قال : والله لئن لم يأذن لى لأخذن بيد بنى هذا - لولد معه صغير - فلا ذهبن فلا يدري أين أذهب . فرق حينئذ له رسول الله (س) ، وأذن له ، ولزم رسول الله (س) يوم حنين وكان آخذاً بلجام بغلته يومئذ ، وقد روى أن رسول الله (س) أحبه وشهد له بالجنة ، وقال « أرجو أن تكون خلفا من حمزة » وقد روى رسول الله (س) ، حين توفى بقصيدة ذكرناها فيما سلف وهى التى يقول فيها :

ارقت فبات ليلي لا يزول \* وليل أخ المصيبة فيه طول

وأسعدنى البكاء وذاك فيما \* أصيب المسلمون به قليل

فقد عظمت مصيبتنا وجلت \* عشية قيل قد قبض الرسول



قدنا الوحي والتنزيل فينا \* بروح به ويفدو جبرئيل  
 ذكروا أن أبا سفيان حج فلما حلق رأسه قطع الخالق ثولولاله في رأسه فتمرض منه فلم يزل  
 كذلك حتى مات بعد مرجعه إلى المدينة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب . وقد قيل إن أخاه نوفلا توفي  
 قبله بأربعة أشهر والله أعلم .

### ابو الهيثم بن التيهان

هو مالك بن مالك بن عسل بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن دعورا بن جشم بن الحارث بن  
 الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ، شهد العقبة نقيبا ، وشهد بدرآ وما  
 بعدها ، ومات سنة عشرين ، وقيل إحدى وعشرين ، وقيل إنه شهد صفين مع علي ، قال ابن الأثير  
 وهو الأكثر . وقد ذكره شيخنا هنا فله أعلم .

### زينب بنت جحش

ابن رباب الأسدية من أسد خزيمية أول أمهات المؤمنين وفاة ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ،  
 وكان اسمها برة ، فسماها رسول الله زينب ، وتكنى أم الحكم ، وهي التي روجه الله بها ، وكانت  
 تفتخر بذلك على سائر أزواج النبي (س) ، فتقول : زوجكن أهلوكن وزوجني الله من السماء . قال الله  
 تعالى [ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ] الآية . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، فلما  
 طلقها تزوجها رسول الله (س) . قيل كان ذلك في سنة ثلاث وقيل أربع وهو الأشهر . وقيل سنة  
 خمس . وفي دخوله عليه السلام بها نزل الحجاب كما ثبت في الصحيحين عن أنس . وهي التي كانت  
 تسمى عائشة بنت الصديق في الجمال والحظوة ، وكانت دينه ورعة عابدة كثيرة الصدقة . وذلك  
 الذي أشار إليه رسول الله (س) ، بقوله « أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا » أي بالصدقة . وكانت  
 امرأة صناعا تعمل بيديها وتتصدق على الفقراء . قالت عائشة : ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين  
 وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة من زينب بنت جحش . ولم تخرج بعد  
 حجة الوداع لاهي ولا سودة ، لقوله عليه السلام لأزواجه « هذه ثم ظهور الحصر » وأما بقية أزواج  
 النبي (س) ، فكان يخرجن إلى الحج وقالت زينب وسودة : والله لا نخرجنا بعده دابة . قالوا : وبعت  
 عمر إليها فرضا اثني عشر ألفا فتصدقت به في أقاربها . ثم قالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد  
 هذا . فماتت في سنة عشرين وصلى عليها عمر . وهي أول من صنع لها النمش ، ودفنت بالبقيع .

### صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول

وهي أم الزبير بن العوام ، وهي شقيقة حمزة والمقوم وحجل ، أمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف  
 ابن زهرة . لا خلاف في إسلامها فقد حضرت يوم أحد ووجدت على أخيها حمزة وجدا كثيرا ، وقتلت

بوم الخندق رجلا من اليهود جاء فجعل يطوف بالحصن التي هي فيه وهو فارح حصن حسان فقالت  
لحسان : انزل فاقتله ، فأبى ، فنزلت إليه فقتلته ثم قالت : انزل فاسلبه فلو لا أنه رجل لاستلبته . فقال :  
لا حاجة لي فيه . وكانت أول امرأة قتلت رجلا من المشركين . وقد اختلف في إسلام من عداها من  
عمات النبي (ص) ، فقيل : أسلمت أروى وعاتكة . قال ابن الأثير وشيخنا أبو عبد الله الذهبي  
الحافظ : والصحيح أنه لم يسلم منهن غيرها . وقد تزوجت أولا بالحارث بن حرب بن أمية . ثم خلف  
عليها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة . وقيل تزوج بها العوام بكراً ، والصحيح الأول  
توفيت بالمدينة سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة . ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وقد ذكر ابن  
إسحق من توفي غيرها .

### عويم بن ساعدة الأنصاري

شهد العقبتين والمشاهد كلها وهو أول من استنجد بالماء ، وفيه نزل قوله تعالى [فيه رجال يحبون  
أن يتطهروا والله يحب المطهرين ] وله روايات توفي هذه السنة بالمدينة \* بشر بن عمرو بن حنش  
يلقب بالجارود ، أسلم في السنة العاشرة ، وكان شريفاً مطاعاً في عهد القيس ، وهو الذي شهد على  
قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر ، فعزله عمر عن اليمن وحده . قتل الجارود شهيداً \* أبو خراشة  
خويلد بن مرة الهذلي ، كان شاعراً مجيداً مخضراً أدرك الجاهلية والإسلام وكان إذا جرى سبق  
الخيال . نهشته حية فمات بالمدينة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وكانت وقعة نهاوند

وهي وقعة عظيمة جداً لها شأن رفيع ونبا عجيب ، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح  
قال ابن إسحق والواقدي : كانت وقعة نهاوند في سنة إحدى وعشرين . وقال سيف : كانت في  
سنة سبع عشرة . وقيل في سنة تسع عشرة والله أعلم . وإنما ساق أبو جعفر بن جرير قصتها في هذه  
السنة فتبعناه في ذلك وجمعنا كلام هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سياقاً واحداً ، حتى دخل سياق بعضهم  
في بعض . قال سيف وغيره : وكان الذي هاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز ومنعوا  
جيش العلاء من أيديهم واستولوا على دار الملك القديم من اصطخر مع ما حازوا من دار مملكتهم  
حديثاً ، وهي المدائن ، وأخذت تلك المدائن والأقاليم والكور والبلدان الكثيرة ، فحموا عند ذلك  
واستجاشهم يزدجرد الذي تفهق من بلد إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعداً طريداً ، لكنه في أمرة  
من قومه وأهله وماله ، وكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان ، فتجمعوا وتراسلوا  
حتى كل لهم من الجوزد ما لم يجتمع لهم قبل ذلك ، فبعث سعد إلى عمر يعلمه بذلك ، وثار أهل الكوفة  
على سعد في غضون هذا الحال . فشكوه في كل شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلي . وكان الذي نهض

بهذه الشكوى رجل يقال له : الجراح بن سنان الأسدي في نفر معه ، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه قال لهم عمر : إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الحال عليه ، وهو مستعد لقتال أعداء الله ، وقد جمعوا لكم ، ومع هذا لا يمنعني أن أنظر في أمركم . ثم بعث محمد بن مسلمة - وكان رسول العمال - فلما قدم محمد بن مسلمة الكوفة طاف على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة فكل يثني على سعد خيراً إلا ناحية الجراح بن سنان فاتهم سكتوا فلم يذموا ولم يشكروا ، حتى انتهى إلى بني عبيس ، فقام رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة ، فقال : أما إذ ناشدتنا فان سعداً لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ، ولا يغزو في السرية . فدعا عليه سعد فقال : اللهم إن كان قائلها كذبا ورياءاً ومهمة فاعم بصره ، وكثر عباله ، وعرضه لمضلات القتن . فعمى واجتمع عنده عشر بنات ، وكلن يسمع بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فلذا عثر عليه قال : دعوة سعد الرجل المبارك . ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه فكل أصابته فارعة في جسده ، ومصيبة في ماله بمد ذلك . واستنفر محمد بن مسلمة أهل الكوفة لغزو أهل نهاوند في غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب . ثم سار سعد ومحمد بن مسلمة والجراح وأصحابه حتى جاءوا عمر فسأله عمر : كيف يصلي ؟ فأخبره أنه يطول في الأوليين ويخفف في الآخرين وما آتو ما اقتديت به من صلاة رسول الله . فقال له عمر : ذلك الظن بك يا أبا إسحق . وقال سعد في هذه القصة . لقد أسلمت خامس خمسة ، ولقد كنا ومالنا طعام إلا ورق الخبث حتى تفرحت أشداقنا ، وإني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد جمع لي رسول الله . أيوبه وما جمعها لأحد قبلي ، ثم أصبحت بنو أسد يقولون لا يحسن يصلي . وفي رواية يفر ربي على الإسلام ، لقد خبت إذا وضل عملي . ثم قال عمر لسعد : من استخلفت على الكوفة ؟ فقال : عبد الله بن عبد الله ابن عتبان ، فأقره عمر على نيابته الكوفة - وكان شيخاً كبيراً من أشرف الصحابة حليفاً لبني الحلبى من الأنصار - واستمر سعد معز ولا من غير عجز ولا خيانة ويهدد أولئك النفر ، وكاد يوقع بهم بأساً . ثم ترك ذلك خوفاً من أن لا يشكو أحداً أميراً .

والمقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند . حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل ، وعليهم الفيرزان ويقال : بندار ، ويقال ذو الحاجب . وتدامروا فيما بينهم ، وقالوا : إن محمداً الذي جاءه العرب لم يتعرض لبلادنا ، ولا أبو بكر الذي قام بعده تعرض لنا في دار ملكنا ، وإن عمر بن الخطاب هذا لما طال ملكه انتبهك حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا ، وأخذ بيت المملكة وليس تنته حتى يخرجكم من بلادكم . فتعاهدوا وتعاهدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة ثم يشغوا عمر عن بلاده ، وتواتقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتاباً . فلما كتب سعد بذلك إلى عمر - وكان قد عزل سعداً في غضون ذلك - شافه سعد عمر بما

تألوا عليه وقصوا إليه ، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفاً . وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله ابن عتبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظفر العبدي بأنهم قد اجتمعوا وهم منحرفون متفامرون على الاسلام وأهلها ، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن تقصدم فمماجلهم عما هموا به وعزموا عليه من السير إلى بلادنا . فقال عمر لحامل الكتاب : ما اسمك ؟ قال : قريب . قال : ابن من ؟ قال : ابن ظفر . فتفاهل عمر بذلك وقال : ظفر قريب . ثم أمر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقاص ، فتفاهل عمر أيضا بسعد ، فصمد عمر المنبر حتى اجتمع للناس فقال : إن هذا يوم له مابعده من الأيام ، ألا وإني قد همت بأمر فاسموا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتقتلوا وتنهب ربحكم ، إني قد رأيت أن أسير بمن قبلي حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فاستنفر الناس ، ثم أكون لهم ردها حتى يفتح الله عليهم . فقام عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي ، فتكلم كل منهم بانفراده فأحسن وأجاد ، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة ، ولكن يبعث البعوث ويحصرهم برأيه ودعائه . وكان من كلام علي رضي الله عنه أن قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، هو دينه الذي أظهر ، وجنده الذي أعزه وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ . فنحن على موعود من الله والله منجز وعده ، وفاصر جنده ، ومكانك منهم يا أمير المؤمنين مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فاذا انحل تفرق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع بمخالفه أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثير عزيز بالاسلام ، فأقم مكانك واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، فليذهب منهم الثلثان ويقيم الثلث ، واكتب إلى أهل البصرة بمدونهم أيضا . - وكان عثمان قد أشار في كلامه أن يمدم في جيوش من أهل اليمن والشام . ووافق عمر على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة - فرد على علي عثمان في موافقته على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة كما تقدم ، ورد رأى عثمان فيما أشار به من استمداد أهل الشام خوفا على بلادهم إذا قل جيوشها من الروم . ومن أهل اليمن خوفا على بلادهم من الحبشة . فأعجب عمر قول علي وسر به - وكان عمر إذا استشار أحدا لا يبرم أمرا حتى يشاور العباس - فلما أعجبه كلام الصحابة في هذا المقام عرضه على العباس فقال : يا أمير المؤمنين خفض عليك ، فانما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم . ثم قال عمر : أشيروا علي بمن أوليه أمر الحرب وليكن عراقيا . فقالوا : أنت أبصر بمنحك يا أمير المؤمنين . فقال : أما والله لأولين رجلا يكون أول الأئمة إذا لقيها غدا . قالوا : من يا أمير المؤمنين ؟ قال : النعمان بن مقرن . قالوا : هو لها - وكان النعمان قد كتب إلى عمر وهو على كسر وسأله أن يعزله عنها ويوليها قتال أهل نهاوند - فلهدا أجابه إلى ذلك وعينه له ، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بمجنود

منها ، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة ، وكتب إلى النعمان - وكان بالبصرة - أن يسير  
 من هناك من الجنود إلى نهاوند ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه والأمير على الناس كلهم  
 النعمان بن مقرن . فاذا قتل حذيفة بن اليمان ، فان قتل فجرير بن عبد الله ، فان قتل فقيس بن مكشوح ،  
 فان قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عد سبعة أهدم المغيرة بن شعبة ، وقيل لم يسم فيهم والله أعلم .  
 وصورة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى النعمان بن مقرن  
 سلام عليك ، فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فانه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم  
 كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فاذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله  
 عن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرأ فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة ،  
 فان رجلاً من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار ، والسلام عليك . فسر في وجهك ذلك حتى  
 تأتي ما فاني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافقك بها ، فاذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان  
 ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا وأكثروا من لاحول ولا قوة إلا  
 بالله » . وكتب عمر إلى نائب الكوفة - عبد الله بن عبد الله - أن يعين جيشاً ويبعثهم إلى نهاوند ،  
 وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن ، فان قتل النعمان فحذيفة ، فان  
 قتل فنعيم بن مقرن . وولى السائب بن الأقرع قسم الغنائم . فسار حذيفة في جيش كثيف نحو النعمان  
 ابن مقرن ليوافوه بماء ، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق ، وقد أرصد في كل كورة  
 ما يكفيها من المقاتلة ، وجعل الحرس في كل ناحية ، واحتاطوا احتياطاً عظيماً ، ثم انتهوا إلى النعمان  
 ابن مقرن حيث اتعدوا ، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده في  
 هذه الوقعة ، فكل جيش المسلمين في ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشعبي ، فمنهم من  
 سادات الصحابة ورواهوس العرب خلق كثير وجم غفير ، منهم عبد الله بن عمر أمير المؤمنين ،  
 وجريير بن عبد الله البجلي ، وحذيفة بن اليمان ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ،  
 وطلحة بن خويلد الأسدي ، وقيس بن مكشوح المرادي . فسار الناس نحو نهاوند وبعث النعمان بن  
 مقرن الأمير بين يديه طلحة ثلاثة وهم طلحة ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وعمرو بن أبي سلمة .  
 ويقال له عمرو بن ثبي أيضاً ، ليكشفوا له خبر القوم وما هم عليه . فسارت الطليعة يوماً وليلة فرجع  
 عمرو بن ثبي قبيل له : ما رجلك ؟ قال : كنت في أرض المعجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً  
 عالمها . ثم رجع بعنه عمرو بن معدى كرب وقال : لم تر أحداً وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ، ونفذ  
 طلحة ولم يخل برجوعهما فسار بعنه ذلك نحواً من بضعة عشر فرسخاً حتى انتهى إلى نهاوند ، ودخل  
 في المعجم وعلم من أخبارهم ما أحب . ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك ، وأنه ليس بينه وبين نهاوند

شيء يكرهه . فسار النعمان على تعبته وعلى المقدمة نعيم بن مقرن ، وعلى المجنبتين حذيفة وسويد بن مقرن ، وعلى الجردة القمقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان ، ومعهم من الجيش كل من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة ، وهو في مائة وخمسين ألفاً ، فلما تراءى الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك رعباً شديداً . ثم أمر النعمان بحط الأتقال وهو واقف ، فخط الناس أمتثالهم ، وتركوا رحلهم ، وضربوا خيامهم وقبابهم . وضربت خيمة للنعمان عظيمة ، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشرف الجيش ، وهم حذيفة بن اليمان ، وعتبة بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير بن الخصاصية ، وحنظلة الكاتب ، وابن الهوبر ، وربيع بن عامر ، وعامر بن مطر ، وجريز بن عبد الله الحميري ، وجريز بن عبد الله البجلي ، والأقرع بن عبد الله الحميري ، والأشعث بن قيس الكندي ، وسعيد بن قيس الهمداني ، ووائل بن حجر ، فلم ير بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة ، وحين حطوا الأتقال أمر النعمان بالقتال وكان يوم الأربعاء ، فاقتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجال ، فلما كان يوم الجمعة انجزوا في حصنهم ، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ماشاء الله ، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا . وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليكلمه ، فذهب إليه المغيرة بن شعبة ، فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه ، وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهاتته بهم ، وأنهم كانوا أطول الناس جوعاً ، وأقلهم داراً وقدرًا . وقال : ما يمنع هؤلاء الأساورة حولى أن يفتنظموكم بالنشاب إلا بما من جيفكم ، فان تذهبوا نخل عنكم ، وإن تأبوا نزركم مصارعكم . قال : فتشهدت وحمدت الله وقلت : لقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت ، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر في الدنيا ، والخير في الآخرة ، وما زلنا نتعرف من ربنا النصر منذ بعث الله رسوله إلينا ، وقد جئناكم في بلادكم وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى تغلبكم على بلادكم وما في أيديكم أو نقتل بأرضكم . فقال : أما والله إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه . فلما طال على المسلمين هذا الحال واستمر ، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأي من الجيش ، وتشاوروا في ذلك ، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيد واحد ، فتكلم عمرو بن أبي سلمة أولاً - وهو أسن من كان هناك - فقال : إن بقاءهم على ما هم عليه أضرم عليهم من التي يطلبه منهم وأبقى على المسلمين . فرد الجميع عليه وقالوا : إنا لعلى يقين من إظهار ديننا ، وإنجاز موعود الله لنا . وتكلم عمرو بن معدى كرب فقال : ناهدم وكأثرهم ولا نمنهم . فردوا جميعاً عليه وقالوا : إنما تناطح بنا الجدران والجدران أعوان لم علينا . وتكلم طليحة الأسيدي فقال : إنهما لم يصيبا ، وإني أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم ويناشروهم بالقتال ويحمشوم فاذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هراباً ، فاذا استطردوا

وراءهم وابتعدوا إلينا عزمنا أيضا على الفرار كلنا ، فانهم حينئذ لا يشكون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم ، فاذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فبالدناهم حتى يقضى الله بيننا . فاستنجد الناس هذا الرأي ، وأمر النعمان على المجردة التمعقاع بن عمرو ، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم . ففعل التمعقاع ذلك ، فلما برزوا من حصونهم نكص التمعقاع بن معه ثم نكص ثم نكص فاعتنمها الأعاجم ، ففعلوا ما ظن طليحة ، وقالوا : هي هي ، نخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا من يحفظ لهم الأبواب ، حتى انتهوا إلى الجيش ، والنعمان بن مقرن على تعبته . وذلك في صدر نهار جمعة ، فعزم الناس على مصادمتهم ، فتهام النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وتهب الأرواح ، وينزل النصر كما كان رسول الله ص ، بفعل . وألح الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل - وكان رجلا ثابتاً - فلما حان الزوال صلى بالمسلمين ثم ركب برذوناً له أحوى قريبا من الأرض ، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالشجاعة ، ويقدم إلى المسلمين أنه يكبر الأولى فيتأهب الناس للحملة ، ويكبر الثانية فلا يبقى لأحد أهبة ، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة . ثم رجع إلى موقفه . وتعبت الفرس تعبته عظيمة واصطفوا صفواً هائلة . في عدد وعدد لم ير مثله ، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم في بعض وألقوا حك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار ، ولا التحيز . ثم إن النعمان بن مقرن رضى الله عنه كبر الأولى وهز الراية فتأهب الناس للحملة ، ثم كبر الثانية وهز الراية فتأهبوا أيضاً ، ثم كبر الثالثة وحمل وحمل الناس على المشركين وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كاتقراض العقاب على الفريسة ، حتى تصاحفوا بالسيوف فاقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة ، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها ، قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتل ما طبق وجه الأرض دماً ، بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه ، حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه في ذلك الدم فوق وقع وجاء سهم في خاصرته فقتله ، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سويد ، وقيل نعيم ، وقيل غطاء بثوبه وأخفى موته ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان ، فأقام حذيفة أخاه نعيماً مكانه ، وأمر بكتف موته حتى ينفصل الحلال لئلا ينهزم الناس . فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون | وكان الكفار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلامل وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا وقعوا في الخندق وفي تلك الأودية نحو مائة ألف<sup>(١)</sup> وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون ، سوى من قتل في المعركة ، ولم يفلت منهم إلا الشريد . وكان الفيرزان أميرهم قد صرع في المعركة فانفلت وانهزم واتبعه نعيم بن مقرن ، وقدم التمعقاع بين يديه

(١) سقط من المصرية .

وقصد الفيرزان همدان فالحقه القمعاع وأدركه عند ثنية همدان ، وقد أقبل منها بغال كثير وحمر تحمل  
عسلا ، فلم يستطع الفيرزان صعودها منهم ، وذلك لحينه فترجل وتعلق في الجبل فاتبعه القمعاع حتى  
قتله ، وقال المسلمون يومئذ : إن لله جنوداً من عسل ، ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال  
وسميت تلك الثنية ثنية العسل . ثم لحق القمعاع بقية المنهزمين منهم إلى همدان وحاصرها وحولى ماحولها ،  
فتزل إليه صاحبها - وهو خسر شنوم - فصالحه عليها . ثم رجع القمعاع إلى حذيفة ومن معه من المسلمين ،  
وقد دخلوا بعد الواقعة نهلونذ عنوة ، وقد جمعوا الأسلاب والمغانم إلى صاحب الأقباض وهو السائب  
ابن الأقرع . ولما سمع أهل ماه بنجر أهل همدان بعثوا إلى حذيفة وأخذوا لهم منه الأمان ، وجاء رجل  
يقال له الهرند - وهو صاحب نارهم - فسأل من حذيفة الأمان ويدفع إليهم ودبعة عند كسرى ،  
ادخرها لنوائب الزمان ، فأمنه حذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوءتين جوهرًا ثمينًا لا يقوم ، غير  
أن المسلمين لم يعبثوا به ، واتفق رأيهم على بعثه امر خاصة ، وأرسلوه صحبة الأخماس والسبي صحبة  
السائب بن الأقرع ، وأرسل قبله بالفتح مع طريف بن سهم ، ثم قسم حذيفة بقية الغنيمة في الغنائم ،  
ورضخ ونفل لذوى النجدات ، وقسم لمن كان قد أُرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من  
ورائهم ، ومن كان رداءً لهم ، ومنسوبا إليهم . وأما أمير المؤمنين فإنه كان يدعو الله ليلاً ونهاراً لهم ،  
دعاء الحوامل المقربات ، وابتهاج ذوى الضرورات ، وقد استبطأ الخبر عنهم فيينا رجل من المسلمين  
ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله من أين أقبل ؟ فقال : من نهاوند . فقال : ما فعل الناس ؟ قال :  
فتح الله عليهم وقتل الأمير ، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة أصاب الفارس ستة آلاف ، بالرجال  
ألفان . ثم فاته وقدم ذلك الرجل المدينة فأخبر الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله  
عن خبره ، فقال : راكب . فقال : إنه لم يجئني ، وإنما هو رجل من الجن وهو يريدني واسم عثم ،  
ثم قدم طريف بالفتح بعد ذلك بأيام ، وليس معه سوى الفتح ، فسأله عن قتل النعمان فلم يكن معه علم  
حتى قدم الذين معهم الأخماس فأخبروا بالأمر على جليته ، فاذا ذلك قد الجنى شهد الواقعة ورجع  
سرياً إلى قومه نذيراً . ولما أخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عن قتل من المسلمين فقال :  
فلان وفلان وفلان ، لأعيان الناس وأشرفهم .

ثم قال وآخرون من أفئدة الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين ، فجعل يبكي ويقول : وما خبرهم أن  
لا يعرفهم أمير المؤمنين ؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر . ثم أمر  
بقسمة الخمس على عادته ، وحملت ذانك السفطان إلى منزل عمر ، ورجعت الرسل ، فلما أصبح عمر  
طلبهم فلم يجدهم ، فأرسل في إثرهم البرد فما لحقهم البريد إلا بالكوفة .

قال السائب بن الأقرع : فلما أتخت بعيرى بالكوفة ، أتاخ البريد على عرقوب بعيرى ، وقال :



أجب أمير المؤمنين ، فقلت : لماذا ؟ قتال : لا أدري . فرجونا على إثرنا ، حتى انتهيت إليه . قال :  
 مالى ولك يا ابن أم السائب ، بل مالا بن أم السائب ومالى ، قال : فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟  
 فقال : ويحك والله إن هو إلا أن نمت فى الليلة التى خرجت فيها فباتت ملائكة الله تسجني إلى  
 ذنك السفطين وهما يشتعلان ناراً ، يقولون لنكوبنك بهما . فأقول : إني سأقسمهما بين المسلمين .  
 فاذهب بهما لا أبالك فبعمهما فاقسمهما فى أعطية المسلمين وأرزاقهم ، فانهم لا يدرون ما وهبوا ولم تدر  
 أنت معهم .

قال السائب : فأخذتهما حتى جئت بهما مسجد الكوفة وغشيتنى التجار فابتاعهما منى عمرو بن  
 حريث المخزومي بألفى ألف . ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف . فما زال  
 أكثر أهل الكوفة ما لا بعد ذلك . قال سيف : ثم قسم نتمهما بين الغانمين فقال كل فارس أربعة  
 آلاف درهم من ثمن السفطين . قال الشعبي : وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف وللراجل  
 ألفان وكان المسلمون ثلاثين ألفاً .

قال : وافتتحت نهاوند فى أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر ، رواه سيف عن عمرو  
 ابن محمد عنه . وبه عن الشعبي قال : لما قدم سبى نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة - فيروز غلام المغيرة  
 ابن شعبة - لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عمر كبدى - وكان أصل أبى  
 لؤلؤة من نهاوند فأمرته الروم أيام فارس وأمرته المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سبى - قالوا : ولم  
 تقم للأعاجم بعد هذه الواقعة قائمة ، وأتحف عمر الذين أبلوا فيها بألفين تشریفاً لهم وإظهاراً لشأنهم .  
 وفى هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بعد نهاوند مدينة جى - وهى مدينة أصبهان - بعد قتال  
 كثير وأمور طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلاح وفر منهم  
 ثلاثون نفرأ إلى كرمان لم يصلحوا المسلمين . وقيل : إن الذى فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن وأنه  
 قتل بها ، ووقع أمير الجيوش وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشق بطنه ومات وانهمزم أصحابه . والصحيح  
 أن الذى فتح إصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتبان - الذى كان نائب الكوفة - وفيها افتتح أبو  
 موسى قم وقاشان ، وافتتح سهيل بن عدى مدينة كرمان .

وذكر ابن جرير عن الواقدي : أن عمرو بن العاص سار فى جيش معه إلى طرابنس قال : وهى  
 برقة فافتتحها صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار فى كل سنة .

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عقبه بن نافع الفهرى إلى زويلة ففتحها بصلح ، وصار ما بين  
 برقة إلى زويلة سلماً للمسلمين . قال : وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة  
 الذى ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وجعل عبد الله بن مسعود على بيت المال ، فاشكى

أهل الكوفة من عمار فاستعفى عمار من عمله ، فعزله وولى جبير بن مطعم ، وأمره أن لا يعلم أحداً ، وبعث المغيرة بن شعبه امرأته إلى امرأة جبير يعرض عليها طعاماً للسفر فقالت : اذهبي فأتيني به . فذهب المغيرة إلى عمر فقال : بارك الله يا أمير المؤمنين فيمن وليت على الكوفة . فقال : وما ذاك ؟ وبعث إلى جبير بن مطعم فعزله وولى المغيرة بن شعبه ثانية ، فلم يزل عليها حتى مات عمر رضى الله عنهم قال : وفيها حج عمر واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عماله على البلدان المتقدمون في السنة التي قبلها سوى الكوفة .

قال الواقدي : وفيها توفي خالد بن الوليد بمحصر وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال غيره توفي سنة ثلاث وعشرين ، وقيل بالمدينة . والأول أصح . وقال غيره : وفيها توفي العلاء بن الحضرمي فولى عمر مكانه أبا هريرة . وقد قيل إن العلاء توفي قبل هذا كما تقدم والله أعلم . وقال ابن جرير فيما حكاه عن الواقدي : وكان أمير دمشق في هذه السنة عمير بن سعيد ، وهو أيضاً على حمص وحموران وقنسرين والجزيرة ، وكان معاوية على البلقاء والأردن ، وفلسطين ، والسواحل وإنطاكية ، وغير ذلك .

### ذكر من توفي سنة إحدى وعشرين

#### خالد بن الوليد

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو سليمان الخزومي ، سيف الله ، أحد الشجعان المشهورين ، لم يقهر في جاهلية ولا إسلام . وأمه عصماء بنت الحارث ، أخت لبابة (١) بنت الحارث ، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين . قال الواقدي : أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، وشهد مؤتة وانتهت إليه الامارة يومئذ عن غير إمرة ، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم يرمثه ، اندقت في يده تسعة أسياف ، ولم تثبت في يده إلا صفيحة يمانية . وقد قال رسول الله (ص) : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه » . وقد روى أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب فجعل يستحث في طلبها فعوتب في ذلك ، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله (ص) ، وإنما ما كانت معي في موقف إلا نصرت بها .

وقد روينا في مسند أحمد من طريق الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده وحشي بن حرب عن أبي بكر الصديق أنه لما أمر خالداً على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول « فنعمة عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله (١) الذي في المصرية : أمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين .

سأله الله على الكفار والمنافقين» وقال أحمد: حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد، فقال خالد: بعث إليكم أمين هذه الأمة، [سمعت رسول الله (ص)] يقول «أمين هذه الأمة» [١] أبو عبيدة بن الجراح» فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله (ص) يقول «خالد سيف من سيوف الله نعم فتى العشرة» وقد أورده ابن عساکر من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وأبي هريرة، ومن طرق مرسله يقوى بعضها بعضاً. وفي الصحيح «وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أذراعه وأعبده في سبيل الله» وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزاه بنى جذيمة أميراً في حياته عليه السلام. واختلف في شهوده خبير [وقد دخل مكة أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش، كما قدمنا ذلك مبسوطاً في موضعه، والله الحمد والمنة. وبعثه رسول الله (ص) إلى العزى - وكانت لهوازن - فكسرت لها أولاً ثم دغرتها وجعل يقول: يا عزي كفرانك لا سبحانك \* إني رأيت الله قد أهانك. ثم حرقها] [٢] وقد استعمله الصديق بعد رسول الله (ص) على قتال أهل الردة وما نعى الزكاة، فشفي واشتفى. ثم وجهه إلى العراق ثم أتى الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقر بها القلوب والعيون، وتتشف بها الأسماع. ثم عزله عمر عنها وولى أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً في الحرب، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضى الله عنه.

وقد روى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: لما حضرت خالداً الوفاة بكى ثم قال: لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء. وقال أبو يعلى: ثنا شريح بن يونس ثنا يحيى بن زكريا عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس. قال: قال خالد بن الوليد: ما ليلة يهدى إلى فيها عروس، أو أبشر فيها بغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو. وقال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن خيشمة قال: أتى خالد برجل معه زق خمر فقال: اللهم اجعله عسلاً، فصار عسلاً. وله طرق، وفي بعضها مر عليه رجل معه زق خمر فقال له خالد: ما هذا؟ فقال: عسل فقال: اللهم اجعله خلا، فلما رجع إلى أصحابه قال: جئتكم بخمر لم يشرب العرب مثله، ثم فتحه فإذا هو خل، فقال أصابته والله دعوة خالد رضى الله عنه. وقال حماد بن سلمة عن ثمامة عن أنس. قال: لقي خالد عدواً له فولى عنه المسلمون منهزمين وثبت هو وأخوه البراء بن مالك، وكنت بينهما واقفاً، قال: فنكس خالد رأسه ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعة - قال: وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا -، ثم

(١) و (٢) سقط من الحلبية.

قال لأخي البراء: قم فركبنا، واختطبت خالد من معه من المسلمين وقال: ما هو إلا الجنة وما إلى المدينة سبيل. ثم حمل بهم فهزم المشركين.

وقد حكى مالك عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكر: اكتب إلى خالد أن لا يعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمرك. فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك، فكتب إليه خالد: إما أن تدعني وعملی، وإلا فشأنك بعملك. فأشار عليه عمر بعزله، فقال أبو بكر: فمن يجزي عنی جزاء خالد؟ قال عمر: أنا. قال: فأنت. فتنجز عمر حتى أنيخ الظهر في الدار، ثم جاء الصحابة فأشاروا على الصديق ببقاء عمر بالمدينة وإبقاء خالد بالشام. فلما ولي عمر كتب إلى خالد بذلك فكتب إليه خالد بمثل ذلك فعزله، وقال: ما كان الله ليراني أمر أبابكر بشيء لا أنفذه أنا. وقد روى البخاري في التاريخ وغيره من طريق علي بن رباح عن ياسر بن سمي البرني، قال: سمعت عمر يعتذر إلى الناس بالجائسة من عزل خالد، فقال: أمرته أن يجبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف واللسان، فأمرت أبا عبيدة. فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: ما اعتذرت يا عمر، لقد نزعنا عاملاً استعمله رسول الله (ص)، ووضعنا لواء رفعه رسول الله (ص)، وأخذت سيفاً سله الله، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم. فقال عمر: إنك قريب القرابة، حديث السنن مفضب في ابن عمك. قال الواقدي رحمه الله، ومحمد بن سعيد وغير واحد: مات سنة إحدى وعشرين بقرية على ميل من حمص، وأوصى إلى عمر بن الخطاب. وقال دحيم وغيره: مات بالمدينة. والصحيح الأول. وقد مننا فيما سلف تعزير عمر له حين أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف، وأخذ من ماله عشرين ألفاً أيضاً. وقد مننا عليه لدخوله الحمام وتدلكه بعد النورة بدقيق عصفور معجون بخمر، واعتذار خالد إليه بأنه صار غسولاً. وروينا عن خالد أنه طلق امرأة من نسائه وقال: إني لم أطلقها عن ريبة، ولكنها لم تمرض عندي ولم يصبها شيء في بدنها ولا رأسها ولا في شيء من جسدها. وروى سيف وغيره: أن عمر قال حين عزل خالداً عن الشام، والمثنى بن حارثة عن العراق: إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعاً. وروى سيف أيضاً أن عمر قال حين عزل خالداً عن قنسرين وأخذ منه ما أخذ: إنك على الكريم، وإنك عندي لعزير، وإن يصل إليك مني أمر تكبره بعد ذلك. وقد قال الأصمعي عن سلمة عن بلال عن مجالد عن الشعبي قال: اصطرع عمر وخالد وهما غلامان - وكان خالد ابن خال عمر - فكسر خالد ساق عمر، فعولجت وجبرت، وكان ذلك سبب العداوة بينهما. وقال الأصمعي عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال: دخل خالد على عمر وعليه قميص حرير فقال عمر: ما هذا يا خالد؟ فقال: وما بأس يا أمير المؤمنين، أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف؟ فقال: وأنت مثل ابن عوف؟ ولك مثل ما لبس ابن عوف؟ عزمت

على من بالبيت إلا أخذ كل واحد منهم بطائفة مما يليه . قال : فزقوه حتى لم يبق منه شيء . وقال عبد الله بن المبارك عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل - ثم شك حماد في أبي وائل - قال : ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال : لقد طلبت القتل في نظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي . وما من عمل شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا منترس والسماء تهلني تمطر إلى الصبح ، حتى تغير على الكفار . ثم قال : إذا أنامت فانظروا إلى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة في سبيل الله . فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله : ما على آل نساء الوليد أن يسفنن على خالد من دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقلقة .

قال ابن المختار : النقع التراب على الرأس ، والقلقة الصوت . وقد علق البخارى في صحيحه بعض هذا فقال : وقال عمر : دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقعاً أو لقلقة . وقال محمد بن سعد ثنا وكيع وأبو معاوية وعبد الله بن نمير قالوا : حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بنى المغيرة في دار خالد يبكين عليه فقيل لعمر : إنهن قد اجتمعن في دار خالد يبكين عليه ، وهن خلقاء أن يسمعنك بعض ما تكره . فأرسل إليهن فأنهين . فقال عمر : وما عليهن أن يتزفن من دموعهن على أبي سليمان ، ما لم يكن نقعاً أو لقلقة . ورواه البخارى في التاريخ من حديث الأعمش بنحوه .

وقال إسحق بن بشر وقال محمد : مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر في جنازته وإذا أمه تندبه وتقول :

أنت خير من ألف ألف من القوم \* م إذا ما كبت وجوه الرجال

فقال : صدقت والله إن كان كذلك .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم . قال : فأقام خالد في المدينة حتى إذا ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به ، وقد عزم على توليته بعد أن يرجع من الحج ، واشتكى خالد بعمده وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها احذرونى إلى مهاجرى ، فقدمت به المدينة ومرضته فلما ثقل وأظلم قدوم عمر لقيه لاق على مسيرة ثلاث صناديق عن حجة فقال له عمرهم<sup>(١)</sup> فقال : خالد بن الوليد ثقيل لما به . فضوى عمر ثلاثاً في ليلة فادركه حين قضى ، فرق عليه واسترجع وجلس بيابه حتى جهز ، وبكته البواكى ، فقيل لعمر : ألا تسمع ألا تنهاهن ؟ فقال : وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ؟ ما لم يكن نقع ولا لقلقة . فلما خرج لجنازته رأى عمر امرأة محرمة تبكيه وتقول :

أنت خير من ألف ألف من النا \* س إذا ما كبت وجوه الرجال

(١) كذا بالحلية وفي المصرية بياض .

أشجاعاً فانت أشجع من ليث \* ضمير بن جهم، أبي أشبال  
 أجواداً فانت أجود من سيل \* دياس يسيل بين الجبال  
 فقال عمر: من هذه؟ قليل له: أمه. فقال: أمه والآله ثلاثاً. وهل قامت النساء عن مثل  
 خالد. قال: فكان عمر يتمثل في طيه تلك الثلاث في ليلة وفي قدومه.

تبكي ما وصلت به الندامى \* ولا تبكي فوارس كالجبال  
 أولئك إن بكيت أشد فقداً \* من الأذهب والعكر الجلال  
 تمنى بعدهم قوم مدام \* فلم يدنوا لأسباب الكمال

وفي رواية أن عمر قال لأم خالد: أخالاً أو أجزه ترزئين؟ عزمت عليك أن لا تبيني حتى تسود  
 يدك من الخضاب. وهذا كله مما يقتضى موته بالمدينة النبوية، وإليه ذهب دحيم عبد الرحمن بن  
 إبراهيم الدمشقي، ولكن المشهور عن الجمهور والواقدي، وكاتبه محمد بن سعد، وأبو عبيد القاسم  
 ابن سلام، وإبراهيم بن المنذر، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وأبو عبد الله العصفري، وهوسى بن  
 أوب، وأبو سليمان بن أبي محمد وغيرهم، أنه مات بجمص سنة إحدى وعشرين. زاد الواقدي:  
 وأوصى إلى عمر بن الخطاب. وقد روى محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد  
 وغيره قالوا: قدم خالد المدينة بعد ما عزله عمر فاعتبر ثم رجع إلى الشام، فلم يزل بها حتى مات في  
 سنة إحدى وعشرين. وروى الواقدي أن عمر رأى حجاجاً يصلون بمسجد قباء فقال: أين نزلتم  
 بالشام؟ قالوا: بجمص، قال: فهل من معرفة خبر؟ قالوا: نعم مات خالد بن الوليد. قال: فاسترجع  
 عمر وقال: كان والله سداً لنحور العدو، ميمون النقيبة. فقال له علي: فلم عزله؟ قال: لبذله  
 المال لذوى الشرف واللسان.

وفي رواية أن عمر قال لعلي: ندمت على ما كان مني. وقال محمد بن سعد: أخبرنا عبد الله بن  
 الزبير الحميدي ثنا سفيان بن عيينة ثنا إسماعيل بن أبي خالد، سمعت قيس بن أبي حازم يقول: لما  
 مات خالد بن الوليد قال عمر: رحم الله أبا سليمان، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت. وقال جويرية  
 عن نافع قال: لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلماه وسلاحه، وقال القاضي المعافا بن زكريا  
 الحريري: ثنا أحمد بن العباس العسكري، ثنا عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الرحمن بن حمزة  
 اللخمي ثنا أبو علي الحرنازي قال: دخل هشام بن البحتري في ناس من بني مخزوم على عمر بن  
 الخطاب فقال له: يا هشام أنشدني شعرك في خالد. فأشده فقال: قصرت في الثناء على أبي سليمان  
 رحمه الله، إنه كان ليحب أن يفل الشرك وأهله، وإن كان الشامت به لمترضاً لمت الله. ثم قال  
 عمر قاتل الله أخا بني تميم ما أشعره

وقل للذي يبقى خلاف الذي مضى \* نهياً لأخرى مثلها فكان قدي  
 فما عيش من قد عاش بعدى بنافعي \* ولا موت من قد مات يوماً بمخلدي  
 ثم قال عمر : رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه . ولقد مات سعيداً وعاش حيداً  
 ولكن رأيت الدهر ليس بقائل .

### طليحة بن خويلد

ابن نوفل بن فضلة بن الأشتر بن جحوان بن قعس بن طريف بن عمر بن قعير بن الحارث بن  
 ثعلبة بن داود بن أسد بن خزيمه الأسدى القعسى ، كان ممن شهد الخندق من ناحية المشركين ،  
 ثم أسلم سنة تسع ، ووفد على رسول الله (ص) ، إلى المدينة ثم ارتد بعد وفاة رسول الله (ص) ، في أيام  
 الصديق ، وادعى النبوة كما تقدم . وروى ابن عساكر أنه ادعى النبوة في حياة رسول الله (ص) ،  
 وأن ابنه خيال قدم على رسول الله (ص) ، فسأله : ما اسم الذي يأتي إلى أبيك ؟ فقال : ذو النون  
 الذي لا يكذب ولا يخون ، ولا يكون كما يكون . فقال : لقد سمى ملكاً عظيماً الشأن ، ثم قال لابنه :  
 قتلك الله وحرمتك الشهادة . وردة كما جاء . فقتل خيال في الردة في بعض الوقائع قتله عكاشة بن  
 محصن ثم قتل طليحة عكاشة وله مع المسلمين وقائع . ثم خذله الله على يدي خالد بن الوليد ، وتفرق  
 جنده فهرب حتى دخل الشام فنزل على آل جفنة ، فأقام عندهم حتى مات الصديق حياً منه ، ثم  
 رجع إلى الإسلام واعتمر ، ثم جاء يسلم على عمر فقال له : اغرب عني فانك قاتل الرجلين الصالحين ،  
 عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم ، فقال : يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرهما الله على يدي ولم  
 يهني بأيديهما . فأعجب عمر كلامه ورضى عنه . وكتب له بالوصاية إلى الأمراء أن يشاور ولا يولي شيئاً  
 من الأمر ثم عاد إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك وبعض حروب كالفادسية ونهاوند الفرس ، وكان من  
 الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، وقد حسن إسلامه بعد هذا كله . وذكره محمد بن سعد  
 في الطبقة الرابعة من الصحابة وقال : كان يعد بألف فارس لشدة وشجاعته وبصره بالحرب . وقال  
 أبو نصر بن مأكولا : أسلم ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه ، وكان يعدل بألف فارس . ومن شعره  
 أيام رده وادعائه النبوة في قتل المسلمين أصحابه .

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم \* أليسوا وإن لم يسلموا برجال  
 فان يكن اذداد أصبن ونسوة \* فلم يذهبوا فرعاً بقتل خيال  
 نصبت لهم صدر الجملة إنها \* معاودة قتل الكعبة نزال  
 فيوماً تراها في الجلال مصونة \* ويوماً تراها غير ذات جلال  
 ويوماً تراها تضيء المشرفة نحوها \* ويوماً تراها في ظلال عوالي

عشية غادرتُ ابنَ أقرمَ ناوياً \* وعكاشةُ العمى عندَ مجالِ

وقال سيف بن عمر عن مبشر بن الفضيل عن جابر بن عبد الله . قال : بالله الذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كما هجمنا عليهم من أمانتهم وزهدهم ، طليحة بن خويلد الأسدي ، وعمرو بن معدى كرب ، وقيس ابن المكشوح . قال ابن عساكر : ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن الفراس الوراق أن طليحة استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن ، وعمرو بن معدى كرب رضی الله عنهم .

### عمرو بن معدى كرب

ابن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن عمرو بن زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة ابن شيبه وهو زبيد الأكبر بن الحارث بن صعف بن سعد العشيرة بن مذحج الزبيدي المنحجي أبو ثور ، أحد الفرسان المشاهير الأبطال ، والشجعان المذاكير ، قدم على رسول الله (ص) سنة تسع ، وقيل عشر ، مع وفد مراد ، وقيل في وفد زبيد قومه . وقد ارتد مع الأسود العنسي فسار إليه خالد بن سعيد بن العاص ، فقاتله فضر به خالد بن سعيد بالسيف على عاتقه فهرب وقومه ، وقد استلب خالد سيفه الصمصامة ، ثم أسروا ودفع إلى أبي بكر فأنبه وعاتبه واستتابه ، فتاب وحسن إسلامه بعد ذلك ، فسيره إلى الشام ، فشهد اليرموك ثم أمره عمر بالمسير إلى سعد وكتب بالوصاية به ، وأن يشاور ولا يولى شيئاً ، فنفخ الله به الإسلام وأهله ، وأبلى بلاء حسناً يوم القادسية . وقيل إنه قتل بها ، وقيل بنهاوند ، وقيل مات عطشاً في بعض القرى يقال لها روضة فأنه أعلم . وذلك كله في إحدى وعشرين فقال بعض من رثاه من قومه :

لقد غادر الركبان يومَ تحملوا \* بروضة شخصاً لا جباناً ولا عمراً

فقل لزبيد بلٍ لمذحجٍ كلها \* رزتم أبا ثورٍ قريع الوغى عمراً

وكان عمرو بن معدى كرب رضی الله عنه من الشعراء المجيدين ، فمن شعره :

أعادلُ عدتي بدني ورمحي \* وكل مقلصٍ سلس القيادِ

أعادلُ إنما أفنى شبابي \* إجابتي الصريحُ إلى المنادِ

مع الأبطالِ حتى سلَّ جسمي \* وأقرعُ عاتقِ حمل النجادِ

ويبقى بعدَ حلمِ القومِ حلمي \* ويفنى قبلَ زادِ القومِ زادي

تمنى أن يلاقيني قيسٌ \* ووددتُ وأينا مني وداي

فمن ذا عاذري من ذى سفاهٍ \* يرودُ بنفسه مني المرادِ

أريدُ حياته وبريدِ قتلي \* عذيرك من خليلك من مرادِ



له حديث واحد في التلبية رواه شراحيل بن القعقاع عنه ، قال : كنا نقول في الجاهلية إذا  
 لبينا : لبيك تعظيماً إليك عندي \* هذى زبيد قد أتتك قسراً \* يمدو بها مضمرات شزرآ \* يقطعن  
 خبتنا وجبالاً وعرا \* قد تركوا الاوثان خلواً صفرآ \* قال عمرو : فنحن نقول الآن والله الحمد كما علمنا  
 رسول الله (ص) : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ،  
 لا شريك لك .

### العلاء بن الحضرمي

أمير البحرين لرسول الله (ص) ، وأقره عليها أبو بكر ثم عمر . تقدم أنه توفي سنة أربع عشرة  
 ومنهم من يقول إنه تأخر إلى سنة إحدى وعشرين ، وعزله عمر عن البحرين وولى مكانه أبهريرة .  
 وأمره عمر على الكوفة فمات قبل أن يصل إليها منصرفه من الحج . كما قدمنا ذلك والله أعلم . وقد  
 ذكرنا في دلائل النبوة قصته في سيره بجيشه على وجه الماء وما جرى له من خرق العادات والله الحمد .

### النعمان بن مقرن بن عائذ المزني

أمير وقعة نهاوند ، صحابي جليل ، قدم مع قومه من مزينة في أربعين ركباً ، ثم سكن البصرة  
 وبعثه الفاروق أميراً على الجنود إلى نهاوند ، ففتح الله على يديه فتحاً عظيماً ، ومكن الله له في تلك  
 البلاد ، ومكنه من رقاب أولئك العباد ، ومكن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد ، ومنحه النصر في  
 الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وأتاح له بعدما أراه ما أحب شهادة عظيمة وذلك غاية المراد ، فكان ممن  
 قال الله تعالى في حقه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
 وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل  
 والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ) .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين

وفيها كانت فتوحات كثيرة منها فتح همدان ثانية

ثم الري وما بعدها ثم أذربيجان

قال الواقدي وأبو معشر : كانت في سنة ثنتين وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة ثمان  
 عشرة بعد فتح همدان والري وجرجان . وأبو معشر يقول بأن أذربيجان كانت بعد هذه البلدان ،  
 ولكن عنده أن الجميع كان في هذه السنة . وعند الواقدي أن فتح همدان والري في سنة ثلاث  
 وعشرين ، فهمدان افتتحها المغيرة بعد مقتل عمر بسة أشهر ، قال : ويقال كان فتح الري قبل وفاة  
 عمر بسنتين ، إلا أن الواقدي وأبنا معشر متفقان على أن أذربيجان في هذه السنة ، وتبعهما ابن جرير  
 وغيره . وكان السبب في ذلك أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند وما وقع من الحرب المتقمة ، فتحوا

حلوان وهمدان بعد ذلك . ثم إن أهل همدان نقضوا عهدهم الذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو ، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همدان ، وأن يجعل علي مقدمته أخاه سويد بن مقرن ، وعلي مجنبيه ربي بن عامر الطائي ، ومهلبل بن زيد النخعي . فسار حتى نزل على ثنية العسل ، ثم تحدر على همدان ، واستولى على بلادها ، وحاصرها فسألود الصلح فصالحهم ودخلها ، فبينما هو فيها ومعه اثني عشر ألفاً من المسلمين إذ تكاتف الروم والديلم وأهل الري وأهل أذربيجان ، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن في جمع كثير ، فعلى الديلم ملكهم واسمه موتا ، وعلى أهل الري أبو الفريخان ، وعلى أذربيجان اسفنديار أخو رستم ، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له واج الروذ ، فاقتلوا قتلاً شديداً وكانت وقعة عظيمة تعدل نياوند ولم تك دونها ، قتلوا من المشركين جمعاً كثيراً ، وجماً صغيراً لا يحصون كثرة ، وقتل ملك الديلم موتا وتزق شملهم ، وانهمزوا بأجمعهم ، بعد من قتل بالمعركة منهم ، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم من المسلمين . وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم فمعه ذلك واغتم له . فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر بالكتاب فقريء على الناس ، وفرحوا وحمدوا الله عز وجل . ثم قدم عليه بالأخماس ثلاثة من الأمراء وهم سالك بن خرشة ، ويعرف بأبي دجانه ، وسالك بن عبيد ، وسالك بن مخرمة . فلما استسماهم عمر قال : اللهم اسمك بهم الاسلام ، وأهد بهم الاسلام ، ثم كتب إلى نعيم بن مقرن بأن يستخلف على همدان ويسير إلى الري فامثل نعيم . وقد قال نعيم في هذه الوقعة :

ولما أتاني أن موتاً ورهطاً \* بني باسلٍ جروا جنوداً أعاجم  
نهضتُ إليهم بالجنودِ مسامياً \* لا منعَ منهمِ ذمتي بالقواصمِ  
فجئنا إليهم بالحديدِ كأننا \* جبالٌ تراءى من فروع القلاصمِ  
فلما لقيناهم بها مستفيضةً \* وقد جعلوا يسمونَ فعلَ المسامِ  
صدمناهم في واجِ روذٍ بجمعنا \* غداةَ رميناهمُ بأحدى العظامِ  
فما صبروا في حومةِ الموتِ ساعةً \* لحدِ الرماحِ والسيوفِ الصوارمِ  
كأنهم عندَ انبثاثِ جموعهم \* جدارٌ تشظى لبتهُ للهادمِ  
أصبنا بها موتاً ومنً لفتَ جمعهُ \* وفيها نهبٌ قسمهُ غيرُ عامِ  
تبعناهم حتى أووا في شعابهم \* فنقتلهم قتلَ الكلابِ الجواحمِ  
كأنهم في واجِ روذٍ وجومٍ \* ضنينٌ أصابتها فروعُ المخارمِ

### فتح الري

استخلف نعيم بن مقرن على همدان يزيد بن قيس الهمداني وسار بالجيش حتى لحق بالري فلقى

هناك جمعاً كثيراً من المشركين فاقتلوا عند سفح جبل الرى فصبروا صبراً عظيماً ثم انهزموا قتل منهم النعمان بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عدوا بالقصب فيها ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريباً مما غنم المسلمون من المدائن . وصالح أبو الفرخان على الرى ، وكتب له أماناً بذلك ، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس والله الحمد والمنة .

### فتح قومس

ولما ورد البشير بفتح الرى وأخماسها كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قومس . فسار إليها سويد ، فلم يبق له شيء حتى أخذها مسلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح .

### فتح جرجان

لما عسكر سويد بقومس بعث إليه أهل بلدان شتى منها جرجان وطبرستان وغيرها يسألونه الصلح على الجزية ، فصالح الجميع وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح . وحكى المدائني أن جرجان فتحت في سنة ثلاثين أيام عثمان فآله أعلم .

### وهذا فتح أذربيجان

لما افتتح نعيم بن مقرن همدان ثم الرى ، وكان قد بعث بين يديه بكير بن عبد الله من همدان إلى أذربيجان ، وأردفه بسماك بن خرشة ، فلقى أسفندياذ بن الفرخزاد بكيراً وأصحابه ، قبل أن يقدم عليهم سماك ، فاقتلوا فهزم الله المشركين ، وأسر بكير أسفندياذ ، فقال له أسفندياذ : الصلح أحب إليك أم الحرب ؟ فقال : بل الصلح . قال : فأمسكني عندك . فأمسكه ثم جعل يفتح بلداً بلداً وعتبة بن فرقد أيضاً يفتح معه بلداً بلداً في مقابلته من الجانب الآخر . ثم جاء كتاب عمر بأن يتقد بكير إلى الباب وجعل سماك موضعاً نائباً لعتبة بن فرقد ، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد ، وسام إليه بكير أسفندياذ ، وصار كما أمره عمر إلى الباب . قالوا : وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاد لعتبة بن فرقد فهزموه عتبه وهرب بهرام ، فلما بلغ ذلك أسفندياذ وهو في الأسر عند بكير قال : الآن تم الصلح وطفئت الحرب . فصالحه فأجاب إلى ذلك كلهم . وعادت أذربيجان مسلماً ، وكتب بذلك عتبه وبكير إلى عمر ، وبعثوا بالأخماس إليه ، وكتب عتبه حين انتهت إمرة أذربيجان لأهلها كتاب أمان وصلح .

### فتح الباب

قال ابن جرير : وزعم سيف أنه كان في هذه السنة كتب عمر بن الخطاب كتاباً بالامرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو - الملقب بندي النور - وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، ويقال له

- ذو النور أيضاً - وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد ، وعلى الأخرى بكير بن عبد الله اللبثي - وكان قد تقدمهم إلى الباب - وعلى المقام سلمان بن ربيعة . فساروا كما أمرهم عمر وعلى تعبته ، فلما انتهى مقدم المسافر - وهو عبد الرحمن بن ربيعة - إلى الملك الذي هناك عند الباب وهو شهر براز ملك أرمينية وهو من بيت الملك الذي قتل بنى إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان ، فكتب شهر براز لعبد الرحمن واستأمنه فأمنه عبد الرحمن بن ربيعة ، فقدم عليه الملك ، فأنبى إليه أن صفوه إلى المسلمين ، وأنه مناصح للمسلمين . فقال له : إن فوقى رجلاً فاذهب إليه . فبعثه إلى سراقة ابن عمرو أمير الجيش ، فسأل من سراقة الأمان ، فكتب إلى عمر فأجاز ما أعطاه من الأمان ، واستحسنه ، فكتب له سراقة كتاباً بذلك . ثم بعث سراقة بكيراً ، وحبيب بن مسلمة ، وحذيفة ابن أسيد ، وسه بن ربيعة ، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللان ونفليس وموتان ، فافتتح بكير موتان ، وكتب لهم كتاب أمان ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هناك ، وهو سراقة بن عمرو ، واستخلف بعده عبد الرحمن بن ربيعة ، فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك وأمره بغزو الترك .

### اول غزو الترك

وهو تصديق الحديث المتقدم الثابت في الصحيح عن أبي هريرة وعمر بن تغلب ، أن رسول الله (ص) قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً عراض الوجوه ، داف الأنوف ، حمر الوجوه ، كأوجوههم المجان المطرقة » وفي رواية « يتلعون الشعر »

لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك ، سار حتى قطع الباب قاصداً لما أمره عمر ، فقال له شهر براز : أين تريد ؟ قال : أريد ملك الترك بلنجر ، فقال له شهر براز : إنا نرضى منهم بالموادعة ، ونحن من وراء الباب . فقال له عبد الرحمن : إن الله بعث إلينا رسولا ، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ، ونحن لا نزال منصورين ، فقاتل الترك وسار في بلاد بلنجر مائتي فرسخ ، وغزاه مرات متعددة . ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان كما سنورد في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال سيف بن عمر عن العاصم بن القاسم عن رجل عن سلمان بن ربيعة . قال : لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة بلادهم حال الله بين الترك والخروج عليه ، وقالوا : ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت . فتحصنوا منه وهربوا بالظفر والظفر . ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان فظفر بهم ، كما كان يظفر بغيرهم . فلما دلى عثمان على الكوفة بعض من كان ارتد ، غزاهم فتدامرت الترك وقال بعضهم لبعض : إنهم لا يموتون ، قال : انظروا وفعلوا فاخففوا لهم في الغياض .

فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غرة قتلته وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا على المسلمين بعد ذلك حتى عرفوا أن المسلمين يموتون ، فاقتلوا قتلاً شديداً ونادى مناد من الجوصبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة ، فقاتل عبد الرحمن حتى أقتل وانكشف الناس وأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها ، ونادى المنادى من الجوصبراً آل سلمان بن ربيعة . فقاتل قتلاً شديداً ثم تميز سلمان وأبو هريرة بالمسلمين ، وفروا من كثرة الترك ورميهم الشديد الشديد على جبلان قطعوها إلى جرجان ، واجترأت الترك بعدها ، ومع هذا أخنت الترك عبد الرحمن بن ربيعة فدفنوه في بلادهم ، فهم يستسقون بقبره إلى اليوم . وسيأتى تفصيل ذلك كله .

### قصة السد

ذكر ابن جرير بسنده أن شهر براز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لما قدم عليه حين وصل إلى الباب وأراه رجلاً فقال شهر براز: أيها الأمير إن هذا الرجل كنت بعثته بنحو السد ، وزودته مالا جزيلاً وكتبت له إلى الملوك الذين يولوني ، وبعثت لهم هدايا ، وسألت منهم أن يكتبوا له إلى من يليهم من الملوك حتى ينتهي إلى سدذي القرنيين ، فينظر إليه ويأتينا بخبره . فسار حتى انتهى إلى الملك الذي السد في أرضه ، فبعثه إلى عامله مما يلي السد ، فبعث معه بازياره ومعه عقابه ، فلما انتهوا إلى السد إذا جبلان بينهما سد مسدود ، حتى ارتفع على الجبلين ، وإذا دون السد خندق أشد مواداً من الليل لبعده ، فنظر إلى ذلك كله وتفرس فيه ، ثم لما هم بالانصراف قال له البازيار : على رسلك ، ثم شرح بضعة لحم معه فألقاها في ذلك الهواء ، وانقض عليها العقاب . فقال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء ، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء . قال : فلم تدركها حتى وقعت في أسفله واتبعتها العقاب فأخرجها فاذا فيها ياقوتة وهي هذه . ثم ناولها الملك شهر براز لعبد الرحمن بن ربيعة ، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردها إليه ، فلما ردها إليه فرح وقال : والله لهنه خير من مملكة هذه المدينة - يعني مدينة باب الأبواب التي هو فيها - والله لأنتم أحب إلي اليوم من مملكة آل كسرى ، ولو كنت في سلطانهم وبلغهم خبرها لانزعوها مني . وأيم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر . ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذي ذهب على السد فقال : ما حال هذا الردم ؟ - يعني ما صفته - فأشار إلى ثوب في زرقه وحمرة فقال : مثل هذا . فقال رجل لعبد الرحمن : صدق والله لقد نفذ ورأى . فقال : أجل وصف صفة الحديد والصفير . قال الله تعالى [آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً ] وقد ذكرت صفة السد في التفسير ، وفي أوائل هذا الكتاب . وقد ذكر البخاري في صحيحه تعليقاً أن رجلاً قال للنبي (ص) رأيت السد . فقال : « كيف رأيتنه » ؟ قال : مثل البرد المحبر رأيتنه .

قالوا : ثم قال عبد الرحمن بن ربيعة لشهر براز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مائة ألف في بلادى وثلاثة آلاف ألف في تلك البلدان .

### بقية من خبر السد

أورد شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ في هذه السنة ما ذكره صاحب كتاب مسالك الممالك عما أملاه عليه سلام الترجمان ، حين بعثه الواثق بأمر الله بن المعتصم - وكان قد رأى في النوم كأن السد قد فتح - فأرسل سلاماً هذا وكتب له إلى الملوك بالوصاية به ، وبعث معه ألفي بغل تحمل طعاماً فساروا بين سامرا إلى إسحق بتغليس ، فكتب لهم إلى صاحب السريير ، وكتب لهم صاحب السريير إلى ملك اللان ، فكتب لهم إلى قبلان شاه ، فكتب لهم إلى ملك الخزر ، فوجه معه خمسة أولاد فساروا ستة وعشرين يوماً . انتهوا إلى أرض سواداء منقنة حتى جعلوا يشمون الخلل ، فساروا فيها عشرة أيام ، فانهوا إلى مدائن خراب هدة سبعة وعشرين يوماً ، وهي التي كانت يأجوج ومأجوج تطرقها فخربت من ذلك الحين ، وإلى الآن ، ثم انتهوا إلى حصن قريب من السد فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية وبالفارسية ويحفظون القرآن ، ولهم مكاتب ومساجد ، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا ، فدكروا لهم أنهم من جهة أمير المؤمنين الواثق فلم يعرفوه بالكلية . ثم انتهوا إلى جبل أملس ليس عليه خضرا وإذا السد هنالك من لبن حديد مغيب في نحاس ، وهو مرتفع جدا لا يكاد البصر ينتهي إليه ، وله شرفات من حديد ، وفي وسطه باب عظيم بصرايين مغلقتين ، عرضهما مائة ذراع ، في طول مائة ذراع ، في ثخانة خمسة أذرع ، وعليه قفل طوله سبعة أذرع في غلابة باع - وذكر أشياء كثيرة - وعند ذلك المكان حرس يضربون عند القفل في كل يوم فيسمعون به . ذلك صوتاً عظيماً مزعجاً ، لأن أن وراء هذا الباب حرس وحفظة ، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماء عذبة ، وفي إحداهما بقايا العمارة من مغارف ولبن من حديد وغير ذلك ، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف في مثله ، في صمك شبر . وذكر أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبروهم أنهم رأوا منهم يوماً أشخاصاً فوق الشرفات ، فهبت الريح فالتهم إليهم ، فاذا طول الرجل منهم شبر أو نصف شبر والله أعلم

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا معاوية الصائفة ، من بلاد الروم ، وكان معه حماد والصحابة فسارو غم ورجع سالماً . وفيها ولد يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان . وفيها حج بالناس عمر ابن الخطاب وكان عماله فيها على البلاد ، هم الذين كانوا في السنة قبلها . وذكر أن عمر عزل عمارة في هذه السنة عن الكوفة اشتكاه أهلها وقالوا : لا يحسن السياسة ، فعزله وولى أبا موسى الأشعري ، فقال أهل الكوفة : لا تريده ، وشكوا من غلامه فقال : دعوني حتى أنظر في أمري ، وذهب إلى طائفة من

المسجد ليفكر من بولى . فنام من الهم فجاءه المغيرة فجعل يحرسه حتى استيقظ فقال له : إن هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين ، الذى بلغ بك هذا . قال : وكيف وأهل الكوفة مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير . ثم جمع الصحابة واستشارهم ، هل يولى عليهم قوياً مشدداً أو ضعيفاً مسلماً ؟ فقال له المغيرة بن شعبة : يا أمير المؤمنين ، إن القوى قوته لك والمسلمين وتشديده لنفسه ، وأما الضعيف المسلم فضعه عليك وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه . فقال عمر للمغيرة - واستحسن ما قال له - : اذهب فقد وليتك الكوفة . فرده إليها بعد ما كان عزله عنها بسبب ما كان شهد عليه الذين تقدم حدم بسبب قذفه ، والعم عند الله عز وجل . وبعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة [ فقيل له : أساءك العزل ؟ فقال : والله ما سرتنى الولاية ، ولقد ساءنى العزل . وفى رواية أن الذى سأله عن ذلك عمر رضى الله عنه ]<sup>(١)</sup> ثم أراد عمر أن يبعث سعد بن أبى وقاص على الكوفة بدل المغيرة فعاجلته المنية فى سنة ثلاث وعشرين على ما سيأتى بيانه ، ولهذا أوصى لسعد به .

قال الواقدي : وفى هذه السنة غزا الأحنف بن قيس بلاد خراسان ، وقصد البلد الذى فيه يزدجرد ملك الفرس . قال ابن جرير : وزعم سيف أن هذا كان فى سنة ثمانى عشرة . قلت : والأول هو المشهور والله أعلم .

### قصة يزدجرد بن شهریار بن كسرى

لما استلب سعد من يديه مدينة ملكه ، ودار مقره ، وإوان سلطانه ، وبساط مشورته وحواصله ، تحول من هناك إلى حلوان ، ثم جاء المسلمون لينحاصروا حلوان فتحول إلى الرى ، وأخذ المسلمون حلوان ثم أخذت الرى ، فتحول منها إلى أصبهان ، فأخذت أصبهان ، فسار إلى كرمان فقصد المسلمون كرمان فافتتحوها ، فانتقل إلى خراسان فترها . هذا كله والنار التى يعبدها من دون الله يسير بها معه من بلد إلى بلد ، وبينى لها فى كل بلد بيت توقد فيهم على عادتهم ، وهو يحمل فى الليل فى مسيره إلى هذه البلدان على بهير عليه هودج ينام فيه . فبينما هو ذات ليلة فى هودجه وهو نائم فيه ، إذ مروا به على مخاضة فأرادوا أن ينهبوه قبلها لئلا يتزعج إذا استيقظ فى المخاضة ، فلما أيقظوه تفضب عليهم شديداً وشتهم ، وقال : حرمتونى أن أعلم مدة بقاء هؤلاء فى هذه البلاد وغيرها ، إني رأيت فى منامى هذا أنى ومجداً عند الله ، فقال له : ملككم مائة سنة ، فقال : زدنى . فقال : عشر أومائة . فقال : زدنى . فقال : عشرين ومائة سنة . فقال : زدنى فقال لك ، وأنبهتوني ، فلو تركتموني لعلمت مدة هذه الأمة .

(١) سقط من الحلبية

## خراسان مع الأحنف بن قيس

وذلك أن الأحنف بن قيس هو الذي أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات في بلاد العجم ، ويضيقوا على كسرى يزجرد ، فانه هو الذي يستحث الفرس والجنود على قتال المسلمين . فاذن عمر بن الخطاب في ذلك عن رأيه ، وأمر الأحنف ، وأمره بغزو بلاد خراسان . فركب الأحنف في جيش كثيف إلى خراسان قاصداً حرب يزجرد ، فدخل خراسان فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها سحر بن فلان العبدي ، ثم سار إلى مرو والشاهجان وفيها يزجرد ، وبعث الأحنف بين يديه مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى نيسابور ، والحارث بن حسان إلى سرخس . ولما اقترب الأحنف من مرو والشاهجان ، ترحل منها يزجرد إلى مرو الروذ [ فافتتح الأحنف مرو والشاهجان قتلها . وكتب يزجرد حين نزل مرو الروذ ]<sup>(١)</sup> إلى خاقان ملك الترك يستمده ، وكتب إلى ملك الصفد [ يستمده ، وكتب إلى ملك الصين ]<sup>(٢)</sup> يستعينه . وقصد الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ وقد استخلف على مرو والشاهجان حارثة بن الزمان ، وقد وفدت إلى الأحنف أمداد من أهل الكوفة مع أربعة أمراء ، فلما بلغ مسيره إلى يزجرد [ ترحل إلى بلخ ، فالتقى معه ببلخ يزجرد ]<sup>(٣)</sup> فهزمه الله عز وجل وهرب هو ومن بقي معه من جيشه فعبّر النهر واستوثق ملك خراسان على يدي الأحنف ابن قيس ، واستخلف في كل بلدة أميراً ، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكاملها . فقال عمر : وددت أنه كان بيننا وبين خراسان بحر من نار . فقال له علي : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن أهلها سينقضون عهدهم ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة ، فقال : يا أمير المؤمنين [ لأن يكون ذلك بأهلها ، أحب إلى من ]<sup>(٤)</sup> أن يكون ذلك بالمسلمين وكتب عمر إلى الأحنف ينهيه عن العبور إلى ما وراء النهر . وقال : احفظ ما بيدك من بلاد خراسان . ولما وصل رسول يزجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يختلفا بأمره ، فلما عبر يزجرد النهر ودخل في بلادها تعين عليهما إنجاده في شرع الملوك ، فسار معه خاقان الأعظم ملك الترك ، ورجع يزجرد بجنود عظيمة فيهم ملك التتار خاقان ، فوصل إلى بلخ واسترجعها ، وفر عمال الأحنف إليه إلى مرو الروذ ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف [ ]<sup>(٥)</sup> بمرو الروذ فبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلا يقول لا آخر : إن كان الأمير ذا رأي فانه يقف دون هذا الجبل فيجمعه وراء ظهره ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة . فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه ،

(١) - (٥) سقط من الخلية .



وكان أمانة النصر والرشد ، وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيم هائل مزعج ، فقام الأحنف في الناس خطيباً فقال : إنكم قليل وعدوكم كثير ، فلا يهوانكم ، [ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ] فكانت الترك يقاتلون بالنهار ولا يبرى الأحنف أين يذهبون في الليل . فسار ليلة مع طلبيعة من أصحابه نحو جيش خاقان ، فلما كان ريب الصبح خرج فارس من الترك طلبيعة وعليه طوق وضرب بطبله فتقدم إليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز .

إن على كل رئيس حقاً \* أن يحضب الصعدة أو يندقا  
إن لها شيخاً بها ملقى \* بسيف أبي حفص الذي تبقى

قال : ثم استلب التركي طوقه ووقف موضعه ، فخرج آخر علم طوق ومعه طبل فجعل يضرب بطبله ، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً واستلبه طوقه ووقف موضعه فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك سكية . وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من صبيبتهم حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله ، ثم الثاني ثم الثالث ، ثم يخرجون بعد الثالث . فلما خرجت الترك ليلتند صد الثالث ، فأتوا على فرسانهم مقتلين ، تشاءم بذلك الملك خاقان وتطير ، وقال لعسكره : قد طال قامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله ، مالنا في قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرفوا بنا . فرجعوا إلى بلادهم وانتظروا المسلمون يومهم ذلك ليخرجوا إليهم من شعبهم فلم يروا أحدا منهم ، ثم بلغهم انصرافهم إلى بلادهم راجعين عنهم [ وقد كان يزجرد - وخاقان في مقابلة الأحنف بن قيس ومقاتلته - ذهب ]<sup>(٢)</sup> إلى مرو والشاهجان فحاصرها وحارثة بن النعمان بها واستخرج منها خزائنه التي كان دقها بها ، ثم رجع وانتظره خاقان بيلخ حتى رجع إليه .

وقد قال المسلمون للأحنف : ماترى في اتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . وقد أصاب الأحنف في ذلك ، فقد جاء في الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » وقد [ رد الله الذين كفروا بفيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ] . ورجع كسرى خاسراً الصفة لم يشف له غليل ، ولا حصل على خير ، ولا انتصر كما كان في زعمه ، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه ، وتنحى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه ، وبقي مذنباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء [ ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً ] وتخير في أمره ماذا يصنع ؟ وإلى أين يذهب ؟ وقد أشار عليه بعض أولى النهى من قومه حين قال : قد عزمتم أن أذهب إلى بلاد الصين أو أكون مع خاقان في بلاده

(١) سقط من الحلبية .

قالوا : إنا نرى أن نصانع هؤلاء القوم فان لهم ذمة وديناً يرجعون إليه ، فنكون في بعض هذه البلاد وهم مجاورينا ، فهم خير لنا من غيرهم . فأبى عليهم كسرى ذلك . ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به ويستنجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلاد وقهروا رقاب العباد ، فجعل يخبره عن صفتهم ، وكيف يركبون الخيل والابل ، وماذا يصنعون ؟ وكيف يصلون . فكتب معه إلى يزيد جرد : إنه لم يمتعنى ان أبعث إليك بجيش أوله يمر و آخره بالصين الجهالة بما بحق على ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك | صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ، ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك |<sup>(١)</sup> فسالمهم وارض منهم بالمسألة . فأقام كسرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهورين . ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل بعد سنتين من إمارة عثمان كما سنورده في موضعه . ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما آفاه الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم ، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة ، ثم ردهم الله بغيرهم لم ينالوا خيراً . فقام عمر على المنبر وقرئ الكتاب بين يديه ، ثم قال عمر : إن الله بعث محمداً بالهدى | ووعده على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة ، فقال : [ هو الذي أرسل رسوله بالهدى |<sup>(٢)</sup> ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ] فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر جنده . ألا وإن الله قد أهلك ملك الجوسية : فرق شملهم ، فليسوا بملكون من بلادهم شبراً يضرب بسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون ، فتقوموا في أمره على وجل ، يوف لكم بهمه ، ويؤتكم وعده ، ولا تغيروا يستبدل قوماً غيركم ، فاني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ في تاريخ هذه السنة - أعني سنة ثنتين وعشرين - : وفيها فتحت أذربيجان على يدي المغيرة بن شعبة . قاله ابن إسحاق : فيقال ، إنه صالحهم على ثمانمائة ألف درهم . وقال أبو عبيدة : فتحها حبيب بن سلمة الفهري بأهل الشام عنوة ، ومعه أهل الكوفة فيهم حذيفة فافتتحها بعد قتال شديد والله أعلم . وفيها افتتح حذيفة الدينور عنوة - بعد ما كان سعد افتتحها فانتقضوا عهدهم . - وفيها افتتح حذيفة ماہ سندان عنوة - وكانوا نقضوا أيضاً عهد سعد - وكان مع حذيفة أهل البصرة فلحقهم أهل الكوفة فاختموا في الغنيمة ، فكتب عمر : إن الغنيمة لمن شهد الوقعة . قال : أبو عبيدة ثم غزا حذيفة همدان فافتتحها عنوة ، ولم تكن فتحت قبل ذلك ، وإليها انتهى فتوح حذيفة . قال : ويقال افتتحها جرير بن عبد الله بأمر المغيرة ويقال : افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين . وفيها افتتحت جرجان . قال خليفة : وفيها افتتح عمرو بن العاص

(١) و (٢) سقط من الحاشية .

طرابلس المغرب ، ويقال في السنة التي بعدها . قلت : وفي هذا كله غرابة لنسبته إلى ما سلف والله أعلم . قال شيخنا : وفيها توفي أبي بن كعب في قول الواقدي وابن نمير والذهلي والترمذي ، وقد تقدم في سنة تسع عشرة . ومعضد بن يزيد الشيباني استشهد بأذربيجان ولا صحبة له .

### ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

#### وفيها وفاة عمر بن الخطاب

قال الواقدي وأبو معشر : فيها كان فتح اصطخر وهمذان . وقال سيف : كان فتحها بعد فتح توج الآخرة . ثم ذكر أن الذي افتتح توج مجاشع بن معدود ، بعد ما قتل من الفرس مقنلة عظيمة وغنم منهم غنائم جمّة ، ثم ضرب الجزية على أهلها ، وعقد لهم الذمة ، ثم بعث بالفتح وخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ثم ذكر أن عثمان بن أبي العاص افتتح جور بعد قتال شديد كان عندها ، ثم افتتح المسلمون اصطخر - وهذه المرة الثانية - ، وكان أهلها قد نقضوا العهد بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتحوها حين جاز في البحر - من أرض البحرين - والتقوا هم والفرس في مكان يقال له طاوس ، كما تقدم بسط ذلك في موضعه . ثم صالحه الهربد على الجزية ، وأن يضرب لهم الذمة . ثم بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر . قال ابن جرير : وكانت الرسل لها جوائز ، وتقضى لهم حوائج ، كما كان رسول الله (ص) يعاملهم بذلك . ثم إن شريك خلع العهد ، ونقض الذمة ، ونشط الفرس ، فنقضوا ، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص ابنه وأخاه الحكم ، فاقتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين ، وقتل الحكم بن أبي العاص شريك ، وقتل ابنه معه أيضاً . وقال أبو معشر : كانت فارس الأولى واصطخر الآخرة سنة ثمان وعشرين في إمارة عثمان ، وكانت فارس الآخرة ووقعة جور في سنة تسع وعشرين .

#### فتح فسا ودار أبجد وقصة سارية بن زنيم

ذكر سيف عن مشايخه أن سارية بن زنيم قصد فسا ودار أبجد ، فاجتمع له جموع - من الفرس والأكراد - عظيمة ، ودم المسلمين منهم أمر عظيم وجمع كثير ، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار ، وأنهم في صحراء وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤثروا إلا من وجه واحد ، فنادى من الغد الصلاة جامعة ، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها ، خرج إلى الناس وصعد المنبر ، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ، ثم قال : يا سارية الجبل الجبل ، ثم أقبل عليهم وقال : إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم . قال : ففعلوا ما قال عمر ، فنصرهم الله على عدوهم ، وفتحوا البلد . وذكر سيف في رواية أخرى عن شيوخه أن عمر بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال : يا سارية بن زنيم الجبل الجبل . فلجأ المسلمون إلى جبل هناك فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهة واحدة

فاظفرم الله بهم ، وفتحوا البلاد . وغنموا شيئاً كثيراً ، فكان من جملة ذلك سفظ من جوهر فاستوبه سارية من المسلمين لعمر ، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخمس فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سباطهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس - ولم يعرفه - ، فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل ، فاستأذن فأذن له وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح ، فقال : ادن فكل . قال : فجلست فجعل يقول لامرأته : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين ؟ فقالت : إني أسمع حس رجل عندك . فقال : أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لى غيرهنه الكسوة . فقال : أوماترضين أن يقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر . فقالت : ما أقل غناء ذلك عني . ثم قال للرجل : ادن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى . فأكلا فلما فرغا قال : أنا رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين . فقال : مرحباً وأهلاً . ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية بن زنيم ، فأخبره ثم ذكر له شأن السفظ من الجوهر فأبى أن يقبله وأمر برده إلى الجند . وقد سأل أهل المدينة رسول سارية عن الفتح فأخبرهم ، فسألوه : هل سمعوا صوتاً يوم الوقعة ؟ قال : نعم ، سمعنا قائلاً يقول : ياسارية الجبل ، وقد كدنا نهلك فلجاناً إليه ففتح الله علينا . ثم رواه سيف عن مجالد عن الشعبي بنحو هذا . وقال عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن عمر وجه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له سارية ، قال : فبينما عمر يخطب فجعل ينادى : ياسارى الجبل ياسارى الجبل ثلاثاً . ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر : فقال : يا أمير المؤمنين هزمتنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً ياسارية الجبل ثلاثاً فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله . قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك . وهذا إسناد جيد حسن .

وقال الواقدي : حدثني نافع بن أبي نعيم عن نافع مولى ابن عمر . أن عمر قال على المنبر : ياسارية ابن زنيم الجبل . فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية بن زنيم المدينة على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين كنا محاصري المدوفكنا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد ، نحن في خفض من الأرض وهم في حصن عال ، فسمعت صائحاً ينادى بكذا وكذا ياسارية بن زنيم الجبل ، فعلوت بأصحابي الجبل ، فما كان إلا ساعة حتى فتح الله علينا . وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر بنحوه ، وفي صحته من حديث مالك نظر . وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد عن أسلم عن أبيه . وأبوسليمان عن يعقوب بن زيد قال : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة إلى الصلاة فصعد المنبر ثم صاح : ياسارية بن زنيم الجبل ، ياسارية بن زنيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم . ثم خطب حتى فرغ ، فجاء كتاب سارية إلى عمر : إن الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا - لتلك الساعة التي خرج فيها عمر فتكلم على المنبر - قال : سارية فسمعت صوتاً

ياسارية بن زعيم الجبل ، ياسارية بن زعيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الفم ، فملوت بأصحابي الجبل ، ونحن قبل ذلك في بطن واد ، ونحن محاصروا العدو ففتح الله علينا . فقيل لعمر بن الخطاب ما ذلك الكلام ؟ فقال : والله ما ألقيت له إلا بشيء ألقى على لساني . فهذه طرق يشد بعضها بعضاً . ثم ذكر ابن جرير عن طريق سيف عن شيوخه فتح كرمان على يدى سهيل بن عدى وأمه عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وقيل على يدى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وذو كرم ففتح سجستان على يدى عاصم بن عمرو ، بعد قتال شديد ، وكانت ثغورها مقسمة ، وبلادها متناثرة ، ما بين السند إلى نهر بلخ ، وكانوا يقاتلون التتذهار والترك من ثغورها وفروجها . وذو كرم ففتح مكران على يدى الحكم بن عمرو ، وأمه بشهاب بن المخارق بن شهاب ، وسهيل بن عدى ، وعبد الله بن عبد الله ، واقتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند ، وغنم المسلمون منهم غنمة كثيرة ، وكتب الحكم ابن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صحار العبدى ، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مكران فقال : يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وثمرها دقل ، وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر<sup>(١)</sup> منها . فقال عمر : أسجاع أنت أم مخبر ؟ فقال : لا ، بل مخبر ، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو أن لا يغزو بعد ذلك مكران ، وليقتصروا على مادون النهر . وقد قال الحكم بن عمرو في ذلك :

لقد شبع الأراملُ غير فخرٍ \* بنىءُ جاءهم من مكران  
 أناهمُ بعد مسغبةٍ وجهدٍ \* وقد صفرُ الشتاء من الدخانِ  
 فاني لا يذم الجيشُ فعلي \* ولا ضيفي يُنم ولا لساني  
 غداة أذافع الأوباشُ دفماً \* إلى السند العريضة والمداني  
 ومهران لنا فيما أردنا \* مطيع غير مسترخى العنانِ  
 فلولا مانهى عنه أميرى \* قطعناه إلى البدر الزواني

### غزوة الأكراد

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن سيف عن شيوخه : أن جماعة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفرس . اجتمعوا فلقبهم أبو موسى بمكان من أرض بيروذ قريب من نهر تيرى ، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فسلم الحرب وحنق عليهم ، فهزم الله العدو وله الحمد والمنة ، كما هي عادته المستمرة وسنته المستقرة ، في عبادة المؤمنين ، وحزبه المفلحين ، من أتباع سيد المرسلين . ثم خست الغنمة وبعث بالفتح والخس

(١) في المصرية خير منها .

إلى عمر رضی الله عنه ، وقد سار ضبة بن محسن العزري فاشتكى أبا موسى إلى عمر ، وذكّر عنه أموراً لا ينقم عليه بسببها ، فاستدعاه عمر فسأله عنها فاعتذر منها بوجوه مقبولة فسمعها عمر وقبلها ، وردّه إلى عمله وعنّ ضبة فيما تأوله [ ومات عمر ، وأبو موسى على صلاة البصرة ] (١) .

### خبر سلامة بن قيس الأشجعي والأكراد

بعثه عمر على سرية ووصاه بوصايا كثيرة بمضمون حديث بريدة في صحيح مسلم « اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله » الحديث إلى آخره ، فساروا فلقوا جمعاً من المشركين فدعّوهم إلى إحدى ثلاث خلل ، فأبوا أن يقبلوا واحدة منها ، فقاتلهم فقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريهم ، وغنموا أموالهم . ثم بعث سلامة بن قيس رسولا إلى عمر بالفتح والغنائم ، فذكروا وروده على عمر وهو يطعم الناس ، وذهابه معه إلى منزله ، كنعوا ما تقدم من قصة أم كلثوم بنت علي ، وطلبها الكسوة كما يكسى طلحة وغيره أزواجهم ، فقال : ألا يكفيك أن يقال بنت علي وامرأة أمير المؤمنين ؟ ثم ذكر طعامه الخشن ، وشرابه من سلت ، ثم شرع يستعلمه عن أخبار المهاجرين ، وكيف طعامهم وأشعارهم ، وهل يأكلون اللحم الذي هو شجرتهم ، ولا بقاء للعرب دون شجرتهم ؟ وذكّر عرضه عليه ذلك السقط من الجوهر ، فأبى أن يأخذه وأقسم على ذلك ، وأمره بأن يردّه فيقسم بين الغانمين . وقد أوردّه ابن جرير مطولا جداً .

وقال ابن جرير : وفي هذه السنة حج عمر بأزواج النبي (ص) ، وهي آخر حجة حجها رضی الله عنه . قال : وفي هذه السنة كانت وفاته . ثم ذكر صفة قتله مطولا أيضاً ، وقد ذكرت ذلك مستقصى في آخر سيرة عمر ، فليكتب من هناك إلى هنا .

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزري بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي ، أبو حفص العدوي ، الملقب بالفاروق قيل لقبه بذلك أهل الكتاب . [ وأمه حنتمة بنت هشام أخت أبي جهل بن هشام . أسلم عمر وعمره سبع وعشرين سنة ، وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع النبي (ص) ، وخرج في عدة سرايا ، وكان أميراً على بعضها ، وهو أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التراويح ، وأول من عسّ بالمدينة ، وحمل الدرة وأدب بها ، وجلد في الخمر ثمانين ، وفتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، وجند الأجناد . ووضع الخراج ، ودوّن الدواوين ، وعرض الأ عطية ، واستقصى القضاة ، وكوّر الكور ، مثل السواد والأهواز والجبال وفارس وغيرها ، وفتح الشام كله ، والجزيرة والموصل ،

(١) سقط من المصرية .

وميا قارقين ، وآمد ، وأرمينية ، ومصر واسكندرية . ومات وعسا كره على بلاد الرى . فتح من الشام  
اليرموك و بصرى ودمشق والأردن ، وبيسان ، وطبرية ، والجابية ، وفلسطين والرملة ، وعسقلان  
وغزة والسواحل والقنس وفتح مصر واسكندرية وطرابلس الغرب وبرقة ، ومن مدن الشام بعلبك  
وحمص وقنسرين وحلب وإنطاكية وفتح الجزيرة وحران والرها والرقه ونصيبين ورأس عين وشمشاط  
وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة وبلاد الموصل وأرمينية جميعها . وبالعراق القادسية والحيرة  
ونهر سير وساباط ، ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والابلة والبصرة والأهواز وفارس ونهاوند  
وهمدان والرى وقومس وخراسان واصطخر وأصبهان والسوس ومرور و نيسابور وجرجان وأذربيجان  
وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً ، وكان متواضعاً في الله ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً  
في ذات الله ، يرقع الثوب بالأديم ، ويحمل القربة على كتفيه ، مع عظم هيئته ، ويركب الحمار عرياً ،  
والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك لا يمازح أحداً وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظاً باعمر .  
وقال النبي (س) : « أشد أمتي في دين الله عمر » وعن ابن عباس أن النبي (س) قال : « إن لي  
وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل  
ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، وإنيهما السمع والبصر » وعن عائشة أن النبي (س) قال  
« إن الشيطان يفرق من عمر » وقال « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر » وقيل لعمر  
إنك قضاء . فقال : الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رحماً وولأ قلوبهم لي رعباً . وقال عمر : لا يحمل لي من  
مال الله إلا حلتان حلة للشتاء وحلة للصيف ، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغنام ، ثم أنا  
رجل من المسلمين . وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين  
واشترط عليه أن لا يركب برذونا ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يعلق بابه دون ذوى  
الحاجات . فان فعل شيئاً من ذلك جملت عليه العقوبة . وقيل إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث  
فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر : احبس هند احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كلما  
حدثتك به حق غير ما أمرتني أن أحبسه .

وقال معاوية بن أبي سفيان : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته فلم يردها ،  
وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن . وعوتب عمر فقيل له : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على  
الخلق ؟ فقال : إني تركت صاحبي على جادة ، فان أدركت جادتهما فلم أدركهما في المنزل . وكان يلبس  
وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بمضها بأدم ويطوف بالأسواق على عاتقه الدرّة يؤدب بها الناس ،  
وإذا مر بالنوى وغيره يلتقطه ويرمى به في منازل الناس ينتفعون به .  
وقال أنس : كان بين كتفي عمر أربع رقاع ، وإزارد مرقوع بأدم . وخطب على المنبر وعليه إزار

فيه اثني عشر رقعة ، وأنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، وقال لابنه: قد أسرفنا ، وكان لا يستظل بشيء غير أنه كان يلقي كسائه على الشجر ويستظل تحته ، وليس له خيمة ولا فسطاط . ولما قدم الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عملة قد طبق رجليه بين شعبي الرحل بلا ركاب ، ووطاؤه كبش من صوف ، وهو فراشه إذا نزل ، وحقينه محشوة ليفاً ، وهي وسادته إذا نام ، وعليه قميص من كرايس قد رسم وتخرق جيبه ، فلما نزل قال : ادعوا لي رأس القرية ، فدعوه فقال : اغسلوا قميصي وخطوطه وأعيروني قميصاً ، فأتى بقميص كتان ، فقال : ماهذا ؟ قميل كتان . فقال : فما الكتان ؟ فأخبروه . فنزع قميصه فسلوه وخطوطه ثم لبسه ، فقال له : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الابل . فأتى بيرذون فطرح عليه قطيفة بلاسرج ولا رحل ، فلما سار جعل [ البرذون ] يهملج به فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين ، هاتوا جملي . ثم نزل وركب الجمل .

وعن أنس قال : كنت مع عمر فدخل حائطاً لحاجته فسمعتة يقول - وبينى وبينه جدار الحائط - عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ بخ ، والله لتتقين الله بنى الخطاب أو ليعذبنك . وقيل : إنه حمل قرية على عاتقه فقيل له في ذلك فقال : إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها ؟ وكان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر . وما مات حتى سرد الصوم ، وكان في عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى أسود جلده ويقول : بئس الوالى أنا إن شبعت والناس جياع . وكان في وجهه خيطان أسودان من البكاء ، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريماً إلى منزله فيعاد أياماً ليس به مرض إلا الخوف . وقال طلحة بن عبد الله : خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتاً فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة فقلت لها : ما بال هذا الرجل يأتيكي ؟ قالت : إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى . فقلت لنفسي : نكثتك أمك يا طلحة ، أعترات عمر تتبع ؟ .

وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجاره، فترلوا المصلي فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم! فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله تعالى وأجسني إلى صبيك. ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟! قالت: يا عبد الله إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم. قال: وم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهراً، فقال: ويحك لا تعجله عن الطعام. فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس



قراءته من البكاء . قال : يوماً لعمر . كم قتل من أولاد المسلمين . ثم أمر مناديه فنادى ، لا تعجلوا صبيانكم عن الطعام ، فانا نغرض لكل مولود في الاسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فاذا فيه امرأة تمخض وتبكي ، فسألها عمر عن حالها فقالت : أنا امرأة عربية وليس عندي شيء . فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : حمل لك في أجر ساقه الله إليك ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم ، فحمل علي ظهره دقيقتاً وشحماً ، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاءا ، فدخلت أم كلثوم على المرأة ، وجلس عمر مع زوجها - وهو لا يعرفه - يتحدث ، فوضعت المرأة غلاماً فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام . فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر . فقال عمر : لا بأس عليك ، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار فقال : يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم ، فأتيناهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، قالت : وعليك السلام . قال : أدنو . قالت : ادن أو دع . فدنا فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد . قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : من الجوع . فقال : وأي شيء على النار ؟ قالت : ماء أعطاهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر . فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلاً من دقيق وجراب شحم ، وقال : يا أسلم احمله على ظهري ، فقلت : أنا أحمله عنك . فقال : أنت تحمل وزري يوم القيامة ؟ . فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق في القدر ، وألقى عليه من الشحم ، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة ، ثم أنزلها عن النار وقال : إيتيني بصحفة . فأتى بها ففرقها ثم تركها بين يدي الصبيان وقال : كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا - والمرأة تدعوله وهي لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار ، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف ، ثم أقبل على فقال : يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم .

وقيل : إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه رأى عمر وهو يمدو إلى ظاهر المدينة فقال له : إلى أين يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قد ندد بعير من إبل الصدقة فانا أطلبه . فقال : قد أتعبت الخلفاء من بعدك . وقيل : إنه رأى جارية تتمايل من الجوع فقال : من هذه ؟ فقالت ابنة عبدالله : هذه ابنتي . قال : فما بالها ؟ فقالت : إنك تمجس عنا ماني يدك فيصينا ما ترى . فقال : يا عبد الله ، بيني وبينكم كتاب الله ، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم ، أتريدون مني أن أعطيكم ما ليس لكم ؟

فأعود خائفاً؟<sup>(١)</sup> . روى ذلك عن الزهري .

وقال الواقدي : حدثنا أبو حمزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبي عمرو قال : قلت لعائشة : من سمى عمر الفاروق أمير المؤمنين ؟ قالت : النبي (ص) . قال « أمير المؤمنين هو » وأول من حياه بها المغيرة بن شعبة « وقيل غيره فالله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري حدثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية . وكان قد أتى عليها مائة وثلاثون سنة . عن أبيها قال : لما ولي عمر قالوا : يا خليفة خليفة رسول الله . فقال عمر : هذا أمر يطول ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فسمي أمير المؤمنين .

وملخص ذلك أن عمر رضی الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته ، وانتشرت رعيته ، وخاف من التقصير ، وسأل الله أن يقبضه إليه ، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي (ص) ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول : اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك ، وموتاً في بلد رسولك ، فاستجاب له الله هذا الدعاء ، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جداً ، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى ، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل ، الرومي الدار ، وهو قائم يصلي في المحراب ، صلاة الصبح من يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بمنجرات ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات ، إحداهن تحت سرتة قطعت السفاق فخر من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العليج بمنجره لا يمر بأحد إلا ضربه ، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنسا فانتحر نفسه لعنه الله ، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغشى عليه ، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول : نعم ، ولاحظ في الإسلام من تركها . ثم صلى في الوقت ، ثم سأل عن قتله من هو ؟ فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . فقال : الحمد لله الذي لم يجعل منبتي على يدي رجل يدعى الإيمان ولم يسجد لله سجدة . ثم قال : قبحه الله ، لقد كنا أمرنا به معروفاً - وكان المغيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجه فانه نجار نقاش حداد فزاد في خراجه إلى مائة في كل شهر - وقال له : لقد بلغني أنك تحسن أن تعمل رحا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة : أما والله لأعملن لك رحا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغرب - وكان هذا برم الثلاثاء عشية - وطمعنه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة . وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في سنة ممن توفي رسول الله (ص) ، وهو عنهم راض ، وهم عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير

(١) من أول السطر الخامس عشر من الصحيفة نمرة ١٣٣ إلى هنا سقط من المصرية .

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي  
فيهم ، لكونه من قبيلته ، خشية أن يراعى في الامارة بسببه ، وأوصى من يستخلف بعده بالناس  
خيراً على طبقاتهم ومراتبهم ، ومات رضى الله عنه بعد ثلاث ، ودفن في يوم الأحد مستهل المحرم  
من سنة أربع وعشرين ، بالحجرة النبوية ، إلى جانب الصديق ، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضى الله  
عنها في ذلك ، وفي ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قال الواقدي رحمه الله : حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال : طعن عمر يوم  
الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال  
المحرم سنة أربع وعشرين ، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وأجداً وعشرين يوماً ،  
وبويع لعثمان يوم الاثنين لثلاث مضي من المحرم . قال : فذكرت ذلك لعثمان الأحنس فقال :  
ما أراك إلا وهلت . توفي عمر لأربع ليال بقين من ذى الحجة وبويع لعثمان الليلة بقيت من ذى  
الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين . وقال أبو معشر : قتل عمر لأربع بقين من  
ذى الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وبويع عثمان  
ابن عفان .

وقال ابن جرير : حدثت عن هشام بن محمد قال : قتل عمر لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث  
وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام . وقال سيف بن خالد بن وبرة ومجالد  
قالا : استخلف عثمان لثلاث من المحرم فخرج فصلى بالناس صلاة العصر . وقال علي بن محمد المدائني  
عن شريك عن الأعمش - أو جابر الجعفي - عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد عن  
أشياخ من قومه ، وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال : طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من  
ذى الحجة والقول الأول هو الأشهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

### صفته رضى الله عنه

كان رجلاً طويلاً أصلع أعسر أيسر أحور العينين ، آدم اللون ، وقيل كان أبيض شديد البياض  
تعلوه حمرة ، أشذب الأسنان ، وكان يصفر لحيته ، ويرجل رأسه بالخناء .  
واختلف في مقدار منه يوم مات رضى الله عنه على أقوال عدتها - عشرة - فقال ابن جرير :  
حدثنا زيد بن أحزم ثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قتل عمر  
ابن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة ، ورواه الدراوردي عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر . وقاله  
عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهري ، ورواه أحمد عن هشيم عن علي بن زيد عن سالم بن عبد الله  
ابن عمر ، وعن نافع رواية أخرى ست وخمسون سنة . قال ابن جرير : وقال آخرون : كان عمره

ثلاثاً وخمسين سنة ، حدثت بذلك عن هشام بن محمد . ثم روى عن عامر الشعبي أنه توفي وله ثلاث وستون سنة .

قلت : وقد تقدم في عمر الصديق مثله ، وروى عن قتادة أنه قال : توفي عمر وهو ابن إحدى وستين سنة ، وعن ابن عمر والزهرى خمس وستون . وعن ابن عباس ست وستون ، وروى ابن جرير عن أسلم مولى عمر أنه قال : توفي وهو ابن ستين سنة . قال الواقدي : وهذا أثبت الأقاويل عندنا . وقال المدائني : توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

### ذكر زوجاته وأبنائه وبناته

قال الواقدي وابن الكلابي وغيرهما : تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظنون أخت عثمان ابن مظنون فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة رضي الله عنهم . وتزوج مليكة بنت جروول فولدت له عبيد الله فطلقها في الهدنة ، فخلف عليها أبو الجهم بن حذيفة ، قاله المدائني . وقال الواقدي : هي أم كلثوم بنت جروول فولدت له عبيد الله وزيداً الأصغر . قال المدائني وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي ففارقها في الهدنة ، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر . قالوا : وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها - حين قتل في الشام - فولدت له فاطمة ثم طلقها . قال المدائني وقيل لم يطلقها . قالوا : وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح من الأوس . وتزوج عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي مليكة ولما قتل عمر تزوجها بعده الزبير بن العوام رضي الله عنهم ، ويقال هي أم ابنه عياض فأنه أعلم . قال المدائني : وكان قد خطب أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق وهي صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم كلثوم : لا حاجة لي فيه ، فقالت عائشة : أتريغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه خشن العيش فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فصدده عنها ودله على أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، ومن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وقال تعلق منها بسبب من رسول الله (ص) ، فخطبها من علي فزوجه إياها ، فأصدقها عمر رضي الله عنه أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورقية ، قالوا : وتزوج لبية - امرأة من اليمن - فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل الأوسط . وقال الواقدي : هي أم ولا . وليست زوجة ، قالوا : وكانت عنده فكبة أم ولد فولدت له زينب . قال الواقدي وهي أصغر ولده . قال لواقدي : وخطب أم أبان بنت عتبة بن شيبه فكرهته وقالت : يغلغ باه ويمنع خيره ويدخل عابساً ويخرج عابساً .

قلت : فجملة أولاده رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً ، وهم زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، قال الزبير بن بكار وهو

أبو شحمة ، وعبد الرحمن الأصغر وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة ،  
رضي الله عنهم . ومجموع نسائه اللاتي تزوجهن في الجاهلية والاسلام ممن طلقهن أو مات عنهن سبع ،  
وهن جميلة بنت عاصم بن ثابت بن الأفلح ، وزينب بنت مظعون ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن  
نفيل ، وقريبة بنت أبي أمية ، ومليكة بنت جرول ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وأم كلثوم  
بنت علي بن أبي طالب ، وأم كلثوم أخرى وهي مليكة بنت حرول . وكانت له أمتان له منهما أولاد ،  
وهما فكيهة وهلية ، وقد اختلف في هوية هذه فقيل بعضهم : كانت أم ولد ، وقال بعضهم : كان أصلها  
من اليمن وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأنزل الله أعلم .

### ذكر بعض ما رثي به

قال علي بن محمد المدائني : عن ابن داب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كيسان عن المغيرة  
ابن شعبه قال : لما مات عمر بكتته ابنة أبي خيشمة فقالت : واعمرها ، أقام الأود وأبر العهد ، أمت  
الفتن وأحيا السنن ، خرج نقي الثوب برياً من العيب .

قال فقال علي بن أبي طالب : والله لقد صدقت ، ذهب بخيرها ، ونجما من شرها ، أما والله  
ما قالت ولكن قولت . قال : وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل في زوجها عمر .

فجئني فيروز لا در دره \* بأبيض قال للكتاب منيب  
رؤف على الأذى غليظ على العدى \* أخي ثقة في النائبات نجيب  
متى ما يقل لا يكذب القول فعله \* سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت أيضاً :

عين جودي بعبرة ونجيب \* لا تمل على الأمام النجيب  
فجعتنا المنون بالفارس العير \* لم يوم الهياج والتليب  
عصمة الناس والمعين على الده \* روغيث المنتاب والمحروب  
قل لأهل السراء والبؤس موتوا \* قد سقته المنون كأس سغوب

| وقالت امرأة من المسلمين تبكيه :

سيبك نساء الح \* بي يبين شجيات  
ويخشن وجوهاً كالسدنانير نقيات  
ويلبسن ثياب الحز \* ن بعد القصبيات [ (١) ]

وقد ذكر ابن جرير ترجمة طويلة لعمر بن الخطاب ، وكذلك أطلال ابن الجوزي في سيرته ،

(١) زيادة من المصرية .

وشيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي في تاريخه ، وقد جمعنا متفرقات كلام الناس في مجلد مفرد ، وأوردنا لما أسنده وروى عنه من الأحكام مجلداً آخر كبيراً مرتباً على أبواب الفقه والله الحمد .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان ، وفيها غزاه معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية ومعه من الصحابة عبادة بن الصامت ، وأبو أيوب ، وأبو ذر ، وشداد بن أوس . وفيها فتح معاوية عسقلان صلحاً . قال : وفيها كان علي قضاء الكوفة شريح ، وعلي قضاء البصرة كعب بن سوار ، قال : وأما مصعب الزبيري فإنه ذكر أن مالكا روى عن الزهري أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وقال شيخنا أبو عبدالله الذهبي في تاريخه في سنة ثلاث وعشرين . فيها كانت قصة سارية بن زينب . وفيها فتحت كرمان وأميرها سهيل بن عدي . وفيها فتحت سجستان ، وأميرها عاصم بن عمرو . وفيها فتحت مكران ، وأميرها الحكم بن أبي العاص ، أخو عثمان ، وهي من بلاد الجبل . وفيها رجع أبو موسى الأشعري من بلاد أصبهان وقد افتتح بلادها ، وفيها غزاه معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية . ثم ذكر وفاة من مات فيها . فممن قتل قتادة بن النعمان الأنصاري الأوسي الظفري أخو أبي سعيد الخدري لأمه ، وقتادة أكبر منه ، شهد بدرًا وأصيبت عينه في يوم أحد حتى وقعت على خده فردها رسول الله ﷺ فصارت أحسن عينيه ، وكان من الرواة المذكورين ، وكان علي مقدمة عمر حين قدم إلى الشام توفي في هذه السنة على المشهور عن خمس وستين سنة ، ونزل عمر في قبره ، وقيل إنه توفي في التي قبلها . ثم ذكر ترجمة عمر بن الخطاب فأطال فيها وأكثر وأطنب ، وأتى بتفاصيل كثيرة مهمة ، وفوائد جمة ، وأشياء حسنة ، فأنابه الله الجنة . ثم قال : ذكر من توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

### الأقرع بن حابس

ابن عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي المجاشعي . قال ابن دريد : واسمه فراس بن حابس ولقب بالأقرع لقرع في رأسه ، وكان أحد الرؤساء ، قدم على رسول الله ﷺ مع وفد بني تميم ، وهو الذي نادى من وراء الحجرات : يا محمد إن مدحى زين ، وذمى شين ، وهو القائل - وقد رأى رسول الله ﷺ - يقبل الحسن - أتقبله ؟ والله إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم . فقال « من لا يرحم لا يرحم » . وفي رواية « ما أهلك أن نزع الله الرحمة من قلبك » وكان ممن تألفه رسول الله ﷺ ، فأعطاه يوم حنين مائة من الإبل ، وكذلك لعبيثة بن حصن الفزاري ، وأعطى عباس بن مرداس خمسين<sup>(١)</sup> من الإبل فقال :

أَجْمَلُ نَهْيٍ وَنَهْيِ الْعَبِي \* دِرْبِي عَيْنِي \* وَالْأَقْرَعُ  
فَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ \* يَفُوقَانِ مِرْدَاسٌ فِي مَجْمَعِ

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية : خمسا من الإبل .

وما كنت دون امرئٍ منهما \* ومن يخفض اليوم لا يرفع  
فقال له رسول الله (ص)، أنت القائل

أجعل نهي ونهي العبيد \* يد بين عيينة والأقرع

رواه البخاري قال السهيلي : إنما قدم رسول الله (ص)، ذكر الأقرع قبل عيينة لأن الأقرع كان خيراً من عيينة [ ولهذا لم يرتد بعد النبي (ص)، كما ارتد عيينة ] (١) فبايع طليحة وصدقه ثم عاد . والمقصود أن الأقرع كان سيداً مطاعاً ، وشهد مع خالد وقائمه بأرض العراق ، وكان على مقدمته يوم الأنبار . ذكره شيخنا فيمن توفي في خلافة عمر بن الخطاب . والذي ذكره ابن الأثير في الغابة أنه استعمله عبد الله بن عامر على جيش وسيره إلى الجوزجان فقتل وقتلوا جميعاً ، وذلك في خلافة عثمان كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

### حباب بن المنذر

ابن الجوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أبو عمر ويقال أبو عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي ، ويقال له ذو الرأي لأنه أشار يوم بدر أن ينزل رسول الله (ص)، على أدنى ماء يكون إلى القوم ، وأن يغور ما وراءهم من القلب فأصاب في هذا الرأي ، ونزل الملك بتصديقه وأما قوله يوم السقيفة : أنا جديلاً المحكك ، ومزيجها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير . فقد رده عليه الصديق والصحابة .

### ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب

عتبة بن مسعود الهذلي ، هاجر مع أخيه لأبويه ، عبد الله إلى الحبشة شهد أحداً وما بعدها . قال الزهري : ما كان عبد الله بأفقه منه ، ولكن مات عتبة قبله ، وتوفي زمن عمر على الصحيح ، ويقال في زمن معاوية سنة أربع وأربعين .

### علقمة بن علاثة

ابن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي ، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً وأعطى يومئذ مائة من الإبل تأليفاً لقلبه ، وكان يكون بتهامة وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، وقد ارتد أيام الصديق فبعث إليه سرية فانهزم ثم أسلم وحسن إسلامه ، ووفد على عمر في خلافته ، وقدم دمشق في طلب ميراث له ثم ، ويقال استعمله عمر على حوران فمات بها ، وقد كان الخطيئة قصده ليمتدحه فمات قبل مقدمه بلبال فقال :

فما كان بيني ولوقيتك سالماً \* وبين الغنى إلا لبال قلائل

(١) زيادة في المصرية .

### علقمة بن مجزز

ابن الأعور بن جمعة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدج الكناني المدلجي ، أحد أمراء رسول الله (ص) ، على بعض السرايا ، وكانت فيه دعاية ، فأجج ناراً وأمر أصحابه أن يدخلوا فيها فامتنعوا ، فقال النبي (ص) : « لو دخلوا فيها ما خرجوا منها » وقال « إنما الطاعة في المعروف » وقد كان علقمة جواداً ممدحاً رثاه جواس العنزي فقال :

إن السلام وحسن كل نحية \* تفدو على ابن مجزز وتروح

### عويم بن ساعدة

ابن عابس أبو عبد الرحمن الأنصاري الأوسي ، أحد بني عمرو بن عوف شهد العقبة و بدرآ وما بعدها له حديث عند أحمد وابن ماجه في الاستنجااء بالماء . قال ابن عبد البر : توفي في حياة النبي (ص) وقيل في خلافة عمر ، وقال وهو واقف على قبره : لا يستطيع أحد أن يقول أنا خير من صاحب هذا القبر ما نصبت راية للنبي (ص) ، إلا وهو واقف تحتها . وقد روى هذا الأثر ابن أبي عاصم كما أورده ابن الأثير من طريقته .

### غيلان بن سلمة الثقفي

أسلم عام الفتح على عشر نسوة فأمره رسول الله (ص) : أن يختار منهن أربعاً ، وقد وفد قبل الاسلام على كسرى فأمره أن يبني له قصرآ بالطائف ، وقد سأله كسرى أى ولدك أحب إليك ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم ، فقال له كسرى أنى لك هذا ؟ هذا كلام الحكماء . قال : فما غذاؤك ؟ قال : البر . قال نعم هذا من البر لا من التمر واللبن .

### معمر بن الحارث

ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي أخو حاطب وحطاب ، أمهم قبيلة بنت مظعون ، أخت عثمان بن مظعون أسلم معمر قبل دخول النبي (ص) ، دار الأرقم وشهد بدرآ وما بعدها وأخى رسول الله (ص) ، بينه وبين معاذ بن عفراء .

### ميسرة بن مسروق العبسي

شيخ صالح قيل إنه صحابي شهد اليرموك ودخل الروم أميرآ على جيش ستة آلاف وكانت له حمة عالية فقتل وسبي وغنم وذلك في سنة عشرين ، وروى عن أنى عبيدة وعنه أسلم مولى عمر ، لم يذكره ابن الأثير في الغابة .

### واقد بن عبد الله

بن عبد مناف بن عرين الحنظلي اليربوعي حليف بني عدى بن كعب ، أسلم قبل دخول النبي



(س) دار الأرقم وشهد بدرًا وما بعدها وأخى رسول الله (ص) بينه وبين بشر بن البراء بن معرور، وهو أول من قتل في سبيل الله عز وجل ببطن نخلة، مع عبد الله بن جحش حين قتل عمرو بن الحضرمي، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه.

### ابو خراش الهذلي الشاعر

واسمه خويلد بن مرة، كان يسبق الخليل على قدميه، وكان فتاكاً في الجاهلية، ثم أسلم وحسن إسلامه، وتوفي في زمن عمر، أتاه حجاج فذهب يأتهم بماء قهشته حية فرجع إليهم بالساء وأعطاهم شاة وقدرًا، ولم يعلمهم بما جرى له، فأصبح فمات فدفنوه. ذكره ابن عبد البر وابن الأثير في أسماء الصحابة، والظاهر أنه ليست له وفادة، وإنما أسلم في حياة النبي (ص)، فهو مخضرم والله أعلم.

### ابو ليلي عبد الرحمن بن كعب

ابن عمرو الأنصاري شهد أحدًا وما بعدها، إلا تبوك فإنه تخلف لعذر الفقر، وهو أحد البكائين المذكورين.

### سودة بنت زمعة

القرشية العامرية أم المؤمنين، أول من دخل بها رسول الله (ص)، بعد خديجة رضي الله عنها، وكانت صوامه قوامه، ويقال كان في خلقها حدة، وقد كبرت فأراد رسول الله (ص) أن يفارقها - ويقال بل فارقها - فقالت: يا رسول الله لا تفارقني وأنا أجعل يومي لعائشة، فتركها رسول الله (ص) وصالحها على ذلك. وفي ذلك أنزل الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير) الآية. قالت عائشة: نزلت في سودة بنت زمعة، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب.

### هند بن عتبة

يقال: ماتت في خلافة عمر وقيل توفيت قبل ذلك كما تقدم فالله أعلم.

### خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان

ثم استهلكت سنة أربع وعشرين

ففي أول يوم منها دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك يوم الأحد في قول وبعد ثلاث أيام بويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كان عمر رضي الله عنه قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم. وتخرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعمين، وقال لا تحمل أمرم حياً وميتاً،

وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم - سيد نبكم (ص) ، ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى - سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشي أن يراعى فيولى لكونه ابن عمه ، فلذلك تركه . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناه من بينهم ، وقال لست مدخله فيهم ، وقال لأهل الشورى بحضركم عبد الله - يعني ابنه - وليس إليه من الأمر شيء - يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولى شيئاً - وأوصى أن يصلى بالناس صهيب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى ، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى ينبرم الأمر ، ووكل بهم خمسين رجلاً من المسلمين وجعل عليهم مستحسناً أبا طلحة الأنصاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وقد قال عمر بن الخطاب : ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلى أحداً ، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله (ص) ، بما ينزل به جبريل عليه . قالوا : فلما مات عمر رضی الله عنه وأحضرت جنازته تبادر إليها علي وعثمان أيهما يصلى عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : لستما من هذا في شيء ، إنما هذا إلى صهيب الذي أمره عمر أن يصلى بالناس . فتقدم صهيب وصلى عليه ، ونزل في قبره مع ابنه عبد الله أهل الشورى سوى طلحة فإنه كان غائباً ، فلما فرغ من شأن عمر جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن مخرمة ، وقيل في حجرة عائشة ، وقيل في بيت المال ، وقيل في بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، والأول أشبه والله أعلم . فجلسوا في البيت وقام أبو طلحة يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا من وراء الباب فحصبهم سعد بن أبي وقاص وطردهما وقال جئتما لتقولنا حضرنا أمر الشورى ؟ رواه المدائني عن مشايخه والله أعلم بصحته .

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم ، فكثرت الأقوال ، وعلت الأصوات وقال أبو طلحة : إني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظن أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الامارة إلى علي ، وفوض سعد ماله في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقه إلى عثمان ابن عفان رضی الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه والله عليه والاسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن : إني أترك حتى من ذلك والله على والاسلام أن أجتهد فأولى أولاً كما بالحق ، فتالا نعم ! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاء ليعمدان ولئن ولي عليه ليسمن وليطين ، فقال كل منهما نعم ! ثم تفرقوا ، ويروي أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ليوليه ، فيذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا

يشير إلا بعثمان بن عفان ، حتى أنه قال لعلي : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به علي ؟ قال : [ بعثمان .  
وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به ؟ ]<sup>(١)</sup> قال : بعلي بن أبي طالب . والظاهر أن هذا  
كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل والله عليه والاسلام  
ليجتهن في أفضل الرجلين فيوليه . ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما  
ويجمع رأي المسلمين برأي رؤس الناس وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً ، مثنى وفرداً ، ومجتمعين ، سرّاً  
وجهرّاً ، حتى خلس إلى النساء المخدرات في حجابهن ، وحتى سأل الولدان في المكاتب ، وحتى سأل  
من يرد من الركبان والاعراب إلى المدينة ، في مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفن في تقدم  
عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب ، ثم بايعامع الناس على  
ما سئذ كره ، فسعى في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاءً  
واستخارة ، وسؤالاً من ذوى الرأي عنهم ، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما  
كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن اخته  
المسور بن مخرمة فقال : أنأم يامسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادع إلى علياً  
وعثمان قال المسور : فقلت بأيهما أبدأ ؟ فقال بأيهما شئت ، قال فذهبت إلى علي فقلت أحب خالي ،  
فقال أمرك أن تدعو معي أحداً ؟ قلت : نعم ! قال : من ؟ قلت : عثمان بن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟  
قلت لم يأمرني بذلك ، بل قال ادعوا لي أيهما شئت أولاً ، فجئت إليك قال فخرج معي فلما مررتا بدار  
عثمان بن عفان جلس علي حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر ، فقال لي كما قال لي علي سواء ، ثم  
خرج فدخلت بهما علي خالي وهو قائم يصلي ، فلما انصرف أقبل علي علي وعثمان فقال إني قد سألت  
الناس عنكما فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً ، ثم أخذ العهد علي كل منهما أيضاً لئن ولاء ليعدلن ،  
ولئن ولى عليه ليسمن وليطيعن ، ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي سمع  
رسول الله (س .) ، وتقلد سيفاً ، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودي في الناس  
عامة الصلاة جامعة ، فامتلاً المسجد حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع  
يجلس إلا في أخريات الناس - وكان رجلاً حياً رضي الله عنه - ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر  
رسول الله (س .) ، فوقف وقوفاً طويلاً ، ودعا دعاءً طويلاً ، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها  
الناس ، إني سألتكم سرّاً وجهرّاً بأمانيتكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إماماً علي وإماماً عثمان ،  
فقم إلى يا علي ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعي علي كتاب  
الله وسنة نبيه (س .) ، وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن علي جهدي من ذلك وطاقتي ، قال

(١) زيادة من المصرية .

فأرسل يده وقال : قم إلى يا عثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه (س) ، وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ! قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إني قد خلمت ماني رقبتي من ذلك في رقة عثمان . قال وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال فقعد عبد الرحمن مقعد النبي (س) ، وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه علي بن أبي طالب أولاً ، ويقال آخرًا . وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن خدعتني ، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه ، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن [ فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه أجرًا عظيمًا ] إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائلها وناقليها والله أعلم .

والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا يميز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ، ومستقيمها وسقيمها ، ومبادهها وقومها ، والله الموفق للصواب . وقد اختلف علماء السير في اليوم الذي بويع فيه لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فروى الواقدي عن شيوخه أنه بويع يوم الاثنين ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستقبل بمخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وهذا غريب جداً . وقد روى الواقدي أيضاً عن ابن جرير عن ابن أبي مليكة قال : بويع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال ، وهذا أعرب من الذي قبله ، وكذا روى سيف بن عمر عن عامر الشعبي أنه قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمع الناس بين الأذان والاقامة فخرج فصلى بهم العصر . وقال سيف عن خليفة بن زفر ومجالد قالا : استخلف عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وعشرين فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد الناس - يعني في أعطياتهم - مائة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أول من صنع ذلك . قلت : ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضي أن ذلك كان قبل الزوال ، لكنه لما بايعه الناس في المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف ، فبايعه بقية الناس ، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر وصلى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي وكان أول صلاة صلاحها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر ، كما ذكره الشعبي وغيره . وأما أول خطبة خطبها بالمسلمين فروى سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه قال لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدم كآبة فأتى منبر النبي (س) ، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (س) ، وقال : إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار ،

فبادروا آجالكم بخير ما تمدرون عليه ، فلقد أتيتم صبيتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور ، وعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا .  
 ابن أبناء الدنيا واخوانها الذين أناروها وعمروها وامتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب لها مثلاً ، بالذي هو خير فقال تعالى [ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ] قال : وأقبل الناس يبايعونه .

قلت وهذه الخطبة : إما بعد صلاة العصر يومئذ ، أو قبل الزوال [وعبد الرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر] (١) وهو الأشبه والله أعلم . وما يذكره بعض الناس من أن [ عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليه فلم يدر ما يقول حتى قال : أيها الناس ، إن ] (٢) أول مركب صعب ، وإن أعش فستأتكم الخطبة على وجهها ، فهو شيء يذكره صاحب العقد وغيره ، ممن يذكر طرف الفوائد ، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه والله أعلم .

وأما قول الشعبي إنه زاد الناس مائة مائة - يعني في عطاء كل واحد من جند المسلمين - زاده على ما فرض به عمر مائة درهم من بيت المال وكان عمر قد جعل لكل نفس من المسلمين في كل ليلة من رمضان درهماً من بيت المال يفطر عليه ، ولأمهات المؤمنين درهمين درهمين ، فلما ولي عثمان أقر ذلك وزاده ، واتخذ سماطاً في المسجد أيضاً للمتعبدين ، والملتكفين ، وأبناء السبيل ، والفقراء ، والمساكين ، رضى الله عنه . وقد كان أبو بكر إذا خطب يقوم على الدرجة التي تحت الدرجة التي كان رسول الله (ص) يقف عليها ، فلما ولي عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبي بكر رضى الله عنهما ، فلما ولي عثمان قال إن هذا يطول ، فصعد إلى الدرجة التي كان يخطب عليها رسول الله (ص) ، وزاد الأذان الأول يوم الجمعة ، قبل الأذان الذي كان يؤذن به بين يدي رسول الله (ص) . إذا جلس على المنبر ، وأما أول حكومة حكم فيها فقضية عبید الله بن عمر ، وذلك أنه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتل عمر فقتلها ، وضرب رجلاً نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله ، وضرب الهرمزان الذي كان صاحب تستر فقتله ، وكان قد قيل إنهما مالا آبا لؤلؤة عنى قتل عمر فأنه أعلم .

وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده ، فلما ولي عثمان وجلس للناس كان أول ما تحوكم إليه في شأن عبید الله ، فقال على : مامن العدل تركه ، وأمر بقتله ، وقال بعض المهاجرين : أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم ؟ فقال عمر وبن العاص : يا أمير المؤمنين قد رأى الله من ذلك ،

(١) - (٢) زيادة من المصرية .

قضية لم تكن في أيامك فدعها عنك، فودى عثمان رضى الله عنه أولئك القتلى من ماله، لأن أمرهم إليه، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال، والامام يرى الأصلاح في ذلك، وخلقى سبيل عبيد الله. قالوا فكان زياد بن لبيد البياضى إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول:

ألا يا عبيد الله مالك مهرب \* ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر  
أصبت دماً والله في غير حله \* حراماً وقتل الهرمزان له خطر  
على غير شئ غير أن قال قائل \* اتهمون الهرمزان على عمر  
فقال سفيه والحوادث جمة \* نعم أنهم قد أشار وقد أمر  
وكان سلاح العبد في جوف بيته \* يقلبها والأمر بالأمر يعتبر

قال: فشكا عبيد الله بن عمر زياداً إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن لبيد فأنشأ زياد يقول في عثمان:

أبا عمرو عبيد الله رهن \* فلا تشكك بقتل الهرمزان  
[فانك إن غفرت الجرم عنه \* وأسباب الخطأ فرسارهان] (١)  
أتغفوا إذ عفوت بغير حق \* فمالك بالذى يخلى يدان

قال فنهاه عثمان عن ذلك وزبره فسكت زياد بن لبيد عما يقول. ثم كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب، والأئمة على الصلوات، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله، ويحرضهم على الاتباع وترك الابتداع، قال ابن جرير: وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبه عن الكوفة وولى عليها سعد بن أبى وقاص فكان أول عامل ولاء، لأن عمر قال: فان أصابت الامرة سعداً فذاك، وإلا فليستعن به أيكم ولى، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة. فاستعمل سعداً عليها سنة وبعض أخرى، ثم رواه ابن جرير من طريق سيف عن محالد عن الشعبي. وقال الواقدي فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر أوصى أن تقر عماله سنة، فلما ولى عثمان أقر المغيرة بن شعبه على الكوفة سنة [ثم عزله، واستعمل سعداً ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط. قال ابن جرير: فعلى ما ذكره الواقدي تكون ولاية سعد على الكوفة سنة] (٢) خمس وعشرين. قال ابن جرير: وفي هذه السنة - أعنى سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الاسلام في أيام عمر بن الخطاب، وهذا في رواية أبى مخنف، وأما في رواية غيره فان ذلك كان في سنة ست وعشرين، ثم ذكر ابن جرير: ههنا هذه الوقعة وملخصها أن الوليد بن عقبة سار بجيش

(١) زيادة من الطبري. وقوله: يخلى في المصرية وابن جرير وفي الحلبية بحكى

(٢) زيادة من المصرية.

الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين تقضوا العهد فوطى بلادهم وأغار بأواصي تلك الناحية فتم سبي وأخذ أموالاً جزيلة فلما أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان ثمانمائة ألف درهم في كل سنة قبض منهم جزية سنة ثم رجع سالماً غانماً إلى الكوفة ، فر بالوصل . وجاءه كتاب عثمان وهو يأمره أن يمد أهل الشام على حرب أهل الروم . قال ابن جرير : وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان رضي الله عنه يستمدونه فكتب إلى الوليد بن عقبة : أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام . فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس وحثهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام ، وأمر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهري ، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرةً والله الحمد .

وزعم الواقدي أن الذي أمد أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رضي الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب ابن مسلمة وقد أقبل إليه الموريان الرومي في ثمانين ألفاً من الروم والترك ، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً أشهماً فعزم على أن يبيت جيش الروم فسمعت امرأته يقول للأمرأة ذلك فقالت له : فإني موعدي معك - تعني أين أجمع بك غداً - فقال لها : موعديك سرادق الموريان أو الجنة ، ثم نهض إليهم في ذلك الليل بمن معه من المسلمين فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سرادق الموريان فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك ، فخلف عليها بعده الضحاك بن قيس الفهري ، فهي أم ولده . قال ابن جرير : واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة فقال الواقدي وأبو معشر : حج بهم عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان . وقال آخرون : حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه . والأول هو الأشهر فإن عثمان لم يتمكن من الحج في هذه السنة لأجل رعاف أصابه مع الناس في هذه السنة حتى خشي عليه وكان يقال لهذه السنة سنة الرعاف ، وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الري بعد ما تقضوا العهد الذي كان : اتهم عليه حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه ، وفيها توفي سراقه بن مالك بن جشم المسبلي ويكي بأبي سفيان ، كان ينزل قديداً وهو الذي اتبع رسول الله (ص) وأبا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط الدبلي حين خرجوا من غار ثور قاصدين المدينة فأراد أن يردم على أهل مكة لما جعلوا في كل واحد من النبي (ص) وأبي بكر مائة مائة من الابل ، فطمع أن يفوز بهنا الجمل فلم يسلطه الله عليهم ، بل

لما اقترب منهم وسمع قراءة رسول الله ص، ساخت قوائم فرسه في الأرض حتى ناداهم بالأمان، فأعطوه الأمان، وكتب له أبو بكر كتاب أمان عن إذن رسول الله ص، [ ثم قدم به بعد غزوة الطائف فأسلم وأكرمه النبي ص ] (١) وهو القائل: يا رسول الله أمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ فقال له: « بل للأبد الأبد. دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة ».

### ثم دخلت سنة خمس وعشرين

وفيها نقض أهل الاسكندرية العهد، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم معويل الخصى في مراكب من البحر فطمعوا في النصر ونقضوا ذمتهم، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحاً. وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفيها في قول سيف عزل عثمان سعداً عن الكوفة وولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط مكانه، فكان هذا مما نقم على عثمان. وفيها وجه عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح لغزو بلاد المغرب، واستأذنه ابن أبي سرح في غزو إفريقية فأذن له ويقال فيها أيضاً عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولي عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقيل بل كان هذا في سنة سبع وعشرين كما سيأتي والله أعلم. وفيها فتح معاوية الحصون، وفيها ولد ابنه يزيد بن معاوية.

### ثم دخلت سنة ست وعشرين

قال الواقدي: فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم. وفيها وسع المسجد الحرام. وفيها عزل سعداً عن الكوفة وولاها الوليد بن عقبة، وكان سبب عزل سعد أنه اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا، وجرت بينهما خصومة شديدة، فغضب عليهما عثمان فعزل سعداً واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملاً لعمر على عرب الجزيرة - فلما قدمها أقبل عليه أهلها فأقام بها خمس سنين وليس على داره باب، وكان فيه رفق برعيته. قال الواقدي: وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقال غيره: وفيها افتتح عثمان بن أبي العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف وثلاثمائة ألف.

### ثم دخلت سنة سبع وعشرين

قال الواقدي وأبو معشر: وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولي عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وكان أخا عثمان لأمه - وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان أهمل رسول الله ص، دمه.

### غزوة إفريقية

أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس

(١) سقط من الحلية.



الخمس من الغنيمة ففلا . فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلها وجبلها ، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، ثم اجتمعوا على الطاعة والاسلام ، وحسن إسلامهم ، وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان ، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار . قال الواقدي : وصالح بطريقها على ألفي ألف دينار وعشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها عثمان في يوم واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان .

### غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فاتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام ، قال فساروا إليها فافتتحوها والله الحمد والمنة .

### وقعة جرجير والبربر مع المسلمين

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية ، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وفي جيشه عبد الله بن عمر . وعبد الله بن الزبير ، صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف ، وقيل في مائتي ألف ، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه ، قال عبد الله بن الزبير : فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على بردون ، وجاريتان تظللانه بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك ، فجهز معي جماعة من الشجعان ، قال فأمر بهم فحموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه - وهم يظنون أنني في رسالة إلى الملك - فلما اقتربت منه أحس مني الشرف ففر على بردونه ، فلحقته فطعته برمحى ، وذفت عليه بسيفي ، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمّة وأموالاً كثيرة ، وسبياً عظيماً ، وذلك ببلد يقال له سبيطة - على يمين من القيروان - فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين .

قال الواقدي : وفي هذه السنة افتتحت اصطخر ثانية على يد عثمان بن أبي العاص ، وفيها غزا معاوية قنسرين ، وفيها حج بالناس عثمان بن عفان . قال ابن جرير قال بعضهم وفي هذه السنة غزا معاوية قبرص ، وقال الواقدي : كان ذلك في سنة ثمان وعشرين . وقال أبو معشر : غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين فأنه أعلم .

## ثم دخلت سنة ثمان وعشرين فتح قبرص

ففيها ذكر ابن جرير فتح قبرص تبعاً للواقدي ، وهي جزيرة غربي بلاد الشام في البحر ، مغلصة وحدها ، ولها ذنب مستطيل إلى نحو الساحل فما يلي دمشق ، وغربها أعرضها ، وفيها فواكه كثيرة ، ومعادن ، وهي بلد جيد ، وكان فتحها على يدي معاوية بن أبي سفيان ، ركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان التي تقدم حديثها في ذلك حين نام رسول الله (ص) ، في بيتها ثم استيقظ يضحك فقالت : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : « ناس من أمي عرضوا علي يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة » . فقالت : يا رسول ادع الله أن يجعلني منهم . فقال « أنت منهم » ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال مثل ذلك فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « أنت من الأولين » فكانت في هذه الغزوة وماتت بها وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا كما سنذكره . والقصود أن معاوية ركب البحر في مراكب فقصد الجزيرة المعروفة بقبرص ومعه جيش عظيم من المسلمين ، وذلك بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه له في ذلك بعد سؤاله إياه ، وقد كان سأل في ذلك عمر بن الخطاب فأبى أن يكنه من حمل المسلمين على هذا الخلق العظيم الذي لو اضطرب لملكوا عن آخرهم ، فلما كان عثمان لح معاوية عليه في ذلك فأذن له فركب في المراكب فانتهى إليها ، ووافاه عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها من الجانب الآخر ، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبائاً كثيرة ، وغنموا مالا جزيلاً جيداً ، ولما جرى بالأسارى جعل أبو الدرداء يبكي ، فقال له جبير بن نفير : أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ فقال : ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك ، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى ، ساط الله عليهم السبي ، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة ، وقال ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره ؟ ! ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار في كل سنة ، وهدانهم ، فلما أرادوا الخروج منها قدمت لهم حرام بغلة لتركبها فسقطت عنها فاندقت عنقها فماتت هناك فقبرها هناك يعظمونه ويستسقون به ويقولون قبر المرأة الصالحة .

قال الواقدي : وفي هذه السنة غرأ حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم . وتزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة الكابية - وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها - وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

## ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ففيها عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة ، بعد عمله ست سنين وقيل ثلاث ،

وامر عليها عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص وله من العمر خمس وعشرون سنة ، فأقام بها ست سنين . وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وأبي معشر .  
زعم سيف أنه كان قبل هذه السنة فأنه أعلم .

وفيها وسع عثمان بن عفان مسجد النبي (س) ، وبناه بالقنطرة - وهي الكاس - كان يؤتى به من بطن نخل والحجارة المنقوشة ، وجعل عمده حجارة مرصعة ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة ، على ما كانت عليه في زمان عمر بن الخطاب ، ابتداء بنائه في ربيع الأول منها .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان ، وضرب له بمبنى فسطاطاً فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمبنى ، وأتم الصلاة عامه هذا ، فأنكر ذلك عليه غير واحد من الصحابة ، كعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، حتى قال ابن مسعود لبت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان ، وقد ناظره عبد الرحمن بن عوف فيما فعله ، فروى ابن جرير أنه قال : تأهلت بمكة ، فقال له : ولك أهل بالمدينة وإنك تقوم حيث أهلك بالمدينة . قال : وإن لي مالا بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر ، قال : إن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ، فقال : وإن طائفة من أهل اليمن قالوا : إن الصلاة بالحضر ركعتان فر بما رأوني أصلي ركعتين فيحتجون بي ، فقال له : قد كان رسول الله (س) ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الاسلام فيهم قليل ، وكان يصلي ههنا ركعتين ، وكان أبو بكر يصلي ههنا ركعتين ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وصليت أنت ركعتين صدرًا من إمارتك ، قال فسكت عثمان ثم قال : إنما هو رأي رأيته .

### سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

فيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان في قول الواقدي وأبي معشر والمدائني ، وقال : هو أول من غزاها . وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يغزوها ، على مال بذله له أصهينها فأنه أعلم . فذكر المدائني أن سعيد بن العاص ركب في جيش فيه الحسن والحسين ، والعبادة الأربعة ، وحذيفة بن اليمان ، في خلق من الصحابة فسار بهم فر على بلدان شتى يصلحونه على أموال جزيلة ، حتى انتهى إلى بلد معاملة جرجان ، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف ، فسأل حذيفة : كيف صلى رسول الله (س) ؟ فأخبره فصلى كما أخبره ، ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمان ، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ففتحوا الحصن قتلهم إلا رجلاً واحداً ، وحوى ما كان في الحصن ، فأصاب رجل من بني نهد سفظاً مقفولاً فاستدعى به سعيد ؟ ففتحوه فإذا

فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها ، فإذا فيها خرقة حمراء فنشروها ، وإذا داخلها حرفه صفراء ،  
وفيه إيران كيت وورد . فقال شاعر يهجو بهما بني نهيد .

آب الكرام بالسبايا غنيمة \* وفاز بنو نهيد بابر بن في سفظ  
كيت وورد وافر بن كلاهما \* فظنوهما غنماً فناهيك من غلط

قالوا : ثم نقض أهل جرجان ما كان صالحهم عليه سعيد بن العاص ، وامتنعوا عن أداء المال  
الذي ضربه عليهم . وكان مائة ألف دينار وقيل مائتي ألف دينار وقيل ثلاثمائة ألف دينار . ثم وجه  
إليهم يزيد بن المهلب بعد ذلك كما سند كره إن شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة عزل عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة ، وولى عليها سعيد بن العاص  
وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعاً ثم التفت فقال أزيدكم ؟ فقال قائل : ما زلنا  
منك منذ اليوم في زيارة . ثم إنه تصدى له جماعة يقال كان بينهم وبينه شتان ، فشكوه إلى عثمان ،  
وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقايها ، فأمر عثمان باحضاره وأمر بجلده ، فيقال  
إن علياً نزع عنه جلده ، وأن سعيد بن العاص جلد بين يدي عثمان بن عفان ، وعزله وأمر مكانه  
على الكوفة سعيد بن العاص .

وفي هذه السنة سقط خاتم النبي (س) ، من يد عثمان في بئر أريس ، وهي على ميلين من المدينة ،  
وهي من أقل الآبار ماء ، فلم يدرك خبره بعد بئيل مال جزيل ، والاجتهاد في طلبه ، حتى الساعة ،  
فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضة ، ونقش عليه محمد رسول الله ، فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يدرك  
من أخذه . وقد روى ابن جرير هاهنا حديثاً طويلاً في اتخاذ النبي (س) خاتماً من ذهب ، ثم من  
فضة ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى كسرى ، ثم دحية إلى قيصر ، وأن الخاتم الذي كان في يد النبي  
(س) ، ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان ست سنين ، ثم إنه وقع في بئر أريس ، وقد  
تقدم بعض هذا في الصحيح . وفي هذه السنة وقع بين معاوية وأبي ذر بالشام ، وذلك أن أبا ذر  
أنكر على معاوية بعض الأمور ، وكان ينكر على من يقتنى مالا من الأغنياء ، ويمنع أن يدخر فوق  
القوت ، ويوجب أن يتصدق بالفضل ، ويتأول قول الله سبحانه وتعالى [والذين يكتزون الذهب  
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم] فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع ،  
فبعث يشكوه إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة ، فقدمها فلامه عثمان على  
بعض ما صدر منه ، واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالربذة . وهي شرق المدينة . ويقال إنه سأل  
عثمان أن يقيم بها وقال : إن رسول الله (س) ، قال لي « إذا بلغ البناء سلماً فاخرج منها » وقد بلغ  
لبناء سلماً ، فأذن له عثمان بالمقام بالربذة وأمره أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان ، حتى لا يرتد

أعرايياً بعد هجرته ، ففعل فلم يزل مقيماً بها حتى مات على ما سند كره رضى الله عنه .  
وفى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء .

### فَضَائِلُ

ومن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة ثلاثين - . أبى بن كعب فيما صححه الواقدى .

### جبار بن صخر

ابن أمية بن خلفاء ، أبو عبد الرحمن الأنصارى ، عتقى بدرى ، وقد بعثه رسول الله (ص) إلى خيبر خارصاً ، وقد توفى عن ستين سنة .

### حاطب بن بلتعة

ابن عمرو بن عمير اللخمي حليف بنى أسد بن عبد العزى ، شهد بدرأ وما بعدها ، وهو الذى كان كتب إلى المشركين يعلمهم بعزم رسول الله (ص) ، [ على فتح مكة ، فعذره رسول الله (ص) ] (١) بما اعتذر به ، ثم بعثه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الاسكندرية .

### الطفيل بن الحارث

ابن المطلب أخو عبيدة ، وحصين ، شهد بدرأ . قال سعيد بن عمير : توفى فى هذه السنة .

### عبدالله بن كعب

ابن عمرو المازنى أبو الحارث ، وقيل أبو يحيى الأنصارى ، شهد بدرأ وكان على الخمس يومئذ .

### عبد الله بن مظعون

أخو عثمان بن مظعون هاجر إلى الحبشة وشهد بدرأ .

### عياض بن زهير

ابن أبى شداد بن ربيعة بن هلال أبو سعيد القرشى الفهرى ، شهد بدرأ وما بعدها .

### مسعود بن ربيعة

وقيل ابن الربيع ، أبو عمرو القارى [ شهد بدرأ وما بعدها . توفى عن نيف وستين سنة .

### معمر بن أبى سرح

ابن ربيعة بن هلال القرشى أبو سعد الفهرى (٢) ، وقيل اسمه عمرو ، بدرى قديم الصحبة .

من ١ - ٢ زيادة من المصرية .

## أبو أسيد

مالك بن ربيعة قال الفلاس : مات في هذه السنة ، والأصح أنه مات سنة أربعين ، وقيل سنة ستين فإله أعلم .

### ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ففيها كانت غزوة الصواري ، وغزوة الأساودة في البحر فيما ذكره الواقدي وقال أبو معشر : كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين . وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي وسيف وغيرهما إن الشام كان قد جمعها معاوية بن أبي سفيان لسنتين مضتا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد أحرزه غاية الحفظ وحمي حوزته ، ومع هذا له في كل سنة غزوة في بلاد الروم في زمن الصيف ، ولهذا يسمون هذه الغزوة الصائفة - فيقتلون خلقاً ، ويأسرون آخرين ، ويفتحون حصوناً ويغنمون أموالاً ويرعبون الأعداء ، فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح من أصاب من الفرنج والبربر ، ببلاد إفريقية والأندلس ، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الإسلام ، خرجوا في خمسمائة مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبي سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون ويصلبون ، وبات المسلمون يقرؤن ويصلون ، فلما أصبحوا صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً في المراكب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن ، قال بعض من حضر ذلك : فأقبلوا إلينا في أمر لم ير مثله من كثرة المراكب ، وعقدوا صواريخها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسلنا ثم سكنت الريح عنا ، قتلناهم : إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البرقات الاعجل منا ومنكم ، قال فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا : الماء الماء ، قال فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنتهم ، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف ، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر ، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألقاها إلى الساحل وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم ، وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يعهد مثله قط ، وقتل منهم بشر كثير ، ومن الروم أضعاف ذلك ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه - وقد قتلوا جداً - وبه جراحات شديدة مكث حيناً يداوى منها بعد ذلك ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ، ثم رجع مؤيداً منصوراً مظفراً . قال الواقدي : فحدثني معمر بن الزهري قال : كان في هذه الغزوة محمد بن أبي حنيفة ، وعبد بن أبي بكر ، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف أبا بكر وعمر ، ويقولان دمه حلال لأنه استعمل عبد الله ابن سعد - وكان قد ارتد وكفر بالقرآن العظيم وأباح رسول الله (ص) دمه ، وأخرج رسول الله (ص) أقواماً واستعملهم عثمان ، ونزع أصحاب رسول الله (ص) واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن

عمر ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين ، ولقوا العدو فكانا أنكل المسلمين قتالا ، فقيل لهما في ذلك قتالا : كيف قتاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نمككه ؟ فأرسل إليهما عبد الله بن سعد فتهاهما أشد النهى وقال : والله لولا لا أدري ما بوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما . قال الواقدي وفي هذه السنة فتحت أرمينية على يدى حبيب بن مسلمة . وفي هذه السنة قتل كسرى ملك الفرس .

### كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدرجرد

قال ابن إسحاق : هرب يزدرجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو ، فسأل من بعض أهلها مالا فتموه وخافوه على أنفسهم ، فبعثوا إلى الترك يستفزونهم عليه ، فأتوه فقتلوا أصحابه وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية على شط ، فأوى إليه ليلا ، فلما نام قتله . وقال المدائني : لما هرب بعد قتل أصحابه انطلق ماشياً عليه تاجه ومنطقته وسيفه ، فانتهى إلى منزل هذا الرجل الذي ينقر الأرحية فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذما كان عليه ، وجاءت الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذ حاصله ، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته وأخذوا ما كان مع كسرى ، ووضعوا كسرى في تابوت وحملوه إلى اصطخر ، وقد كان يزدرجرد وطى امرأة من أهل مرو قبل أن يقتل فحملت منه ووضعته بعد قتله غلاماً ذاهب الشق وسمى ذلك الغلام المخدج ، وكان له نسل وعقب في خراسان ، وقد سبى قتيبة بن مسلم في بعض غزواته بتلك البلاد جارتين من نسله ، فبعث باحداهما إلى الحجاج ، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له ابنه يزيد بن الوليد الملقب بالناقص . وقال المدائني في رواية عن بعض شيوخه : إن يزدرجرد لما انهزم عنه أصحابه عقر جواده وذهب ماشياً حتى دخل رحى على شط نهر يقال له المرعاب فكث فيه ليلتين والعدو في طلبه فلم يدر أين هو ، ثم جاء صاحب الرحى فرأى كسرى وعليه أهته ، فقال له : ما أنت ؟ إنسى أم جنى ؟ قال : إنسى ، فهل عندك طعام ؟ قال : نعم ! فأتاه بطعام فقال : إني مزرمم فأتني بما أزمزم به ، قال : فذهب الطحان إلى أسوار من الأساور فطلب منه ما يزرمزم به ، قال : وما تصنع به ؟ قال : عندى رجل لم أر مثله قط وقد طلب منى هذا ، فذهب به الأسوار إلى ملك البلد - مرو واسمه ماهويه بن باباه - فاخبره خبره ، فقال هو يزدرجرد ، اذهبوا فجيئونى برأسه ، فذهبوا مع الطحان [ فلما دنوا من دار الرحى هابوا أن يقتلوه وتنافسوا وقالوا للطحان ] (١) ادخل أنت فقتله ، فدخل فوجده نائماً فأخذ حجراً فشدخ به رأسه ثم احتزه فدفعه إليهم وألقى جسده في النهر ، فخرجت العامة إلى الطحان فقتلوه ، وخرج أسقف فأخذ جسده من النهر وجعله في تابوت وحمله إلى اصطخر فوضعه في تاووس ، ويروى أنه مكث في منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكل

(١) زيادة من المصرية .

حتى رق له وقال له : ويحك يامسكين ألا تأكل ؟ وأناه بطعام فقلا : إني لا أستطيع أن آكل إلا بزمزمة ، فقال له : كل وأنا أزمزم لك ، فسأل أن يأتيه بزمزم ، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساورة شموا رائحة المسك من ذلك الرجل ، فأنكروا رائحة المسك منه فسألوه فأخبرهم فقال : إن عندي رجلا من صفته كيت وكيت ، فعرفوه وقصدوه مع الطحان وتقدم الطحان ندخل عليه وم بالقبض عليه فعرف بزدجرد ذلك فقال له : ويحك خذ خاتمي سوارى وهنطقتى ودعنى أذهب من هنا ، فقال لا ، اعطاني أربعة دراهم وأنا أطلبك ، فزاده إحدى قرطيه من أذنه فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم أخرى ، فهم في ذلك إذ دهمهم الجند فلما أحاطوا به أرادوا قتله قال : ويحك لا تقتلوني فانا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريوتى الدنيا مع ما هو قادم عليه ، فلا تقتلوني واذهبوا بي إلى الملك أو إلى العرب ، فانهم يستحيون من قتل الملوك ، فأبوا عليه ذلك فسلبوه ما كان عليه من الحلى فجعلوه في جراب وخنقوه بوتر وألقوه في النهر فتعلق بعود فأخذه أسقف - واسمه إيليا - فحن عليه مما كان من أسلافه من الاحسان إلى النصارى الذين كانوا يبلاهم ، فوضعه في تابوت ودفنه في ناووس ، ثم حمل ما كان عليه من الحلى إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ففقد قرط من حليه فبعث إلى دهقان تلك البلاد فأغرمه ذلك . وكان ملك بزدجرد عشرين سنة ، منها أربع سنين في دعة ، وباقي ذلك هاربا من بلد إلى بلد ، خوفاً من الاسلام وأهله ، وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الاطلاق ، لقول رسول الله (ص) : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسى بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » رواه البخارى . وثبت في الحديث الصحيح أنه لما جاء كتاب النبي (ص) : مزقه ، فدعا عليه النبي (ص) ، أن يمزق كل ممزق ، فوقع الأمر كذلك ، وفي هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح ، فمن ذلك ما فتح عنوة ، ومن ذلك ما فتح صلحاً ، فكان في جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهى مرو على ألفى ألف ومائتى ألف ، وقيل على ستة آلاف ألف ومائتى ألف . وفي هذه السنة حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه .

### ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق - مضيق القسطنطينية - ومعه زوجته عاتكة ، ويقال فاطمة بنت قرطبة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . قاله أبو معشر والواقدي : وفيها استعمل سعيد بن العاص سلطان بن ربيعة على جيش وأمره أن يغزو الباب ، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة نائب تلك الناحية بمساعدته ، فسار حتى بلغ بلنجر فحصرها ونصبت عليها المجانيق والعرادات . ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعلونهم الترك فاحتلوا قتالا شديداً - وكانت الترك تهاب



قتال المسلمين ، و يظنون أنهم لا يموتون - حتى اجترأوا عليهم بعد ذلك ، فلما كان هذا اليوم التقوا معهم فاقتلوا ، فقتل يومئذ عبدالرحمن بن ربيعة - وكان يقال له ذوالنون - وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين ، فرقة ذهبت إلى بلاد الخزر ، وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان ، وفي هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي . وأخذت الترك جسد عبدالرحمن بن ربيعة - وكان من سادات المسلمين وشجعانهم - فدفنوه في بلادهم فهم يستسقون عنده إلى اليوم ، ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة ، وأمدم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة ، فتنزع حبيب وسلمان في الأمرة حتى اختلفا ، فكان أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام ، حتى قال في ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس :

فان تضربوا سلماناً نضرب حبيبكم \* وإن ترحلوا نحو ابن عفان ترحل  
وإن تفسطوا فالتغر تغر أميرنا \* وهذا أمير في الكتاب مقبل  
ونحن ولاة الثغر كنا حماه \* ليالي نرى كل ثغر وتكمل

وفيها فتح ابن عامر مرو الروذ والطارقان والفارياب والجوزجان وطخارستان . فأما مرو الروذ فبعث إليهم أبو عامر الأحنف بن قيس فحصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطرم إلى حصنهم ، ثم صالحوه على مال جزيل وعلى أن يضرب على أراضي الرعية الخراج ، ويدع الأرض التي كان اقتطعها كسرى لوالد المرزبان ، صاحب مرو ، حين قتل الحية التي كانت تقطع الطريق على الناس وتأكلهم ، فصالحهم الأحنف على ذلك ، وكتب لهم كتاب صلح بذلك ، ثم بعث الأحنف الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم ، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين ، ثم نصرروا فقال في ذلك أبو كثير النهشلي قصيدة طويلة فيها :

سقى مزن السحاب إذا استهلث \* مصارع فنية بالجوزجان  
إلى القصرين من رستاق حوط \* أبادم هناك الأقرعان

ثم سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصره حتى صالحوه على أربعمئة ألف ، واستتاب ابن عمه أسيد بن المشمس على قبض المال ، ثم ارتحل يريد الجهاد ، وداهمه الشتاء فقال لأصحابه : ما تشاءون ؟ فقالوا : قد قال عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه \* وجاوزة إلى ما تستطيع

فأمر الأحنف بالرحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ، ثم عاد إلى عامر قبيل لابن عامر ما فتح على أحد ما فتح عليك ، فارس وكرمان وسجستان وعامر خراسان ، فقال : لا جرم ، لأجنان شكري لله على ذلك أن أحرم بعمره من موقفي هذا مشراً فأحرم بعمره من نيسابور ، فلما قدم على

عثمان لأمه علي إحرامه من خراسان . وفيها أقبل قارن في أربعين ألفاً فالتقاء عبد الله بن حازم في أربعة آلاف ، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل ، وأمر كلا منهم أن يحمل على رأس رحله ناراً ، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبیتهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم ، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فاتفقوا وإياهم ، فولى المشركون مدبرين ، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤا كيف شاؤا . وغنموا سبياً كثيراً وأموالاً جزيلة ، ثم بعث عبد الله بن حازم [ بالفتح إلى ابن عاص ، فرضى عنه وأقره على خراسان - وكان قد عزله عنها - فاستمر بها عبد الله بن حازم ] (١) إلى ما بعد ذلك .

### ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

#### العاص بن عبد المطلب

ابن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الفضل المكي عم رسول الله (ص) ، ووالد الخلفاء العباسيين ، وكان أسن من رسول الله (ص) ، بستين أو ثلاث ، أسري يوم بدر فافتدى نفسه بمال ، وافتدى ابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث . وقد ذكرنا أنه لما أسر وشد في الوثاق وأمسى الناس ، أرق رسول (ص) : فقيل يارسول الله مالك ؟ فقال « إني أسمع أنين العباس في وثاقه فلا أقام » فقام رجل من المسلمين فخل من وثاق العباس حتى سكن أنيه فنام رسول الله (ص) ، ثم أسلم عام الفتح ، وتلقى رسول الله (ص) إلى الجحفة فرجع معه ، وشهد الفتح ، ويقال إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة باذن النبي (ص) ، له في ذلك ، كما ورد به الحديث فالله أعلم . وقد كان رسول الله (ص) يجله ويعظمه و ينزله منزلة الوالد من الولد ، ويقول « هذا بقية آبائي » وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم ، وكان ذا رأي وعقل تام واف ، وكان طويلاً جميلاً أبيض بضاً ذا طفرتين وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الإناث ، وهم تمام - وكان أصغرهم - والحارث ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعون ، والفضل ، وقثم ، وكثير ، ومعبد . وأعتق سبعين مملوكاً من غلمانه [ وقال الامام أحمد : ثنا علي بن عبد الله قال حدثني محمد بن طلحة التيمي من أهل المدينة حدثني أبو سهيل نافع بن مالك عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله (ص) ، للعباس « هذا العباس بن عبد المطلب أجود قریش كفاً وأوصلها » تفرد به (٢) ] وثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله (ص) ، فقال له رسول الله (ص) : « ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه

(١) سقط من الحلبية (٢) سقط من المصرية . الله وقوله تفرد به كذا في أصل الحلبية

ولعله سقط منه لفظ أحمد .

وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدرأعه وأعتاده في سبيل الله ، وأما العباس فهي علي ومثلها » ثم قال : « يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » ؟ وثبت في صحيح البخاري عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى به ، وقال اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسفيننا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، قال فيستون ، ويقال إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إذا مرا بالعباس وهما راكبان ترجلا إكراماً له . قال الواقدي وغير واحد : توفي العباس في يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع وقيل توفي سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين ، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

### عبدالله بن مسعود

ابن غافل بن حبيب بن سمح بن فار بن محزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهذلي ، أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة ، أسلم قديماً قبل عمر ، وكان سبب إسلامه حين مر به رسول الله (ص) ، وأبو بكر رضى الله عنه ، وهو يرمى غنا فسألاه لبنا فقال : إني مؤمن ، قال فأخذ رسول الله (ص) ، عناقاً لم يتر عليها الفحل فاعتقلها ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع « أقاص » فقلص ، فقلت علمني من هذا الدعاء فقال : إنك غلام معلم ، الحديث . وروى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه أن ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن بمكة ، بعد النبي (ص) ، عند البيت ، وقرئ في أندية قرأ سورة الرحمن علم القرآن ، فقاموا إليه فضربوه ، ولزم رسول الله (ص) ، وكان يحمل نعليه وسواكه ، وقال له إذنك على أن تسمع سوادى (١) ولهذا كان يقال له صاحب السواك والوساد ، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا ، وهو الذي قتل أبا جهل بعد ما أثبتته ابنا عفراء ، وشهد بقية المشاهد ، وقال له رسول الله (ص) : يوماً « اقرأ على » فقلت اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال « إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله [ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ] فبكى رسول الله (ص) ، وقال « حسبك » وقال أبو موسى : قدمت أنا وأخي من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي (ص) ، لكثرة دخولهم بيت النبي (ص) . وقال حذيفة ما رأيت أحداً أشبه برسول الله (ص) ، في هديه ودله وصمته من ابن مسعود ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) ، أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى ، وفي الحديث « وتمسكوا بهد ابن أم عبد » وفي الحديث الآخر الذي رواه أحمد عن محمد بن فضيل عن مغيرة عن أم حرمي عن علي أن ابن

(١) في النهاية اذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادى حتى أنهاك . السواد بالكسر السرار

مسعود صعد شجره يجتنى الكبات فجعل الناس يعجبون من دقة ساقه ، فقال رسول الله (س) ،  
« والذي نفسى بيده لما فى الميزان أثقل من أحد » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه - وقد نظر  
إلى قصره وكان يوازي بقامته الجلوس - فجعل يتبعه بصره ثم قال هو كنيف مليء علماً . وقد شهد ابن  
مسعود بعد النبي (س) ، مواقف كثيرة ، منها اليرموك وغيرها ، وكان قدم من العراق حاجاً فر بالربذة  
فشهد وفاة أبي ذر ودفنه ، ثم قدم إلى المدينة فرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائداً ، فيروى أنه قال  
له : ما تشكى ؟ قال ذنوبى ، قال فما تشهى ؟ قال رحمة ربى ، قال ألا أمر لك بطبيب ؟ فقال : الطبيب  
أمرضى ، قال ألا أمر لك بمطائك ؟ - وكان قد تركه سنتين - فقال : لا حاجة لى فيه . فقال : يكون  
لبناتك من بعدك ، فقال أتخشى على بناتى الفقر ؟ إني أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ،  
وإني سمعت رسول الله (س) يقول « من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » وأوصى عبد الله بن  
مسعود إلى الزبير بن العوام ، فيقال إنه هو الذى صلى عليه ليلاً ، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك ،  
وقيل بل صلى عليه عثمان ، وقيل عمار ، فالله أعلم . ودفن بالقيع عن بضع وستين سنة .

### عبد الرحمن بن عوف

ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو محمد القرشى الزهرى ، أسلم  
قديماً على يدى أبي بكر ، وهاجر إلى الحبشة . وإلى المدينة ، وأخى رسول الله (س) ، بينه وبين سعد  
ابن الربيع ، وشهد بدرًا وما بعدها ، وأمره رسول الله (س) . حين بعثه إلى بنى كلب وأرخى له عذبة  
بين كتفيه ، لتكون أمانة عليه للإمارة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين  
إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم ، كما ذكرنا .  
ثم كان هو الذى اجتهد فى تقديم عثمان رضى الله عنه ، وقد بقاؤل هو وخالده بن الوليد فى بعض  
الغزوات فأغلظ له خالد فى المقال ، فلما بلغ ذلك رسول الله (س) ، قال « لا تسبوا أصحابى فوالذى  
نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أخذ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وهو فى الصحيح . وقال  
معمر عن الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي (س) ، بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم  
تصدق بأربعمائة ألفاً ثم تصدق بأربعمائة ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل  
على خمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة ، فأما الحديث الذى قال عبد بن حميد  
فى مسنده ثنا يحيى بن إسحق ثنا عمار بن زاذان عن ثابت البناتى عن أنس بن مالك أن  
عبد الرحمن بن عوف لما هاجر أخى رسول الله (س) ، بينه وبين عثمان بن عفان فقال له إن لى حائطين  
فاختر أيهما شئت ، قال : برك الله لك فى حائطيك ، ما لهذا أسلمت ، دلنى على السوق ، قال  
فدلته فكان يشتري السمنة والاقيطة والاهاب ، فجمع فتزوج فأتى النبي (س) ، فقال « برك الله لك

أولم ولو بشاة « قال فكثير ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام ، قال : فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجة ، فقالت عائشة : ما هذه الرجة ؟ فقيل لها غير قدمت عبد الرحمن بن عوف سبعمائة تحمل البر والدقيق والطعام . فقالت عائشة : سمعت رسول الله (ص) يقول « يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبواً » فلما بلغ عبد الرحمن ذلك قال : أشهدك يا أمه أنها بأحمالها وأحلاسها وأقتابها في سبيل الله . وقال الامام أحمد : ثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة - هو ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال : بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة قالت : ما هذا ؟ قالوا غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء - قال وكانت سبعمائة بعير - قال فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة سمعت رسول الله (ص) يقول : « قد رأيت عبد الرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبواً » فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : لئن استطعت لأدخلها قائماً ، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله . فقد تفرد به عمارة بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف . وأما قوله في سياق عبد بن حميد : إنه آخى بينه وبين عثمان بن عفان ، فغناط محض مخالف لما في صحيح البخاري من أن الذي آخى بينه وبينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنهما ، وثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار ، وهذه منقبة عظيمة لا تبارى . ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار - وكانوا مائة - فأخذوها حتى عثمان وعلي ، وقال علي : اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها ، وسبقت زيفها وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول سقاها الله من السلسيل . وأعتق خلقاً من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالا جزيلاً ، من ذلك ذهب قطع بالفوس حتى مجلت أيدي الرجال ، وترك ألف بعير ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع ، وكان نساؤه أربعاً فصولت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفاً ، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص ، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة . وكان أبيض مشرباً بحمرة حسن الوجه ، دقيق البشرة ، أعين أهدب الأشفار ، أفنى ، له جمة ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع ، لا يغير شبيهه رضي الله عنه .

### أبو ذر الغفاري

واسمه جنس بن جنادة على المشهور ، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة . وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة ، وهو أول من حيا رسول الله (ص) ، بتحية الاسلام ، ثم رجع إلى بلاده وقومه ، فكان هناك حتى هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزم رسول الله (ص) . حضراً وسفراً ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وجاء في فضله أحاديث كثيرة ، من

أشهرها ما رواه الأعمش عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أبي حرب بن أبي الأسود عن عبد الله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ، قال «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر» وفيه ضعف. ثم لما مات رسول الله ﷺ، ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة، ثم نزل الربدة فأقام بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة، وليس عنده سوى امرأته وأولاده، فبينما هم كذلك لا يقدر على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه، فحضروا موته، وأوصاهم كيف يفعلون به، وقيل قدموا بعد وفاته فولوا غسله ودفنه، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوه بعد الموت، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم مع أهله.

### ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كان فتح قبرص في قول أبي معشر، وخالفه الجمهور فذكروها قبل ذلك كما تقدم، وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ثانية، حين نقض أهلها العهد. وفيها سير أمير المؤمنين جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن عامر، فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه عثمان أن يجلبهم عن بلده إلى الشام، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد أخرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم. فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة، فاحتملهم معاوية لحلمه، وأخذ في مدح قريش - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ في المدح لرسول الله ﷺ، والثناء عليه، والصلاة والتسليم. وافتخر معاوية بوالده وشرفه في قومه، وقال فيما قال: وأظن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم يلد إلا حازماً، فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت، قد ولد الناس كلهم لمن هو خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البر والفاجر، والأحق والكيس. ثم بذل لهم النصح مرة أخرى فاذا هم يتبادون في غيبهم، ويسترون على جهاتهم وحقهم، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام، لئلا يشوشوا عقول الطغام، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على القسح في قريش كونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم من القيام فيه، من نصرة الدين وقع المفسدين. وإنما يريدون بهذا التنقيص والميب ورجم الغيب، وكانوا يشتمون عثمان وسعيد بن العاص، وكانوا عشرة، وقيل تسعة وهو الأشبه، منهم كيل بن زياد، والأشتر النخعي - واسمه مالك بن يزيد - وعلقمة بن قيس النخعيان، وثابت بن قيس النخعي، وجندب بن زهير العائري، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد

وعمر بن الخطاب الخزاعي (١). فلما خرجوا من دمشق أروا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان نائباً على الجزيرة - ثم ولي حمص بعد ذلك - فهدم وتوعدم ، فاعتذروا إليه وأنبأوا إلى الاقلاع عما كانوا عليه ، فدعاهم وسير مالكا الأثر النخمي إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه ، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخيرهم أن يقيموا حيث أحبوا ، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقدموا عليه حمص ، فأمرهم بالمقام بالساحل ، وأجرى عليهم الرزق . ويقال بل لما مقتها معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاهه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردهم إليه ، فلما رجعوا كانوا أزلق السنة ، وأكثر شراً ، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان ، فأمره أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بجمص ، وأن يلزموا الدروب . وفي هذه السنة سير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام ، وإلى مصر بأسباب مسوغة لما فعله رضى الله عنه ، فكان هؤلاء ممن يؤاب عليه ويمالى الأعداء في الخط والكلام فيه ، وهم الظالمون في ذلك ، وهو البار الراشد رضى الله عنه . وفي هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وتقبل الله منه .

### ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو معشر : فيها كانت وقعة الصواري ، والصحيح في قول غيره أنها كانت قبل ذلك كما تقدم . وفي هذه السنة كتبت المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بجمص منفيون عن الكوفة ، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة ، وتألّبوا عليه ، ونالوا منه ومن عثمان ، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفي اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه ، وأغلظوا له في القول ، وطلبوا منه أن

(١) كذا في الحلبية . والذي في المصرية

كميل بن زياد ، والأثر النخمي ، واسمه مالك بن الحارث - وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان ، وكعب بن مالك الأوسي ، والأسود بن زيد بن علقمة بن قيس النخميان ، وثابت بن قيس النخمي ، وجندب بن زهير الغامدي ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد ، وعمر بن ابن الحق الخزاعي .

والذي في الطبري .

مالك بن الحارث الأثر ، وثابت بن قيس النخمي ، وكميل بن زياد النخمي ، وزيد بن صوحان العبدى ، وجندب بن زهير الغامدي ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد ، وعمر بن ابن الخزاعي .

يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة ، حتى شق ذلك عليه جداً ، وبث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم ، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام ، وعمرو بن العاص أمير مصر ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب ، وسعيد بن العاص أمير الكوفة ، وعبد الله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر وافتراق الكلمة فأشار ، فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو وعمام فيه من الشر ، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه ، وما هو فيه من درابته وقمل فروته فان غوغاه الناس اذا تفرغوا وبطلوا اشتغلوا بما لا يفي وتكلموا بما لا يرضي واذا تفرقوا تفعموا أنفسهم وغيرهم ، وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم ، وأشار معاوية بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر ، فانهم أقل وأضعف جنداً . وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بالمال فيعطيتهم منه ما يكف به شرهم . ويأمن غائلتهم ، ويعطف به قلوبهم إليه . وأما عمرو بن العاص فقام فقال : أما بعد يا عثمان فانك قد ركبت الناس ما يكرهون فأما أن تعزل عنهم ما يكرهون ، وإما أن تقدم فنزل عمالك على ما هم عليه ، وقال له كلاماً فيه غلظة ، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليلبغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا ، فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه ، وتآلف قلوب أولئك بالمال ، وأمر بأن يبعثوا إلى الغزو إلى الثغور ، فجمع بين المصالح كلها ، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان ويولي عليهم أبا موسى الأشعري ، وكان اجتماعهم بمكان يقال له الجرعة ، <sup>(١)</sup> - [ وقد قال يومئذ الأشتر النخعي : والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا ، وتواقف الناس بالجرعة ] . <sup>(٢)</sup> وأحجم سعيد عن قتالهم وصمموا على منعه ، وقد اجتمع في مسجد الكوفة في هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، فجعل أبو مسعود يقول : [ والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء . فجعل حذيفة يقول : ] <sup>(٣)</sup> والله ليرجعن ولا يكون فيها محجمة من دم ، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته وعهدت . حتى . والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة ، فأعجب ذلك أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان ان يولي عليهم ابا موسى الأشعري بذلك فأجابهم عثمان إلى ما سألوا إزاحة لعنهم ، وإزالة لشبههم ، وقطماً لعلمهم . وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الاسلام وصار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه ، مضمونه أنه يقول للرجل : أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : نعم فيقول له فرسول الله (ص) ، أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ ثم يقول : وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب ، فحمد خاتم الأنبياء ،

(١) الجرعة مكان مشرف قرب القادسية . (٢) - (٣) سقط من الحلبية .



وعلى خاتم الأوصياء ، ثم يقول : فهو أحق بالأمر من عثمان ، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له .  
فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فافتن به بشر كثير من أهل مصر ،  
وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، قبالوا على ذلك ، وتكاتبوا فيه ، وتواعدوا  
أن يجتمعوا في الأنكار على عثمان ، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته  
أقرباءه وذوي رحمه وعزله كبار الصحابة . فدخل هذا في قلوب كثير من الناس ، فجمع عثمان بن  
عفان نوابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له فإله أعلم .

وقال الواقدي فيما رواه عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر  
الناس بالمقال على عثمان بن عفان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، فكلم الناس على بن أبي طالب أن  
يدخل على عثمان ، فدخل عليه فقال له : إن الناس ورأى وقد كلوني فيك ، والله ما أدري ما أقول  
لك ، وما أعرف شيئاً تجبهه ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء  
فنجبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبذناك عنه ، وما خصصنا بأمر خفي عنك إدراكه ، وقد رأيت وسمعت وصحبت  
رسول الله (ص) ، ونلت صهره ، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى  
بشيء من الخير منك ، وإنك أقرب إلى رسول الله (ص) ، رحماً ، ولقد نلت من صهر رسول الله (ص) ، ما  
لم ينال ، ولا سبقاك إلى شيء ، فالله الله في نفسك ، فانك والله ما تبصر من غمي ، ولا تعلم من جهل .  
وإن الطريق لواضح بين ، وإن أعلام الدين لقائمة ، تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام  
عادل ، هدى وهدى ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة معلومة ، فوالله إن كلا ليين ، وإن السنن  
لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وأضل به فأمات  
سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة ، وإني سمعت رسول الله (ص) يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر  
وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحائم يرتطم في غمرة جهنم ، وإني  
أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته ، فان عذابه أليم شديد ، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة  
المقتول ، فانه كان يقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس  
أمورها عليها ، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل ، يمجون فيها موجاً ، ويمرحون فيها  
مرحاً . فقال عثمان : قد والله علمت لتقولن الذي قلت ، أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا  
أسلمتك ، ولا عبت عليك ، ولا جئت منكراً ، إني وصلت رحماً ، وسددت خلة ، وآويت ضائماً ،  
ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي ، أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال :  
نعم ! قال : فتعلم أن عمر ولاء ؟ قال : نعم ! قال : فلم تلوموني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ فقال  
علي : سأخبرك إن عمر كان كلما ولي أميراً فانما يطأ على صمخيصه وإن بلغه حرف جاء به ، ثم بلغ

بما قصى الغاية في العقوبة وانت لا تفعل ضعفت ورفقت على أقربائك . قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، فقال على لعمرى إن رحمتهم منى لقريبة ، ولكن الفضل في غيرهم . قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولي معاوية خلافة كلها ، قد وليته ، فقال على : أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفاً غلام عمر منه ؟ قال : نعم ! قال على : فان معاوية يتطعم الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان ، فليبلغك فلا تنكروا لا تغير على معاوية ثم خرج على من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر فوعظ وحنر وأندر ، وتهدد وتوعد ، وأبرق وأرعد ، فكان فيما قال : ألا فقد والله عبتم على بما أقررتم به لابن الخطاب ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم وأوطأت لكم كتفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم على ، أما والله لا تأمر فراً وأقرب ناصرآ وأكثر عدداً وأقن ، إن قلت : هلم إلى إلى ، وقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولاً ، وكشرت لكم عن نابي ، فأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به ، فكفوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولا تكفوا ، قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يليكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ، ألا فما تفقدون من حكم ؟ فوالله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي . ثم اعتذر عما كان يعطى أقرباءه بأنه من فضل ماله . فقام مروان بن الحكم فقال : إن شتم والله حكماً بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم \* مغارسكم تبنون في دمن الثرى

قال عثمان : اسكت لا اسكت ، دعني وأصحابي ، ما منطقتك في هذا ، ألم أتقدم إليك أن لا تنطق . فسكت مروان ونزل عثمان رضى الله عنه .

وذكر سيف بن عمر وغيره أن معاوية لما ودعه عثمان حين عزم على الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فانهم قوم كثيرة طاعتهم للأمراء . فقال : لا أختار بجواز رسول الله (س) ، سواء . فقال : أجهز لك جيشاً من الشام يكونون عندك ينصرونك ؟ فقال : إني أخشى أن أضيق بهم بلد رسول الله (س) ، على أصحابه من المهاجرين والأنصار . قال معاوية : فوالله يا أمير المؤمنين لتقتالن - أو قال : لتغزبن - فقال عثمان : حسبي الله ونعم الوكيل . ثم خرج معاوية من عنده وهو متقلد السيف وقوسه في يده ، فر على ملا من المهاجرين والأنصار ، فيهم على بن أبي طالب ، وطلحة ، والزبير ، فوقف عليهم واتكأ على قوسه وتكلم بكلام بليغ يشتم على الوصاة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه ، ثم انصرف ذاهباً . قال الزبير : ما رأيت أهدب في عيني من يومه هذا . وذكر ابن جرير أن معاوية استشر الأمر لنفسه من قعته هذه إلى المدينة ، وذلك أنه سمع حادياً يرتجز في أيام الموسم في هذا العام وهو يقول :

قد علمت ضوامر المطى • وضمرات عوج القسي . أن الأمير بعده على • وفي الزبير خلف رضى  
وطلحة الحامى لها ولى .

فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك فى نفسه حتى كان ما كان على ما سذكه فى موضعه إن شاء الله  
وبه الثقة . قال ابن جرير : وفى هذه السنة مات أبو عبس بن جبير بالمدينة وهو بدرى . ومات أيضاً  
مسطح بن أنانة . وغافل بن البكير . وحج بالناس فى هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .  
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين فمقتل عثمان .

وكان السبب فى ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولى عليها عبد الله بن سعد  
ابن أبى سرح . وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص ،  
مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء فى خليفة ولا أمير  
فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم ويوفى عليهم من هوائين منه . فلم يزل ذلك  
دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة ، وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن  
أبى سرح . ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما ، حتى كان بينهما كلام قبيح . فأرسل عثمان لجمع  
لابن أبى سرح جميع عمالة مصر ، خراجها [ وحرابها ] وصلاتها ، وبعث إلى عمرو يقول له : لا خير لك  
فى المقام عند من يكرهك ، فأقدم إلى ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفى نفسه من عثمان أمر  
عظيم وشركبير فكلمه فيها كان من أمره بنفس ، وتقاولا فى ذلك ، واقتخر عمرو بن العاص بأبيه على عثمان ،  
وأنه كان أعز منه . فقال له عثمان : دع هذا فإنه من أمر الجاهلية . وجعل عمرو بن العاص يؤلب  
الناس على عثمان . وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قدمنا ،  
وينقمون عليه فى عزله جماعة من عليّة الصحابة وتوليته من دورهم ، أو من لا يصلح عندهم للولاية .  
وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، بعد عمرو بن العاص ، واشتغل عبد الله بن سعد  
عندهم بقتال أهل المغرب ، وفتح بلاد البربر والأندلس وإفريقية . ونشأ بمصر طائفة من أبناء  
الصحابة يؤلبون الناس على حربه والانكار عليه ، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبى بكر ،  
ومحمد بن أبى حذيفة ، حتى استنفروا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة فى صفة معتبرين  
فى شهر رجب ، لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق ، وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن  
ورقاء الخزاعى ، وعبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران  
السكونى . وأقبل معهم محمد بن أبى بكر ، وأقام بمصر محمد بن أبى حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن  
هؤلاء . وكتب عبد الله بن سعد بن أبى سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكرين  
عليه فى صفة معتبرين . فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان على بن أبى طالب أن يخرج إليهم ليردهم  
إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة . ويقال : بل ندى الناس إليهم ، فانتدب على لذلك فبعثه ،

وخرج معه جماعة الاشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر . فقال علي لعمار فآبي عمار أن يخرج  
 معه . فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرضه على الخروج مع علي إليهم ، فآبي  
 عمار كل الالباء ، وامتنع أشد الامتناع ، وكان متعصباً على عثمان بسبب تأديبه له فيما تقدم على  
 أمر وضربه إياه في ذلك ، وذلك بسبب شتمه عباس بن عتبة بن أبي لهب ، فأدبهما عثمان ، فنام  
 عمار عليه لذلك ، وجعل يحرض الناس عليه ، فنهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولامه عليه ، فلم  
 يقلع عنه ولم يرجع ولم ينزع ، فانطلق علي بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة ، وكانوا يظلمونه ويبالغون  
 في أمره ، فردم وأنهم وشتهم ، فرجعوا على أنفسهم بالملامة ، وقالوا : هذا الذي تحاربون الأمير بسببه ،  
 ونحن نجون عليه به . ويقال إنه ناظرهم في عثمان ، وسألهم ماذا ينعمون عليه ، فذكروا أشياء منها أنه  
 من لحمي هو انه حرق المصاحف ، وانه أتم الصلاة وانه ولي الأحداث والولايات وترك الصحابة الأكارم وأعطى بني  
 سينا أكثر من الناس فأجاب علي عن ذلك : أما الحمى فأنما حماه لابل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لابل ولا لعنة  
 وقد حماه عمر من قبله . وأما المصاحف فأنما حرق ما وقع فيه اختلاف ، وأبقى لحم المتفق عليه ،  
 كما ثبت في العريضة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة ، فانه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأنما ،  
 وأما توليته الأحداث فلم يول إلا رجلاً سوياً عدلاً ، وقد ولي رسول الله (ص) عتاب بن أسيد على  
 مكة وهو ابن عشرين سنة ، وولي أسامة بن زيد بن حارثة وطعن الناس في إمارته فغداً انه خلق بالأمانة  
 وأما إثارة قومه بني أمية فقد كان رسول الله (ص) يؤثر قريشا على الناس ، ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدي  
 لأدخلت بني أمية إليها . ويقال : إنهم عتبوا عليه في عمار ومحمد بن أبي بكر ، فذكر عثمان عذره في  
 ذلك ، وأنه أقام فيهما ما كان يجب عليهم . وعتبوا عليه في إيوائه الحكم بن أبي العاص ، وقد نفاذ  
 رسول الله (ص) إلى الطائف ، فذكر أن رسول الله (ص) كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ، ثم نفاه  
 إليها ، قال فقد نفاه رسول الله (ص) ، ثم رده ، وروى أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحضر من  
 الصحابة ، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له . ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا  
 خطبة عثمان هذه ، فلما تمهدت الأعذار وانزاحت عنهم ولم يبق لهم شبهة ، أشار جماعة من الصحابة  
 على عثمان بتأديبهم فصاح عنهم ، رضى الله عنه . وردم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا ،  
 ولم ينالوا شيئاً مما كانوا أملوا وراموا ، ورجع على إلى عثمان ، فأخبره برجوعهم عنه ، وسماهم منه ،  
 وأشار على عثمان أن يخطب الناس خطبة يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أقربه ، ويشهدهم  
 عليه بأنه قد تاب من ذلك ، وأناب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله ، وأنه  
 لا يحسد عنها ، كما كان الأمر أولاً في مدة ست سنين الأولى ، فاستمع عثمان هذه النصيحة ، وقابلها  
 بالسمع والطاعة ، ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس ، رفع يديه في أثناء الخطبة ، وقال اللهم إني أستغفرك

وأتوب إليك ، اللهم إني أول قائب مما كان مني ، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان ، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنه قد سبل بابه لمن أراد الدخول عليه ، لا يمنع أحد من ذلك ، ونزل فصلي بالناس ثم دخل منزله وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال ، لا يمنع أحد من ذلك مدة . قال الواقدي : فحدثني علي بن عمر عن أبيه قال : ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له : تكلم كلاماً تسمعه الناس منك ويشهدون عليك ، ويشهد الله على ما في قلبك من التزوع والالتابة ، فان البلاد قد تخضت عليك ، ولا آمن ركبا آخرين يقدمون من قبل الكوفة ، فتقول يا على اركب إليهم ، ويقدم آخرون من البصرة فتقول يا على اركب إليهم ، فان لم أفعل قطعت رحمتك واستخففت بمحك . قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعلم الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فوالله ما عاب من عاب شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكن ضل رشدي ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « من زل فليتب ، ومن أخطأ فليتب ، ولا يتبادى في الملكة ، إن من تمادى في الجور كان أبعد عن الطريق » فإنا أول من اتعظ ، أستغفر الله مما فعلت واتوب ، فثلى نزع وتاب ، فاذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فوالله لا يكونن كالمرقوق إن ملك صبر ، وإن عتق شكر ، وما عن الله مذهب إلا إليه . قال : فرق الناس له وبكى من بكى ، وقام إليه سعيد بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ! الله الله في نفسك ! فأتهم علي ما قلت . فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس ، وجاءه مروان بن الحكم فقال : أتكلم يا أمير المؤمنين أم أصمت ؟ فقالت امرأة عثمان - نائلة بنت الفرافصة الكلبية - من وراء الحجاب : بل أصمت ، فوالله إنهم لقاتلوه ، ولقد قال مقالة لا ينبغي التزوع عنها . فقال لها : وما أنت وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن أن تتوضأ . فقالت له : دع ذكر الآباء ، ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان . وقال لعثمان : يا أمير المؤمنين أتكلم أم أصمت ؟ فقال له عثمان : بل تكلم ، فقال مروان : بأبي أنت وأمي ، لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنوع منيع ، فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ما قلت حين جاوز الحزام الطيبين ، وبلغ السيل الزبا ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لا أقامة على خطيئة يستغفر منها ، خير من توبة تخوف عليها ، وإنك لو شئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : قم فأخرج إليهم فكلهم ، فاني أستحي أن أكلهم ، قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً ، فقال : ما شأنكم

كانكم قد جثتم لنهب ، شاهت الوجوه كل إنسان آخذ باذن صاحبه إلا من أريد (١) جثتم تريدون أن تترعوا ملكنا من أيدينا ، أخرجوا عنا ، أما والله لئن رمتونا ليمرن عليكم أمر يسؤكم ولا تحمدوا غبه ، ارجعوا إلى منازلكم ، فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا ، قال فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر ، فجاء علي مفضباً حتى دخل على عثمان . فقال : أما رضيت من مروان ولا رضيت منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟ ! وإن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به ، والله ما مروان بنى رأى في دينه ولا نفسه ، وأيم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك ، أذهبت سوقك ، وغلبت على أمرك . فلما خرج علي دخلت نائلة على عثمان فقالت : أتكلم أو أسكت ؟ فقال : تكلمى ، فقالت : سمعت قول علي أنه ليس يماودك ، وقد أطعت مروان حيث شاء ، قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقى الله وحده لا شريك له ، وتتبع سنة صاحبك من قبلك ، فانك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هبة ولا محبة ، فأرسل إلى علي فاستصاحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى . قال فأرسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه ، وقال : لقد أعلمته أنى لست بعائد . قال : وبلغ مروان قول نائلة فيه فجاء إلى عثمان فقال : أتكلم أو أسكت ؟ فقال : تكلم ، فقال : إن نائلة بنت الفرافصة ، فقال عثمان لا تذكريها بحرف فأسوء إلى وجهك ، فهى والله أنصح لى منك . قال : فكف مروان

### ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر

وذلك أن أهل الأمصار لما بلغتهم خبر مروان ، وغضب على عثمان بسببه ، ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغيروا لم يسلك سيرة صاحبه كاتب ، فكانت أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا ، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان علي وطلحة والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم . وأذكر سيف بن عمر التميمي عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقلل لهم يقول ستمائة ، والمكبر يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن ابن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر الليثي ، وسودان بن حمران السكوني ، وقتيرة السكوني وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي ، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً ، ومعهم ابن السوداء - وكان أصله ذمياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قولية و فعلية ، قبحه الله - وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق أيضاً ، وأمرؤهم : زيد بن صوحان ، والأشتر النخعي ، وزبيد بن النصر الحارثي ، وعبد الله بن الأصم ، وعلى الجميع عمرو بن الأصم . وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضاً في أربع

(١) كذا بالأصل والطبرى وفى عقد الجمان مهمل من التنقيط ووصلها ابن الأثير بشاهت الوجوه

رايات مع حكيم بن جبلة العبدي ، و بشر بن شريح بن ضبيعة القيسي ، و ذريح بن عباد العبدي ،  
وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي ، و أهل مصر مصر و بن علي ولاية علي بن أبي طالب ، و أهل  
الكوفة عازمون علي تأمير الزبير ، و أهل البصرة مصممون علي تولية طلحة . لا تشك كل فرقة أن  
أمرها سيئ ، فسار كل طائفة من بلادهم حتى توافوا حول المدينة ، كما تواعدوا في كتبهم ، في شهر شوال  
فتزل طائفة منهم بذي خشب ، و طائفة بالأعوص ، و الجمهور بذي المروة ، و هم علي وجل من أهل  
المدينة ، فبعثوا قصاداً و عيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاؤا للحج لا لغيره ، و ليسنعفوا  
هذا الوالي من بعض عماله ، ما جئنا إلا لذلك ، و استأذنوا للدخول ، فكل الناس أبي دخولهم و نهي  
عنه . فتجاسروا و اقتربوا من المدينة ، و جاءت طائفة من المصريين إلى علي و هو في عسكر عند  
أحجار الزيت ، عليه حلة أهواف ، معتم بشقيقة حمراء مائبة ، متقلدا السيف و ليس عليه قميص  
و قد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع اليه ، فلم عليه المصريون  
فصاح بهم و طردهم ، و قال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة و ذي خشب ملعونون علي لسان  
محمد رس ، فارجعوا لا أصبحكم الله ، قالوا : نعم ! و انصرفوا من عنده علي ذلك ، و أتى البصريون  
طلحة و هو في جماعة أخرى إلى جنب علي . و قد أرسل ابنه إلى عثمان . فلهوا عليه فصاح بهم  
و طردهم و قال لهم كما قال علي لأهل مصر ، و كذلك كان رد الزبير علي أهل الكوفة . فرجع كل  
فريق منهم إلى قومهم ، و أظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلادهم ، و ساروا أياما راجعين ، ثم كرو  
عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، و إذا القوم قد زحفوا علي  
المدينة و أحاطوا بها ، و جمهورهم عند دار عثمان بن عفان ، و قالوا للناس : من كف يده فهو آمن ،  
فكف الناس و لزمو بيوتهم ، و أقام الناس علي ذلك أياماً . هذا كله و لا يدري الناس ما القوم صانعون  
ولا علي ما هم عازمون ، و في كل ذلك و أمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلي بالناس ،  
فيصلي وراءه أهل المدينة و أولئك الآخرون ، و ذهب الصحابة إلى هؤلاء ، يؤنبونهم و يعذلونهم علي  
رجوعهم ، حتى قال علي لأهل مصر : ما ردكم بعد ذهابكم و رجوعكم عن رأيكم ؟ فقالوا : وجدنا مع  
بريد كتاباً بقتلنا . و كذلك قال البصريون لطلحة ، و الكوفيون للزبير . و قال أهل كل مصر : إنما  
جئنا لتصر أصحابنا . فقال لهم الصحابة : كيف علمت بذلك من أصحابكم ، و قد افترقت و صار بينكم  
مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه ، فقالوا : ضموه علي ما أردتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزلنا  
و نحن نعتزله . يمتنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمناً . و كان البصريون فيما ذكر ، لما رجعوا إلى  
بلادهم وجدوا في الطريق بريداً يسير ، فأخذوه ففتشوه ، فإذا معه في إداوة كتاباً علي لسان  
عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم ، و بصلب آخرين ، و بقطع أيدي آخرين منهم و أرجلهم ، و كان  
علي الكتاب طابع بخاتم عثمان ، و البريد أحد غلمان عثمان و علي جملة ، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب

وداروا به على الناس ، فكلم الناس امير المؤمنين في ذلك ، فقال : بينة على بذلك وإلا فوالله لا كتبت ولا أملت ، ولادريت بشئ من ذلك ، والخاتم قد يزور على الخاتم ، فصدقه الصادقون في ذلك ، وكذبه الكاذبون . ويقال : إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سرح ، ويولي محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب يقتل محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما رجعوا ذلك البريد ومعه الكتاب يقتل محمد بن أبي بكر وآخرين معه ، فرجموا ، وقد حنقوا عليه حنقا شديداً ، وطاقوا بالكتاب على الناس ، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس . وروى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي ، على جمل لعثمان ، وذكر ابن جرير من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه ، وهذا كذب على الصحابة ، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ، كما كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها ، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً ، فإنه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً . واستمر عثمان يصلى بالناس في تلك الأيام كلها ، وهم أحقر في عينه من التراب ، فلما كان في بعض الجمعات وقام على المنبر ، وفي يده العصا التي كان يمسك عليها رسول الله (ص) ، في خطبته ، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده ، فقام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه ، وانزله عن المنبر ، فطمع الناس فيه من يومئذ ، كما قال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال : بينا أنا أنظر إلى عثمان على عصا النبي (ص) ، التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر ، فقال له جهجاه قم يانعل فانزل عن هذا المنبر وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فيها فبقي الجرح حتى أصابته الأكلة ، فرأيتها تدود ، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها ، فكانت مضطربة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين ، حتى حصر فقتل .

قال ابن جرير : وحدثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن الجهجاه الغفاري أخذ عصا كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته ، فرمى في ذلك المكان بأكلة . وقال الواقدي : وحدثني ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن ابن أبي حبيبة قال : خطب عثمان الناس في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : إنك ركبت بهاتير وركبناها معك ، فقب نتب معك . فاستقبل عثمان القبلة وشمر يديه ، قال ابن أبي حبيبة : فلم أرى يوماً أكثر باكياً ولا باكياً من يومئذ . ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح إليه : يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جثنا بها عليها عباءة وجامعة ، فانزل فلندرجك في العباءة ولنطرحك في الجامعة



ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان . فقال عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به ، ثم نزل عثمان . قال ابن أبي حبيبة : وكان آخر يوم رأيته فيه • وقال الواقدي : حدثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد . قال : كان أول من اجترأ على عثمان بالنطق السيء جبلة بن عمرو الساعدي مر به عثمان وهو في نادي قومه ، وفي يد جبلة جامعة ، فلما مر عثمان سلم فرد القوم ، فقال جبلة : لم تردون عليه ؟ رجل قال كذا وكذا ، ثم أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتترك بطاقتك هذه ، فقال عثمان : أي بطانة ؟ فوالله لا تخير الناس ، فقال مروان تخيرته ، ومعاوية تخيرته ، وعبد الله بن عامر بن كرز تخيرته ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح تخيرته ، منهم من نزل القرآن بدمه ، وأباح رسول الله (س) دمه ، قال : فانصرف عثمان فما زال الناس يجترئين عليه إلى هذا اليوم . قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح عن عبيد الله بن رافع بن قفاخة عن عثمان بن الشريد . قال : مر عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ، ومعه جامعة ، فقال : يا نعتل ! والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوب جرباء ، ولأخرجنك إلى حرة النار . ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه . وذكر سيف بن عمر أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضاً فقال في خطبته : يا هؤلاء الغرباء ! الله الله ، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد (س) ، فاحموا الخطأ بالصواب ، فان الله لا يمحو السيء إلا بالحسن ، فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعدته ، فقام زيد بن ثابت فقال : إنه في الكتاب . فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي مريرة فأقعدته وقال يانطع ، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل وأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر ، وعمار ابن ياسر . وأقبل على وطلحة والزبير إلى عثمان في أناس يعودونه ويشكون إليه بشتم وماحل بالناس ، ثم رجعوا إلى منازلهم ، واستقبل جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة وابن عمر ، وزيد بن ثابت في المحاربة عن عثمان ، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضى الله ما يشاء .

### ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان

لما وقع ما وقع يوم الجمعة ، وشج أمير المؤمنين عثمان ، وهو في رأس المنبر ، وسقط مغشياً عليه ، واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر ، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخطا من الناس ، وأجأوه إلى داره وضيقوا عليه ، وأحاطوا بها محاصرين له ، ولزم كثير من الصحابة بيوتهم ، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة ، عن أمر آبائهم ، منهم الحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير . وكان أمير الدار . وعبد الله ابن عمرو ، وصاروا ، يجاجون عنه ، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم ، وأسلمه بعض الناس

رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا ، فانهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، ولم يقع في خلد أحد أن القتل كان في نفس الخارجين . وانقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلاً في أوائل الأمر ، ثم انقطع بالكلية في آخره ، وكان يصلي بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب . وقد استمر الحصر أكثر من شهر ، وقيل أربعين يوماً ، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً رضى الله عنه ، على ما سنينيه إن شاء الله تعالى . والذي ذكره ابن جرير أن الذي كان يصلي بالناس في هذه المدة وعثمان محصور ، طلحة بن عبيد الله . وفي صحيح البخاري عن <sup>(١)</sup> وروى الواقدي أن علياً صلى أيضاً ، وصلى أبو أيوب ، وصلى بهم سهل بن حنيف ، وكان يجمع بهم على ، وهو الذي صلى بهم بعد ، وقد خاطب الناس في غيوب ذلك بأشياء ، وجرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان .

قال الامام أحمد : حدثنا بهز ثنا أبو عوانة ثنا حصين عن عمرو بن جاوران قال : قال الأحنف انطلقنا حجاجاً فررنا بالمدينة ، فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال : الناس في المسجد ، فانطلقت أنا وصاحبي ، فاذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد ، قال : فتخلاتهم حتى قمت عليهم ، فاذا علي ابن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي ، فقال : ههنا علي ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا الزبير ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا طلحة ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا سعد بن أبي وقاص ؟ قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « من يبتاع مر بد بني فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله (ص) فقلت : إني قد ابتعته ، فقال : « اجعله في مسجدنا وأجره لك » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « من يبتاع بئر رومة » فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله (ص) فقلت إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال : « اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله (ص) نظر في وجوه القوم يوم بيئس المسرة فقال : « من يجهز هؤلاء غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقلاً ؟ قالوا : اللهم نعم ! فقال : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثم انصرف . ورواه النسائي من حديث حصين وعنده إذ جاء رجل وعليه مائة صفراء .

### طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثني القاسم بن الحكم بن أوس (١) بياض بأصل المصرية وفي الرياض النضرة وتاريخ الخميس : وروى عن عبد الله بن سلام أنه قال لما حصر عثمان ولي أبا هريرة على الصلاة .

الأَنْصَارِي حَدَّثَنِي أَبُو عِبَادَةَ الدَّرَقِيُّ الأَنْصَارِيُّ ، مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ .  
 قَالَ : شَهِدْتُ عُمَانَ يَوْمَ حَصْرِ فِي مَوْضِعِ الجَنَازِ ، وَلَوْ أَلْقَى حَجْرًا لَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ ، فَرَأَيْتُ  
 عُمَانَ أَشْرَفَ مِنَ الخَوْخَةِ الَّتِي تَلَى مَقَامَ جَبْرِيلَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! أَيُّكُمْ طَلْحَةُ ؟ فَسَكَتُوا ، ثُمَّ قَالَ :  
 أَيُّهَا النَّاسُ : أَيُّكُمْ طَلْحَةُ ؟ فَسَكَتُوا ، ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ! أَيُّكُمْ طَلْحَةُ ؟ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ ،  
 فَقَالَ لَهُ عُمَانُ : أَلَا أُرَاكَ هُنَا ؟ مَا كُنْتَ أُرَى أَنَّكَ تَكُونُ فِي جَمَاعَةِ قَوْمٍ تَسْمَعُ نَدَايَ إِلَى آخِرِ  
 ثَلَاثِ مَرَاتٍ ، ثُمَّ لَا تَجِيبُنِي ؟ أَنْشِدْكَ اللَّهُ يَا طَلْحَةُ تَذَكَّرَ يَوْمَ كُنْتَ أَنَا وَأَنْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فِي  
 مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : فَقَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ  
 (ص) : « يَا طَلْحَةُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ رَفِيقٌ مِنْ أُمَّتِهِ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ عُمَانُ بْنُ  
 عِفَانَ هَذَا - يَعْنِي - رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ » فَقَالَ طَلْحَةُ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ! ثُمَّ انصرفت ، لَمْ يَخْرُجْهُ .

### طريق أخرى

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ المَقْسِيُّ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيُّ ثَنَا  
 مَلَالُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الجَرِيرِيِّ عَنِ ثَمَامَةَ بْنِ جَزَاءِ القَشِيرِيِّ . قَالَ : شَهِدْتُ الدَّارَ يَوْمَ أُصِيبَ عُمَانُ ، فَاطَّلَعْتُ  
 عَلَيْهِ إِطْلَاعَةً ، فَقَالَ ادْعُوا لِي صَاحِبَيْكُمْ الَّذِينَ أَلْبَاكُمْ عَلَيَّ ، فَدَعِيَا لَهُ ، فَقَالَ : أَنْشِدْكَ اللَّهُ تَعْلَمَانِ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) ، لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ ضَاقَ المَسْجِدَ بِأَهْلِهِ ، فَقَالَ : مَنْ يَشْتَرِي هَذِهِ البَقْعَةَ مِنْ خَالصِ  
 مَالِهِ فَيَكُونُ فِيهَا كالمُسْلِمِينَ ، وَهِيَ خَيْرٌ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ ؟ فَاشْتَرَيْتَهَا مِنْ خَالصِ مَالِي فَجَعَلْتُهَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ  
 وَأَنْتُمْ تَمْنَعُونِي أَنْ أُصَلِّيَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ . ثُمَّ قَالَ : أَنْشِدْكُمْ اللَّهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) . لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ  
 لَمْ يَكُنْ فِيهَا بَثْرٌ يَسْتَعْنَبُ مِنْهُ إِلَّا بَثْرُ رُومَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : « مَنْ يَشْتَرِيهَا مِنْ خَالصِ مَالِهِ  
 فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدَلَاءِ المُسْلِمِينَ ، وَهِيَ خَيْرٌ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ ؟ فَاشْتَرَيْتَهَا مِنْ خَالصِ مَالِي ، وَأَنْتُمْ  
 تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا . ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي صَاحِبُ جَيْشِ العَسْرَةِ ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ! وَقَدْ  
 رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ ، وَعَبَّاسِ الدَّوْرِيِّ وَغَيْرِ وَاحِدٍ ، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ  
 عَنْ زِيَادِ بْنِ أَيُّوبَ كَلَّمَهُمْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ عَنِ بَحْيِيِّ بْنِ أَبِي الحُجَّاجِ المَنْقَرِيِّ عَنِ أَبِي مَسْعُودِ الجَرِيرِيِّ  
 بِهِ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

### طريق أخرى

قَالَ الأِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ ثَنَا القَاسِمُ - يَعْنِي ابْنَ المَفْضَلِ - ثَنَا عَمْرُو بْنُ مَرَّةٍ عَنِ سَالِمِ  
 ابْنِ أَبِي الجَعْدِ . قَالَ : دَعَا عُمَانُ رَجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، فِيهِمْ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ، فَقَالَ :  
 إِنِّي سَأَلْتُكُمْ وَإِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ تَصَدَّقُونِي ، فَشَدَّدْتُمْ اللَّهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) ، كَانَ يُوَثِّرُ قَرِيشًا عَلَى  
 النَّاسِ ، وَيُوَثِّرُ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى سَائِرِ قَرِيشٍ ؟ فَسَكَتَ القَوْمُ . فَقَالَ : لَوْ أَنَّ يَدِي مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ لَأَعْطَيْتُهَا

١٧٩  
 بنى أمية حتى يدخلوا من عند آخرم . فبعث إلى طلحة والزبير فقال عثمان : ألا أحدثكما عنه - يعني  
 عماراً - أقبلت مع رسول الله (ص) . أخذ بيدي يمشي في البطحاء حتى أتى علي أبيه وأمه وهم  
 يندبون « فقال أبو عمار : يا رسول الله ، الدهر هكذا ؟ فقال له النبي (ص) ، اصبر ، ثم قال : « اللهم  
 اغفر لآل ياسر وقد فعلت » تفرد به أحمد ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب .

### طريق أخرى

قال الامام أحمد: حدثنا اسحاق بن سليمان سمعت معاوية بن سلم ان سلمة يذكر عن مطرف عن نافع عن  
 ابن عمر أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور ، فقال : علي م تقتلونني ؟ فاني سمعت رسول الله  
 (ص) يقول : « لا يحل دم امرئ إلا باحدى ثلاث ، رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم ، او قتل  
 عمداً فعليه القتل ، او ارتد بعد إسلامه فعليه القتل » ، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ،  
 ولا قتلت أحداً فأقيد نفسي منه ، ولا ارتدت منذ أسلمت ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
 عبده ورسوله . ورواه النسائي عن أحمد بن الأزهر عن إسحاق بن سليمان به .

### طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا يحيى بن سعيد عن أبي أمامة بن سهل بن  
 حنيف قال : كنت مع عثمان في الدار وهو محصور ، قال : وكنا ندخل مدخلا إذا دخلناه سمعنا كلام  
 من على البلاط ، قال : فدخل عثمان يوماً لحاجته فخرج إلينا منتقماً لونه ، فقال . إنهم ليتواعدوني  
 بالقتل آنفا . قال : قلنا يكفيكم الله يا أمير المؤمنين ، قال : ولم يقتلونني ؟ فاني سمعت رسول الله (ص)  
 يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث ، رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ،  
 او قتل نفساً بغير نفس » فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط ، ولا تمنيت بدلا بديني منذ هداني  
 الله له ، ولا قتلت نفساً ، فبم يقتلونني ؟ . وقد رواه اهل السنن الأربعة من حديث حماد بن زيد عن  
 يحيى بن سعيد حدثني أبو أسامة . زاد النسائي وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالوا : كنا مع عثمان ،  
 فذكره . وقال الترمذي : حسن . وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرغعه .

### طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا قطن ثنا يونس - يعني ابن أبي إسحاق - عن أبيه عن أبي سلمة بن  
 عبد الرحمن . قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله (ص)  
 يوم حراء إذ اهتز الجبل فركاه بقدمه ثم قال : « اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو عديق أو شهيد »  
 وأنا معه ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى  
 المشركين إلى أهل مكة فقال : « هذه يدي وهذه يد عثمان » . ووضع يديه إحداهما على  
 الأخرى فبايع لي فانتشد له رجال . ثم قال :

قال : أنشد بالله من شهد رسول الله قال : من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد بنيت له بيتا في الجنة ، فابتغته من مالي فوسعت به المسجد . فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال : « من ينفق اليوم نفقة متقبلة » ؟ فجهزت نصف الجيش من مالي ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتغتها من مالي فأباحتها ابن السبيل قال : فانتشد له رجال . ورواه النسائي عن عمران بن بكار عن حطاب بن عثمان عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه ر جده أبي إسحاق السبيعي به .

وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضي الله عنه لما رأى ما فعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار ، من محاصرته في داره ، ومنعه الخروج إلى المسجد ، كتب إلى معاوية بالشام ، وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة ، يستنجدهم في بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة ، فبعث معاوية مسلمة بن ابن حبيب ، وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش ، وبعث أهل الكوفة جيشا ، وأهل البصرة جيشا ، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموا في الحصار ، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتل عثمان رضي الله عنه كما سنذكره . وذكر ابن جرير أن عثمان استدعى الأشتر النخعي ووضعت لعثمان ومادة في كوة من داره ، فأشرف على الناس ، فقال له عثمان : يا أشتر ماذا يريدون ؟ فقال : إنهم يريدون منك إما أن تعزل نفسك عن الأمرة ، وإما أن تقتدي من نفسك من قد ضربته ، أو جلده ، أو حبسته ، وإما أن يقتلوك . وفي رواية أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابه عن الأمصار ويولي عليها من يريدونهم ، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم مروان بن الحكم فيعاقبوه كما زور على عثمان كتابه إلى مصر ، فخشي عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه ، فيكون سببا في قتل امرئ مسلم وما فعل من الأمر ما يستحق بسببه القتل ، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا أنه رجل ضعيف البدن كبير السن . وأما ما سأله من خلعه نفسه فانه لا يفعل ولا يتزع قيصا قصه الله بياه ، ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض ويولي السفهاء من الناس من يختاروه ثم فيقع الهرج ويفسد الأمر بسبب ذلك ووقع الأمر كما ظنه فسدت الأمة ووقع الهرج ، وقال لهم فيما قال ، وأي شيء إلى من الأمر إن كنت كلما كرهتم أميرا عزالته ، وكلما رضيتم عنه وليته ؟ وقال لهم فيما قال : والله لئن قتلتموني لا تتحاووا بعدي ، ولا تصلوا جميعا أبدا ، ولا تقاتلوا بعدي عدوا جميعا أبدا ، وقد صدق رضي الله عنه فيما قال .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن أبي قيس حدثني النعمان بن بشير قال : كتب معي عثمان إلى عائشة كتابا فدفعت إليها كتابه فحدثتني أنها سمعت رسول الله (ص) يقول لعثمان : « إن الله لعله يقمصك قيصا . فان أرادك أحد على خلعه فلا تخلعه ، ثلاث مرات » قال النعمان : فقلت يا أم المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ فقالت : يا بني والله أنسيته . وقد رواه الترمذي من حديث الليث عن معاوية بن صالح

عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان عن عائشة به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب . ورواه ابن ماجه من حديث الفرّج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد عن النعمان ، فأسقط عبد الله بن عامر .

قال الامام أحمد ، حدثنا يحيى بن إسماعيل ثنا قيس عن أبي سهلة عن عائشة قالت قال رسول الله (س) : « ادعولي بعض أصحابي ، قلت أبو بكر ؟ قال : لا ، قلت عمر ؟ قال : لا ؟ قلت ابن عمك علي ؟ قال : لا ! قالت قلت عثمان ؟ قال : نعم ! فلما جاء قال : تنحى فجعل يسارده ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار وحصر فيها ، قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال : لا ! إن رسول الله (س) عهد إلى عهداً وإني صابر نفسي عليه » تفرد به أحمد . وقال محمد بن عائذ الدمشقي : حدثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو أنه سمع أبا ثور الفقيمي يقول : قدمت على عثمان فينا أنا عنده فخرجت فاذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان فأعلمته ، قال : فكيف رأيتم ؟ قلت : رأيت في وجوههم الشر ، وعليهم ابن عديس البلوي ، فصعد ابن عديس منبر رسول الله (س) فصلى بهم الجمعة ، وتنقص عثمان في خطبته ، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم ، فقال : كذب والله ابن عديس ، ولولا ما ذكر ما ذكرت ، إني رابع أربعة في الاسلام ، ولقد أنكحني رسول الله (س) ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى ، ولا زنيت ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام ، ولا تعنيت ولا تمنيت منذ أسلمت ، ولا مسست فرجى يميني منذ بايعت بهار رسول الله (س) ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله (س) ، ولا أتت على جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت ، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية . ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن لهيعة ، قال : لقد اختبأت عند ربي عشراً ، فذكرهن .

### فَضْلُكَ

كان الحصار مستمراً من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة ، فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة ، وخلق من مواليه ، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم : أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله ، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفيرة ، وقال لرفيقه : من أغمد سيفه فهو حر . فبرد القتال من داخل ، وحى من خارج ، واشتد الأمر ، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء مواعده ، وشوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليكون خيرا بني آدم حيث

قال حين أراد أخوه قتله : (إني أريد أن تبوء بانبي وإيتمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين ) وروى أن آخر من خرج من عند عثمان من الدار ، بعد أن عزم عليهم في الخروج ، الحسن بن علي وقد خرج ، وكان أمير الحرب علي أهل الدار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم . وروى موسى بن عنبدة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول الله (ص) ، إلا يوم الدار ويوم نجرة الحروري . قال أبو جعفر الداري عن أيوب السخيتاني عن نافع عن ابن عمر : إن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدث الناس ، قال : رأيت النبي (ص) ، في المنام فقال : يا عثمان افطر عندنا « فأصبح صائماً وقتل من يومه ، وقال سيف بن عمر عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن رجل قال دخل عليه كثير بن الصلت فقال : يا أمير المؤمنين اخرج فاجلس بالفناء فيرى الناس وجهك فانك إن فعلت ارتدعوا . فضحك وقال : يا كثير رأيت البارحة وكأني دخلت على نبي الله وعنده أبو بكر وعمر ، فقال : « ارجع فانك مفطر عندي غدا » ثم قال عثمان : ولن تغيب الشمس والله غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة ، قال : فوضع سعد وأبو هريرة السلاح وأقبلوا حتى دخلا على عثمان . وقال موسى بن عنبدة : حدثني أبو علقمة - مولى لعبد الرحمن بن عوف - حدثني ابن الصلت قال : أغفى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال : لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنية لحدثتكم . قال : قلنا أصلحك الله ، حدثنا فلاننا نقول ما يقول الناس ، فقال : إني رأيت رسول الله (ص) في منامي هذا ، « فقال : إنك شاهد معنا الجمعة » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي ، ثنا خلف بن تميم ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلي ، ثنا عبد الملك بن عمير حدثني كثير بن الصلت قال : دخلت على عثمان وهو محصور ، فقال لي : يا كثير ما أراي إلا مقتولا يومى هذا . قال : قلت ينصرك الله على عدوك يا أمير المؤمنين ، قال : ثم أعاد على فقلت وقت لك في هذا اليوم شيء ؟ أو قيل لك شيء ؟ قال : لا ! ولكني سهرت في ليلتي هذه الماضية ، فلما كان وقت السحر أغفيت إغفاءة فرأيت فيما يرى النائم رسول الله (ص) ، وأبا بكر وعمر ، ورسول الله (ص) يقول لي : يا عثمان الحقنا لا نجسنا ، فانا ننتظرك « قال : فقتل من يومه ذلك . وقال (١) ابن أبي الدنيا حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا يزيد بن هارون ، عن فرج بن فضالة عن مروان بن أبي أمية عن عبد الله بن سلام . قال : أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه فقال : مرحباً بأخي ، رأيت رسول الله (ص) ، الليلة في هذه الخوخة - قال : وخوخة في البيت - فقال : « يا عثمان حصروك ؟ قلت : نعم ! قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ! فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إني

(١) كذا بأصل المصرية

لاجد برده بين ثديي وبين كتفي ، وقال لي : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم .

وقال محمد بن سعد : أنا عفان بن مسلم ثنا وهيب ثنا داود عن زياد بن عبد الله عن أم هلال بنت وكيع عن امرأة عثمان - قال : وأحسبها بنت الغرافصة - قالت : أغفى عثمان فلما استيقظ قال : إن القوم يقتلونني ، قلت : كلا يا أمير المؤمنين . قال : إني رأيت رسول الله (ص) ، وأبا بكر وعمر ، فقالوا : افطر عندنا الليلة ، أو إنك مفطر عندنا الليلة . وقال الهيثم بن كليب : حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني ثنا شبابة ثنا يحيى بن أبي راشد مولى عمر بن حريث عن محمد بن عبد الرحمن الجرشي . وعقبة بن أسد عن النعمان بن بشير عن نائلة بنت الغرافصة الكلبية - امرأة عثمان - قالت : لما حصر عثمان ظل اليوم الذي كان فيه قتله صائماً ، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه ، وقالوا : دونك ذلك الركي . وركي في الدار الذي يلتقي فيه النتن - قالت : فلم يفطر فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة - وذلك في السحر - فسألهم الماء العذب ، فأعطوني كوزاً من ماء ، فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال : إني أصبحت صائماً ، قالت : فقلت : ومن اين أكلت؟ ولم اراحداً أتناك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إني رأيت رسول الله (ص) ، اطلع علي من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال : اشرب يا عثمان ، فشربت حتى رويت ، ثم قال : ازددد فشربت حتى نهلت ، ثم قال : أما إن القوم سينكرون عليك ، فان قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا ، قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

وقال أبو يعلى الموصلي وعبد الله بن الامام أحمد : حدثني عثمان بن أبي شيبة ثنا يونس بن أبي يعفور العبدى عن أبيه عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ودعا بسر اويل فشدّها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت رسول الله (ص) في المنام ، وأبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لي : اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه . قلت : إنما لبس السر اويل رضى الله عنه في هذا اليوم لئلا تبدو مهورته إذا قتل فانه كان شديد الحياء ، كانت تستحي منه ملائكة السماء ، كما نطق بذلك النبي (ص) ، ووضع بين يديه المصحف ينلو فيه ، واستسلم لقضاء الله عز وجل ، وكف يده عن القتال ، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه ، ولولا عزيمة عليهم لنصروه من أعدائه ، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً . وقال هشام بن عروة عن أبيه : إن عثمان رضى الله عنه أوصى إلى الزبير . وقال الأصمعي عن العلاء بن الفضل عن أبيه . قال : لما قتل عثمان فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه



فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها : « هذه وصية عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم : عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيى وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى . »

وروى ابن عساکر أن عثمان رضي الله عنه قال يوم دخلوا عليه فقتلوه :

أرى الموت لا يبقى عزيزاً ولم يدع \* لعاذر ملاذاً في البلاد ومرتما

وقال أيضاً :

يُبيِّتُ أهلُ الحصنِ والحصنُ مغلقٌ \* ويأتي الجبال الموتُ في شماريخها العلا

### صفة قتله رضي الله عنه

وقال خليفة بن خياط : حدثنا ابن عليّة ثنا ابن عوف عن الحسن قال أنبأني رباب . قال : بعثني عثمان فدعوت له الأشرق فقال : ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بد ، قال : ما هن ؟ قال : يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فاختاروا من شتم ، وبين أن تقتص من نفسك ، فان أبيت فان القوم قاتلوك . فقال : أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله ، وأما أن أقتص لهم من نفسي ، فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي ، ولا تصلون بعدي جميعاً ، ولا تقاتلون بعدي جميعاً أبداً . قال : وجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ورجع ، وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً ، فأخذ بلحيتته فعال بها حتى سمعت وقع أضراسه ، فقال : ما أغنى عنك معاوية ، وما أغنى عنك ابن عامر ، وما أغنت عنك كتبك ، قال : اسل لحيتي يا ابن أخي ، قال : فأنا رأيتك استعدي رجلاً من القوم بعينه - يعني أشأ إليه - فقام إليه بمشقص فوجى به رأسه . قلت : ثم مه ؟ قال : ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه .

قال سيف بن عمر التيمي رحمه الله عن العيص بن القاسم عن رجل عن خنساء مولاة أسامة بن زيد - وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان - أنها كانت في الدار ودخل محمد بن أبي بكر وأخذ بلحيتته وأهوى بمشاقص معه فبدأ بها في حلقة ، فقال مهلا يا ابن أخي ، فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به ، فتركه وانصرف مستحياً نادماً ، فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلاً حتى غلبوه ، فدخلوا وخرج محمد راجعاً . فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه ، فقطر دمه على المصحف حتى لطخه ، ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الشدى بالسيف ، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه ، وقالت :

يابنت شيبه أيقتل أمير المؤمنين؟ وأخذت السيف ، فقطع الرجل يدها ، وانتهبوا متاع<sup>(١)</sup> [الدار] ومرّ رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال : ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم . قال : والله ما تركوا في داره شيئاً حتى الأقداح إلا ذهبوا به .

وروى الحافظ ابن عساكر أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه ، وليس فيهم أحد من الصحابة ولا أبناءهم ، إلا محمد بن أبي بكر ، وسبقه بعضهم ، فضربوه حتى غشى عليه وصاح النسوة فانزعروا وخرجوا ودخل محمد بن أبي بكر وهو يظن أنه قد قتل ، فلما رآه قد أفاق قال : على أي دين أنت يا نعثل؟ قال : على دين الاسلام ، ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين ، فقال : غيرت كتاب الله ، فقال : كتاب الله بيني وبينكم ، فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال : إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول : [ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً] وشطحه بيده من البيت إلى باب الدار ، وهو يقول : يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي . وجاء رجل من كندة من أهل مصر ، يلقب حماراً ، ويكنى بأبي رومان . وقال قتادة : اسمه رومان ، وقال غيره : كان أزرق أشقر ، وقيل كان اسمه سودان بن رومان [المرادى] . وعن ابن عمر قال : كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبيده السيف صلنا قال ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه ، ثم وضع ذباب السيف في بطنه واتكى عليه ونحامل حتى قتله ، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضى الله عنها ، وروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقه . والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره ، وأنه استحي ورجع حين قال له عثمان : لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها . فتندم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

وروى ابن عساكر عن ابن عوز أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه ، وضربه سودان بن حمران المرادى بعد ما خر لجنبه فقتله ، وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره ، وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منهن فله ، وست لما كان في صدرى عليه .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي ، وإسحاق بن داود الصواف التستري قالا : ثنا محمد بن خالد بن خدّاش ثنا مسلم بن قتيبة ثنا مبارك عن الحسن . قال : « حدثني سياف عثمان أن رجلاً من الأنصار دخل على عثمان فقال : ارجع يا ابن أخي فلست بقاتلي ، قال : وكيف

(١) بياض بأصل المصرية والتصحيح من عقد الجمان للبدر العيني .

علمت ذلك؟ قال: لأنه أتى بك النبي (ص)، يوم سابك فحنكك ودعا لك بالبركة. ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء. ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال: أنت قاتلي. قال: وما يدريك يا نعتل؟ قال: لأنه أتى بك رسول الله (ص)، يوم سابك ليحنكك ويدعوك بالبركة، فخرت على رسول الله (ص)، قال: فوثب على صدره وقبض على لحينه، ووجهه بمشاقص كانت في يده». هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة. وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى (فسيكفيهم الله وهو السميع العليم) [ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضاً حين دخلوا عليه، وليس ببعيد فانه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن.

وروى ابن عساکر أنه لما طمن قال: بسم الله توكلت على الله، فلما قطر الدم قال: سبحان الله العظيم. وقد ذكر ابن جرير في تاريخه بأسانيد أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر، فيه الأمر بقتل بعضهم، وصلب بعضهم، وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان، متأولاً قوله تعالى [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم] وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المفسدين في الأرض، ولا شك أنهم كذلك، لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه، ويزور على خطه وخاتمه، ويبعث غلامه على بعيره، بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين، على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر، بخلاف ذلك كله، ولهذا لما وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه، وظنوا أنه من عثمان، أعظموا ذلك، مع ما هم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤس الصحابة، وأعانهم على ذلك قوم آخرون، حتى ظن بعض الصحابة أن هذا عن أمر عثمان رضي الله عنه، فلما قيل لعثمان رضي الله عنه في أمر هذا الكتاب بمحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين، حلف بالله العظيم، وهو الصادق البار الراشد، أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه، ولا علم به، فقالوا له: فان عليه خاتمك. فقال: إن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا: فانه مع غلامك وعلى جملك. فقال: والله لم أشعر بشيء من ذلك. فقالوا له: بعد كل مقالة - إن كنت قد كتبتة فقد خنت، وإن لم تكن قد كتبتة بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت، ومثلك لا يصلح للخلافة، إما لخياتتك، وإما لعجزك، وهذا الذي قالوا باطل على كل تقدير فانه لو فرض أنه كتب الكتاب، وهو لم يكتبه في نفس الأمر، لا يضره ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة في إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الامام، وأما إذا لم يكن قد علم به فأى

عجز ينسب إليه إذالم يكن قد اطلع عليه وزور على لسانه ؟ وليس هو بمصوم بل الخطأ والغفلة جائزان عليه رضى الله عنه ، وإنما هؤلاء الجهة البغاة متعنتون خونة ، ظلمة مفترون ، ولهذا صموا بعد هذا على حصره والتضييق عليه ، حتى منعه الميرة والماء والخروج إلى المسجد ، وتهددوه بالقتل ، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه ، ومن وقفه بتررومة على المسلمين وهو أول من منع ماءها ، ومن أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا باحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وذكر أنه لم يقتل نفساً ، ولا ارتد بعد إيمانه ، ولا زنى فى جاهلية ولا إسلام ، بل ولا مس فرجه بيمينه بعد أن بايع بهار رسول الله (ص) ، وفى رواية بعد أن كتب بها المفصل . ثم ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر منهم ، فأبوا إلا الاستمرار على ما هم عليه من البغى والعدوان ، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده ، حتى اشتد عليه الحال ، وضاق المجال ، ونفذ ما عنده من الماء ، فاستغاث بالمسلمين فى ذلك فركب على نفسه وحمل معه قرباً من الماء فبالجهد حتى أوصلها إليه بعد ما ناله من حيلة ارتكك كلام غليظ ، وتنفير لدابته ، وإخراق عظيم بليغ ، وكان قد زجرهم أم الزجر ، حتى قال لهم فيما قال : والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعالكم هذا هذا الرجل ، والله إنهم ليأمرون ويأثمون ويسقون ، فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بجمامته فى وسط الدار . وجاءت أم حبيبة راجية بغلة وحولها حشمتها وخدمتها ، فقالوا ، ما جاء بك ؟ فقالت : إن عنده وصايا بنى أمية ، لأيتام وأرامل ، فأحببت أن أذكره بها ، فكذبوها فى ذلك ونالها منهم شدة عظيمة ، وقطعوا حزام البغلة وندت بها ، وكادت أو سقطت عنها ، وكادت تقتل لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بدابتها ، ووقع أمر كبير جداً ، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم فى الخفية ليلاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما وقع هذا أعظمه الناس جداً ، ولزم أكثر الناس بيوتهم ، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة فى هذه السنة إلى الحج ، فقيل لها : إنك لو أقت كان أصلح ، لعل هؤلاء القوم يهابونك ، فقالت : إني أخشى أن أشير عليهم برأى فينالى منهم من الأذية مانال أم حبيبة ، فمزمت على الخروج . واستخلف عثمان رضى الله عنه فى هذه السنة على الحج عبد الله بن عباس ، فقال له عبد الله بن عباس : إن مقامى على بابك أحاجف عنك أفضل من الحج . فعزم عليه ، فخرج بالناس إلى الحج واستمر الحصار بالدار حتى مضت أيام التشريق ورجع اليسير من الحج ، فأخبر بإسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين . وبلغتهم

أيضاً أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة ، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد نفذ آخر مع معاوية بن خديج ، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو في جيش ، وأن أهل البصرة بعثوا بجاشعاني جيشاً ، فعند ذلك صمموا على أمرهم وبالغوا فيه ، وانتهزوا الفرصة بقله الناس وغيبتهم في الحج ، وأحاطوا بالدار ، وجدوا في الحصار ، وأحرقوا الباب ، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار ، كدار عمرو بن حزم وغيرها ، وحاجف الناس عن عثمان أشد المحاجفة ، واقتتلوا على الباب قتالاً شديداً ، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم ، وجعل أبو هريرة يقول : هذا يوم طاب في الضراب فيه . وقتل طائفة من أهل الدار وآخرين من أولئك الفجار ، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة ، وكذلك جرح الحسن بن علي ومروان ابن الحكم فقطع إحدى علباويه فعاش أوقص حتى مات . ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان ، زياد بن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأحنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة ، ويقال إنه انهزم أصحاب عثمان ثم رجعوا . ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فانصرفوا كما تقدم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران وفرغ عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة - فقرأها والناس في غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده ، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال ، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف ، وجعل يتلو هذه الآية [ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ] فكان أول من دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشي عليه ، وجعلت نفسه تتردد في حلقه ، فتركه وهو يظن أنه قد قتله ، ودخل ابن أبي بكر فسك بلحيته ثم ند وخرج ، ثم دخل عليه آخر ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها ، فقيل : إنه أبانها : وقيل : بل قطعها ولم يبنها ، إلا أن عثمان قال : والله إنها أول يد كتبت المفصل ، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية ( فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ) ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمعه منه ، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها . ثم إنه تقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه ، رضى الله عن عثمان . وفي رواية أن العافقي بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بمحديدة في فيه ، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله فاستدار المصحف ثم استقر بين يدي عثمان رضى الله عنه . وسالت عليه الدماء ، ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فما نعمته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال : إنها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله ، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله ، فضرب الغلام رجل يقال له قرة فقتله .

وذكر ابن جرير أنهم أرادوا حزر رأسه بعد قتله ، فصاح النساء وضربن وجوههن ، فبين أمراته

نائلة وأم البنين ، وبناته ، فقال ابن عديس : اتركوه ، قركوه . ثم مال هؤلاء الفجرة على مافي البيت قهبوه ، وذلك أنه نادى مناد منهم : أيجل لنا دمه ولايجل لنا ماله ، فانهبوه ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وفيلين معه ، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قرة فقتله ، وحملوا لايمرون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبي ، ملاءة نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وقتل الغلام أيضا ، ثم تنادى القوم : أن أدركوا بيت المال لا تستبقوا إليه ، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا : يا قوم النجا النجا ، فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من أن قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا انهم انما قاموا لاجله وكذبوا انما قصدهم الدنيا ، فانهمزوا وجاء الخوارج فاخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدا .

### فَضْرِبَةُ النَّائِلَةِ

ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط في أيدي الناس ، فأعظموه جدا ، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج بما صنعوا ، وأشبهوا من تقدمهم ممن قص الله علينا خبرهم في كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل . في قوله تعالى [ ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ]

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان - وكان قد خرج من المدينة - قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه تدموا فقال : تبا لهم ، ثم تلا قوله تعالى [ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ] وبلغ عليا قتله فترحم عليه . وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى [ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ] ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه ، وتلا في حق الذين قتلوه [ فل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ] ثم قال سعد : اللهم ائدمهم ثم خذهم . وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولا . رواه ابن جرير .

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه ( منها ) دعوة سمد المستجابة كما ثبت في الحديث الصحيح . وقال بعضهم : ما مات أحد منهم حتى جن . وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال : الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي . وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول : خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل ، حتى إذا كنا بالمرج سمعنا رجلا يفتي تحت الليل :

ببب

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة \* قتل التجيبي الذي جاء من مصر  
ولما رجع الحج وجدوا عثمان رضي الله عنه قد قتل ، وبايع الناس على بن أبي طالب رضي الله  
عنه . ولما بلغ أمهات المؤمنين في أثناء الطريق أن عثمان قد قتل ، رجعن إلى مكة فأقمن بها نحواً من  
أربعة أشهر كما سيأتي

### قضية عثمان

كانت مدة حصار عثمان رضي الله عنه في داره أربعين يوماً على المشهور ، وقيل كانت بضعا وأربعين  
يوماً . وقال الشعبي : كانت ثنتين وعشرين ليلة . ثم كان قتله رضي الله عنه في يوم الجمعة بلا خلاف .  
قال سيف بن عمر عن مشايخه : في آخر ساعة منها ، ونص عليه مصعب بن الزبير وآخرون .  
وقال آخرون ضحوة نهارها ، وهذا أشبه ، وكان ذلك لثمانى عشر ليلة خلت من ذى الحجة على  
المشهور ، وقيل في أيام التشريق ، رواه ابن جرير : حدثني أحمد بن زهير ثنا أبو خيثمة ثنا وهب بن  
جرير سمعت يونس عن يزيد عن الزهري . قال : قتل عثمان فرغم بعض الناس أنه قتل في أيام  
التشريق ، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثلاث خلت من ذى الحجة . وقيل قتل يوم النحر ، حكاه  
ابن عساكر ويستشهد له بقول الشاعر :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به \* يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

قال : والأول هو الأشهر ، وقيل إنه قتل يوم الجمعة لثمانى عشرة حلت من ذى الحجة سنة  
خمس وثلاثين على الصحيح المشهور ، وقيل سنة ست وثلاثين ، قال مصعب بن الزبير وطائفة : وهو  
غريب . فكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة  
أربع وعشرين . فأما عمره رضي الله عنه فإنه حاوز ثنتين وثمانين سنة ، وقال صالح بن كيسان : توفي  
عن ثنتين وثمانين سنة وأشهر ، وقيل : أربع وثمانون سنة ، وقال قتادة : توفي عن ثمان وثمانين أو  
تسعين سنة . وفي رواية عنه توفي عن ست وثمانين سنة . وعن هشام بن الكلبي : توفي عن خمس  
وسبعين سنة ، وهذا غريب جداً ، وأغرب منه ما رواه سيف بن عمر عن مشايخه ، وهم محمد وطلحة  
وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا : قتل عثمان رضي الله عنه عن ثلاث وستين سنة .

وأما موضع قبره فلا خلاف أنه دفن بحش كوكب - شرق البقيع - وقد بنى عليه زمان بنى  
أمية قبة عظيمة وهي باقية إلى اليوم . قال الامام مالك رضي الله عنه : بلغني أن عثمان رضي الله عنه  
كان يمر بمكان قبره من حش كوكب فيقول : إنه سيدفن ههنا رجل صالح .  
وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضي الله عنه بقي بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن . قلت : وكأنه

اشتغل الناس عنه بمبايعة علي رضي الله عنه حتى تمت ، وقيل إنه مكث ليلتين ، وقيل بل دفن من ليلته ، ثم كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفة من الخوارج ، وقيل بل استؤذن في ذلك بعض رؤسائهم . فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة ، فيهم حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو الجهم بن حذيفة ، ونيار بن مكرم الأسلى ، وجبير بن مطعم ، وزيد بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وطلحة والزبير ، وعلي بن أبي طالب وجماعة من أصحابه ونسائه ، منهن امرأته نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين ، وصبيان . - وهذا مجموع من كلام الواقدي وسيف بن عمر التميمي - وجماعة من خدمه حملوه على باب بعد ما غسلوه وكفنوه . وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن ، والصحيح الأول . وصلى عليه جبير بن مطعم ، وقيل الزبير بن العوام ، وقيل حكيم بن حزام ، وقيل مروان ابن الحكم . وقيل المسور بن مخرمة وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجحه ، وإلقاءه عن سريره ، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع ، حتى بعث علي رضي الله عنه إليهم من نهام عن ذلك وحمل جنازته حكيم بن حزام ، وقيل مروان بن الحكم ، وقيل المسور بن مخرمة ، وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم ، وجبير بن مطعم ، وذكر الواقدي أنه لما وضع ليصلى عليه - عند مصلى الجنائز - أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك ، فقال أبو جهم بن حذيفة : ادفنوه فقد صلى الله عليه وملائكته ثم قالوا : لا يدفن في البقيع ولكن ادفنوه وراء الحائط ، فدفنوه شرق البقيع تحت نخلات هناك .

وذكر الواقدي أن عمير بن ضابي نزا على سريره وهو موضوع للصلاة عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : أحببت ضايا حتى مات في السجن . وقد قتل الحجاج فيها بعد عمير بن ضابي هذا وقال البخاري في التاريخ : حدثنا موسى بن إسماعيل عن عيسى بن منهال ثنا غالب عن محمد بن سيرين قال : كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول : اللهم اغفر لي ، وما أظن أن تغفر لي ، فقلت : يا عبد الله ما سمعت أحداً يقول ما تقول ، قال : كنت أعطيت الله عهداً إن قدرت أن أطم وجه عثمان إلا لطمته ، فلما قتل وضع علي سريره في البيت والناس يجيئون يصلون عليه ، فدخلت كأتى أصلي عليه ، فوجدت خلوة فرقت الثوب عن وجهي ولحيتي ولطمته وقد يبست يميني . قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنها عود . ثم أخرجوا بعبدى عثمان اللذين قتلا في الدار ، وهما صبيح ونجيح ، رضي الله عنهما ، فدفنا إلى جانبه بمش كوكب ، وقيل إن الخوارج لم يمكنوا من دفنهما ، بل جروهما بأرجلها حتى ألقوهما بالبلاط فأكلتهما الكلاب ، وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصلت بمقابر المسلمين .



### ذكر صفته رضي الله عنه

كان رضي الله عنه حسن الوجه دقيق البشرة ، كبير اللحية ، معتدل القامة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، حسن الثغر ، فيه سمرة ، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجمل ، وعن الزهري : كان حسن الوجه والثغر ، مربوعاً ، أصلع ، أزوح الرجلين .

يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب وقد كسى ذراعيه الشعر .

وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة عن سعيد بن أبي زيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة . قال : كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ، ثلاثون ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، ومائة ألف دينار ، فأنهبت وذهبت ، وترك ألف بعير بالريفة ، وترك صدقات كان تضيق بها ، بئر أريس ، وخيبر ، ووادي القرى ، فيه مائتا ألف دينار . [ وبئر رومة كان اشتراها في حياة النبي صلى الله عليه

وسلم وسبها ] (١)

فضائل

قال الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن الدجال . وروى الحافظ بن عساكر من طريق شيبان عن حفص بن مروق الباهلي : عن حجاج بن أبي عمار الصواف عن زيد بن وهب عن حذيفة . قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه ، آمن به في قبره . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره : أنا محمد بن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلابي ثنا أبو الأشهب حدثني عوف عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان قال : اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً . فليس لي فيه نصيب ، وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء ، والله لئن كان قتله خيراً ليحلبنه لبناً ، وإن كان قتله شراً ليمتص به دماً . وقد ذكره البخاري في صحيحه .

### طريق أخرى عنه

قال محمد بن عائذ : ذكر محمد بن حمزة حدثني أبو عبد الله الحراني أن حذيفة بن اليمان في عرضه الذي هلك فيه كان عنده رجل من إخوانه وهو يناجي امرأته ففتيح عينيه فسألها قتلاً خيراً ، فقال : شيئاً تسرانه دوني . باهو بخير ، قال : قتل الرجل - يعني عثمان - قال فاسترجع ثم قال : اللهم إني كنت من هذا الأمر بمنزل ، فإن كان خيراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء ، وإن كان شراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء ، اليوم تغيرت القلوب يا عثمان ، الحمد لله الذي سبق بي الفتن ، قادتها وعلوجها الخلق ، من تردى بغيره فشيح شحماً وقبل عمله . وقال الحسن بن عرفة : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن

(١) زيادة من عقد الجمان منسوبة لابن كثير .

عليه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي موسى الأشعري . قال لو كان قتل عثمان هدى  
لاحتلبت به الأمة لبناء ، ولكنه كان ضللاً فاحتلبت به الأمة دماً ، وهذا منقطع . وقال محمد بن  
سعد : أنا حازم بن الفضل أنا الصعق بن حزن ثنا قتادة عن زهدم الجرمي . قال : خطب ابن  
عباس فقال : لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . وقد روى من غير هذا الوجه  
عنه . وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد عن أبي جعفر الأنصاري . قال : لما قتل عثمان جئت  
علياً وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء فقلت له : قتل عثمان ، فقال : تبا لهم آخر الدهر . وفي  
رواية بخيبة لهم . وقال أبو القاسم البغوي : أنبأنا علي بن الجعد أنا شريك عن عبد الله بن عيسى  
عن ابن أبي ليلى . قال : سمعت علياً وهو بيناب المسجد أو عند أحجار الزيت رافعاً صوته يقول : اللهم  
إني أبرأ إليك من دم عثمان . وقال أبو هلال عن قتادة عن الحسن . قال : قتل عثمان وعلى غائب في  
أرض له ، فلما بلغه قال : اللهم إني لم أرض ولم أمالي . وروى الربيع بن بدر عن سيار بن سلامة  
عن أبي العالية : أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكي حتى ظنوا أنه سيلحق به . وقال  
الثوري وغيره عن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال : قال علي يوم قتل عثمان : والله ما قتلت ولا أمرت  
ولكني غلبت . ورواه غير ليث عن طاووس عن ابن عباس عن علي نحوه . وقال حبيب بن أبي  
العالية عن مجاهد عن ابن عباس . قال : قال علي إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله  
ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ، ولقد بينهم فعضوني ، وقد روى من غير وجه عن علي بنحوه .  
وقال محمد بن يونس الكندي : ثنا هارون بن إسماعيل ثنا قرة بن خالد عن الحسن بن قيس بن  
عباد . قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم  
قتل عثمان ، وأنكرت نفسي ، وجاءوني للبيعة فقلت : والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً  
قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله (س) : « إني لأستحي ممن تستحي منه الملائكة » وإني لأستحي من  
الله أن أبايع وعثمان قتيل في الأرض لم يدفن بعد ، فأنصرفوا ، فلما دفن الناس يسألوني البيعة  
فقلت : اللهم إني أشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعت . فلما قالوا : أمير المؤمنين كان صدع  
قلبي وأسكت نفرة من ذلك ، وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه  
تبرأ من دم عثمان ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالا ولا أرضي  
به ، ولقد نبه عنه فلم يسمعوا منه . ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث  
والله الحمد والمنة . وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال  
الله تعالى فيهم [ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً على سرر متقابلين ] وثبت عنه أيضاً من غير  
وجه أنه قال : [ كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ] وفي رواية

أنه قال : كان عثمان رضى الله عنه خيرنا وأوصلنا للرحم ، وأشدنا حياء ، وأحسننا طهوراً ، وأتقانا للرب عز وجل . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مجالد عن عمير ابن رودي ( كذا ) أبي كثير . قال : خطب على فقطع الخوارج عليه خطبته فقتل فقال : إن منلى ومثل عثمان كمثل أنوار ثلاثة ، أحمر وأبيض وأسود ، ومعهم في أجمة أسد ، فكان كلما أراد قتل أحدهم منعه الآخران ، فقال للأسود والأحمر : إن هذا الأبيض قد فضحنا في هذه الأجمة فغلبنا عنه حتى آكله ، فغلبنا عنه فآكله ، ثم كان كلما أراد أحدهما منعه الآخر فقال للأحمر : إن هذا الأسود قد فضحنا في هذه الأجمة ، وإن لوني على لونك فلو خليت عنه آكاته فغلبني عنه الأحمر فآكله ، ثم قال للأحمر : إني آكلك ، فقال : دعني حتى أصبح ثلاث صيحات ، فقال دونك ، فقال : ألا إني إنما أكلت يوم أكل الأبيض ثلاثاً فلو إني نصرته لما أكلت ثم قال علي : وإنما أنا وهنت يوم قتل عثمان ، ولو إني نصرته لما وهنت قالها ثلاثاً . وروى ابن عساکر من طريق محمد بن هارون الحضرمي عن سويد بن عبد الله القشيري القاضي عن ابن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب . قال : كانت المرأة تبيح في زمان عثمان إلى بيت المال فتحمل وقرها وتقول : اللهم بدل ، اللهم غير . فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان رضى الله عنه .

قلتمُ بدلٌ فقد بَدَلْكمُ \* سنّة حرّى وحرّياً كاللهبِ

مانقمتُم من ثيابِ خلفه \* وعبيدٍ وإماءٍ وذهب

قال : وقال أبو حميد أخو بني ساعدة - وكان ممن شهد بدرآ ، وكان ممن جانب عثمان - فلما قتل قال : والله ما أردنا قتله ، ولا كنا نرى أن يبلغ منه القتل ، اللهم إن لك على أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك ، وقال محمد بن سعد أنا عبد الله بن إدريس أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . قال : لقد رأيتني وأن عمر موثق وأخته على الاسلام ، ولو ارفض أحد فيما صنعتم بآبن عفان لكان حقيقاً . وهكذا رواه البخارى في صحيحه . وروى محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عباس عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير . قال : سمع عبد الله بن سلام رجلاً يقول لا آخر : قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عتران . فقال ابن سلام أجل ! إن البقر والمعر لا تنتطح في قتل الخليفة ، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح ، والله لنقتلن به أقوام إنهم لفي أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد . وقال ليث عن طاووس . قال : قال ابن سلام : يحكم عثمان يوم القيامة في القاتل والخاذل . وقال أبو عبد الله المحاملى : ثنا أبو الأشعث ثنا حزم بن أبي حزم سمعت أبا الأسود يقول سمعت أبا بكره يقول : لأن آخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أشرك في قتل عثمان . وقال أبو يعلى : ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ثنا محمد بن عباد الهباني ثنا البراء

ابن أبي فضال ثنا الحضرمي عن أبي مریم رضیع الجارود . قال : كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيباً فقال : أيها الناس ! رأيت البارحة في منامي عجبا ، رأيت الرب تبارك وتعالى فوق عرشه فجاء رسول الله (س) ، حتى قام عند قائمة من قوائم العرش ، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكب النبي (س) ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر ، ثم جاء عثمان فكان بيده - يعني رأسه - فقال : رب سل عبادك فيم قتلوني ؟ فانبعث من السماء ميزابان من دم في الأرض ، قال فقيل لعلي ألا ترى ما يحدث به الحسن ؟ ! فقال : حدث بما رأى . ورواه أبو يعلى أيضا عن سفیان بن وكيع عن جميع بن عمير عن عبد الرحمن بن مجالد عن حرب العجلي : سمعت الحسن بن علي يقول : ما كنت لأقاتل بعد رؤيا رأيتها ، رأيت العرش ورأيت رسول الله (س) ، متعلق بالعرش ، ورأيت أبا بكر واضعا يده على منكب رسول الله ، وكان عمر واضعا يده على منكب أبي بكر ، ورأيت عثمان واضعا يده على منكب عمر ، ورأيت دما دونهم ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : دم عثمان يطلب الله به . وقال مسلم بن إبراهيم : ثنا سلام بن مسكين عن وهب بن شبيب عن زيد بن صوحان أنه قال : يوم قتل عثمان نفرت القلوب منافرها ، والذي نفسي بيده لا تتألف إلى يوم القيامة ، وقال محمد بن سيرين : قالت عائشة : مصصتموه مص الاناء ثم قتلتموه ؟ وقال خليفة بن خياط ثنا أبو قتيبة ثنا يونس بن أبي إسحاق عن عون بن عبد الله ابن عتبة . قال : قالت عائشة : غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف ، استعجبتموه حتى إذا تركتموه كالعقب المصفي قتلتموه . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن خيشمة عن مسروق . قال : قالت عائشة حين قتل عثمان : تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قتلتموه . وفي رواية : ثم قربتموه ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش ؟ فقال لها مسروق : هذا عملك ، أنت كنت إلى الناس تأمرهم أن يخرجوا إليه ، فقالت : لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على اسنابها . وهذا إسناد صحيح إليها . وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوروا كتبنا على لسان الصحابة إلى الأفاق يجرضونهم على قتال عثمان ، كما قدمنا بيانه والله الحمد والمنة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا حزم القطبي ثنا أبو الأسود بن سوادة أخبرني طلق بن حسان قال : قال قتل عثمان ففرقنا في أصحاب محمد (س) ، نسألهم عن قتله فسمعت عائشة تقول : قتل ظلوماً لعن الله قتلته . وروى محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس . قال : قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان : رحمه الله ، أما إنه لم يجلبوا بعده إلا دما .

وأما كلام أئمة التابعين في هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له ، فمن ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله انكم مثلهم أو أعظم جريماً  
 اما مررتم ببلاد ثمود ؟ قالوا : نعم ! قال : فاشهد

أنكم مثلهم ، تخليفة الله أكرم عليه من ناقته . وقال ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن .  
قال : لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دماً .  
وقال أبو جعفر الباقر : كان قتل عثمان على غير وجه الحق .

وهذا ذكر بعض ما رثي به رضي الله عنه

قال مجالد عن الشعبي : ما سمعت من مرآة عثمان أحسن من قول كعب بن مالك :

فكف يديه ثم أغلق بابه \* وأيقن أن الله ليس بغافل  
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم \* عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل  
فكيف رأيت الله صب عليهم \* العداوة والبغضاء بعد التواصل  
وكيف رأيت الخير أدبر بعمه \* عن الناس إديار النعام الجوافل

وفد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى أبي المغيرة الأحنس بن شريق . وقال سيف بن

عمر : وقال حسان بن ثابت :

ماذا أردتم من أخي الدين باركت \* يدُ الله في ذاك الأديم المقدر  
قتلتم ولي الله في جوف داره \* وجتم بأمر جارٍ غير مهتد  
فهل رعيتم ذمة الله بينكم \* وأوفيتهم بالمهد عهد محمد  
الم يك فيكم ذا بلاء ومصق \* وأوفاكم عهداً لدى كل مشهد  
فلا ظفرت أيمان قوم تبايعوا \* على قتل عثمان الرشيد المسد

وقال ابن جرير : وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

من سره الموت صرفاً لا مزاج له \* فليات مأسدة في دار عثمانا  
مستحقي حلق الماذى قد سفت \* فوق الخاطم بيض زان أبدانا  
ضحوا بأشخط عنوان السجود به \* يقطع اللير تسبيحاً وقرآنا  
صبراً فدى لكم أمي وما ولدت \* قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً  
قد رضينا بأرض الشام نافرة \* وبالأمير وبالأخوان إخواناً  
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا \* ما دمت حياً وما سميت حساناً  
لتسمن وشيكاً في ديارهم \* الله أكبر ياتارات عثماناً  
ياليت شعري وليت الطير تخبرني \* ما كانت شأن علي وابن عفاناً

[ وهو القائل أيضاً

إن تمس دار ابن أروى منه خاوية \* باب صريع وباب محرق خرب  
 قد يصادف باغى المرف حاجته \* فيها ويأوى إليها المجد والحسب  
 يامعشر الناس ابدوا ذات أنفسكم \* لا يستوى الصدق عند الله والكذب

وقال الفرزدق

إن الخلافة لما أظمنت ظمنت \* عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا  
 صارت إلى أهلها منهم ووارثها \* لما رأى الله في عثمان ما انتهكوا  
 السافكي دمه ظلماً ومعصية \* أي دم لا هدوا من غيرهم سفكوا (١)

وقال راعي الابل النميري في ذلك :

عشية يدخلون بغير إذن \* على متوكل أوفى وطابا  
 خليل محمد ووزير صدق \* ورابع خير من وطى الترابا

فصل في بيان

إن قال قائل كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم؟ فجوابه من وجوه (أحدها) أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله ، فان أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، أو يقتلوه ، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة . وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ، ولا أن هؤلاء يجترئون عليه إلى ما هذا حده ، حتى وقع ما وقع والله أعلم . - الثاني - أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ، ولكن لما وقع التضييق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا ، فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالنكيلة - الثالث - أن هؤلاء الخوارج لما اغتصموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة ، بل لما اقترب مجيئهم ، انتهزوا فرصتهم ، قبضهم الله ، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم - الرابع - أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة ، لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتج ، والخوارج محذقون بدار عثمان رضي الله عنه ، ورعا

(١) زيادة من تاريخ البدر العيني نقلها في سياق عبارة ابن كثير.

لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار بمجانفون  
 عن عثمان رضى الله عنه ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار انصرته ، فما فجى الناس إلا وقد ظفر أولئك  
 بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها ، وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما ما يذكره بعض الناس من أن  
 بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله ، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان رضى الله  
 عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته ، وسب من فعله ، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر ،  
 كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبى بكر ، وعمر بن الخطاب وغيرهم .

وقد ذكر ابن عساکر في ترجمة سهم بن خنيس أوخنيش أوخنش الأزدي - وكان قد شهد الدار - ورواه  
 محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عنه وكان قد استعاد عمر بن عبد العزيز  
 إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه أن وفد السبائية وفد مصر كانوا قد قدموا على  
 عثمان فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا راجعين ثم كروا إلى المدينة فوافقوا عثمان قد خرج لصلاة الغداة أو  
 الظهر فحصبوه بالحصى والتعل والخفاف فانصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبيد الله  
 وطلحة ومروان والمغيرة بن الأحنس في ناس ، وطاف وفد مصر بداره ، فاستشار الناس فقال عبد الله  
 ابن الزبير : يا أمير المؤمنين إني أشير بأحدى ثلاث خصال إما أن تحرم بعمره فيحرم عليهم دماؤنا  
 وإما أن تترك معك إلى معاوية بالشام ، وإما أن تخرج فتضرب بالسيف إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم  
 فإنا على الحق وهم على الباطل . فقال عثمان : أما ما ذكرت من الاحياء بعمره فتحرم دماؤنا فانهم  
 يرونا ضاللا الآن وحال الأحرام وبعد الأحرام ، و . . . الذهاب إلى الشام فإني استحي أن أخرج من  
 بينهم خائفا فيراني أهل الشام وتسمع الأعداء من الكفار ذلك . وأما القتال فإني أرجو أن ألقى الله  
 وليس يهراق بسببي محجمة دم . قال : ثم صلينا معه صلاة الصبح ذات يوم فله أفرغ أقبل على الناس  
 فقال : إني رأيت أبا بكر وعمر أتياي الليلة فقالا لي : صم يا عثمان فانك تظفر عندنا ، وإني أشهدكم  
 أني قد أصبحت صائما وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالما  
 مسلوما منه . قلنا : يا أمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمن منهم علينا فأذن لنا أن نكون معه في بيت من  
 الدار تكون لنا فيه جماعة ومنعة ، ثم أمر ببياب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكب عليه وعندئذ امر أتاد  
 بنت الفرافصة وابنة شيبة فكان أول من دخل عليه محمد بن أبى بكر فأخذ بلحيته فقال : دعها  
 يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يتلف لها بأدنى من هذا ، فاستحي فخرج فقال للقوم : قد أشعرتكم لكم  
 وأخذ عثمان ما امتنع من لحيته فأعطاه إحدى امرأتيه ثم دخل رومان بن سودان رجل أزرق  
 فصير محدد عداده من مراد معه حرف من حديد فاستقبله فقال : على أي ملة أنت يا فتى ؟ فقال  
 عثمان : لست بنعتل ولكني عثمان بن عفان ، وأنا على ملة إبراهيم خنيفا مسلما وما أنا من المشركين  
 فقال : كذبت ، وضربه بالحرف على صدغه الأيسر فقتله فخر فأدخلته فائلة بينها وبين ثيابها -  
 وكانت جسيمة ضليعة - فألقت نفسها عليه وألقت بنت شيبة نفسها على ما بقى من جسده ودخل رجل من  
 أهل مصر بالسيف مصلنا قال : والله لأقطعن أنفه فمالج المرأة عنه فقلبت فكشف عنها درعها من

خلفها حتى نظر إلى منها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فقبضت على السيف  
 قطعت أناملها، فقالت: يارباح، لغلام عثمان أسود يا غلام ادفع عني هذا الرجل، فمشى إليه الغلام فضربه  
 قتلته وخرج أهل البيت يقاتلون عن أنفسهم فقتل المغيرة بن الأخنس وجرح مروان قال: فلما  
 أمسينا قلنا: إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فاحتملناه إلى بقيع الفرقد في جوف الليل وغشينا  
 سواد من خلفنا فهبنام وكدنا أن تتفرق عنه فنأدى مناديتهم: أن لا روع عليكم البشوا إنما جئنا  
 لنشهد معكم - وكان أبو حبيش يقول: هم ملائكة الله - فدفناه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا فلقينا  
 الجيش بوادي القرى عليه حبيب بن مسلمة قد أتوا في نصرة عثمان فأخبرناهم بقتله ودفنه .  
 قال أبو عمر بن عبد البر: دفنوا عثمان رضي الله عنه بمش كوكب - وكان قد اشتراه وزاده  
 في البقيع - ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان: هو أمير البررة، وقتيل الفجرة،  
 مخدول من خنله، منصور من نصره .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان وفضائله - بعد حكايته هذا الكلام: الذين  
 قتلوه أو ألوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته، والذين خذلوه خذلوا وتنقص عيشتهم، وكان الملك بعده  
 في نائبه معاوية وبنيه، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته، استطالوا حياته وملوه مع فضله وسوابقه،  
 فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعا وثمانين سنة، فالحكم لله العلي الكبير. وهذا لفظه بجزء منه

### بعض الأحاديث الواردة في فضائل عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن  
 مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس  
 ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أبو عمرو وأبو عبد الله، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين،  
 ذو النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابتين. وأمه أروى بنت كريب بن ربيعة بن عبد  
 شمس. وأما أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله (ص)، وهو أحد العشرة  
 المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من السنة،  
 ثم تعينت فيه باجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والآئمة  
 المهديين، المأمور باتباعهم والافتداء بهم.

أسلم عثمان رضي الله عنه قديما على يدي أبي بكر الصديق، وكان سبب إسلامه عجيبا فيما ذكره  
 الحافظ ابن عساکر، وملخص ذلك أنه لما بلغه أن رسول الله (ص) زوج ابنته رقية - وكانت ذات  
 جمال - من ابن عمها عتبة بن أبي لهب، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها، فدخل على أهله مهموما  
 فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريب - وكانت كاهنة - فقالت له: أبشروحيث تلاقا تورا، ثم تلا



وثلاثا أخرى ، ثم بأخرى كى تم عشرا ، أنك خير ووقيت شرأ ، أنكحت والله حصانا زهرا ، وأنت بكر ولقيت بكرا ، وافيتها بنت عظيم قدرا ، بنيت أمرا قد أشاد ذكرا \* قال عثمان : فعجبت من أمرها حيث تبشرني بالمرأة قد تزوجت بغيري : فقلت : ياخاله ! ما تقولين ؟ فقالت : عثمان لك الجمال ، ولك اللسان ، هذا النبي معه البرهان . أرسله بحقه الديان . وجاءه التنزيل والفرقان ، فاتبعه لا تغتالك الأوثان . قال : فقلت إنك لتذكرين أمرا ما وقع ببلدنا . فقالت : محمد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : مصباحه مصباح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ، ما ينفع الصياح ، لو وقع الذباح ، وسلت الصفاح ومدت الرماح . قال عثمان : فانطلقت مفكرا فلقيني أبو بكر فأخبرته ، فقال : ويحك يا عثمان إنك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا ؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ قال : قلت بلى ! والله إنها لكذلك ، فقال : والله لقد صدقت خالتك ، هذا رسول الله محمد بن عبد الله ، قد بعثه الله إلى خلقه برسالته ، هل لك أن تأتيه ؟ فاجتمعنا برسول الله فقال : يا عثمان أجب الله إلى حقه ، فاني رسول الله إليك وإلى خلقه قال : فوالله ما تمالك نفسي منذ سمعت رسول الله (س) أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله (س) ، فكان يقال :

أحسن زوج رآه إنسان \* رقية وزوجها عثمان

فقال في ذلك سعدى بنت كرز :

هدى الله عثمانا بقولي إلى الهدى \* وأرشده والله يهدي إلى الحق  
فتابع بالرأي السيد محمدا \* وكان برأي لا يصد عن الصدق  
وأنكحه المبعوث بالحق بنته \* فكانا كبدرا مزج الشمس في الأفق  
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي \* وأنت أمين الله أرسلت للخلق

قال : ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مظعون ، وبأبي عبيد . وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ثمانية وثلاثون رجلا . وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله (س) ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمر يرض ابنة رسول الله (س) ، وأقام بسببها في المدينة ، وضرب له رسول الله (س) بسهمه منها وأجره فيها ، فهو معدود فيمن شهدها . فلما توفيت زوجته رسول الله (س) ، بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضا في صحبته ، وقال رسول الله (س) : « لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان » وشهد أحدا وفر يومئذ فيمن تولى ، وقد نص الله على العفو عنهم ، وشهد

الخلق والحديبية ، وبايع عنه رسول الله (ص) ، يومئذ باحدى يديه ، وشهد خبير وعمرة القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك ، وجيز جيش العسرة . وتقدم عن عبدالرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها ، وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبها في حجر رسول الله (ص) ، فقال (ص) : ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين . وحج مع رسول الله (ص) ، حجة الوداع ، وتوفي وهو عنه راض ، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته ، وتوفي وهو عنه راض ، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض . ونص عليه في أهل الشورى الستة ، فكان خيرهم كما سيأتي .

فولى الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأقطار ، وتوسعت المملكة الاممية ، وامتدت الدولة المحمدية ، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى : [ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ] وقوله تعالى : [ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ] وقوله (ص) : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزها في سبيل الله » وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان رضي الله عنه .

وقد كان رضي الله عنه حسن الشكل ، مليح الوجه ، كريم الأخلاق ، ذا حياء كثير ، وكرم غزير ، يؤثر أهله وأقاربه في الله ، تأليفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفاني ، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى ، كما كان النبي (ص) ، يعطى أقواماً ويدع آخرين ، يعطى أقواماً خشية أن يكبهم الله على وجوههم في النار ، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والايمان ، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام ، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله (ص) ، في الايثار . وقد قدمنا ذلك في غزوة حنين حيث قسم غنائمها \* وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله وبه الثقة ، وهي قسمان - الأول - فيما ورد في فضائله مع غيره .

فمن ذلك الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه : حدثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم قال : « صعد النبي (ص) ، أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف فقال : اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » تفرد به دون مسلم . وقال الترمذي : ثنا قتيبة ثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) ، « كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير ،

فتحركت الصخرة ، فقال النبي (س) : اهدني فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد . ثم قال في الباب : عن عثمان بن سعيد بن زيد وابن عباس ، وسهيل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وبريدة الأسلمي ، وهذا حديث صحيح . قلت : ورواه أبو الدرداء ، ورواه الترمذي عن عثمان في خطبته يوم الدار ، وقال : على ثبير .

### حديث آخر

وهو عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله (س) في حائط ، فأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجل يستأذن فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر ، فقال رسول الله (س) : ائذن له وبشره بالجنة . ثم جاء عمر فقال ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فدخل وهو يقول : اللهم صبراً وفي رواية - الله المستعان « رواه عنه قتادة وأيوب السخيتاني . وقال البخاري : وقال حماد بن زيد : حدثنا عاصم الأحول وعلي بن الحكم سمعا أبا عثمان يحدث عن أبي موسى الأشعري بنحوه ، وزاد عاصم أن رسول الله (س) كان قاعداً في مكان قد انكشف عن ركبتيه ، أو ركبته ، فلما دخل عثمان غطاها . وهو في الصحيحين أيضاً من حديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى ، وفيه « أن أبا بكر وعمر دليا أرجلهما مع رسول الله في باب القف وهو في البئر ، وجاء عثمان فلم يجد له موضعاً » قال سعيد : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن مروان ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة . قال : قال نافع بن الحارث : « خرجت مع رسول الله (س) ، حتى دخل حائطاً فقال : امسك علي الباب ، فجاء حتى جلس على القف ودلى رجله ، ف ضرب الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر ، قال : ائذن له وبشره بالجنة ، فدخل فجلس مع رسول الله (س) على القف ودلى رجله في البئر ، ثم ضرب الباب : فقال : عثمان ، قلت : من هذا ؟ قال : عمر ، قلت : يا رسول الله هذا عمر ، قال : ائذن له وبشره بالجنة ، ففعلت ، فجاء فجلس مع رسول الله على القف ودلى رجله في البئر ، ثم ضرب الباب فقلت : من هذا ؟ قال : عثمان ، قلت : يا رسول الله هذا عثمان ، قال : ائذن له وبشره بالجنة معها بلاء ، فأذنت له وبشرته بالجنة ، فجلس مع رسول الله (س) على القف ودلى رجله في البئر « هكذا وقع في هذه الرواية ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي سلمة ، فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا موكلين بالباب ، أو أنها قصة أخرى .

وقد رواه الامام أحمد عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث « أن رسول الله (س) دخل حائطاً فجلس على قف البئر ، فجاء أبو بكر

فاستأذن فقال لأبي موسى : ائذن له وبشره بالجنة . ثم جاء عمر فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وبشره بالجنة وسيلقى بلاء ، وهذا السياق أشبه من الأول ، على أنه قد رواه النسائي من حديث صالح بن كيسان عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن نافع بن عبد الخارث عن أبي موسى الأشعري قاله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد أنا همام عن قتادة عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد عن عبد الله بن عمرو قال : « كنت مع رسول الله (س) ، فجاء أبو بكر فاستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عمر فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فاستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة . قال : قلت فأين أنا ؟ قال : أنت مع أبيك » تفرد به أحمد . وقد رواه البزار وأبو يعلی من حديث أنس بن مالك بنحو ما تقدم .

### حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا ليث حدثني عقيص عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي (س) ، وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على النبي (س) وهو مضطجع على فراشه لا لبس مرط عائشة ، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، فاستأذن عمر فؤذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال : اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! مالي لا أراك فرزعت لأبي بكر وعمر كما فرزعت لعثمان ؟ فقال رسول الله (س) : إن عثمان رجل حي ، وإني خشيت إن ادمت له على تلك الحالة لا يبلغ إلى حاجته » قال الليث : وقال جماعة الناس : إن رسول الله (س) قال لعائشة : « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ »<sup>(١)</sup> ورواه مسلم من حديث محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان بن يسار عن أبي سلمة عن عائشة . ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهيل عن أبيه عن عائشة . ورواه جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عنها .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان ثنا عبد الله بن يسار سمعت عائشة بنت طلحة تذكر عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله (س) « كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا قلت : يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك : فقال : يا عائشة ألا تستحي من رجل والله إن الملائكة لتستحي منه ؟ » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(١) كذا في المصرية . وفي الحلبية : ملائكة الرحمن .

### طریق آخری عن حفصۃ

رواہ الحسن بن عرفۃ وأحمد بن حنبل عن روح بن عبادة عن ابن جریج ، أخبرنی أبو خالد عثمان بن خالد عن عبد اللہ بن أبی سعید المدنی حدثتني حفصۃ ، فذكر مثل حديث عائشة ، وفيه : فقال « ألا تستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ » .

### طریق آخری عن ابن عباس

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير ثنا الزهرى - هو ابن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز الكوفى - عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) : « ألا تستحي ممن تستحي منه الملائكة عثمان بن عفان ؟ » ثم قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد قلت هو على شرط الترمذى ولم يخرجوه .

### طریق آخری عن ابن عمر

قال الطبرانى : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ثنا أبو معشر حدثنى إبراهيم بن عمر بن أبان حدثنى أبى عمر بن أبان عن أبيه . قال سمعت عبد الله بن عمر يقول : « بينما رسول الله (ص) جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثم استأذن عمر فدخل ، ثم استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثم استأذن عثمان بن عفان فدخل ورسول الله (ص) يتحدث كاشفا من ركبته ، فرد ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان ، وقال لامرأته : استأخرى ، فتحدثوا ساعة ثم خرجوا ، فقالت عائشة : يانبي الله ! دخل أبى وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخرنى عنك ، فقال النبي (ص) : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ والذى نفسى بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولو دخل وأنت قريب منى لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه زيادة على ما قبله ، وفي سننه ضعف . قلت : وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبى أوفى ، وزيد بن ثابت : وروى أبو مروان القرشى عن أبيه عن مالك ، عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال : « عثمان حى تستحي منه الملائكة » .

### حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : « أرحم أمتى أبو بكر ، وأشدها فى دين الله عمر ، وأشدها حياء عثمان ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤها لكتاب الله أبى . وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » [ وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من

حديث خالد الخذاء ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وفي صحيح البخارى ومسلم آخره «ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» [١] وقد روى هشيم عن كريب بن حكيم عن نافع عن ابن عمر مثل حديث أبي قلابة عن أنس أو نحوه .

### حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا محمد بن حرب حدثني الزبيدي عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله . أنه كان يحدث أن رسول الله (ص) قال : «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ، ونيط عمر بأبي بكر ، ونيط عثمان بعمر ، فلما قمنا من عند رسول الله (ص) ، قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله (ص) ، وأما ما ذكره رسول الله (ص) ، من نوط بعضهم ببعض ، فهؤلاء ولاية هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه (ص) .» ورواه أبو داود عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب ، ثم قال : ورواه يونس وشعيب عن الزهري فلم يذكر عمر .

### حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو داود - عمر بن سعد - ثنا بدر بن عثمان عن عبيد الله بن مروان عن أبي عائشة عن ابن عمر قال : خرج علينا رسول الله (ص) ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال : «رأيت قبل الفجر كأنى أعطيت المقاليد والموازين ، فأما المقاليد فهذه المفاتيح ، وأما الموازين فهي التى يوزن بها ، فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فوزنت بهم فرجحت ، ثم جئى بأبي بكر فوزن فوزن بهم ، ثم جئى بعمر فوزن فوزن بهم ، ثم جئى بعثمان فوزن فوزن بهم ، ثم رفعت » تفرد به أحمد . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن معاذ بن جبل . قال قال رسول الله (ص) : «إني رأيت أنى وضعت فى كفة وأمتى فى كفة فعدلتها ، ثم وضع أبو بكر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها ، ثم وضع عمر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها ، ثم وضع عثمان فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها .»

### حديث آخر

قال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن مطيع ثنا هشيم عن العوام ، عن حدثه عن عائشة . قالت : لما أسس رسول الله (ص) مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسئل رسول الله (ص) عن ذلك فقال : «هم أمراء الخلافة من بعدى» . وقد تقدم هذا الحديث فى بناء مسجده أول مقدمه المدينة عليه الصلاة والسلام ، وكذلك تقدم فى دلائل النبوة من حديث الزهري عن رجل عن أبي ذر فى تسبيح الحصى فى يده

(١) سقط من الحلية

عليه السلام ثم في كف أبي بكر ، ثم في كف عمر ، ثم في كف عثمان ، رضى الله عنهم ، وفي بعض الروايات : فقال رسول الله (ص) : « هذه خلافة النبوة » وسيأتي حديث سفينة أن رسول الله (ص) قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » فكانت ولاية عثمان ومدتها ثنتي عشرة سنة ، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين ، كما أخبر به سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

### حديث آخر

وهو ما روى من طرق متعددة عن رسول الله (ص) ، أنه شهد للعشرة بالجنة ، وهو أحدهم بنص

### حديث آخر

النبي (ص) .

قال البخارى : حدثنا محمد بن حازم بن بزيغ ثنا شاذان ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الملاجشون عن سيد الله عن نافع عن ابن عمر . قال : « كنا في زمن النبي (ص) | لانعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نذر أصحاب النبي (ص) | لانفاضل بينهم » تابعه عبد الله بن صالح بن عبد العزيز ، تفرد به البخارى ، ورواه إسماعيل بن عياش ، والفرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن نافع عن ابن عمر . ورواه أبو يعلى عن أبي معشر عن يزيد بن هارون عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عمر به .

### طريق أخرى عن ابن عمر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر . قال : « كنا نعد رسول الله (ص) ، وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت » .

### طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سمر وبن علي وعقبة بن مكرم قالا : ثنا أبو عاصم عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه . قال : كنا نقول في عهد النبي (ص) : أبو بكر وعمر وعثمان - يعني في الخلافة - وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجه ، لكن قال البزار : وهذا الحديث قد روى عن ابن عمر من وجوه « كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم لانفاضل بعد » وعمر بن محمد لم يكن بالحافظ ، وذلك : يتبين في - دعيته إذا روى عن غير سالم فلم يقل شيئاً . وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزهري عن سالم عن أبيه به . وقد اعتنى الحافظ بن عساكر بجمع طرقه عن ابن عمر فأفاد وأجاد . فأما الحديث الذي قال الطبراني : حدثنا سعيد بن عبد ربه الصفار البغدادي حدثنا علي بن جميل الرقي أنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) : « في الجنة شجرة - أو ما في الجنة شجرة - شك علي بن حنبل ، ما عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله

❦❦❦

إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين « فانه حديث ضعيف في إسناده من تكلم فيه ولا يخلو من نكارة ، والله أعلم .

### القسم الثاني فيما ورد من فضائله وحده

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة ثنا عثمان بن موهب . قال : « جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوما جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : قریش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ! إني سألتك عن شيء فحدثني ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهدا ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدا ؟ قال : نعم ! قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال ابين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحت بنت رسول الله وكانت مريضة ، فقال له رسول الله : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطان مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله (س) عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي (س) : بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك « تفرد به دون مسلم .

### طريق أخرى

وقال الامام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عاصم عن سفيان . قال : اتى عبد الرحمن ابن عوف الوليد بن عقبة ، فقال له الوليد : مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبلغه أني لم أفر يوم حنين ، - قال عاصم : يقول يوم أحد - ولم أتخلف عن يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر ، قال : فانطلق نخب بذلك عثمان فقال : أما قوله : إني لم أفر يوم حنين ، فكيف يعيرني بذلك وقد عفا الله عني فقال : [ إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ] وأما قوله : إني تخلفت يوم بدر ، فاني كنت أمرض رقية بنت رسول الله (س) ، وقد ضرب لي رسول الله (س) ، ومن ضرب له رسول الله (س) بسهم فقد شهد ، وأما قوله : ولم أترك سنة عمر ، فاني لم أطيعها ولا هو ، فانه يحدثه بذلك .

### حديث آخر

قال البخارى : حدثنا أحمد بن شبيب بن سعد ثنا أبي عن يونس قال ابن شهاب : أخبرني عروة أن عبيد الله بن عدي بن الحبار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة . فقلت : إن لي إليك حاجة ، وهي نصيحة لك ، فقال : يا أيها المرء منك قال



أبو عبد الله قال معمر : أعوذ بالله منك - فأنصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ، وهاجرت المجرتين ، وصحبت رسول الله (ص) ، ورأيت هديه ، وقد أكثر الناس في شأن الوليد . فقال : أدركت رسول الله (ص) ؟ فقلت : لا ! ولكن خلت إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء في سائرهما ، قال : أما بعد ! فإن الله بعث محمداً بالحق وكنت ممن استجاب لله ولرسوله فامنت بما بعث به ، وهاجرت المجرتين كما قلت ، وصحبت رسول الله (ص) ، وبأيمته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استخلفت ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم ؟ قلت : بلى ! قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم ؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فساخذه فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلدَه فجلده ثمانين .

### حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الوليد بن مسلم حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت : « أرسل رسول الله (ص) إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله (ص) ، فلما رأينا إقبال رسول الله (ص) ، على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه وقال : يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فان أرادك المنافقون على خلعهم فلا تخلعه حتى تلتاني ثلاثاً . فقلت لها يا أم المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيته والله ما ذكرته ، قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين : أن اكتبني إلى به ، فبكتت إليه به كتاباً » وقد رواه أبو عبد الله الجعفي عن عائشة وحفصة بنحو ما تقدم . ورواه قيس بن أبي حازم وأبو سلمة عنها . ورواه أبو سهلة عن عثمان : « إن رسول الله (ص) عهد إلى عهداً فأنا صابر نفسي عليه » ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره ، قال الدارقطني : تفرد به الفرغ بن فضالة ورواه أبو مروان محمد بن عثمان بن خالد العماني عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه [ عن هشام بن عروة عن أبيه ]<sup>(١)</sup> عن عائشة . ورواه ابن عساكر من طريق المنهال بن عمر عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها . ورواه ابن أسامة عن الجريري : حدثني أبو بكر العدوي . قال : سألت عائشة ، وذكر عنها نحو ما تقدم [ تفرد به الفرغ بن فضالة ]<sup>(٢)</sup> ورواه حصين عن مجاهد عن عائشة بنحوه .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن كنانة الأمدى أبو يحيى ثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه . قال :

(١) و (٢) زيادة من الحلبي . وفيها : ورواه خصيف .

بلغني أن عائشة قالت : « ما استمفت رسول الله (ص) ، إلا مرة ، فان عثمان جاءه في حبر الظهر فظننت أنه جاءه في أمر النساء ، فحملتني الغيرة على أن أصفيت إليه فسمته يقول : إن الله ملبسك قميصاً يريدك أمي على خلعته فلا تخلعه . فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعته علمت أنه عهد من رسول الله (ص) ، الذي عهد إليه .

### طريق أخرى

قال الطبراني : حدثنا مطلب بن سعيد الأزدي ثنا عبد الله بن صالح ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف ، قال : كنا عند شفي الأصبحي فقال : حدثنا عبد الله بن عمر قال : « التفت رسول الله (ص) ، فقال : يا عثمان إن الله كساك قميصاً فأرادك الناس على خلعته فلا تخلعه ، فوالله لئن خلعتني لاترى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » وقد رواه أبو يعلى من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين . وفي سياق متنه غرابة والله أعلم .

### حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثني فاطمة بنت عبد الرحمن قالت : حدثتني أمي أنها سألت عائشة وأرسلها معها فقال : قولي إن أحببتك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فان الناس قد شتموه ، فقالت : لعن الله من اعنه ، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله (ص) ، وإن رسول الله لمسند ظهره إلى ، وإن جبريل ليوسى إليه القرآن ، وإنه ليقول له : اكتب يا عثيم ، قالت عائشة : فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كرم بما على الله ورسوله « ثم رواه الامام أحمد عن يونس عن عمر بن إبراهيم اليشكري عن أمه عن أمها أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله .

### حديث آخر

قال البزار : حدثنا عمر بن الخطاب قال : ذكر أبو المغيرة عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمي عن جابر « أن رسول الله (ص) ، ذكر فتنة فقال أبو بكر : أنا أدركها ؟ فقال : لا ، فقال عمر أنا يارسل الله أدركها ؟ قال : لا ، فقال عثمان : يارسل الله فانا أدركها ؟ قال : بك يبتلون » قال البزار : وهذا لانعله يروى إلا من هذا الوجه .

### حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عمر ثنا سنان بن هارون ثنا كليب بن واصل عن ابن عمر . قال : « ذكر رسول الله (ص) ، فتنة فقال يقاتل فيها هذا المقنع برئيد مظلوما ، فنظرت فاذا هو عثمان بن عفان » . ورواه الترمذي عن إبراهيم بن سعيد عن شاذان به وقال : حسن غريب .

### حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا موسى بن عقبة حدثني أبو أمي ابو حنيفة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً - أو قال : اختلافاً وفتنة - فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالأمين وأصحابه وهو يشير إلى عثمان بذلك » تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أسامة ثنا حماد بن أسامة ثنا كهس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق حدثني هرم بن الحارث وأسامه بن خزيم - وكانا يغازيان - فحدثاني حديثاً ولم يشمر كل واحد منهما أن صاحبه حدثني عن مرة البهزي قال « بينما نحن مع رسول الله (ص) في طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر ؟ قالوا : نصنع ماذا يا رسول الله ؟ قال : عليكم هذا وأصحابه - أو اتبعوا هذا وأصحابه - قال : فأسرعت حتى عييت فأدرت الرجل فقلت : هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا ، فإذا هو عثمان بن عفان » فقال : هذا وأصحابه فذكره .

### طريق أخرى

وقال الترمذي في جامعه : حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني أن خطباً قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي (ص) رجل يقال له مرة بن كعب ، فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله (ص) ما تكلمت ، وذكر الفتن فقر بها فمر رجل متنعق في ثوب ، فقال : هذا يومئذ علي الهدي فقلت اليه . فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا ؟ قال نعم ! ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة . قلت : وقد رواه أسد بن موسى عن معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن مرة بن كعب البهزي فذكر نحوه ، [ وقد رواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية عن صالح عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن كعب بن مرة البهزي ] (١) ، الصحيح مرة بن كعب كما تقدم ، وأما حديث ابن حوالة ، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجري عن عبد الله بن سفيان (٢) عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول الله (ص) : « كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض ؟ قلت : ماخار الله لي ورسوله ، قال اتبع هذا الرجل ، فإنه يومئذ ومن اتبعه على الحق قال : فاتبعته فأخذت بمنكبه ففتلته فقلت : هذا

(١) زيادة من الحلبية . (٢) كذا في المصرية بزيادة عبد الله بن سفيان .



يارسول الله؟ فقال: نعم! فاذا هو عثمان بن عفان» وقال حرمله بن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن ابن حوالة. قال قال رسول الله ص: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا، موتى، وخروج الدجال وقتل خليفة مصطبر قوام بالحق يعطيه.

وأما حديث كعب بن عجرة، فقال الامام أحمد: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي أخبرني معاوية بن سلم عن مطر الوراق عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة قال: «ذكر رسول الله ص، فنته قريبا وعظما قال ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحق قال فانطلقت مسرعا أو محضرا وأخذت بضبعيه فقلت: هذا يارسول الله؟ قال: هذا فاذا هو عثمان بن عفان» ثم رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة فذكر مثله. ورواه أبو يعلى عن هذبة عن همام عن قتادة عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة. وكذا رواه أبو عون عن ابن سيرين عن كعب. وقد تقدم حديث أبي ثور التيمي عنه في قوله في الخطبة التي خاطب بها الناس من داره: والله ما تغنيت ولا تمنيت ولا زنت في جاهلية ولا إسلام ولا مست فرجى يميني منذ بايعت بها رسول الله ص، وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتيقا فان تعذر عليه أعتق في الجمعة الأخرى عتيفين. وقال مولاة حمران: كان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم. رضى الله عنه.

#### حديث آخر

قال الامام أحمد: حدثنا علي بن عباس ثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الأوزاعي عن عبد بن عبد الملك ابن مروان أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال: «إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن، إما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقع على رواحك فتلحق مكة، فانهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية. فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله ص، في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فانهم لن يستحلوني بها، فاني سمعت رسول الله ص يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم، ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ص». وقال الامام أحمد: ثنا أبو المغيرة ثنا أرطاة - يعني ابن المنذر - حدثني أبو عون الأنصاري أن عثمان قال لابن مسعود: «هل أنت منته عما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض المنذر، فقال عثمان: وبحك! إني قد سمعت وحفظت - وليس كما سمعت -، أن رسول الله ص قال سيقتل أمير، وينبرى متبري، وإني أنا المقتول، وليس عمر، إنما قتل عمر واحد، وأنه يجتمع على» وهذا الذي قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فإنه مات قبله بنحو ذلك.

### حديث آخر

[ قال عبد الله بن أحمد : ثنا عبيد الله بن عمر الفربري : ثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري حدثني أبو عبادة الزرقى الأنصاري - من أهل المدينة - عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : « شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي باب مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفياكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفياكم طلحة بن عبيد الله ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفياكم طلحة ؟ فقال طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان : ألا أراك ههنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع نداي آخر ثلاث مرات ، ثم لا يجيئني ؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص) في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله (ص) .. إنه ما من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق في الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا - يعني نفسه - رفيق في الجنة ؟ فقال طلحة : اللهم نعم ! » تفرد به أحمد [ (١) ]

### حديث آخر عن طلحة

قال الترمذي : حدثنا أبو هشام الرفاعي ثنا يحيى بن اليمان عن شريح بن زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي وثاب عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله (ص) : « لكل نبي رفيق ورفيق في الجنة عثمان » ثم قال : هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوى ، وإسناده منقطع . ورواه أبو عثمان محمد بن عثمان عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : حدثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد قالوا : حدثنا عثمان بن زفر حدثنا محمد بن زياد عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر قال : « أتى النبي (ص) بجنازة رجل ليصلي عليه فلم يصل عليه ، فقيل يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا ؟ فقال : إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل » ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، ومحمد بن زياد هذا صاحب ميمون ابن مهران ضعيف الحديث جداً ، ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة بصرى ثقة ، يكنى أبا الحارث ، ومحمد بن زياد الألهاني صاحب أبي أمامة ثقة شامي يكنى أبا سفيان .

### حديث آخر

روى الحافظ بن عساكر من حديث أبي مروان العثماني ثنا أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة « أن رسول الله (ص) لقي عثمان بن عفان على

(١) هذا الحديث أعيد هنا ثانياً في النسخة الحلبية . وقد تقدم ذكره قبل هذا الموضع كما

في المصرية .

باب المسجد فقال : يا عثمان ! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية ، علي مثل مصاحبها « وقد روى ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عباس وعائشة وعمارة بن روية وعصمة بن مالك الخطمي وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم ، وهو غريب ومنكر من جميع طرقه ، وروى بإسناد ضعيف عن علي أن رسول الله (ص) قال « لو كان لي أربعون ابنة لزوجتهن بعثمان واحدة بعد واحدة ، حتى لا يبقى منهن واحدة » وقال محمد بن سعيد الأموي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن المهلب بن أبي صفرة قال : « سألت أصحاب رسول الله (ص) ، لم قلت في عثمان : أعلانا فوقاً؟ قالوا : لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنتي نبي غيره رواه ابن عساكر .

وقال إسماعيل بن عبد الملك عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله (ص) رافعاً يديه حتى يبدو ضبعيه إلا لعثمان بن عفان ، إذا دعا له . وقال مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : رأيت رسول الله (ص) من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : « اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه » وفي رواية يقول لعثمان : « غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كأن إلى يوم القيامة » ورواه الحسن بن عرفة عن محمد بن القاسم الأسدي عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي (ص) مرسلًا . وقال ابن عدي عن أبي يعلى عن عمار بن ياسر المستملي عن إسحاق بن إبراهيم المستملي عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة : أن رسول الله (ص) بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاهما ، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار ، فوضعها بين يديه ، فجعل يقلبها بين يديه ويدعو له : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كأن إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها » .

#### حديث آخر

وقال ليث بن أبي سليم : أول من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنتق ثم بعث به إلى رسول الله (ص) ، إلى منزل أم سلمة ، فلم يصادفه ، فلما جاء وضعوه بين يديه ، فقال : من بعث هذا ؟ قالوا : عثمان : قالت : فرفع يديه إلى السماء فقال : « اللهم إن عثمان يترضاك فارض عنه » .

#### حديث آخر

روى أبو يعلى عن سنان بن فروخ عن طلحة بن يزيد عن عبيدة بن حسان عن عطاء الكيخاراني عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنق عثمان وقال : « أنت وليي في الدنيا ، وليي في الآخرة » .

#### حديث آخر

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن الجريري عن عبد الله بن

شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول (ص) : « تهجمون على رجل معتجر ببرد من أهل الجنة ، يبايع الناس » قال فهجمنا على عثمان بن عفان فرأيناه معتجراً يبايع الناس .

### ذكر شيء من سيرته وهي دالة على فضيلته

قال ابن مسعود : لما توفي عمر بايعنا خيرنا ولم نأل ، وفي رواية بايعوا خيرهم ولم يألوا ، وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذي خلق فسوى . وقال محمد بن المبارك بلغني أنه كان نقش خاتم عثمان آمن بالله العظيم . وقال البخاري في التاريخ : ثنا موسى بن إسماعيل ثنا مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما نعموا عليه ، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل ، الأعطيات جارية ، والأرزاق دارة ، والعدو متقى ، وذات البين حسن ، والخير كثير ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، ومن لقيه فهو أخوه ، قد كان من إلفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستكون آثرة ، فإذا كانت فاصبروا « قال الحسن : فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير ، بل قالوا لا والله ما نصبرها : فوالله ما وردوا وما سلموا ، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الاسلام فسلوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلولا إلى يوم الناس ، هذا وأيم الله إني لأرأه سيفاً مسلولا إلى يوم القيامة » وقال غير واحد عن الحسن البصري قال : سمعت عثمان يأمر في خطبته بذبح الحمام وقتل الكلاب . وروى سيف ابن عمر أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورمى بعضهم بالجلاهقات [فوكل عثمان رجلاً من بني ليث يتبع ذلك ، فيقص الحمام ويكسر الجلاهقات ] وهي قسي البندق . وقال محمد بن سعد : « أنبأنا القعني وخالد بن مخلد ثنا محمد بن هلال عن جدته . وكانت تدخل على عثمان وهو محصور . فولدت هلالاً ، فقدها يوماً فقيل له : إنها قد ولدت هذه الليلة غلاماً ، قالت : فأرسل إلى بخمسين درهماً وشقيقة سنبلانية ، وقال : هذا عطاء ابنك وكسوته ، فاذا مرت به سنة رفعناه إلى مائة » وروى الزبير ابن أبي بكر عن محمد بن سلام عن ابن بكار قال : قال ابن سعيد بن يربوع بن عتكة الحزومي : انطلقت وأنا غلام في الظهيرة ومعى طير أرسله في المسجد ، والمسجد بيننا ، فإذا شيخ جميل حسن الوجه نائم ، تحت رأسه لبنة أو بعض لبنة ، فقامت أنظر إليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : من أنت يا غلام ؟ فأخبرته ، فإذا غلام نائم قريباً منه فدعاه فلم يجبه ، فقال لي : ادعه ! فدعوته فأمره بشيء وقال لي : اقم ! فذهب الغلام فجاء بحلة وجاء بألف درهم ، ونزع ثوبي وألبسني الحلة ؟ وجعل الألف

❦❦❦

دوم فيها ، فرجت إلى أبي فأخبرته ؟ قال : يا بني من فعل هذا بك ؟ قلت : لا أدري إلا أنه رجل في المسجد فأثم لم أرقط أحسن منه ، قال : ذاك أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وقال عبد الرزاق عن ابن جريج : أخبرني يزيد بن خصيفة عن أبي السائب بن يزيد « أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي أهى صلاة طلحة بن عبيد الله عن صلاة عثمان قال : نعم ، قال : قلت لأغلبن الليلة النفر على الحجر - يعني المقام - فلما قلت فاذا رجل يرجئني مقنماً قال فالتفت فإذا بعثمان يزحموني فتأخرت عنه فصلى فاذا هو يسجد بسجود القرآن ، حتى إذا قلت هذا هو أذان الفجر أو تر بركة لم يصل غيرها ثم انطلق . وقد روى هذا من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضى الله عنه . ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى [ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ] قال : هو عثمان بن عفان . وقال ابن عباس في قوله تعالى ( هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ) قال : هو عثمان . وقال حسان :

فحجوا بأشخط عنوان السجود به \* يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

وقال سفیان بن عيينة : ثنا إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول قال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا ، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف ، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه . وقال أنس ومحمد بن سيرين : قالت امرأة عثمان يوم الدار : اقلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحجى الليل بالقرآن في ركعة . وقال غير واحد : إنه رضى الله عنه كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه ، إلا أن يجده يقظانا ، وكان يصوم الدهر ، وكان يعاتب فيقال : لو أيقظت بعض الخدم ؟ فيقول : لا ، الليل لهم يستريحون فيه . وكان إذا اغتسل لا يرفع المثرر عنه ، وهو في بيت مغلق عليه ، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حياته رضى الله عنه .

شيء من خطبه

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي عن أبيه أن عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس أول كل مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله . وقال الحسن : خطب عثمان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! اتقوا الله فان الله أقوى الله غم ، وإن أكيس الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى ، وقد كان بصيراً ، وقد يلقى الحكيم جوامع الكلم ، والأصم ينادى من مكان بعيد ، واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئاً ، ومن كان الله



عليه فمن يرجو بعده؟ . وقال مجاهد : خطب عثمان فقال : ابن آدم ! اعلم أن ملك الموت الذي وكل بك لم يزل يخلفك ويتخطى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا ، وكأنه قد تخطى غيرك إليك ، وقصدك ، فخذ حذرک ، واستعدله ، ولا تغفل فانه لا يغفل عنك ، واعلم ابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها لم يستعد لها غيرك ، ولا بد من لقاء الله ، فخذ لنفسك ولا تكها إلى غيرك والسلام . وقال سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه . قال : آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة « إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفتني وإن الآخرة تبقى ، لا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، وآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فان الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله فان تقوا الله فان تقوا الجنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزمو جماعةكم لا تصيروا أحزاباً ] واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ] إلى آخر الآيتين \*

### فَضِيْلَتُكَ

قال الامام أحمد : حدثنا هشيم ، ثنا محمد بن قيس الأسدي عن موسى بن طلحة . قال : سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخبر الناس يسألهم عن أخبارهم ، وأسفارهم . وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا يونس - يعني ابن عبيد - حدثني عطاء بن فروخ مولى القرشيين أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه فلقبه فقال : ما منعك من قبض مالك ؟ قال : إنك غبنتني ، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني ، قال : أذلك يمنعك ؟ قال : نعم ! قال : فاختر بين أرضك ومالك ، ثم قال : قال رسول الله ص . : « أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبأثماً وقاضياً ومقتضياً » . وروى ابن جرير أن طلحة لقي عثمان وهو خارج إلى المسجد فقال له طلحة : إن الحسين ألفاً التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها ، فقال له عثمان : إنا قد وهبنا كما لمروءتك . وقال الأصمعي : استعمل ابن عامر قطن بن عوف الهلالي على كرمان ، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف - وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم ، وخشى قطن الفوت فقال : من جاز الوادي فله ألف درهم ، فحملوا أنفسهم على العوم ، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطن : اعطوه جائزته ، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم ، فأبى ابن عامر أن يحسبها له ، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان ، فكتب عثمان : أن احسبها له ، فانه إنما أعان المسلمين في سبيل الله فمن ذلك اليوم سميت الجواز لاجازة الوادي ، فقال الكنانى في ذلك :

فدى للأكرمين بني هلال \* على علائهم أهلي ومالي

هوا سنوا الجواز في معدية • فعات ستة أخرى الليالي  
رياحهم تزيد على ثمان • وعشر قبل تركيب النصال

### فضيلة القرآن

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة ، وكتب المصحف على  
العرضة الأخيرة ، التي درسها جبريل على رسول الله (ص) ، في آخر سني حياته ، وكان سبب ذلك أن  
حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ، ممن يقرأ على قراءة  
المقداد بن الأسود ، وأبي الدرداء ، وجماعة من أهل العراق ، ممن يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود ،  
وأبي موسى ، وجعل من لا يعلم بسوған القراءة على سبعة أحرف ، يفضل قراءته على قراءة غيره ، وربما  
خطأ الآخر أو كفره ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السيء بين الناس ، فركب  
حذيفة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود  
والنصارى في كتبهم . وذكروا له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة ، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة  
وشاورهم في ذلك ، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على  
القراءة به ، دون ما سواه ، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ، ودفع الاختلاف ، فاستدعى  
بالمصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها ، فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت  
عند عمر ، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين ، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت  
الأصم أن يكتب وأن يمل عليه سعيد بن العاص الأموي ، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي  
وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلفظ قریش ،  
فكتب لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر ،  
وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه المصاحف الأئمة ،  
وليست كلها بخط عثمان ، بل ولا واحد منها ، وإنما هي بخط زيد بن ثابت ، وإنما يقال لها المصاحف  
العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه ، وإمارته ، كما يقال دينار هرقل ، أي ضرب في زمانه ودولته . قال  
الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة . ورواه غيره من  
وجه آخر عن أبي هريرة قال : « لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال : أصبت ووقفت ،  
أشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول : « إن أشد أمتي حياءً إلى قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم  
يروني ، يعملون بما في الورق المعلق » فقلت : أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، قال : فأعجب  
ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف ، وقال : والله ما عانت أنك لتحبس علينا حديث نبينا

(س.) ، « ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فخره ، لتلايق بسببه اختلاف ، فقال أبو بكر بن أبي داود - في كتاب المصاحف - حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا : ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال : قال لي علي حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعه » وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وعمرو بن مرزوق عن شعبة مثله ، وقد رواه البيهقي وغيره من حديث محمد بن أبان - زوج أخت حسين - عن علقمة بن مرثد قال : سمعت العيزار بن جرول سمعت سويد بن غفلة قال : « قال علي : أيها الناس إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف ، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد (س.) ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل » وقد روى عن ابن مسعود أنه تعجب لما أخذ منه مصحفه فحرق ، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف ، وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم ، وتلا قوله تعالى [ ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ] فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعو إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك ، وجمع الكلمة ، وعدم الاختلاف ، فأجاب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال : كم صلى أمير المؤمنين الظهر ؟ قالوا : أربعاً ، فصلى ابن مسعود أربعاً فقالوا : ألم تحدثنا أن رسول الله (س.) وأبا بكر وعمر صلوا ركعتين ؟ فقال : نعم ! وأنا أحدثكموه الآن ، ولكني أكره الاختلاف . وفي الصحيح أن ابن مسعود قال : لبت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين . وقال الأعمش : حدثني معاوية بن قررة - بواسط - عن أشياخه قالوا : صلى عثمان الظهر بمنى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فغاب عليه ، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعاً ، فقيل له : عتبت على عثمان وصليت أربعاً ؟ فقال : إني أكره الخلاف . وفي رواية الخلاف شر فإذا كان هذا متابعاً من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بتابعته إياه في أصل القرآن ؟ والافتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤا بها لا بغيرها ؟ وقد حكى الزهري وغيره أن عثمان إنما أتم خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض الصلاة ركعتان ، وقيل بل قد تأهل بمكة ، فروى يعلى وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب عن أبيه أن عثمان صلى بهم بمنى أربع ركعات ، ثم أقبل عليهم فقال : إني سمعت رسول الله (س.) يقول : « إذا تزوج الرجل ببلد فهو من أهله » وإني أتيت لأتني تزوجت بها منذ قدمتها . وهذا الحديث لا يصح ، وقد تزوج رسول الله (س.) في عمرة القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتم الصلاة ، وقد قيل إن عثمان تناول أنه أمير المؤمنين حيث كان [ وهكذا تناولت عائشة فأتت ، وفي هذا التأويل نظر ، فإن رسول الله (س.) هو رسول الله

حيث كان ، ومع هذا ما أتم الصلاة في في الأسفار . ومما كان يعتمد عليه عثمان بن عفان أنه كان <sup>(١)</sup> يلزم عماله بحضور الموسم كل عام ، ويكتب إلى الرعايا : من كانت له عند أحد منهم مظلمة فليواف إلى الموسم فاني آخذ له حقه من عامله ، وكان عثمان قد سمح لكثير من كبار الصحابة في المسير حيث شاءوا من البلاد ، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك ، حتى ولا في الغزو ، ويقول : إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم أبناؤها ، فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس ، وصار لكل واحد أصحاب ، وطمع كل قوم في تولية صاحبهم الامارة العامة بعد عثمان ، فاستعجلوا موته ، واستطالوا حياته ، حتى وقع ما وقع من بهض أهل الأمصار ، كما تقدم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، العلي العظيم .

### ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

تزوج رُقِيَّة بنت رسول الله ص . فولد له منها عبد الله ، وبه كان يكنى ، بعد ما كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو ، ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ، ثم توفيت فتزوج بفاخته بنت غزوان بن جابر ، فولد له منها عبيد الله الأصغر ، وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدي ، فولدت له عمراً ، وخالداً ، وأبانا ، وعمر . ومريم ، وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية ، فولدت له الوليد وسعيداً . وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ، فولدت له عبد الملك ، ويقال وعتبة ، وتزوج رملة بنت شيبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان . وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن ابن ضمضم بن عدى بن حيان بن كليب ، فولدت له مريم ، ويقال وعنبسة . وقتل رضي الله عنه وعنده أربع نائلة ، ورملة ، وأم البنين ، وفاخته . ويقال إنه طلق أم البنين وهو محصور .

### فضائله

تقدم في دلائل النبوة الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث سفيان الثوري عن منصور عن ربي عن البراء بن ناجية الكاهلي ، عن عبدالله بن مسعود ، قال قال رسول الله ص : « إن رجا الاسلام ستدور لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فان تهلك فسبيل ما هلك وإن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاما قال : فقال عمر يارسول الله أبعامضي أم بما بقي ؟ قال : بل بما بقي » وفي لفظ له ولأبي داود « تدور رجا الاسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين » الحديث . وكان هذا الشك من الراوي ، والمحفوظ في نفس الأمر خمس وثلاثين ، فان فيها قتل أمير المؤمنين

(١) سقط من المصرية .

عثمان على الصحيح ، وقيل ست وثلاثين ، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة ولكن الله سلم ووفى بحوله وقوته فلم يكن بأسرع من أن بايع الناس على بن أبي طالب رضی الله عنه ، وانتظم الأمر ، واجتمع الشمال ، ولكن جرت بعد ذلك أمور في يوم الجمل وأيام صفين على ما سنين إن شاء الله تعالى .

### قصة

#### في ذكر من توي زمان عثمان من لا يعرف وقت وفاته على التعيين

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصاري النجاري ، ويقال له أنيس أيضاً ، شهد المشاهد كلها رضی الله عنه .

أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت الأنصاريان ، شهد بدرًا ، وأوس هو زوج المجادلة المذكور في قوله تعالى [ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ] وامراته خولة بنت ثعلبة .

أوس بن خولى الأنصاري من بني الحلبى ، شهد بدرًا ، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غسل النبي صلى الله عليه وسلم ، والتزول مع أهله في قبره ، عليه الصلاة والسلام .

الحر بن قيس ، كان سيداً في الأنصار ، ولكن كان بخيلاً ومتهماً بالنفاق ، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يبايع ، واستتر ببعيره ، وهو الذى نزل فيه قوله تعالى [ ومنهم من يقول ائذنى لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا ] الآية . وقد قيل إنه تاب وأقلع فآله أعلم .

الخطيب الشاعر المشهور . قيل اسمه جرول ويكنى بأبى مليكة ، من بني عبس ، أدرك أيام الجاهلية ، وأدرك صدرًا من الاسلام ، وكان يطوف فى الآفاق يمدح الرؤساء من الناس ، ويستجديهم ويقال كان بخيلاً مع ذلك ، سافر مرة فودع امرأته فقال لها :

عدي السنين إذا خرجت لغبة \* ودعى الشهور فانين قصار

[ وكان مداحاً مجاهداً ، وله شعر جيد ، ومن شعره ما قاله بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاد منه قوله :

من يفعل الخير لم يصم جائزة \* لا يذهب العرف بين الله والناس ] (١)

خبيب بن يساف بن عتبة الأنصاري أحد من شهد بدرًا \* سلمان بن ربيعة الباهلي ، يقال له صحبة ، كان من الشجعان الأبطال المذكورين ، والفرسان المشهورين ، وولاه عمر قضاء الكوفة ، ثم

(١) سقط من الحلبية.

ولى في زمن عثمان إمرة على قتال الترك ، قتل ببلنجر ، قبره هناك في تابوت يستسقى به الترك إذا قطنوا \* عبد الله بن حذافة بن قيس القرشي السهمي ، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة ، وكان من سادات الصحابة ، وهو القائل : يا رسول الله من أبي ؟ - وكان إذا لاحى الرجال دعى لغير أبيه - قال : أبوك حذافة ، وكان رسول الله (ص) ، [ أرسله إلى كسرى فدفن كتابه إلى عظيم بصرى فبعث معه من يوصله ] (١) إلى هرقل كما تقدم ، وقد أسرته الروم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في جملة ثمانين من المسلمين ، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم ، فقال له الملك : قبل رأسى وأنا أطلقك ومن معك من المسلمين ، فقبل رأسه [ فأطلقهم ، فلما قدم على عمر قال له : حق على كل مسلم أن يقبل رأسك ، ثم قام عمر فقبل رأسه ] (٢) قبل الناس رضي الله عنه \* عبد الله بن سراقه بن المعتز ، العدوي صحابي أحدي ، وزعم الزهري أنه شهد بدرًا فله أعلم \* [ عبد الله بن قيس بن خالد الأنصاري ، شهد بدرًا \* ] (٣) عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصاري الحارثي ، شهد أحدًا وما بعدها ، وقال ابن عبد البر شهد بدرًا ، استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان ، وقد نهشته حية فرقاه عمارة بن حزم ، وهو القائل لأبي بكر - وقد جاءت جدهما فأعطى السدس أم الأم وترك الأخرى وهي أم الأب - فقال له : أعطيت التي لومات لم يرثها ، وتركت التي لومات لورثها ، فشرك بينهما \* عمرو بن سراقه بن المعتز العدوي أخو عبد الله بن سراقه ، وهو بدرى كبير ، روى أنه جاع مرة فربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ، ومشى يومه ذلك إلى الليل ، فأضافه قوم من العرب ومن معه ، فلما شبع قال لأصحابه : كنت أحسب الرجلين يحملان البطن ، فإذا البطن يحمل الرجلين .

عمير (٤) بن سعد الأنصاري الأوسي ، صحابي جليل القدر ، كبير المحل كان يقال له نسيج وحده ، لكثرة زهادته وعبادته ، شهد فتح الشام مع أبي عبيدة ، وناب بمحصر ودمشق أيضاً في زمان عمر ، فلما كانت خلافة عثمان عزله وولى معاوية الشام بكاله ، وله أخبار يطول ذكرها \* عروة بن حزام أبو سعيد العدوي كان شاعراً مفرماً في ابنة عم له ، وهي عفراء بنت مهاجر ، يقول فيها الشعر واشتهر بحبها ، فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام ، فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره ، وزوجها بابن عمها الآخر ، فهلك عروة هذا في محبتها ، وهو منذ كور في كتاب مصارع العشاق ، ومن شعره فيها قوله :

وماهى إلا أن أراها فجاءة \* فأبته حتى ما أكاد أجيبُ

وأصرف عن رأبي الذي كنتُ أرتأى \* وأنسى الذي أعدتُ حين تغيبُ

قطبة بن عامر أبو زيد الأنصاري عقي بدرى \* قيس بن مهدي بن قيس بن ثعلبة الأنصاري

(١) - (٣) سقط من الحلبية . (٤) كذا في الحلبية والاصابة وفي المصرية : عمرو بن سعد .

النجاري ، له حديث في الركعتين قبل الفجر ، وزعم ابن مالك أنه شهد بدرآ ، قال مصعب الزبيري : هو جد يحيى بن سعيد الأنصاري ، وقال الأكترون : بل هو جد أبي مریم عبد الغفار ابن القاسم الكوفي قاله أعلم \* لبید بن ربیعة أبو عقيل العامري الشاعر المشهور . صح أن رسول الله (س) قال : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبید .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل \* وتمايم البيت : وكل نعم لا محالة زائل

فقال عثمان بن مظعون : إلا نعم اجنة ، وقد قيل إنه توفي سنة إحدى وأربعين قاله أعلم \* المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي ، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد السابيين \* معاذ بن عمرو بن الجوح الأنصاري شهد بدرآ ، وضرب يومئذ أبا جهل بسيفه فقطع رجله ، وحمل عكرمة بن أبي جهل على معاذ هذا فضربه بالسيف فحل يده من كتفه ، فقاتل بقية يومه وهي معلقة يسحبها خلفه ، قال معاذ : فلما انتهيت وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحها رضي الله عنه . وعاش بعد ذلك إلى هذه السنة سنة خمس وثلاثين \*

محمد بن جعفر بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي ، ولد لأبيه وهو بالحبيشة ، فلما هاجر إلى المدينة سنة خيبر ، وتوفي يوم مؤتة شهيداً ، جاء رسول الله (س) إلى منزلهم فقال لأهم أسماء بنت عميس : « إيتيني ببني أخي ، فجئ بهم كأنهم أفرخ فجعل يقبلهم ويشمهم ويبكي ، فبكت أهم فقال أتخافين عليهم العيلة وأنا وإيهم في الدنيا والآخرة ؟ ثم أمر الحلاق فخلق رؤسهم » وقد مات محمد وهو شاب في أيام عثمان كما ذكرنا ، وزعم ابن عبد البر أنه توفي في تستر قاله أعلم \* معبد بن العباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله (س) ، قتل شاباً بأفريقية من بلاد المغرب \* معيقب بن أبي فاطمة اللومسي ، صاحب خاتم النبي (س) ، قيل توفي في أيام عثمان ، وقيل قبل ذلك ، وقيل سنة أربعين والله أعلم \* منقذ بن عمرو الأنصاري ، أحد بني مازن بن النجار . كان قد أصابته آمة في رأسه فكسرت لسانه ، وضعف عقله ، وكان يكثر من البيع والشراء ، فقال له النبي (س) : « من بايعت فقل لا خلافة ، ثم أنت يا نخيار في كل ما تشتريه ثلاثة أيام » قال الشافعي : كان مخصصاً بأثبات الخيار ثلاثة في كل بيع ، سواء اشترط الخيار أم لا \* نعم بن مسعود ، أبو سلمة الغطفاني ، وهو الذي ختل بين الأحزاب وبين بني قريظة كما قدمناه ، فله بذلك اليد البيضاء ، والراية العليا \* أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ، الشاعر ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد موت النبي (س) ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبي (س) ، وكان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر العرب وهو القائل :

وإذا النية أنشبت أظفارها \* ألفيت كل تيممة لا تنفع

وتجسدي للشامتين أريهم \* أني لرب الدهر لا أضعضع

توفي غازيا بأفريقية في خلافة عثمان \* أبو رهم سبرة ابن عبد العزى القرشي الشاعر ذكره

في هذا الفصل محمد بن سعد وحده \* أبو زيد الطائي، الشاعر، اسمه حرمة بن المنذر كان نصرانياً وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده قصيدة له في الأسد بديعة، فقال له عثمان: تفتأ تذكر الأسد ما حيت؟ إني لأحسبك جباناً نصرانياً \* أبو سبرة بن أبي رهم العامري، أخو أبي سلمة بن عبد الأسد، أمها برة بنت عبد المطلب، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وما بعدها، قال الزبير: لا نعلم بدرياً سكن مكة بعد النبي (س)، سواء، قال: وأهله يبدروني ذلك \* أبو لبابة بن عبد المنذر أحد نقباء ليلة العقبة، وقيل إنه توفي في خلافة علي والله أعلم \* أبو هاشم بن عتبة تقدم وقاته في سنة إحدى وعشرين، وقيل في خلافة عثمان والله أعلم.

### خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو ابن عبد مناف، واسمه المغيرة، بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو الحسن والحسين، ويكنى بأبي تراب، وأبي القاسم الهاشمي، ابن عم رسول الله (س)، وختنه علي ابنته فاطمة الزهراء. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً. وكان له من الإخوة طالب، وعقيل، وجعفر، وكانوا أكبر منه، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين، وله أختان، أم هانئ وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وقد أسلمت وهاجرت \* كان علي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان ممن توفي ورسول الله (س)، راض عنهم وكان رابع الخلفاء الراشدين وكان رجلاً آدم شديد الأدمة أشكل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية، قد ملأت صدره ومنكبیه، أبيضها، وكان كثير شعر الصدر والكتفين، حسن الوجه، ضحوك السن، خفيف المشي على الأرض \* أسلم علي قدماً، وهو ابن سبع وقيل ابن ثمان، وقيل تسع، وقيل عشر، وقيل أحد عشر، وقيل إثني عشر، وقيل ثلاثة عشر، وقيل أربع عشرة، وقيل ابن خمس عشرة، أو ست عشرة سنة قاله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن، ويقال إنه أول من أسلم [والصحيح أنه أول من أسلم] من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار، وكان سبب اسازم علي صغيراً أنه كان في كفالة رسول الله (س)، لأنه كان قد أصابتهم سنة مجاعة، فأخذته من أبيه، فكان عنده، فلما

❦❦❦



بعنه الله بالحق آمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم علي ، وكان الايمان النافع المتعدي نفعه إلى الناس إيمان الصديق رضي الله عنه . وقد ورد عن علي أنه قال أنا أول من أسلم ولا يصح إسناده إليه . وقد روى في هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساکر كثيرة منكورة لا يصح شيء منها والله أعلم . وقد روى الامام أحمد من حديث شعبة عن عمرو بن مرة سمعت أبا حمزة - رجلاً من موالى الأنصار - قال سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله (ص) علي \* وفي رواية أول من صلى . قال عمرو : قد كرت ذلك للنخعي فأنكره ، وقال أبو بكر : أول من أسلم \* وقال محمد بن كعب القرظي : أول من آمن من النساء خديجة وأول رجلين آمننا أبو بكر وعلي ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلي يكتُم إيمانه ، قلت : يعني خوفاً من أبيه ، ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرته ، وهاجر علي بعد خروج رسول الله (ص) من مكة وكان قد أمره بقضاء ديونه ورد ودائعه ، ثم يلحق به ، فامتل ما أمره به ، ثم هاجر ، وآخى النبي (ص) بينه وبين سهل بن حنيف ، وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي أن رسول الله (ص) آخى بينه وبين نفسه ، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها ، وركعة بعض متونها ، فإن في بعضها « أنت أخي ووارثي وخليفتي وخير من أمر بعدي » وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحيحين وغيرهما والله أعلم \* وقد شهد علي بدرأ وكانت له اليد البيضاء فيها ، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة ابن الحارث وخصومهم الثلاثة - عتبة وشيبة والوليد بن عتبة - نزل قوله تعالى ( هذان خصمان اختصموا في ربهم ) الآية . وقال الحكم وغيره عن مقسم عن ابن عباس قال : « دفع النبي (ص) الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة » وقال الحسن بن عرفة : حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الخنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال : نادى مناد في السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . قال ابن عساکر وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من علي بعد ذلك وقال يونس بن بكير عن مسعر عن أبي عوف عن أبي صالح عن علي قال : قيل لي يوم بدر ولا أبي بكر قيل لأحدنا معك جبريل ومع الآخر ميكائيل قال وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون في الصف . وشهد علي أجداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب ابن عمير ، وعلي الميسرة المنفر بن عمرو الأنصاري ، وحمزة بن عبد المطلب ، علي القلب وعلي الرجالة الزبير بن العوام ، وقيل المقداد بن الأسود ، وقد قاتل علي يوم أحد قتالاً شديداً ، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين ، وغسل عن وجه النبي (ص) الدم الذي كان أصابه من الجراح حين شج في وجهه وكسرت ربا عينه وشهد يوم الخندق قتل يومئذ فارس العرب ، وأحد شجعانهم المشاهير ، عمرو ابن عبدود العامري ، كما قدمنا ذلك في غزوة الخندق ، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان ، وشهد خيبر

وكانت له بها مواقف هائلة ، ومشاهد طائلة ، منها أن رسول الله (ص) ، قال : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها ، فدعا علياً - وكان أرمداً - فدعاه ، وبصق في عينه فلم يرمد بعدها ، فبرأ وأعطاه الراية ، ففتح الله على يديه ، وقتل مرجبا اليهودي

وذكر محمد بن إسحاق عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبي رافع أن يهودياً ضرب علياً فطرح ترسه ، فتناول بابا عند الحصن فتترس به ، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده ، قال أبو رافع : فلقد رأيتني أنا وسبعة معي نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع . وقال ليث عن أبي جعفر عن جابر أن علياً حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعدا المسلمون عليه ففتحوها ، فلم يحملوه إلا أربعون رجلاً \* ومنها أنه قتل مرجبا فارس يهود وشجعانهم \* وشهد على عمرة القضاء وفيها قال له النبي (ص) : « أنت مني ، وأنا منك » وما يذكره كثير من القصص في مقاتلته الجن في بئر ذات العلم - وهو بئر قريب من الجحفة - فلا أصل له ، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به . وشهد الفتح وحنينا والطائف ، وقاتل في هذه المشاهد قتالا كثيراً ، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله (ص) ، [ ولما خرج رسول الله (ص) ، ] (١) إلى تبوك واستخلفه على المدينة ، قال له : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » وبعثه رسول الله (ص) ، أميراً وحاكماً على اليمن ، ومعه خالد ابن الوليد ، ثم وافى رسول الله (ص) ، عام حجة الوداع ، إلى مكة ، وساق معه هدياً ، وأهل كاهل النبي (ص) ، فأشركه في هديه ، واستمر على إحرامه ، [ ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم ] (٢) ولما مرض رسول الله (ص) ، قال له العباس : سل رسول الله (ص) ، فيمن الأمر بعده ؟ فقال : والله لا أسأله فانه إن منعها لا يعطيناها الناس بعده أبداً ، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله (ص) ، لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة ، بل لوح بذكر الصديق ، وأشار إشارة مفهومة ظاهرة جداً إليه ، كما قدمنا ذلك والله الحمد .

وأما ما يفتره كثير من جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء ، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة ، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير ، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه ، وصرفهم إياها إلى غيره ، لا لمعنى ولا لسبب ، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الاسلام هو الحق ، يعلم بطلان هذا الافتراء ، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء ، وهم خير قرون هذه الأمة ، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن ، وإجماع

(١) و (٢) سقط من الحلية .

السلف والخلف ، في الدنيا والآخرة ، والله الحمد . وما قد يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعل في الآداب والأخلاق في المأكل والمشرب والملبس ، مثل ما يهولون : يا علي لا تغم وأنت قاعد ، يا علي لا تلبس سراويلك وأنت قائم ، يا علي لا تمسك عضادتي الباب ، ولا تجلس على أسكفة الباب ، ولا تخط ثوبك وهو عليك ، ونحو ذلك ، كل ذلك من الهدايات فلا أصل لشيء منه ، بل هو اختلاق بعض السفلة الجهالة ، ولا يعول على ذلك ويفتربه إلا غبي عبي . ثم لما مات رسول الله (ص) ، كان علي من جملة من غسله وكفنه ، ولى دفنه كما تقدم ذلك مفصلاً والله الحمد والمنة . وسيأتي في باب فضائله ذكر تزويج رسول الله (ص) له من فاطمة بعد وقعة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسن كما قدمنا . وقد وردت أحاديث في ذلك لا يسح شيء منها بل أكثرها من وضع الروافض والقصاص . ولما يويح الصديق يوم السقيفة كان علي من جملة من بايع بالمسجد كما قدمنا . وكان بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى غاعته فرضا عليه ، وأحب الأشياء إليه ، ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تفضبت بعض الشيء على أبي بكر بسبب الميراث الذي فاتها من أبيها عليه السلام ، ولم تكن اطلمت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون ، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة ، فأبى ذلك عليها ، فبقي في نفسها شيء كما قدمنا ، واحتاج علي أن يداريها بعض المداراة - فلما توفيت جدد البيعة مع الصديق رضي الله عنهما ، فلما توفي أبو بكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبي بكر إليه بذلك ، كان علي من جملة من بايعه ، وكان معه يشارده في الأمور ، ويقال إنه استقضىه في أيام خلافته ، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام ، وشهد خطبته بالجابية ، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم علي ، ثم خلع منهم عثمان وعلي كما قدمنا ، فقدم عثمان على علي ، فسمع وأطاع ، فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور .

عد الناس إلى علي فبايعوه ، قبل أن يدفن عثمان ، وقيل بعد دفنه كما تقدم ، وقد امتنع علي من إجابتهم إلى قبول الامارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول ، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجأؤوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاءه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب .

### ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة

يقال إن أول من بايعه طلحة يزيد العيني وكانت شلاه من يوم أحد - لما وقى بها رسول الله (ص) - فقال بعض القوم : والله إن هذا الأمر لا يتم ، وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خز ونعلاه في يده ، نو كما على قومه ، فبايعه عامة الناس ، وذلك يوم السبت التاسع عشر

من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، ويقال إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمرهما على البصرة والكوفة ، فقال لهما : بل تكونا عندي أستاذس بكما ، ومن الناس من يرعى أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار ، منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عمير . ذكره ابن جرير من طريق المدائني عن شيخ من بني هاشم عن عبد الله بن الحسن قال المدائني : حدثني من سمع الزهري يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة ، قلت : وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام . وقال الواقدي : بايع الناس علياً بالمدينة ، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا ، منهم ابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن أبي مسلمة ، ومسلمة بن سلامة بن رقيش ، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم . وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب ، يلتبسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم لا نولى أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فحاروا في أمرهم ، ثم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى علي فألحوا عليه ، وأخذ الأشر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الاشر النخعي وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذى الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك ، وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا علي ، فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء ، فقال قائل : إن الله وإنا إليه راجعون ، ثم قال الزبير : إنما بايعت علياً واللج على عنقي والسلام ، ثم راح إلى مكة فأقام أربعة أشهر ، وكانت هذ البيعة يوم الجمعة خمسة بقين من ذى الحجة ، وكان أول خطبة خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر ، إن الله حرم حرماً مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ، لا يجمل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب ، بادروا أمر العامة ، وخاصة أئمة الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة تحذو بكم فتخفوا تلحقوا ، فانما ينتظر بالناس أخرام ، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ،

وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه [واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض]  
الآية ، فلما فرغ من خطبته قال المصريون :

خذها إليك واحذرن أبا الحسن \* إنا نمرُّ الأمرَ إمرارَ الرسن  
صولة آساد كآساد السفن \* بمشرفيات كغدران اللبن  
ونظمن الملك بلين كالشطن \* حتى يمرنَّ على غير عنن

قال علي مجيباً لهم !

إن عجزت عجزة لا اعتذر \* سوف أكيس بعدها وأستمر  
أرفع من ذيلي ما كنت أجُر \* وأنجم الأمر الشيت المنتشر  
إن لم يشاغبني العجول المنتهر \* أو يتركوني والسلاح يبتدر

وكان علي الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة وعلى الحرب القعقاع بن عمرو وعلى الخراج جابر بن فلان المزني ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ، ونوابه على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين حبيب بن سلمة ، وعلى الأردن أبو الأعور ، وعلى فلسطين حكيم بن علقمة ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ، وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس ، وعلى قيسارية مالك بن حبيب ، وعلى همدان حبش . هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفى وهم نواب الأمصار ، وكان علي بيت المال عقبه بن عمرو ، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت ، ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قبض عثمان مضمخ بدمه ، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين حاجفت عنه بيدها ، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام ، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع في كم القميص ، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه ، فتبا كي الناس حول المنبر ، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة ، والناس يتباكون حوله سنة ، وبيت بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره ، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام ، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ، ممن قتله من أولئك الخوارج : منهم عبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبو أمامة ، وعمرو بن عنبسة وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : شريك بن جباشة ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غنم ، وغيرهم من التابعين . ولما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤس الصحابة رضی الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود ، والأخذ بدم عثمان . فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه

إمرة الكوفة إيايته بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ، ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج ، وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان رضي الله عنه ، فقال لها : مهلاً علي ، حتى أنظر في هذا الأمر . ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له : إني أرى أن تقر عمالك على البلاد ، فإذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت ، ثم جاءه من الغد فقال له : إني أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممن يعصيك ، فعرض ذلك على علي ابن عباس فقال : لقد نصحك بالأمس وغشك اليوم ، فبلغ ذلك المغيرة فقال : نعم نصحته فلما لم يقبل غشسته ثم خرج المغيرة فلحق بمكة ، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير : وكانوا قد استأذنوا علياً في الاعتبار فأذن لهم ، ثم إن ابن عباس أشار على علي باستمرار نوابه في البلاد ، إلى أن يتمكن الأمر ، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام وقال له : إني أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكأما عليك بسبب ذلك ، فقال علي : إني لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتها ، فقال ابن عباس لعلي : إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يجبني لقرابتي منك ولكن اكتب معي إلى معاوية فنهه وعده ، فقال علي : والله إن هذا مالا يكون أبداً ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين الحرب خدعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله لئن أعطيتني لأوردنهم بعد صدرهم ونهى ابن عباس علياً فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسبون إليه الرحيل إلى العراق ، ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين في ألف مركب ، فأرسل الله عليه قاصفاً من الرياح ففرقه الله بحوله وقوته ، ومن معه ، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شردمة قليلة من قومه ، فلما دخل صقلية عملوا له حماماً فدخله فقتلوه فيه ، وقالوا : أنت قتلت رجالنا .

### ثم دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة

استهلت هذه السنة وقد تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة ، وولي علي الأمصار نواباً ، فولي عبد الله بن عباس على اليمن ، وولي سمرة بن جندب<sup>(١)</sup> على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر ، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية ، فسار حتى بلغ تبوك فنلقته خيل معاوية ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : أمير ، قالوا : على أي شيء ؟ قال : على الشام ، فقالوا : إن كان عثمان بعثك في هلاكك ، وإن كان غيره فارجع . فقال : أو ما سمعتم الذي

(١) ذكر ابن جرير الطبري أن علياً ولي عثمان بن حنيف على البصرة وسيأتي أنه عثمان

ابن حنيف .

كان؟ قالوا: بلى، فرجع إلى علي. وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور، وقالت طائفة: لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة، وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصدّه عنها طلحة بن خويلد غضباً لعثمان، فرجع إلى علي فأخبره، وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر، واختلفت الكافة، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم، وبعث علي إلى معاوية كتباً كثيرة فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طوماراً مع رجل فدخل به علي على فقال: ما وراءك؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور، تركت سبعين ألف شيخ سيكون تحت قميص عثمان، وهو علي منبر دمشق، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهم به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد. وعزم علي رضي الله عنه على قتال أهل الشام، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة: وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك، وخطب الناس فحثهم على ذلك. وعزم علي التجهيز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصابه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن ابن علي فقال: يا أبتى دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صمم على القتال، ورتب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمرو بن أبي سلمة على الميسرة، وقيل جعل علي الميسرة وعمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل علي مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف علي المدينة قثم بن العباس ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً إلى الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده.

### إبتداء وقعة الجمل

لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق، كان أزواج النبي (ص)، أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارا من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل، أقمن بمكة بعد ما خرجوا منها، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتجسسون الأخبار فلما بويع لعلي وصار حظ الناس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي، لاعن اختيار منه لذلك رؤس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان، مع أن علياً في نفس الأمر يكرههم، ولكنه تربص بهم الدوائر، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه، وحجبوا عنه عليه الصحابة فر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى

مكة وتبعهم خلق كثير ، وجم غفير ، وكان على لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرضه على الخروج معه ، فقال : إنما أنا رجل من أهل المدينة ، إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، ولكن لا أخرج للقتال في هذا العام ، ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة ، وقدم إلى مكة أيضا في هذا العام يعلى بن أمية من اليمن ، - وكان عاملا عليها لعثمان - ، ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم ، وقدم لها عبد الله بن عامر من البصرة ، وكان نائبها لعثمان ، فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة ، وأمهات المؤمنين ، فقامت عائشة رضی الله عنها في الناس تخطبهم وتحننهم على القيام بطلب دم عثمان ، وذكرت ما افتات به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام ، ولم يراقبوا جوار رسول الله (ص) ، وقد سفكوا الدماء ، وأخذوا الأموال . فاستجاب الناس لها ، وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة ، وقالوا لها : حينما ماسرت سرنا معك ، فقال قائل نذهب إلى الشام ، فقال بعضهم : إن معاوية قد كفاكم أمرها ، [ ولو قدموها لقلبوا ، واجتمع الأمر كله لهم ، لأن أكبر الصحابة معهم ] <sup>(١)</sup> وقال آخرون : نذهب إلى المدينة فنطلب من على أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا ، وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنقتوي من هنالك بالخليل والرجال ، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان . فاتفق الرأي على ذلك وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى المدينة ، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعت عن ذلك وقلن : لا نسير إلى غير المدينة ، وجهاز الناس يعلى بن أمية فأنفق فيهم ستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزم ابن عامر أيضا بمال كثير ، وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة ، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك ، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة ، وسار الناس صحبة عائشة في ألف فارس ، وقيل تسعمائة فارس من أهل المدينة ومكة ، وتلاحق بهم آخرون ، فصاروا في ثلاثة آلاف ، وأم المؤمنين عائشة تحمل في هودج على جمل اسمه عسكرة ، اشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمائتي دينار ، وقيل بثمانين دينارا ، وقيل غير ذلك ، وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقها هنالك وبكين للوداع ، وتباكى الناس ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النجيب ، وسار الناس قاسدين البصرة ، وكان الذي يصلى بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله ابن الزبير ، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات ، وقد مروا في مسيرهم ليلا بماء يقال له الحوآب ، فنبحتهم كلاب عنده ، فلما سمعت ذلك عائشة قالت : ما اسم هذا المكان ؟ قالوا الحوآب ، فضربت باحدى يديها على الأخرى وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أظنني إلا راجعة ، قالوا : ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول لنسائه : « ليت شرى أيتكن التي تنبجها كلاب

(١) سقط من المصرية .



الحوآب ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، وقالت : ردوني ردوني ، أنا والله صاحبة ماء الحوآب ، وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة كما سبق ، فأناخ الناس حولها يوماً وليلة ، وقال لها عبد الله بن الزبير : إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحوآب قد كذب ، ثم قال الناس : النجاء النجاء ، هذا جيش علي بن أبي طالب قد أقبل ، فارتحلوا نحو البصرة ، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس ، أنها قد قدمت ، فبعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعلما ما جاءت له ، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلما منها ما جاءت له ، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان ، لأنه قتل مظلوماً في شهر حرام و بلد حرام . وتلت قوله تعالى [ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ] فخرجوا منها فجاءوا إلى طلحة فقالوا له : ما أقدمك ؟ فقال : اطلب بدم عثمان ، فقالوا : ما بايعت علياً ؟ قال : بلى والسيف على عنقي ، ولا أستقبله إن هو لم يُجمل بيننا وبين قتلة عثمان . فذهبوا إلى الزبير فقال مثل ذلك ، قال : فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف ، فقال أبو الأسود :

يا ابن الأحنف قد أتيت فأنفرت \* وطاعن القوم و جالد واصبر

\* واخرج لهم مستلماً وشمر \*

فقال عثمان بن حنيف : إنا لله وإنا إليه راجعون ، دارت رحا الاسلام ورب الكعبة ، فانظروا بأي زيفان تزيف ، فقال عمران إني والله لتعركنكم عركا طويلا ، يشير عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعا « تدور رحا الاسلام لخمس وثلاثين » الحديث كما تقدم ، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين : أشر علي ، فقال اعتزل فاني قاعد في منزلي ، أو قال قاعد علي بعيري ، فذهب فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين ، فنادى في الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع في المسجد ، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز ، فقام رجل وعثمان على المنبر فقال : أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤا خائفين فقد جاؤا من بلد يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته ، فأطيعوني ورددوهم من حيث جاؤا ، فقام الأسود بن مريع السعدي فقال : إنما جاؤا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا ، فخصبه الناس ، فلم عثمان بن حنيف أن لقتله عثمان بالبصرة أنصاراً ، فكره ذلك ، وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس ، فتنزلوا المربد من أعلاه قريبا من البصرة ، وخرج إليهم أهل البصرة من أراد أن يكون معها ، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمربد ، فتكلم طلحة - وكان على الميمنة - فندب إلى الأخذ بثأر عثمان ، والطلب بدمه ، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته فرد عليهما ناس من جيش عثمان بن حنيف ، وتكلمت أم المؤمنين فحرضت وحشت على

القتال ، فتناور طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة ، ثم تحاجز الناس ورجع كل فريق إلى حوزته ، وقد صارت طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة ، فكثروا ، وجاء حارثة ابن قدامة السعدي فقال : يا أم المؤمنين ! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجبل عرضة للسلاح ، إن كنت أتيتنا طائفة فارجمي من حيث جئت إلى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مكروهة فاستعيني بالناس في الرجوع وأقبل حكيم بن جبلة - وكان على خيل عثمان بن حنيف - فأنشب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويبتعدون من القتال ، وجعل حكيم يقتحم عليهم فاقتلوا على فم السكة ، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن ، وحجز الليل بينهم ، فلما كان اليوم الثاني قصدوا للقتال ، فاقتلوا قتالا شديدا ، إلى أن زال النهار ، وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف ، وكثرت الجراح في الفريقين ، فلما عضتهم الحرب تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتابا ويبعثوا رسولا إلى أهل المدينة يسأل أهلها ، إن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة ، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها ، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخلوها لهم ، وبعثوا بذلك كعب بن سور القاضي ، قسّم المدينة يوم الجمعة ، فقام في الناس ، فسألهم : هل بايع طلحة والزبير طائعين أو مكرهين ؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد ، فقال : بل كانا مكرهين ، فثار إليه بعض الناس فأرادوا ضربه ، فحاجف دونه صهيب ، وأبو أيوب ، وجماعة حتى خلصوه ، وقالوا له : ما وسعك ما وسعنا من السكوت ؟ فقال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهي إلى هذا ، وكتب علي إلى عثمان بن حنيف يقول له : إنهما لم يكرها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عنر لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرا ونظرنا ، وقدم كعب بن سور على عثمان بكتاب علي ، فقال عثمان : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حنيف أن يخرج إليهما فأبى ، فجمع الرجال في ليلة مظلمة وشهدا بهم صلاة العشاء في المسجد الجامع ، ولم يخرج عثمان بن حنيف تلك الليلة ، فصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، ووقع من رعا الناس من أهل البصرة كلام وضرب ، فقتل منهم نحواً أربعين رجلا ، ودخل الناس على عثمان بن حنيف قصره فأخرجوه إلى طلحة والزبير ، ولم يبق في وجهه شعرة إلا تنفوها ، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلمها الخبر ، فأمرت أن تخلى سبيله ، فأطلقوه وولوا علي بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقسم طلحة والزبير أموال بيت المال في الناس وفضلوا أهل الطاعة ، وأكب عليهم الناس يأخذون أرزاقهم ، وأخذوا الحرص ، واستبدوا في الأمر بالبصرة ، فحى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم ، فركبوا في جيش قريب من ثلثمائة ، ومقدمهم حكيم بن جبلة ، وهو أحد من باشر قتل عثمان ، فبارزوا وقاتلوا ،

فضرب رجل رجل حكيم بن جبلة فقطعها ، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربه فقتله ثم اتكأ عليه وجعل يقول :

يا ساق لن تراعى \* إن لك ذراعى \* أحوى بها كراعى  
وقال أيضاً :

ليس علي أن أموت عار \* والعار في الناس هو الفرار \* والمجد لا يفضحه الدمار  
فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل ، فقال له : من قتلك ؟ فقال له وسادتي . ثم مات حكيم قتيلاً هو ونحوه من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم أهل المدينة ، فضعف جاش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة ، ويقال : إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير ، وندب الزبير ألف فارس يأخذهم معه ويلتقي بها علياً قبل أن يجيء فلم يجبه أحد ، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يبشرونهم بذلك ، وقد كانت هذه الواقعة لحس ليل بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان تدعوه إلى نصرتها والقيام بها فان لم يجيء فليكف يده وليسلم منزله ، أي لا يكون عليها ولا لها ، فقال : أنا في نصرتك ما دمت في منزلك ، وأبي أن يطيعها في ذلك ، وقال : رحم الله أم المؤمنين أمرها الله أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التي كانت هي أحق بذلك منا ، وكتبت عائشة إلى أهل العمارة والكوفة يمثل ذلك .

### مسير علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة بدلاً من الشام

بعد أن كان قد تجهز قاصداً الشام كما ذكرنا ، فلما بلغه قصد طلحة والزبير البصرة ، خطب الناس وحثهم على المسير إلى البصرة ليمزج أولئك من دخولها ، إن أمكن ، أو يطردم عنها إن كانوا قد دخلوها ، فتناقل عنها أكثر أهل المدينة ، واستجاب له بعضهم ، قال الشعبي : ما نهض معه في هذا الأمر غير ستة نفر من البدرين ، ليس لهم سبع . وقال غيره أربعة . وذكر ابن جرير وغيره قال كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان ، وأبو قتادة الأنصاري ، وزيد بن حنظلة ، وخزيمة بن ثابت . قالوا : وليس بذى الشهادتين ، ذاك مات في زمن عثمان رضي الله عنه . وسار على من المدينة نحو البصرة على تعبته المتقدم ذكرها ، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وخرج علي من المدينة في نحو من تسعمائة مقاتل ، وقد لقي عبد الله بن سلام رضي الله عنه علياً وهو بالبندة ، فأخذ بعنان فرسه وقال : يا أمير المؤمنين لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فسبه بعض الناس ، فقال علي : دعوه فنعهم الرجل من أصحاب النبي (ص) ، وجاء الحسن بن علي إلى أبيه في الطريق فقال : لقد نهيتك فعصيتني تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك . فقال له علي : إنك لا تزال

نحن على حنين الجارية ، وما الذي نهيتني عنه فصيتك ؟ فقال : ألم أمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لتلا يقتل وأنت بها ، فيقول قائل أو يتحدث متحدث ؟ ألم أمرك أن لاتبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر يبيعهم ؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فصيتني في ذلك كله ؟ فقال له علي : أماقولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به ، وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الامصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر ، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه . فتريد مني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ، ويقال ليست هاهنا ، حتى يشق عرقوبها فتخرج ، فاذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعينني ، فمن ينظر فيه ؟ فكف عني يا بني ، ولما انتبهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذي قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر ، إني قد اخترتكم على أهل الأمصار ، فرغبت إليكم وفرغت لما حدث ، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا ، وانهمضوا إلينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا ، ففضيا ، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب ، وقام في الناس خطيبا فقال : إن الله أعزنا بالاسلام ورفعنا به ، وجعلنا به إخوانا ، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ماشاء الله ، الاسلام دينهم ، والحق قائم بينهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان ليزغ بين هذه الامة ، ألا وإن هذه الامة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فمرد بالله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانية فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعملى ، وقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم ، واهتدوا بهدي فانه هدى نبيكم ، واتبعوا سنته ، وأعرضوا عما أشكل عليكم ، حتى تعرضوه على الكتاب ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله ربا ، وبالاسلام ديننا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن حكما وإماما . قال فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن أبي رفاع بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين أى شئ تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذى نريد وتنوى فالاصلاح ، إن قبلوا منا وأجابوا إليه ، قال : فان لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بغدرهم ونعطهم الحق ونصبر . قال : فان لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فان لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعلم إذا . فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصارى فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول ، والله لينصرني الله كما سمانا أنصارا . قال : وأنت جماعة من طيء وعلى بالربذة ، فقبل له : هؤلاء جماعة جاؤا من طيء منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك ، فقال : جزى الله كلا خيرا ( وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً ) قالوا : فسار على من الربذة على تعبثته وهو راكب ناقه حمراء يقود فرسا كيتا فلما كان يفيد جاءه جماعة من أسد

وطي ، فرضوا أنفسهم عليه فقال : فيمن معي كفاية ، وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشيباني ، فقال له علي : ما وراءك ؟ فأخبره الخبر ، فسأله عن أبي موسى فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه ، فقال علي : والله ما أريد إلا الصلح من نمرد علينا . وسار ، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته ، من قتل ومن إخراج عثمان بن حنيف من البصرة ، وأخذهم أموال بيت المال ، جعل يقول : اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير ، فلما انتهى إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف مهتما ، وليس في وجهه شعرة فقال : يا أمير المؤمنين بعثني إلى البصرة وأنا ذولحية ، وقد جئتكم أمرداً ، فقال : أصبت خيراً وأجراً . وقال عن طلحة والزبير : اللهم احمل ما عقدا ، ولا تبرم ما أحكما في أنفسهما ، وأرهما المساء فيما قد عملا - يعني في هذا الأمر - وأقام علي بندي قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفر - وكانا قد قدما بكتابه علي بن موسى وقاما في الناس بأمره - فلم يجابا في شيء ، فلما أمسا دخل أناس من ذوى الحجى علي بن موسى يعرضون عليه الطاعة لعلي ، فقال : كان هذا بالأمر فغضب محمد ومحمد فقالا له قولاً غليظاً : فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بدمي قتال فلا تقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ومن كانوا ، فانطلقا إلى علي فأخبراه الخبر ، وهو بندي قار ، فقال للأشتر : أنت صاحب أبي موسى والمعرض في كل شيء فاذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت ، فخرجا فقدموا الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من الكوفة فقام في الناس فقال : أيها الناس ، إن أصحاب محمد من الذين محبوبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً وأنا مؤد إليكم نصيحة ، كان الرأي أن لا تستخفوا بسلطان الله وإن لا تجترؤوا على أمره ، وهذه فتنة النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعي فانعدوا السيوف وانصلوا الأسمنة ، واقطعوا الأوتار ، وأووا المضطهد والمظلوم حتى يلتئم هذا الأمر ، وتتجلى هذه الفتنة ، فرجع ابن عباس والأشتر إلى علي فأخبراه الخبر ، فأرسل الحسن وعمار بن ياسر ، وقال لعمار : انطلق فأصلح ما أفسدت ، فانطلقا حتى دخلا المسجد فكان أول من سلم عليهما مسروق بن الأجدع ، فقال لعمار : علام قتلتم عثمان ؟ فقال : علي شتم أعراضنا وضرب أبقارنا ، فقال : والله ما عاقبتكم بمثل ما عوقبتكم به ، ولو صبرتم لكان خيراً للصابرين . قال : وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن علي فضمه إليه ، وقال لعمار : يا أبا اليقظان أعدوت علي أمير المؤمنين عثمان قتلته ؟ فقال : لم أفعل ، ولم يسؤني ذلك ، فقطع عليهما الحسن بن علي فقال لأبي موسى : لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف علي شيء ، فقال : صدقت

بأبي وامي ، ولكن المستشار مؤتمن ، سمعت من النبي (ص) يقول « إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » وقد جعلنا الله إخوانا وحرماً علينا دماءنا وأموالنا ، فغضب عمار وسبه ، وقال : يا أيها الناس ، إنما قال له رسول الله (ص) ، وحده أنت فيها قاعداً خير منك قائماً ، فغضب رجل من بني تميم لأبي موسى ونال من عمار ، ونار آخرون . وجعل أبو موسى يكتفكف الناس ، وكثر اللفظ ، وارتفعت الأصوات ، وقال أبو موسى أيها الناس ، أطيعوني وكونوا خير قوم من خير أمم العرب ، يا أباي إليهم المظلوم ، ويأمن فيهم الخائف ، وإن الفتنة إذا أقبلت شبهت ، وإذا أدبرت تبينت ثم أمر الناس بكف أيديهم ولزوم بيوتهم ، فقام زيد بن صوحان فقال : أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، سيروا إليه أجمعون ، فقام القعقاع بن عمرو فقال : إن الحق ما قاله الأمير ، ولكن لا بد للناس من أمير يردع الظالم ويمد يد المظلوم ، وينتظم به شمل الناس ، وأمير المؤمنين على ملي بما ولي ، وقد أنصف بالدعاء ، وإنما يريد الإصلاح ، فأنفروا إليه ، وقام عبد خير فقال : الناس أربع فرق ، على بمن معه في ظاهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة بالحجاز لا تقابل ولا تغنا بها ، فقال أبو موسى : أولئك خير الفرق ، وهذه فتنة . ثم ترأس الناس في الكلام ثم قام عمار والحسن بن علي في الناس على المنبر يدعوان الناس إلى النفي إلى أمير المؤمنين ، فانه إنما يريد الإصلاح بين الناس ، وسمع عمار رجلاً يسب عائشة فقال : اسكت مقبوحاً منبوحاً ، والله إنها لزوجة رسول الله (ص) في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها ، رواد البخاري وقام حجر بن عدى فقال : أيها الناس ، سيروا إلى أمير المؤمنين ، [أنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون] وجعل الناس كلما قام رجل فخرض الناس على النفي يثبطهم أبو موسى من فوق المنبر ، وعمار واحسن معه على المنبر حتى قال له الحسن بن علي : ويحك ! اعترلنا لأمر لك ، ودع منبرنا ، ويقال إن علياً بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجته من المدينة إلى الأمانة من تلك الليلة ، واستجاب الناس للنفي فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البر وفي دحل ، ويقال سار معه اثني عشر ألف رجل ورجل واحد ، وقدموا على أمير المؤمنين فلقاهم بندي قار إلى أثناء الطريق في جماعة ، منهم ابن عباس فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفة ! أنتم لتيتم ملوك المحم ففضضتم جموعهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فان يرجعوا فذاك الذي نريده ، وإن أبوا داوينا بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم ، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرنا على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى . فاجتمعوا عند بندي قار ، وكان من المشهورين من رؤساء من الضاف إلى علي ، القعقاع بن عمرو ، وسعد بن مالك ، وهند بن عمرو ، والحيثم بن شهاب ، وزيد بن صوحان .

والأشتر، وعدى بن حاتم، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس، وحجر بن عدى وأمثالهم، وكانت عبد القيس بكاملها بين علي وبين البصرة ينتظرونه وهم ألوف، فبعث علي القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهم إلى الألفة والجماعة، ويمظم عليهما الفرقة والاختلاف، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقال: أي أماء! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أي بني! الإصلاح بين الناس، فسألنا أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت إنما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك قال: فأخبرني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن، قالا: قتلة عثمان، فان هذا إن ترك كان تركا للقرآن، فقال: قتلنا قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فان تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلو عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير، اقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله، فعلى أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أخرج قتل عثمان إلى أن يتمكن منهم، فان الكامة في جميع الأمصار مختلفة، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع. فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فاذا سكن اختلجوا، فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة، وإدراك النار، وإني أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واثقنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وإيم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوك إليه، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فان هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة. فقالوا: قد أصبت وأحسن فارجع، فان قدم علي وهو علي مثل رأيك صلح الأمر، قال: فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، وفرح هؤلاء وهؤلاء، وقام علي في الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الاسلام وسعادة أهلها بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه (س)، علي الخليفة أبي بكر الصديق، ثم بعده علي عمر بن الخطاب، ثم علي عثمان ثم حدث هذا

الحديث الذي جرى على الأمة ، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التي من الله بها ، وأرادوا رد الاسلام والأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره . ثم قال : ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا ، ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشئ من أمور الناس . فلما قال هذا اجتمع من رؤسهم جماعة كالأشتر النخعي ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وسالم بن ثعلبة ، وغلاب بن الهيثم ، وغيرهم في ألفين وخمسمائة ، وليس فيهم صحابي والله الحمد ، فقالوا : ما هذا ، الرأي وعلى والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك ، وقد قال ما سمعتم ، غدا يجمع عليكم الناس ، وإنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم وعددكم قليل في كثيرهم ؟ فقال الأشتر : قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا ، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم ، فان كان قد اصطلح معهم فانما اصطلحوا على دماننا ، فان كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان ، فرضى القوم منا بالسكوت ، فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ، لو قتلناه قتلنا ، فانا يامعشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف ، لاطاقة لكم بهم ، وهم إنما يريدونكم ، فقال غلاب بن الهيثم دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها ، فقال ابن السوداء : بئس ما قلت ، إذا والله كان يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء قبحه الله : يا قوم إن غيركم في خلطة لناس فاذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجحد بدأ من أن يمتنع ، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون ، ويأتيتهم ما يكرهون ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه ، وأصبح على مرتحلا ومر بعبد القيس فسارو من معه حتى نزلوا بالزاوية ، وسار منها يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه ، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد ، ونزل الناس كل في ناحية . وقد سبق على جيشه وهم ينلاحقون به ، فكثروا ثلاثة أيام والرسل بينهم ، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، فأشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة ، من قتلة عثمان ، فقالوا : إن عليا أشار بتسكين هذا الأمر ، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك ، وقام على في الناس خطيباً ، فقام إليه الأعور بن نيار المنقري ، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة ، فقال : الإصلاح وإطفاء النائرة ليجتمع الناس على الخير ، ويلتئم شمل هذه الأمة ، قال : فان لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال فان لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا ، قال : نعم ! وقام إليه أبو سلام الدالاني فقال هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله في ذلك ؟ قال : نعم ! قال : فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك ؟ قال : نعم ! قال فما حالنا وحالم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الله الجنة ، وقال في خطبته : أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم



والسنتكم ، وإياكم أن يسبقونا غداً ، فان المحصوم غداً محصوم اليوم وجاء في غبون ذلك الأحنف بن قيس في جماعة فانضاف إلى علي - وكان قد منع حرقوص بن زهير من طلحة والزبير وكان قد بايع علياً بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير : إن قتل عثمان من أبييغ ؟ فقالوا بايغ علياً فلما قتل عثمان بايغ علياً قال : ثم رجعت إلى قومي فجاءني بعد ذلك ما هو أفضح ، حتى قال الناس هذه عائشة جاءت لتأخذ بدم عثمان ، فخرت في أمرى لمن أتبع ، فمنعني الله بحديث سمعته من أبي بكر قال : قال رسول الله (ص) ، وقد بلغه أن الفرس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى فقال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وأصل هذا الحديث في صحيح البخارى ، والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف قوس ، فقال لعلى : إن شئت قاتلت معك ، وإن شئت كفتت عنك عشرة آلاف سيف ، فقال : اكف عنا عشرة آلاف سيف ، ثم بعث على إلى طلحة والزبير يقول : إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر ، فأرسلا إليه في جواب رسالته : إنا على ما فارقتنا القعقاع بن عمرو ومن الصلح بين الناس ، فاطمأنت النفوس وسكنت ، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين ، فلما أمسوا بعث على عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجاد وبات الناس بخير ليلة ، وبات قتلة عثمان بشر ليلة ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الفليس ، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفى رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهاجموا عليهم بالسيوف ، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم ، وقام الناس من منامهم إلى السلاح ، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلاً ، وبيتونا وغدروا بنا ، وظنوا أن هذا عن ملامن أصحاب علي فبلغ الأمر علياً فقال : ماللناس ؟ فقالوا ، بيتنا أهل البصرة ، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا الألة وركبوا الخيول ، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر ، وكان أمر الله فدرا مقدورا وقامت الحرب على ساق وقدم ، وتبارز الفرسان ، وجالت الشجعان ، فنشبت الحرب ، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفاً ، والتف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبجه الله لا يقترون عن القتل ، ومنادى على ينادى : ألا كفوا ألا كفوا ، فلا يسمع أحد ، وجاء كعب بن سوار قاضى البصرة فقال : يا أم المؤمنين أدركى الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس ، فجلست في هودجها فوق بعيرها وسترها الهودج بالدروع ، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم ، فتصارلوا وتجاولوا ، وكان في جملة من تبارز الزبير وعمار ، فجعل عمار ينخره بالرمح والزبير كاف عنه ، ويقول له ، أتقتلنى يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله ، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله (ص) : « تقتلك الفئة الباغية » وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه ، فلماذا كف عنه ، وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذف على

جريح ، ولا يتبع مدير ، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدا ، حتى جعل على يقول لابنه الحسن : يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم يعشرين عاما فقال له : يا أبت قد كنت أنهارك عن هذا . قال سعيد بن أبي عميرة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال : قال علي يوم الجمل : يا حسر ليت أباك مات منذ عشرين سنة ، فقال له : يا أبة قد كنت أنهارك عن هذا ، قال : يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا . وقال مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبي بكرة : لما اشتد القتال يوم الجمل ، ورأى علي الرأس تنذر أخذ علي ابنه الحسن فضمه إلى صدره ثم قال : إنا لله يا حسن أي خير يرجى بعد هذا ؟ فلما ركب الجيشان وترآى الجمعان وطلب علي طلحة والزبير ليكاهما ، فاجتمعوا حتى التفت أعناق خيولهم ، فيقال إنه قال لها : إني أرا كما قد جمعتا خيلا ورجالا وعددا ، فهل أعدتما عنرا يوم القيامة ؟ فأتيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، ألم أكن حاكما في دمكا نحرمان دمي وأحرم دمكا ، فهل من حديث أحل لكما دمي ؟ فقال طلحة : آليت علي عثمان . فقال علي [ يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ] ، ثم قال : لمن الله قتلة عثمان ، ثم قال : يا طلحة أأجنت بمرس رسول الله (س) ، تقاتل بها ، وخبأت عرسك في البيت ؟ أما بايعتني ؟ قال : بايعتك والسيوف علي عنقي . وقال للزبير : ما أخرجك ؟ قال : أنت ، ولا أراك بهذا الأمر أولى به مني . فقال له علي : أما تذكر يوم مررت مع رسول الله (س) ، في بني غنم فنظر إلى وضحك وضحكت إليه ، فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك رسول الله (س) : « إنه ليس بمتبرد لتقاتلته وأنت ظالم له » ؟ فقال الزبير : اللهم نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا ، ووالله لا أقاتلك . وفي هذا السياق كله نظر ، والمحفوظ منه الحديث ، فقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فقال : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدورى حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى عن جده عبد الملك عن أبي حزم المازنى . قال : شهدت عليا والزبير حين تواقفا ، فقال له علي : يا زبير انشدك الله أسمعك رسول الله (س) ، يقول : « إنك تقاتلنى وأنت ظالم » ؟ قال : نعم ، لم أذكره إلا فى موقفى هذا ، ثم انصرف . وقد رواه البيهقى عن الحاكم عن أبي الوليد القتيبة عن الحسن بن سفيان عن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى عن جده عن أبي حزم المازنى عن علي والزبير به . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن قتادة قال : لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ عليا فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولى ، وذلك أن رسول الله (س) لقيهما فى سقيفة بني ساعدة فقال : « أتجبه يا زبير ؟ فقال : وما بمنعنى ؟ قال : فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ قال : فيرون أنه إنما ولى لملك . قال البيهقى : وهذا مرسل وقدروى موصولا من وجه آخر أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن القاضى أنا أبو عاصم بن مطر أنا أبو العباس عبد الله بن

محمد بن سوار الهاشمي الكوفي أنا منجاب بن الحارث ثنا عبد الله بن الأجلح ثنا أبي عن مرقد  
الفتية عن أبيه . قال : وسمعت فضل بن فضالة يحدث عن حرب بن أبي الأسود الدؤلي - دخل  
حديث أحدهما في حديث صاحبه - قال : لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ، ودنت الصفوف  
بعضها من بعض ، خرج علي وهو علي بقله (رسول الله ص) ، فنادى : ادعوا لي الزبير بن العوام فاني  
علي ، فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما ، فقال علي : يا زبير انشدتك الله ، أتذكر  
يوم مرت بك رسول الله ص) ، ونحن في مكان كذا وكذا ، فقال : « يا زبير ألا تحب علياً ؟ قلت :  
ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلي ديني ؟ فقال يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟ » فقال  
الزبير : بلى والله لقد نسيت من سمعته من رسول الله ص) ، ثم ذكرته الآن ، والله لا أتلك .  
فرجع الزبير علي دابته يشق الصفوف ، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير ، فقال : مالك ؟ فقال :  
ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول الله ص) ، سمعته يقول : « لتقاتلنه وأنت ظالم له » فقال :  
أوللقتال جنت ؟ إنما جنت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر ، قال : قد حلفت أن لا  
أقاتله ، قال : اعتق غلامك سرجس وقف حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما  
اختلف أمر النار ذهب علي فرسه ، قالوا : فرجع الزبير إلى عائشة فذكر أنه قد آلى أن لا يقاتل  
علياً ، فقال له ابنه عبد الله : إنك جمعت الناس ، فلما ترى بعضهم لبعض خرجت من بينهم ، كفر  
عن يمينك واحضر . فأعتق غلاماً ، وقيل غلامه سرجس . وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لما رأى  
عماراً مع علي وقد سمع رسول الله ص) ، يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فخشي أن يقتل عمار في  
هذا اليوم .

وعندي أن الحديث الذي أوردناه إن كان صحيحاً عنه فما رجعه سواه ، ويبعد أن يكفر عن  
يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي والله أعلم .

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم أجل سارقنزل وادياً يقال له وادي السباع ، فاتبه رجل  
يقال له عمرو بن جرموز ، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة كما سنذكر تفضيله . وأما طلحة فجاءه في المعركة  
سهم غرب يقال رماه به مروان بن الحكم فأنه أعلم ، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول :  
إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، فاتبه مولى له فأمسكها ، فقال له : ويحك ! اعد لي إلى البيوت ،  
وامتلاً خفه دماً فقال لغلامه : اردفني ، وذلك أنه نزفه الدم وضعف ، فركب وراءه وجاء به إلى بيت  
في البصرة فمات فيه ، رضى الله عنه .

وتقدمت عائشة رضى الله عنها في هودجها ، وناولت كعب بن سوار قاضي البصرة مصحفاً وقالت :  
دعهم إليه - وذلك أنه حين اشتد الحرب وحى القتال ، ورجع الزبير ، وقتل طلحة رضى الله عنهما -

فلما تقدم كعب بن سوار بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين ، وكان عبد الله بن سبأ - وهو ابن السوداء - وأتباعه بين يدي الجيش ، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة ، لا يتوقفون في أحد ، فلما رأوا كعب بن سوار رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد قتلوه ، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فجمعت تنادى : الله الله يا بني اذكروا يوم الحساب ورفضت يديها تدعو على أولئك النفر من قلة عثمان ، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى علي قال : ما هذا ؟ فقالوا : أم المؤمنين تدعو على قلة عثمان وأشياءهم . قال : اللهم العن قلة عثمان ، وجعل أولئك النفر لا يلقون عن رشق هودجها بالنبال حتى تبقى مثل القنفذ ، وجعلت تحرض الناس على منهم وكفهم ، فحملت معه الحفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب ، قال لابنه محمد بن الحنفية : ويحك ! تقدم بالراية ، فلم يستطع ، فأخذها علي من يده فتقدم بها ، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي ، فتارة لأهل البصرة ، وتارة لأهل الكوفة ، وقتل خلق كثير ، وجم غفير ، ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة ، وجعلت عائشة تحرض الناس على أولئك النفر من قلة عثمان ، ونظرت عن يمينها فقالت : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : نحن بكر بن وائل ، فقالت : لكم يقول القائل :

وجاؤا إلينا بالحديد كأنهم • من الغرة القعساء بكر بن وائل

ثم لجأ إليها بنو ناجية ثم بنو ضبة فقتل عنده منهم خلق كثير ، ويقال إنه قطعت يد سبعين رجلاً وهي آخذة بمخاطم الجمل فلما انحنوا تقدم بنو عدي بن عبد مناف فقاتلوا قتالاً شديداً ، ورفعوا رأس الجمل ، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا : لا يزال الحرب قائماً مادام هذا الجمل واقفاً ، ورأس الجمل في يد عمرة بن يثرب ، وقيل أخوه عمرو بن يثرب ثم صمد عليه علباء بن المهيم وكان من الشجعان المذكورين ، فتقدم إليه عمرو الجملى فقتله ابن يثرب وقتل زيد بن صوحان ، وأرنت صمصمة ابن صوحان فدعا عمار إلى البراز فبرز له ، فتجاولا بين الصفين - وعمار ابن تسعين سناً عليه فروة قد ربط وسطه بجبل ليف - فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون الآن يلحق عماراً بأصحابه ، فضربه ابن يثرب بالسيف فأتاه عمار بدرقته ففص فيها السيف ونشب ، وضر به عمار فقطع رجله وأخذ أسيراً إلى بين يدي علي قال : استبقني يا أمير المؤمنين ، فقال : أبعد ثلاثة تقتلهم ؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بعده بيد رجل كان قد استنابه فيه من بني عدي فبرز إليه ربيعة العقيلي فتجاولا حتى قتل كل واحد صاحبه وأخذ الزمام الحارث الضبي فما رأى أشد منه وجعل يقول :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل • نبارز القرن إذا القرن نزل

نسى ابن عفان بأطراف الأمل • الموت أحلى عندنا من العسل

• ردوا علينا شيخنا ثم بجمل •

وقيل إن هذه الأبيات لوسيم بن عمرو الضبي . فكلما قتل واحد من بمك الجمل يقوم غيره حتى قتل منهم أربعون رجلاً قالت عائشة : ما زال جملي معتدلاً حتى قعدت أصوات بني ضبة ثم أخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش وكل واحد يقتل بعد صاحبه ، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسجاد قتال لعائشة مريني بأمرك يا أمه . فقالت : أمرك أن تكون كخير ابني آدم فامتنع أن ينصرف وثبت في مكانه وجمل يقول حم لا ينصرون ، فتقدم إليه نفر فحملوا عليه فقتلوه وصار لكل واحد منهم بعد ذلك يدعى ، قتله وقد طعنه بعضهم بحربة فأنفذه وقال :

وأشعث قوام آيات ربه • قليل الأذى فيما ترى العبد مسلم  
هتكت له بالرمح جيب قبضه • نخر صريعاً لليدين وللنم  
يناشدني حم والرمح شاجراً • فهلا تلا حم قبل التقدم  
على غير شيء غير أن ليس تابعاً • علياً ومن لا يتبع الحق يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجمل لا يدنونه أحد إلا حطه بالسيف فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزدى وهو يقول :

يا أمنا يا خير أم نعلم • أما ترين كم شجاع يكلم • وتجتلي هامة والمعصم  
واختلفا ضربتين فقتل كل واحد صاحبه ، وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة ، فكان لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف ، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك ، وقد فقا بعضهم عين عدى بن حاتم ذلك اليوم ، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فأخذ بخطام الجمل وهو لا ينكلم فقيل لعائشة إنه ابنك ابن أختك فقالت : وائسكل أسماء ! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقنتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضر به عبد الله ضربة خفيفة ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يتركان فجمل عبد الله بن الزبير يقول :

اقتلوني ومالكاً • واقتلوا مالكاً معي

فجمل الناس لا يعرفون مالكاً من هو وإنما هو معروف بالأشتر فحمل أصحاب علي وعائشة فخلصوه وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحة سبباً وثلاثين جراحة ، وجرح مروان بن الحكم أيضاً ، ثم جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فقره وسقط إلى الأرض ، فسمع له عجيج ما سمع أشد ولا أنفد منه ، وآخر من كان الزمام بيده زفر بن الحارث فقر الجمل وهو في يده ، ويقال إنه اتفق وهو وبجير بن دلجة على عقره ، ويقال إن الذي أشار بمقر الجمل على ، وقيل القعقاع بن عمرو لثلاث تصاب أم للؤمنين ، فأنها بقيت غرضاً للرملة ، ومن بمك بالزمام برجاساً للرماح ، ولينفضل هذا الموقف الذي

قد تفانى فيه الناس ولما سقط البعير إلى الارض اهزم من حوله من الناس ، وحمل هودج عائشة وانه  
لكالنفذ من السهام ، ونادى منادى على في الناس : إنه لا يتبع مدبر ولا يذف على جريح ، ولا  
يدخلوا الدور ، وأمر على فترأ أن يحملوا الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن أبي بكر وعماراً أن  
يضربا عليها قبة ، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شيء من الجراح ؟ فقالت : لا ! وما  
أنت ذاك يا ابن الخثعمية . وسلم عليها عمار فقال : كيف أنت يا أم ؟ فقالت : انت لك بأم . قال :  
بلى ! وإن كرهت ، وجاء إليها على بن أبي طالب أمير المؤمنين مسلماً فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت :  
بخير فقال : يفر الله لك . وجاء وجود الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين رضى الله  
عنها ، ويقال إن أعين بن ذبيعة المجاشعي اطعم في الهودج فقالت : إليك لعنك الله ، فقال : والله  
ما أرى إلا حميراً ، فقالت : هتك الله سترك وقطع يدك وأبدي عورتك . فقتل بالبصرة وسلب  
وقطعت يده ورمى عريانياً في خربة من خرابات الأزدي . فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة -  
ومعها أخوها محمد بن أبي بكر - فترأت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي - وهي أعظم دار بالبصرة -  
على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وهي أم طلحة  
الطلحات عبد الله بن خلف ، وتسلسل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة ، وقد طاف على بين  
القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ويقول : يعز على أن أرى قریشاً صرعى . وقد مر على  
ماذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال : لهفى عليك يا أبا محمد ، إنا لله وإنا إليه راجعون  
والله لقد كنت كما قال الشاعر :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه \* إذا ما هو استغنى ويبعده العقر

وأقام على بظاهر البصرة ثلاثاً ثم صلى على القتلى من الفريقين ، وخص قریشاً بفضلة من بينهم ،  
ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة ، فمن عرف شيئاً هو  
لأهلهم فليأخذه ، إلا سلاحاً كان في الخزان عليه سمحة السلطان . وكان مجموع من قتل يوم الجمل من  
الفريقين عشرة آلاف ، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله ورضى عن الصحابة منهم .  
وقد سأل بعض أصحاب على علياً أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير ، فأبى عليهم فظعن فيه  
السبائية وقالوا : كيف يحمل لنا دماؤهم ولا تحمل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً فقال : أيكم يجب أن  
تصير أم المؤمنين في سهمه ؟ فسكت القوم ، ولهذا لما دخل البصرة فض في أصحابه أموال بيت  
المال ، فقال كل رجل منهم خمسمائة ، وقال : لكم مثلها من السلم ، فتكلم فيه السبائية أيضاً ونالوا  
منه من وراء وراء .

BBB

## فَضْلُكَ

ولما فرغ دلي من أمر الجمل أتاه وجوه الناس يملون عليه ، فكان ممن جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد - وكانوا قد اعتزلوا القتال - فقال له علي : تربعت - يعني بنا - فقال : ما كنت أراي إلا قد أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارتقى فان طريقك الذي سلكت بعيد ، وأنت إلى غداً أحوج منك أمس ، فأعرف إحسانى ، واستبق مودتى لئلا ، ولا تقل مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحاً . قالوا : ثم دخل علي البصرة يوم الاثنين فبايحه أهلها على رايهم ، حتى الجرحى والمستأمنة . وجاءه عبد الرحمن بن أبي بكره الثقفي فبايحه فقال له علي : أين المريض ؟ - يعني أباه - فقال : إنه والله مريض يا أمير المؤمنين ، وإنه علي ميرتك لمريض . فقال : امش أمامي ، فمضى إليه فعاده ، واعتذر إليه أبو بكره فعذره ، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس ، وأشار عليه ببن عباس فولاه علي البصرة ، وجعل معه زياد بن أبيه علي الخراج وبيت اللال ، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد - وكان زياد متزلاً - ثم جاء علي إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة ، فاستأذن ودخل فسلم عليها ورحبت به ، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين علي من قتل ، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف ، فبهد الله قتل مع عائشة ، وعثمان قتل مع علي ، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله ، أم طلحة الطلحات : أيتيم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي ، فلم يرد عليها علي شيئاً ، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع ؟ فقال : ويحك ! إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات ، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات ؟ فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن علي الباب رجلين بنلان من عائشة ، فأمر علي القمقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة وأن يخرجهما من ثيابهما ، وقد سألت عائشة عن قتل معها من المسلمين ومن قتل من عسكر علي ، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترحمت عليه ودعت له ، ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك ، وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المروقات ، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في المودج فودعت الناس ودعت لهم ، وقالت : يا بني لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القسم إلا ما يكون بين المرأة وأحماتها ، وإنه علي معتبتي من الأخيار . فقال علي : صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها تزوجة نبيكم من . في الدنيا والآخرة . وسار علي معها

ودعاً ومشيماً أميالا ، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم - وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين - وقصفت في سيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضى الله عنها .

وأما مروان بن الحكم فإنه لما فرغ استجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له ، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكا ويشرفونه ، ويقال إنه نزل دار بني خلف فلما خرجت عائشة خرج معها ، فلما سارت هي إلى مكة سار إلى المدينة قالوا : وقد علم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة يوم الوقعة ، وذلك مما كانت النسور تخطفه من الأيدي والأقدام فيسقط منها هنالك ، حتى أن أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس ، وذلك أن نسراً مر بهم ومعه شيء فسقط فاذا هو كف في يد خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب .

هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن ، وليس فيما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلفة على الصحابة والأخبار الموضوعه التي ينقلونها بما فيها ، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ، فحق حينئذ نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين .

### فضيلة الجمل

في ذكر أعيان من قتل يوم الجمل من السادة النجباء من الصحابة وغيرهم من الفريقين رضى الله عنهم أجمعين ، وقد قدمنا أن عدة القتلى نحو من عشرة آلاف ، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة فمن قتل يوم الجمل في المعركة

### طلحة بن عبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيمي ، ويعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض لكرهه وكثرة جوده أسلم قديماً على يدى أبي بكر الصديق ، فكان نوفل بن خويلد بن العديبة يشدهما في جبل واحد ، ولا تستطيع بنو تميم أن تمنعهما منه ، فلذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر القريران ، وقد هاجر وأخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين أبي أيوب الأنصاري ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا بدرأ - فإنه كان بالشام لتجارة - وقيل في رسالة ، ولهذا ضرب له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسهم - وأجره من بدر ، وكانت له يوم أحد اليد البيضاء وشلت يده يوم أحد ، وبقى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستمرت كذلك إلى أن مات ، وكان الصديق إذا حدث عن يده أحد يقول : ذلك يوم كان كله لطلحة ، وقد



قال له رسول الله (س)، يومئذ: «أوجب طلحة» وذلك أنه كان على رسول الله (س)، درعان فأراد أن ينفض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع، فطأطأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها، وقال: «أوجب طلحة» وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد صحب رسول الله (س)، فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض، وكذلك أبو بكر وعمر، فلما كان قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بهض الناس إلى تحامل فيه، فلهذا لما حضر يوم الجمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول: إلى عباد الله، فأدركه. وولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال إنه مات بالمعركة، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال: رحمة الله عليك أبا محمد، يمز علياً أن أراك مجدولاً تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عجمي وبجمي، والله لو ددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. ويقال إن الذي رماد بهذا السهم مروان بن الحكم، وقال لأبان بن عثمان: قد كفيتك رجلاً من قتلة عثمان، وقد قيل إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقرب، وإن كان الأول مشهوراً، الله أعلم.

وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ودفن طلحة إلى جانب الكلا وكان عمره ستين سنة، وقيل بضاً وستين سنة، وكان آدم، وقيل أبيض، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب وكانت غلته في كل يوم ألف درهم.

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبيه أن رجلاً رأى طلحة في منامه وهو يقول: حولوني عن قبري فقد أذاني الماء، ثلاث ليال، فأتى ابن عباس فأخبره. وكان نائباً على البصرة. فاشترى له داراً بالبصرة بعشرة آلاف درهم فحوله من قبره إليها، فإذا قد أخضر من جسده ما يلي الماء، وإذا هو كهيفته يوم أصيب، وقد وردت له فضائل كثيرة. فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي عاصم: حدثنا الحسن بن علي بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طه بن عبيد الله حدثني أبي عن جده عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: سماني رسول الله (س)، يوم أحد طلحة الخبير، ويوم العسرة طلحة الفياض. ويوم حنين طلحة الجود، وقال أبو يعلى الموصلي ثنا أبو كريب ثنا بونس عن ابن بكر عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله (س). قالوا لأعرابي جاء يسأل عن قضى نجبه فقالوا: سل رسول الله (س)، فسأله في المسجد فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم اطلمت من لبب المسجد وعلى ثياب خضر فقال رسول الله (س): «أين السائل؟» قال ها أنا ذا فقال: «هذا من قضى نجبه» وقال أبو القاسم البغوي: ثنا داود بن رشيد ثنا مكي ثنا علي

ابن إبراهيم ثنا الصلت بن دينار عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص): «من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجله فليتنظر إلى طلحة بن عبيد الله» وقال الترمذي: حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العنزى - اسمه النضر - ثنا عتبة بن علقمة اليشكري سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت أذناني رسول الله (ص) يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنة» وقد روى من غير وجه عن علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلى رضي الله عنهم فجعل سعد ينهأ ويقول: لا تقع في إخواني فأبى فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة. فخرج الرجل فاذا يبختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك.

### والزبير بن العوام بن خويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن اؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله (ص). أسلم قديماً وعمره خمس عشرة سنة، وقيل أقل وقيل أكثرها. جر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فأخى رسول الله (ص) بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش، وقد شهد المشاهد كلها وقد قال رسول الله (ص): «يوم الأحزاب» من يأتينا بخبر القوم؟ فقال: أنا، ثم نذب الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال رسول الله (ص): «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير» ثبت ذلك من رواية زر عن علي، وثبت عن الزبير أنه قال: «جمع لي رسول الله (ص) أبويه يوم بني قريظة» وروى أنه أول من سل سيفاً في سبيل الله، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أن رسول الله قد قتل فجاء شاهرأ سيفه حتى رأى رسول الله (ص) فشم سيفه، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله (ص) وهو عنهم راض، وصحب الصديق فأحد - صحبته، وكان ختنه على ابنته أسماء بنت الصديق، وأبنة عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العليا، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم، وكان من جملة من دافع عن عثمان وحاجف عنه، فلما كان يوم الجمل ذكره علي بما ذكره به فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة، فر بقوم الأحنف بن قيس - وكانوا قد انزلوا عن الفريقين - فقال قائل يقال له الأحنف: ما بال هذا جمع بين الناس

حتى إذا التقوا كراجعاً إلى بيته؟ من رجل يكشف لنا خبره؟ فاتبه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة فقال: ادن! فقال مولى الزبير، واسمه عطية - إن معه سلاحاً فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدته وكان وقت الصلاة فقال له الزبير: الصلاة فقال: الصلاة فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله ويقال بل أدركه عمرو بوادي قال له وادي السباع وهو نائم في القائلة فهجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثته نصيباً محكمة المعنى فقالت:

غدرَ ابنِ جرموزَ بفارسِ بهمةٍ • يومَ اللقاءِ وكانَ غرّاً معدٍ  
يا عمرو لو نهته لوجدته • لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد  
تكلتك أمك أن ظفرت بمنه • ممن بقي بمن يروح ويفتدي  
كم غمرة قد خاضها لم يشتهر • عنها طرادك يا ابن ققع العرد  
والله ربي إن قتلت مسلماً • حلت عليك عقوبة المتعمد

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى علي ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: لا تأذنوا له وبشروه بالنار، وفي رواية أن علياً قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار» ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال علي: إن هذا السيف طال ما فرج الكرب عن وجه رسول الله (ص)، فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير، علي العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموزها هنا وهو مخنف، فهل لك فيه؟ فقال: نروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير، وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جداً، لما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين ألف ومائتا ألف فوفوها عنه، وأخرجوا بعد ذلك ثلث ماله الذي أوصى به ثم قسمت التركة بعد ذلك فأصاب كل واحدة من الزوجات الأربع من ربع الثمن ألف ألف ومائتا ألف درهم، فصلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف والثلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف فتلك الجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف والدين المخرج قبل ذلك ألف ألف ومائتا ألف فلي هذا يكون جميع ما تركه من الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف ومائتمائة

ألف ، وإنما نهينا على هذا لأنه وقع في صحيح البخارى ما فيه نظر يفنى أن ينبه له والله أعلم  
وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة مما آفاه الله عليه من الجهاد ومن خمس  
الحس ما يخص أمه منه ، ومن التجارة المبرورة من الخلال المشكورة ، وقد قيل إنه كان له ألف  
مملوك يؤدون إليه الخراج ، فربما تصدق في بعض الأيام بخراجهم كلهم رضى الله عنه وأرضاه ، وكان  
قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين بست أو  
سبع وكان أعمر ربة من الرجال معتدل اللحم خفيف اللحية رضى الله عنه .

### وفي هذه السنة اعني سنة ست وثلاثين

ولى على بن أبى طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عبادة ، وكان على نيابتها في أيام  
عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان  
وكان الذى جهزم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبى حذيفة بن عتبة ، وكان لما  
قتل أبوه بالجمامة أوصى به إلى عثمان ، فكفله ورباه في حجره ومنزله وأحسن إليه إحساناً كثيراً ونشأ في  
عبادة وزهادة ، وسأل من عثمان أن يوليه عملاً فقال له : متى ما صرت أهلاً لذلك ولينك ، فتعجب في  
نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له ، فقصد الديار المصرية وحضر مع أميرها  
عبد الله بن سعد بن أبى سرح غزوة الصواري كما قدمنا ، وجعل ينتقص عثمان رضى الله عنه وساعده  
على ذلك محمد بن أبى بكر ، فكتب بذلك ابن أبى سرح إلى عثمان يشكوهما إليه فلم يعبا بهما عثمان  
ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبى حذيفة حتى استنفر أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حاصروا عثمان  
تقلب على الديار المصرية وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وصلى بالناس فيها ، فلما كان ابن  
أبى سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل أمير المؤمنين عثمان فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وبلغه  
أن علياً قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة ، فشمته بمحمد بن أبى حذيفة ، إذ لم يمنع  
بملك الديار المصرية سنة ، وسار عبد الله بن سعد إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار  
مصر ، وأن محمد بن أبى حذيفة قد استحوذ عليها ، فسار معاوية وعمرو بن العاص ليخرجاه منها لأنه من  
أكبر الأعوان على قتل عثمان ، مع أنه كان قد رباه وكفله وأحسن إليه ، فعالجا دخول مصر فلم يقدر  
فلم يزالا يخطئانه حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها ، وجاء عمرو بن العاص فنصب  
عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه قتلوا ، ذكره محمد بن جرير . ثم سار إلى مصر قيس  
ابن سعد بن عبادة بولاية من على ، فدخل مصر في سبعة نفر ، فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير  
المؤمنين على بن أبى طالب .

بسم الله الرحمن الرحيم ۱ من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين

والمسلمين ، سلام عليكم فاني أحمد الله كثيرا الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله بحسن صنيعه وتقديره وتدبيره اختار الاسلام ديننا لنفسه وملائكته ورسوله ، وبعث به الرسل إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة ، وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً (ص) يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة ، لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما يتفرقوا ، وزكاهم لكي يتطهروا ، ووقفهم لكيلا يجوروا . فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه وبركاته ورحمته ، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين ، عملاً بالكتاب ، وأحسن السيرة ولم يمدوا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله ، ثم ولي بعدهما وال أحدث أحداثاً ، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ، ثم تقموا عليه فغيروا ، ثم جاءوني فبايعوني فأستهدى الله بهداه وأستعينه على المشي ، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ، والقيام عليكم بحقه والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة فوازره وكانفه وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالاحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم ، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله لنا ولكم عملاً زكياً وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عبد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين قال : ثم قام قيس بن سعد فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة لعلى ، فقام الناس فبايعوه ، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خربنا ، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان - وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة آلاف وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المدلجى - وبعثوا إلى قيس بن سعد فوادعهم ، وكذلك مسلعة بن مدالج الأنصارى تأخر عن البيعة فتركه قيس بن سعد ووادعه ، ثم كتب معاوية ابن أبي سفيان - وقد استوثق له أمر الشام بمخذافيره - إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه وبعث بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها ، وقد ضوى إليها الذين لهربوا يوم الجمل من العثمانية ، وقد أراد الأشتر أنتزاع هذه البلاد من يد نواب معاوية ، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتر ، واستقر أمر معاوية على تلك البلاد فكتب إلى قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصدده من القيام في ذلك ، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تم له الأمر ما دام سلطاناً فلما بلغه الكتاب - وكان قيس رجلاً حازماً - لم يخالفه ولم يوافق بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن على وقربه من بلاد الشام ومما مع معاوية من الجنود ، فسله قيس وتاركه ولم يوافق على مادعاه إليه ولا وافقه عليه : فكتب إليه معاوية : إنه لا يسلك معي قريتك في وخذيعتك لي ولا بد أن أعلم أنك سلم أو

عدو - وكان معاوية حازماً أيضاً - فكتب إليه بما صمم عليه : إني مع علي إذ هو أحق بالأمر منك فلما بلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان يئس منه ورجع ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيس بن سعد يكاتبهم في الباطن ويمالئهم على أهل العراق ، وروى ابن جرير أنه جاء من جهته كتاب مزور بمبايعته معاوية والله أعلم بصحته . ولما بلغ ذلك علياً فأنهم وكتب له أن يغزو أهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة ، فبعث إليه يمتنر إليه بانهم عدد كثير ، وهم وجوه الناس . وكتب إليه : إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني لأنك اتهمتني ، فبعث علي عمك بمصر غيبري ، فبعث علي على إمرة مصر الاشتهر النخعي ، فسار إليها الأشتر النخعي فلما بلغ القلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه فبلغ ذلك أهل الشام فقالوا : إن لله جنداً من عسل ، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر ، وقد قيل وهو الأصح إن علياً ولي محمد بن أبي بكر بعد قيس بن سعد ، فارتحل قيس إلى المدينة ، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتنر إليه قيس بن سعد فعنره علي ، وشهدا معه صفين كما سنذكره ، فلم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الأمر مهيباً بالليط المصرية ، حتى كانت وقعة صفين ، وبلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق ، وصاروا إلى التحكيم فطمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترأوا عليه وبارزوه بالمداوة فكان من أمره ما سنذكره وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان ، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره لثلاثين شهيداً مهلكه ، مع أنه كان متعجباً عليه بسبب عزله له عن ديار مصر وتوليته ببلده عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ففسر ح عن المدينة على غضب فتزل قريباً من الأردن ، فلما قتل عثمان صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرنا .

فَضِيحَاتُ الْبَلَاءِ

### في وقعة صفين

#### بين أهل العراق وبين أهل الشام

قد تقدم ما رواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين . أنه قال : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله (ص) ، عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين » وقال الامام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال لشعبة إن أباشيبه روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : « شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً ، فقال : كتب أبو شيبه ، والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمه بن ثابت ؟ وقد قيل انه شهداهم : أهل بدر ساء . حنيف ، وكذا أبو أيوب الأنصاري . قاله شيخنا العلامة ابن تيمية في

كتاب الرد على الرافضة - وروى ابن بطة باسناده عن بكير بن الأشج أنه قال : أما إن رجلاً من  
من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم .  
وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيخ أم المؤمنين  
عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة ، سار من البصرة إلى الكوفة قال أبو الكنود عبد الرحمن بن  
عبيد فدخلها على يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقبل له : انزل  
بالقصر الأبيض ، فقال : لا ! إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك ، فترجل في الرحبة  
وصلى في الجامع الأعظم ركعتين ، ثم خطب الناس فحثهم على الخير ونهاهم عن الشر ، ومدح أهل  
الكوفة في خطبته هذه ، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله - وكان على همدان ممن زمان عثمان - وإلى  
الأشعث بن قيس - وهو على نيابة أذربيجان من زمان عثمان - أن يأخذ البيعة علي من هنالك من  
الرعايا ثم يقبل إليه ، ففعل ذلك . فلما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه  
يدعوه إلى بيعته قال جرير بن عبد الله : أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فان بيني وبينه ودا ، فأخذ  
لك منه البيعة ، فقال الأشعث : لا تبعه يا أمير المؤمنين فاني أخشى أن يكون هواه معه . فقال علي :  
دعه ، وبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ، ويخبره بما  
كان في وقعة الجمل ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه  
الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل  
قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان ، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان  
رضي الله عنه . فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا ، فقال الأشعث : يا أمير المؤمنين ألم أنك أن  
تبعث جريراً ؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقتة . فقال له جرير : لو كنت ثم لقتلوك  
بدم عثمان . فقال الأشعث : والله لو بعثتني لم يعنى جواب معاوية ولا أعجلته عن الفكرة ، ولو أطاعني  
قبل لبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة ، فقام جرير مفضباً وأقام بقرقيسيا ، وكتب إلى معاوية  
يخبره بما قال وما قبل له ، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه . وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي  
طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فمسك بالرخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة  
ابن عامر البدرى الأنصارى وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويبعث الجنود وأشار  
آخرون أن يخرج فيهم بنفسه ، وبلغ معاوية أن علياً قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال  
له : اخرج أنت أيضاً بنفسك ، وقام عمرو بن العاص في الناس فقال : إن صناديد أهل الكوفة  
والبصرة قد تقاتوا يوم الجمل ، ولم يبق مع علي إلا شذمة قليلة من الناس ، ممن قتل ، وقد قتل

الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأنه الله في حكم أن تضيعوه ، وفي دمكم أن تطلوه ، وكتب إلى أجناد الشام فحضروا ، وعقدت الألوية والرايات للأمراء ، ونهياً أهل الشام وتأهبوا ، وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين - حيث يكون مقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وسار على رضي الله عنه بمن معه من الجنود من النخيلة قاصداً أرض الشام . قال أبو إسرائيل عن الحكم ابن عيينة : وكان في جيشه ثمانون بدرياً ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة . رواه ابن ديزيل . وقد اجتاز في طريقه راهب فكان من أمره ما ذكره الحسين بن ديب في كتابه فيما رواه عن يحيى ابن عبد الله الكرابيسي عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد حدثني . سلم الأعور عن حبة العرنى قال : لما أتى علي الرقة نزل بمكان يقال له البليخ على جانب الفرات فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلي : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم عليهما السلام ، أعرضه عليك ؟ فقال علي : نعم اقرأ الراهب الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى واطر فيما سطر ، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمدون الذين يحمدون الله على كل شرف ، وفي كل صعود وهبوط ، تذل أسنتهم بالتهليل والتكبير ، وينصره الله على كل من نأواه فاذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويقضي بالحق ولا ينكس الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب - في يوم عصفت فيه الريح - والموت أهون عليه من شرب الماء ، يخاف الله في السر ، وينصح في العلانية ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فان القتل معه شهادة » ثم قال لعلي : فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك . فبكى علي ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسياً منسياً ، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار . فمضى الراهب معه وأسلم فكان مع علي حتى أصيب يوم صفين ، فلما خرج الناس يطلبون قتلام قال علي : اطلبوا الراهب ، فوجدوه قتيلاً ، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه واستغفر له . وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف ، ومعه شريح بن هاني ، في أربعة آلاف ، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه ، وجاء علي فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقسمتان ، فبلغهم أن معاوية قد ركب في أهل الشام ليلتقي أمير المؤمنين علياً فهموا باقياها فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه ، فعدلوا عن طريقهم وجاؤا ليعبروا من عاتق فنههم أهل عاتق فساروا



فعبروا من هيت ثم لحقوا عليا - وقد سبقهم - فقال علي : مقمتي تأتي من ورائي ؟ فاعتنروا إليهم  
عما جرى لهم ، فعنهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فنلقاهم أبو الأعور عمرو بن  
سفيان السلمى فى مقدمة أهل الشام فتواقفوا ، ودعاهم زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق ، إلى  
البيعة فلم يجيبوه بشئ فكتب إلى علي بذلك فبعث إليهم علي الأشتر النخعي أميراً ، وعلى ميسنته  
زياد ، وعلى ميسرته شريح ، وأمره أن لا يتقدم إليهم بقتال حتى يبدؤوه بالقتال ، ولكن ليدعهم  
إلى البيعة مرة بعد مرة ، فان امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب ،  
ولا يتعد منهم ابتعاد من يهاب الرجال ، ولكن صابروهم حتى آتيتك فأنا حثيث السير وراءك إن  
شاء الله ، فتحاجزوا يومهم -م ذلك ، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمى وبعث معه  
بكتاب الامارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفي ، فلما قدم الأشتر على المقدمة امتثل ما أمره  
به علي ، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور السلمى فثبتوا له واصطبروا لهم ساعة ثم  
انصرف أهل الشام عند المساء ، فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر فقتل عبد الله بن  
المنذر التنوخي - وكان من فرسان أهل الشام - قتله رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة  
التميمي ، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه ، فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبي الأعور  
أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك ، وكأنه رآه غير كف له فى ذلك والله أعلم . ونحاجز القوم  
عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثانى ، فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل على رضى الله عنه فى  
جيوشه ، وجاء معاوية رضى الله عنه فى جنوده ، فتواجه الفريقان وتقابل الطائفتان فبالله المستعان ،  
فتواقفوا طويلاً . وذلك بمكان يقال له : صفين وذلك فى أوائل ذى الحجة ، ثم عدل على رضى الله عنه  
فارتاد لجيشه منزلاً ، وقد كان معاوية سبق بجيشه فترلوا على مشرعة الماء فى أسهل موضع وأفسحه ،  
فلما نزل على نزل بعيداً من الماء ، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فذهبهم أهل الشام ، فوقع  
بينهم مقاتلة بسبب ذلك ، وقد كان معاوية وكل على الشريعة أبا لأعور السلمى ، وليس هناك مشرعة  
سواها ، فعطش أصحاب على عطشاً شديداً فبعث على الأشعث بن قيس الكندى فى جماعة ليصلوا  
إلى الماء فذهبهم أولئك وقال : موتوا عطشاً كما منعم عثمان الماء ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم تطاعنوا  
بالرماح أخرى ، ثم تقاتلوا بالسيوف بعد ذلك كله ، وأمد كل طائفة أهلها ، حتى جاء الأشتر النخعي  
من ناحية العراقيين وعمرو بن العاص من ناحية الشاميين ، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت ،  
وقد قال رجل من أهل العراق - وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي - وهو يقاتل .

خلوا لنا ماء الفرات الجاري • أو ائبتوا بجعل جرار

لكل رقم مشرب تيار • مطاعن برمح كراب

### • ضراب هامات العدي مغوار •

ثم ما زال أهل العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أزالوا عنه وخلوا بينهم وبينه ، ثم اصطالحوا على الورد حتى صاروا يزدحون في تلك الشريعة لا يكلم أحد أحداً ، ولا يؤذى إنسان إنساناً . وفي رواية أن معاوية لما أمر أبا لؤي بحفظ الشريعة وقف دونها برماح مشرعة ، وسيوف مسللة ، وسهام مفوقة ، وقسي موترة ، فجاء أصحاب علي علياً فشكوا إليه ذلك فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية يقول له : إنا جئنا كافرين عن قتالك حتى نقيم عليكم الحجة ، فبعثت إلينا مقدمتك فقاتلتنا قبل أن نبدأكم ، ثم هذه أخرى قد منعونا الماء ، فلما بلغه ذلك قال معاوية للقوم : ماذا يريدون ؟ فقال عمرو خل بينهم وبينه ، فليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطش ، وقال الوليد : دعهم يذوقوا من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه في داره ، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً ، وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرج : امنعهم الماء إلى الليل فلعلهم يرجعون إلى بلادهم . فسكت معاوية فقال له صعصعة بن صوحان : ماذا جوابك ؟ فقال : سيأتيكم رأيي بعد هذا ، فلما رجع صعصعة فأخبر الخبر ركب الخيل والرجال ، فما زالوا حتى أزالوا عن الماء ووردوه قهراً ، ثم اصطالحوا فيما بينهم على ورود الماء ، ولا يمنع أحد أحداً من . وأقلم على يومين لا يكتب معاوية ولا يكتب معاوية ، ثم دعا علي بشير بن عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشيخ بن ربي السهمي فقال : إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم ، فلما دخلوا على معاوية قال له بشير بن عمرو : يا معاوية ! إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، والله محاسبك بعملك ، ومجازيك بما قدمت يداك ، وإني أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها . فقال له معاوية هلا أوصيت بذلك صاحبكم ؟ فقال له : إن صاحبي أحق هذه البرية بالأمر في فضله ودينه وسابقته وقرابته ، وإنه يدعوك إلى مبايعته فانه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في آخرتك . فقال معاوية : ويطل دم عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، ثم أراد سعيد بن قيس الهمداني أن يتكلم فبدره شيخ بن ربي فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء في حق معاوية ، فزجره معاوية وزبره في أفتياته على من هو أشرف منه ، وكلامه بما لا علم له به ، ثم أمرهم فأخرجوا من بين يديه ، وصمم على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل مظلوماً ، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم ، وأمر علي بالطلائع والأمر أن تتقدم للحرب ، وجعل علي يؤمر على كل قوم من الحرب أميراً ، فمن أمراءه على الحرب الأشتر النخعي - وهو أكبر من كان يخرج للحرب - وحجر بن عدي ، وشيخ بن ربي ، وخالد بن المعتمر وزبيد بن النضر ، وزبيد بن حفصة ، وسعيد بن ليس ، ومقل بن قيس ، وقيس بن سعد ، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً ،

فن أمراءه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلم ، وذو الكلاع الحميري ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وشرحبيل بن السمط ، وحمزة بن مالك الهمداني ، وربما اقتتل الناس في اليوم مرتين ، وذلك في شهر ذي الحجة بكاله ، وحج بالناس في هذه السنة عبد الله ابن عباس عن أمر علي له بذلك ، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم تداعى الناس للتاركة ، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دماهم ، فكان ما سذكه

### ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استهلت هذه السنة وأمر المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه متواقف هو ومعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ، كل منهما في جنوده بمكان يقال له صفين بالقرب من الفرات شرقى بلاد الشام ، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، وجزت بينهم حروب يطول ذكرها ، والمقصود أنه لما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دماهم ، فذكر ابن جرير من طريق هشام عن أبي مخنف مالك حدثني سعيد بن المجاهد الطائي عن محل بن خليفة أن علياً بعث عدى بن حاتم ويزيد ابن قيس الأرحبي ، وشبيث بن ربيع وزياد بن حفصة إلى معاوية ، فلما دخلوا عليه - وعمر بن العاص إلى جانبه - قال عدى بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد يامعاوية فانا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمرنا ، ويحقن به الدماء ، ويأمن به السبل ، ويصلح ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها في الإسلام أثراً وقد استجمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك من شيعتك ، فانت يامعاوية لا يصيبك الله وأصحابك مثل يوم الجمل ، فقال له معاوية : كأنك إنما جئت مهدياً ولم تأت مصلحاً ، هيهات والله يا عدى ، كلا والله إنى لابن حرب ، لا يقمق لي بالشنان ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وإنك لمن قتلته ، وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به ، وتكلم شبيث بن ربيع وزياد بن حفصة فذكرا من فضل علي وقالوا : اتق الله يامعاوية ولا تخالقه فانا والله مارأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى ، ولا أزهدي في الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه . فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانكم دعوتوني إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فعناهي ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نهمه به ، ولكنه آوى قتلته ، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن مجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شبيث بن ربيع : أنشدك الله يامعاوية ، لو تمكنت من عمار أ كنت قاتله بعثمان ؟ قال معاوية : لو تمكنت من ابن عمية ماقتلته بعثمان ، ولكني كنت قتلته بغلام عثمان . فقال له شبيث بن ربيع : وإله الأرض والسما لا تزل إلى قتل عمار حتى تنذر الرؤس

عن كواهلها ، ويضيق فضاء الأرض ورجبها عليك . فقال معاوية : لو قد كان ذلك كانت عليك أضيق . وخرج القوم من بين يديه فذهبوا إلى علي فأخبروه بما قال . وبث معاوية حبيب بن مسلمة الهفري ، وشرحبيل بن السمط ، ومن بن يزيد بن الاخفس إلى علي ، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله ، فاستنقلم حياته ، واستبطنتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتله إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم ، فيوال الناس أمرهم من جمع عليه رأيهم . فقال له علي : وما أنت لا أم لك ، وهذا الأمر وهذا العزل ، فإنت فأنك لست هناك ولا بأهل لذلك . فقال له حبيب : أما والله لتريني حيث تكره ، فقال له علي : وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت ، اذهب فصعد و صوب تما بذلك . ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي ، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه ، وإنيهم إنما دخلوا في الإسلام ولم يزالوا في تردد فيه وغير ذلك وإنه قال في غبون ذلك : لا أقول إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً . فقالوا : نحن نبرأ ممن لم يقل إن عثمان قتل مظلوماً ، وخرجوا من عنده ، فقال علي : [إياك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ] ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالتهم منكم بالجد في حكم وطاعة نبيكم ، وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه .

وروى ابن ديزيل من طريق عمرو بن سعد بأسناده أن قراء أهل العراق وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً ، وأن جماعة من قراء العراق منهم عبيدة السلماني ، وعلقمة بن قيس ، وعامر بن عبد قيس ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم جاؤا معاوية فقالوا له : ما تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان قالوا : فن تطلب به ؟ قال : تايبا ، قالوا : أهو قتله ؟ قال : نعم ! وآوى قتله . فانصرفوا إلى علي فذكروا له ما قال فقال : كذب ! لم أقتله وأنتم تعلمون أني لم أقتله . فرجعوا إلى معاوية فقال : إن لم يكن قتله بيده فقد أمر رجلا . فرجعوا إلى علي فقال : والله لا قتلت ولا أمرت ولا ماليت . فرجعوا فقال معاوية : فان كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان ، فانجم في عسكره وجنده فرجعوا فقال علي : تأول القوم عليه القرآن في فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه في سلطانه وليس لي عليهم وسبيل . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن كان الأمر على ما يقول قتله أخذ الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن ها هنا ؟ فرجعوا إلى علي فقال علي : إنما الناس مع المهاجرين والأنصار ، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم ، ورضوا وبإيوني ، ولست أستحل

أن أذع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عساها، فرجموا إلى معاوية فقال: ما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر؟ فرجموا فقال علي: إنما هذا للبدريين دون غيرهم، وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي، وقد بايمني وقد رضى، فلا يفرنكم من دينكم وأنفسكم، قال: فأقاموا يتراسلون في ذلك شهر ربيع الآخر وجماديين وتمرعون في غبون ذلك القرعة بعد القرعة ويزحف بعضهم على بعض، ويحجز بينهم القراء، فلا يكون قتال قال: فترعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين قرعة. قال: وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلا على معاوية فقالا له: يا معاوية على م تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً، وأقرب منك إلى رسول الله (ص)، وأحق بهذا الأمر منك. فقال: أقاتله على دم عثمان وإنه آوى قتلته، فاذهب إليه فقولاً له فليقتلنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام، فاذهب إلى علي فقالا له ذلك فقال: هؤلاء الذين تريان نخرج خلق كثير فقالوا: كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليمرنا. قال: فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم حرباً. قال عمرو بن سعد باسناد حتى إذا كان رجب وخشى معاوية أن تبايع القراء كلهم علياً كتب في سهم من عبد الله الناصح: يا مشر أهل العراق! إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليفرقكم فخذوا حذركم، ورمى به في جيش أهل العراق. فأخذته الناس فقرؤه وتحدثوا به، وذكروه لعلي فقال: إن هذا مالا يكون ولا يقع. وشاع ذلك، وبعث معاوية مائتي فاعل بحفرون في جنب الفرات وبلغ الناس ذلك فقتشوش أهل العراق من ذلك وفزعوا إلى علي فقال: ويحكم! إنه يريد خديعتكم ليزيلكم عن مكانكم هذا وينزل فيه لأنه خير من مكانه. فقالوا: لا بد من أن نخلى عن هذا الموضع فارتحلوا منه، وجاء معاوية فنزل بجيشه - وكان على آخر من ارتحل - فنزل بهم وهو يقول:

فلو أنى أطعت عصمت قومي \* إلى ركن البجامة أو شام

ولكني إذا أبرمت أمراً \* يخالفه الطغام بنو الطغام

قال: فأقاموا إلى شهر ذي الحجة ثم شرعوا في المقاتلة فجعل على يؤمر على الحرب كل يوم رجلاً وأكثر من كان يؤمر الأشتر. وكذلك معاوية يؤمر كل يوم أميراً فاقتلوا شهر ذي الحجة بكامله؛ وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين قال ابن جرير رحمه الله: ثم لم تزل الرسل تتردد بين علي ومعاوية والناس كلفون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح، فأمر علي ابن أبي طالب يزيد بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد استأنتكم لتراجعوا الحق، وأقت عليكم الحجة فلم يجيبوا، وإني قد نبئت إبيكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين. ففزع أهل الشام إلى أمراءهم فأعلموهم بما سمعوا المنادى

ينادي قهض عند ذلك معاوية وعمرو فبينا الجيش ميمنة وميسرة ، وبات على يعقوب جيشه من ليلته ، فجعل على خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي ، وعلى رجالهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ، وعلى قرانهم سعد بن فديكي التيمي ، وتقدم على إلى الناس أن لا يبدأوا واحداً بالقتال حتى يبدأ أهل الشام ، وأنه لا ينفذ على جريح ولا يتبع مدبر ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان ، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاهم وبرز معاوية صباح تلك الليلة وقد جعل على الميمنة ابن ذى الكلاع الحميري ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى المقدمة أبا الأعمور السلمي ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالهم الضحك بن قيس . ذكره ابن جرير

وروى ابن ديزيل من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر ويزيد بن الحسن بن علي وغيرهما . قالوا : لما بلغ معاوية سير علي سار معاوية نحو علي واستعمل على مقدمته سفیان بن عمرو أبا الأعمور السلمي وعلى الساقة بسر بن أبي أرطاة حتى توافوا جميعاً سائرین إلى جانب صفين . وزاد ابن الكلبي فقال : جعل علي المقدمة أبا الأعمور السلمي ، وعلى الساقة بسرآ ، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة ، وعلى رجالها يزيد بن زحر العنسي ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى رجالها حابس بن سعد الطائي ، وعلى خيل دمشق الضحاک بن قيس وعلى رجالهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلي ، وجعل على أهل حصن ذا الكلاع وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مخلد وقام معاوية في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف ، وقد تهيأتم وسرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمري ما للشام رجال العراق ولا أموالها ، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصارتها ، مع أن القوم وبعدهم أعدادهم ، وليس بكم غيركم فان غلبتموهم لم تغلبوا إلا من أناتكم وإن غلبوكم غلبوا من بكم والقوم لا قومكم بكيد أهل العراق ، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز ، وقسوة أهل مصر ، وإنما ينصر غداً من ينصر اليوم ] استعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين [ وقد بلغ عليا خطبة معاوية فقام في أصحابه فحرضهم على الجهاد ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام ، قال جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر ويزيد بن أنس وغيرهما قالوا : سار علي في مائة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام . وقال غيرهم : أقبل علي في مائة ألف أو يزيدون ، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفاً . رواها ابن ديزيل في كتابه . وقد تماقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفرروا فقتلوا أنفسهم بالعمائم ، وكان هؤلاء خمسة

صفوف ومعهم ستة صفوف آخرين وكنك أهل العراق كانوا أحد عشر صفاً أيضاً فتواقفوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء ، وكان أمير الحرب يومئذ للعراقيين الأشتر النخعي ، وأمير الحرب يومئذ للشاميين حبيب بن مسلمة ، فاقتلوا ذلك اليوم قتلاً شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد اتصف بعضهم من بعض وتكافؤوا في القتال ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة ، وأمير الشاميين يومئذ أبا الأعرور السلمي فاقتلوا قتلاً شديداً تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا ثم خرج في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتلاً شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثي وكان على الخيالة رجلاً فلما تواقفا تعارفا فاذا هما أخوان من أم ، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه ، وتراجع الناس من العشي وقد صبر كل فريق لصاحبه ، وخرج في اليوم الرابع - وهو يوم السبت - محمد بن علي - وهو ابن الحنفية - ومعهم جبه عظيم فخرج إليه في كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر ، فاقتتل الناس قتلاً شديداً ، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب من ابن الحنفية أن يبرز إليه فبرز إليه ؟ فلما كادا أن يقتربا قال علي : من المبارز ؟ قالوا محمد ابنك وعبيد الله ، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم إلى عبيد الله فقال له : تقدم إلى قال له : لا حاجة لي في مبارزتك ، فقال : بلى ، فقال : لا افرجع عنه علي وتمحاز الناس يومهم ذلك ثم خرج في اليوم الخامس - وهو يوم الأحد - في العراقيين عبد الله بن عباس وفي الشاميين الوليد بن عقبة ، واقتتل الناس قتلاً شديداً ، وجعل الوليد ينال من ابن عباس ، فهاذكره أبو مخنف ويقول : قتلتم خليفتم ولم تنالوا ما طلبتم ، ووالله إن الله ناصرنا عليكم . فقال له ابن عباس : فبرز إلى فآبى عليه ويقال إن ابن عباس قاتل يومئذ قتلاً شديداً بنفسه رضي الله عنه ، ثم خرج في اليوم السادس - وهو يوم الاثنين - وعلى الناس من جهة العراقيين قيس بن سعد ، ومن جهة أهل الشام بن ذى الكلاع فاقتلوا قتلاً شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا ، ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع - وهو يوم الثلاثاء وخرج إليه قرنه حبيب بن مسلمة فاقتلوا قتلاً شديداً أيضاً ولم يغلب أحد أحداً في هذه الأيام كلها . قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب أن علياً قال : حتى متى لا تناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم قام في الناس عشية الأربعاء بعداله سر فقال : الحمد لله الذي لا يبرم ما تقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقنا هؤلاء القوم الأقدار وألقت بيننا في هذا المكان ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع

فلو شاء لجعل النعمة وكان منه التعسير حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار ( ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ) ألا وأنكم لاقوا القوم غداً فاطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، وأسألوا الله النصر والصبر والقوة بالجد والحزم وتكونوا صادقين . قال : فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها قال : ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جهم التغلبي فرأى ما يصفون فجعل يقول :

أصبحت الأمة في أمر عجيب \* والملك مجموع غداً لمن غلب  
قلت قولاً صادقاً غير كذب \* إن غداً تملك أعلام العرب

قال : ثم أصبح علي في جنوده قد عبأهم كما أراد ، وركب معاوية في جيشه قد عبأهم كما أراد ، وقد أمر علي كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام فتقاتل الناس قتالاً عظيماً لا يفر أحد من أحد ولا يغلب أحد أحداً ، ثم تجاوزوا عند العشي ، وأصبح علي فصلى الفجر بفلس وباكر القتال ، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم ، فقال علي فيما رواه ابن مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب : اللهم رب السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته سقفاً لليل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأثنام ، ومالا يحصى مما ترى ومالا ترى من خلقك العظيم ، ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق مناعاً ، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي والفساد وسددنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة وجنب بقية أصحابي من الفتنة . ثم تقدم علي وهو في القلب في أهل المدينة وعلى يمينته يومئذ عبد الله بن بديل ، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد ، والناس على رايهم فزحف بهم إلى القوم ، وأقبل معاوية - وقد بايعه أهل الشام على الموت - فتواقف الناس في موطن مهول وأمر عظيم ، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة على علي ميسرة أهل الشام وعليها حبيب ابن مسلمة ، فاضطره حتى أبلجته إلى القلب ، وفيه معاوية ، وقام عبد الله بن بديل خطيباً في الناس يحرضهم على القتال ويحثهم على الصبر والجهاد ، وحرص أمير المؤمنين على الناس على الصبر والثبات والجهاد ، وحثهم على قتال أهل الشام ، وقام كل أمير في أصحابه يحرضهم ، وتلا عليهم آيات القتال من : أما كن متفرقة من القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى [ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ] ثم قال : قدموا المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس ، فانه أنكسر للسيوف



عن الهام ، وألبوا إلى أطراف الرياح فانه أفوق للأسنة ، وغضوا الأَبصار فانه أربط للجأش وأسكن للقلب ، وأميتوا الاصوات فانه أطرِد للفشل وأولى بالوقار ، راياتكم لا تملوها ولا تزيلوها ولا تجملوها إلا بأيدي شجعانكم . وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضي الله عنه بارز في أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة ، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق ثم وضعهم تحت قدميه ثم نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه علي فتجاولا ساعة ثم ضربه علي فقتله ثم قال علي : هل من مبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله ، ثم برز إليه راود ابن الحارث الكلاعي فقتله ، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيسي فقتله . فتسلا على قوله تعالى [ والحرمات قصاص ] ثم نادى وبجك يا معاوية ! ابرز إلى ولا تفني العرب بيني وبينك ، فقال له عمرو بن العاص : اختنمه فانه قد أئخن بقتل هؤلاء الأربعة ، فقال له معاوية : والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط ، وإنما أردت قتلى لتصيب الخلافة من بعدي ، اذهب إليك ! فليس مثلي بخدع وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح فألقاه إلى الأرض فبست سوءته فرجع عنه ، فقال له أصحابه : مالك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : أتدرون ما هو ؟ قالوا : لا ! قال : هذا عمرو بن العاص تلقاني بسوءته فذكرني بالرحم فرجعت عنه ، فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله واحمد إسنك . وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى ثنا نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن نير الأنصاري قال : والله لكأني أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين أما تخافون مقت الله حتى متي ، ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال : والله ما سمعنا برئيس أصاب يده ما أصاب علي يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة رجل ، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحني ثم يجي فيقول معذرة إلى الله وإليك والله لقد هممت أن أقلعه ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله (ص) يقول « لا سيف إلا ذو الفقار ولا قتي إلا علي » قال : فيأخذنه فيصلحه ثم يرجع به . وهذا إسناد ضعيف وحديث منكر وحدثنا يحيى ثنا ابن وهب أخبرني الليث عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفين مع علي ومعاوية قال ابن وهب : وأخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط قال : شهدنا صفين مع علي ومعاوية قال فطرت السماء علينا دماً عبيطاً قال الليث في حديثه حتى أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية قال ابن لهيعة : فتمتلي ونهر يقها وقد ذكرنا أن عبد الله بن بديل كسر الميسرة التي فيها حبيب بن مسلمة حتى أضافها إلى القلب فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيباً على الكرة وبعث إليه معاوية يأمره بالحملة والكرة على ابن بديل ، فحمل حبيب بمن معه من الشجعان على ميمنة أهل العراق فأزالوهم عن أماكنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلثمائة وانجفل بقية أهل العراق ، ولم يبق مع علي من تلك القبائل إلا أهل

مكة وعليهم سهل بن حنيف، وثبت ربيعة مع علي رضي الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت  
 نبالم تصل إليه، وتقدم إليه مولى لبني أمية فاعترضه مولى لعلي قتلته الأموي وأقبل يريد علياً وحوله  
 بنوه الحسن والحسين وعهد بن حنيفة، فلما وصل إلى علي أخذته على يده فرفعه ثم ألقاه على الأرض  
 فكسر عضده ومنكبه وابتدره الحسين ومحمد بأسياهما فقتلاه فقال علي للحسن ابنه وهو واقف  
 معه: ما منعك أن تصنع كما صنعنا فقال: كفيان أمره يا أمير المؤمنين وأسرع إلى علي أهل الشام  
 فجعل علي لا يزيد قريتهم منه سرعة في مشيته، بل هو سائر على هيئته، فقال له ابنه الحسن: يا أبا  
 لو سعت! أكثر من مشيتك هذه فقال: يا بني إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطل به عنه السعي ولا  
 يجعل به إليه المشي إن أباك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع عليه ثم إن علياً أمر الأشتر النخعي  
 أن يلحق المهزمين فيردم فسار فأسرع حتى استقبل المهزمين من العراق فجعل يؤنبهم ويوبخهم  
 ويحرض القبائل والشجعان منهم على السكرة فجعل طائفة تتابعه وآخرون يستمرون في هزيمتهم فلم يزل  
 ذلك دأبه حتى اجتمع عليه خلق عظيم من الناس فجعل لا يلقى قبيلة إلا كشفها ولا طائفة إلا ردها  
 حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بديل ومعه نحو في ثلثمائة قد ثبتوا في مكانهم فسألوا عن  
 أمير المؤمنين فقالوا حي صالح فالتفوا إليه، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وذلك ما بين صلاة  
 العصر إلى الغروب، وأراد ابن بديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه فانه  
 خير له فأبى عليه ابن بديل، وحمل نحو معاوية، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفي يده  
 سيفان وحوله كتائب أمثال الجبال، فلما اقترب ابن بديل تقدم إليه جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى  
 الأرض قتيلاً، وفر أصحابه مهزمين وأكثرهم مجروح فلما انهزم أصحابه قال معاوية لأصحابه  
 انظروا إلى أميرهم، فجاءوا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فاذا هو عبد الله بن بديل، فقال معاوية:  
 هذا والله كما قال الشاعر، وهو حاتم الطائي:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها • وإنت شممت يوماً به الحرب شمرا  
 ويحبي إذا ما الموت كان لقاؤه • كذلك ذو الأشبال يحبي إذا ما تأمرا  
 كليث هزبر كان • يحبي ذماره • رمته المنايا سهمها فتقطرا

ثم حمل الأشتر النخعي بمن رجع معه من المهزمين فصدق الحملة حتى خالط الصفوف الخمسة  
 الذين تعاقبوا أن لا يفرؤا وهم حول معاوية، فخرق منهم أربعة وبقي بينه وبين معاوية صف، قال  
 الأشتر فرأيت هولاً عظيماً، وكنت أن أفر فما ثبتني إلا قول ابن الاطنابة وهي أمه من بلقين وكان  
 هو من الانصار وهو جاهلي:

أبت لي عفتي وأبي بلائي • وإقداي على البطل المشيح

وإعطائي على المكروه مالي \* وضربي هامة الرجل السبيح  
وقولي كلما جشأت وجاشت \* مكانك محمدني أو تسربحي

قال : فهذا الذي ثبتني في ذلك الموقف . والعجب أن ابن ديزيل روى في كتابه أن أهل العراق حملوا حملة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه حتى أفضوا إلى معاوية فدنا فرسه لينجو بـعليه ، قال معاوية : فلما وضعت رجلي في الركاب تمثلت بأبيات عمرو بن الاطنابة :

أبت لي عفتي وأبي بلائي \* وأخذي الحمل بالثمن الربيح  
وإعطائي على المكروه مالي \* وضربي هامة البطل المشيح  
وقولي كلما جشأت وجاشت \* مكانك محمدني أو تسربحي

قال : فثبت ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص فقال : اليوم صبر وغدا نخر ، فقال له عمرو : صدقت قال معاوية فأصبت خير الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة . ورواه محمد بن إسحاق عن عبيد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن بن حاطب عن معاوية ، وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر وهو أمير الخيالة لعلى فقال له : اتبعني على ما أنت عليه ولك إمرة العراق ، فطمع فيه ، فلما زلى معاوية ولاء العراق فلم يصل إليها خالد رحمه الله ، ثم إن علياً لما رأى الميمنة قد اجتمعت رجع إلى الناس فأنب بعضهم وعذر بعضهم وحرّض الناس وثبتهم ثم تراجع أهل العراق فاجتمع فحملهم ودارت رحى الحرب بينهم وجالوا في الشاميين وصلوا ، وتبارز الشجعان فقتل خلق كثير من الأعيان من الفريقين فانا لله وإنا إليه راجعون . وقيل ممن قتل في هذا اليوم عبيد الله بن عمر بن الخطاب من الشاميين ، واختلفوا فيمن قتله من العراقيين ، وقد ذكر إبراهيم بن الحسين بن ديزيل أن عبيد الله لما خرج يومئذ أميراً على الحرب أحضر امرأتين أسماء بنت عطاردة بن حاجب التيمي وبجيرية بنت هاني بن قبيصة الشيباني - فوقفتا وراه في راحلتين لينظرا إلى قتاله وشجاعته وقوته ، فواجهته من جيش العراقيين ربيعة الكوفة وعليهم زياد بن حفصة التيمي ، فشدوا عليه شدة رجل واحد فقتلوه بعد ما انهزم عنه أصحابه ، ونزلت ربيعة فضربوا لأمرهم خيمة فبقي طنب منها لم يجديوا له وتداً فشدوه برجل عبيد الله ، وجاءت امرأته بولولان حتى وقفنا عليه وبكتا عنده ، وشفعت امرأته بجيرية إلى الأمير فأطلقه لها فاحتملتاه معهما في هودجهما وقتل معه أيضاً ذو الكلاع ، قال الشعبي : ففي مقتل عبيد الله بن عمر يقول كعب بن جعل التغلبي

ألا إنما تبكي العيون لفارس \* بصفين ولت خيله وهو واقف  
تبدل من أسماء أسياف وائل \* وكانت قتي لو أخطأته المتالف  
تركن عبيد الله بالقاع تلويهاً \* تسيل دماء العروق نوازق

ينوءُ ويفشاهُ شأيب من دم • كالأح من جيب القميص الكفائفُ  
وقد صبرت حول ابن عم محمد • لدى الموت أرباب المناقب شارفُ  
فأبرحوا حتى رأى الله صبرهم • وحتى رقت فوق الأكف المصاحفُ

وزاد غيره فيها

معاوى لا تنهض بغير وثيقة • فانك بعد اليوم بالذل عارفُ

وقد أجابه أوجه الأسد بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها قصداً .

وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام  
وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول (ص) ، من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليا  
محق وأن معاوية باغ ، ومافى ذلك من دلائل النبوة ، ذكره جرير بن عطية عن أبي مخنف حدثني  
مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب الجهني أن عمارة قال يومئذ : من يتغنى رضوان ربه ولا يلوى  
إلى مال ولا ولد ، قال : فأتته عصابة من الناس فقال : أيها الناس أقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين  
يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً والله ما قصدتم الأخذ بدمه ولا الأخذ بثأره ، ولكن القوم  
ذاقوا الدنيا واستحلوها واستمروا الآخرة قلوبها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين  
ما يترغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة الناس لهم  
ولا الولاية عليهم ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التي تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات ،  
وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها ، ونحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله ، فخدعوا أتباعهم  
بجهلهم إمامنا قتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبارة ملوكا ، وتلك مكيدة بلغوا . إمامتروا ، ولولا ذلك  
ماتبعهم من الناس رجالا وكانوا أذل وأخس وأقل ، ولكن قول الباطل له حلاوة في أسمع  
الغافلين ، فسيروا إلى الله سيرا جميلا ، واذكروا ذكرا كثيرا ثم تقدم فلقية عمرو بن العاص  
وعبيد الله بن عمر فلامهما وأبما ووعظهما ، وذكر وه من كلامه لها مافيه غلظة فأنه أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة يقول :  
وأيت عمارة يوم صفين شيخا كبيرا آدم طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد ، فقال : والذي نفسي  
بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (ص) ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والذي نفسي بيده  
لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق ، وأنهم على الضلالة . وقال  
الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة  
قال حجاج سمعت أبا نضرة عن قيس بن عباد قال . قلت لعمار بن ياسر رأيت قتالكم مع علي رأيا

رأيتموه ، فان الرأي يخطئ ويصيب ، أو عهد عهده إليكم رسول الله (ص)؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله (ص) ، شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة . وقد رواه مسلم من حديث شعبة وله تمام عن عمار عن حذيفة في المناقبين .

وهذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين ، منهم الحارث بن سويد ، وقيس ابن عباد ، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي ، ويزيد بن شريك ، وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلامهم قال : قلت لعلي : هل عندكم شيء عهده إليكم رسول الله (ص) ، لم يعهده إلى الناس؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يؤتبه الله عبداً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة؟ فإذا فيها العقل وفكك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرم ما بين ثبير إلى ثور .

وثبت في الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبي وائل عن سفيان بن مسلم عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : يا أيها الناس ! اتهموا الرأي على الدين ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر لرددت على رسول الله (ص) أمره ، ووالله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلنا لأمر يقطعنا إلا أسهل لنا إلى أمر نعرفه ، غير أمرنا هذا ، فإنا لا نسد منه خصماً إلا انفتح لنا غيره لا ندرى كيف نبالي له

وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البخري . قال قام عمار يوم صفين فقال : إيتوني بشربة لبن ، فان رسول الله (ص) قال « آخر شربة تشربها من الدنيا تشربها يوم تقتل » وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب عن أبي البخري أن عماراً أتى بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله قال لي : « آخر شراب أشربه لبن حين أموت » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى بن نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال : سمعت الشعبي عن الأحنف بن قيس : قال ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن جوى السكسكى وأبو الغادية الفزارى ، فأما أبو الغادية فطعنه ، وأما ابن جوى فاحتز رأسه . وقد كان ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله (ص) ، لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها صاع لبن » فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ويحك ! ما هذا يا عمرو؟ فيقول له عمرو : إنه سيرجع إلينا . قال : فلما أصيب عمار بعد ذو الكلاع قال عمرو لمعاوية : ما أدرى بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، بقتل عمار أودى الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة أهل الشام ولأفسد علينا جنسنا . قال : وكان لا يزال يحيى رجل فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت

ببب

عماراً فيقول له عمرو فما سمعته يقول فيخلطون حتى جاء جوى فقال أنا سمعته يقول :

اليوم ألقى الأجابة • محمداً وحزبه

فقال له عمرو : صدقت أنت إنك لصاحبه ، ثم قال له : رويداً ، أما والله ما ظفرت يدك ولقد أسخطت ربك وقد روى ابن ديزيل من طريق أبي يوسف عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن الكندي عن أبيه عن عمرو بن العاص . أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وحبيب بن أبي ثابت وحبّة العرنى ، وسأفه من طريق إبان عن أنس مرفوعاً ، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي الزبير عن حذيفة مرفوعاً : « ما خير عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما » ٤ وبه عن عمرو بن شمر عن السري عن يعقوب بن راقط قال : اختصم رجلان في سلب عمار وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص ليتحاكما إليه ، فقال لهما : ويحكما اخرجاعني ، فان رسول الله (ص) قال - ولعبت قريش بعمار - : « ما لهم واهما ؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار ، قاتله وسأله في النار » قال : فبلغني أن معاوية قال إنما قتله من أخرجه يندع بذلك أهل الشام . وقال إبراهيم بن الحسين : حدثنا يحيى ثنا عدي بن عمر ثنا هشيم ثنا العوام بن حوشب بن الأسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد - وكان ناس عند علي ومعاوية - قال : بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار ، فقال لهما عبد الله بن عمرو : ليطب كل واحد منكما نفساً لصاحبه بقتل عمار ، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية لعمرو : « ألا تنهى عنا مجنونك هذا ؟ ! ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له : فلم تقاتل معنا ؟ فقال له إن رسول الله (ص) أمرني بطاعة والدي ما كان حياً وأنا معكم ولست أقاتل . وحدثنا يحيى بن نصر ثنا حفص بن عمران البرجمي حدثني نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمرو قال لأبيه : لولا أن رسول الله (ص) أمرني بطاعتك ماسرت معك هذا المسير ، أما سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية » وحدثنا يحيى ثنا عبد الرحمن بن زياد ؟ ثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي قال : جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو فقال : ائذن له وبشره بالنار . فقال الرجل : أو ما تسمع ما يقول عمرو . قال : صدق ؟ إنما قتله الذين جاؤا به او هذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين منهم الحارث بن سويد وقيس بن عباد وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي ويزيد بن شريك وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال : قلت لعلي هل عندكم شيء عهدته إليكم رسول الله (ص) لم يمهده إلى الناس ، فقال : لا ! والذي فلق

الحبة وبرأ الذسمة إلا فهما يؤتیه الله عبداً فی القرآن وما فی هذه الصحیفة ، قلت : وما فی هذه الصحیفة ؟  
 فاذا فیها العقل وفکاک الأسیر وأن لا یقتل مسلم بکافر ، وأن المدینة حرام ما بین ثبیر إلى نور ، وثبت  
 فی الصحیحین أيضاً من حدیث الأعمش عن أبی وائل شقیق بن سلعة عن سهل بن حنیف أنه قال  
 یوم صفین : أیها الناس اتهموا الرأی علی الدین فلقد رأیتنی یوم أبی جندل ولو أقدر أن أردد علی رسول  
 الله (ص) أمره لرددته ، والله ما حملنا سیوفنا علی عواتقنا منذ أسلمنا لأمر یقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر  
 نعرفه غیر أمرنا هذا . وقال ابن جریر : وحدثنا أحمد بن محمد ثنا الولید بن صالح ثنا عطاء بن مسلم عن  
 الأعمش قال قال أبو عبد الرحمن السلی : قال کنا مع علی بصفین وکنا قد وکلنا بفرسه نفسین  
 بحفظانه بمنعانه أن یحمل ، فکان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا یرجع حتی یخضب سیفه ، وإنه حمل  
 ذات یوم فلم یرجع حتی انثنی سیفه ، فألقاه إلیهم وقال : لولا أنه انثنی مارجمت ، قال : ورأیت عماراً  
 لا یأخذ وادياً من أودية صفین إلا اتبعه من کان هناك من أصحاب رسول الله (ص) ، ورأیته جاء  
 إلى هاشم بن عتبة وهو صاحب رایة علی فقال : یا هاشم تقدم ! الجنة تحت ظلال السیوف ، والموت  
 فی أطراف الأسنة ، وقد فتحت أبواب الجنة وتزیفت الحور العین

### الیوم ألقى الأحبۃ \* محمداً وحرزبه

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالی ، قال : وحمل حینئذ علی وأصحابه علی أهل الشام حملة  
 رجل واحد كأنهما : کان - یعنی عماراً وهاشما - علما لهم قال : فلما کان الیل قلت لأدخلن اللیلة إلى  
 العسکر الشاهین حتی أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ؟ - وکنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا  
 إلینا وتحدثنا إلیهم - فركبت فرسی وقد هدأت الرجل ، ثم دخات عسکرهم فاذا أنا بأربعة  
 يتسامرون ، معاویة ، وأبو الأعور السلی ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو وهو خیر  
 الأربعة . قال : فادخلت فرسی بینهم مخافة أن یفوتنی ما یقول بعضهم لبعض ، فقال عبد الله لأبيه :  
 یا أبة قتلت هذا الرجل فی یومکم هذا وقد قال فیہ رسول الله ما قال ، قال : وما قال ؟ قال : ألم یکن  
 معنا ونحن نبنی المسجد والناس ینقلون حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، وعمار ینقل حجرین حجرین ولبنتین  
 لبنتین ؟ فأتاه رسول الله (ص) فجعل یمسح التراب عن وجهه ویقول : « ویحک یا ابن صمیة الناس  
 ینقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرین حجرین ولبنتین لبنتین رغبة منك فی الأجر  
 وکنت مع ذلك ویحک تقتلك الفئة الباغیة » قال فرجع عمرو و صدر فرسه ثم جنب معاویة إلیه فقال :  
 یا معاویة أما تسمع ما یقول عبد الله ؟ قال : وما یقول ؟ قال : یقول وأخبره الخبر فقال معاویة إنک  
 شیخ أخرج ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تمسح فی بولک ، أو نحن قتلنا عماراً ؟ إنما قتل عماراً  
 من جاء به ؟ قال : نخرج الناس من عند فساطیطهم وأخبیتهم وهم یقولون : إنما قتل عماراً من جاء

به ، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي زياد قال : إني لأسير مع معاوية منصوره من صفين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو : يا أبة أما سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية قال فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول عبد الله هذا فقال معاوية لا يزال يأتينا بهنة بعد هنة ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذين جاءوا به . ثم رواه أحمد عن أبي نعيم عن سفیان الثوري عن الأعمش به نحوه ، تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه ، وهذا التأويل الذي سلكه معاوية رضى الله عنه بعيد ، ثم لم ينفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روى من وجوه آخر ، قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن خالد عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » . وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد العزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله (ص) قال لعمار : « يا ويح عمار يدعومهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن وفي بعض نسخ البخاري يابيح عمار تقتله الفئة الباغية يدعومهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار ، وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا شعبة ثنا عمرو بن دينار عن أبي هشام عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية ، وروى مسلم من حديث شعبة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وروى مسلم أيضاً من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن الحسن وسعيد ابني أبي الحسن عن أمهم حرة عن أم سلمة أن رسول الله (ص) قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن عليه عن ابن عون عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة به وفي رواية وقاته في النار . وروى البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي الجواب عن عمار بن زريق عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - في سيرة علي - ثنا يحيى بن عبيد الله الكرابيسي ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن عمار بن زريق عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إن الله قد أمننا أن يظلمنا ولم يؤمننا أن يفتننا ، رأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله ، قلت : رأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » . وروى ابن ديزيل عن عمرو بن العاص نفسه حديثاً في ذكر عمار وأنه مع فرقة الحق ، وإسناده غريب ، وقال البيهقي : أنا علي بن



أحمد بن عبيد بن أنا أحمد بن عبيد الله الصفار ثنا الأسقاطي ثنا أبو مصعب ثنا يوسف بن الماجشون عن أبيه عن أبي عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاة لعمار قالت: «اشنكي عمار شكوى أرق منها فغشي عليه، فأفاق ونحن نبكي - قوله، فقال: مات يكون؟ أتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي (س)، أنه تقتلني الفئة الباغية، وأن آخر زادي من الدنيا مذقة من لبن»، وقال أحمد: ثنا ابن أبي عدي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: «أمرنا رسول الله (س)، بيناه المسجد فجعلنا ننقل ابنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فترب رأسه قال: فحدثني أصحابي ولم أسمعه ن رسول الله أنه جعل ينفذ رأسه ويقول: ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية، تفرد به أحمد وما زاده الروافض في هذا الحديث بعد قوله الباغية «لا أناها والله شفاعتي يوم القيامة فهو كذب وبهت على رسول الله (س)، فانه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بقسمية الفريقين مسلمين، كما سنورده قريباً إن شاء الله. قال ابن جرير وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال على لربيعة وهمدان: أنتم درعي ورحمي، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدمهم على بيغلتة فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلى يقاتل ويقول:

أضربهم ولا أرى معاوية \* الجاحظ العين عظيم الحاوية

قال: ثم دعى على معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه بالخروج إليه عمرو بن العاص فقال له معاوية: إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله، ولكنك طمعت فيها بعمدي، ثم قدم على ابنه محمد في عصابة كثيرة من الناس، فقاتلوه قتلاً شديداً ثم تبعه على في عصابة أخرى، فحمل بهم فقتل في هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله وقتل من العراقيين خلق كثير أيضاً، وطارت أكف ومعاصم ورؤس عن سواهلها، رحمهم الله. ثم حانت صلاة المغرب فما صلى بالناس إلا إيماء صلاتي العشاء واستمر القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شراً بين المسلمين، وتسمى هذه الليلة ليلة الهريز، وكانت ليلة الجمعة تقصفت الرماح ونفذت النبال، وصار الناس إلى السيوف، وعلى رضی الله عنه يحرض القبائل، ويتقدم إليهم يأمر بالصبر والثبات وهو أمام الناس في قلب الجيش، وعلى الميمنة الأشر، تولاهما بمد قتل عبد الله بن بديل عشية الخميس ليلة الجمعة - وعلى الميسرة ابن عباس، والناس يقتلون من كل جانب فذكر غير واحد من علمائنا علماء السير - أنهم قتلوا بالرماح حتى تقصفت، وبالنبال حتى فنت، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن قاتلوا الأيدي والرمي بالحجارة والتراب في الوجوه، وتماضوا بالأسنان يقتل الرجلان حتى ينخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما يهر على الآخر ويهر عليه ثم يقومان فيقتلان كما كانا، فانا لله

وإنما إليه راجعون . ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إجماعاً وهم في القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام ، وذلك أن الأشتر النخعي صارت إليه إمرة الميمنة ، فحمل بمن فيها على أهل الشام وتبعه على فتنقتضت غالب صفوفهم وكادوا يهزمون ، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح : وقالوا ، هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس فمن للثغور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار .

وذكر ابن جرير وغيره من أهل التاريخ أن الذي أشار بهذا هو عمرو بن العاص ، وذلك لما رأى ، أن أهل العراق قد استظفروا في ذلك الموقف ، أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر فإن كلا من الفريقين صابر للآخر ، والناس يتفانون . فقال إلى معاوية : إني قد رأيت أمراً لا يزيدنا هذه الساعة إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ، أرى أن ترفع المصاحف وتدعوهم إليها ، فإن أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال ، وإن اختلفوا فيما بينهم فمن قاتل نجيبهم ، وقاتل لآنجيبهم ، فشلوا وذهب ربحهم ، وقال الامام أحمد ، حدثنا يعلى بن عبيد عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت . قال أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على بالنهر وان فيما استجابوا له وفيما فارقه ، وفيما استحل قتالهم فقال : كنا بصفين فلما استحر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أرسل إلى علي بمصحف فأدعه إلى كتاب الله فاته لن يأتى عليك فجاء به رجل فقال : بيننا وبينكم كتاب الله [ ألم وإلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ] يتولى فريق منهم بعد ذلك وهم معرضون ] فقال علي : نعم ! أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله قال فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ما ينتظر هؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشى إليهم سيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال : يا أيها الناس انهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعنى الصلح الذي كان بين رسول الله وبين المشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر إلى رسول الله فقال : يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل ؟ وذكرك تمام الحديث كما تقدم في موضعه .

### رفع أهل الشام المصاحف

فلما رفعت المصاحف قال أهل العراق : نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه . قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جنذب الأزدى عن أبيه أن علياً قال : عباد الله أمضوا إلى حكم وصدقكم وقاتل عننكم ، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك ابن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، محبتهم أطفالا ، ومحبتهم رجالا ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ، ويحكم والله إنهم ما رفعوها إنهم يقرأونها ولا يعملون بما فيها وما

رفعوها إلا خديعة ودهاء ومكيمة . فقالوا له : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن تقبله . قال لهم : إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم به ، وتركوا عهده ، وبنوا كتابه . فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبائي في عصابة معهما من القراء الذين ساروا بعد ذلك خوارج : يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان ، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه ، والله لتفعلنها أو لتفعلنها بك . قال : حافظوا عني نهي إياكم واحفظوا مقاتلكم لي ، أما أنا فان تطيعوني فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدالكم ، قالوا : فابعث إلى الأشرق فليأتك ويكف عن القتال ، فبعث إليه علي ليكف عن القتال ، وقد ذكر الهيثم بن عدي في كتابه الذي صنفه في الخوارج فقال : قال ابن عباس : فحدثني محمد بن المنتشر الهمداني عن من شهد صفين وعن ناس من رؤس الخوارج ممن لا يتهم علي كذب أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى وقال في علي بعض ما أكره ذكره ، ثم قال : من رآني إلى الله قبل أن يبتغي غير الله حكماً ؟ فحمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه . وكان ممن دعا إلى ذلك سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام في أهل العراق فدعاهم إلى المهادنة والكف وترك القتال والاعتبار بما في القرآن ، وذلك عن أمر معاوية له بذلك رضي الله عنهما ، وكان ممن أشار على علي بالبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه ، فروى أبو مخنف من وجه آخر أن علياً لما بعث إلى الأشرق قال : قل له إنه ليس هذه ساعة ينبغى أن لاتزيلني عن موقفي فيها ، إني قد رجوت أن يفتح الله علي ، فلا تعجلني ، فرجع الرسول - وهو يزيد بن هاني - إلى علي فأخبره عن الأشرق بما قال ، وصمم الأشرق على القتال لينتهز الفرصة ، فارتفع الهرج وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلي : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ، فقال : أرايتموني ساررته ؟ ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعترلناك ، فقال علي لزيد بن هاني : وبحك ! قل له أقبل إلى فان الفتنة قد وقعت ، فلما رجع إليه يزيد بن هاني فأبلغه عن أمير المؤمنين أنه ينصرف عن القتال ويقبل إليه ، جعل يتململ ويقول : وبحك ألا ترى إلي ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل ؟ فقلت : أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا يعني عنك نصرتك هاهنا ؟ قال : فأقبل الأشرق إلى علي وترك القتال فقال : يا أهل العراق ! يا أهل النذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، ومسنة من أنزلت عليه ، فلا تجيبوهم ، أمهلوني فاني قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا ! قال : أمهلوني عدو الفرس فاني قد طمعت في النصر ، قالوا إذا ندخل معك في خطيئتك ، ثم أخذ الأشرق يناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام

بما حاصله : إن كان أول قتالكم هؤلاء حقاً فاستمروا عليه ، وإن كان باطلاً فاشهدوا لقتلهم بالنار ، قالوا : دعنا منك فانا لا نطيعك ولا صاحبك أبداً ، ونحن قاتلنا هؤلاء في الله ، وتركنا قتالهم لله ، قال لهم الأشتر : خذتم والله فأنخذتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم ، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، يا أشباه النيب الجلالة ما أنتم بربايين بعلمها . فابعدوا كما بعد القوم الظالمون . فسبوه وسبهم فضربوا وجهه دابته بسياطهم ، وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكاملهم إلى المصلحة والمسألة مدة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين ، فان الناس تفاتوا في هذه المدة ، ولا سيما في هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهريز . كل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله ، ولهذا لم يفر أحد عن أحد ، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً . خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق . قاله غير واحد منهم ابن سيرين وسيف وغيره . وزاد أبو الحسن ابن البراء - وكان في أهل العراق - خمسة وعشرون بديراً ، قال : وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفاً واختلفا في مدة المقام بصفين فقال سيف : سبعة أشهر أو تسعة أشهر . وقال أبو الحسن بن البراء مائة وعشرة أيام . قلت : ومقتضى كلام أبي مخنف أنه كان من مستهل ذي الحجة في يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من صفر وذلك سبعة وسبعون يوماً فله أعلم ، وقال الزهري : بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفساً . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزي في المنتظم

وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان عن أبي اليان عن صفوان بن عمرو كان أهل الشام ستين ألفاً قتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً قتل منهم أربعون ألفاً . وحمل البيهقي هذه الواقعة على الحديث الذي أخرجه في الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر بن مهران بن منبه عن أبي هريرة ورواه البخاري من حديث شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، ومن حديث شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة » . ورواه مجاهد عن أبي الحواري عن أبي سعيد مرفوعاً مثله ورواه الثوري عن ابن جعدان عن أبي غضرة عن أبي سعيد . قال قال رسول الله (ص) : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فينبأهم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد تقدم ما رواه الامام أحمد عن مهدي وإسحاق عن سفيان عن منصور عن ربيعي بن خراش عن البراء بن ناجية الكاهلي عن ابن مسعود . قال قال رسول الله (ص) : « إن رحى الاسلام ستزول لخمس وثلاثين أو ست

وثلاثين ، فان يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاماً ، فقال عمر : يا رسول الله أما مضى أم مما بقي ؟ قال : بل مما بقي . وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتاب جمعه في سيرة علي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا شريك بن عبد الله النخعي عن مجالد عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله . قال قال لنا رسول الله (ص) ، « إن رحى الاسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة فان يصطلحوا فيما بينهم بأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً ، وإن يقتتلوا يركبوا سنين من كان قبلهم » وقال ابن ديزيل : حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن خراش الشيباني عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي . قال قال رسول الله (ص) : « تدور رحى الاسلام عند قتل رجل من بني أمية » - يعني عثمان رضي الله عنه - وقال أيضاً : حدثنا الحكم عن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ أن رسول الله (ص) دعى إلى جنازة رجل من الأنصار فقال - وهو قاعد ينتظرها - « كيف أنتم إذا راعيتم حليل [كذا] في الاسلام؟ قال أبو بكر : أو يكون ذلك في أمة إلهها واحد ونبيها واحد؟ قال : نعم ! قال : أفأدرك ذلك يا رسول الله؟ قال : لا ! قال عمر : أفأدرك ذلك يا رسول الله؟ قال : لا ! قال عثمان : أفأدرك ذلك يا رسول الله؟ قال : نعم ! بك بفتنون » وقال أيضاً عمر لابن عباس : كيف يختلفون وإلههم واحد وكتابتهم واحد وملتهم واحدة؟ فقال : إنه سيجيء قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه ، فيختلفون فيه فاذا اختلفوا فيه اقتتلوا . فأقر عمر بن الخطاب بذلك . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا سعيد بن عبد الرحمن - أخو أبي حمزة - ثنا محمد بن سيرين قال : لما قتل عثمان قال عدى بن حاتم : لا ينتطح في قتله عتران . فلما كان يوم صفين فقتت عينه فتبيل : لا ينتطح في قتله عتران ، فقال : بلى وتفقأ عيون كثيرة . وروى عن كعب الأخبار أنه مر بصفين فرأى حجارتهما فقال : لقد اقتتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات ، وإن العرب ستقتل فيها العاشرة ، حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف فيها بنو إسرائيل ويتفانوا كما تفانوا . وقد ثبت في الحديث أن رسول الله (ص) قال : « سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من سواي فيستبيح بيضتهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط بعضهم على بعض فمنعنيها » ذكرنا ذلك عند تفسير قوله تعالى [أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض] قال رسول الله : هذا أهون .

### قصة التحكيم

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكم كل واحد من الأمرين - علي ومعاوية - رجلاً من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة للمسلمين . فوكل معاوية عمرو بن العاص ، وأراد علي أن يوكل عبد الله بن عباس - وليته فعل -

ولكنه منعه القراء ممن ذكرنا وقالوا : لا ترضى إلا بأبي موسى الأشعري . وذكر الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج له أن أول من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس ، وتابعه أهل اليمن ، ووصفوه أنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال ، وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجاز . قال علي : فاني أجعل الأشتر حكماً ، فقالوا : وهل سعر الحرب وشعر الأرض إلا الأشتر؟ قال : فاصنعوا ما شئتم ، فقال الأحنف لعلي : والله لقد رميت بحجر إنه لا يصلح هؤلاء القوم إلا رجل منهم ، يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ، ويبتعد حتى يصير بمنزلة النجم ، فان أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً وثالثاً ، فانه لن يمقد عقدة إلا أهلها ، ولا يحل عقدة عقدها إلا عقدة لك أخرى مثلها أو أحكم منها . قال : فأبوا إلا بأبوموسى الأشعري فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعري . وكان قد اعتزل . فلما قيل له إن الناس قد اصطلحوا قال : الحمد لله ، قيل له : وقد جعلت حكماً ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي رضي الله عنه وكتبوا بينهم كتاباً هذه صورته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وليس بأمرنا ، فقال الأحنف : لا تكتب إلا أمير المؤمنين ، فقال علي : امح أمير المؤمنين واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ثم استشهد علي بقصة الحديبية حين امتنع أهل مكة هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فامتنع المشركون من ذلك وقالوا : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فكتب الكاتب : هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي علي أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين ، وقاضى معاوية علي أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ونحبي ما أحبي الله ، ونميت ما أمات الله فما وجد الحكمان في كتاب الله - وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص - ، عملا به وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين اليهود والمواثيق أنهما آمان علي أنفسهما وأهلها ، والأمة لها أنصار علي الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من المؤمنين كإيهما عهد الله وميثاقه أنهما علي ما في هذه الصحيفة ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يوخرا ذلك علي تراض منهما ، وكتب في يوم الأربعاء ثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ، علي أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان ، ومع كل واحد من الحكمين أربع مائة من أصحابه ، فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، وقد ذكر الهيثم في كتابه في الخوارج أن الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه : « هذا ما قاضى عبد الله علي

أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان « قال معاوية : لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله ، ولكن ليكتب اسمه وليبدأ به قبل اسمي لفضله وسابقته ، فرجع إلى علي فكتب كما قال معاوية . وذكر الهيثم أن أهل الشام أبوا أن يبدأ باسم علي قبل معاوية ، وباسم أهل العراق قبلهم ، حتى كتب كتابان كتاب لهؤلاء فيه تقديم معاوية على علي وكتاب آخر لأهل العراق بتقديم اسم علي وأهل العراق على معاوية وأهل الشام وهذه تسمية من شهد على هذا التحكيم من جيش علي : عبد الله بن عباس ، والأشعث ابن قيس الكندي ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وعبد الله بن الطنيل المعافري ، وحجر بن يزيد الكندي ، وورقاء بن مهي العجلي ، وعبد الله بن بلال العجلي ، وعقبة بن زياد الأنصاري ، ويزيد ابن جحفة التميمي ، ومالك بن كعب الهمداني . فهؤلاء عشرة . وأما من الشاميين ف عشرة آخرون ، وهم أبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومخارق بن الحارث الزبيدي ، ووائل بن علقمة العدوي ، وعلقمة بن يزيد الحضرمي ، وحزمة بن مالك الهمداني ، وسبيع بن يزيد الحضرمي ، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، ويزيد بن الحر العبسي . وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه على الطائفتين . ثم شرع الناس في دفن قتلاهم قال الزهري : بلغني أنه دفن في كل قبر خمسون نفساً ، وكان علي قد أسر جماعة من أهل الشام ، فلما أراد الانصراف أطلقهم ، وكان مثلهم أو قريب منهم في يد معاوية وكان قد عزم على قتلهم لظنه أنه قد قتل أسراهم ، فلما جاء أولئك الذين أطلقهم أطلق معاوية الذين في يده ، ويقال إن رجلاً يقال له عمرو بن أوس - من الأزد - كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال : امنن علي فانك خالي ، فقال : وبحك ! من أين أنا خالك ؟ فقال : إن أم حبيبة زوجة رسول الله (ص) ، وهي أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها وأنت خالي ، فأعجب ذلك معاوية وأطلقه . وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وذكر أهل صفين - فقال : كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية فالتقوا في الإسلام معهم على الحمية وسنة الإسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تجاوزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في عسكر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاهم فيدفنهم . قال الشعبي : هم أهل الجنة ، أتى بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد .

### خروج الخوارج

وذلك أن الأشعث بن قيس مر على ملا من بني تميم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أذينة وهي أمه وهو عروة بن جرير من بني ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبي بلال بن مرداس بن جرير فقال : أتحكامون في دين الله الرجال ؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث بن قيس ، فغضب الأشعث وقومه ، وجاء الأحنف بن قيس وجماعة من رؤسائهم يعتنرون إلى الأشعث بن قيس من ذلك ،

قال الهيثم بن عدي: والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي . قلت : والصحيح الأول وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب علي من المقراء وقالوا : لا حكم إلا لله ، فسوا المحكية . وفرق الناس إلى بلادهم من صفين ، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ، ورجع علي إلى الكوفة على طريق هيت فلما دخل الكوفة سمع رجلاً يقول : ذهب علي ورجع في غير شيء . فقال علي : للذين فارقتهم خير من هؤلاء وأنشأ يقول :

أخوك الذي إن أخرجتك ملء \* من الدهر لم يبرح لبثك راحما  
وليس أخوك بالذي إن تشعبت \* عليك أمورهم ظل يلحاك لأنما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الامارة من الكوفة ، ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من - اثني عشر ألفاً - وهم الخوارج ، وأبو أن يساكنوه في بلده ، ونزلوا بمكان يقال له حروراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها ، فبعث إليهم علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقى بقيتهم ، فقاتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه كما سيأتي بيانه وتفصيله قريباً إن شاء الله تعالى . والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله (س) : « قال تمرق مارقة علي حين فرقة من الناس - وفي رواية من المسلمين ، وفي رواية من أمي - فيقتلها أولى الطائفتين » . وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة قال الامام أحمد : حدثنا وكيع وعفان بن القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد .. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » . رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن القاسم بن محمد به . وقال أحمد : حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (س) : « تكون أمي فرقتين نخرج بينهما مارقة تلي قتلها أولاهما » . ورواه مسلم من حديث قتادة وداود بن أبي هند عن أبي نضرة به . وقال أحمد : حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (س) : « ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس ، سيأهم التحليق هم شر الخلق - أو من شر الخلق - يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق » . قال أبو سعيد : فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري . قال قال رسول الله (س) : « تفرق أمي فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها أولى الطائفتين بالحق » . ورواه عن يحيى القطان عن عوف وهو الأعرابي به مثله فهذه طرق متعددة عن أبي نضرة المنبر بن مالك بن قطعة الصبدي ، وهو أحد الثقات الرفعاء ورواه مسلم أيضاً من حديث سفیان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد بنحوه .



فهذا الحديث من دلائل النبوة إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجماعة الضميمة ، من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً ، وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الأمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله (ص) قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » وسيأتي بيان كيفية قتال علي رضي الله عنه للخوارج ، وصفة المخدج الذي أخبر عنه عليه السلام فوجد كما أخبر ففرح بذلك علي رضي الله عنه وسجد للشكر .

### قصة الكوفة

قد تقدم أن علياً رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين ، ذهب إلى الكوفة ، فلما دخلها انزعزل عنه طائفة من جيشه ، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثني عشر ألفاً ، وقيل أقل من ذلك ، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا أشياء ، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه شبهة ، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر ، فرجع بعضهم واستمر بعضهم علي ضالهم حتى كان منهم ما سنورده قريباً ، ويقال إن علياً رضي الله عنه ذهب إليهم فناظرهم فيما نعموا عليه حتى استرجعهم عما كانوا عليه ، ودخلوا معه الكوفة ، ثم إنهم عاهدوا فنكثوا ما عاهدوا عليه وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام على الناس في ذلك ثم تميزوا إلى موضع يقال له النهروان ، وهناك قاتلهم علي كما سيأتي . قال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن عياض بن عمرو القاري قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالي قبيل علي ، فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادق عما أسألك عنه ؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي ، فقال : ومالي لا أصدقك ؟ قالت : فحدثني عن قصتهم ، قال : فان علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكيم خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فترلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قبص ألبسكه الله ، واسم سماك به الله ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا لله ، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه ، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل علي أمير المؤمنين رجل إلا رجلاً قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف ! حدث الناس فناداه الناس فقالوا :

يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن تتكلم بما روينا منه، فإذا تريد؟ قال:

أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل:

[وإن ختم شقاق بينهما فابشوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما]

فأمة محمد (س)، أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونتموا على أن كاتب معاوية كتبت على بن

أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله (س)، بالحديبية حين صالح قومه قريشا

فكتب رسول الله (س): بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم،

قال: كيف تكتب؟ قال: أكتب باسمك اللهم! فقال رسول الله (س): أكتب فكتب، فقال:

أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا

ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا، يقول الله تعالى في كتابه [لقد كان لكم في رسول الله أسوة

حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر] فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا

توسطت عسكرهم فقام ابن الكوا فخطب الناس فقال يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم

يكن يعرفه فأنا أعرفه ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه، هذا ممن نزل فيه وفي قومه [بل هم قوم

خصمون] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله، فقال بعضهم: والله لنواضعه فان جاء بحق

نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنكبتنه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم

أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكوا، حتى أدخلهم على علي الكوفة، فبعث علي إلى بقيتهم

فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حث شتم حتى تجتمع أمة محمد (س)، بيننا

وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطفوا سيلاً أو تظلموا ذمة فانكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم

الحرب على سواء [إن الله لا يحب الخائنين] فقالت له عائشة: يا ابن شداد قتلهم فقالوا والله

ما بعثت إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة، فقالت الله، قال: الله لا إله

إلا هو قد كان ذلك، قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يقولون ذو الشدى وذو الشدية؟ قال: قد

رأيتهم وكنت مع علي في القتلى فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيتهم

في مسجد بني فلان، ورأيتهم في مسجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك. قالت:

فما قول علي حيث قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال سمعته يقول صدق الله ورسوله قالت: هل

سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا! قالت أجل! صدق الله ورسوله، برحم الله علياً إنه

كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون

عليه في الحديث تفرد به أحمد وإسناده صحيح واختاره الضياء في هذا السياق ما يقتضى أن عندهم

كانوا ثمانية آلاف، لكن من القراء، وقد يكون واطأهم على منذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا

اثني عشر ألفاً ، أو ستة عشر ألفاً . ولما ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف وبقي بقيتهم على ما هم عليه ، وقد رواه يعقوب بن سفيان عن موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن سبأ بن زويل عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه في كونه حكم الرجال ، وأنه محي اسمه من الأمة ، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الألف الحرام ولم يقسم الأموال والسبي ، فأجاب عن الأولين بما تقدم ، وعن الثالث بما قال : قد كان في السبي أم المؤمنين فان قلمت ليست لكم بأم فقد كفرتم ، وإن استحلتم سبي أمهاتكم فقد كفرتم . قال : فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . وذكر غيره أن ابن عباس لبس حلة لما دخل عليهم ، فناظروه في لبسه إياها ، فاحتج بقوله تعالى [ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ] الآية . وذكر ابن جرير أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى شك الراوي في ذلك ، ثم جعلوا يعرضون له في الكلام ويسمعونه شتماً ويتأولون بتأويل في قوله . قال الشافعي رحمه الله : قال رجل من الخوارج لعلي وهو في الصلاة [ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ] فقراً على [ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون ] .

وقد ذكر ابن جرير أن هذا كان وعلى في الخطبة . وذكر ابن جرير أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال : يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله ، فتنادوا من كل جانب لاحكم إلا لله ، لاحكم إلا لله ، فجعل على يقول : هذه كلمة حق يراد بها باطل ، ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيها ما دامت أيديكم معنا ، وأن لا نمنعكم مساجد الله ، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤنا . ثم إنهم خرجوا بالكوفة عن الكوفة وتجهزوا إلى النهروان على ما سئد كرد بعد حكم الحكيم .

## اجتماع الحكمين أبي موسى وعمرو بن العاص

### بدومة الجندل

وذلك في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصقين ، وقال الواقدي اجتمعوا في شعبان وذلك أن علياً رضي الله عنه لما كان محياً رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هاني ، ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس ، وإليه الصلاة وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ومنهم عبد الله بن عمر ، فتوافقوا بدومة الجندل بأذرح - وهي نصف [ المسافة ] بين الكوفة والشام ، بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل - وشهد معهم جماعة من رؤس الناس ، كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي .

وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبي جهم بن حديفة . وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم أيضاً ، وأنكر حضوره آخرون . وقد ذكر ابن جرير أن عمر بن سعد خرج إلى أبيه وهو على ماء لبني سليم بالبادية معتزل : فقال يا أبة : قد بلغك ما كان من الناس بصفين ، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ، فاشهدهم فانك صاحب رسول الله (ص) ، وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفضل إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخفي البقي » والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً . وقد قال الامام أحمد . حدثنا أبو بكر الخفي عبد الكبير بن عبد المجيد ثنا بكر بن سمار عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما أتاه قال : يا أبة أرضيت أن تكون أعرايياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة ؟ فضرب سعد صدر عمر وقال : اسكت فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي » وهكذا رواه مسلم في صحيحه . وقال أحمد أيضاً : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا كثير بن زيد الأسلمي عن المطلب عن عمر بن سعد عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال : يا أبة : الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا ؟ فقال : يا بني أتى الفتنة تأمرني أن أكون رأساً ؟ لا والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مؤمناً نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتلته ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب الغني الخفي التقي » وهذا السياق كان عكس الأول ، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلمهم يعدلون عن معاوية وعلى ويولونه فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الأباء وقع بما هو فيه من الكفاية والخفاء كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله (ص) قال : « أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه » وكان عمر بن سعد هذا يحب الامارة ، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في موضعه ، ولو وقع بما كان أبوه عليه لم يكن شيء من ذلك . وللقصود أن سعداً لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولا هم به ، وإنما حضره من ذكرنا . فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين ، ونظرا في تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما ، وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : فول ابني عبد الله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد . فقال له أبو موسى : إنك قد غمست ابنك في الفتن ملك ، وهو مع ذلك رجل صدق .

قال أبو مخنف : فحدثني محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال قال عمرو بن العاص : إن هذا

الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرر يأكل ويطعم . وكان ابن عمر فيه غفلة ، فقال له ابن الزبير : افطن واتق به ، فقال ابن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً ، ثم قال : يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيوف وتشاكت بالرماح ، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشد منها ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقب معاوية وحده على الناس فأبى عليه ، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة ، فأبى أيضاً ، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر فامتنع عمرو أيضاً ، ثم اصطالحا على أن يخلعا معاوية وعليها ويتركا الأمر شورى بين الناس لينفقوا على من يختاروه لأنفسهم ، ثم جاء إلى المجمع الذي فيه الناس - وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى بل يقدمه في كل الأمور أدباً وإجلالاً - ، فقال له : يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه ، فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله (ص) ، ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصح لها ولا أتم لشعبها من رأى اتفقت أنا وعمرو عليه ، وهو أنا نخلع عليا ومعاوية ونترك الأمر شورى ، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه ، وإني قد خلعت عليا ومعاوية . ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذا قد قال ما سمعتم ، وإنه قد خلع صاحبه ، وإني قد خلعت كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان ، والطالب بدمه ، وهو أحق الناس بمقامه - وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف ، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة ، والاجتهاد بخطئ ويصيب . ويقال إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله .

وذكر ابن جرير أن شرح بن هاني - مقدم جيش علي - وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابن لعمر وفضربه بالسوط ، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم ، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأما أبو موسى فاستحى من علي فذهب إلى مكة ، ورجع ابن عباس وشرح بن هاني إلى علي فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو ، فاستضعفوا رأى أبي موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمرو بن العاص . فذكر أبو مخنف عن أبي حباب الكلبي أن عليا لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبا الأعرور السلمي ، وحبيب ابن مسلمة ، والضحاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والوليد بن عتبة ، فلما بلغ ذلك معاوية كان يلعن في قنوته عليا وحسنا وحسينا وابن عباس والأشتر النخعي ، ولا يصح هذا والله أعلم . فأما الحديث الذي قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا إسماعيل بن الفضل ثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله

ابن يزيد وجيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال : إني لا مشى مع علي بشط الفرات فقال : قال رسول الله ص : « إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكيم فضلا وأضلا ، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكيم فيضلان ويضلان من اتبعهما » فانه حديث منكر ورفعه موضوع والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكيم حتى لا يكون سبباً لاضلال الناس ، كما نطق به هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندي الحميري الأعمى قال ابن معين ليس بشيء .

### خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً

لما بعث علي أباموسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على علي وصرحوا بكفره ، فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زرعة بن البرج الطائى ، وحر قوص بن زهير السعدى ققلا : لا حكم إلا لله ، فقال علي : لا حكم إلا لله ، فقال له حر قوص : تب من خطيئتك واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال علي : قد أردتكم على ذلك فأيتيم ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهداً وقد قال الله تعالى : [ وأوفوا بعهدهم إذا عاهدتم ] الآية فقال له حر قوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه ، فقال علي : ما هو بذنب ولا سب ولا عجز من رأى ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتكم عنه ، فقال له زرعة بن البرج : أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه ، فقال علي : تبا لك ما أشقاك ! كأنى بك قتيلاً تسقى عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له علي : إنك لو كنت محقاً كان في الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهواكم . فخرجوا من عنده بمحكان وفشى فيهم ذلك ، وجاهروا به الناس ، وتعرضوا لعلى في خطبه وأسمعه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن ، وذلك أن علياً قام خطيباً في بعض الجمع فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه . فقام جماعة منهم كل يقول لا حكم إلا لله ، وقام رجل منهم وهو واضح إصبه في أذنيه يقول : [ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ] فجعل علي يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر ويقول : حكم الله تنتظر فيكم . ثم قال : إن لكم علينا أن لا تمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينا ولا تمنعكم تصيحبكم من هذا الفى ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا . وقال أبو مخنف عن عبد الملك عن أبي حرة أن علياً لما بعث أباموسى لأنفاذ الحكومة اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبى فخطبهم خطبة بليغة زهدم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة ،

وحنهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال : فأخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال ، أو بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة . ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا يدعونكم زيفتها أو بهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم [ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ] فقال سنان بن حمزة الأسدي : يا قوم إن الرأي ما رأيتم ، وإن الحق ما ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم ، فانه لا بد لكم من عماد وسناد ، ومن راية تمخون بها وترجعون إليها ، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي - وكان من رؤسهم - فعرضوا عليه الأمانة فأبى ، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها وقال : أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت . واجتمعوا أيضا في بيت زيد بن حصن الطائي النسبسي فخطبهم وحنهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى [ يادأود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ] الآية . وقوله تعالى : [ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ] وكذا التي بعدها وبعدها الظالمون الفاسقون ثم قال : فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ، ونبذوا حكم الكتاب ، وجاروا في القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين ، فيكي رجل منهم يقال له عبد الله بن سخبرة السلي ، ثم عرض أولئك على الخروج على الناس ، وقال في كلامه : اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم ، فإن أنتم ظفرتهم وأطيع الله كما أردتم أتاكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره - وإن قتلتم فأى شيء أفضل من النصير إلى رضوان الله ووجته ؟ قلت : وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ، فسبحان من نوع خلقه كما أراد ، وسوق في قدره العظيم . وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى : [ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا ] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء في الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم - ممن هو على رأيهم ومذهبهم ، من أهل البصرة وغيرها - فيوافقهم إليها . ويكون اجتماعهم عليها . فقال لهم زيد بن حصن الطائي : إن المدائن لا تقدر أن عليها ، فإن بها جيشا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوحى ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ،

ولكن اخرجوا وحدانا ثلاثا يفتن بكم ، فكتبوا كتابا عاما إلى من هو على منهبهم ومسلكتهم من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافقهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحدانا اثلا يعلم أحد بهم فيمنعهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخلالات وفارقوا سائر القرابات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضى رب الأرض والسماوات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات ، والعظام والخطيئات ، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السماوات الذي نصب العداوة لأبينا آدم ثم لنديته مادامت أرواحهم في أجسادهم مترددات ، والله المستول أن يعصمنا منه بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات ، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من فر بعد ذلك فلاحق بالخوارج فخرس إلى يوم القيامة ، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا كتبوا إليه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالنهر وان وصارت لهم شوكة ومنعة ، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وعندهم أنهم متقربون بذلك . فهم لا يصطلي لهم بنار ، ولا يطعم في أن يؤخذ منهم بثأر ، وبالله المستعان . وقال أبو مخنف عن أبي روق عن الشعبي أن علياً لما خرجت الخوارج إلى النهر وان وهرب أبو موسى إلى مكة ، ورد ابن عباس إلى البصرة ، قام في الناس بالكوفة خطيباً فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدنان الجليل الكادح ، وأشهد أن لا إله غيره وإن محمداً رسول الله ، أما بعد فإن المعصية تشين وتسوء وتورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمرى ، ونحلتكم رأيي ، فأيتتم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى \* فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ما حكما به وأنهبهما ، وقال ما فيه حط عليهما ، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى الجهاد في أهل الشام ، وعين لهم يوم الاثنين يخرجون فيه ، وبعث إلى ابن عباس وإلى البصرة يستنفر له الناس إلى الخروج إلى أهل الشام ، وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذي حكم به الحكمان مردود عليهما ، وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام ، فلهوا حتى نجتمع على قتالهم . فكتبوا إليه : أما بعد فانك لم تفضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك وإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء [ إن الله لا يحب الخائنين ] ، فلما قرأ على كتابهم يثس منهم وعزم على الذهاب إلى أهل الشام ليناجزهم ، وخرج من الكوفة إلى النخيلة في عسكر كثيف - خمسة وستين ألفاً - وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتي فارس من أهل البصرة مع جارية بن قدامة ألف وخمسمائة ، ومع أبي الأسود



الدولى ألف وسبعمائة ، فكل جيش على في ثمانية وستين ألف فارس ومائتى فارس وقام على أمير المؤمنين خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر عند لقاء العدو ، وهو عازم على الشام ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج قد عاتوا في الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستنطروا المحارم ، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) ، أسروه وامراته معه وهي حامل فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) وانكم قد روعتموني فقالوا : لا بأس عليك ، حدثنا ما سمعت من أبيك فقال : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله (ص) ، يقول : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي » فاقترادوه بيده فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم فشق جلده فقال له آخر : لم فعلت هذا وهو لذى ؟ فذهب إلى ذلك الذمى فاستحله وأرضاه وبينما هو معهم إذ سقطت ثمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه ، فقال له آخر : بغير إذن ولا ثمن ؟ فألقاها ذاك من فمه ، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبجوه ، وجاءوا إلى امراته فقالت : إني امرأة حبلى ، ألا تتقون الله ، فذبجوها وبقروا بطنها عن ولدها ، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنع ، فخافوا غائلتهم ، وأشاروا على علي بأن يبدأ بهؤلاء ، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك والناس آمنون من شر هؤلاء فاجتمع الرأي على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً فأرسل علي إلى الخوارج رسولا من جهته وهو الحرب بن مرة العبدي ، فقال : اخبر لي خبرهم ، واعلم لي أمرهم واكتب إلي به على الجلية ، فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه ، فلما بلغ ذلك عليا عزم على الذهاب إليهم أولاً قبل أهل الشام .

### مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج

لما عزم علي ومن معه من الجيش على البداة بالخوارج ، نادى مناديه في الناس بالرحيل فعبير الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك علي دبر عبس الرحمن ، ثم دبر أبي موسى ، ثم علي شاطيء الفرات ، فلقية هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير في غيره ، فانه يخشى عليه فخالفه على فسار على خلاف ما قال فأظفروه الله ، وقال علي : إنما أردت أن أبين للناس خطاه وخشيت أن يقول جاهل ، إنما ظنر لكونه واقفه ، وسلك علي ناحية الأنبار وبث بين يديه قيس ابن سعد ، وأمره أن يأتي المدائن وأن يتلقاه بناؤها سعد بن مسعود ، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفي - في جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على علي ، وبث إلى الخوارج : أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى نقتلهم ثم أنا تارككم وذاهب إلى العرب - يعني أهل الشام - ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه . فبعثوا إلى علي يقولون : كلنا قتل إخوانكم ونحن

مستحلون دماءهم ودماءكم ، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، فلم ينفع وكذلك أبو أيوب الأنصاري أنهم ووبخهم فلم ينجع ، وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتوعدهم وقال : إنكم أنكرتم علي أمراً أنتم دعوتوني إليه فنهيتكم عنه فلم تقبلوا بها وأنا وأنتم فارجعوا إلي ما خرجتم منه ولا ترتكبوا محارم الله فانكم قد سوات لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم علياً دجاجة لكان عظيماً عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟ فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤوا للقاء الرب عز وجل ، الرواح الرواح إلى الجنة . وتندموا فاصطموا للقتال وتأهبوا للنزال فحملوا علي ميمينهم زيد بن حصن الطائي السنبسي ، وعلي الميسرة شريح بن أوفى ، وعلي خيالهم حمزة بن سنان ، وعلي الرجالة حرقوص بن زهير السعدي . ووقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه . وجعل علي على ميمينته حجر بن عدى ، وعلي الميسرة شبيث بن ربعي ومعتل بن قيس الرياحي ، وعلي الخيل أبو أيوب الأنصاري ، وعلي الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلي أهل المدينة - وكانوا في سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة ، وأمر علي أبو أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن . ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا قيمن قتل إخواننا ، فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا في أربعة آلاف - فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي ، فزحفوا إلى علي فقدم علي بين يديه الخيل وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة ، وقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدوكم ، وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ، الرواح الرواح إلى الجنة ، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة ، وأخرى إلى الميسرة ، فاصفبتهم الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة ونهض إليهم الرجال بالرمح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول ، وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب ، وحرقوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سخبرة السلمي ، قبضهم الله . قال أبو أيوب : وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح فانفذته من ظهره وقتلت له : أبشرياعدوا الله بالنار ، قتال : ستعلم أينما أولى بها صلياً . قالوا : ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول : بؤساً لكم ! لقد ضركم من غركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ومن غركم ؟ قال : الشيطان وأنفس بالسوء أمارة ، غرتهم بالأمانى وزيدت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون ثم أمر بالجرحي من بينهم فاذا هم أربعمائة ، فسلمهم إلى قبائلهم ليدأوهم ، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم . وقال الهيثم بن عدى في كتاب الخوارج : وحدثنا محمد بن قيس الأسدي ومنصور بن دينار عن عبد الملك

ابن ميسرة عن التزال بن سبرة أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده إلى أهله كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتى به فرده . وقال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرة أن علياً خرج في طلب ذي الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو حرة والريان بن صبرة بن هوزة فوجده الرياني في حفرة على جانب النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً ، قال : فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كشدى المرأة له حمة عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى نحاذى يده الأخرى ثم تنزل فتعود إلى منكبه كشدى المرأة ، فلما رآه علي قال : أما والله ما كذبت لولا أن تتكلموا على العمل لا أخبرتكم بما قضى الله في قتالهم عارفاً للحق . وقال الهيثم بن عدي في كتابه في الخوارج : وحدثني محمد بن ربيعة الأحنسي عن نافع بن مسلمة الأحنسي قال كان ذو الثدية رجلاً من عرنة من بجيلة ، وكان أسود شديد السواد ، له ريح منتنة معروف في العسكر ، وكان يزاقنا قبل ذلك وينازلنا ونازله . وحدثني أبو إسماعيل الحنفي عن الريان بن صبرة الحنفي . قال : شهدنا النهروان مع علي ، فلما وجد المخدج سجد سجدة طويلة . وحدثني سفيان الثوري عن محمد بن قيس الهمداني عن رجل من قومه يكنى أبا موسى أن علياً لما وجد المخدج سجد سجدة طويلة . وحدثني نونس بن أبي إسحاق حدثني إسماعيل عن حبة العرنى . قال : لما أقبل أهل النهروان جعل الناس يقولون : الحمد لله يا أمير المؤمنين انذى قطع دابرهم . فقال علي : كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فإذا خرجوا من بين الشرايين قتل ما يلقون أحداً إلا ألبوا أن يظهروا عليه ، قال : وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود ، وكان يقال له : ذو البيئات . وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال : ما كان عبد الله بن وهب من بغضه علياً يسميه إلا الجاحد . وقال الهيثم بن عدي : ثنا إسماعيل عن خالد بن علقمة بن عامر قال : سئل علي عن أهل النهروان أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيل أفتناقون ؟ قال : إن المناقين لا يذكرون الله إلا قليلاً : فقيل فإمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم يبغيهم علينا . فهذا ما أورده ابن جرير وغيره في هذا المقام .

### ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة

الحديث الأول : عن علي رضي الله عنه ، ورواه عنه زيد بن وهب ، وسويد بن غفلة ، وطارق ابن زياد ، وعبد الله بن شداد ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وعبيدة بن عمرو السلماني ، وكليب أبو عاصم ، وأبو كثير وأبو مرجم ، وأبو موسى ، وأبو وائل الوضي فهذه اثنتا عشرة طريقاً إليه سترها بأسانيدها وألفاظها ومثل هذا يبلغ حد التواتر .

## الطريق الأولى

قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق عن همام ثنا عبد الملك ابن أبي سليمان ثنا سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي : يا أيها الناس إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآن بحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم (ص) ، لا تكاوا على العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس لها ذراع ، على رأس عضده مثل حمة الندى ، عليه شعرات بيض ، فيذهبون إلى معاوية وأهل الشام ويتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم ، وإني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله . قال سلمة : فذكر زيد بن وهب منزلا منزلا حتى مروا على قنطرة فلما التقينا - وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي - فقال لهم : ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم وكسروا جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم . قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلا ن ، قال علي : التمسوا فيهم الخدج ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام علي بنفسه حتى أتى ناساً بعضهم إلى بعض ، فقال : آخروه فوجدوه مما يلي الأرض فقال : آخروهم فوجدوهم مما يلي الأرض فكبر ثم قال : صدق الله وبلغ رسوله قال : فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله (ص) ، إني والله الذي لا إله إلا هو ، فاستحلفه ثلاثا وهو يحلف له أنه سمعه من رسول الله (ص) ، هذا لفظ مسلم . وقد رواه أبو داود عن الحسن بن علي الخلال عن عبد الرزاق بنحوه .

## طريق أخرى عن علي

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش وعبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش بن خيشمة عن سويد بن غفلة قال قال علي : إذا حدثتكم عن رسول الله (ص) فلا تخرن من السماء أحب إلى من أن أكنب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج قوم من أمتي في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم - قال عبد الرحمن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم - يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجراً لمن قاتلهم عند الله يوم القيامة » وأخرجاه في الصحيحين من طرق عن الأعمش به .

## طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا الوليد بن القاسم الهمداني ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن طارق بن زياد قال : سار على إلى النهروان قال الوليد في روايته : وخرجنا معه تتل الخوارج فقال اطلبوا المخدج فان رسول الله (ص) قال : « سيجي قوم يتكلمون بكلمة الحق لا تجاوز حلوقهم يرقون من الاسلام كما يمزق السهم من الرمية سيأهم أو فيهم رجل أسود مخدج اليد في يده شعرات سود ، إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس ، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس . قال الوليد ، في روايته : فبكيننا قال : إنا وجدنا المخدج نخرنا سجوداً وخر على ساجداً معنا » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

## طريق أخرى

رواه عبد الله بن شداد عن علي كما تقدم قريباً بإرادته بطوله .

## طريق أخرى عن علي

قال مسلم : حدثني أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن بشر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله أن الخوارج لما خرجت - وهو مع علي بن أبي طالب - قالوا : لا حكم إلا لله ، قال علي : كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله (ص) وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء ، يقولون : الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم - وأشار إلى خلقه - من أبغض خلق الله منهم أسود إحدى يديه طبي شاة أو حلة ثدي « فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال : ارجعوا فانظروا ، فوالله ما كذبت ولا كذبت - مرتين أو ثلاثاً - فوجدوه في خربة فأتوا به علياً حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول علي فيهم ، زاد يونس في روايته قال بكير : وحدثني رجل عن ابن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود . تفرد به مسلم .

## طريق أخرى

قال أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا أيوب عن محمد عن عبيدة عن علي قال : ذكرت الخوارج عند علي فقال : فيهم مخدج اليد أو مشدون اليد ؟ - أو قال مودن اليد - ولولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (ص) ، قال قلت : أنت سمعته من محمد ؟ قال : إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، وقال أحمد : ثنا وكيع ثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة عن علي قال قال رسول الله (ص) : « يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مشدون اليد أو مخدج اليد ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان

نبيه (س) ، قال عبيدة قلت لعلي : أنت سمعته من رسول الله (س) ؟ قال : إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة وقال أحمد : ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد عن عبيدة قال قال علي لأهل النهروان : فيهم رجل مشدون اليد أو مخدوج اليد ، ولولا أن تبطروا لأخبرتكم بما قضي الله على لسان نبيه (س) لمن قتلهم ، قال عبيدة : فقلت لعلي : أنت سمعته ؟ قال : إي ورب الكعبة ، يحلف عليها ثلاثا . وقال أحمد : ثنا ابن أبي عدى عن أبي بن عون عن محمد قال قال عبيدة : لا أحدثك إلا ما سمعت منه ، قال محمد : فحلف لنا عبيدة ثلاث مرات ، وحلف له علي قال قال : لولا أن تبطروا لأنباتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (س) . قال : قلت أنت سمعته ؟ قال : إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، فيهم رجل مخدج اليد أو مشدون اليد أحسبه قال : أو مودن اليد . وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن علية وحماد بن زيد كلاهما عن أيوب وعن محمد بن المثني عن ابن أبي عدى عن ابن عون كلاهما عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي . وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين . وقد حلف علي أنه سمعه من عبيدة وحلف عبيدة أنه سمعه من علي أنه سمعه من رسول الله (س) ، وقد قال علي : لأن آخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أكذب على رسول الله (س) .

### طريق أخرى

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : حدثني إسماعيل أبو معمر ثنا عبد الله بن إدريس ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال : كنت جالسا عند علي إذ دخل رجل عليه ثياب السفر فاستأذن علي علي وهو يكلم الناس فشغل عنه فقال علي : إني دخلت عن رسول الله (س) عنده عائشة فقال : « كيف أنت ويوم كذا وكذا ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : فقال قوم يخرجون من قبل المشرق بقرؤن القرآن لا يجارز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيهم رجل مخدج اليد كأن يديه يدي حبشية ، أنشدكم بالله هل أخبرتكم أنه فيهم » فذكر الحديث بطوله ، ثم رواه عبد الله ابن أحمد عن أبي خيثمة زهير بن حرب عن القاسم بن مالك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن علي . فذكر نحوه إسناده جيد .

### طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي : أخبرنا أبو القاسم الأزهرى أنا علي بن عبد الرحمن لكناني أنا محمد بن عبد الله بن عطاء عن سليمان الحضرمي أنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أنا خا بن عبيدة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال قال أبو جحيفة : قال علي حين فرغنا من الخ إن فيهم رجلا ليس في عضده عظم ثم عضده كحلمة الثدي عليها شعرات طوال عتف ، فالتسود عم

يجدوه قال : فما رأيت علياً جزع جزعاً أشد من جزعه يومئذ ، فقالوا : ما نجده يا أمير المؤمنين . فقال : ويلكم ما اسم هذا المكان ؟ قالوا : النهروان ، قال : كذبتُم إنه لفيهم ، فتورنا القتل فلم نجد فعدنا إليه فقلنا : يا أمير المؤمنين ما نجده ، قال : ما اسم هذا المكان ؟ قلنا : النهروان ، قال : صدق الله ورسوله وكذبتُم ، إنه لفيهم فالتمسوه ، فالتمسناه فوجدناه في ساقية فجتنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلقة ثدى المرأة عليها شعرات طوال عقف .

### طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا إسماعيل بن مسلم العبدى ثنا أبو كثير مولى الانصار قال : كنت مع سيدى مع على بن أبي طالب حيث قتل أهل النهروان ، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم ، فقال على : يا أيها الناس إن رسول الله (ص) ، « قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه ، وإن آية ذلك أن فيهم رجلاً أسود مخدج اليد إحدى يديه كثدى المرأة ، حلقة كحلقة ثدى المرأة ، حوله سبع هلبات فالتمسوه فاني أراه فيهم ، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتل فأخرجوه فكبر على ، فقال : الله أكبر ! صدق الله ورسوله ، وإنه لمتقلد قوساً له عربية فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مخدجته ويقول : صدق الله ورسوله . وكبر الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ما كانوا يجدون » تفرد به أحمد .

### طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو خيثمة ثنا شبابة بن سوار حدثني نعيم بن حكيم حدثني أبو مرير ثنا على بن أبي طالب أن رسول الله (ص) ، قال : « إن قوماً يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، علامتهم رجل مخدج » وقال أبو داود في سننه : حدثنا بشر بن خالد ثنا شبابة بن سوار عن نعيم بن حكيم عن أبي مرير قال : إن كان ذلك المخدج لعنا يومئذ في المسجد نجالسه الليل والنهار ، وكان قتيلاً ، ورأيت مع المساكين يشهد طعام على مع الناس ، وقد كسوته برنساً لى ، قال أبو مرير : وكان المخدج يسمى نافعاً ذا التدية ، ودان في يده مثل ثدى المرأة ، على رأسه حلقة مثل حلقة الثدى عليه شعرات مثل سبالة السنور .

### طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو على المزوربارى أنا أبو محمد عبد الله بن عمرو ابن شوذب المقرئ الواسطي بها ثنا شعيب بن أيوب ثنا أبو الفضل بن دكين عن سفیان - هو الثورى - عن محمد بن قيس عن أبي موسى رجل من قومه قال : كنت مع على فجعل يقول : التمسوا المخدج فالتمسوه فلم يجده ، قال : فأخذ يمرق ويقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، فوجدوه في نهر

## أود إليه فسجد . طريق أخرى

قال أبو بكر البزار : حدثني محمد بن مثنى ومحمد بن معمر ثنا عبد الصمد ثنا سويد بن عبيد العجلي ثنا أبو مؤمن . قال : شهدت علي بن أبي طالب يوم قتل الحرورية وأنا مع مولاي فقال : أنظروا فان فيهم رجلا إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، وأخبرني النبي (ص) ، أنى صاحبه ، فقلبوا القتلى فلم يجدوه ، وقالوا : سبعة نفر تحت النخلة لم تقلبهم بعد ، قال : ويلكم انظروا ، قال أبو مؤمن : فرأيت في رجله جبلين يجرونه بهما حتى ألقوه بين يديه فخر على ساجداً وقال : أبشروا قتلاكم في الجنة وقتلام في النار ، ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو موسى عن علي غير هذا الحديث .

## طريق أخرى

قال البزار : حدثنا يوسف بن موسى ثنا إسحاق بن سليمان الرازي سمعت أبا سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت قال : قلت لشقيق بن سلمة - يعني أبا وائل - حدثني عن ذى الثدية ، قال : لما قاتلناهم قال علي : اطلبوا رجلا علامته كذا وكذا ، فطلبناه فلم نجده ، فبكي وقال : اطلبوه ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده فبكي وقال : اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده قال : وركب بغلته الشهباء فطلبناه فوجدناه تحت بردى فلما رآه سجد . ثم قال البزار : لا نعلم روى حبيب عن شقيق عن علي إلا هذا الحديث .

## طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثني عبيد الله بن عمرو القواريري ثنا حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة عن أبي الوضئ قال : شهدت علياً حين قتل أهل النهروان قال : التمسوا المخدج : فطلبوه في القتلى فقالوا ليس نجده فقال : ارجعوا فالتمسوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، فرجعوا فطلبوه فردد ذلك مراراً ، كل ذلك يحلف بالله ما كذبت ولا كذبت ، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فحى به ، قال أبو الوضئ : فكأنني أنظر إليه حبشى عليه ثدى قد طبق ، إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع « وقد رواه أبو داود عن محمد بن عبيد بن حساب عن حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة ثنا أبو الوضئ - واسمه عباد بن نسيب - ولكنه اختصره وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثنا حجاج بن يوسف الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضئ عبداً حدثه أنه قال : كنا عائدین إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب . فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاثاً من حروراء شد منا ناس كثيرون فدكرنا ذلك لعلي فقال : لا يهولنكم أمرهم فانهم سيرجعون فذكر الحديث بطوله قال : فحمد الله على بن أبي طالب وقال : إن خليلي أخبرني أن قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حمة ثديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع ، فالتمسوه فلم يجدوه فأتيناه



فقلنا : إنا لم نجده ، فجعل يقول : اقلبوا ذا ، اقلبوا ذا ؟ حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال : هو هذا ؟ فقال علي : الله أكبر ، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه ، فجعل الناس يقولون : هذا مالك ، هذا مالك ، فقال علي : ابن من ؟ وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثني حجاج بن الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضئ عبداً حدثه قال : كنا عائدتين إلى الكوفة مع علي فذكر حديث المحدث قال علي : « فوالله ما كذبت ولا كذبت ثلاثاً ، ثم قال علي : أما أن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير ، والثالث فيه ضعف » وهذا السياق فيه غرابة جداً . وقد يمكن أن يكون ذو الثدية من الجن ؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الانس أو شياطين الجن ، إن صح هذا السياق والله تعالى أعلم . والمقصود أن هذه طرق متواترة عن علي إذ قد روى من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذي توأمت الروايات عليه صحيح لا يشك فيه عن علي أنه رواه عن رسول الله (ص) ، أنه أخبر عن صفة الخوارج وذو الثدية الذي هو علامة عليهم . وقد روى ذلك من طريق جماعة من الصحابة غير علي كما تراها بأسانيدها وألفاظها وبالله المستعان . وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ورافع بن عمرو والغفاري ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، وسهل بن حنيف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي ، وأبو ذر ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين . وقد قدمنا حديث علي بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة وصاحب القصة . ولندكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وقاته علي وقعة الخوارج .

### الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه

قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكر ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) ، « يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام ، أحداث - أو حدثاء - الأسنان ، يقولون من خير قول الناس يقرؤون القرآن بالسنتهم لا يعدون تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فن أدركهم فليقتلهم فان في قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم » وقد رواه الترمذي عن أبي كريب وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عاصم بن ذرارة ثلاثتهم عن أبي بكر بن عياش به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بسحو من خمس سنين نخره في ذلك من أقوى الأسانيد .

### الحديث الثالث عن أنس بن مالك

قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا سليمان التيمي ثنا أنس قال : ذكر لي أن نبي الله (ص) قال - ولم أسمع منه - : « إن فيكم فرقة يتعبدون ويدينون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

#### طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي حدثني قتادة عن أنس بن مالك وأبي سعيد قال أحمد وقد حدثنا أبو المغيرة فقال عن أنس عن أبي سعيد ، ثم رجع أن النبي (ص) قال : « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، صيامه مع ، وصيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم ، قالوا : يا رسول الله ما سيأثم ؟ قال : التحليق » . وقد رواه أبو داود في سننه عن نصر بن عاصم الانطاكي عن الوليد بن مسلم وقيس بن إسماعيل الحلبي كلاهما عن الأوزاعي عن قتادة وأبي سعيد عن أنس به . وأخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وحده . وقد روى البزار من طريق أبي سفيان وأبو يعلى من طريق يزيد الرقاشي كلاهما عن أنس بن مالك حديثاً في الخوارج قريباً من حديث أبي سعيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

### الحديث الرابع عن جابر بن عبد الله

قال الامام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن شهاب عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع رسول الله (ص) عام الجعرانة وهو يقسم فضة في ثوب بلال للناس فقال رجل : يا رسول الله اعدل ، فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ لقد خبت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، أو تراقيهم ، يمرقون من الدين صروق السهم من الرمية » وقال أحمد : حدثنا علي بن عياش ثنا إسماعيل بن عياش حدثني يحيى بن سعيد أخبرني أبو الزبير قال : سمعت جابراً يقول : بصر عيني وسمع أذني رسول الله (ص) بالجعرانة وفي ثوب بلال فضة ورسول الله (ص) يقبضها للناس يعطيهم ، فقال رجل : اعدل فقال : « ويلك من يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : دعني أقتل هذا المنافق الخبيث ، فقال رسول الله (ص) : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ،

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة عن معاذ بن رفاعة ثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما قسم رسول الله (ص) غنائم هوازن بالجرانة قام رجل من بني تميم فقال : اعدل يا محمد فقال : « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل قال : فقال عمر : يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المنافق ؟ قال : معاذ الله أن يتسامع الامم أن محمداً يقتل أصحابه ، ثم قال رسول الله (ص) : إن هذا وأصحاباً له يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال معاذ : فقال لي أبو الزبير : فرضت هذا الحديث على الزهري فما خالفني فيه إلا أنه قال النضو وقتل القدح قال : أأنت رجلاً عربياً ؟ . وقد رواه مسلم عن محمد بن ربح عن الليث وعن محمد بن مثنى عن عبد الوهاب الثقفي وأخرجه النسائي من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به بنحوه حديث رافع بن عمرو الأنصاري مع حديث أبي ذر رضي الله عنهما .

### الحديث الخامس عن سعد بن أبي وقاص

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحميدي ثنا سفيان - هو ابن عيينة - حدثني العلاء بن أبي عياش أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال : « ذكر رسول الله (ص) ذا الثدية فقال : شيطان الردهة كراعى الخليل يحتنره رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب - علابة في قوم ظلمة » قال سفيان : فأخبرني عمار الذهبي أنه جاء رجل يقال له : الأشهب وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة به مختصراً ولفظه « شيطان الردهة يحتنره رجل من بجيلة » تفرد به أحمد وحكى البخاري عن علي بن المديني قال : لم أسمع بذلك بكر بن قرواش إلا في هذا الحديث . وروى يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن حامد الهمداني قال : سمعت سعيد بن أبي وقاص يقول : « قتل على شيطان الردهة » قال الحافظ أبو بكر البيهقي : يريد والله أعلم قتله أصحاب علي بأمره . وقال الهيثم بن عدى : حدثنا إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل قال : بلغ سعد بن أبي وقاص أن علياً بن أبي طالب قتل الخوارج فقال : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة .

### الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري

وله طرق عنه الاولى منها

قال الامام أحمد : حدثنا بكر بن عيسى ثنا جامع بن قطر الحبطي ثنا أبو روية شداد بن عمر

العنسي عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر جاء إلى رسول الله (س) فقال يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي ، فقال له رسول الله (س) : « اذهب إليه فاقتله » قال فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحالة كره أن يقتله . فجاء إلى رسول الله (س) فقال النبي (س) : « اذهب إليه فاقتله » قال : فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله إني رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله . قال : « يا علي اذهب فاقتله » فذهب على فلم يره فرجع ، فقال : يا رسول الله إني لم أره فقال رسول الله (س) : « هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلهم هم شر البرية » تفرد به أحمد . وقد روى البزار في مسنده من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك وأبو يعلى عن أبي خيثمة عن عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار وعن يزيد الرقاشي عن أنس من هذه القصة وأطول منها وفيها زيادات أخرى .

### الطريق الثاني

قال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي (س) في حديث « ذكر قوماً يخرجون على فرقة من الناس مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق » أخرجاه في الصحيحين كما سيأتي في ترجمة أبي سلمة عن أبي سعيد .

### الطريق الثالث

قال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا عكرمة بن عمار ثنا عاصم بن شميخ عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله (س) إذا حلف فاجتهد في اليمين قال « والذي نفس أبي القاسم بيده ليخرجن قوم من أمتي تحقرون أعمالكم عند أعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية . قالوا : فهل من علامة يعرفون بها ؟ قال : فيهم رجل ذو يديّة أو ثديّة محلقى رؤسهم » قال أبو سعيد : ثلثي عشرون أو بضع وعشرون من اصحاب النبي (س) ان علياً ولي قتلهم قال فرأيت أبا سعيد بعد ما كبر ويديه ترتعش ويقول : قتلهم عندي أحل من قتال عدتهم من الترك . وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به .

### الطريق الرابع

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري قال : « بث على وهو باليمن إلى رسول الله (س) ، بنهيبة في تربتها قسمها رسول الله (س) . بين الأقرع ابن حابس الحنظلي ثم أحد بنى مجاشع ، وبين عيينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة أو عامر ابن الطفيل أحد بنى كلاب ، وبين زيد الخليل الطائي ، ثم أحد بنى نيهان . قال : ففضبت فريش

والأ نصار قالوا تعطي صنديد أهل نجد وتدعنا؟ قال: إنما أنا لفهم. قال: فأقبل رجل غائر العينين ناتيء الجبين كثر اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال: يا محمد اتق الله فقال: من يطيع الله إذا عصيته؟ يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني، قال: فسأل رجل من القوم قتله النبي (ص)، - أراه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولى قال: إن من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لأننا أنا أدركتهم لأقتلهم قتل عاد. رواه البخاري من حديث عبد الرزاق به، ثم رواه أحمد عن محمد ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد وفيه الجزم بأن خالداً سأل أن يقتل ذلك الرجل، ولا ينافي سؤال عمر بن الخطاب. وهو في الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع من سيرته: وقال فيه إنه سيخرج من صلبه ونسله، لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله وإنما أراد من ضئضئ هذا أي من شكله وعلي صفته فالله أعلم. وهذا لرجل هو ذو الخويصرة التميمي وسماه بعضهم حرقوصاً فالله أعلم.

#### الطريق الخامس

قال الامام أحمد: ثنا عفان ثنا مهدي بن ميمون ثنا محمد بن سيرين عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد عن النبي (ص)، قال: « يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه، قيل: ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق أو التسبيد » ورواه البخاري عن أبي النعمان محمد بن الفضل عن مهدي بن ميمون به.

#### الطريق السادس

قال الامام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد ثنا سويد بن نجيح عن يزيد الفقير قال: قلت لأبي سعيد: إن منا رجلاً هم أقرؤنا للقرآن، وأكثرتنا صلاة وأوصلنا للرحم، وأكثرنا صوماً، خرجوا علينا بأسياهم. فقال أبو سعيد: سمعت النبي (ص)، يقول: « يخرج قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » تفرد به أحمد ولم يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد بن نجيح هذا مستور.

#### الطريق السابع

قال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال بينا رسول الله (ص)، يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمي فقال: أعدل يا رسول الله. فقال: « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يمرقون

من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قنذه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في رضافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فترة من الناس ، فترت فيه [ ومنهم من يلزمك في الصدقات ] الآية « قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله (س) ، وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله (س) . ورواه البخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر ، ورواه البخاري من حديث شعبة ، ومسلم من حديث يونس بن يزيد عن الزهري به ، لكن في رواية مسلم عن حرمله وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة ، والضحاك الهمداني عن أبي سعيد به . ثم رواه أحمد عن محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة والضحاك المشرقي عن أبي سعيد فذكر نحو ما تقدم من هذا السياق ، وفيه أن عمر هو استأذن في قتله ، وفيه « يخرجون على حين فرقة من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالله » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله (س) ، وأنني شهدت عليا حين قتلهم ، فالتمس في القتلى فوجد على النعت الذي نعت رسول الله (س) . ورواه البخاري عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي كذلك . وقال أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث النسي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد أنه قال : سمعت رسول الله (س) يقول : « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر في القدح فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر في الريش فلا يرى شيئاً ويتبارى في الفوق » قال عبد الرحمن : حدثنا به مالك - يعني هذا الحديث - ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك به . ورواه البخاري ومسلم عن محمد بن المثني عن عبد الوهاب عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة وعطاء بن يسار عن أبي سعيد به وقال أحمد : حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال : جاء رجل إلي أبي سعيد فقال : هل سمعت رسول الله (س) يذكر في الحرورية شيئاً ؟ فقال : سمعته يذكر قوماً يتعمقون في الدين يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، وصومه عند صومهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، أخذ سهمه فينظر في نصله فلم ير شيئاً ثم ينظر في رضافه فلم ير شيئاً ، ثم ينظر في القنذ فيبارى هل يرى شيئاً أم لا » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به .

### الطريق الثامن

قال الامام أحمد : حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (س) « ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيّام التحليق ، ثم هم شر الخلق ، ومن شر الخلق ، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق ، قال : فضرب النبي (س) لهم مثلاً - أو قال قولاً - الرجل يرمى الرمية - أو قال الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر في النضى فلا يرى بصيرة ، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة » فقال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقد رواه عن محمد بن المثنى عن محمد بن أبي عدي عن سليمان - وهو ابن طرخان التيمي عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد الخدري بنحوه

### الحديث الثامن

#### عن سلمان الفارسي

قال الهيثم بن عدي ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : جاء رجل إلى قوم فقال : لمن هذه الخباء ؟ قالوا : لسلمان الفارسي ، قال أفلا تنطلقون معي فيحدثنا ونسمع منه ، فانطلق معه بعض القوم فقال : يا أبا عبد الله لو أدنيت خباك وكنت منا قريباً فحدثنا وسمعنا منك ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : فلان بن فلان . قال سلمان : قد بلغني عنك معروف . بلغني أنك تخف في سبيل الله ، يتقاتل العدو ، وتخدم أصحاب رسول الله (س) ، فان أخطأك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكركم لنا رسول الله (س) . قالوا : فوجد ذلك الرجل قتيلاً في أصحاب النهران .

### الحديث التاسع

#### عن سهل بن حنيف الأنصاري

قال الامام أحمد ! حدثنا أبو النضر ثنا حزام بن إسماعيل العاصري عن أبي إسحاق الشيباني عن بسر بن عمرو قال : دخلت على سهل بن حنيف فقلت حدثني ما سمعت من رسول الله (س) قال في الحرورية ، قال : أحدثك ما سمعت من النبي (س) لا أزيدك عليه شيئاً ، سمعت رسول الله (س) « يذكر قوماً يخرجون من هاهنا - وأشار بيده نحو العراق - يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم بمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال : قلت هل ذكر لهم علامة ؟ قال : هذا ما سمعت لا أزيدك عليه . وقد أخرجاه في الصحيحين ، من حديث عبيد الواحد بن زياد ومسلم من حديث علي ابن مسهر والعوام بن حوشب والنسائي من حديث محمد بن فضيل كلهم عن أبي إسحاق الشيباني به وقد رواه مسلم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن بسر بن عمرو قال : سألت سهل بن حنيف سمعت رسول الله (س) يذكر الخوارج ؟ فقال : سمعته - وأشار بيده نحو المشرق -

قوم يقرؤن القرآن بالسنتهم لا يمدو تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية حدثناه أبو كامل ثنا عبد الواحد ثنا سليمان الشيباني بهذا الاسناد وقال : « يخرج منه أقوام » حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر : حدثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب ثنا أبو إسحاق الشيباني عن بسر بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي (ص) قال : فتنة قوم قبل المشرق محلقة رؤسهم .

#### الحديث العاشر عن ابن عباس

قال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا يوسف بن موسى ثنا الحسن بن الربيع ثنا أبو الأحوص عرا سناك عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « يقرأ القرآن أقوام من أمتي يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية » . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن سعيد كلاهما عن أبي الأحوص باسناده مثله .

#### الحديث الحادي عشر عن ابن عمر

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد ثنا أبو حساب يحيى بن أبي حبة عن شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم » قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : « يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الاسلام فاذا خرجوا فقتلوا فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله كلما طلع منهم قرن قطعه الله ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فرد ذلك رسول الله (ص) عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : « الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان - وأشار بيده نحو المشرق - » .

#### الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن عمرو

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي ، فجنته فجاء رجل فانتبذ الناس عليه خميصة فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضهم ، تقدرهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبیت معهم إذا باتوا ، وتقبل معهم إذا قالوا ، وتأكل من نخلف - » قال : وسمعت رسول الله (ص) يقول : « سيخرج ناس من أمتي قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدتها زيادة على عشر مرات ، كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في



بقيتهم» وقد روى أبو داود أوله في كتاب الجهاد من سننه عن القواريري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة . وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .  
الحديث الثالث عشر عن أبي ذر

قال مسلم بن الحجاج : حدثنا شيبان بن فروخ ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حبيب بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر . قال قال رسول الله (ص) : « إن بعدى من أمتي - أو سيكون بعدى من أمتي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يعودون فيه شر الخلق والخلقة قال ابن الصامت : فلقبت زلفع بن عمرو الغفاري أخا الحاكم الغفاري قال : ما حدث سمعت من أبي ذر كذا كذا ؟ فقال : وأنا سمعته من رسول الله (ص) . لم يروه البخاري .  
الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة

قال الحافظ البيهقي : أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ثنا أبو العباس الأصم ثنا السري عن يحيى ثنا أحمد بن يونس ثنا علي بن عباس عن حبيب بن مسلمة . قال قال علي : « لقد علمت عائشة أن جيش المردة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد (ص) » قال ابن عباس : جيش المشرق قتلة عثمان رضي الله عنه وقال الهيثم بن عدى : حدثني إسرائيل عن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل عن عائشة قال : بلغها قتل علي الخوارج فقالت : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة - تعني المخدج - وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عمار بن صبيح ثنا سهل بن عامر البجلي ثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : ذكر رسول الله (ص) الخوارج فقال : « شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي » قال : وحدثناه إبراهيم بن سعيد ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم ثنا عطاء ابن السائب عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة عن النبي (ص) فذكر نحوه قال : فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهروان . ثم قال البزار : لا نعلم روى عن عطاء عن أبي الضحى عن مسروق إلا هذا الحديث ، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم وسليمان بن قرم قد تكلموا فيه لكن الاسناد الأول يشهد لهذا كما أن هذا يشهد للأول فهما متعاضان ، وهو غريب من حديث أم المؤمنين ، وقد تقدم في حديث عبد الله بن شمس . عن علي ما يدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولا سيما خبر ذي الثدية كما تقدم ، وإنما أوردنا هذه الطرق كلها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهـ من أكبر دلالات النبوة ، كما ذكره غير واحد من الأئمة فيها والله تعالى أعلم . وقال : سألت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك عن خبر ذي الثدية فتيقنته من طرق متعددة . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أنا أبو عبد الله أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندي بالكوفة من أصل سماعه ثنا محمد بن صدقة الكاتب حدثني

أحمد بن أبان قرأت فيه حدثني الحسن بن عيينة ، وعبد الله بن أبي السيف بن عامر الشعبي عن مسروق قالت عائشة : عندك علم عن ذى النديه الذى أصابه على في الحرورية : قلت لا قالت : فكتب لي بشهادة من شهدهم ، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتبت شهادة عشرة من كل سبع ثم أتيتها بشهادتهم فقرأتها عليها ، قالت : أكل هؤلاء عيونهم ؟ قلت : لقد سألتهم فأخبروني بأن كلهم قد عيونهم ، فقالت : لعن الله فلانا فإنه كتب إلى أه أصابهم ببيل مصر ثم أرخت عينيها فبكت فلما سكنت عبرتها قالت : رحم الله عليا لقد كان على الحق ، وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحماتها .

### حديث آخر عن رجلين من الصحابة

قال الهيثم بن عدى في كتاب الخوارج : حدثني سليمان بن المغيرة عن حبيب بن ملال قال أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقيل لهما : ما أقدمكما العراق ؟ قالا : رجونا أن ندرؤ هؤلاء القوم الذين ذكروا لنا رسول الله (ص) ، فوجدنا على بن أبي طالب قد سبقنا إليهم - يعنيان أهل النهر وان -

### حديث في مدح علي رضي الله عنه على قتال الخوارج

قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ثنا مطر عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الربيدي عن أبيه قال : سمعت أبا سعيد يقول : « كنا جلوساً ننتظر رسول الله (ص) ، فخرج علينا من بيوت بعض نسائه قال فقمنا معه ، فانقطعت نعله فتخلف عليها على بخصفها فمضى رسول الله (ص) ، ومضينا معه ثم قام ينتظره وقتنا معه ، فقال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها وفيهم أبو بكر ، وعمر فقال : لا ولكنه خاضف النعل ، قال : فجئنا نبشره قال : فكأنه قد سمعه » ورواه أحمد عن وكيع وأبي أسامة عن قطر بن خليفة فأما الحديث الذى قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسماعيل بن موسى ثنا الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة قال : سمعت عليا على منبركم هذا يقول : « عهد إلى النبي (ص) ، أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » وقد رواه أبو بكر بن المقرئ عن الجعد بن عباد البصرى عن يعقوب بن عباد عن الربيع بن سهل الفزارى به ، فإنه حديث غريب ومنكر ، على أنه قد روى من طرق عن علي وعن غيره ولا تغلو واجدة منها عن ضعف والمراد بالناكثين يعنى أهل الجمل وبالقاسطين أهل الشام وأما المارقون فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين وقد رواه الحافظ أبو أحمد بن عدى في كامله عن أحمد بن حنبل البغدادي عن سليمان بن يوسف عن عبيد الله بن موسى عن قطر بن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن علي قال : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وقال الحافظ : أبو بكر الخطيب

البغدادي : أخبرني الأزهرى ثنا محمد بن المظفر ثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال : وجدت في كتاب جدي محمد بن ثابت ثنا شعيب بن الحسن السلمى عن جعفر الأحمر عن يونس بن الأرقم عن أبان عن خلود المصري قال : سمعت علياً أمير المؤمنين يقول يوم النهروان : « أمرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن فرج الجندي ساپورى أنا هارون بن إسحاق ثنا أبو غسان عن جعفر - أحسبه الأحمر - عن عبد الجبار الهمداني عن أنس بن عمرو عن أبيه عن علي . قال : « أمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين » وقال الحاكم أبو عبد الله أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن غنم الحنظلي بقنطرة بردان ثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي حدثني أبي حدثني عمي عن عمرو بن عطية بن سعد عن أخيه الحسن بن عطية حدثني جدي سعد بن جنادة عن علي رضي الله عنه قال : أمرت بقتال ثلاثة : القاسطين ، والناكثين ، والمارقين . فأما القاسطون فأهل الشام ، وأما الناكثون فذكركم ، وأما المارقون فأهل النهروان - يعنى الحرورية - وقال الحافظ ابن عساكر : أنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعد الأديب أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين ثنا محمد بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن عمرو الباهلي ثنا كثير بن يحيى ثنا أبو عوانة عن أبي الجارود عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال : أمرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

### حديث ابن مسعود في ذلك

قال الحافظ : حدثنا الامام أبو بكر أحمد بن الحسن الفقيه أنا الحسن بن علي ثنا زكريا بن يحيى الخراز المقرئ ثنا إسماعيل بن عباد المقرئ ثنا شريك عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : خرج رسول الله (ص) ، فأتى منزل أم سلمة فجاء علي فقال رسول الله (ص) : « يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدى » .

### حديث أبي سعيد في ذلك

قال الحاكم : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني ثنا الحسين بن الحكم الخيري ثنا إسماعيل بن أبان ثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال : « أمرنا رسول الله (ص) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت : يا رسول الله ! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟ فقال : مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر » .

### حديث أبي أيوب في ذلك

قال الحاكم : أنا أبو الحسن علي بن حماد المعدل ثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ثنا عبد العزيز

ابن الخطاب ثنا محمد بن كثير عن الحرث بن خزيمة عن أبي صادق عن مخنف بن سليمان : قال :  
 أتينا أبا أيوب قتلنا : قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله (ص) ، ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال :  
 « أمرني رسول الله (ص) ، بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » قال الحاكم : وحدثنا أبو بكر محمد  
 ابن أحمد بن بالويه ثنا الحسن بن علي بن شبيب العمري ثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل  
 حدثني أبو زيد الأموي عن عتاب بن ثعلبة في خلافة عمر بن الخطاب قال : « أمرني رسول الله  
 (ص) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب وتال الخطيب البغدادي : حدثنا  
 الحسن بن علي بن عبد الله المقرئ ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا محمد بن جعفر المطيري ثنا  
 أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من راي ثنا المعلى بن عبد الرحمن ببغداد ثنا شريك عن سليمان بن  
 مهران عن الأعمش عن علقمة والأسود قالا : أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين  
 قتلناه : يا أبا أيوب ! إن الله أكرمك بتزول محمد (ص) ، وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك  
 حين أتت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال :  
 يا هذا إن الرائد لا يكتب أهله ، وإن رسول الله (ص) أمرنا بقتال ثلاثة مع علي ، بقتال الناكثين  
 والقاسطين والمارقين . فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل ، طلحة والزبير ، وأما القاسطون  
 فهذا منصرفنا من غندم - يعني معاوية وعمراً - وأما المارقون فهم أهل الطرقات وأهل السعيفات  
 وأهل النخيلات وأهل النهروان ، والله ما أدري أين هم ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله . قال :  
 وصحبت رسول الله (ص) ، يقول لعمار : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت منذ ذلك مع الحق والحق  
 معك ، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس غيره فاسلك مع علي فإنه لن  
 يدليكَ في ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم  
 القيامة وشاحين من در ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار  
 قتلنا : يا هذا ! حسبك رحمة الله حسبك رحمة الله » ، هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من  
 جهة المعلى بن عبد الرحمن فإنه متروك الحديث .

### فَضِيلَةُ

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه : في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال :  
 وذكر عيسى بن دآب قال : لما انصرف علي رضي الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال :  
 بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله (ص) . أما بعد فإن الله قد أعز نصركم فتوجهوا من  
 فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام فقاموا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين نغنت نبأنا وكلت سيوفنا

ونصبت أسنتنا ، فانصرف بنا إلى مصرنا حتى نستمد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من فارتما وهلك منا قاه أقوى لنا على عدونا - وكان الذي تكلم بهذا الأشعث بن قيس الكندي فبايعهم - ثم أقبل بالناس ، نزل بالنعجاية وأمرهم أن يلزموا معسكرهم ووطنوا أنفسهم على جهاد عدوهم ويتلوا زيارة نساءهم . بانهم ، فأقاموا معه أياما متمسكين برأيه وقوله ، ثم تسللوا حتى لم يبق منهم أحد إلا رس أصحابا ، فقام على فيهم خطيباً فقال : الحمد لله فاطر الخلق وخالق الأصباح وناشر الموتى وباعث من في القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأوصيكم بتقوى الله فان أفضل ما توسل به العبد الايمان والجهاد في سبيله وكلمة الاخلاص فانها الفطرة ، وإقام الصلاة ، فانها الملة ، وإيتاء الزكاة فانها من فريضته ، وصوم شهر رمضان فانه جنة من عذابه ، وحج البيت فانه منفاة للفقير مدحضمة للذنب ، وصلة الرحم فانها مثرارة في المال ، منسأة في الاجل ، محبة في الأهل ، وصدقة السرفانها تكفر الخطيئة وتطفي غضب الرب ، ووضع المعروف فانه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول ، أفيضوا في ذكر الله فانه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد المتقون فان وعد الله أصدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم (ص) ، فانه أفضل الهدى ، واستسنوا بسنته فانها أفضل السنن ، وتعلموا كتاب الله فانه أفضل الحديث ، وتفقهوا في الدين فانه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فانه شفاء لما في الصدور ، وأحسنوا تلاوته فانه أحسن القصص ، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، وإذا هديتم لعله فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون ، فان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجة أعظم ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما مضلل مشبور ، لا ترتابوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا ، ولا تنهلوا في الحق فتخسروا ، إلا وان من الحزم أن تثقوا ، ومن الثقة أن لا تغتروا ، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، من يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخف ويندم ، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية ، وخير مادام في القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ، وإن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع ، ومن ابتدع فقد ضيع ، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة ، المغبون من غبن دينه ، والمغبون من خسر نفسه ، وإن الريا من الشرك ، وإن الاخلاص من العمل والايمان ، ومجالس اللهوتنسى القرآن ويحضرها الشيطان ، وتدعو إلى كل غي ، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار ، وهي مصائد الشيطان ، فأصدقوا الله فان الله مع من صدق وجانبوا الكذب فان الكذب بجانب للايمان إلا إن الصدق على شرف منجاة وكرامة ، وإن الكذب على شرف ردى وهلكة ، ألا وقولوا الحق تعرفوا به

واعملوا به تكونوا من أهله ، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وإذا تعاهدتم فأوفوا ، وإذا حكمتم فاعدلوا ، ولا تفاخروا بالأباء ، ولا تنابزوا بالألقاب ، ولا تمارحوا ، ولا يفضب بعضكم بعضاً ، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وارحموا الأرملة واليتيم ، وافشوا السلام وردوا التحية على أهلها مثلها أو بأحسن منها [ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ] وأكرموا الضيف ، وأحسنوا إلى الجار ، وعودوا المرضى ، وشيعوا الجنائز ، وكونوا عباد الله إخواناً ، أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بoudاع ، وإن الآخرة قد أظلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة الجنة والغاية النار ، ألا وإنكم في أيام مهل من ورأها أجل يحثه عجل ، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمه ، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمه ، وضره أمه ، فاعملوا في الرغبة والرغبة فان نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رغبة ، وإن نزلت بكم رغبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة ، فان الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ، ولمن شكر بالزيادة ، وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها ، ولا أكثر مكتسباً من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر ، وتبلى فيه السرائر ، وتجتمع فيه الكبار ، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال ، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك ، ومن لا ينفعه حاضره فعازبه عنه أعور ، وغائبه عنه أعرج : وإنكم قد أمرتم بالظن ودلتم على الزاد ، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم إثنان طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسى الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ، ولا تكونوا من بني الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ، وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر . وقد روى لها شواهد من وجوه أخر متصلة والله الحمد والمنة . وقد ذكر ابن جرير : أن علياً رضي الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب إلى الشام خطبهم فوبخهم وأنبهم وتوعدهم وهددهم وتلا عليهم آيات في الجهاد من سور متفرقة ، وحث على المسير إلى عدوهم فأبوا من ذلك وخالفوه ولم يوافقوه ، واستمروا في بلادهم ، وتفرقوا عنه هاهنا وهاهنا ، فدخل على الكوفة .

فضيلة الأئمة

وقد ذكر الهيثم بن عدى أنه خرج على علي بعد النهروان رجل يقال له : الحارث بن راشد الناجي ، قدم مع أهل البصرة ، فقال لعل : إنك قد قاتلت أهل النهروان في كونهم أنكروا عليك

قصة التحكيم وتزعم أنك قد أعطيت أهل الشام عهدك ومواثيقك ، وأنت لست بناقضها ، وهذان الحكمان قد اتفقا على خلعك ثم اختلفا في ولاية معاوية فولاه عمرو وامتنع أبو موسى من ذلك ، فأنت مخلوع باتفاقهما ، وأنا قد خلعك وخلعت معاوية معك ، وتبع الحارث هذا بشر كثير من قومه - بني ناجية وغيرهم - وتحجزوا ناحية ، فبعث إليهم على معقل بن قيس الرماحي في جيش كثيف فقتلهم معقل قتلاً ذريعاً وسبي من بني ناجية خمسمائة أهل بيت فقدم بهم ليقدم بهم على علي فقتلاه رجل يقال له : مصقلة بن هبيرة أبو المغلس - وكان عاملاً لعلي على بعض الأقاليم - فضرروا إليه وشكوا ما هم فيه من السبي ، فاشتراهم مصقلة من معقل بخمسمائة ألف درهم وأعتقهم ، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة ، فكتب معقل إلى ابن عباس فقال له مصقلة : إني إنما جئت لأدفع ثمنهم إليك ثم هرب منه إلى علي فكتب ابن عباس ومعقل إلى علي فطالبه على فدفع من الثمن مائتي ألف ثم انشمر هارباً فلحق بمعاوية بن أبي سفيان بالشام ، فأمضى على عتقهم وقال : ما بقي من المال في ذمة مصقلة ؟ وأمر بداره في الكوفة فهدمت . وقد روى الهيثم عن سفيان الثوري وإسرائيل عن عمار الذهبي عن أبي الطفيل أن بني ناجية ارتدوا فبعث إليهم : معقل بن قيس فسيام فاشتراهم مصقلة من علي بثلثمائة ألف فأعتقهم ثم هرب إلى معاوية . قال الهيثم وهذا قول الشيعة ولم يسمع بحجبي من العرب ارتدوا بعد الردة التي كانت في أيام الصديق . وقال الهيثم : حدثني عبد الله<sup>(١)</sup> بن تميم بن طرفة الطائي حدثني أبي أن عدى بن حاتم قال مرة لعلي بن أبي طالب وهو يخطب : قتلت أهل النهروان على انكار الحكومة ، وقتلت الحرث بن راشد على مسألتهم إياك أيضاً الحكومة ، والله ما بينهما موضع قدم . فقال له علي : أسكت إنما كنت أعرابياً تأكل الضبع بجبل طيء بالأمس . فقال له عدى : وأنت والله قد رأيناك بالأمس تأكل البلح بالمدينة . قال الهيثم : ثم خرج علي على رجل من أهل البصرة فقتل فأمر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيباني ، فقتل هو وأصحابه ، قال : ثم خرج علي على الأشهب بن بشر البجلي ثم أحد عرينة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه . قال : ثم خرج علي على سعيد بن نعد التميمي ثم من بني ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقنطرة درر بجان فوق المدائن . قال الهيثم : أخبرني بذلك عبد الله بن عياش عن مشيخته .

### فصل في

ذكر ابن جرير عن أبي مخنف لوط بن يحيى - وهو أحد أئمة هذا الشأن - أن قتال علي للخوارج يوم النهروان ، كان في هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين - قال ابن جرير : وأكثر أهل السير

(١) كذا في الأصل وفي نسخة : عبيد بن تميم .

على أن ذلك كان في سنة ثمان وثلاثين وصححه ابن جرير، قلت: وهو الأشبه كما سننبه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى. قال ابن جرير: وحج بالناس في هذه السنة - يعني سنة سبع وثلاثين - عبيد الله بن عباس نائب على اليمن ومخالفها. وكان نائب مكة قثم بن العباس، وعلى المدينة تمام بن عباس، وقيل سهل بن حنيف، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى مصر محمد بن أبي بكر، وعلى بن أبي طالب أمير المؤمنين مقيم بالكوفة، ومعاوية بن أبي سفيان مستحوذ على الشام. قلت: ومن نيته أن يأخذ مصر من محمد بن أبي بكر.

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه كان قد أصابه سبي في الجاهلية فأشترته أنمار الخزاعية التي كانت تحت النساء، وهي أم سباع بن عبد العزى الذي قتله حمزة يوم أحد وحالف بني زهرة، أسلم خباب قديماً قبل دار الأرقم، وكان ممن يؤذى في الله فيصبر ويمتسب، وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد. قال الشعبي: دخل يوماً على عمر فأكرم مجلسه وقال: ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال. فقال: يا أمير المؤمنين إن بلالا كان يؤذى وكان له من يمنعه، وإني كنت لا ناصر لي والله لقد سلقوني يوماً في نار أججوها ووضع رجله على صدرى فما اتقيت الأرض إلا بظهري، ثم كشف عن ظهره فاذا هو برص رضى الله عنه، ولما مرض دخل عليه أناس من الصحابة يعمودونه فقالوا: أبشر غداً تلقى الأعبة محمداً وحزبه فقال: والله إن إخواني مضوا ولم يأكلوا من دنياهم شيئاً، وإنا قد أينعت لنا ثمرتها فنحن نهدبها، فهذا الذي يهمني. قال: وتوفي بالكوفة في هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وهو أول من دفن بظاهر الكوفة.

### خزيمة بن ثابت

ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري ذو الشهادتين وكانت راية بني حطمة معه يوم الفتح، وشهد صفين مع علي، وقتل يومئذ رضى الله عنه. سفينة مولى رسول الله ص. قد قدمنا ترجمته في الموالى المنسوبين إليه صلوات الله وسلامه عليه.

### عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم

أسلم عام الفتح وكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم مع كتاب الوحي \* عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلى فصارت امرتها للأشتر النخعي \* عبد الله بن خباب بن الأرت. ولد في حياة النبي ص، وكان موصوفاً بالخير، قتله الخوارج كما قدمنا بالنهران في هذه السنة، فلما جاء على قال لهم: أعطونا قتله ثم أنتم آمنون فقالوا: كلنا قتله فقاتلهم \* عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أحد كتاب الوحي أيضاً، أسلم قديماً وكتب الوحي



ثم ارتد ثم عاد إلى الاسلام عام الفتح واستأمن له عثمان - وكان أخاه لأمه - وحسن إسلامه وقد ولاء عثمان نيابة مصر بعد موت عمرو بن العاص ، ففزا إفريقيا وبلاد النوبة ، وفتح الأندلس وغزا ذات الصواري مع الروم في البحر فقتل منهم ما صبغ وجه الماء من الدماء ، ثم لما حصر عثمان تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة وأخرجه من مصر فمات في هذه السنة وهو معتزل عليا ومعاوية ، في صلاة الفجر بين التسليمتين رضى الله عنه .

### عمار بن ياسر ابو اليقظان العبسي

من عبس اليمن ، وهو حليف بنى مخزوم ، أسلم قديماً وكان ممن يعذب في الله هو وأبوه وأمه سمية ، ويقال إنه أول من اتخذ مسجداً في بيته يتعبد فيه ، وقد شهد بدرًا وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وأن رسول الله (ص) قال : « تقتلك الفئة الباغية » وروى الترمذي من حديث الحسن عن أنس أن رسول الله (ص) قال : « إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، علي وعمار وسلمان » وفي الحديث الآخر الذي رواه الثوري وقيس بن الربيع وشريك القاضي وغيرهم عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي أن عماراً استأذن علي رسول الله (ص) فقال : « مرحباً بالطيب المطيب » وقال إبراهيم ابن الحسين : حدثنا يحيى حدثني نصر ثنا سفيان الثوري عن أبي الأعمش عن أبي عمار عن عمرو ابن شربيل عن رجل من أصحاب رسول الله أن رسول الله (ص) قال : « لقد ملي عمار إيماناً من قدمه إلى مشاشه » وحدثنا يحيى بن معلى عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت : « ما من أحد من أصحاب رسول الله (ص) أشاء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : إن عمار بن ياسر حشى ما بين أخص قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً » وحدثنا يحيى ثنا عمرو بن عون أنا هشيم عن العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة قال : أتيت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدثني قال : كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام في شيء فشكاني إلى رسول الله (ص) فقال : « يا خالد ! لا تؤذ عماراً فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يعاد عماراً يعاده الله » قال : فعرضت له بعد ذلك فسالت ما في نفسه . وله أحاديث كثيرة في فضائله رضى الله عنه قتل بصفين عن إحدى وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتر رأسه ، ثم اختصما إلى معاوية أيهما قتله فقال لها عمرو بن العاص : اندرا فوالله إنكما لتختصمان في النار ، فسمعها منه معاوية فلامه على تسميته إياهما ذلك ، فقال له عمرو : والله إنك لتعلم ذلك ، ولوددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . قال الواقدي ، حدثني الحسن بن الحسين بن عمار عن أنى إسحاق عن عاصم أن علياً صلى عليه ولم يفسله وصلى معه على هاشم بن عتبة ، فكان عمار مما يلي عليا ، وهاشم إلى نحو القبلة . قالوا ، وقبر هنالك ، وكان آدم اللون ، طويلًا بعيداً ما بين

المنكين : أشهل العينين ، رجلا لا يغير شبيهه رضى الله عنه .

### الربيع بن معوز بن عفرأ

أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول الله (ص) ، إلى الغزوات فتداوى الجرحى ، وتسقى الماء لكل من ، وروت أحاديث كثيرة \* وقد قتل في هذه السنة في أيام صفين خلق كثير وجم غفير ، وقيل قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً . وقيل قتل من أهل العراق أربعون ألفاً - من مائة وعشرين ألفاً - وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفاً وبالجملة فقد كان فيهم أعيان ومشاهير يطول استقصاؤهم وفيما ذكرنا كفاية والله تعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر واستتاب معاوية عمراً عليها ، وذلك كما سنيناه ، وقد كان على رضى الله عنه استتاب عليها قيس بن سعد بن عبادة وانتزعها من يد محمد بن أبي حذيفة حين كان استحوذ عليها ومنع عبد الله بن سعد بن أبي سرح من التصرف فيها ، حين حصر عثمان - وقد كان عثمان استخلفه عليها وعزل عنها عمرو بن العاص - وعمرو كان هو الذى افتتحها كما فمنا ذكر ذلك . ثم إن علياً عزل قيس بن سعد عنها وولى عليها محمد بن أبي بكر وقد ندم على علي عزل قيس بن سعد عنها ، وذلك أنه كان كفواً لمعاوية وعمرو ، ولما ولى محمد بن أبي بكر لم يكن فيه قوة تعادل معاوية وعمراً ، وحين عزل قيس بن سعد عنها رجع إلى المدينة ثم سار إلى علي بالعراق فكان معه ، وكان معاوية يقول : والله لقيس بن سعد عند علي أبيض إلى من مائة ألف مقاتل بدله عنده ، فشهد معه صفين فلما فرغ علي من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شاب ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم على رد مصر إلى قيس بن سعد وكان قد جعله على شرطته أو إلى الأشتر النخعي وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين ، فكتب إليه بعد صفين فاستقدمه عليه ثم ولاء مصر ، فلما بلغ معاوية تولية علي للأشتر النخعي ديار مصر بدل محمد بن أبي بكر عظم ذلك عليه ، وذلك أنه كان قد طمع في مصر واستنزاعها من يد محمد بن أبي بكر ، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته ، فلما سار الأشتر إليها وانتهى إلى القلزم استقبله الخانيسار وهو مقدم على الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شراباً من عسل فمات منه ، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا : إن لله جنوداً من عسل . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر ليقته ووعده على ذلك بأور ففعل ذلك ، وفي هذا نظر ، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضى الله عنه . والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر النخعي ، ولما بلغ ذلك علياً

تأسف على شجاعته وغناؤه ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر ، غير أنه ضعف جأشه مع ما كان فيه من انخلاف عليه من العثمانية الذين يبطل خبرنا وقد كانوا استنجل أمرهم حين انصرف على من صفين ، وحين كان من أمر التحكيم ما كان ، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام ، وقد كان أهل الشام حين انقضت الحكومة بدومة الجندل سلموا على معاوية بالخلافة وقوى أمرهم جداً ، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن السمط وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، وبسر بن أبي أرطاة ، وأبا الأور السلمي ، وحمزة بن سنان الهمداني وغيرهم ، فاستشارهم في المسير إلى ديار مصر فاستجابوا له وقالوا : سر حيث شئت فنحن معك ، وعين معاوية نياقتها لعمرو بن العاص إذا فتحها ففرح بذلك عمرو بن العاص ، ثم قال عمرو لمعاوية : أرى أن تبعث إليهم رجالا مع رجل مأمون عارف بالحرب ، فإن بها جماعة ممن يوالي عثمان فيساعدونه على حرب من خالفهم ، فقال معاوية : لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا ممن هنالك كتابا يعلمهم بقدمهم عليهم ، ونبعث إلى مخالفينا كتابا ندعوهم فيه إلى الصلح . وقال معاوية : إنك يا عمرو رجل بورك لك في العجلة وإني امرؤ بورك لي في التؤدة ، فقال عمرو : افعل ما أراك الله ، فوالله ما أملك وأمرهم الا سيصير إلى الحرب العوان ، فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وإلى معاوية بن خديج السكوني - وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر ممن لم يبايع عليا ولم ياتم بأمر نوابه بمصر في نحو من عشرة آلاف - يخبرهم بقدم الجيش عليهم سرعياً ، وبعث به مع مولى له يقال له سبيع ، فلما وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن خديج فرحا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيوش والجند والمدد إن شاء الله تعالى ، فعند ذلك جهز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف ، وأخرج معاوية مودعاً وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل والتؤدة ، وأن يقتل من قاتل ويعفو عن أدبر ، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك ، فسار عمرو بن العاص إلى مصر ، فلما قدمها اجتمعت عليه العثمانية فقدم ، وكتب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبي بكر : أما بعد ففتح فاني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ، فإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافتك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مسلموك لو قد التقت خلقنا البطان ، فأخرج منها فاني لك لمن الناصحين والسلام . وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه : أما بعد فإن غيب البغي والظلم عظيم الوبال ، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النعمة في الدنيا والتبعة الموبقة في الآخرة وإنا لا نعلم أحداً كان أشد خلافاً على عثمان منك حين تطعن بمشاقصك بين حشاشته وأوداجه ، ثم إنك تظن أني عنك نائم أو ناس ذلك لك ، حتى تأتي فتأمر على بلاد أنت بها جارى وجل أهلها أنصاري وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى الله

بجهادك ولن يسلك الله من القصاص أبناً كنت والسلام . قال : فطوى محمد بن أبي بكر الكتابين وبعث بهما إلى علي وأعلمه بقدم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية ، فان كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلى بأموال ورجال والسلام . فكتب إليه يأمره بالصبر و بمجاهدة العدو ، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال ، ويعد به بما أمكنه من الجيوش . وكتب محمد بن أبي بكر كتاباً إلى معاوية في جواب ما قال وفيه غلظة ، وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص وفيه كلام غليظ وقام محمد ابن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام ، وتقدم عمرو ابن العاص إلى مصر في جيوشه ، ومن لحق به من العثمانيه المصريين ، والجميع في قريب من سنة عشر ألفاً ، وركب محمد بن أبي بكر في ألقي فارس الذين انتدبوا معه من المصريين وقدم على جيشه بين يديه كنانة بن بشر فجعل لا يلقاه أحد من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم مغلوبين إلى عمرو ابن العاص ، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن خديج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب ، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو [ وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً ] الآية ، ثم قاتل حتى قتل وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه ورجع يمشي فرأى خربة فأوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن خديج في طلب محمد بن أبي بكر فمر بعروج في الطريق فقال لهم : هل مر بكم أحد تستنكرونه ؟ قالوا : لا ! فقال رجل منهم : إنى رأيت رجلاً جالساً في هذه الخربة ، فقال : هو هو ورب الكعبة : فدخلوا عليه فاستخرجوه منها . وقد كاد يموت عطشاً . فانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص . وكان قد قدم معه إلى مصر . فقال : أيقتل أخى صبراً ؟ فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن خديج أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ولا يقتله فقال معاوية : كلا والله ، أيقتلون كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبي بكر ، وقد كان ممن قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء ، وقد سألهم محمد بن أبي بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية : لاسقاني الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً ، إنكم منعم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فلتقاه الله بالرحيق المختوم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن محمد بن أبي بكر نال من معاوية بن خديج هذا ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضاً ، فعند ذلك غضب معاوية بن خديج فقدمه فقتله ثم جمعه في جيفة حمار فأحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت عياله إليها ، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر الصلوات .

وذكر الواقدي أن عمرو بن العاص قدم مصر في أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمي فالتقوا مع المصريين بالسنة فقتلوا قتلاً شديداً حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي ، فهرب عند

ذلك محمد بن أبي بكر فاخْتَبَأَ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق ، فدل عليه فجاء معاوية بن خديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم محمد بن أبي بكر فقاتل حتى قتل . قال الواقدي : وكان ذلك في صفر من هذه السنة ، قال الواقدي : ولما قتل محمد بن أبي بكر بمت علي الأشتر النخعي إلى مصرفات في الطريق فآله أعلم . قال : وكانت أدرخ في شعبان في هذه السنة أيضاً ، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة واجتماع الجماعة ، وبما عهد لهم من الأمر . وقد زعم هشام بن محمد الكلبي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة مسك بعد مقتل محمد بن أبي بكر . وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان - فبعثه عمرو بن العاص إلى معاوية ولم يبادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية ، فحبسه معاوية بفلسطين فهرب من السجن ، فلحقته رجل يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام بأرض البلقاء ، فاخفى محمد بفار فجاءت حمر وحش لتأوى إليه فلما رآته فيه نفرت فتعجب من نفرها جماعة من الحصادين هنالك ، فذهبوا إلى الغار فوجدوه فيه ، فجاء أولئك إليه فحشى عبد الله بن عمرو بن ظلام أن يردّه إلى معاوية فيعفو عنه ، فضرب عنقه ، هكذا ذكر ذلك ابن الكلبي . وقد ذكر الواقدي وغيره أن محمد بن أبي حذيفة قتل في سنة ست وثلاثين كما قدمنا فآله أعلم .

وقال إبراهيم بن الحسين بن دزير في كتابه : ثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين - يكتب إليهم بذلك - فاستخرج منه بضعا وخمسين أردبا دنانير ، قال أبو صالح : والأردب ست وبيات والويبة مثل القفيز واعتبرنا الويبة فوجدناها تسعا وثلاثين ألف دينار ، قلت : فعلى هذا يكون يبلغ ما كان أخذ من القبطي ما يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار . قال أبو مخنف بأسناده : ولما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان بمصر من الأمر ، وتملك عمرو لها ، واجتمع الناس عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين ، وواعدهم الجرعة بيز الكوفة والحيرة ، فلما كان الغد خرج يمشى إليها حتى نزها فلم يخرج إليه أحد من الجيش ، فلما كان المشى بعث إلى أشرف الناس فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلاني بكم وبن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفأة الطغام فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة ، ويجيبونه في السنة مرتين والثلاث إلى أي وجه شاء ؟ وأنا أودعكم وأنتم أولوا النهي وبقية الناس على المعونة وطائفة من العطاء فتفرقون عني وتيصونني وتختلفون علي ؟

بببب

قام إليه مالك بن كعب الأوسى فندب الناس إلى امتثال أمر على والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمساً ، ثم قدم على على جماعة ممن كان مع محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقر أمر عمرو وبها ، فبعث إلى مالك بن كعب فرده من الطريق - وذلك أنه خشى عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر واستقر أمر العراقيين على مخالفة على فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، والخروج عليه والبعث عن أحكامه وأقواله وأفعاله ، لجهلهم وقلة علمهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم ، فكتب على عند ذلك إلى ابن عباس - وهو نائبه على البصرة - يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة والمعاندة ، فرد عليه ابن عباس يسليه في ذلك ، ويمزيه في عهد بن أبي بكر ويحثه على تلافى الناس والصبر على مسيئتهم ، فان ثواب الله خير من الدنيا ، ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى على وهو بالكوفة واستخلف ابن عباس على البصرة زياداً ، وفي هذا الحين بعث معاوية بن أبي سفيان كتاباً مع عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى أهل البصرة يدعوهم إلى الاقرار بما حكم له عمرو بن العاص ، فلما قدمها نزل على بنى تميم فأجاروه فتهض إليه زياد وبعث إليه أعين بن ضبيعة في جماعة من الناس فساروا إليهم فاقتلوا قتل أعين بن ضبيعة ، فكتب زياد إلى على يعلمه بما وقع بالبصرة بعد خروج ابن عباس منها ، فبعث عند ذلك على جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلاً إلى قومه بنى تميم ، وكتب معه كتاباً إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي وقصده جارية فحصره في داره وجماعة معه ، قيل : كان عددهم أربعين ، وقيل سبعين ، فحرقهم بالنار بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤا له .

### فضائل أمير المؤمنين

وقد صحح ابن جرير أن قتال على لأهل النهروان كان في هذه السنة ، وكذلك خروج الحرث ابن راشد الناجي كان في هذه السنة أيضاً ، وكان مع ابي ثلثمائة رجل من قومه بنى ناجية - وكان مع على بالكوفة - فجاء إلى على فقام بين يديه وقال : والله يا على لا أطيع أمرك ولا أصلى خلفك ، إني لك غدا لمفارق . فقال له على : ثكلتك أمك إذا تعصى ربك وتنقض عهدك ولا تضر إلا نفسك ، ولم تفعل ذلك ؟ قال : لأنك حكمت في الكتاب وضعفت عن قيام الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الظالمين ، فانا عليك زارى وعليك ناقم ، وإنا لكم جميعاً مبينون . ثم رجع إلى أصحابه فسار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم معقل بن قيس ثم أردفه بن خالد بن معدان الطائي - وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة - وأمره أن يسمع له ويطيع ، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً ، ثم خرجوا في آثار الحرث وأصحابه فلحقهم - وقد أخذوا في جبال رامهرمز قال فصفناهم ثم أقبلنا

إليهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل ، وعلى يسارته منجاب بن راشد الضبي ، ووقف  
الحريث فيمن معه من العرب فكانوا ميمنة ، وجعل من اتبعه من الأكراد والعلوج ميسرة ، قال :  
وسار فينا معقل بن قيس فقال : عباد الله ! لا تبدؤوا القوم وعضوا أبصاركم ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا  
أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشروا في قتالكم بالأجر إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين ،  
وعلوجاً كسروا الخراج ، ولصوصاً وأكراداً ، فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد . ثم تقدم فحرك  
دابته تحريكين ثم حمل عليهم في الثالثة وحملنا معه جميعنا فوالله ما صبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا  
منهزمين ، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلثمائة ، وفر الحريث منهزماً حتى لحق بأساف - وبها  
جماعة من قومه كثيرة - فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر ، قتله النعمان بن صهبان ،  
وقتل معه في المعركة مائة وسبعون رجلاً . ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بين أصحاب علي  
والخوارج فيها أيضاً ثم قال : حدثني عمر بن شيبه ثنا أبو الحسن - يعني المدائني - علي بن محمد بن  
علي بن مجاهد قال قال الشعبي : لما قتل علي أهل النهر خالفه قوم كثير ، وانتقضت أطرافه وخالفه  
بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي إلى البصرة ، وانتقض أهل الجبال ، وطمع أهل الخراج في كسره  
وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عاملاً عليها - فأشار عليه ابن عباس بزياد بن أبيه أن  
يوليه إياها فولاه إياها فسار إليها في السنة الآتية في جمع كثير ، فوطئهم حتى أدوا الخراج  
قال ابن جرير وغيره : وحج بالناس في هذه السنة قم بن العباس ، نائب علي على مكة ، وأخوه عبيد الله  
ابن عباس نائب اليمن ، وأخوهما عبد الله نائب البصرة ، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة ، وعلي  
خراسان خالد بن قره اليربوعي وقيل ابن أزي ، وأما مصر فقد استقرت بيد معاوية فاستتاب عليها  
عمر بن العاص .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

### سهل بن حنيف

ابن واهب بن العليم بن ثعلبة الأنصاري الأوسي ، شهد بدرًا ، وثبت يوم أحد ، وحضر بقية  
المشاهد ، وكان صاحباً لعلي بن أبي طالب ، وقد شهد معه مشاهد كلها أيضاً غير الجمل فإنه كان قد  
استخلفه على المدينة ، ومات سهل بن حنيف في سنة ثمان وثلاثين بالكوفة ، وصلى عليه علي فكبر  
خمساً وقيل ستاً وقال إنه من أهل بدر رضي الله عنه .

### صنوان بن بيضاء أخو سهيل بن بيضاء

شهد المشاهد كلها وتوفي في هذه السنة في رمضان وليس له عقب .

### صهيب بن سنان بن مالك

الرومي وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط وكان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى على الأيلة ، وكانت

منازلهم على دجلة عند الموصل ، وقيل على الفرات ، فهاجرت على بلادهم الروم فأسرته وهو صغير ، فأقام عندهم حيناً ثم اشترته بنو كلاب فحملوه إلى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حيناً ، فلما بعث رسول الله (س.) آمن به ، وكان ممن أسلم قديماً هو وعمار في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون في الله عز وجل ، ولما هاجر رسول الله (س.) هاجر صهيب بعده بأيام فلحقه قوم من المشركين يريدون أن يصدوه عن الهجرة ، فلما أحس بهم نزل كنيته فوضعها بين يديه وقال : والله لقد علمت أني من أركم ، والله لا أتصلون إلي حتى أقتل بكل سهم من هذه رجلاً منكم ، ثم أقاتلكم بسيفي حق أقتل . وإن كنتم تريدون المال فانا أدلكم على مالي هو مدفون في مكان كذا وكذا ، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله ، فلما قدم قال له رسول الله (س.) : « ربح البيع أبا يحيى » وأنزل الله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ، وشهد بدرأً وأحداً وما بعدها ، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذي يصلى بالناس حتى تعين عثمان ، وهو الذي ولي الصلاة على عمر - وكان له صاحباً - وكان أحر شديد الحرارة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر وكان لسانه فيه عجمة شديدة ، وكان مع فضله ودينه فيه دعاية وفكاهة وانسراح ، روى أن رسول الله (س.) رآه يأكل بقاء رطباً وهو أرمد إحدى العينين ، فقال : « أتأكل رطباً وأنت أرمد » ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة ، فضحك رسول الله (س.) . وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقد نيف على السبعين .

### محمد بن أبي بكر الصديق

ولد في حياة النبي (س.) في حجة الوداع تحت الشجرة عند الحرم وأمه أسماء بنت عميس ، ولما احتضر الصديق أوصى أن تغسله فغسلته ، ثم لما انقضت عدتها تزوجها علي فنشأ في حجره ، فلما صارت إليه الخلافة استنابه على بلاد مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا ، فلما كانت هذه السنة بعث معاوية عمرو بن العاص فاستلب منه بلاد مصر وقتل محمد بن أبي بكر كما تقدم ، وله من العمر دون الثلاثين ، رحمه الله ورضى عنه .

### اسماء بنت عميس

ابن معبد بن الحارث الخثعمية ، أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وقدمت معه إلى خيبر ، ولما منه عبد الله ، ومحمد ، وعون . ولما قتل جعفر بموته تزوجها بعده أبو بكر الصديق فولدت منه محمد بن أبي بكر أمير مصر ثم لما مات الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعونا ، وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمتها . وكذلك هي أخت أم



الفضل امرأة العباس لأما ، وكان لها من الأخوات لأما تسع أخوات ، وهي أخت سلى بنت عميس امرأة العباس التي له منها بنت اسمها عمارة .

### ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

فيها جهز معاوية بن أبي سفيان جيوشاً كثيرة ففرقها في أطراف معاملات علي بن أبي طالب ، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولاه عمرو بن العاص بعد اتفائه مع أبي موسى علي عزل علي ، أن ولايته وقعت الموقع ، فهو الذي يجب طاعته فيما يعتقده ، ولأن جيوش علي من أهل العراق لا تطيعه في كثير من الأمور ولا ياتمرون بأمره ، فلا يحصل بمباشرة المقصود من الامارة والحالة هذه ، فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك . وكان ممن بعث في هذه السنة النعمان بن بشير في ألقى فارس إلى عين التمر ، وعليها مالك بن كعب الأرحبي في ألف فارس مسلحة لعل ، فلما سمعوا بقدوم الشاميين ارفضوا عنه فلم يبق مع مالك بن كعب إلا مائة رجل فكتب عند ذلك إلى علي يعلمه بما كان من الأمر ، فندب علي الناس إلى مالك بن كعب فثاقلوا ونكلوا عنه ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم علي عند ذلك فقال في خطبته : « يا أهل الكوفة ! كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام انجحر كل منكم في بيته ، وغلق عليه بابه . انجحر الضب في جحره ، والضبع في وجاره ، المغرور والله من غررتموه ، ولن فارقكم فاز بالسهم الأصيل ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم ، عني لا تبصرون ، وبكم لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون » ودهمهم النعمان بن بشير فاقتلوا قتلاً شديداً وليس مع مالك بن كعب إلا مائة رجل قد كسر واجفون سيوفهم واستقتلوا ، فبينما كذلك إذ جاءهم نجدة من جهة مخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً ، فلما رآهم الشاميون ظنوا أنهم مدد عظيم ففروا هراباً ، فاتبعهم مالك بن كعب فقتل منهم ثلاثة أنفس وذهب الباقون على وجوههم ولم يتم لهم أمر من هذا الوجه . وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف وأمره بأن يأتي هيت فيغير عليها ، ثم يأتي الأنبار والمدائن . فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثم إلى الأنبار وفيها مسلحة لعل نحو من خمسمائة ، ففرقوا ولم يبق منهم إلا مائة رجل ، فقاتلوا مع قتلهم وصبروا حتى قتل أميرهم - وهو أشرس بن حسان البلوي - في ثلاثين رجلاً من أصحابه ، واحتلوا ما كان بالأنبار من الأموال وكرروا راجعين إلى الشام ، فلما بلغ الخبر علياً رضي الله عنه ركب بنفسه فنزل بالنخيلة فقال له الناس : نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما تكفونني ولا أنفسكم ، وسرح سعد بن قيس في أثر القوم فسار وراءهم حتى بلغ هيت فلم يلحقهم فرجع . وفيها بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة إلى تيباء وأمره أن يصدق أهل البوادي ومن

امتنع من إعطائه فليقتله ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز . فسار إلى تيماء واجتمع عليه بشر كثير ، فلما بلغ عليا بمث السيب بن نجبية الفزاري في أنى رجل فالتقوا بتيماء فاقتلوا قتالا شديداً عند زوال الشمس ، وحمل السيب بن نجبية على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات وهو لا يريد قتله بل يقول له : النجا النجا ، فأنحاز ابن مسعدة في طائفة من قومه إلى حصن هناك فتحصنوا به وهرب بقيتهم إلى الشام ، وانتهبت الأعراب ما كان جمع ابن نجبية من إبل الصدقة ، وحاصرهم السيب بن نجبية ثلاثة أيام ثم ألقى الخطب على الباب وأهلب فيه النار ، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا من الحصن ، ومثوا إليه بانهم من قومه فرق لهم وأطفأ النار ، فلما كان الليل فتح باب الحصن وخرجوا هرباً إلى الشام ، فقال عبد الرحمن بن شبيب للسيب بن نجبية : سرحتي ألحقهم ! فقال : لا ! فقال : غششت أمير المؤمنين داهنت في أمرهم . وفيها وجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يغير على أطراف جيش علي ، فجهز علي حجر بن عدى في أربعة آلاف وأنفق فيهم خمسين درهماً وخمسين درهماً ، فالتقوا بنهر قتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، ومن أصحاب حجر بن عدى رجلان ، وغشيبهم الليل ففرقوا ، واستمر الضحاك بأصحابه طاراً إلى الشام . وفيها سار معاوية بنفسه في جيش كثيف حتى بلغ دجلة ثم كر راجعاً . ذكره محمد بن سعد عن الواقدي بأسناده وأبو معشر أيضاً

وفي هذه السنة ولي علي بن أبي طالب زياد بن أبيه على أرض فارس ، وكانوا قد منعوا الخراج والطاعة ، وسبب ذلك حين قتل ابن الحضرمي وأصحابه بالنار حين حرقهم جارية بن قدامة في تلك الدار كما قدمنا ، فلما اشتهر هذا الصنيع في البلاد تشوش قلوب كثير من الناس على علي ، واختلفوا على علي ، ومنع أكثر أهل تلك النواحي خراجهم ، ولاسيما أهل فارس فانهم تمردوا وأخرجوا عاملهم سهل بن حنيف - كما تقدم في العام الماضي - من بين أظهرهم ، فاستشار على الناس فيمن يوليه عليهم ، فأشار ابن عباس وجارية بن قدامة أن يولي عليهم زياد بن أبيه ، فانه صليب الرأي ، عالم بالسياسة . فقال علي : هو لها ، فولاه فارس وكرمان وجهره إليهما في أربعة آلاف فارس ، فسار إليها في هذه السنة فدوخ أهلها وقهرهم حتى استقاموا وأدوا الخراج وما كان عليهم من الحقوق ، ورجعوا إلى السمع والطاعة ، وسار فيهم بالعملة والامانة ، حتى كان أهل تلك البلاد يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي ، وصفت له تلك البلاد بملء ومله وصرامته ، واتخذ للمال قلعة حصينة ، فكانت تعرف بقلعة زياد ، ثم لما تحصن فيها منصور البشكري فيما بعد ذلك عرفت به فكان يقال لها قلعة منصور .

قال الواقدي : وفي هذه السنة بمث علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس على الموسم وبمث معاوية يزيد بن سبخرة الرهاوي ليقم للناس الحج فلما اجتمعا بمكة تلاظا وأبى كل واحد

منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الحنظلي فخرج بالناس وصلى بهم في أيام الموسم قال أبو الحسن المدائني : لم يشهد عبد الله بن عباس الموسم في أيام علي حتى قتل ، والذي نازعه يزيد بن سبخرة . إنما هو قثم بن العباس حتى اصطلحا على شيبه بن عثمان . قال ابن جرير : وكما قال أبو الحسن المدائني قال أبو مصعب . قال ابن جرير : وأما عمال علي على الأمصار فهم الذين ذكرنا في السنة الماضية غير أن ابن عباس كان قد سار من البصرة إلى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ثم سار زياد في هذه السنة إلى فارس وكرمان كما ذكرنا .

### ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

#### سعد القرظي

مؤذن مسجد قبا في زمان رسول الله ص . ، فلما ولي عمر الخلافة تلاه أذان المسجد النبوي وكان أصله مولى لعمار بن ياسر ، وهو الذي كان يحمل العترة بين يدي أبي بكر وعمر وعلى إلى المصلى يوم العيد وبقى الأذان في ذريته مدة طويلة .

#### عقبة بن عمرو بن ثعلبة

أبو مسعود البدرى سكن ماء بدر ولم يشهد الواقعة بها علم . الصحيح ، وقد شهد العقبة ، وهو من سادات الصحابة وكان ينوب لعل بالكوفة إذا خرج لصفين وغيرها .  
سنة أربعين من الهجرة .

قال ابن جرير : فما كان في هذه السنة من الأمور الجليلة توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز ، فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة قال : أرسل معاوية بعد تحكيم الحكيم بسر بن أبي أرطاة - وهو رجل من بني عامر بن لؤي - في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة - وعامل علي عليها يومئذ أبو أيوب - ففر منهم أبو أيوب فأتى عليا بالكوفة ، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى على المنبر : يا دينار ويا نجار ويا رزيق شيخي شيخي عهدي به ها هنا بالأس فإين هو ؟ - يعني عثمان بن عفان - ثم قال : يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركت بها محتلما إلا قتلتها ، ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بني سلمة فقال : والله مالكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتونني بجابر بن عبد الله - يعني حتى يبايعه - فانطلق جابر إلى أم سلمة فقال لها : ماذا ترين إني خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة ؟ فقالت : أرى أن تبايع فإني قد أمرت ابني عمر وختي عبد الله بن زمعة - وهو زوج ابنتها زينب - أن يبايعا فأتاه جابر فبايعه . قال : وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة فخافه أبو موسى الأشعري أن يقتله فقال

له بسر: ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله (ص) ذلك، نفخى عنه، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى أهل اليمن أن خيلاً مبعوثاً من عند معاوية تقتل من أبي أن يقر بالحكومة، ثم مضى بسر إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس ففر إلى الكوفة حتى لحق بعلي، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد الله بن المدان الحارثي، فلما دخل بسر اليمن قتله وقتل ابنه، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان صغيران له قتلتهما وهما عبد الرحمن وشم، ويقال إن بسر أقتل خلقاً من شيعة علي في مسيره هذا وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير، وفي صحته عندي نظر والله تعالى أعلم. ولما بلغ علياً خبر بسر وجه جارية بن قدامة في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية حتى بلغ نجران فحرق بها وقتل ناساً من شيعة عثمان، وهرب بسر وأصحابه فاتبهم حتى بلغ مكة، فقال لهم جارية: بايعوا فقالوا: لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلن نبايع؟ فقال: بايعوا لمن بايع له أصحاب علي، فثاقلوا ثم بايعوا من خوف، ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية: والله لو أخنت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا للحسن ابن علي، فبايعوا وأقام عندهم ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة وعاد أبو هريرة يصلي بهم. قال ابن جرير: وفي هذه السنة جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما، وأن يكون ملك العراق لعلي وللمعاوية الشام، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة. ثم ذكر عن زياد عن ابن إسحاق ما هذا مضمونه أن معاوية كتب إلى علي: أما بعد فإن الأمانة قد قتل بعضها بعضاً يعني فلك العراق ولي الشام. فأقر بذلك علي رضي الله عنه. وأمسك كل واحد منهما عن قتال الآخر، وبعث الجيوش إلى بلاده، واستقر الأمر على ذلك. قال ابن جرير: وفي هذه السنة خرج ابن عباس من البصرة إلى مكة وترك العمل في قول عامة أهل السير، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل عاملاً على البصرة حتى صالح على معاوية، وأنه كان شاهداً للصلح، ممن نص على ذلك أبو عبيدة كاسياني. ثم ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة وذلك أنه كلم أبا الأسود الدؤلي القاضي بكلام فيه غض من أبي الأسود فكتب أبو الأسود إلى علي يشكو إليه ابن عباس وينال من عرضه فانه تناول شيئاً من أموال بيت المال فبعث علي إلى ابن عباس فعاتبه في ذلك وحرر عليه التبعة فغضب ابن عباس من ذلك وكتب إلى علي: ابعث إلى عمك من أحببت فاني ظاعن عنه والسلام. ثم سار ابن عباس إلى مكة مع أخواله بني هلال وتبعهم قيس كلها، وقد أخذ شيئاً من بيت المال مما كان اجتمع له من العمالة والنفق، ولما سارت بعته أقوام آخر فلحقهم بنو غنم وأرادوا منعهم من المسير فكان بينهم قتال، ثم تجاوزوا ودخل ابن عباس مكة.

## ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وما ورد من الأحاديث النبوية من الأخبار بمقتله وكيفيته

كان أمير المؤمنين رضي الله عنه قد تنفست عليه الأمور، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، واستفحل أمر أهل الشام، وصالوا وجالوا بيننا وشمالا، زاعمين أن الأميرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكيمين في خلعهما عليا وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الأمرة عن أحد، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان، أعبدتم وأزهدتم، وأعلمهم وأخشاهم لله عز وجل، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتمنى الموت، وذلك لكثرة الفتن وظهور الحن، فكان يكثر أن يقول: ما يجبس أشقاها، أي ما ينتظر؟ ماله لا يقتل؟ ثم يقول: والله لتخضبن هذه ويشير إلى لحيته من هذه ويشير إلى هامته، كما قال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني ثنا أبو الحراب الأحوص بن حراب ثنا عمار بن زريق عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد قال قال علي: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحية من رأسه فما يجبس أشقاها»؟ فقال عبدالله بن سبع: والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلا فعل ذلك لأبدنا عترته: فقال أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي. فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا تستخلف؟ فقال: لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله. قالوا: فما تقول لربك إذا لقيتَه وقد تركتنا هملا؟ قال: أقول اللهم استخلفتني فيهم ما بدالك ثم قبضتني وتركتك فيهم فان شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم.

### طريق أخرى

قال أبو داود الطيالسي في مسنده: ثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب. قال: جاءت الخوارج إلى علي فقالوا له: اتق الله فانك ميت. قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ولكن مقتول من ضربة علي هذه تخضب هذه - وأشار بيده إلى لحيته - عهد معهود وقضى مقضى، وقد خاب من افتري.

### طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو يعلى: ثنا سويد بن سعيد ثنا رشدين بن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن عثمان بن صهيب عن أبيه. قال قال علي: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من أشقى الأولين؟ قلت: عاقرة الناقة، قال: صدقت فمن أشقى الآخرين؟ قلت: لا أعلم لي يارَسُولَ اللَّهِ، قال: الذي يضربك

علي هنة - وأشار بيده - علي يافوخه فيخضب هنة من هنة يعني لحيته من دم رأسه قال : « فكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم » .

### طريق أخرى عن علي

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبع . قال : سمعت علياً يقول لتخضبن هنة من هنة فما ينتظر بي إلا شقي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين اخبرنا به ندعتره ، قال : إذا تالله تقتلون بي غير قاتلي ، قالوا : فاستخلف علينا ، قال : لا ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله (س) ، قالوا : فما تقول لربك إذا أتيتك ؟ قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدالك ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، إن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم

وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله ابن بسع قال : خطبنا علي فقال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هنة من هنة ، قال فقال الناس : فأعلمنا من هو والله لنبيدنه أو لنبيدن عترته . قال : أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي ، قالوا : إن كنت علمت ذلك فاستخلف قال لا ولكن أكلمكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله (س) ، « تفرد به أحمد .

### طريق أخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا محمد - يعني ابن راشد - عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري - وكان ابن فضالة من أهل بدر - : وقال « خرجت مع أبي عائداً لعلني بن أبي طالب من مرض أصابه ثقل منه ، قال فقال له أبي : ما يقيمك بمنزلك هنا لو أصابك أجلك إلا أعراب جهينة ؟ تحمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك . فقال علي : إن رسول الله (س) عهد إلى أن لا أموت حتى أوامر ثم تخضب هنة - يعني لحيته - من دم هنة - يعني هامته - قال فقتل وقتل ابن فضالة يوم صفين » تفرد به أحمد أيضاً . وقد رواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .

### طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن أبان القرشي ثنا سفيان بن عيينة ثنا كوفي يقال له عبد الملك بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : « قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في غرز الركاب لا تأتي العراق فانك إن أتيتها أصابك بها خيل السيف قال : وايم الله لقد قالها ولقد قالها النبي (س) لي قبله . قال أبو الأسود فقلت : تالله ما رأيت رجلاً محارباً يحدث بهذا قبلك غيرك » . ثم قال البزار : ولا نعلم رواه إلا علي ابن أبي طالب بهذا الاسناد ، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين عن أبي حرب ، ولا رواه عنه

إلا ابن عيينة . هكذا قال : وقد رأيت من الطرق المتعددة خلاف ذلك . وقال البيهقي بعد ذكره طرفاً من هذه الطرق : وقد روينا في كتاب السنن بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبي سنان الدؤلي عن علي في إخبار النبي (س) ، بقتله .

### حديث آخر في ذلك

قال الخطيب البغدادي . أخبرني علي بن القاسم البصري ثنا علي بن إسحاق المارداني أنا محمد ابن إسحاق الصنعاني ثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا ناصح بن عبد الله المحملي عن سبائك عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله (س) ، لعلي : « من أشقى الأولين ، قال : عاقر الناقة ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال : قاتلك » .

### حديث آخر في معنى ذلك

وروى البيهقي من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة الجعفي قال سمعت علياً علي المنبر وهو يقول : « والله إنه لعهد النبي الأمي إلى إن الأمة ستفدر بك بعدى » قال البخاري : ثعلبة بن زيد الجعفي في حديثه هذا نظر . قال البيهقي : وقد روينا بإسناد آخر عن علي ان كان محفوظاً . أخبرنا أبو علي الروذباري أنا أبو محمد بن شاذب الواسطي بهاتنا شعيب بن أيوب ثنا عمرو بن عون عن هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأزدي عن علي . قال : « إن مما عهد إلى رسول الله (س) ، أن الأمة ستفدر بك بعدى » قال البيهقي : فان صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم في خروج من خرج عليه ثم في قتله . وقال الأعمش عن عمرو بن مرة ابن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأرقم . قال : خطبنا علي يوم الجمعة فقال نبئت أن بسراً قد طلع اليمن ، وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم ، وخيانتكم وأمانتهم ، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم ، قد بعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعث المال إلى معاوية لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته ، اللهم ستمهم وستمونى ، وكرهتهم وكرهونى ، اللهم فأرحهم منى وأرحنى منهم » قال : فاصلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضى الله عنه وأرضاه .

### صفة مقتله رضى الله عنه

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي حليف بنى حنيفة من كندة المصرى وكان أصغر حسن الوجه أبلح شعره مع شحمة أذنيه وفي وجهه أثر السجود . والبرك بن عبد الله التميمي . وعمرو بن بكر التميمي أيضاً - اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل التهر وان فترجوا عليهم

وقالوا : ماذا نضع بالبقاء بعدهم ؟ كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أما أنا فأكفيكم علي ابن أبي طالب . وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية : وقال عمرو بن بكر وأنا أكفيكم عمرو بن العاص . فعاهدوا وتوافقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسياهم فسوها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبیت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكنم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس في قوم من بني الرباب يتذاكرون قتلاهم يوم النهر وان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشحنة ، قد قتل علي يوم النهر وان أباه وأخاه ، وكانت فائقة الجمال مشهورة به ، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسى حاجته التي جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة . وأن يقتل لها علي بن أبي طالب . قال : فهولك ووالله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلاقتل علي ، فتروجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلا من قومها ، من تيم الرباب يقال له وردان ، ليكون معه ردها ، واستمال عبد الرحمن ابن ملجم رجلا آخر يقال له شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري قال له ابن ملجم : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك : قال ؟ قتل علي ، فقال : ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئا إدا كيف تقدر عليه ؟ قال أكن له في المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فان نجونا شفيانا أنفسنا وأدر كنا ثأرنا ، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا . فقال : ويحك لو غير علي كان أهون علي ؟ قد عرفت سابقته في الاسلام وقرابته من رسول الله ص . فما أجدني أنشرح صدرا لقتله . فقال : أما تعلم أنه قتل أهل النهر وان ؟ فقال : بلى قال : فقتله بمن قتل من إخواننا . فأجابه إلى ذلك بعدلأى ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التي واعدت أصحابي فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص فجاء هؤلاء الثلاثة - وهم ابن ملجم ، ووردان ، وشبيب - وهم مشتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ، ويقول : الصلاة الصلاة فنار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقه في الطاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضى الله عنه ، ولما ضربه ابن ملجم قال : لاحكم الا الله ليس لك يا علي ولا لأصحابك ، وجعل يتلو قوله تعالى [ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد ] ونادى علي : عليكم به ، وهرب وردان فأدرکه رجل من حضر موت فقتله ، وذهب شبيب فنجا بنفسه وقات الناس ، ومسك ابن ملجم وقدم على جمدة بن هبيرة بن أبي وهب فصلى بالناس صلاة الفجر ، وحمل



على إلى منزله ، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف - قبضه الله - قال له : أي عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى : قال . فما حملك على هذا : قال ؟ شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال له على لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : إن مت فاقتلوه وإن عشت فانا أعلم كيف أصنع به ، فقال جنذب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبأيع الحسن ؟ فقال لا آمركم ولا أنهيكم ، أنتم أبصر . ولما احتضر على جعل يكثر من قول لا إله إلا الله ، لا يتلفظ بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تكلم به [ فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ] . وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ووصاهما بأخيها محمد بن الحنفية ووصاه بما وصاهما به ، وأن يعظهما ولا يقطع أمراً دونهما وكسب ذلك كله في كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه .

وصورة الوصية : « بسم الله الرحمن الرحيم ! هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فاني سمعت أبا القاسم (س) يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » ، انظروا إلى ذوى أرحامكم فصبوا عليهم الحساب الله الله في الأيتام فلا تغفروا فواهم ولا يضيعن بحضرتكم ، والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ، مازال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة فانها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فانه إن ترك لم تناظروا ، والله الله في شهر رمضان فان صيامه جنة من النار ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في الزكاة فانها تطفى غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم لا تظلمن بين ظهرائكم ، والله الله في أصحاب نبيكم فان رسول الله (س) أوصى بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين فاشركوهم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيمانكم فان آخر ما تكلم به رسول الله (س) ، أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم » ، الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبنى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم

والتدابرو والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله . ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض في شهر رمضان سنة أربعين .

وقد غسله ابنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيري ثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال : لما ضرب ابن ملجم عليا قال لهم « افعلوا به كما أراد رسول الله (س) ، أن يفعل برجل أراد قتله فقال : اقتلوه ثم حرقوه » . وقد روى أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف : ويحك ! لم ضربت أمير المؤمنين ؟ قال : إنما ضربت أباك فقالت : إنه لا بأس عليه ، فقال : لم تبكين ؟ والله لقد ضربته لو أصابت أهل المصر لما أتوا أجمعين ، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف .

قال الهيثم بن عدي : حدثني رجل من بجيلة عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام كانت من أجمل النساء ترى رأى الخوارج ، قد قتل على قومها على هذا الرأي فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينه ، فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له : يا هذا قد فرغت فافرح فخرج ملبساً سلاحه وخرجت معه فضربت له قبة في المسجد وخرج على يقول : الصلاة الصلاة ، فاتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر : - قال ابن جرير : هو ابن مياس المرادي .

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة \* كهر قطام بيناً غير معجم  
ثلاثة آلاف وعبد وقينه \* وقتل علي بالحسام المصمم  
فلا مهر أغلام علي وإن غلا \* ولا فتك لإدون فتك<sup>(١)</sup> ابن ملجم  
وقد عزى ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن شاس المرادي وأنشد له ابن جرير في قتلهم عليا :  
ونحن ضربنا مالك الخير حيدراً \* أبا حسن مأمومة فتقطراً  
ونحن خلعنا ملكه من نظامه \* بضربة سيف إذ علا وتجبراً  
ونحن كرام في الهياج أعزة \* إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا  
وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العباد ممن يروى عن عائشة في صحيح البخاري فقال فيه :

ياضربة من تقى ما أراد بها \* إلا ليلغ من ذى العرش رضوانا

(١) كذا في الأصل وفي نسخة : ولا قتل لإدون قتل . فلعلها رواية .

إني لأذكره يوماً فأحسبه \* أوفى البرية عند الله ميزانا

وأما صاحب معاوية - وهو البرك - فانه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضر به بالسيف ، وقيل بخنجر مسموم فجاءت الضربة في ورکه فجرحت إلبته ومسك الخارجى فقتل ، وقد قال لمعاوية : اتركنى فانى أبشرك ببشارة ، فقال : وما هى ؟ فقال : إن أخى قد قتل في هذا اليوم على بن أبى طالب ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إنه ، لاحرس معه ، فأمر به فقتل ، وجاء الطبيب فقال لمعاوية : إن جرحك مسموم فاما أن أكويك وأما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية : أما النار فلا طاقة لى بها ، وأما النسل ففى يزيد وعبد الله ما تقر به عيني . فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه واستقل وسلم رضى الله عنه . ومن حينئذ عملت المقصورة فى المسجد الجامع وجعل الحرس حولها فى حال السجود ، فكان أول من أخذها معاوية لهذه الحادثة . وأما صاحب عمرو بن العاص - وهو عمرو بن بكر - فانه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مفض شديد فى ذلك اليوم فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة - وهو خارجة بن أبى حبيبة من بنى عامر بن لؤى وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجى فقتله وهو يعتقد عمرو بن العاص ، فلما أخذ الخارجى قال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فأرسلها مثلاً ، وقتل قبحة الله ، وقد قيل إن الذى قالها عمرو بن العاص ، وذلك حين جىء بالخارجى فقال : ما هذا ؟ قالوا قتل نائبك خارجة ، ثم أمر به فضربت عنقه .

والمقصود أن علياً رضى الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الامارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته ، هذا هو المشهور ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدري أين ذهب فقد أخطأ وتكاف ما علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع ، وما يعتقد كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له ، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة ، حكاه الخطيب البغدادي عن أبى نعيم الحافظ عن أبى بكر الطلحي عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ عن مطر أنه قال : لو علمت الشيعة قبر هذا الذى يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة ، هذا قبر المغيرة بن شعبة . قال الواقدي : حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة قال : سألت أبا جعفر محمد بن على الباقر كم كان سن على يوم قتل ؟ قال : ثلاثاً وستين سنة . قلت : أين دفن ؟ قال : دفن بالكوفة ليلاً وقد غبي عن دفنه ، وفى رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة ، وقد قيل إن علياً دفن قبلى المسجد الجامع من الكوفة . قال الواقدي ، والمشهور بدار الامارة . وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبى نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبيع

عند قبر فاطمة ، وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طيء يظنونها مالا فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره ، حكاه الخطيب أيضاً .  
وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن قال : دفنت علياً في حجرة من دور آل جمدة . وعن عبد الملك بن عمير قال : لما حضر خالد بن عبد الله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأسس فهم باحراقه ثم صرفه الله عن ذلك فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه . قالوا وذلك المكان بمحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت اسكاف وما يكاد يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه . وعن جعفر بن محمد الصادق قال : صلى على علي ليلاً ودفن بالكوفة وعمى موضع قبره ولكنه عند قصر الامارة . وقال ابن الكلابي : شهد دفنه في الليل الحسن والحسين وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه في ظاهر الكوفة وعموا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم ، وحاصل الأمر أن علياً قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين وقيل إنه قتل في ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم . ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه الواقدي وابن جرير وغيره ، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وستين سنة رضى الله عنه . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر . فلما مات على رضى الله عنه استدعى الحسن بابن ملجم فقال له ابن ملجم : إني أعرض عليك خصلة قال : وما هي ؟ قال : إني كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فان خيلتني ذهبت إلى معاوية على أني إن لم أقتله أو قتلته وبقيت فله على أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك . فقال له الحسن : كلا والله حتى تعابن النار ، ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه في بوارى ثم أحرقوه بالنار ، وقد قيل إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى آخرها ثم جاءوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال : إني أخشى أن تمر على ساعة لا أذكر الله فيها ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه في قوصرة والله أعلم .  
وروى ابن جرير قال : حدثني الحارث ثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال : ضرب علي يوم الجمعة فكث يوم الجمعة ، وليلة السبت وتوفي ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة . قال الواقدي : وهو المنبت عندنا والله أعلم بالصواب .

### ذكر زوجاته وبنيه وبناته

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي قال : « لما ولد الحسن جاء رسول الله (ص) ، فقال : أروني ابني ، ما سميتوه ؟ فقلت : سميتته حرباً ، فقال : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أروني ابني ، ما سميتوه ؟ فقلت : سميتته حرباً قال : بل هو

حسين ، فلما ولد الثالث جاء النبي (ص) ، فقال أروني ابني ما سميتوه ؟ فقلت : حربا فقال : بل هو محسن ، ثم قال : إني سميتهم باسم ولد هارون شبر وشبير ومشبر ، وقد رواه محمد بن سعد عن يحيى ابن عيسى التيمي عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي : كنت رجلا أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا ، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث . وقد ورد في بعض الأحاديث أن عليا سمي الحسن أولا بحمزة وحسينا بجعفر فغير اسميهما رسول الله (ص) .

فأول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله (ص) ، بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسينا ويقال ومحسنا ومات وهو صغير ، وولدت له زينب الكبرى وأم كاثوم وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم . ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله (ص) ، بستة أشهر ، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة ، منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها ، وتوفى عن أربع كما سيأتي ، فمن زوجاته أم البنين بنت حرام وهو المحل بن خالد بن ربيعة بن كعب بن عامر ابن كلاب فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان . وقد قتل هؤلاء مع أخيهما الحسين بكر بلاء ولا عقب لهم سوى العباس . ومنهن ليلي بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر ، قال هشام بن الكلبي : وقد قتل بكر بلاء أيضاً . وزعم الواقدي أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم الدار . ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر قاله الكلبي . وقال الواقدي : ولدت له يحيى وعونا قال الواقدي : فأما محمد الأصغر فمن أم ولد . ومنهن أم حبيبة بنت زمعة بن بجر بن العبد بن علقمة وهي أم ولد من السبي الذين سبهم خالد من بني تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر - وقد عمر خمساً وثلاثين سنة - ورقية . ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مغيث بن مالك الثقفي فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى . ومنهن ابنة امرئ قيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية فولدت له جارية فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها : من أخوالك ؟ فنقول : وه وه تعني بني كلب . ومنهن بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأما زينب بنت رسول الله (ص) ، وهي التي كان رسول (ص) يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها ، فولدت له محمداً الأوسط ، وأما ابنة محمد الأكبر فهو ابن الحنفية وهي خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل سبها خالد أيام الصديق أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً هذا ، ومن الشيعة من يدعى فيه الامامة والمعصية ، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا

أزواج علي  
رضي الله عنهم

بواجبي العصمة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم . وقد كان لعل أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شقي فإنه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية رضي الله عنه فمن أولاده رضي الله عنهم من لا يعرف أسماء أمهاتهم أم هاني وميمونة وزينب الصغرى ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأميمة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وأم سلمة وجمانة . قال ابن جرير : فجميع ولد علي أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى . قال الواقدي : وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد [ ابن الحنفية والعباس بن ]<sup>(١)</sup> الكلابية وعمر بن التغلبية رضي الله عنهم أجمعين . وقد قال ابن جرير : حدثني ابن سنان القزاز ثنا أبو عاصم ثنا مسكين بن عبد العزيز أنا حفص بن خالد حدثني أبي خالد بن جابر قال : « سمعت الحسن لما قتل علي قام خطيباً فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن ، ورفع فيها عيسى بن مريم ، وفيها قتل يوشع بن نون فتي موسى والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده ، والله أن كان رسول الله (س) ، لبيعته في السرية جبريل عن يمينه ويكائيل عن يساره ، والله ماترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة أو تسعمائة أُرصدتها لحادثة » وهذا غريب جداً وفيه نكارة والله أعلم . وهكذا رواه أبو يعلى عن إبراهيم بن الحجاج عن مسكين به . وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن شريك عن أبي إسحاق عن هبيرة قال : خطبنا الحسن بن علي قال : « لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون ، كان رسول الله (س) ، يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح له . ورواه زيد العمى وشعيب ابن خالد عن أبي إسحاق به وقال « ما ترك إلا سبعمائة كان أُرصدتها يشتري بها خادماً » : وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شريك عن عاصم بن كريب عن محمد بن كعب القرظي أن علياً قال : « لقد رأيتني مع رسول الله وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألفاً » ورواه عن أسود عن شريك به وقال « إن صدقتي لتبلغ أربعين ألف دينار » .

### شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

من ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله (س) ، فإنه علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن القرشي الهاشمي فهو ابن عم رسول الله (س) ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . قال الزبير بن بكار : وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً . وقد أسلمت وهاجرت ، وأبوه هو العم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا

(١) ما بين المربعين تصحيح من ابن الأثير وبياض في الأصل .

نص على ذلك الامام احمد بن حنبل هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس . وزعمت الروافض  
 أن اسم أبي طالب عمران وأنه المراد من قوله تعالى [ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل  
 عمران على العالمين ] وقد أخطأوا في ذلك خطأ كثيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان  
 من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى ، فانه قد ذكر بعد هذه قوله تعالى [ إذ قالت امرأة  
 عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محرراً ] فذكر ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا  
 ظاهر والله الحمد . وقد كان أبو طالب كثير المحبة الطبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤمن به إلى أن مات  
 على دينه كما ثبت ذلك في صحيح البخارى من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه في عرضه عليه  
 السلام على عمه أبي طالب وهو فى السياق أن يقول لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي  
 أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى  
 أن يقول لا إله إلا الله فخرج رسول الله وهو يقول « أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فنزل فى  
 ذلك قوله تعالى [ إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ] ثم نزل  
 بالمدينة قوله تعالى [ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد  
 ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين  
 له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حلیم ] وقد قررنا ذلك فى أوائل المبعث ونهنا على خطأ  
 الرافضة فى دعواهم أنه أسلم وافترأهم ذلك بلا دليل على مخالفة النصوص الصريحة . وأما على رضى  
 الله عنه فانه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور ، ويقال إنه أول من أسلم من الغلمان ، كما أن  
 خديجة أول من أسلم من النساء ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وزيد بن  
 حارثة أول من أسلم من الموالى . وقد روى الترمذى وأبو يعلى عن إسماعيل بن السدى عن على بن  
 عياش عن مسلم الملائى عن حبة بن جوين عن على - وحبة لا يساوى حبة - عن أنس بن مالك  
 قال : « بعث رسول الله يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء » ورواه بعضهم عن مسلم الملائى عن حبة  
 ابن جوين عن على - وحبة لا يساوى حبة - وقد روى سلمة بن كهيل عن حبة عن على قال : بعثت  
 الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبد أحد « وهذا لا يصح أبداً وهو كذب وروى سفيان  
 الثورى وشعبة عن سلمة عن حبة عن على قال : « أنا أول من أسلم » وهذا لا يصح أيضاً وحبة  
 ضعيف وقال سويد بن سعيد ثنا نوح بن قيس بن سليمان بن عبد الله عن معاذة العدوية قالت سمعت  
 على بن أبى طالب على منبر البصرة يقول : « أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ،  
 وأسلمت قبل أن يسلم » وهذا لا يصح قاله البخارى ، وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة :  
 « أيها الناس ! إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أمسى الثالث لسببت »

الروافض

عنه ايوان اور  
علوم ايمان

تصرفت على

انترف فضسبت  
سنتين

وقد تقدم ذلك في فضائل الشيخين رضى الله عنهما وارضاهما . قال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال : « أول من صلى - وفي رواية أسلم - مع رسول الله بعد خديجة على بن أبي طالب » ورواه الترمذى من حديث شعبة عن أبي بلج به وقد روى عن زيد بن أرقم وأبي أيوب الأنصارى أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أى وجه كان روى عنه . وقد ورد فى أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شئ ، وأجود ما فى ذلك ما ذكرنا . على أنه قد خولف فيه وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه بن طريق هذه الروايات ، فمن أراد كشف ذلك فعليه بكتابه التاريخ والله الموفق للصواب . وقد روى الترمذى والنسائى عن عمرو بن مرة عن طلحة بن زيد عن زيد ابن أرقم قال : « أول من أسلم على » قال الترمذى : حسن صحيح . وصحب على رسول الله - مدة مقامه بمكة ، وكان عنده فى المنزل وفى كفالته فى حياة أبيه لفقير حصل لأبيه فى بعض السنين مع كثرة العيال ، ثم استمر فى نفقة رسول الله - بعد ذلك إلى زمن الهجرة ، وقد خلفه رسول الله - ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من ودائع الناس ، فانه كان يعرف قومه بالأمين ، فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة ثم هاجر على بعد رسول الله - وصحب رسول الله - إلى أن توفى وهو راض عنه وحضر معه مشاهدتها كلها وجرت له مواقف شريفة بين يديه فى مواطن الحرب كما بينا ذلك فى السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ، كيوم بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها ، ولما استخلفه عام تبوك على أهله بالمدينة قال : « أما ترى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » وقد ذكرنا تزويجه فاطمة بنت رسول الله ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته . ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غدیر خم خطب الناس هنالك فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة فقال فى خطبته : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وفى بعض الروايات : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » والمحفوظ الأول ، وإما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ما ذكره ابن إسحاق من أن علياً لما بعثه رسول الله - إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع على فوفى رسول الله - بمكة فى حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها نائبه عليهم لما تهجل السير إلى رسول الله - ، فلما تفرغ رسول الله - من حجة الوداع أحب أن يبرىء ساحة على مما نسب إليه من القول الذى لا أصل له ، وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً ، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد فى أيام بنى بويه فى حدود الأربعمائة كما سننبه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله . ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح على أبواب

كفالت رسول الله

محدث

رد روافض



الدكاكن ويندر التبن والرماد ، وتدور الذراري والنساء في سكك البلد تنوح على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصراع المكذوب في قتله ، وسنين الحق في صفة قتله كيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى . وقد كان بعض بني أمية يعيب علياً بتسميته أبا تراب وهذا الاسم إنما سماه به رسول الله (س) ، كما ثبت في الصحيحين عن سهل بن سعد أن علياً غاضب فاطمة فراح إلى المسجد فجاءه رسول الله فوجده نائماً وقد لصق التراب بجملته فجعل ينفض عنه التراب ويقول : « اجلس أبا تراب » .

### حديث المؤاخاة

قال الحاكم حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسين بن جعفر القرشي ثنا العلاء بن عمرو الخنفي ثنا أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبي أمامة قال : « لما آخى رسول الله (س) بين الناس آخى بينه وبين علي » ثم قال الحاكم لم نكتبه من حديث مكحول إلا من هذا الوجه وكان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لسكونه من رواية أهل الشام . قلت : وفي صحة هذا الحديث نظر ، وورد من طريق أنس وعمر أن رسول الله (س) قال : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » وكذلك من طريق زيد بن أبي أوفى وابن عباس ومحدوج بن زيد الذهلي وجابر بن عبد الله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وعلى نفسه نحو ذلك وأسانيدها كلها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجة والله أعلم . وقد جاء من غير وجه أنه قال : « أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدى إلا كذاب » وقال الترمذي : ثنا يوسف بن موسى القطان البغدادي ثنا علي بن قادم ثنا علي بن صالح بن حي عن حكيم بن جبير عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر قال : « آخى رسول الله (س) بين أصحابه فجاء علي تسمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخى بيني وبين أحد ، فقال رسول الله (س) أنت أخي في الدنيا والآخرة » ثم قال : هذا حديث حسن غريب وفيه عن زيد بن أبي أوفى ، وقد شهد بدر . وقد قال رسول الله لعمر : « وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ؟ وبارز يومئذ كما تقدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله (س) الراية يومئذ وهو ابن عشرين سنة قاله الحكم عن مقسم عن ابن عباس . قال : وكانت تكون معه راية المهاجرين في المواقف كلها ، وكذلك قال سعيد بن المسيب وقتادة . وقال خيشمة بن سليمان الاطرابلسي الحافظ : حدثنا أحمد بن حازم عن ابن أبي غرزة ثنا إسماعيل بن أبان ثنا قاصح بن عبد الله الحلبي عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قالوا يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال : « ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدنيا على بن أبي طالب » ؟ وهذا إسناد ضعيف . ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ولا يصح أيضاً . وقال الحسن بن عرفة : حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الخنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال نادى مناد في السماء يوم بدر :

« لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » قال الحافظ ابن عساكر وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه لعلي بعد ذلك . وقال الزبير بن بكار : حدثني علي بن المغيرة عن معمر بن المثنى قال : كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة فقتله علي بن أبي طالب فني ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي .

لله أي مذنب عن حرب \* أعنى ابن فاطمة المغم الخولا  
جادت يدك له بماجل طعنة \* تركت طليحة للجبين مجندلا  
وشددت شدة باسل فكشفتم \* بالحق إذ يهون أخول أخولا  
وعلت سيفك بالدماء ولم تكن \* لترده حران حتى ينهلا

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى [ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ]  
وقال رسول الله (ص) « لن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار » . وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن  
رسول الله (ص) قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ،  
ليس بفرار يفتح الله على يديه » فبات الناس يدوكون أنهم يعطاها حتى قال عمر : ما أحببت الامارة  
إلا يومئذ ، فلما أصبح أعطاها علياً ففتح الله على يديه ، ورواه جماعة منهم مالك والحسن ويعقوب  
ابن عبد الرحمن وجري بن عبد الحميد وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن المختار وخالد بن عبد الله  
ابن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أخرجه مسلم . ورواه ابن أبي حازم عن سهل بن سعد أخرجاه في  
الصحيحين وقال في حديثه : « فدعا به رسول الله وهو أرمد فبصق في عينيه فبرأ » ورواه إياس بن  
سلمة بن الأكوع عن أبيه ويزيد بن أبي عبيد عن مولاة سلمة أيضاً ، وحديثه عنه في الصحيحين .  
وقال محمد بن إسحاق : حدثني بريدة عن سفيان عن أبي فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو  
ابن الأكوع قال : بعث رسول الله (ص) إلى أبي بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل  
ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال  
رسول الله (ص) ، لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه  
ليس بفرار ، قال سلمة : فدعا رسول الله علياً وهو أرمد فتقل في عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض  
بها حتى يفتح الله عليك ، قال سلمة نفرج والله بها يهول هرولة وأنا خلفه نتبع أثره حتى ركز  
رايته في رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال :  
علي بن أبي طالب ، قال اليهودى : غلبتم ومن أنزل التوراة على موسى قال : فما رجع حتى فتح الله  
على يديه « وقد رواه عكرمة بن عمار عن عطاء مولى السائب عن سلمة بن الأكوع وفيه أنه هو  
الذي جاء به يقوده وهو أرمد حتى بصق رسول الله في عينه فبرأ .

**رواية بريدة بن الحصيبي** . وقال الامام أحمد : حدثنا زيد [ بن الحباب ] ثنا الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة - حدثني بريدة بن الحصيبي قال : حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ، ثم أخذه من الغد عمر فخرج فرجع ولم يفتح له ، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله : إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له - وبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً - قال : فلما أصبح رسول الله (ص) ، صلى الغداة ، ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمم فتغل في عينيه ودفع إليه اللواء ففتح له ، قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها ، ورواه النسائي من حديث الحسين بن واقد به أطول منه ثم رواه أحمد عن محمد بن جعفر وروح كلاهما عن عوف عن ميمون أبي عبد الله الكردى عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه به نحوه ، وأخرجه النسائي عن بندار وغندر به وفيه الشعر .

**رواية عبد الله بن عمر** ورواه هشيم عن العوام بن حوشب عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة ورواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر نحوه وفيه « قال علي : فما رمدت بعد يومئذ » ورواه أحمد عن وكيع عن هشام بن سعيد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر كما سيأتي .

**رواية ابن عباس** وقال أبو يعلى : حدثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فقال ابن علي ؟ قالوا : يطحن ، قال وما أحد منهم يرضى أن يطحن ، فأتى به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب » وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل ، ورواه الامام أحمد عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس فذكره بتامه فقال الامام أحمد عن يحيى بن حماد : ثنا أبو عوانة ثنا أبو بلج ثنا عمرو بن ميمون قال : إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عباس إما أن تقرم معنا وإما أن نخلونا هؤلاء ؟ فقال : بل أقوم معكم - وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى - قال : وابتدأوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال فجاء ينفض ثوبه ويقول : أف وتف ، وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبي (ص) : « لا تبين رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله قال : فاستشرف لها من استشرف قال : ابن علي ؟ قالوا : هو في الرحا يطحن ، قال : وما كلن أحدكم ليطحن ، قال فجاء وهو أرمم لا يكاد أن يبصر فنفت في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاه إياه فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب قال : ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها ثم قال : لا ينهب بها إلا رجل مني وأنا منه . قال وقال لبي عمه : أيكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ فأبوا

قال : وعلى معه جالس فقال علي : أنا أو اليك في الدنيا والآخرة قال فتركه ثم أقبل على رجال منهم فقال : أيكم يوالي في الدنيا والآخرة فأبوا فقال علي : أنا أو اليك في الدنيا والآخرة فقال : أنت ولي في الدنيا والآخرة « قال : وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة ، قال : وأخذ رسول الله توبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال : « إنما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » قال وشري علي نفسه لبس ثوب النبي (س) ، ثم نام مكانه ، قال وكان المشركون يرومون رسول الله (س) ، فجاء أبو بكر وعلي قائم وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال : يا نبي الله ! فقال له علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمونة فأدركه ، قال : فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال : وجعل علي يرمي بالحجارة كما كان يرمي رسول الله (س) ، وهو يتضرر وقد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك لثيم كان صاحبك نزميه فلا يتضرر وأنت تتضرر وقد استنكرنا ذلك ، قال : وخرج - يعني رسول الله (س) ، في غزوة تبوك - فقال له علي : أخرج معك ؟ فقال له النبي (س) : لا أفبكي علي فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي ؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي » قال وقال له رسول الله (س) : « أنت ولي كل مؤمن » بعدى قال وسد أبواب المسجد غير باب علي قال فدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال وقال « من كنت مولاه فأنا مولاه » قال : وأخبرنا الله في القرآن أنه قد رضى عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم فمهد لهم ما شئنا أنه سخط عليهم بعد . قال وقال نبي الله (س) : لعمري حين قال ائذن لي أن أضرب عنق هذا المنافق - يعني حاطب بن أبي بلتعة - قال : « وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقد روى الترمذي بعضه من طريق شعبة عن أبي بلج يحيى بن أبي سليم واستغربه ، وأخرج النسائي بعضه أيضاً عن محمد بن المثني عن يحيى بن حماد به . وقال البخاري في التاريخ : ثنا عمر بن عبد الوهاب الرماحي ثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن منصور عن ربي عن عمران بن حصين . قال قال رسول الله (س) : « لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبعث إلى علي وهو أرمد ففص في عينيه واعطاه الراية فما رد وجهه وما اشتكاهما بعد » ورواه أبو القاسم البغوي عن إسحاق ابن إبراهيم عن أبي موسى الهروي عن علي بن هاشم عن محمد بن علي عن منصور عن ربي عن عمران فذكره . وأخرجه النسائي عن عباس العنبري عن عمر بن عبد الوهاب به .

**رواية أبي سعيد في ذلك** قال الامام أحمد : حدثنا مصعب بن المقة . ام وحجين بن المثني قالا : ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول : إن رسول الله (س) أخذ الراية فبرزها ثم قال : « من يأخذها بحقها فجاء فلان فقال أنا فقال : امض ثم جاء رجل آخر فقال

أنا فقال امض ثم قال النبي (س)، والذي أكرم وجهه مجد لأعطينها رجلا لا يفر، فجاء علي فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بمعجوتها وقديدهما». ورواه أبو يعلى عن حسين بن محمد عن إسرائيل وقال في سياقه «فجاء الزبير فقال أنا فقال : امض ثم جاء آخر فقال : امض» وذكره تفرد به أحمد.

**رواية علي بن ابي طالب في ذلك** وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان أبي يسير مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته فسأله فقال : «إن رسول الله (س)، بعث إلى وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت يا رسول الله إني أرمد العين فتفل في عيني فقال اللهم أذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ، وقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار فتشرف لها أصحاب النبي (س)، فأعطانيها» تفرد به أحمد وقد رواه غير واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي به مطولا . وقال أبو يعلى : حدثنا زهير ثنا جرير عن مغيرة عن أم موسى قالت سمعت عليا يقول : «مارمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله وجهي وتفل في عيني يوم خيبر وأعطاني الراية» **رواية سعد بن ابي وقاص في ذلك** . ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (س)، قال لعلي : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» ؟ قال أحمد ومسلم والترمذي : حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال له : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ [ فقال ] أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (س)، ؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله (س)، يقول - وخلفه في بعض مغازيه - فقال له علي يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله (س)، : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» ؟ وسمعت يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتناولت لها قال ادعوا لي عليا فأني به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه « ولما نزلت هذه الآية [ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ] دعا رسول الله (س)، عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال اللهم هؤلاء أهلي » : وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول الله (س)، قال لعلي : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وقال الترمذي : ويستغرب من رواية سعيد عن سعد . وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد الزبيري ثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد الله عن أبيه - يعني عبد الله بن عمر - عن سعد قال : لما خرج رسول الله إلى تبوك خلف عليا فقال :

تختلفني؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه. وقال الحسن بن عرفة العبدي: ثنا محمد بن حازم أبو معاوية الضريبر عن موسى بن مسلم الشيباني عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته فأتاه سعد بن أبي وقاص فذكروا علياً فقال سعد: له ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا وما فيها. سمعت رسول الله (ص) يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعتني يقول: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وسمعتني يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» لم يخرجوه وإسناده حسن. وقال أبو زرعة اللمشتي: ثنا أحمد بن خالد الذهبي أبو سعيد ثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن أبيه قال: «لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن نفسي بعض سننه فطف نطف بطوافك، قال: فلما فرغ أدخله دار النسوة فاجلسه معه على سريره ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه هو والله لأن يكون في إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له حين غزات تبوكا» ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار» أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ماله أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم، ثم نفذ رداءه ثم خرج. وقال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله (ص) علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»؟ إسناده على شرطهما ولم يخرجاه. وهكذا رواه أبو عوانة عن الأعمش عن الحكم بن مصعب عن أبيه ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن عاصم عن مصعب عن أبيه فأنه أعلم. وقال أحمد: ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا سليمان بن بلال حدثنا الجعد بن عبد الرحمن الجعفي عن عائشة بنت سعد عن أبيها: أن علياً خرج مع رسول الله (ص) حتى جاء ثنية الوداع وعلي يبكي يقول: تخلفني مع الخوالم؟ قال: «أوما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة»؟ وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه. وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها، قال الحافظ ابن عساكر: وقد روى هذا الحديث عن رسول الله (ص) جماعة من الصحابة منهم عمر وعلي وابن عباس وعبد الله

ابن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وجابر بن عمرة وأبو سعيد والبراء بن عازر . زيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط وحبشي بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفضل ، وأم سلمة وأسما بنت عميس ، وفاطمة بنت حمزة . وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والانداد . رحمه رب العباد يوم التناد . **رواية عمر رضي الله عنه في ذلك** قال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن جعفر أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر : لقد أعطى علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم قيل وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزويجه فاطمة بنت رسول الله (س) ، ومسكنه المسجد مع رسول الله (س) . بجل له فيه ما يجل له ، والراية يوم خيبر . وقد روى عن عمر من غير وجه **رواية ابن عمر رضي الله عنهما** وقد رواه الإمام أحمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر قال : « كنا نقول في زمان رسول الله (س) ، خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتهن أحب إلي من حمر النعم » . قد ذكر هذه الثلاث . وقد روى أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول الله (س) قال لعلي . « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » ؟ ورواه أحمد من حديث عطية عن أبي سعيد عن النبي (س) قال : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » . ورواه الطبراني من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً ورواه سلمة بن كهيل عن عامر بن سعد عن أبيه عن أم سلمة أن رسول الله قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » قال سلمة وسمعت مولى لبني موهب يقول : سمعت ابن عباس يقول قال النبي (س) : مثله . **ترووجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها** . قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن أبيه سمع رجلاً علياً على منبر الكوفة يقول : « أردت أن أخطب إلى رسول الله ابنته ثم ذكرت أن لا شيء لي ثم ذكرت عائذته وصلته فخطبتها ، فقال : هل عندك شيء ؟ قلت : لا ! قال فأين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قلت : عندي ، قال : فأعطاها فأعطيتها فزوجني فلما كان ليلة دخلت عليها قال لا تحبنا شيئاً حتى آتيكما ، قال : فاتانا وعلينا قطيفة أو كساء فنحنثنا فقال مكانكما ، ثم دعا بقدر من ماء فدعا فيه ثم رشه علي وعليها ، فقلت : يا رسول الله أنا أحب إليك أم هي ؟ قال : هي أحب إلي وأنت أعز علي منها » . وقد روى النسائي من طريق عبد الكريم بن سليط عن ابن بريدة عن أبيه فذكره بأبسط من هذا السياق ، وفيه أنه أولم عليها بكبش من عند سعد وأصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار ، وأنه دعا لهما بعد ما صب عليهما الماء ، فقال : « اللهم بارك لهما في شملهما » - يعني

الجماع - وقال محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال :  
لما خطب علي فاطمة دخل عليها رسول الله فقال لها : « أي بنية إن ابن عمك عليا قد خطبك  
فإذا تقولين ؟ فبكت ثم قالت : كأنك يا أبت إنما دخرتني لفقير قريش ؟ فقال : والذي بعثني بالحق  
ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السموات ، فقالت فاطمة : رضيت بما رضى الله ورسوله . فخرج  
من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال : يا علي اخطب لنفسك فقال علي الحمد لله الذي لا يموت وهذا  
محمد رسول الله زوجني ابنته علي صداق مبلغه أربع مائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا ، قالوا : ما تقول  
يا رسول الله ؟ قال : أشهدكم إني قد زوجتكم . رواه ابن عساکر وهو منكر وقد ورد في هذا الفصل  
أحاديث كثيرة منكورة وموضوعة ضربنا عنها لثلاث أطول الكتاب بها . وقد أورد منها طرفاً جيداً  
الحافظ ابن عساکر في تاريخه . وقال وكيع عن أبي خالد عن الشعبي قال قال علي : « ما كان لنا  
إلا إهاب كبش تنام على ناحيته وتمجن فاطمة على ناحيته » وفي رواية مجاهد عن الشعبي « ونعلمف  
عليه الناضح بالنهار وما لي نادم عليها غيرها » • حديث آخر قال أحمد : حدثنا محمد بن  
جعفر ثنا عوف عن ميمون بن عبد الله عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله -  
أبواب شارعة في المسجد قال فقال يوماً : « سدوا هذه الأبواب إلا باب علي » قال فتكلم في ذلك  
اناس فقام رسول الله - « فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب  
غير باب علي فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحتة ، ولكن أمرت بشئ فاتبعتة » .  
وقد رواه أبو الأشهب عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب فذكره . وقد تقدم ما رواه أحمد  
والنسائي من حديث أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل  
وفيه سد الأبواب غير باب علي . وكذا رواه شعبة عن أبي بلج . ورواه سعد بن أبي وقاص قال  
أبو يعلى ثنا موسى بن محمد بن حسان ثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان ثنا غسان بن بسر  
الكاهلي عن مسلم عن خيثم عن سعد « أن رسول الله - سد أبواب المسجد وفتح باب علي  
فقال الناس في ذلك فقال : ما أنا فتحتة ولكن الله فتحه » وهذا لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري  
من أمره عليه السلام في مرض الموت بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبي بكر الصديق  
لأن نفي هذا في حق علي كان في حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها ، فجعل  
هذا رقابها ، وأما بعد وفاته فزال هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى  
المسجد ليصل بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه السلام وفيه إشارة إلى خلافته . وقال  
الترمذي : ثنا علي بن المنذر ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد . قال  
قال رسول الله - « ليلى : « يا علي لا يحل لأحد يجنب في المسجد غيري وغيرك » قال علي بن



المنذر : قلت لضرار بن صرد : ما معنى هذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطره جنباً غيرى وغيرك . ثم قال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد سمع محمد ابن إسماعيل هذا الحديث . وقد رواه ابن عساكر من طريق كثير النواء عن عطية عن أبي سعيد ، ثم أورده من طريق أبي نعيم ثنا عبد الملك بن أبي عيينة عن أبي الخطاب عمر الهروى عن محدوج عن جصرة بنت دجاجة أخبرتنى أم سلمة قالت : خرج النبي (ص) في مرضه حتى انتهى إلى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته : « إنه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض إلا للمحمد وأزواجه وعلى وفاطمة بنت محمد أهل بيئتكم الأسماء أن تزلوا » وهذا إسناد غريب وفيه ضعف ، ثم ساقه من حديث أبي رافع بنحوه وفي إسناده غرابة أيضاً . حديث آخر قال الحاكم وغير واحد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة بن الحصيب : قال غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله (ص) فذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله (ص) يتغير فقال : « يا بريدة ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟ فقلت بلى يا رسول الله فقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » . وقال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير ثنا الأجلح الكندى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال : « بعث رسول الله (ص) بعثتين إلى اليمن على إحداهما علي بن أبي طالب وعلى الأخرى خالد بن الوليد وقال إذا التقيتما فعلى على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده » قال : فلقينا بنى زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا مقاتلة وسبينا النذرية فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه ، قال بريدة : فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص) يخبره بذلك ، فلما أتيت رسول الله (ص) دفعت إليه الكتاب فقرأ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله (ص) فقلت : يا رسول الله هذا مكان العائد بعثتنى مع رجل وأمرتنى أن أطيعه فبلغت ما أرسلت به ، فقال رسول الله (ص) : لا تقع في علي فإنه منى وأنا منه ، وهو وليكم بعدى « هذه اللفظة منكرة والاجلح شيعى ومثله لا يقبل إذا تفرد بمثلها ، وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم . والمحفوظ في هذا رواية أحمد عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله (ص) : « من كنت مولاه فعلى وليه » . ورواه أحمد أيضاً والحسن بن عرفة عن الأعمش به . ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية به . وقال أحمد : حدثنا روح بن علي ابن سويد بن منجوف عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « بعث رسول الله (ص) علياً إلى خالد بن الوليد ليقيض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر ، فقال خالد لبريدة : ألا ترى ما يصنع هذا ؟ قال : فلما رجعت إلى رسول الله (ص) أخبرته ما صنع علي ، قال : - وكنت أبغض علياً - فقال : يا بريدة أتبغض علياً ؟ فقلت : نعم ! قال : لا تبغضه وأحبه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » . وقد رواه البخارى في

الصحيح عن بندار عن روح به مطولا . وقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ثنا عبد الجليل قال انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجاز وابنا بريدة فقال عبد الله بن بريدة : حدثني أبي بريدة قال « أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً ، قال وأحببت رجلاً من قریش لم أحبه إلا على بغضه علياً ، قال فبعث ذلك الرجل على خيل قل فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه علياً فأصبنا سدياً فكتبنا إلى رسول الله أن ابعث إلينا من بخمسه ، فبعث إلينا علياً قال وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي - نخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ قال : ألم تروا إلى الوصفة التي كانت في السبي ؟ فاني قسمت وخمست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي (س) ، ثم صارت في آل علي فوقت بها ، قال وكتب الرجل إلى نبي الله (س) ، فقلت : ابعثني ؟ فبعثني مصدقاً ، قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق ، قال : فأمسك النبي (س) ، بيدي والكتاب قال : أبغض علياً ؟ قال : قلت نعم ! قال : فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً ، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة ، قال : فما كان في الناس أحد بعد قول رسول الله (س) ، أحب إلى من علي قال عبد الله : فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي (س) ، في هذا الحديث غير أبي بريدة « تفرد به أحد وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبي الجواب عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن البراء بن عازب نحو رواية بريدة بن الحصيب وهذا غريب . وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن أبي زياد عن أبي الجواب الأحوص بن جواب به وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا جعفر بن سليمان حدثني يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال : « بعث رسول الله سرية وأمر عليها على بن أبي طالب فأحدث شيئاً في سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله (س) ، قال عمران . وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلمنا عليه ، قال : فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثاني فقال يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ، فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ثم قام الرابع فقال : يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا ، قال : فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغير وجهه وقال : دعوا علياً ، دعوا علياً ، دعوا علياً إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي » . وقد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن جعفر بن سليمان وسباق الترمذي مطول وفيه « أنه أصاب جارية من السبي » ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان . ورواه أبو يعلى الموصلي عن عبد الله بن عمر النواريري والحسن بن عمر بن شقيق الحرمي والمعلی بن مهدي كلهم عن جعفر بن سليمان به . وقال خيثمة بن سليمان حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا عبيد الله بن موسى بن يوسف بن صهيب عن دكين

عن وهب بن حمزة قال « سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة ، فرأيت منه جنوة فقلت : لئن رجعت فلقيت رسول الله لأنان منه ، قال : فرجعت فلقيت رسول الله فذكرت علياً فقلت منه ، فقال لي رسول الله (س) : لا تقولن هذا لعلي فان علياً وليكم بعدي » : وقال أبو داود الطيالسي : عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أن رسول الله (س) قال لعلي : « أنت ولي كل مؤمن بعدي » . وقال الامام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي عن أبي إسحاق حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد قالت : اشتكى علياً الناس فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعتة يقول : « أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأجيش في ذات الله - أو في سبيل الله » . تفرد به أحمد . وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطلان أنا أبو سهل بن زياد القطان ثنا أبو إسحاق القاضي ثنا إسماعيل بن أبي إدريس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد قال : « بعث رسول الله (س) علي بن أبي طالب إلى اليمن ، قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه فلما أحضر إبل الصدقة سألتها أن تركب منها ونريح إبلنا - وكنا قد رأينا في إبلنا خلا - فأبى علينا وقال : إنما لكم منها سهم كما للمسلمين ، قال : فلما فرغ علي وانصرف من اليمن راجعاً ، أمر علينا إنساناً فأسرع هو فأدرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبي (س) : ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم . قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا إياه ففعل ، فلما جاء علي عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت - رأى أثر المراكب - فذم الذي أمره ولأمه ، فقلت أما إن لله علي إن قدمت المدينة وغدت إلى رسول الله (س) ، لأذكرن لرسول الله (س) ، ولأخبرته ما لقينا من الغلظة والتضييق ، قال : فلما قدمنا المدينة غدت إلى رسول الله (س) ، أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله (س) ، فلما رأيته وقف معي ورحب بي وسألتني وسألته وقال : متى قدمت ؟ قلت : قدمت البارحة ، فرجع معي إلى رسول الله (س) ، وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، قال : ائذن ، له فدخلت فحييت رسول الله (س) ، وحياتي وسلمت عليه وسألني عن نفسي وعن أهلي فأخفي المسألة فقلت : يا رسول الله لقينا من علي من الغلظة وصوه الصحبة والتضييق ، فابتدر رسول الله وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله (س) علي فخذي - وكنت منه قريباً - وقال : سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي ، فوالله لقد علمت أنه جيش في سبيل الله ، قال فقلت في نفسي : شكلك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري لاجرم ، والله لا أذكره

بسوء أبدأ سرّاً ولا علانية» : وقال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق حدثني أبان بن صالح عن عبد الله بن دينار الأسلمى عن خاله عمرو بن شاش الأسلمى - وكان من أصحاب الحديبية - قال : « كنت مع علي في خيله التي بعثه فيها رسول الله إلى اليمن ، فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي ، فلما قدمت المدينة اشتكيتني في مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوماً ورسول الله جالس في المسجد فلما رأيته أنظر إلى عيذه نظر إلى حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال : أما إنه والله يا عمرو لقد آذيتني ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والاسلام أن أؤذى رسول الله (ص) ، فقال : من آذى علياً فقد آذاني» وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب عن أبيه إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن الفضل بن معقل عن عبد الله بن دينار عن خاله عمرو بن شاش فذكره . وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن الفضل . وكذلك رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن أبان بن صالح به ولفظه : « فقال رسول الله من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله » . وروى عباد بن يعقوب الرواجني عن موسى بن عمير عن عقيل بن نجيعة بن هبيرة عن عمرو بن شاش قال قال رسول الله : « يا عمرو إن من آذى علياً فقد آذاني » وقال أبو يعلى : ثنا محمود بن خدّاش ثنا مروان بن معاوية ثنا فنّان بن عبد الله التهمي ثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا من علي فأقبل رسول الله يعرف في وجهه الغضب فتعوذت بالله من غضبه فقال : « مالكم ومالي ؟ من آذى علياً فقد آذاني » . حديث غدیر خم قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد وأبو نعیم المعنى قالا : ثنا فطر عن أبي الطفيل قال : جمع علي الناس في الرجة ثم قال لهم : انشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدیر خم ما سمع لما قام ، فقام كثير من الناس قال أبو نعیم ! - فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمومنين من أنفسهم ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال : من كذب - مولاة فهذا مولاة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . قال فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت علياً يقول كذا وكذا : قال . فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك له . ورواه النسائي من حديث حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك ، وقال أبو بكر الشافعي : ثنا محمد بن سليمان بن الحارث ثنا عبيد الله ابن موسى ثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم أن علياً انشد الناس : من سمع رسول الله يقول : « من كنت مولاة فعلى مولاة ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك وكنت فيهم . وقال أبو يعلى وعبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

« شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس : أنشد بالله من سمع رسول الله يقول يوم غدیرخم : من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بديراً كأنى أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غدیرخم : ألتست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجى أمهاتهم ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ثم رواه عبد الله بن أحمد عن أحمد بن عمر الوكيعي عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عقبة بن نيار عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره ، قال : « فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيدك يقول : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله . » وهكذا رواه أبو داود الطهوي - واسمه عيسى ابن مسلم - عن عمرو بن عبد الله بن هند الجملي وعبد الأعلى بن عامر التغلبي كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره بنحوه ، قال الدارقطني غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوي . وقال الطبراني : ثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المدني سنة تسعين ومائتين . حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال : شهدت علياً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يقول يوم غدیرخم يقول ما قال ؟ فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبوسعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ورواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعي عن الحسن بن علي بن عفان العاربي عن عبد الله بن موسى عن قطن عن عمرو بن مرة وسعيد بن وهب وعن زيد بن نثيع قالوا : سمعنا علياً يقول في الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث : يا أبا بكر أي أشياخ هم ؟ . وكذلك رواه عبد الله بن أحمد عن علي بن حكيم الأودي عن إسرائيل عن أبي إسحاق فذكر نحوه . وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعبد خير قالوا سمعنا علياً برحبة الكوفة يقول : أنشد الله رجلاً سمع رسول الله (ص) يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول ذلك . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت سعيد بن وهب قال : نشد على الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا أن رسول الله (ص) قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وقال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا حسين بن الحرث بن لقيط الأشجعي عن رباح بن الحرث قال : جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا : السلام عليك يا مولانا : فقال ، كيف أكون مولاً لكم

وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يوم غديرخم يقول: «من كنت مولاه فإن هذا على مولاه» قال رباح فلما مضوا اتبعهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا شريك عن حنش عن رباح بن الحرث قال: بينما نحن جلوس في الرحبة مع علي إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال: السلام عليك يا مولاي قالوا: من هذا؟ فقال أبو أيوب: سمعت رسول الله يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه» وقال أحمد: ثنا محمد بن عبد الله ثنا الربيع - يعني ابن أبي صالح الأسلمي - حدثني زياد بن أبي زياد الأسلمي سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال أنشد الله رجلا مسلما سمع رسول الله يقول يوم غديرخم ما قال، فقام اثنا عشر رجلا بدرياً فشهدوا. وقال أحمد: حدثنا ابن نمير ثنا عبد الملك عن أبي عبد الرحمن الكندي عن زاذان أن ابن عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله يوم غديرخم وهو يقول ما قال؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه» وقال أحمد: ثنا حجاج بن الشاعر ثنا شبابة ثنا نعيم بن حكيم حدثني أبو مريرم ورجل من جلساء علي عن علي أن رسول الله (ص) قال يوم غديرخم: «من كنت مولاه فعلى مولاه» قال فزاد الناس بعد «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». وقد روى هذا من طرق متعددة عن علي رضي الله عنه، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم. وقال غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي مريرم أو زيد بن أرقم - شعبة الشاك - قال قال رسول الله (ص): «من كنت مولاه فعلى مولاه» قال سعيد بن جبير: وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس. رواه الترمذي عن بندار عن غندر وقال حسن غريب. وقال الامام أحمد: حدثنا عفان ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون بن أبي عبد الله قال قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله بواد يقال له وادخم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال: نخطبنا وظلل لرسول الله (ص) بثوب على شجرة سم من الشمس فقال: «ألستم تعلمون - أو ألستم تشهدون - أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى! قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه». وكذا رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن ميمون بن أبي عبد الله عن زيد بن أرقم. وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم أبو إسحاق السبيعي وحبيب الاساف وعطية العوفي وأبو عبد الله الشامي وأبو الطفيل عامر ابن وائلة. وقد رواه معروف بن حربوذ عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال: لما قفل رسول الله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن، ثم بعث إليهن فصلى تحتهن ثم قام فقال: «أبها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مستول وأنتم مستولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهت فجزاك الله خيراً، قال: ألسم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد. ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثم قال: أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بصري وصنعاء فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سأثلكم حين تردون على عن الثقيلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». رواه ابن عساکر بطوله من طريق معروف كما ذكرنا. وقال عبد الرزاق: أنا معمر بن علي بن زيد بن جدعان عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله حتى زلنا غدیرخم بعث منادياً ينادي، فلما اجتمعنا قال: «ألسم أولى بكم من أنفسكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: ألسم أولى بكم من أمهاتكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: ألسم أولى بكم من آبائكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: ألسم ألسم ألسم؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن. وكذا رواه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون العبدى عن عدى بن ثابت عن البراء به. وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عن البراء به. وقد روى هذا الحديث عن سعد وطلحة بن عبيد الله وجابر بن عبد الله وله طريق عنه وأبي سعيد الخدرى وحبشى بن جنادة وجري بن عبد الله وعمر بن الخطاب وأبي هريرة، وله عنه طرق منها - وهي أغربها - الطريق الذي قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: لما عبد الله بن علي بن محمد بن بشران أنا علي بن عمر الحافظ أنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال ثنا علي بن سعيد الرملي ثنا ضمرة بن ربيعة القرشي عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر ابن حوشب عن أبي هريرة قال: «من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدیرخم لما أخذ النبي (ص) بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألسم أولى المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: من كنت مولاه فعلى مولاه» فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل [اليوم أكملت لكم دينكم] ومن صام يوم سبعة<sup>(١)</sup> وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل بالرسالة. قال

(١) في نسخة طوقوب: ستة وعشرين.

الخطيب : اشهر هذا الحديث برواية حبشون وكان يقال إنه تفرد به ، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النبري عن علي بن سعيد الشامي ، قلت وفيه نكارة من وجوه منها قوله نزل فيه [ اليوم أكلت لكم دينكم ] وقد ورد مثله من طريق ابن هارون الميمني عن أبي سعيد الخدري ولا يصح أيضاً ، وإنما نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب وقد تقدم . وقد روى عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله عليه السلام « من كنت مولاه » والأسانيد إليهم ضعيفة . حديث الطير وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفي كل منها نظر ونحن نشير إلى شيء من ذلك قال الترمذي : حدثنا سفيان بن وكيع ثنا عبد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السري عن أنس قال : « كان عند النبي (ص) طير فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يا كل معي من هذا الطير » فجاء علي فأكل معه ، ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه من حديث السري إلا من هذا الوجه ، قال : وقد روى من غير وجه عن أنس وقد رواه أبو يعلى عن الحسين بن حماد عن شهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به . وقال أبو يعلى : ثنا قطن بن بشير ثنا جعفر بن سليمان الضبي ثنا عبد الله بن مثنى ثنا عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله (ص) حجل مشوي بخبزته وضيافته ، فقال رسول الله (ص) : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام » فقالت عائشة : اللهم اجعله أبي ، وقالت حفصة : اللهم اجعله أبي ، وقال أنس : وقلت : اللهم اجعله سعد بن عبادة ، قال أنس : فسمعت حركة بالبواب فقلت إن رسول الله (ص) علي حاجة فأنصرف ثم سمعت حركة بالبواب فخرجت فاذا علي بالبواب ، فقلت : إن رسول الله (ص) علي حاجة فأنصرف ثم سمعت حركة بالبواب فسلم علي فسمع رسول الله (ص) ، صوته فقال : انظر من هذا ؟ فخرجت فاذا هو علي فجلت إلى رسول الله (ص) فأخبرته فقال : « ائذن له يدخل علي فأذنت له فدخل ، فقال رسول الله (ص) اللهم وال من والاه » . والي ورواه الحاكم في مستدرکه عن أبي علي الحافظ عن محمد بن أحمد الصفار وحيد بن يونس الزيات كلاهما عن محمد بن أحمد بن عياض عن أبي غسان أحمد بن عياض عن أبي ظبية عن يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس فدكره ، وهذا إسناد غريب . ثم قال الحاكم : هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم وهذا فيه نظر ، فإن أبا عاتقة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف لكن روى هذا الحديث عنه جماعة عن أبيه ، ومن رواه عنه أبو القاسم الطبراني ثم قال : تفرد به عن أبيه والله أعلم . قال الحاكم وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبي فصلهم بثقة يصح الإسناد إليه ثم قال الحاكم : وصحت الرواية عن علي وأبي سعيد وسفيانة ، قال شيخنا أبو عبد الله لا والله ما صح



شئ من ذلك ، ورواه الحاكم من طريق إبراهيم بن ثابت القصار وهو مجهول عن ثابت البناني عن أنس قال : دخل مجد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس : اسكت عن سب علي فقد ذكر الحديث مطولاً وهو منكر سنداً وممتناً ، لم يورد الحاكم في مستدرکه غير هذين الحديثين وقد رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن خالد الواسطي عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أنس ، وهذا أجود من إسناد الحاكم . ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس بن مالك . فقال : أهدى لرسول الله (س) « طير مشوي فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير » فذكر نحوه ، ورواه محمد بن مصفى عن حفص بن عمر عن موسى ابن سعد عن الحسن عن أنس فذكره ، ورواه علي بن الحسن الشامي عن خليل بن دعلج عن قتادة عن أنس بنحوه ، ورواه أحمد بن يزيد الورتنيس عن زهير عن عثمان الطويل عن أنس فذكره ، ورواه عبيد الله بن موسى عن مسكين بن عبد العزيز عن ميمون أبي خلف حدثني أنس ابن مالك فذكره ، قال الدارقطني : من حديث ميمون أبي خلف تفرد به مسكين بن عبد العزيز ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس . ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيض ثنا المضاء بن الجارود عن عبد العزيز بن زياد أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة فسأله عن علي بن أبي طالب فقال : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال : « اللهم ائتني بأحب الخلق إلى يأكل معي » . فذكره . وقال الخطيب البغدادي : أنا الحسن بن أبي بكير أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجیح ثنا محمد بن القاسم النحوي أبو عبد الله ثنا أبو عاصم عن أبي الهندي عن أنس فذكره . ورواه الحاكم بن محمد عن محمد بن سليم عن أنس بن مالك فذكره . وقال أبو يعلى : حدثنا الحسن بن حماد الوراق ثنا مسهر بن عبد الملك ابن سلع ثقة ثنا عيسى بن عمر عن إسماعيل السدي أن رسول الله (س) كان عنده طائر فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، فجاء أبو بكر فرده ، ثم جاء عمر فرده ثم جاء عثمان فرده ثم جاء علي فأذن له » . وقال أبو القاسم بن عقدة ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا يوسف بن عدي ثنا حماد بن المختار الكوفي ثنا عبد الملك بن عمير عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله (س) طائر فوضع بين يديه فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي قال : فجاء علي فذق الباب فقلت من ذا ؟ فقال : أنا علي ، فقلت إن رسول الله على حاجة حتى فعل ذلك ثلاثاً ، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبي (س) . ما حبسك ؟ فقال : قد جئت ثلاث مرات فيحبسني أنس ، فقال النبي (س) : ما حبسك على ذلك ؟ قال قلت : كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي » وقد رواه الحاكم النيسابوري عن عبدان بن يزيد عن يعقوب الدقاق عن إبراهيم بن الحسين

الشامي عن أبي توبة الربيع بن نافع عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عمير عن أنس فذكره ،  
ثم قال الحاكم : لم نكتبه إلا بهذا الاسناد ، وساقه ابن عساكر من حديث الحرث بن زهران عن  
إسماعيل - رجل من أهل الكوفة - عن أنس بن مالك فذكره . ومن حديث حفص بن عمر المهرقاني عن  
الحكم بن شبير بن إسماعيل أبي سليمان أخى إسحاق بن سليمان الرازي عن عبد الملك بن أبي  
سليمان عن أنس فذكره . ومن حديث سليمان بن قرم عن محمد بن علي السلمي عن أبي حذيفة العقبلي  
عن أنس فذكره . وقال أبو يعلى : ثنا أبو هشام ثنا ابن فضيل ثنا مسلم الملائني عن أنس قال : أهدت  
أم أيمن إلى رسول الله (س) طيراً مشويّاً فقال : « اللهم ائتني بن تحبه يأكل معي من هذا الطير ،  
قال أنس فجاء علي فاستأذن فقلت : هو علي حاجته ، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت : هو علي حاجته  
فرجع ، ثم عاد فاستأذن فسمع النبي (س) ، صوته فقال : ائذن له فدخل وهو موضوع بين يديه فأكل  
منه وحمد الله » فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك وكل منها فيه ضعف ومقال . وقال شيخنا  
أبو عبد الله الذهبي - في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما أورد طرقاً متعددة نحواً مما ذكرنا -  
ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف وأبي عصام خالد بن عبيد  
ودينار أبي كيسان وزيد بن محمد الثقفي وزيد العباسي وزيد بن المنذر وسعد بن ميسرة البكري  
وسليمان التيمي وسليمان بن علي الأمير وسلمة بن وردان وصباح بن محارب وطلحة بن مصرف وأبي  
الزناد وعبد الأعلى بن عامر وعمر بن راشد وعمر بن أبي حفص الثقفي الضريبر وعمر بن سليم البجلي  
وعمر بن يحيى الثقفي وعثمان الطويل وعلي بن أبي رافع وعيسى بن طهمان وعطية العوفي وعباد بن  
عبد الصمد وعمار الذهبي وعباس بن علي وفضيل بن غزوان وقاسم بن جندب وكثوم بن جبر ومحمد  
ابن علي الباقر والزهرى ومحمد بن عمرو بن علقمة ومحمد بن مالك الثقفي ومحمد بن جحادة وميمون بن  
مهران وموسى الطويل وميمون بن جابر السلمي ومنصور بن عبد الحميد ومعلى بن أنس وميمون أبي  
خلف الجراف وقيل أبو خالد ومطر بن خالد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وموسى بن عبد الله الجهني  
ونافع مولى ابن عمر والنضر بن أنس بن مالك ويوسف بن إبراهيم ويونس بن حيان ويزيد بن سفيان  
ويزيد بن أبي حبيب وأبي المليلح وأبي الحكم وأبي داود السبيعي وأبي حمزة الواسطي وأبي حذيفة  
العقبلي وإبراهيم بن هذبة ثم قال بعد أن ذكر الجميع : الجميع بضعة وتسعون نفساً أقربها غرائب  
ضعيفة وأردؤها طرق مختلفة مفتعلة وغالبها طرق واهية . وقد روى من حديث سفينة مولى رسول الله  
(س) ، قال أبو القاسم البغوي وأبو يعلى الموصلي قالا : حدثنا القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا مطير  
ابن أبي خالد عن ثابت البجلي عن سفينة مولى رسول الله (س) ، قال : أهدت امرأة من الأنصار  
طائر بين رغيفين - ولم يكن في البيت غيري وغير أنس - فجاء رسول الله (س) ، فدعا بفدائه . فقلت :

يلرسول الله قد اهدت لك امرأة من الانصار هدية ، قدمت الطائرین إليه فقال رسول الله (س) :  
اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك ، فجاء علي بن أبي طالب فضرب الباب خفياً قلت :  
من هذا ؟ قال أبو الحسن ، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله من هذا : قلت علي بن أبي  
طالب قال افتح له ، ففتحت له فأكل معه رسول الله (س) ، من الطيرين حتى فنيا . وروى عن  
ابن عباس فقال أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد : ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ثنا حسين بن محمد  
ثنا سليمان بن قرم عن محمد بن شعيب عن داود بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن  
عباس قال : إن النبي (س) ، أتني بطائر فقال : « اللهم ائتني برجل يحبه الله ورسوله فجاء علي فقال :  
اللهم وإلى » وروى عن علي نفسه فقال عباد بن يعقوب : ثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن  
علي حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال : أهدى لرسول الله (س) ، طير يقال له الحباري  
فوضعت بين يديه - وكان أنس بن مالك يحجبه - فرجع النبي (س) ، يده إلى الله ثم قال : « اللهم  
ائتني بأحب خلقك إليك يا كل معي هذا الطير . قال فجاء علي فاستأذن فقال له أنس : إن رسول  
الله يعني علي حاجته فرجع ثم أعاد رسول الله (س) ، الدعاء فرجع ثم دعا الثالثة فجاء علي فأدخله ،  
فلما رآه رسول الله قال : اللهم والي . فأكل معه فلما أكل رسول الله وخرج علي قال أنس : سمعت  
علياً فقلت يا أبا الحسن استغفر لي فإن لي إليك ذنب وإن عندى بشارة ، فأخبرته بما كان من النبي  
(س) ، فحمد الله واستغفر لي ورضي عني أذهب ذنبي عنده بشارتي إياه » ومن حديث جابر بن  
عبد الله الأنصاري أوردته ابن عساكر من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عن ابن لهيعة  
عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره بطوله . وقد روى أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري وصححه  
الحاكم ولكن إسناده مظلم وفيه ضعفاء . وروى من حديث حبشي بن جنادة ولا يصح أيضاً ومن  
حديث يعلى بن مرة والاسناد إليه مظلم ، ومن حديث أبي رافع نحوه وليس بصحيح . وقد جمع الناس  
في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان  
فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير  
الطبري المفسر صاحب التاريخ ، ثم وقعت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنناً ومتنا للقاضي أبي  
بكر الباقلاني المتكلم . وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه والله أعلم .

حديث آخر في فضل علي قال أبو بكر الشافعي : ثنا بشر بن موسى الأسدي ثنا  
زكريا بن عدي ثنا عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال :  
خرجت مع رسول الله (س) ، إلى امرأة من الأنصار في نخل لها يقال له الاسراف ففرشت لرسول الله  
(س) ، نحت صور لها مرشوش فقال رسول الله (س) : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاءه

أبو بكر ، ثم قال : الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاء عمر ، ثم قال : الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة قال : فلقد رأيته مطاطياً رأسه تحت الصور ثم يقول : اللهم إن شئت جعلته علياً ، فجاء علي ، ثم إن الأنصارية ذبحت لرسول الله (س) شاة وصنعتها فأكل وأكلنا فلما حضرت الظهر قام يصلي وصلينا ماتوضاً ولا توضأنا ، فلما حضرت العصر صلى وما توضأ ولا توضأنا . . حديث آخر قال أبو يعلى : حدثنا الحسن بن حماد الكوفي ثنا ابن أبي عتبة عن أبيه عن الشيباني عن جميع بن عمير قال : « دخلت مع أبي علي عائشة فسألته عن علي فقالت : ما رأيت رجلاً كان أحب إلى رسول الله (س) منه ، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله (س) من امرأته » وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عمير به . . حديث آخر قال الامام أحمد : ثنا يحيى بن أبي بكير ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدي البجلي قال : دخلت على أم سلمة فقالت لي : أيسب رسول الله (س) فيكم ؟ قلت معاذ الله - أو سبحان الله أو كلمة نحوها - قالت : سمعت رسول الله (س) يقول : « من سب علياً فقد سبني » وقد رواه أبو يعلى عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بجليه من سليم عن السدي عن أبي عبد الله البجلي قال : « قالت لي أم سلمة أيسب رسول الله فيكم على المنابر ؟ قال : قلت وأنى ذلك ؟ قالت : أليس يسب على ومن أحبه ؟ فأشهد أن رسول الله (س) كان يحبه » وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة . وقد ورد من حديثها وحديث جابر وأبي سعيد أن رسول الله (س) قال لعلي : « كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك » ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتاج بها حديث آخر قال عماد الزقاق « أنا الثوري عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبیش قال : سمعت علياً يقول : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي (س) إلى أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » ورواه أحمد عن ابن عمير ووكيع عن الأعمش . وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبيد الله بن داود الحرابي وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المورع ويحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش به وأخرج مسلم في صحيحه عن (١) ورواه غسان بن حسان عن شعبة عن عدى بن ثابت عن علي فذكره . وقد روى من غير وجه عن علي . وهذا الذي أوردناه هو الصحيح من ذلك والله أعلم . وقال الامام أحمد : ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عبد الرحمن أبي نصر حدثني مساور الحميري عن أبيه قال : سمعت أم سلمة تقول : سمعت رسول الله (س) يقول لعلي : « لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة بلفظ آخر ولا يصح وروى ابن عقدة عن الحسن بن علي بن بزيع ثنا عمرو بن إبراهيم ثنا سوار بن مصعب عن الحكم عن يحيى

(١) بياض بالأصل وفي صحيح مسلم عن سعد .

الخراز عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله (ص) يقول : « من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغي عليا فهو كاذب ليس بمؤمن » وهذا بهذا الاسناد مختلف لا يثبت والله أعلم . وقال الحسن ابن عرفة : حدثني سعيد بن محمد الوراق عن علي بن الخراز سمعت أبا مریم الثقفی سمعت عمار بن ياسر يقول : سمعت النبي (ص) يقول لعلي : « طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك » وقد روى في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها . وقال غير واحد عن أبي الأزهري أحمد بن الأزهري : ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص) نظر إلى علي فقال : « أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة ، من أحبك فقد أحبني وحبيبك حبيب الله ، ومن أبغضك فقد أبغضني ونبغضك بغيض الله ، وويل لمن أبغضك من بعدي » وروى غير واحد أيضاً عن الخارث بن حصيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجد عن علي قال : دعاني رسول الله فقال : « إن فيك من عيسى ابن مريم مثلاً أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبوه النصارى حتى أنزلوه بالمتزل الذي ليس هو له » قال علي : ألا وإنه يهلك في اثنان محب مطري مفرط يفرطني بما ليس في . ومبغض يحمل شئني علي أن يهتني ، ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم من طاعة الله حق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم ، لفظ عبد الله بن أحمد . قال يعقوب بن سفيان : ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عباية عن علي قال : أنا قسيم النار ، إذا كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لي . قال يعقوب : وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعمله ، وعباية أقل منه ليس بشيء حديثه . وذكر أن أبا معاوية لام الأعمش على تحديثه بهذا ، فقال له الأعمش : إذا نسيت فذكرني ، ويقال إن الأعمش إنما رواه علي سبيل الاستهزاء بالروافض والتنقيص لهم في تصديقهم ذلك . قلت : وما يتوهمه بعض العوام بل هو مشهور بين كثير منهم ، أن عليا هو الساقى على الحوض فليس له أصل ولم ينجى من طريق مرضى يعتمد عليه ، والذي ثبت أن رسول الله (ص) هو الذي يسقى الناس . وهكذا الحديث الوارد في أنه ليس أحد يأتي يوم القيامة كجاء إلا أربعة رسول الله - علي البراق ، وصالح علي ناقته ، وحزرة علي المضباء ، وعلي علي ناقته من ق الجنة رافعاً صوته بالتهليل ، وكذلك ما في أفواه الناس من اليمين بعلي يقول أحدهم : خذ بعلي ، اعطني بعلي ، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شيء من الوجوه ، وهو من وضع الرافضة ويخشى علي من اعتاد ذلك سلب الإيمان عند الموت ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك . حديث آخر قال الامام أحمد : حدثني يحيى عن شعبة ثنا عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي قال : مر بي رسول الله (ص) وأنا وجمع وأنا أقول : اللهم إن كان

أجلى قد حضر فأرحني ، وإن كان آجلاً فأرفع عني ، وإن كان بلاء فصببرني . قال : ما قلت : « فأعدت عليه فضر بني برجله وقال : ما قلت ؟ فأعدت عليه فقال ؟ اللهم عافه أو اشفه » فما اشتكيت ذلك الوجع بعد . حديث آخر قال محمد بن مسلم بن داره : ثنا عبيد الله بن موسى ثنا أبو عمر الأزدى عن أبي راشد الحراني عن أبي الحمراء قال قال رسول الله (س) : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب » وهذا منكر جداً ولا يصح إسناده . حديث آخر في رد الشمس قد ذكرناه في دلائل النبوة بأسانيد وألفاظه فأغني له عن إعادته . حديث آخر قال أبو عيسى الترمذی : حدثنا علي بن المنذر الكوفي ثنا محمد بن فضيل عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر قال : « دعا رسول الله (س) ، علياً يوم الطائف فانتجأه فقال الناس : لقد طال بخواد مع ابن عمه ، فقال رسول (س) ما انتجيته ولكن الله انتجأه » ثم قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأجلح وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح ومعنى قوله « ولكن الله انتجأه » أن الله أمرني أن انتجى معه . حديث آخر قال الترمذی : ثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد ثنا أبو عاصم عن أبي الجراح عن جابر بن صبيح حدثني أمي أم شراحيل حدثني أم عطية قالت : بعث رسول الله (س) جيشاً فيهم علي قال سمعت رسول الله (س) رافعاً بديه يقول : « اللهم لا تمنني حتى ترني علياً » ثم قال هذا حديث حسن حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا علي بن عاصم قال حصين أنا علي بن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال : لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المفيرة بن شعبة قال فأقام خطباء يقعون في علي ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل قال : فغضب فقام وأخذ بيدي وتبعته فقال : ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الكوفة وأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم آثم ، قال قلت : وما ذلك ؟ قال قال رسول الله (س) : « اثبت حراً فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » قال قلت : من هم ؟ فقال : رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن مالك . قال قلت : ومن العاشر ؟ قال قال أنا . وينبغي أن يكتب ها هنا حديث أم سلمة المتقدم قريباً أنها قالت لأبي عبد الله الجدي : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر » ؟ الحديث رواه أحمد . حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير قالوا ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة السلولي - وكان قد شهد حجة الوداع - قال قال رسول الله (س) : « علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي » ثم رواه أحمد عن أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل . حديث آخر قال أحمد : حدثنا وكيع قال قال إسرائيل قال أبو إسحاق

عن زيد بن بغيض عن أبي بكر « أن رسول الله (س) بعثه ببراءة إلى أهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله . قال فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي الحقه ورد علي أبو بكر وبلغها أنت ، قال فلما قدم أبو بكر على رسول الله بكى وقال يا رسول الله حدث في شيء ؟ قال ما حدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل من أهل بيتي » وقال عبد الله بن أحمد : حدثني محمد بن سليمان لو بن ثنا محمد بن جابر عن سماك عن حبشي عن علي قال : « لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله أبو بكر فبعثه بها ليقرأها علي أهل مكة ثم دعاني فقال لي أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم ، فالحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل في شيء ؟ قال لا ولكن جبريل جاءني فقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل من بيتك » وقد رواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر بنحوه وفيه نكارة من جهة أمره برد الصديق فان الصديق لم يرجع بل كان هو أمير الحج في سنة تسع وكان علي هو وجماعة معه بعثهم الصديق يطوفون برحاب منى في يوم النحر وأيام التشريق ينادون ببراءة ؟ وقد قررنا ذلك في حجة الصديق وفي أول تفسير سورة براءة . حديث آخر روى من حديث أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذر وجابر أن رسول الله (س) قال : « النظر إلى وجه علي عبادة » وفي حديث عن عائشة « ذكر علي عبادة » ولكن لا يصح شيء منها فانه لا يخلو كل سند منها عن كذاب أو مجهول لا يعرف حاله وهو شيعي . حديث الصدقة بالخاتم و موراكع : قال الطبراني : ثنا عبد الرحمن بن مسلم الرازي ثنا محمد بن يحيى عن ضريس العبدي ثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال : نزلت هذه الآية على رسول الله (س) [ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ] فخرج رسول الله (س) فدخل المسجد والناس يصلون بين راكع وقائم وإذا سائل فقال : يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً فقال : لا إلا هاذاك الراكع - لعلي - أعطاني خاتمه . وقال الحافظ ابن عساكر : أنا خالي أبو المعالي القاضي أنا أبو الحسن الخلي أنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد ثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحارث الرملي ثنا القاضي جملة بن محمد ثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو نعيم الأحول عن موسى بن قيس عن سلمة قال : تصدق علي بخاتمه وهو راكع فترلت [ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ] وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيدهم ولم ينزل في علي شيء من القرآن بخصوصيته وكل ما يريدونه في قوله تعالى [ إنما أنت منذر

ولكل قوم هاد ] وقوله [ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتبوا وأسيرا ] وقوله [ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في علي لا يصح شيء منها ، وأما قوله تعالى [ هذان خصمان اختصموا في ربهم ] فثبت في الصحيح أنه نزل في علي وحمزة وعبيدة من المؤمنين ، وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من الكافرين . وما روى عن ابن عباس أنه قال : ما نزل في أحد من الناس ما نزل في علي . وفي رواية عنه أنه قال : نزل فيه ثلثمائة . آية فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا . حديث آخر قال أبو سعيد بن الأعرابي : ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا العباس بن بكار أبو الوليد ثنا عبد الله بن المنثري الانصاري عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس قال : « كان رسول الله (ص) جالسا بالمسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل علي فسلم ثم وقف فنظر مكانا يجلس فيه فنظر رسول الله (ص) إلى وجه أصحابه أيهم يوسع له - وكان أبو بكر عن يمين رسول الله (ص) ، جالسا - فترحزح أبو بكر عن مجلسه وقال : ها هنا يا أبا الحسن ، فجلس بين رسول الله (ص) ، وبين أبي بكر فرأينا السرور في وجه رسول الله (ص) ، ثم أقبل علي أبي بكر فقال : يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل » فأما الحديث الوارد عن علي وحذيفة مرفوعا « على خير البشر ، من أبي فقد كفر ومن رضى فقد شكر » فهو موضوع من الطريقين مما قبح الله من وضعه واختلقه . حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي : ثنا إسماعيل بن موسى بن عمر الرومي ثنا شريك عن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحي عن علي قال : قال رسول الله (ص) : « أنا دار الحكمة وعلى بابها » ثم قال هذا الحديث غريب قال : وري بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس قلت : رواه سويد بن سعيد عن شريك عن سلمة عن الصنابحي عن علي مرفوعا : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة » وأما حديث ابن عباس فرواه ابن عدى من طريق أحمد بن سلمة أبي عمرو والجرحاني ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها » ثم قال ابن عدى : وهذا الحديث يعرف بأبي الصلت الهروي عن أبي معاوية سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء ، هكذا قال رحمه الله . وقد روى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين أنه قال : أخبرني ابن أيمن أن أبا معاوية حدث بهذا الحديث قديما ثم كف عنه ، قال : وكان أبو الصلت رجلا موسرا يكرم المشايخ ويحدثونه بهن الأحدث وساقه ابن عساكر باسناد مظلم عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله فذكره مرفوعا ، ومن طريق أخرى عن جابر : قال ابن عدى وهو موضوع أيضا . وقال أبو الفتح الأودي : لا يصح في هذا الباب شيء . حديث آخر يقرب مما قبله ، قال ابن عدى : ثنا أحمد بن



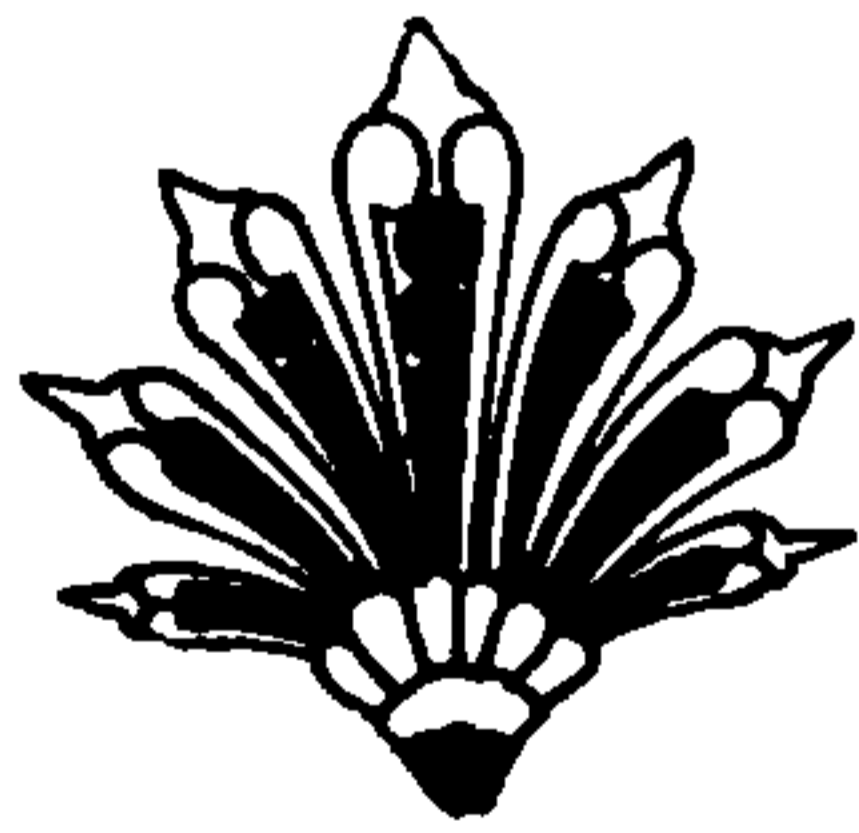
حبرون النيسابوري ثنا ابن أيوب أبو أسامة - هو جعفر بن هذيل - ثنا ضرار بن مردث ثنا يحيى بن  
 عيسى الرملي عن الأعمش عن بن عباية عن ابن عباس عن النبي (س) : قال : « على عيينة على » .  
 حديث آخر في معنى ما تقدم قال ابن عدى : ثنا أبو يعلى ثنا كامل بن طلحة ثنا ابن لهيعة ثنا  
 يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (س) ، قال في  
 مرضه : « ادعوا لي أخي فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال ادعوا لي أخي فدعوا له عمر فأعرض عنه  
 ثم قال ادعوا لي أخي فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال ادعوا لي أخي فدعى له علي بن أبي طالب  
 فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال ؟ قال : علمني ألف باب يفتح كل  
 باب إلى ألف باب » قال ابن عدى هذا حديث منكر ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة فإنه شديد  
 الإفراط في التشيع وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف حديث آخر قال ابن عساکر :  
 أنبأنا أبو يعلى ثنا المقرئ أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو أحمد الغطريفي ثنا أبو الحسين بن أبي مقاتل ثنا  
 محمد بن عبيد بن عتبة ثنا محمد بن علي الوهبي الكوفي ثنا أحمد بن عمران بن سلمة - وكان ثقة عدلا  
 مرضياً - ثنا سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنت عند النبي  
 (س) ، فسئل عن علي فقال : « قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطى على تسعة والناس جزءاً واحداً »  
 وسكت الحافظ ابن عساکر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على  
 سفيان الثوري باسناده قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه . حديث آخر قال أبو يعلى ثنا  
 عبيد الله بن عمر القواريري ثنا يحيى بن سعيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري  
 عن علي . قال : « بعثني رسول الله (س) ، إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء قال :  
 فضرب في صدري وقال : إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك قال : فما شككت في قضاء بين  
 اثنين بعد » وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول : على أقضانا وأبي أقرؤنا للقرآن . وكان عمر يقول أعوذ  
 بالله من معضلة ولا أبو حسن لها . حديث آخر قال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا  
 جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أم موسى عن أم سلمة قالت والذي ألفت به إن كان علي بن أبي  
 طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله عدنا رسول الله غداة بعد غداة يقول : « جاء علي ؟ مراراً -  
 وأظنه كان بعثه في حاجة - قالت فجاء بعد فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت عند الباب  
 فقعدنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه على فجعل يساره ويناجيه ثم قبض من  
 يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهداً » وهكذا رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى عن أبي بكر بن  
 أبي شيبة به حديث آخر في معناه قال أبو يعلى : ثنا عبد الرحمن بن صالح ثنا أبو بكر بن عباس  
 عن صدقة عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا : يأم المؤمنين أخبرينا عن علي ،

قالت : أى شئ تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله موضعاً فسالت نفسه فى يده فمسح بها وجهه ثم اختلفوا فى دفنه فقال : إن أحب الاماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه (س) .؟ قالتا : فلم خرجت عليه ؟ قالت أمر قصى لوددت أنى أفديه بما على الأرض « وهذا منكر جداً وفى الصحيح ما يرد هذا والله أعلم . حديث آخر قال الامام أحمد : ثنا أسود بن عامر حدثنى عبد الحميد بن أبى جعفر - يعنى الفراء - عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن على قال : قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك ؟ قال : إن تؤمروا أبابكر تجده أمة زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجده قوياً أميناً لا يخاف فى الله لومة لائم ، وإن تؤمروا علياً - ولا أراكم فاعلين - تجده هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم « وقد روى هذا الحديث من طريق عبد الرزاق عن النعمان ابن أبى شيبه وعن يحيى بن العلاء عن الثورى عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن حذيفة عن النبى (س) : بنحوه . ورواه أبو الصلت الهروى عبد السلام بن صالح عن ابن نمير عن الثورى عن شريك عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن حذيفة به . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : أنا أبو عبد الله محمد بن على الآدمى بمكة ثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعانى أنا عبد الرزاق بن همام عن أبيه عن ابن مينا عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبى (س) ليلة وفد الجن قال : فتنفس فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « نعت إلى نفسى . قلت : فاستخلف . قال من ؟ قلت أبابكر قال فسكت ثم مضى ثم تنفس قلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال نعت إلى نفسى يا ابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال : من قلت : عمر قال : فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس قال : فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : نعت إلى نفسى يا ابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال طالب قال : أما الذى نفسى بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين « قال ابن عساكر همام وابن مينا مجهولان . حديث آخر قال أبو يعلى : ثنا أبو موسى - يعنى محمد بن المثنى - ثنا سهيل ابن حماد أبو غياث الدلال ثنا مختار بن نافع الفهمى ثنا أبو حيان التيمى عن أبيه عن على قال قال رسول الله (س) : « رحم الله أبابكر زوجنى وابنته وحملنى إلى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق ، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة رحم الله علياً دار الحق معه حيث دار . « وقد ورد عن أبى سعيد وأم سلمة أن الحق مع على رضى الله عنه وفى كل منهما نظر الله أعلم . حديث آخر قال أبو يعلى : ثنا عثمان بن جرير عن الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء عن أبيه عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله (س) يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! فقال عمر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! ولكنه خاصف النعل - وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه « - ورواه الامام

البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش به . ورواه الامام أحمد عن وكيع وحسين بن محمد عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء به . ورواه البيهقي أيضاً من حديث أبي نعيم عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد به . ورواه فضيل ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد . وروى من حديث علي نفسه . وقد قدمنا هذا الحديث في موضعه في قتال علي أهل البغي والخوارج والله الحمد ، وقدمننا أيضاً حديث علي للزبير أن رسول الله ﷺ قال لك : إنك تقاتلني وأنت ظالم . فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ثم قتل بعد مرجعه في وادي السباع . وقدمننا صبره وصرامته وشجاعته في يومى الجمل وصفين ، وبسالته وفضله في يوم النهروان ، وما ورد في فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن علي وأبي سعيد وأبي أيوب أن رسول الله ﷺ أمره بقتال المارقين والقاسطين والناكثين وفسروا الناكثين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج والحديث ضعيف

❦❦❦

تم الجزء السابع من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء الثامن وأوله فصل في ذكر شئ من سيرته العادلة وسريرته الفاضلة وخطبه الكاملة



فهرست المجلد السابع من كتاب البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
٤٩	٢
ذكري من توفي في هذا العام من المشاهير	سنة ثلاث عشرة من الهجرة
٥١	٤
تم دخلت سنة خمس عشرة	وقعة اليرموك
٥٢	١٦
وقعة حمص الأولى	انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة بعد وقعة اليرموك
وقعة قنسرين	
٥٣	
وقعة قيسارية	وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام
٥٤	
وقعة اجنادين	
٥٥	١٨
فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب	خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٦١	١٩
وقعة نهر شير	فتح دمشق
٦٢	٢٣
من توفي في هذه السنة مرتين على الحروف	فَضِّلْنَاكَ
٦٣	٢٤
ثم دخلت سنة ست عشرة	فَضِّلْنَاكَ
٦٤	٢٥
ذكر فتح المدائن	وقعة فحل
٦٩	٢٦
وقعة جلولاء	ما وقع بأرض العراق آنذاك من القتال
٧١	٢٧
ذكر فتح حلوان	وقعة النارق
٧٢	
فتح تكريت والموصل	وقعة جسر أبي عبيد ومقتل امير المسلمين وخلق كثير منهم
٧٣	٢٩
فتح ما سبذان من ارض العراق	وقعت البويب التي اقتصر فيها المسلمون من الفرس
٧٤	
فتح قرقيسيا وهيت في هذه السنة	ذكر اجتماع الفرس على يزيد جرد بعد اختلافهم
٧٥	٣١
ثم دخلت سنة سبع عشرة	ما وقع سنة ثلاث عشر من الخوادم
٧٦	٣٢
أبو عبيدة وحاصر الروم له	ذكر المتوفين في هذه السنة مرتين
٧٨	
بحمص وهدوم عمر إلى الشام	على الحروف كما ذكرهم الحافظ الذهبي
٨٢	٣٥
فتح الجزيرة	سنة اربع عشرة من الهجرة
٨٣	٣٧
شيء من أخبار طاعون عمواس	غزوة القادسية
٨٤	٥٢
فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري	فَضِّلْنَاكَ
فتح تستر المرة الأولى صلحاً	
٨٥	
ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين عن ابن جرير عن سيف	

صحيفة	صحيفة
خالد بن الوليد	٨٥
١١٨ طليحة بن خويلد	وبعثه الى عمر بن الخطاب
١١٩ عمرو بن معدى كرب	٨٧ فتح السويس
١٢٠ العلاء بن الحضرمي	٩٠ ثم دخلت سنة ثمانى عشرة
النعمان بن مقرن بن عائد المزني	٩٣ الحارث بن هشام
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين	شرحبيل بن حسنة
١٢١ فتح الرمي	٩٤ عامر بن عبد الله بن الجراح
١٢٢ فتح قوس	الفضل بن عباس بن عبد المطلب
فتح جرجان	معاذ بن جبل
وهذا فتح اذربيجان	يزيد بن أبي سفيان
فتح الباب	٩٥ أبو جندل بن سهيل
١٢٣ اول غزو الترك	ثم دخلت سنة تسع عشرة
١٢٤ قصة السد	٩٧ ذكر من توفي فيها من الأعيان
١٢٥ بقية من خبر السد	سنة عشرين من الهجرة
١٢٦ قصة يزجرد بن شهريار بن كسري	سنة فتح مصر عن ابن اسحق وسيف
١٢٧ خراسان مع الاحنف بن قيس	١٠٠ قصة زيل مصر
١٣٠ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين	١٠١ ذكر المتوفين من الأعيان -
فتح فسا ودار أبجد وقصة سارية بن	أسيد بن الحضير
زنيم	١٠٢ انيس بن مرثد بن ابي مرثد الغنوي
١٣٢ غزوة الأكراد	بلال بن ابي رباح الحبشي المؤذن
١٣٣ خبر سامة بن قيس الأشجعي والأكراد	مولى ابي بكر
١٣٨ صفته رضي الله عنه	١٠٣ سعيد بن عامر بن خديم
١٣٩ ذكر زوجاته وأبنائه وبناته	عياض بن غنم
١٤٠ ذكر بعض ما رثي به	أبو سفيان بن الحارث
١٤١ الأقرع بن حابس	١٠٤ أبو الهيثم بن التيهان
١٤٢ حباب بن المنذر، ربيعة بن الحارث	زينب بنت جحش
علقمة بن علاثة	صفية بنت عبد المطلب عمه الرسول
١٤٣ علقمة بن مجزز	١٠٥ عويم بن ساعدة الأنصاري
عويم بن ساعدة	ثم دخلت سنة احدى وعشرين
غيلان بن سامة الثقفي	وكانت وقعة نهاوند
معمربن الحارث	١١٣ ذكر من توفي سنة احدى وعشرين

صحيفة	صحيفة
١٦١ ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة	١٤٤ ميسرة بن مسروق العبسي واقد بن عبد الله
١٦٢ العباس بن عبد المطلب عبد الله بن مسعود	١٤٤ ابو خراش الهدلي الشاعر ابو ليلى عبد الرحمن بن كعب سودة بنت زمعة هند بن عتبة
١٦٣ عبد الرحمن بن عوف	١٥١ خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان ثم استهلت سنة أربع وعشرين ثم دخلت سنة خمس وعشرين
١٦٤ أبو ذر الغفاري	١٥١ ثم دخلت سنة ست وعشرين ثم دخلت سنة سبع وعشرين
١٦٥ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين	غزوة افريقية
١٦٦ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين	١٥٢ غزوة الأندلس
١٧٠ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ف فيها مقتل عثمان	وقعة جرجير والبربر مع المسلمين
١٧٣ ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية	١٥٣ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين فتح قبرص
١٧٦ ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان	ثم دخلت سنة تسع وعشرين
١٧٧ طريق أخرى	١٥٤ سنة ثلاثين من الهجرة النبوية
١٧٨ طريق أخرى	١٥٦ فضيلة
١٧٩ طريق أخرى	جبار بن صخر حاطب بن بلتعة
١٨١ فضيلة	الطفيل بن الحارث عبد الله بن كعب
١٨٤ صفة قتله رضي الله عنه	عبد الله بن مظعون عياض بن زهير مسعود بن ربيعة معمر بن ابي سرح
١٨٩ فضيلة	١٥٧ أبو أسيد
١٩٠ فضيلة	ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين
١٩٢ ذكر صفته رضي الله عنه	١٥٨ كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد
١٩٦ وهذا ذكر بعض ما رثي به رضي الله عنه	١٥٩ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

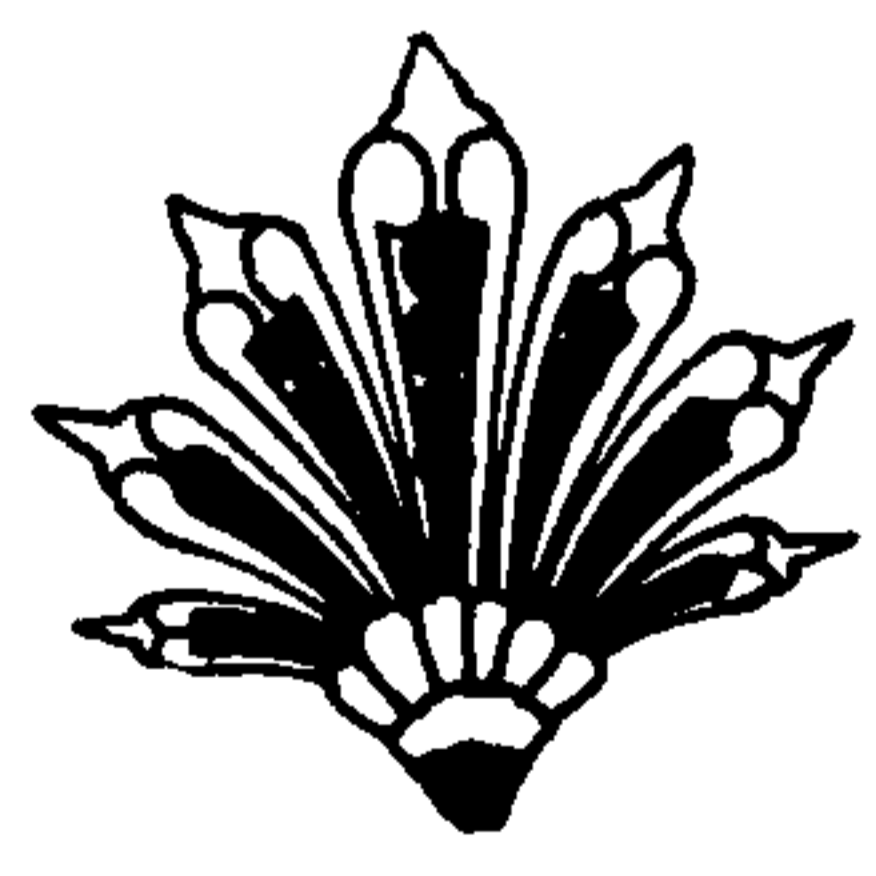
صحيفة	صحيفة
٢١٣ حديث آخر	١٩٧ فضيلة
٢١٤ ذكر شيء من سيرته وهي دالة على فضيلته	١٩٩ بعض الأحاديث الواردة في فضائل عثمان بن عفان
٢١٥ شيء من خطبه	٢٠٢ حديث آخر
٢١٦ فضيلة	٢٠٣ حديث آخر
٢١٧ فضيلة	٢٠٤ طريق أخرى عن حفصة
٢١٩ ذكر زوجاته وبنيه وبناته	طريق أخرى عن ابن عباس
٢٢٠ في ذكر من توفي زمان عثمان	طريق أخرى عن ابن عمر
٢٢٢ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه	حديث آخر
٢٢٦ ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة	حديث آخر
٢٢٩ ثم دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة	حديث آخر
٢٣٠ ابتداء وقعة الجمل	٢٠٨ حديث آخر
٢٣٤ مسير علي بن أبي طالب من المدينة الى البصرة بدلاً من الشام	٢٠٩ طريق أخرى
٢٤٦ فضيلة	حديث آخر
٢٤٧ فضيلة	حديث آخر
٢٤٩ والزيير بن العوام بن خويلد	٢١٠ حديث آخر
٢٥١ وفي هذه السنة اعني سنة ست وثلاثين	طريق أخرى
٢٥٢ فضيلة	٢١١ حديث آخر
	٢١٢ حديث آخر
	حديث آخر عن طلحة
	٢١٣ حديث آخر

صحيفة	صحيفة
الله عنه	٢٥٧ في وقعة صفين
الحديث الثالث عن أنس بن مالك	٢٥٨ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين
طريق أخرى	٢٧٢ رفع أهل الشام المصاحف
الحديث الرابع عن جابر بن	٢٧٦ قصة التحكيم
عبدالله	٢٧٨ خروج الخوارج
الحديث الخامس عن سعد بن	٢٨٠ فضيلتك
أبي وقاص	٢٨٢ اجتماع الحكمين أبي موسى وعمرو
الحديث السادس عن أبي سعيد	بن العاص بدومة الجندل
سعد بن مالك بن سنان	٢٨٥ خروج الخوارج من الكوفة
الأنصاري	ومبارزتهم علياً
الطريق الثاني	٢٨٨ مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج
الطريق الثالث	٢٩٠ ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة
الطريق الرابع	٢٩١ الطريق الأولى
الطريق الخامس	طريق أخرى عن علي
الطريق السادس	٢٩٢ طريق أخرى
الطريق السابع	طريق أخرى
الطريق الثامن	٣٠٢ طريق أخرى عن علي
الحديث الثامن	طريق أخرى
عن سلمان الفارسي	٢٩٣ طريق أخرى
الحديث التاسع	طريق أخرى
عن سهل بن حنيف الأنصاري	٢٩٤ طريق أخرى
الحديث العاشر عن ابن عباس	٣٠٣ طريق أخرى
الحديث الحادي عشر عن ابن عمر	٢٩٥ طريق أخرى
الحديث الثاني عشر عن عبدالله بن	طريق أخرى
عمرو	طريق أخرى
الحديث الثالث عشر عن أبي ذر	٢٩٦ الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي



صحيفة	صحيفة
سنة أربعين من الهجرة	٣٠٤ الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة
ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٣٠٥ حديث آخر عن رجلين من الصحابة
طريق أخرى	حديث في مدح علي رضي الله عنه عار
طريق أخرى عنه	قتال الخوارج
طريق أخرى عن علي	٣٠٦ حديث ابن مسعود في ذلك
طريق أخرى عن علي بن أبي طالب	حديث أبي سعيد في ذلك
طريق أخرى عنه	حديث أبي أيوب في ذلك
حديث آخر في ذلك	٣٠٧ فضائل
حديث آخر في معنى ذلك	٣٠٩ فضائل
صفة مقتله رضي الله عنه	٣١٠ فضائل
ذكر زوجاته وبنيه وبناته	٣١١ ذكر من توفي فيها من الأعيان
شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	خزيمة بن ثابت
حديث المؤاخاة	عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم
رواية بريدة بن الحصيب	٣١٢ عمار بن ياسر أبو البقطان العبسي
رواية عبد الله بن عمر	٣١٣ الربيع بن معوز بن عفراء
رواية ابن عباس	ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين
رواية أبي سعيد في ذلك	فضائل
رواية علي بن أبي طالب في ذلك	٣١٨ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
رواية سعد بن أبي وقاص في ذلك	سهل بن حنيف
رواية عمر رضي الله عنه في ذلك	صفوان بن بيضاء أخو سهيل بن بيضاء
رواية ابن عمر رضي الله عنهما	صهيب بن سنان بن مالك
ترويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها	٣١٩ محمد بن أبي بكر الصديق
حديث آخر	اسماء بنت عميس
حديث آخر	٣٢٠ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين
حديث غدیر خم	٣٢٢ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
	سعد القرظي
	عقبة بن عمرو بن ثعلبة

صحيفة	صحيفة
٣٥٨ حديث آخر	٣٥١ حديث الطير
حديث الصدقة بالخاتم وهو راع	٣٥٤ حديث آخر في فضل علي
٣٥٩ حديث آخر	٣٥٥ حديث آخر
حديث آخر	حديث آخر
حديث آخر	حديث آخر
٣٦٠ حديث آخر	٣٥٦ حديث آخر
حديث آخر	٣٥٧ حديث آخر
حديث آخر	حديث آخر في رد الشمس
حديث آخر في معناه	حديث آخر
٣٦١ حديث آخر	حديث آخر
حديث آخر	حديث آخر
حديث آخر	حديث آخر
انتهى الفهرست	حديث آخر



ابو الفداء  
الحافظ ابن كثير  
الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ

# الْبَيْدَانِيُّ وَالنَّهْشَابِيُّ

١٣٩٤

## الجُزْءُ الثَّانِي

الطبعة الاولى ١٩٦٦ م . ١٣٨٦ هـ

الطبعة الثانية ١٩٧٤ م . ١٣٩٤ هـ

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيبت بشروح  
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المحمدية

شارع الامير اعين  
بيروت

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَضَّلْنَا

في ذكر شيء من سيرته الفاضلة ومواعظه وقضاياه الفاضلة وخطبه  
وحكمه التي هي الى القلوب واصلة

قال عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال : خطب على الناس فقال : أيها الناس !  
والله الذي لا إله إلا هو ما زريت من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هنه - وأخرج كارورة من كم قيصه  
فيها طيب - . فقال : أهداها إلى الدهقان ، - وفي رواية بضم الدال - ، وقال : ثم أتى بيت المال  
فقال : خنوا وأنشأ يقول :

أفلح من كانت له قوصرة \* يا كل منها كل يوم تمرة

وفي رواية : مرة . وفي رواية طوبى لمن كانت له قوصرة . وقال حرمة عن ابن وهب عن ابن  
لهيعة عن ابن هبيرة عن عبد الله بن أبي رزين الغافقي قال : دخلنا مع علي يوم الأضحى ف قرب إلينا  
خزيرة قلنا : أصلحك الله لو قدمت إلينا هذا البط والأوز ، فإن الله قد أكثر الخير فقال : يا ابن  
رزين إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصمتان ، قصعة يأكلها

هو وأهله ، وقصة يطعمها بين الناس » . وقال الامام أحمد : حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم  
قالا : ثنا ابن لهيعة ثنا عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن رزين أنه قال : دخلت على علي بن أبي  
طالب ، قال حسن يوم الأضحى : فقرب إلينا خزيرة ، فقلنا : أصلحك الله لو أطعمتنا هذا البط ؟  
- يعني الأوز - فان الله قد أكثر الخير ، قال : يا ابن رزين إني سمعت رسول الله - ص - يقول :  
« لا يحمل للخليفة من مال الله إلا قصعتان ، قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضمها بين يدي الناس »  
وقال أبو عبيد : ثنا عباد بن العوام عن مروان بن عنتره عن أبيه قال : دخلت على علي بن أبي طالب  
بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك  
نصيبة في هذا المال وأنت ترعد من البرد ؟ فقال : إني والله لا أرى من مالكم شيئاً ، وهذه القطيفة  
هي التي خرجت بها من بيتي - أو قال من المدينة - وقال أبو نعيم : سمعت سفیان الثوري يقول :  
ما بنى على لبنة ولا قصبة على لبنة ، وإن كان ليؤتى بحبوه من المدينة في جراب . وقال يعقوب بن  
سفيان : ثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفیان أبو حسان عن مجمع بن سحمان التيمي قال : خرج علي بن أبي  
طالب بسيفه إلى السوق فقال : من يشتري مني سيفي هذا ؟ فلو كان عندي أربعة دراهم اشتري بها  
إزاراً ما بعته . وقال الزبير بن بكار : حدثني سفیان عن جعفر قال - أظنه عن أبيه - إن علياً كان  
إذا لبس قميصاً مديده في كفه فما فضل من الكم عن أصابعه قطعه وقال : ليس لكم فضل عن  
الأصابع . وقال أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال : اشتري  
علي قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كفه من موضع الرسغين ، وقال : الحمد لله الذي هذا من ريشته .  
وروى الامام أحمد في الزهد عن عباد بن العوام عن هلال بن حبان عن مولى لأبي غصين قال :  
رأيت علياً خرج فأتى رجلاً من أصحاب الكرايس فقال له : عنيدك قميص سنبلاني ؟ قال : فأخرج  
إليه قميصاً فلبسه فاذا هو إلى نصف ساقيه ، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال : ما أرى إلا قدراً  
حسناً ، بكم هذا ؟ قال : بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين ، قال : فخلها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق .  
وقال محمد بن سعد : أنا الفضل بن دكين أنا الحسن بن جرموز عن أبيه قال : رأيت علياً وهو يخرج  
من القصر وعليه قبطينان إزار إلى نصف الساق ورداء مشعر قريب منه ، ومعه درة له ينشئ بها في  
الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول : أوفوا الكيل والميزان ، ويقول : لا تنفخوا  
اللحم . وقال عبد الله بن المبارك في الزهد : أنا رجل حدثني صالح بن ميثم ثنا يزيد بن وهب  
الجهني قال : خرج علينا علي بن أبي طالب ذات يوم وعليه بردان متوزر بأحدهما مرتته بالأخر قد  
أرخت جانب إزاره ورفع جانباً ، قد رفع إزاره بخرقه فرببه أعرابي فقال : أيها الانسيان ألبس من  
هذه الثياب فانك ميت أو مقتول . فقال : أيها الأعرابي إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعدي

من الزهو، وخبر آلي في صلاتي، وسنة المؤمن. وقال عبد بن حميد: ثنا محمد بن عبيد ثنا المختار بن نافع عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فاذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً، فحشيت خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتد برداه ومعه الدرّة كأنه أعرابي بدوي فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد. فقلت: أجل أنا رجل من أهل البصرة، فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهو يسوق الأبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة، ثم أتى أصحاب النمر فاذا خادم تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فردده موالى فأبى أن يقبله، فقال له علي: خذ تمرك واعطها درهمها فاتها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فصبت تمرد وأعطتها درهمها. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين، قال: ما أَرْضَانِي عَنْكَ إِذَا أُوفِيَتِ النَّاسُ حَقُوقَهُمْ، ثم مر مجتازاً بأصحاب النمر فقال: يا أصحاب النمر اطعموا المساكين يرب كسبكم. ثم مر مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال: لا يباع في سوقنا طافي. ثم أتى دار فرات - وهي سوق الكرايس - فأتى شيخاً فقال: يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، ثم آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثنا فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم وكفه ما بين الرسفين إلى الكعبين يقول في لبسه: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأوارى به عورتى. فقيل له: يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله -، فقال: لا! بل شيء سمعته من رسول الله -، يقوله عند الكسوة. فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل له: يا فلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم، قال: أفلا أخذت منه درهمين؟ فأخذ منه أبوه درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة فقال: امسك هذا الدرهم. فقال: ما شأن هذا الدرهم؟ فقال إنما تمن القميص درهمين، فقال: باعني رضاي وأخذ رضاه. وقال عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح بمخاصمه، قال: فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال: يا شريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلا معه، ولكنه نصراني وقد قال رسول الله -: «إذا كنتم وإياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقتهم، وصغروا بهم كما صغر الله بهم من غير أن تطفوا» ثم قال: هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال أصاب شريح، مالي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، قال فأخذ النصراني

ومشى خطا ثم رجع فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يقضى عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال : أما إذ أسلمت فهي لك ، وحمله على فرس . قال الشعبي : فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج يوم النهروان . وقال سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة : جاء جمدة بن هبيرة إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلي أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك ، فتقضى لهذا علي هذا ؟ قال : فلهزه علي وقال : إن هذا شيء لو كان لي فعلت ، ولكن إنما ذا شيء لله . وقال أبو القاسم البغوي : حدثني جدي ثنا علي بن هاشم عن صالح بن بياع الأكسية عن جدته قالت : رأيت علياً اشترى تمرأ بدرهم فحمله في ملحفته فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك ؟ فقال : أبو العيال أحق بحمله . وعن أبي هاشم عن زاذان قال : كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبيع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ [ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ] ، ثم يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس . وعن عبادة بن زياد عن صالح بن أبي الأسود عن حديثه أنه رأى علياً قد ركب حملاً ودلى رجله إلى موضع واحد ثم قال : أنا الذي أهنت الدنيا . وقال يحيى بن معين عن علي بن الجعد عن الحسن بن صالح قال : تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون : فلان ، فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب . وقال هشام بن حسان : بينا نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال : يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال : فاحمرت وجنتا الحسن وقال : رحم الله علياً ، إن علياً كان سرماً لله صائباً في أعدائه ، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان رهباني هذه الأمة ، لم يكن لمال الله بالسروقة ، ولا في أمر الله بالنومة ، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه ، فكان منه في رياض موقفة ، وأعلام بينة ، ذلك علي بن أبي طالب بالكعب . وقال هشيم عن يسار عن عمار . قال : حدث رجل علي بن أبي طالب بمحدث فكذبه فما قام حتى عمي : وقال أبو بكر بن أبي الدنيا . حدثني شريح بن يونس ثنا هشيم عن إسماعيل بن سالم عن عمار الحضرمي عن زاذان أبي عمران رجلاً حدث علياً بمحدث فقال : ما أراك إلا قد كذبتني ، قال : لم أفعل قال : أدعو عليك إن كنت كذبت ، قال : ادع ! فدعا فما برح حتى عمي . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف بن سالم ثنا محمد بن بشر عن أبي مكين قال : مررت أنا وخالى أبو أمية على دار في محل حي من مراد ، قال : ترى هذه الدار ؟ قلت : نعم ! قال : فان علياً مر عليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله أن لا يكمل

بناؤها ، قال : فما وضعت عليها لبنة ، قال : فكنت فيمن يمر عليها لا تشبه الدور . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني عبد الله بن يونس بن بكير الشيباني عن أبيه عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري عن أبي بشير الشيباني . قال : شهدت الجمل مع مولاي فما رأيت يوماً قط أكثر ساعداً نادراً وقدماً نادرة من يومئذ ، ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجمل قال : فحدثني الحكم بن عيينة أن علياً دعا يوم الجمل فقال : اللهم خذ أيديهم وأقدامهم .

ومن كلامه الحسن رضي الله عنه . قال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن الجعد أنا عمرو بن شمر حدثني إسماعيل السدي سمعت أبا أراكة يقول : صليت مع علي صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلي ركعتين ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد (ص) ، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعناً غيراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى ، قد بانوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يتراوحن بين جباههم وأقدامهم ، فاذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم ، والله لكان القوم باتوا غافلين ، ثم نهض فما رؤى بعد ذلك مفترأ يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق . وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلم عن علي بن أبي طالب أنه قال : تعلموا العلم تعرفوا به ، واعملوا تكونوا من أهله ، فانه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره ، وإنه لا ينجو منه إلا كل أواب منيب ، أولئك أئمة الهدى ومصايح العلم ليسوا بالمعجل المذابيح البذر ، ثم قال : ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت مقبلة ، ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتحنوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، ألا إن الله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدن ، وأهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحواسنهم خفيفة ، صبروا أياماً فلبلة لعقبي راحة طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم . وأما النهار فظماء حلما بررة أتقياء ، كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم . وعن الأصمغ بن نباتة قال : صعد على ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال : عبياد الله الموت ليس منه فوت ، إن أقمتم له أخدمكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، فالتجنا النجا ، والوحا الوحا ، إن وراءكم طالب حنيث القبر فاحنروا ضغطته وظلمته ووحشته ، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار ، أوروضة من رياض



الجنة ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلّة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ، [وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ] ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، نار خرها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليها ومقامها حديد ، وماؤها صديد ، وخازنها مالك ليس لله فيه رحمة . قال : ثم بكى وبكى المسلمون حوله ، ثم قال : ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنا الله وإياكم من المتقين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم . ورواه ليث بن أبي سليم عن مجاهد حدثني من سمع علياً فذكر نحوه . وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دهم قال : خطب علي فقال : أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بoudاع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المظمار اليوم وغداً السباق ، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خاب عمله ، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها ، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظن ، وذلتم على الزاد ، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، وإن الآخرة وعد صادق ، يحكم فيها مالك قادر ، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . أيها الناس : أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم ، فإن الله وعد جنته من أطاعه ، وأوعده ناراً من عصاه . إنها نار لا يهدأ زفيرها ، ولا يفك أسيرها ، ولا يجبر كسيرها ، حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وماؤها صديد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . وفي رواية فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن طول الأمل ينسى الآخرة . وعن عاصم بن ضمرة قال : ذم رجل الدنيا عند علي فقال علي : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنا وزاد لمن تزود منها ، ومهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومنجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فن ذا يذمها وقد آذنت بغيها ، ونادت بفراقها ، وشابت بشرورها السرور ، وببلائها الرغبة فيها والحرص عليها ترغيباً وترهيباً ، فيا أيها الذام للدنيا المعلن نفسه بالأمالى متى خدعتك الدنيا أومتى اشتدمت إليك ؟ أمصارع آبائك في البلا ؟ أم مضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ كم مرضت بيدك ، وعالت بكفك ، ممن تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، لا يفتي عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك . وقال سفيان الثوري والأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري . قال : جاء رجل إلى علي فأطراه - وكان يبيض علياً - فقال له : لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك . وروى ابن عساكر أن رجلاً قال لعلي : ثبتك الله قال : على صدرك . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا

سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر قال قال علي : إن الأمر ينزل إلى السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال ، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله ، ورأى لغيره عثرة فلا يكون ذلك له فتنه ، فإن المسلم مالم يعيش دُناه يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت ، ويفرغى به لثام الناس ، كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحه توجب له المغنم ، وتدفع عنه المغرم فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسينين ، إذا مادعا الله ، فما عند الله خير له ، وإما أن يرزقه الله مالا فاذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه ، وإما أن يعطيه الله في الآخرة فالآخرة خير وأبقى ، الحارث حرثان فحرث الدنيا المال والتقوى ، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام . قال سفيان الثوري : ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا علي ؟ وقال عن زبيد اليامي عن مهاجر العامري قال : كتب علي بن أبي طالب عهداً لبعض أصحابه علي بلد فيه : أما بعد فلا تطوان حجابك علي رعيتك ، فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة الضيق ، وقلة علم بالأمر ، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيضعف عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يوارى عنه الناس به من الأمور ، وليس علي القوم سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، فتحسن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب ، فانما أنت أحد الرجلين ، إما امرؤ شحت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجابك من حق واجب عليك أن تعطيه ؟ وخلق كريم تسد به ؟ وإما مبتلى بالمنع والشح فما أسرع زوال نعمتك ، وما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يتسوا من ذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مالا مؤنة فيه عليك من شكاية مظلمة أو طلب انصاف ، فانتفع بما وصفت لك واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله . وقال المدائني : كتب علي إلى بعض عماله : رويداً فكان قد بلغت المدى ، وعرضت عليك أعمالك بالحل الذي ينادى المغتر بالحسرة ، ويتمنى المضيع التوبة ، والظالم الرجعة . وقال هشيم : أنا عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال : كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان علي يقول الشعر ، وكان علي أشعر الثلاثة . ورواه هشام بن عمار عن إبراهيم بن أعين عن عمر بن أبي زائدة عن عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي فذكره . وقال أبو بكر بن دريد قال وأخبرنا عن دماذ عن أبي عبيدة قال : كتب معاوية إلى علي : يا أبا الحسن إن لي فضائل كثيرة ، وكان أبي سيداً في الجاهلية ، وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله (ص) ، وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي . فقال علي :

لما لفضائل يفخر علي ابن آكلة الأكباد ؟ ثم قال : اكتب يا غلام

محمد النبي أخي وصهري \* وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يمسى ويضحى \* يطير مع الملائكة ابن أمي  
وبنت محمد سكي وعربي \* مسوط لها بدني ولحي  
وسبطا أحمد ولداي منها \* فأبكم له سهم كسهي  
سبقتكم إلى الاسلام طراً \* صغيراً ما بلغت أوان جلي

قال فقال معاوية : اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب . وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان علي ومعاوية . وقال الزبير بن بكار وغيره : حدثني بكر بن حارثة عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله قال : سمعت علياً ينشد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع :

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي \* معه ربيته وسبطاه هما ولدي  
جدي وجد رسول الله منفرد \* وفاطم زوجتي لا قول ذي فندر  
صدقته وجميع الناس في بهم \* من الضلالة والاشراك والنكدر  
فالحمد لله شكراً لا شريك له \* البر بالعبد والباقي بلا أمد

قال : فتبسم رسول الله (ص) ، وقال : « صدقت يا علي » وهذا بهذا الاسناد منكر والشعر فيه ركائة ، وبكر هذا لا يقبل منه تفرد بهذا السند والمتن والله أعلم . وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي زكريا الرملي : ثنا يزيد بن هارون عن نوح بن قيس عن سلامة الكندي عن الأصبع ابن نباتة عن علي أنه جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك . فقال علي : اكتب حاجتك على الأرض فاني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك ، فكتب : إني محتاج ، فقال علي : علي بحلة ، فأتى بها فأخذها الرجل فلبسها ، ثم أنشأ يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها \* فسوف أكسوك من حسن الثنا حلا  
إن نلت حسن ثنائى نلت مكرمة \* ولست أبغى بما قد قلته بدلا  
إث الثناء ليحي ذكر صاحبه \* كالغيث يحيى نداء السهل والجبل  
لا تزهد الدهر في خير تواقعه \* فكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال علي : علي بالدنانير فأتى بمائة دينار فدفعها إليه ، قال الأصبع : فقلت يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار؟ قال : نعم ! سمعت رسول الله (ص) يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » وهذه منزلة هذا الرجل عندي . وروى الخطيب البغدادي من طريق أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن جده قال قال علي بن أبي طالب :

إذا اشتملت على الناس القلوب \* وضاق بما به الصدر الرحيب  
وأوطنت المكاره وأطمأنت \* وأرست في أماكنها الخطوب  
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً \* ولا أغنى بحيلته الأريب  
أناك على قنوط منك غوث \* بمن به القريب المستجيب  
وكل الحادثات إذا تناهت \* فوصول بها الفرج القريب

ومما أنشده أبو بكر محمد بن يحيى الصولى لأمير المؤمنين على بن أبي طالب :-

ألا فاصبر على الحدث الجليل \* وداو جواك بالصبر الجميل  
ولا تجزع فان أعسرت يوماً \* فقد أسرت في الدهر الطويل  
ولا تظن بربك ظن سوء \* فان الله أولى بالجميل  
فان العسر يتبعه يسار \* وقول الله أصدق كل قيل  
فلو أن العقول تجرُّ رزقاً \* لكان الرزق عند ذوى العقول  
فكم من مؤمن قد جاع يوماً \* سيروى من رحيق السلسيل

فمن هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يجمع المؤمن مع نفاسته ، ويشبع الكلب مع خساسته ،  
والكافر يأكل ويشرب ، ويلبس ويتمتع ، والمؤمن يجوع ويعرى ، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة  
أحكم الحاكمين . ومما أنشده على بن جعفر الوراق لأمير المؤمنين على بن أبي طالب

أجد الثياب إذا اكتسيت فانها \* زين الرجال بها تعز وتكرم  
ودع التواضع في الثياب تخشعاً \* فالله يعلم ما نجح وتكتم  
فإنك ثوبك لا يزيدك زلفه \* عند الاله وأنت عبد مجرم  
وبهاء ثوبك لا يضرك بعد أن \* تخشى الاله وتتقى ما يحرم

وهذا كما جاء في الحديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم  
وأعمالكم » وقال الثورى : ليس الزهد في الدنيا بلبس العبا ولا بأكل الخشن ، إنما الزهد في الدنيا  
قصر الامل .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأ كبر المبرد : كان مكتوباً على سيف على :

للناس حرص على الدنيا وتدبير \* وفي مراد الهوى عقل وتشمير  
وإن أتوا طاعة الله ربهم \* فالعقل منهم عن الطاعات بأسور  
لأجل هذا وذاك الحرص قدمزجت \* صفاء عيشاتها هم وتكدير  
لم يرزقوها بعقل عند ما قسمت \* لكنهم رزقوها بالمقادير

كَمْ مِنْ أَدِيبٍ لَيْبٍ لَا تَسَاعُدُهُ \* وَمَاتُوا نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرٍ  
 لَوْ كَانَ عَنْ قُوَّةٍ أَوْ عَنْ مَغَالِبَةٍ \* طَارَ الْبِرْزَاةَ بِأَرْزَاقِ الْمَصَافِيرِ  
 وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : ثنا سلمة بن بلال عن مجالد عن الشعبي قال قال علي بن أبي طالب لرجل كره

له صحبة رجل :

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَمِّ \* لِي وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ \* فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ جَاهِلٍ \* أَوْدَى حَلِيماً حِينَ آخَاهُ  
 يَمَاسُ الْمَرْءَ بِالْمَرْءِ \* وَإِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ \* وَلِلشَيْءِ عَلَى الشَيْءِ \* مَقَابِيِسٌ وَأَشْبَاهُ  
 \* وَالْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ \* بِدَلِيلٍ حِينَ يَلْقَاهُ \*

وعن عمرو بن العلاء عن أبيه قال : وقف على قبر فاطمة وأنشأ يقول :

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَبِتُّ كَأَنِّي \* بَرْدِ الْمَهْمُومِ الْمَاضِيَاتِ وَكَيْلُ  
 لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيَلَيْنِ فِرْقَةٌ \* وَكُلِّ الَّذِي قَبْلَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ  
 وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ \* دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومُ خَلِيلُ  
 سَجَرُضٌ عَنْ ذِكْرِي وَتَنْسِي مَوَدَّتِي \* وَيُحَدِّثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ  
 إِذَا انْقَطَعَتْ بِوَمَازِنِ الْعَيْشِ مَدَّتِي \* فَانْ غِنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ

وأنشد بعضهم لعلي رضي الله عنه :

حَقِيقٌ بِالتَّوَاضُعِ مَنْ يَمُوتُ \* وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قُوَّةُ  
 فَمَا لِلْمَرْءِ يَصْبَحُ ذَا مَهْمُومٍ \* وَحِرْصٍ لَيْسَ تَدْرِكُهُ النُّعُوتُ  
 صَنِيعٌ مَلِيكُنَا حَسَنٌ جَمِيلٌ \* وَمَا أَرْزَاقُهُ عِنَّا تَفُوتُ  
 فَيَاهَذَا سَتَرِحُلٌ عَنْ قَلِيلٍ \* إِلَى قَوْمٍ كَلَامُهُمُ السُّكُوتُ

وهذا الفصل يطول استقصاؤه وقد ذكرنا منه ما فيه ممتع لمن أرادته والله الحمد والمنة .

وقال حماد بن سلمة عن أيوب السخيتاني أنه قال : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب  
 عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك  
 بالعروة الوثقى ، ومن قال الحسن في أصحاب رسول الله ص : فقد برئ من النفاق .

غريبة من الغرائب وأبدية من الأوابد

قال ابن أبي خيثمة : ثنا أحمد بن منصور ثنا سيار ثنا عبدالرزاق قال قال معمر مرة وأنا مستقبله  
 وتبسم وليس معنا أحد فقلت له : ما شأنك ؟ قال : عجبت من أهل الكوفة كأن الكوفة إنما بنيت  
 على حب علي ، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر ،  
 منهم سفيان الثوري ، قال : قلت لمعمر ورأيتك ؟ - كأي أعظمت ذلك - فقال معمر : وما ذاك ؟ لو أن

حكمة من الرزاق  
 حكمة من الرزاق

رجلا قال علي أفضل عندي منهما ما عبتة إذا ذكر فضلهما ولو أن رجلا قال : عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عفتة . قال عبد الرزاق : فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح ونحن خالين فاستهاها من سفيان وضحك وقال : لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد ، ولكنه أفضى إلى معمر بمالم يفض إلينا ، وكنت أقول لسفيان : يا أبا عبد الله أرأيت إن فضلنا عليا علي أبي بكر وعمر ، ما تقول في ذلك ؟ فيسكت ساعة ثم يقول : أخشى أن يكون ذلك طعنا على أبي بكر وعمر ولكننا نقف . قال عبد الرزاق : وأما ابن التيمي - يعني معتزلاً - فقال : سمعت أبي يقول : فضل علي بن أبي طالب بمائة منقبة وشاركهم في مناقبهم ، وعثمان أحب إلى منه . هكذا رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده عن ابن أبي خيثمة به . وهذا الكلام فيه تخطيط كثير ولعله اشتبهه علي معمر فان المشهور عن بعض الكوفيين تقديم علي على عثمان ، فأما علي الشيخين فلا ، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلا على غبي ، فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة ؟ بل قد قال غير واحد من العلماء - كأيوب والدارقطني - من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار . وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح . وقال يعقوب بن أبي سفيان : ثنا عبد العزيز بن عبد الله الاريسي ثنا إبراهيم بن سعيد عن شعبة عن أبي عون - محمد بن عبد الله الثقفي - عن أبي صالح الحنفي قال : رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى أني لأرى ورقه يتفتق قال ثم قال : اللهم إني منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه فأعطيني ثواب ما فيه ، ثم قال : اللهم إني قد ملأتهم وملوتني وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير طبيعتي وخلق وأخلاق لم تكن تعرف لي ، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم أمت قلوبهم موت الملح في الماء . قال إبراهيم : - يعني أهل الكوفة - وقال ابن أبي الدنيا : حدثني عبد الرحمن بن صالح ثنا عمرو بن هشام الخبي عن أبي خباب عن أبي عوف الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : قال لي الحسن بن علي قال لي علي : « إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنج لي الليلة في منامي فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللد ؟ قال : ادع عليهم فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني ، فخرج فضر به الرجل | الأود العوج واللد الخصومة | وقد قدمنا الحديث الوارد بالآخبار بقتله وأنه ينخضب لحيته من قرن رأسه ، فوق كما أخبر صلوات الله وسلامه على رسوله ، وروى أبو داود في كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب علي يجرسونه كل ليلة عشرة - يبيتون في المسجد بالسلاح - فرآهم علي فقال : ما يجلسكم ؟ فقالوا : نحرسك ، فقال : من أهل السماء ؟ ثم قال : إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء ، وإن علي من الله جنة حصينة . وفي رواية : وإن الرجل جنة محصونة ، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولا شيء إلا قال : اتقه اتقه ،

فاذا جاء القدر خلا عنه ، وفي رواية : ملكان يدفعان عنه فاذا جاء القدر خليا عنه ، وإنه لا يجد عبد حلاوة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وكان علي يدخل المسجد كل ليلة فيصلي فيه ، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلق تلك الليلة وجمع أهله فلما خرج إلى المسجد صرخ الأوز في وجهه فسكتوهن عنه فقال : ذروهن فانهن نوائح ، فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا قبل . فقال الناس : يا أمير المؤمنين لا تقتل مراداً كلها ؟ فقال : لا ولكن احبسوه وأحسنوا إيساره ، فان مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص . وجعلت أم كلثوم بنت علي تقول : مالي ولصلاة الغداة ، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة ، وقتل أبي أمير المؤمنين صلاة الغداة ، رضى الله عنها . وقيل لعلي : ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ، فان يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله . فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق . وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته ، قال : أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت . وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر : ثم عثمان ثم عثمان . ولما مات علي ولي غسله ودفنه أهله ، وصلى عليه ابنه الحسن وكبير أربعمائة ، وقيل أكثر من ذلك . ودفن علي بدار الخلافة بالكوفة وقيل تجاد الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة ، بجداء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة ، وقيل بالكناسة ، وقيل دفن بالبرية . وقال شريك القاضي هو أبو نعيم الفضل بن دكين : نقله الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله . وقال عيسى بن دآب : بل لما تحملوا به حملوه في صندوق علي بعير ، فلما مروا به ببلاد طي أضلوا ذلك البعير فأخذته طي تحسب فيه مالا ، فلما وجدوا بالصندوق ميتا دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن ، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك ابن عمران أن خالد بن عبد الله القسري - نائب بني أمية في زمان هشام - لما هدم دوراً لبيئها وجد قبراً فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فاذا هو علي ، فأراد أن يحرقه بالنار فقيل له : أيها الأمير إن بني أمية لا يريدون منك هذا كله ، فلفه في قباطي ودفنه هناك . قالوا : فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها . رواد ابن عساكر . ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن ، فأحضر الناس النفط والبوارى ليحرقوه ، فقالوا لهم أولاد علي : دعونا نشفي منه ، فقطعت يده ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر ، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة اقرأ باسم ربك إلى آخرها ، وإن عينييه لتسيلان على خديه ، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعاً شديداً ، فقيل له في ذلك فقال : إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقالا أذكر الله

## خلفه الحسن بن علي رضي الله عنه

قد ذكرنا ان علياً رضي الله عنه لما ضرب به ابن ملجم قالوا له : استخلف يا أمير المؤمنين فقال لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله (ص) - يعني بغير استخلاف - فان يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله (ص) ، فلما توفي وصلي عليه ابنه الحسن - لأنه أكبر بنيه رضي الله عنهم - ودفن كما ذكرنا بدار الامارة على الصحيح من أقوال الناس ، فلما فرغ من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له : ابسط يدك أبايك على كتاب الله وسنة نبيه ، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وكان ذلك يوم مات علي ، وكان موته يوم ضرب علي قول وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وقيل إنما مات بعد الطعنة بيومين ، وقيل مات في العشر الأخير من رمضان ، ومن يومئذ ولي الحسن ابن علي ، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان ، نحت يده أربعون ألف مقاتل ، قد بايعوا علياً على الموت ، فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام ، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان ، وولى عبيد الله بن عباس عليها ، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً ، ولكن غلبوه على رأيه ، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله ، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه ، وسار هو بالجيش في أثره قاصداً بلاد الشام ، ليقاتل معاوية وأهل الشام فلما اجتاز المدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه ، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها ، إذ صرخ في الناس صارخ : ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فثار الناس فانهبوا أمتعة بعضهم بعضاً حتى انهبوا سرادق الحسن ، حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه ، وطمعنه بعضهم حين ركب طعنة أمتوته وأشوته فكرههم الحسن كراهية شديدة ، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن فقتله وهو جريح ، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي - أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر - فلما استقر الجيش بالقصر قال المختار بن أبي عبيد قبحة الله لعمه سعد بن مسعود : هل لك في الشرف والغنى ؟ قال : ماذا ؟ قال : تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه إلى معاوية ، فقال له عمه : قبحك الله وقبح ما جئت به ، أغدر بابن بنت رسول الله (ص) ؟ ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه عليه مقتهم وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان - وكان قد ركب في أهل الشام فقتل مسكن - براوضه على الصلح بينهما ، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة ، فقنما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال ، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم ، وأن يكون خراج دار أجمرد له ، وأن لا يسب علي وهو يسع ، فاذا فعل ذلك نزل عن الإمرة



فيه . قتل عند ذلك وحرق بالنار ، قبحه الله . قال محمد بن سعد : كان ابن ملجم رجلاً أسمر حسن الوجه أبلج ، شعره مع شحمة أذنه ، في جبهته أثر السجود . قال العلماء : ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس ابن علي فإنه كان صغيراً يوم قتل أبوه ، قالوا : لأنه كان قتل محاربة لا قصاصاً والله أعلم . وكان طعن علي يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين بلا خلاف قليل مات من يومه وقيل يوم الأحد التاسع عشر منه ، قال الفلاس : وقيل ضرب ليلة إحدى وعشرين ومات ليلة أربع وعشرين عن بضع أو ثمان وخمسين سنة ، وقيل عن ثلاث وستين سنة وهو المشهور ، قاله محمد بن الحنفية ، وأبو جعفر الباقر ، وأبو إسحاق السبيعي ، وأبو بكر بن عياش . وقال بعضهم : عن ثلاث أو أربع وستين سنة ، وعن أبي جعفر الباقر خمس وستين سنة . وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل أربع سنين وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، رضى الله عنه . وقال جرير عن مغيرة قال : لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاخته بنت قرظة في يوم صائف ، جلس وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي فقالت له فاخته : أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه ، فقال : وبمك إنما أبكي لما فقدت الناس من حله وعلمه وفضله وسوابقه وخيره . وذكر ابن أبي الدنيا - في كتاب مكائد الشيطان - أن رجلاً من أهل الشام من أمراء معاوية غضب ذات ليلة على ابنه فأخرجه من منزله ، فخرج الغلام لا يدري أين يذهب ، فجلس وراء الباب من خارج فنام ساعة ثم استيقظ وبابه يحمشه هر أسود برى ، فخرج إليه الهر الذي في منزلهم فقال له البرى : وبمك ! افتح فقال : لا أستطيع ، فقال : وبمك انتنى بشيء أتبلغ به فاني جائع وأنا تعب ، هذا أوان مجنى من الكوفة ، وقد حدث الليلة حدث عظيم ، قتل علي بن أبي طالب ، قال فقال له الهر الأهلئ : والله إنه ليس هاهنا شيء إلا وقد ذكروا اسم الله عليه ، غير سفو دكاوا يشوون عليه اللحم ، فقال : انتنى به ، فجاء به فجعل يلحسه حتى أخذ حاجته وانصرف ، وذلك برأى من الغلام ومسمع ، فقام إلى الباب فطرقة فخرج إليه أبوه فقال : من ؟ فقال له : افتح ، فقال : وبمك مالك ؟ فقال : افتح ، ففتح فقص عليه خبر ما رأى ، فقال له : وبمك أم نام هذا ؟ قال : لا والله ، قال : وبمك ! أفأصابك جنون بعدى ؟ قال لا والله ، ولكن الأمر كما وصفت لك ، فذهب إلى معاوية الآن فاتخذ عنده ما قلت لك ، فذهب الرجل فاستأذن علي معاوية فأخبره خبر ما ذكر له ولده . فأرخوا ذلك عندهم قبل مجئ البرد ، ولما جاءت البرد وجدوا ما أخبروهم به مطابقاً لما كان أخبر به أبو الغلام ، وهذا ملخص ما ذكره . وقال أبو القاسم : ثنا علي بن الجعد ثنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأصم قال : قلت للحسين بن علي : إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله . ورواه أسباط بن محمد عن مطرف عن إسحاق عن عمرو بن الأصم عن الحسن بن علي بنحوه .

لمعاوية ، ويحترق النداء بين المسلمين . فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية على ما سيأتي بيانه وتفصيله ، وقد لام الحسين لأخيه الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه ، والصواب مع الحسن رضي الله عنه كما سنذكر دليلاً قريباً . وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمه قيس بن سعد أن يسمع ويطيع ، فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك ، وخرج عن طاعتها جميعاً ، واعتزل بن أطاعه ثم راجع الأعر فبايع معاوية بعد قريب كما سنذكره . ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين ، ولهذا يقال له عام الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية ، والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين كما سنذكره إن شاء الله ، وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنة أربعين - المغيرة بن شعبه ، وزعم ابن جرير فيما رواه عن إسماعيل بن راشد أن المغيرة بن شعبه افتعل كتاباً على لسان معاوية ليلى إمرة الحج عامئذ ، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان ، وكان معه كتاب من أخيه بامرة الحج ، فتعجل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الامرة . وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ، ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك ، وإنما نهينا على ذلك ليعلم أنه باطل ، فان الصحابة أجل قدراً من هذا ، ولكن هذه نزغة شيعية . قال ابن جرير : وفي هذه السنة بويع لمعاوية بايلياء - يعني لمسامات على - قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع ، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمانعوا به أهل الشام فلم يتم لهم ما أرادوه وما حاولوه ، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة المخالفة لآرائهم ، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله - ، وسيد المسلمين ، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوى آرائهم . والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طريق سفيان مولى رسول الله - ، أن رسول الله - قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فانه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله - ، فانه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً . وقد مدحه رسول الله - ، على صديقه هذا وهو تركه الدنيا الفانية ، ورغبته في الآخرة الباقية ، وحققه دماء هذه الامة ، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد . وهذا المدح قد ذكرناه وسنورده في حديث أبي بكر الثقفى أن رسول الله - ، صعد المنبر يوماً وجلس الحسن بن علي إلى جانبه ، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ثم قال : « أيها الناس إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه البخارى .

## سنة احدى واربعين

قال ابن جرير: فيها سلم الحسن بن علي الأمر لمعاوية بن أبي سفيان . ثم روى عن الزهري أنه قال: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق عليهم أنهم سامعون مطيعون مسلمون [ من سالت ] محاربون [ من حاربت ] فارتاب به أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب؟ فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشروه فازداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه وكتب إلى معاوية يسأله ويرأسه في الصلح بينه وبينه على ما يختاران . وقال البخاري في كتاب الصلح: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن أبي موسى . قال: سمعت الحسن يقول: « استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية - وكان والله خير الرجلين - : إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بضعفهم؟ من لي بنسأبهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر - قال: اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكأما وقالاه وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عانت في دماها، قالا: فانه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك . قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه »، قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . قال البخاري قال لي علي بن المدني: إنما ثبت عندنا سماع الحسن بن أبي بكر بهذا الحديث، قلت: وقد روى هذا الحديث البخاري في كتاب الفتن عن علي بن عبد الله - وهو ابن المدني - وفي فضائل الحسن عن صدقة بن الفضل ثلاثهم عن سفيان . ورواه أحمد عن سفيان - وهو ابن عيينة - عن إسرائيل بن موسى البصري به . ورواه أيضاً في دلائل النبوة عن عبد الله بن محمد - وهو ابن أبي شيبه - ويحيى بن آدم كلاهما عن حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسن وهو البصري به . وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث حماد بن زيد عن علي بن زيد عن الحسن البصري به . ورواه أبو داود أيضاً والترمذي من طريق أشعث عن الحسن به . وقال الترمذي: حسن صحيح . وقد رواد النسائي من طريق عوف الأعرابي وغيره عن الحسن البصري مراسلاً . وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني من سمع الحسن يحدث عن أبي بكر قال: « كان النبي (ص) يحدثنا يوماً والحسن بن علي في حجره فيقبل على أصحابه فيحدثهم ثم يقبل على الحسن فيقبله ثم قال: « إن ابني

هذا سيد إن يمش يصلح بين طائفتين من المسلمين » قال الحافظ ابن عساكر : كذا رواه معمر ولم يسم الذي حدثه به عن الحسن ، وقد رواه جماعة عن الحسن منهم أبو موسى إسرائيل ، ويونس بن عبيد ، ومنصور بن زاذان ، وعلي بن زيد ، وهشام بن حسان ، وأشعث بن سوار ، والمبارك بن فضالة ، وعمرو بن عبيد القدرى . ثم شرع ابن عساكر في تطريق هذه الروايات كلها فأفاد وأجاد قلت : والظاهر أن معمرأ رواه عن عمرو بن عبيد فلم يفصح باسمه . وقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار عنه وسماه ، ورواه أحمد بن هاشم عن مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبي بكره فذكر الحديث قال الحسن : فوالله والله بمد أن يولى لم يهراق في خلافته ملء محجمة بدم ، قال شيخنا أبو الحجاج المزنى في أطرافه : وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أم سلمة . وقد روى هذا الحديث من طريق جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، قال قال رسول الله - ﷺ : « إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين » . وكذا رواه عبد الرحمن بن معمر عن الأعمش به . وقال أبو يعلى : ثنا أبو بكر ثنا زيد بن الحباب ثنا محمد بن صالح التمار المدنى ثنا محمد بن مسلم بن أبي مریم عن سعيد بن أبي سعيد المدنى قال : كنا مع أبي هريرة إذ جاء الحسن بن علي قد سلم علينا قال : فتبعه | فلحقه [ وقال : وعليك السلام ياسيدى ، وقال سمعت رسول الله - ﷺ يقول : « إنه سيد » وقال أبو الحسن علي بن المدينى : كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية في الخامس من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقال غيره : في ربيع الآخر . ويقال في غرة جمادى الأولى فوالله أعلم . قال : وحينئذ دخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها بعد البيعة . وذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يأمر الحسن بن علي أن يخطب الناس ويعلمهم بتزوله عن الأمر لمعاوية ، فأمر معاوية الحسن فقام في الناس خطيباً فقال في خطبته بمد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله - ﷺ : أما بعد أيها الناس ! فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بأخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دول ، وإن الله تعالى قال لنبيه - ﷺ : [ وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ] ، فلما قلنا غضب معاوية وأمره بالجلوس ، وعتب على عمرو بن العاص في إشارته بذلك ، ولم يزل في نفسه لذلك والله أعلم . فأما الحديث الذي قال أبو عيسى الترمذى في جامعه : حدثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الطيالسى ثنا القاسم بن الفضل الخداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين - أو يامسود وجوه المؤمنين - فقال : لا تؤذني رحمك الله ، فإن النبي - ﷺ : أرى بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت [ إنا أعطيناك الكون ] يا محمد - يعني نهراً في الجنة - ونزلت [ إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ] بملكها بعدك بنو أمية يا محمد ، قال الفضل : فعددتنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً

ولا تنقص . ثم قال الترمذی : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي ، قال : وشيخه يوسف بن سعد ، ويقال يوسف بن ماذن - رجل مجهول - قال : ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، فانه حديث غريب بل منكر جداً ، وقد تكلمنا عليه في كتاب التفسير بما فيه كفاية وبيننا وجه نكارتة ، وناقشنا القاسم ابن الفضل فيما ذكره ، فمن أراد ذلك فليراجع التفسير والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي : ثنا إبراهيم بن مخلد بن جعفر ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيم ثنا عباس بن محمد ثنا أسود بن عامر ثنا زهير بن معاوية ثنا أبو روق الهمداني ثنا أبو العريف قال : كنا في مقدمة الحسن بن علي إنا عشر ألفاً بمسكن مستميتين من الجدة على قتال أهل الشام ، وعلينا أبو العمر طه فلما جاءنا بصلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الفيظ ، فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قال له رجل منا يقال له أبو عامر سعيد بن النتل : السلام عليك يا مندل المؤمنين فقال : لا تقل هذا يا عامر ! لست بمندل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك . ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه الكرامة في سائر الأقاليم والآفاق ، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دهاة العرب - وقد كان عزم على الشقاق - وحصل على بيعة معاوية عامئذ الاجماع والاتفاق ، ترحل الحسن ابن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوانهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية على ما كنها أفضل الصلاة والسلام ، وجعل كلما مر يحيى من شيعتهم يكتبونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية ، وهو في ذلك هو البار الراشد المدوح ، وليس يجد في صدره حرجاً ولا تلوماً ولا ندماً ، بل هو راض بذلك مستبشر به ، وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهل وشيعتهم ، ولا سيما بعد ذلك بمدد وهلم جرأ إلى يومنا هذا . والحق في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة ، كما مدحه على ذلك رسول الله - كما تقدم في الحديث الصحيح والله الحمد والمنة . وسيأتي فضائل الحسن عند ذكر وفاته رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات الفردوس متقلبه ومتواه ، وقد فعل . وقال محمد بن سعد : أنا أبو نعيم ثنا شريك عن عاصم عن أبي رزين . قال : خطبنا الحسن بن علي يوم جمعة فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها . وروى ابن عساكر عن الحسن أنه كان يقرأ كل ليلة سورة الكهف في لوح مكتوب يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينام وهو في الفراش رضي الله عنه .

### معاوية بن ابي سفيان وملكه

قد تقدم في الحديث أن الخلافة بعده عليه السلام ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً ، وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فأيام معاوية أول الملك ، فهو أول ملوك الاسلام وخيارهم . قال

الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أحمد بن يونس ثنا الفضيل بن عياض عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الخشني عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالوا قال رسول الله ﷺ ، « إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ، ثم يكون رحمة وخلافة ، ثم كائن ملكان عضوضا ، ثم كائن عتواً وجبرية وفساداً في الأرض ، يستحلون الحريم والفروج والخمر ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل » . إسناد جيد . وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الوارد من طريق إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر وفيه ضعف عن عبد الملك بن عمر قال قال معاوية : والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ ، لي : « يا معاوية إن ملكت فأحسن » . رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العباس بن محمد عن محمد بن سابق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن إسماعيل ، ثم قال البيهقي : ولد شواهد من وجود آخر ، منها حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص عن جده سعيد أن معاوية أخذ الادوية فتبع رسول الله فنظر إليه فقال له : « يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل » قال معاوية : فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ : « ومنها حديث راشد بن سعد عن معاوية قال قال رسول الله ﷺ : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم » قال أبو الدرداء : كلمة سمها معاوية من رسول الله ﷺ ، فنفعه الله بها . ثم روى البيهقي من طريق هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « الخلافة بالمدينة ، والملك بالشام » غريب جداً ، وروى من طريق أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ : « رأيت عموداً من نور يخرج من تحت رأسي فظننت أنه مذهب به ، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام ، وإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام » . وقد رواه سعيد عن عبد العزيز عن عطية ابن قيس عن يونس بن ميسرة عن عبد الله بن عمرو . ورواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليمان بن عامر عن أبي أمامة . وروى يعقوب بن سفيان عن نصر بن محمد بن سليمان السلمى الحمصي عن أبيه عن عبد الله بن قيس ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عموداً من نور يخرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقر بالشام » . وقال عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال قال رجل يوم صفين : اللهم العن أهل الشام ، فقال له علي : لا تسب أهل الشام فإن بها الأبدال فإن بها الأبدال . وقد روى هذا الحديث من وجه

آخر مرفوعاً : **فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه**

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الرحمن القرشي الأموي ، خال المؤمنين ، وكتب وحى رب العالمين ، أسلم هو وأبوه وأمه هند

ﷺ

بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح . وقد روى عن معاوية أنه قال : أسلمت يوم عمرة القضاء ولكني كنت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح ، وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية ، وآلت إليه رئاسة قريش بعد يوم بدر ، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب ، وكان رئيساً مطاعاً ذاملاً جزيل ، ولما أسلم قال : يا رسول الله مرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم ، قال معاوية تجمعه كاتباً بين يديك ، قال : نعم » ثم سأل أن يزوجه رسول الله (س) ، بابنته ، وهي عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة ، فلم يقع ذلك ، وبين رسول الله (س) أن ذلك لا يجل له . وقد تكلمنا على هذا الحديث في غير موضع ، وأفردنا له مصنفاً على حدة والله الحمد والمنة . والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله (س) ، مع غيره من كتاب الوحي رضى الله عنهم . ولما فتحت الشام ولاة عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأقره على ذلك عثمان ابن عفان وزاده بلاداً أخرى ، وهو الذي بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة ، قاله الحافظ ابن عساكر . ولما ولي تلي بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولى عليها سهل بن حنيف فعزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة من أهل الشام ومانع عليها عنها وقد قال : لا أبايه حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قتل مظلوماً ، وقد قال الله تعالى : [ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ] . وروى الطبراني عن ابن عباس أنه قال : ما زلت موقناً أن معاوية يلي الملك من هذه الآية . أوردنا سنده ومثته عند تفسير هذه الآية . فلما امتنع معاوية من البيعة لعل حتى يسلمه القتلة ، كان من صفين ما قدمنا ذكره ، ثم آل الأمر إلى التحكيم ، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام في الصعدة الظاهرة ، واستفحل أمر معاوية ، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم كما تقدم ، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي ، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان . ثم ركب الحسن في جنود العراق عن غير إرادة منه ، وركب معاوية في أهل الشام . فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح فانهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان ، وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة إحدى وأربعين - ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما بايعه الناس - واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، وصمى . هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكامة فيه على أمير واحد بعد الفرقة ، فولى معاوية قضاء الشام لفضالة بن عبيد ، ثم بعده لأبي إدريس الخولاني . وكان على شرطه قيس بن حمزة ، وكان كاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور الرومي ، ويقال إنه أول من اتخذ الحرس وأهل من حزم الكتب وختمها ، وكان أول الأحداث في دولته رضى الله عنه .

## خروج طائفة من الخوارج عليه

وكان سبب ذلك أن معاوية لما دخل الكوفة وخرج الحسن وأهله منها قاصدين إلى الحجاز، قالت فرقة من الخوارج - نحو من خمسمائة - : جاء مالا يشك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، فساروا حتى قربوا من الكوفة وعليهم فرقة بن نوفل، فبعث إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام فطردوا الشاميين، فقال معاوية: لا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائقكم، فخرجوا إلى الخوارج فقالت لهم الخوارج: ويلكم ماتبغون؟ أليس معاوية عدوكم وعدونا؟ فدعونا حتى نقاتله فإن أصبنا كنا قد كفيناكموه، وإن أصبنا كنتم قد كفيتمونا. فقالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالت الخوارج: يرحم الله إخواننا من أهل البرء إن كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، فاقتلوا فهزمهم أهل الكوفة وطردهم، ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له المغيرة بن شعبه: توليه الكوفة وأباد مصر وتبقى أنت بين لحي الأسد؟ فنسأله عن ذلك وولى عليها المغيرة بن شعبه، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال: أتجعل المغيرة على الخراج؟ هلا وليت الخراج رجلاً آخر؟ فعزله عن الخراج وولاه على الصلاة، فقال المغيرة لعمرو في ذلك، فقال له: أأنت المشير على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو؟ قال: بلى! قال: فهذه بتلك. وفي هذه السنة وثب حمران بن أبان على البصرة فأخذها وتغلب عليها، فبعث معاوية جيشاً ليقتلوه ومن معه، فجاء أبو بكر التقي إلى معاوية فسأله في الصفح والعمو، فعفى عنهم وأطلقهم وولى على البصرة بسر بن أبي أرطاة، فتسلط على أولاد زياد يريد قتلهم، وذلك أن معاوية كتب إلى أبيهم ليحضر إليه فلبث، فكتب إليه بسر: أئن لم تسرع إلى أمير المؤمنين وإلا قتلت بديك، فبعث أبو بكر إلى معاوية في ذلك. وقد قال معاوية لأبي بكر: هل من عهد تعهده إلينا؟ قال: نعم! أعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحاً فانك قد تقاتلت عظيمًا، خلافة الله في خلقه، فأتق الله فان لك غاية لا تعدوها، ومن ورائك طالب حثيث وأوشك أن يبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم به منك، وإنما هي محاسبة وتوقيف، فلا تؤثرن على رضا الله شيئاً. ثم ولى معاوية في آخر هذه السنة البصرة لعبد الله بن عامر، وذلك أن معاوية أراد أن يوليها لعتبة بن أبي سفيان فقال له ابن عامر: إن لي بها أموالاً وودائع، وإن لم توليها هلكت، فولاه إياها وأجابه إلى سؤاله في ذلك. قال أبو معشر: وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان، وقال الواقدي: إنما حج بهم عنيسة بن أبي سفيان فأنه أعلم.

## من أعيان من توفي هذا العام

رفاعة بن رافع بن مالك بن المجلان شهد العقبة وبدراً وما بعد ذلك.



### ركانة بن عبد العزيز

ابن هشام بن عبد المطلب القرشي ، وهو الذي صارعه النبي (ص) ، فصرعه ، وكان هذا من أشد الرجال ، وكان غلب رسول الله (ص) ، له من المعجزات كما قدمنا في دلائل النبوة ، أسلم عام الفتح ، وقيل قبل ذلك بمكة فآله أعلم .

### صفوان بن أمية

ابن خلف بن وهب بن حذافة بن وهب القرشي ، أحد الرؤساء تقدم أنه هرب من رسول الله (ص) ، عام الفتح ، ثم جاء فأسلم وحسن إسلامه ، وكان الذي استأمن له عمير بن وهب الجمحي . وكان صاحبه وصديقه في الجاهلية كما تقدم ، وقدم به في وقت صلاة العصر فاستأمن له فأمنه رسول الله (ص) ، أربعة أشهر ، واستعار منه أدرعاً وسلاحاً ومالا . وحضر صفوان حينئذ مشركاً ، ثم أسلم ودخل الإيمان قلبه ، فكان من سادات المسلمين كما كان من سادات الجاهلية . قال الواقدي : ثم لم يزل مقبياً بمكة حتى توفي بها في أول خلافة معاوية .

### عثمان بن طلحة

ابن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عبد الدار العبدي الحنفي ، أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص في أول سنة ثمان قبل الفتح . وقد روى الواقدي حديثاً طويلاً عنه في صفة إسلامه ، وهو الذي أخذ منه رسول الله مفتاح الكعبة عام الفتح ثم رده إليه وهو يتلو قوله تعالى [ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ] وقال له : « خذها يا عثمان خالدة تالدة لا ينتزعها منكم إلا ظالم » . وكان على قد طلبها فمنعه من ذلك . قال الواقدي : نزل المدينة حياة رسول الله ، فلما مات نزل بمكة فلم يزل بها حتى مات في أول خلافة معاوية .

### عمرو بن الأسود السكوني

كان من العباد الزهاد ، وكانت له حلة بمائتي درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل ، وكان إذا خرج إلى المسجد وضع يمينه على شماله مخافة الخيلاء ، روى عن معاذ ، وعبادة بن الصامت ، والعرباض بن سارية وغيرهم ، وقال أحمد في الزهد : ثنا أبو اليمان ثنا ابن بكر عن حكيم بن عمير وضمرة بن حبيب قالا : قال عمر بن الخطاب : من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله (ص) ، فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود .

### عاتكة بنت زيد

ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزيز ، وهي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة ، أسلمت وهاجرت وكانت من حسان النساء وعبادهن ، تزوجها عبيد الله بن أبي بكر فنتيم بها ، فلما قتل في غزوة الطائف آلت أن لا تزوج بعده ، فبعث إليها عمر بن الخطاب - وهو ابن عمها - فتزوجها ، فلما

قتل عنها خلف بعده عليها الزبير بن العوام ، فقتل بوادي السباع ، فبعث إليها علي بن أبي طالب بخطبها فقالت : إني أخشى عليك أن تقتل ، فأبت أن تزوجه ولو تزوجته لقتل عنها أيضاً ، فاتهم نزل حتى ماتت في أول خلافة معاوية في هذه السنة رحمها الله .

### سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان والروم فقتلوا من أمرائهم وبطارقهم خلقاً كثيراً ، وغنموا وسلوا ، وفيها ولي معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة ، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبه ، وعلى قضائها شريح القاضي ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى خراسان قيس ابن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر . وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا قد عني عنهم على يوم النهروان ، وقد عوفي جرحام وثابت إليهم قوام ، فلما بلغهم مقتل علي ترحموا على قاتله ابن ملجم وقال قائلهم : لا يقطع الله يداً علت قذال علي بالسيف ، وجملوا يحمدون الله على قتل علي ، ثم عزمواعنى الخروج على الناس وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يزعمون . وفي هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية - وكان قد امتنع عليه قريباً من سنة في قلعة عرفت به يقال لها قلعة زياد - فكتب إليه معاوية : ما يملكك على أن تهلك نفسك ؟ أقدم علي فأخبرني بما صار إليك من أموال فارس وما صرفت منها وما بقي عندك فأتني به وأنت آمن ، فان شئت أن تقيم عندنا فعلت وإلا ذهبت حيث ما شئت من الأرض فانت آمن . فعند ذلك أزمع زياد السير إلى معاوية ، فبلغ المغيرة قدمه فخشى أن يجتمع بمعاوية قبله ، فسار نحو دمشق إلى معاوية فسبقه زياد إلى معاوية بشهر فقال معاوية للمغيرة : ما هذا وهو أبعد منك وأنت جئت بعده بشهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه ينتظر الزيادة وأنا أنتظر النقصان ، فأكرم معاوية زياداً وقبض ما كان معه من الأموال وصدقه فيما صرفه .

### سنة ثلاث ورابعين

فيها غزا بسر بن أبي أرطاة بلاد الروم مو - فيها حتى بلغ مدينة قسطنطينية ، وشتى ببلادهم فيها زعمد الواقدي ، وأنكر غيره ذلك وقالوا : لم يكن بها مشتي لأحد قط فالله أعلم . قال ابن جرير : وفيها مات عمرو بن العاص بمصر ، وعهد بن مسلمة ، قلت : وسندك ترجمة كل منهما في آخرها ، فولى معاوية بعد عمرو بن العاص على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو ، قال الواقدي : فعمل له عليها سنتين . وقد كانت في هذه السنة - أعني سنة ثلاث وأربعين - وقعة عظيمة بين الخوارج وجند الكوفة ، وذلك أنهم صمموا - كما قدمنا - على الخروج على الناس في هذا الحين ، فاجتمعوا في قريب من ثلثمائة عليهم المستورد بن علقمة ، فجهز عليهم المغيرة بن شعبه جنداً عليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف ، فصار إليهم وقدم بين يديه أبا الرواع في طليعة هي ثلثمائة على عدة الخوارج ، فلقبهم أبو

الرواع يمكن يقال له المذار : فاقتلوا معهم فهزمهم الخوارج ثم كروا عليهم فهزمتهم الخوارج ، ولكن لم يقتل أحد منهم ، فلزموا مكانهم في مقاتلتهم ينتظرون قدوم أمير الجيش معقل بن قيس عليهم ، فما قدم عليهم إلا في آخر نهار غربت فيه الشمس ، فتنزل وصلى بأصحابه ، ثم شرع في مدح أبي الرواع فقال له : أيها الأمير إن لهم شدات منكرا ، فكن أنت رداً للناس ، وصر الفرسان فليقاتلوا بين يديك ، فقال معقل بن قيس : نعم ما رأيت ، فما كان إلا ريثما قال له ذلك حتى حملت الخوارج على معقل وأصحابه ، فأنجفل عنه عامة أصحابه ، فترجل عند ذلك معقل بن قيس وقال : يامعشر المسلمين الأرض الأرض ، فترجل معه جماعة من الفرسان والشجعان قريب من مائتي فارس ، منهم أبو الرواع الشاكري ، فحمل عليهم المستورد بن علقمة بأصحابه فاستقبلوهم بالرماح والسيوف ، ولحق بقية الجيش بعض الفرسان فسرهم وعيرهم وأنهبهم على الفرار فرجع الناس إلى معقل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار قتالا شديداً ، والناس يتراجعون في أثناء الليل ، فصفهم معقل بن قيس ميمنة وميسرة ورتبهم وقال : لا تبرحوا على مصافكم حتى تصبح فنحمل عليهم ، فما أصبحوا حتى هزمت الخوارج فرجعوا من حيث أتوا ، فسار معقل في طلبهم وقدم بين يديه أبا الرواع في ستائة فالتقوا بهم عند طلوع الشمس فنار إليهم الخوارج فتبارزوا ساعة ، ثم حلوا حملة رجل واحد فصبر لهم أبو الرواع بمن معه ، وجعل يدرهم ويعيرهم ويؤنبهم على الفرار ويحثهم على الصبر فصبروا وصدقوا في الثبات حتى ردوا الخوارج إلى أماكنهم ، فلما رأته الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتلهم شيئاً ، فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا في أرض نهرشير ، وتبعهم أبو الرواع ولحقه معقل بن قيس ، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة فركب إليهم شريك بن عبيد - نائب المدائن - ولحقهم أبو الرواع بمن معه من المقدمة . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة . ومن توفي بها عمرو بن العاص ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهما . أما عمرو بن العاص فهو عمرو ابن العاص [ بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب انقرشي السهمي ، أبو عبد الله ، ويقال أبو محمد ، أحد رؤساء قريش في الجاهلية ، وهو الذي أرسلوه إلى النجاشي ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يجبههم إلى ذلك لعنله ، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك ، فيقال إنه أسلم على يديه وانصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالده بن الوليد ، وعثمان بن طلحة العبدي . وكان أحد أمراء الاسلام ، وهو أمير ذات السلاسل ، وأمدد رسول الله (ص) بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفاروق ، واستعمله رسول الله (ص) على عمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله (ص) ، وأقره عليها الصديق . وقد قال الترمذي : ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة ثنا مشرح بن عاهان عن عقبه بن عامر . قال قال رسول الله (ص) : « أسلم

الناس وآمن عمرو بن العاص « وقال أيضاً : ثنا إسحاق بن منصور ثنا أبو أسامة عن نافع عن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة . قال قال طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله يقول : « إن عمرو بن العاص من صالحى قريش » وفي الحديث الآخر : « ابنا العاص مؤمنان » وفي الحديث الآخر : « نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله » . روي في فضائل عمرو بن العاص . ثم إن الصديق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام فكان ممن شهد تلك الحروب ، وكانت له الآراء السديدة ، والمواقف الحميدة ، والأحوال السعيدة . ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابها عليها ، وأقره فيها عثمان بن عفان أربع سنين ثم عزله كما قدمنا ، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فاعتزل عمرو بفلسطين وبقى في نفسه من عثمان رضى الله عنهما . فلما قتل سار إلى معاوية فشهد موافقه كلها بصفين وغيرها ، وكان هو أحد الحكمين . ثم لما أن استرجع معاوية مصر وانزعها من يد محمد بن أبي بكر ، استعمل عمرو بن العاص عليها فلم يزل نائبها إلى أن مات في هذه السنة على المشهور ، وقيل إنه توفي سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين . وقيل سنة إحدى وخمسين رحمه الله . وقد كان ممدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوى آرائهم . وله أمثال حسنة وأشعار جيدة . وقد روى عنه أنه قال : حفظت من رسول الله (س) ألف مثل ، ومن شعره :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه \* ولم ينه قلباً غاوباً حيث يمتما  
قضى وطراً منه وغادر سبة \* إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقال الامام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ثنا عبد الله - يعني ابن المبارك - أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شامة حدثه قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله : لم تبكى ؟ أجزعاً على الموت ؟ فقال : لا والله ولكن مما بعد الموت ، فقال له : قد كنت على خير ، فجعل يذكره صحبة رسول الله وفتوحه الشام ، فقال عمرو : تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسى فيه ، كنت أول قريش كافراً ، وكنت أشد الناس على رسول الله (س) ، فلومت حينئذ وجبت لى النار ، فلما بايعت رسول الله (س) ، كنت أشد الناس حياء منه ، فما ملأت عيني من رسول الله ولا راجعته فيما أريد حتى لحق بالله حياء ، فلومت يومئذ قال الناس : هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير فمات عليه نرجو له الجنة . ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري على أم لى ، فاذا مت فلا تبكين على باكية ، ولا يتبعنى مادح ولا تار ، وشدوا على إزارى فاني مخاصم ، وشنوا على التراب شنأ ، فان جنبى الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا نجملن فى قبرى خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني فاقعدوا عندى قدر نحر جزور أستأنس بكم . وقد روى مسلم هذا الحديث فى صحيحه من

حديث يزيد بن أبي حبيب باسناده نحوه وفيه زيادات على هذا السياق ، فمنها قوله : كي أستأنس بكم لأنظر ماذا أراجع رسل ربي عزوجل . وفي رواية أنه بعد هذا حول وجهه إلى الجدار وجعل يقول : اللهم أمرتنا فحسينا ، ونهيتنا فما انتهينا ، ولا يسعنا إلا عفوك . وفي رواية أنه وضع يده على موضع اللؤلؤ من عنقه ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم لا قوى فانتصر ، ولا برى فاعتذر ، ولا مستنكر بل مستغفر ، لا إله إلا أنت ، فلم يزل يرددتها حتى مات رضى الله عنه .

وأما محمد بن مسلمة الأنصارى [ فقد ] أسلم على يدى مصعب بن عمير قبل أسيد بن حضير وسعد ابن معاذ ، شهد بدرًا وما بعدها إلا تبوك فإنه استخلفه رسول الله على المدينة في قول ، وقيل استخلفه في قرقرة الكدر ، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودى ، وقيل إنه الذى قتل مرحباً اليهودى يوم خيبر أيضاً . وقد أمره رسول الله (س) ، على نحو من خمس عشرة سرية ، وكان ممن اعتزل تلك الحروب بالجلل وصفين ونحو ذلك ، واتخذ سيفاً من خشب . وقد ورد في حديث قدمنا أنه أمره رسول الله (س) ، بذلك وخرج إلى الربذة . وكان من سادات الصحابة ؛ وكان هو رسول عمر إلى عماله وهو الذى شاطرم عن أمره ، وله وقائع عظيمة وصيانة وأمانة بليغة ، رضى الله عنه ، واستعمله على صدقات جهينة ، وقيل إنه توفى سنة ست أو سبع وأربعين ، وقيل غير ذلك . وقد جاوز السبعين ، وترك بعده عشرة ذكور وست بنات ، وكان أسمر شديد السمرة طويل الأصلع رضى الله عنه .

ومن توفى فيها عبد الله بن سلام أبو يوسف الأسرائيلى أحد أخصاب اليهود ، أسلم حين قدم رسول الله (س) ، المدينة ، قال : لما قدم رسول الله المدينة أنجفل الناس إليه فكنت فيمن أنجفل إليه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أمها الناس افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وحلوا الأرحام تدخلوا الجنة بسلام » . وقد ذكرنا صفة إسلامه أول الهجرة ، وماذا سأل عنه رسول الله (س) ، من الأسئلة النافعة الحسنة ، رضى الله عنه . وهو ممن شهد له رسول الله بالجنة ، وهو ممن يقطع له بدخولها .

### سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ووجه المسلمون وشتوا هنالك ، وفيها غزا بسر ابن أبي أرطاة في البحر ، وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وذلك أنه ظهر فيها الفساد وكان لئيم العريكة سهلاً ، يقال إنه كان لا يقطع لصاً ويريد أن يتألف الناس ، فذهب عبد الله بن أبي أوفى المعروف بابن الكوا فشكاه إلى معاوية ، فعزل معاوية ابن عامر عن البصرة وبعث إليها الحرث بن عبد الله الأزدي ، ويقال إن معاوية استدعاه إليه ليؤرد فقدم ابن عامر على معاوية دمشق فأكرمه وردد على عمله ، فلما ودعه قال له معاوية : ثلاث أسألكن فقل هي لك وأنا ابن أم

حكيم ، ترد على عملي ولا تفضب ، قال ابن عامر : قد فعلت ، قال معاوية : ونهب لي مالك بركة ، قال : قد فعلت . قال : ونهب لي دورك بمكة ، قال : قد فعلت . فقال له معاوية : وصلتك رحماً ، فقال ابن عامر : يا أمير المؤمنين وإني سأئك ثلاثاً قتل هي لك وأنا ابن هند ، قال : ترد على مالي بركة ، قال : قد فعلت قال ولا نحاسب : لي عاملاً ولا أميراً ، قال : قد فعلت ، قال : وتنكحني ابنتك هنداً ، قال : قد فعلت : ويقال إن معاوية خيره بين هذه الثلاث وبين الولاية على البصرة فاختار هذه الثلاث واعتزل عن البصرة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد ابن أبيه فألقه بأبي سفيان ، وذلك أن رجلاً شهد على إقرار أبي سفيان أنه عاهر بسمية أم زياد في الجاهلية ، وأنها حملت بزياد هذا منه ، فلما استلحقه معاوية قيل له زياد بن أبي سفيان ، وقد كان الحسن البصري ينكر هذا الاستلحاق ويقول : قال رسول الله (ص) : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وقال أحمد : ثنا هشيم ثنا خالد عن أبي عثمان قال : لما ادعى زياد لقيت أبا بكره فقلت : ما هذا الذي صنعتم ؟ سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : سمعت أذني رسول الله (ص) يقول : « من ادعى أبا في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » فقال أبو بكره : وأنا سمعته من رسول الله (ص) ، أخرجاه من حديث أبي عثمان عنهما . قلت : أبو بكره واسمه نبيع وأمه سمية أيضاً . وحج بالناس في هذه السنة معاوية ، وفيها عمل معاوية المقصورة بالشام ، ومر وان مثلها بالمدينة . وفي هذه السنة توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين ، واسمها رملة أخت معاوية ، أسلمت قديماً وهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر هناك زوجها ، وثبتت على دينها رضي الله عنها ، وحبيبة هي أكبر أولادها منه ، ولدتها بالحبشة وقيل بمكة قبل الهجرة ، ومات زوجها هنالك لعنه الله وقبحه . ولما تأمت من زوجها بعث رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجها منه ، وولى العقدة خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدقها عنه النجاشي أربعمئة دينار وحملها إليه في سنة سبع ، ولما جاء أبوها عام الفتح ليشهد العقد دخل عليها فثقت عنه فراش رسول الله فقال لها : والله يابنية ما أدري أرغبت بهذا الفراش عن أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك ، فقال لها : والله يابنية لقد لقيت بعدى شراً . وقد كانت من سيدات أمهات المؤمنين ومن العابدات الورعات رضي الله عنها . قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحارث قال : سمعت عائشة تقول : دعنتي أم حبيبة عند موتها فقالت : قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : يغفر الله لي ولك ، ما كان من ذلك كله وتجاوزت وحاللتك ، فقالت : سررتيني شرك الله . وأسلمت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .

## سنة خمس وأربعين

فيها ولي معاوية البصرة للهارث بن عبد الله الأزدي ، ثم عزله بعد أربعة أشهر ، وولى زياداً  
 قدم زياد الكوفة ، وعليها المغيرة فأقام بها لياتيه رسول معاوية بولاية البصرة ، فظن المغيرة أنه قد  
 جاء على إمرة الكوفة فبعث إليه وائل بن حجر ليعلم خبره فاجتمع به فلم يقدر منه على شيء ، فجاء البريد  
 إلى زياد أن يسير إلى البصرة ، واستعمله على خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .  
 ودخل زياد البصرة في مستهل جمادى الأولى فقام في أول خطبة خطبها - وقد وجد الفسق ظاهراً -  
 فقال فيها : أيها الناس كأنكم لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب لأهل الطاعة ، والعذاب لأهل  
 المعصية تكونون كمن طرقت جبينه الدنيا وفسدت مسامحه الشهوات ، فاختر الفانية على الباقية . ثم  
 مازال يقيم أمر السلطان ويجرد السيف حتى خافه الناس خوفاً عظيماً ، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي  
 الظاهرة ، واستعان بجماعة من الصحابة ، وولى عمران بن حصين القضاء بالبصرة ، وولى الحكم بن  
 عمرو الغفاري نيابة خراسان ، وولى سمرة بن جندب وعبد الرحمن بن سمرة وأنس بن مالك ، وكان  
 حازم الرأي ذا هبة داهية ، وكان مفوهاً فصيحاً بليغاً . قال الشعبي : ما سمعت منكماً قط تكلم  
 فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً فإنه كان كالأكثر كان أجهد كلاماً ، وقد  
 كانت له وجاهة عند عمر بن الخطاب . وفي هذه السنة غزا الحكم بن عمرو ونائب زياد على خراسان  
 جبل الأمل عن أمر زياد فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالاً كثيرة ، فكتب إليه زياد : إن  
 أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفي له كل صفراء وبيضاء - يعني الذهب والفضة - يجمع كله من  
 هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو : إن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين ،  
 وإنه والله لو كانت السموات والأرض على عدو فاتق الله يجعل له مخرجاً ، ثم نادى في الناس : أن  
 اغدوا على قسم غنيمتكم ، قسمها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية ، وعزل الحسن كما  
 أمر الله ورسوله ، ثم قال الحكم : إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك ، فمات عمرو من خراسان رضي  
 الله عنه . قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وكان نائب المدينة .  
 وفي هذه السنة توفي زيد بن ثابت الأنصاري أحد كتاب الوحي ، وقد ذكرنا ترجمته فيهم  
 في أواخر السيرة ، وهو الذي كتب هذا المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان بن عفان ، وهو  
 خط جيد قوي جداً فيما رأيته ، وقد كان زيد بن ثابت من أشد الناس ذكاءً تعلم لسان يهود وكتابهم  
 في خمسة عشر يوماً ، قال أبو الحسن بن البراء : تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً ،  
 وتعلم الحبشية والرومية والقبطية من خدام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال الواقدي : وأول مشاهد الخندق  
 وهو ابن خمس عشرة سنة . وفي الحديث الذي رواه أحمد والنسائي : « وأعلمهم بالفرائض زيد بن

ثابت . « وقد استعمله عمر بن الخطاب على القضاء ، وقال مسروق : كان زيد بن ثابت من الراسخين ، وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال له : تنح يا ابن عم رسول الله ، فقال : لا ! هكذا نفعل بملأنا وكبرائنا . وقال الأعمش عن ثابت عن عبيد قال : كان زيد بن ثابت من أفكك الناس في بيته ومن أذمها إذا خرج إلى الرجال . وقال محمد بن سيرين : خرج زيد بن ثابت إلى الصلاة فوجد الناس راجعين منها فتواري عنهم ، وقال : من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله . مات في هذه السنة وقيل في سنة خمس وخمسين ، والصحيح الأول ، وقد قارب الستين وصلى عليه مروان ، وقال ابن عباس : لقد مات اليوم عالم كبير . وقال أبو هريرة : مات حبر هذه الأمة .

وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش عن سبعين ، وقد شهد بدرًا وما بعدها ولا عقب له . وعاصم ابن عدي ، وقد استخلفه رسول الله حين خرج إلى بدر على قبا وأهل العالية ، وشهد أحداً وما بعدها ، وتوفي عن خمس وعشرين ومائة ، وقد بعثه رسول الله هو ومالك بن الدخشم إلى مسجد الضرار فخرقاه .

وفيها توفيت حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، وكانت قبل رسول الله . نحت حنيس بن حذافة السهمي ، وهاجرت معه إلى المدينة فتوفى عنها بعد بدر ، فله انقضت عدتها عرضها أبوها علي عثمان بعد وفاة زوجته رقية بنت رسول الله . ، فأبى أن يتزوجها ، فعرضها على أبي بكر فلم يرد عليه شيئاً ، فما كان عن قريب حتى خطبها رسول الله . ، فتزوجها ، فعاتب عمر أبا بكر بعد ذلك في ذلك فقال له أبو بكر : إن رسول الله كان قد ذكرها فما كنت لأفتي سر رسول الله . ، ولو تركها لتزوجتها . وقد روينا في الحديث أن رسول الله . ، طلق حفصة ثم راجعها . وفي رواية أن جبريل أمره بمراجعتها ، وقال : إنها صوامة قوامة ، وهي زوجتك في الجنة . وقد أجمع الجمهور أنها توفيت في شعبان من هذه السنة عن ستين سنة ، وقيل إنها توفيت أيام عثمان والأول أصح .

### سنة ست وأربعين

فيها شق المسلمون ببلاد الروم مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل كان أميرهم غيره والله أعلم . وحج بالناس فيها عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، والعمال على البلاد هم المتقدم ذكروهم . ومن توفى في هذه السنة سالم بن عمير أحد البكائين المذكورين في القرآن ، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد كلها .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



## سراقة بن كعب شهد بدرًا وما بعدها

## عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

القرشي المخزومي ، وكان من الشجعان المعروفين والأبطال المشهورين كأيّيه ، وكان قد عظم ببلاد الشام لذلك حتى خاف منه معاوية ، ومات وهو مسموم رحمه الله وأكرم مثواه ، قال ابن منده وأبو نعيم الأصبهاني : أدرك النبي ﷺ . وقد روى ابن عساكر من طريق أبي عمر أن عمرو بن قيس روى عنه عن النبي ﷺ . في الحجامة بين الكتفين قال البخاري : وهو منقطع - يعني مرسلا - وكان كعب بن جعيل مداحاً له ولأخويه مهاجر وعبد الله . وقال الزبير بن بكار : كان عظيم القدر في أهل الشام ، شهد صفين مع معاوية . وقال ابن سميع : كان يلي الصوائف زمن معاوية ، وقد حفظ عن معاوية . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن رجلاً يقال له ابن أنثال - وكان رئيس الذمة بأرض حمص - سناه شربة فيها سم فمات ، وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح . وورثاه بعضهم فقال :

أبوك الذي قادَ الجيوشَ مغرباً \* إلى الروم لما أعطت الخرجَ فارسُ  
وكم من فتى نهته بعد هجمة \* بقرعِ لجامٍ وهو أكتع ناعسُ  
وما يستوى الصفان صفَّ لخالدٍ \* وصفَّ عليه من دمشق البرانسُ

وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة فقال له عروة بن الزبير : ما فعل ابن أنثال ؟ فسكت ، ثم رجع إلى حمص فثار على ابن أنثال فقتله ، فقال : قد كفيتك إياه ولكن ما فعل ابن جرموز ؟ فسكت عروة ومحمد بن مسلمة في قول ، وقد تقدم ثم هزم بن حبان العبدي وهو أحد عمال عمر بن الخطاب ، ولقي أويساً القرني وكان من عقلاء الناس وعلمائهم ، ويقال إنه لما دفن جاءت سحابة فروت قبره وحده ، ونبت العشب عليه من وقته والله أعلم .

## سنة سبع وأربعين

فيها شتى المسلمون ببلاد الروم ، وفيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن ديار مصر وولى عليها معاوية بن خديج ، وحج بالناس عتبة ، وقيل أخوه عنبسة بن أبي سفيان فله أعلم . ومن توفي فيها قيس بن عاصم المنقري ، كان من سادات الناس في الجاهلية والإسلام ، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية والإسلام ، وذلك أنه سكر يوماً فعبث بذات محرم منه فهربت منه ، فلما أصبح قيل له في ذلك فقال في ذلك :

رأيتُ الخمرَ منقصةً وفيها \* مقابحُ تفضحُ الرجلَ الكريماً

فلا واللهِ أشربها حياتي \* ولا أشقى بها أبداً سقياً

وكان إسلامه مع وفد بني تميم ، وفي بعض الأحاديث أن رسول الله قال : « هذا سيد أهل الوبر »

وكان جواداً ممدحاً كريماً وهو الذي يقول فيه الشاعر :

وما كان قيسَ هلكه هلك واحد \* ولكنهُ بنيانُ قومٍ تهتما

وقال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان : قيل للأخف بن

قيس من تهمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المقرئ ، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما يختلف إلى الفقهاء ، فبينما نحن عنده يوماً وهو قاعد بفنائه محبب بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف فقالوا :

هذا ابنك قتل ابن أخيك ، قال : فوالله ما حل جبوته حتى فرغ من كلامه ، ثم التفت إلى ابن له في

المسجد فقال : اطلق عن ابن عمك ، ووارأخك واحمل إلى أمه مائة من الأبل فاتها غريبة ، ويقال

إنه لما حضرته الوفاة جلس حوله بنوه - وكانوا اثنين وثلاثين ذكراً - فقال لهم : يا بني سوّدوا عليكم

أكبركم تخافوا أباكم ، ولا تسوّدوا أصغركم فيزدري بكم أكفأؤكم ، وعليكم بالمال واصطناعه فإنه نعم

ما يهبه الكريم ، ويستغنى به عن اللثيم ، وإياكم ومسألة الناس فاتها من أخس مكسبة الرجل ، ولا

تنوحوا عليّ فإن رسول الله لم ينح عليه ، ولا تدفنوني حيث يشرب بكر بن وائل ، فإني كنت أعاديهم

في الجاهلية . وفيه يقول الشاعر

عليك سلامُ الله قيسَ بن عاصم \* ورحمتهُ ما شاء أن يترحمها

نحيةً من أوليته منكَ منة \* إذا ذكرتَ مثلها تملأ الفمها

فما كان قيسَ هلكه هلك واحد \* ولكنهُ بنيانُ قومٍ تهتما

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فيها شق أبو عبد الرحمن القتيبي بالمسلمين ببلاد انطاكية ، وفيها غزا عقبة بن عامر بأهل مصر

البحر ، وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .

سنة تسع وأربعين

فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية ومعه جماعات من سادات الصحابة

منهم ابن عمرو بن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري . وقد ثبت في صحيح البخاري أن

رسول الله - ص - قال : « أول جيش يفزون مدينة قيصر مغفور لهم » فكان هذا الجيش أول من

غزاها ، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد . وفيها توفي أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، و [ قيل ]

لم يمت في هذه الغزوة بل بعدها سنة إحدى أو ثنتين أو ثلاث وخمسين كما سيأتي . وفيها عزل معاوية

مروان عن المدينة وولى عليها سعيد بن العاص ، فاستقضى سعيد عليها أبا سلمة بن عبد الرحمن .

وفيها شق مالك بن هبيرة الفزاري بأرض الروم ، وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد ، وشق هنالك ،

ففتح البلد وغنم شيئاً كثيراً . وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز . وفيها وقع الطاعون بالكوفة فخرج

منها المغيرة فاراً ، فلما ارتفع الطاعون رجع إليها فأصابه الطاعون فمات ، والصحيح أنه مات سنة  
 خمسين كما سيأتي ، فجمع مع نوية لزياد الكوفة إلى البصرة ، فكان أول من جمع له بينهما ، فكان  
 يقيم في هذه سنة أشهر وهذه ستة أشهر ، وكان يستخلف على البصرة سمرة بن جندب . وحج بالناس  
 في هذه السنة سعيد بن العاص .

## ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

### الحسن بن علي بن ابي طالب

أبو محمد القرشي الهاشمي ، سبط رسول الله -س- ، ابن ابنته فاطمة الزهراء ، ووريجانته ، وأشبهه  
 خلق الله به في وجهه ، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، فحنكه رسول الله بريقه وسماه  
 حسناً ، وهو أكبر ولد أبويه ، وقد كان رسول الله -س- ، يحبه حباً شديداً حتى كان يتقبل ذبيحته وهو  
 صغير ، وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه ، وربما جاء ورسول الله -س- ، ساجد في الصلاة فيركب  
 على ظهره فيقره على ذلك ويطيل السجود من أجله ، وربما صعد معه إلى المنبر ، وقد ثبت في الحديث  
 أنه عليه السلام بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين يمشيان فأتوا فاحتضنهما وأحدهما  
 معه إلى المنبر وقال : « صدق الله [ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ] إني رأيت هذين يمشيان ويعثران فلم  
 أملك أن نزلت إليهما » ثم قال : « إنكم لمن روح الله وإنكم لتبجلون وتحببون » . وقد ثبت في  
 صحيح البخاري عن أبي عاصم عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن  
 الحارث أن أبا بكر صلى بهم العصر بعد وفاة رسول الله بليال ثم خرج هو وعلي يمشيان ، فرأى الحسن  
 يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه وجعل يقول : « يا باني شبه النبي ، ليس شبيهاً بعلي » . قال : وعلي  
 يضحك . وروى سفیان الثوري وغير واحد قالوا : ثنا وكيع ثنا إسماعيل بن أبي خالد سمعت  
 أبا جحيفة يقول : « رأيت النبي -س- ، وكان الحسن بن علي يشبهه » . ورواه البخاري ومسلم عن  
 حديث إسماعيل بن أبي خالد قال وكيع : لم يسمع إسماعيل من أبي جحيفة إلا هذا الحديث . وقال  
 أحمد : ثنا أبو داود الطيالسي ثنا زهدة عن ابن أبي مليكة قالت : كانت فاطمة تنقر للحسن بن علي  
 وتقول : يا باني شبه النبي ليس شبيهاً بعلي . وقال عبد الرزاق وغيره عن سمرة عن أنس  
 قال : كان الحسن بن علي أشبههم وجهاً برسول الله -س- . ورواه أحمد عن عبد الرزاق بن حنبل ،  
 وقال أحمد : ثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني عن علي قال : « الحسن أشبه برسول الله  
 ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله ما أسفل من ذلك » . ورواه الترمذي عن حديث  
 إسرائيل وقال حسن غريب . وقال أبو داود الطيالسي : ثنا قيس عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني  
 عن علي قال : كان الحسن أشبه الناس برسول الله من وجهه إلى سترته ، وكان الحسين أشبه الناس به

ما أسفل من ذلك . وقد روى عن ابن عباس وابن الزبير أن الحسن بن علي كان يشبه النبي (ص) .  
وقال أحمد : ثنا حازم بن الفضيل ثنا معتمر عن أبيه قال : سمعت أبا تميمة يحدث عن أبي عثمان  
التهدي يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد قال : « كان النبي (ص) يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد  
الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول : اللهم ارحمهما فاني أرحمهما » . وكذا رواه البخاري عن  
التهدي عن محمد بن الفضيل أخو حازم به ، وعن علي بن المديني عن يحيى القطان عن سليمان التيمي  
عن أبي تميمة عن أبي عثمان عن أسامة ، وأخرجه أيضاً عن موسى بن إسماعيل ومسدد عن معتمر  
عن أبيه عن أبي عثمان عن أسامة فلم يذكر أبا تميمة والله أعلم . وفي رواية : « اللهم إني أحبهما  
فأحبهما » . وقال شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال : رأيت النبي (ص) والحسن بن  
علي عاتقه وهو يقول : « اللهم إني أحبه فأحبه » . أخرجاه من حديث شعبة . ورواه علي بن الجعد  
عن فضيل بن مرزوق عن عدي عن البراء ، فزاد « وأحب من أحبه » وقال الترمذي : حسن  
صحيح . وقال أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن  
أبي هريرة عن النبي (ص) قال للحسن بن علي : « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » . ورواه  
مسلم عن أحمد وأخرجاه من حديث شعبة . وقال أحمد : ثنا أبو النضر ثنا ورقاء عن عبيد الله بن أبي  
يزيد عن نافع بن جبير عن أبي هريرة . قال : « كنت مع النبي (ص) في سوق من أسواق المدينة  
فانصرف وانصرفت معه ، فجاء إلى فناء فاطمة فقال أي لكع أي لكع فلم يجبه أحد ، فانصرف  
وانصرفت معه إلى فناء فعد ، قال : فجاء الحسن بن علي - قال أبو هريرة : ظننا أن أمه حبسته  
لتعمل في عنقه السخاب - فلما دخل التزمه رسول الله والتزم هو رسول الله ، ثم قال : إني أحبه  
وأحب من يحبه » ثلاث مرات . وأخرجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عبد الله به . وقال أحمد :  
ثنا حماد الخياط ثنا هشام بن سعد عن نعيم بن عبد الله المجر عن أبي هريرة . قال : « خرج رسول  
الله إلى سوق بني قينقاع متكئاً على يدي فطاف فيها ، ثم رجع فاحتبي في المسجد وقال : أين لكاع ؟  
ادعوا لي لكاع ، فجاء الحسن فاشتد حتى وثب في حبوته فأدخل فبه في فبه ثم قال : اللهم إني أحبه  
فأحبه وأحب من يحبه » ثلاثاً ، قال أبو هريرة : ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني ، أو قال : دمعت  
عيني أو بكيت - وهذا على شرط مسلم ولم يخرجوه . وقد رواه الثوري عن نعيم عن محمد بن سيرين  
عن أبي هريرة فذكر مثله أو نحوه . ورواه معاوية بن أبي بريدة عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه  
وفيه زيادة . وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي نحوه من هذا . ورواه عثمان بن أبي الباب عن  
ابن أبي مليكة عن عائشة بنحوه وفيه زيادة . وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي نحوه من هذا  
السياق . وقال سفيان الثوري وغيره عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال

رسول الله (ص): « من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » غريب من هذا الوجه . وقال أحمد : ثنا ابن نمير ثنا الحجاج - يعني ابن دينار - عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة قال : « خرج علينا رسول الله ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يا رسول الله إنك لتحبهما ، فقال : من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني » . تفرد به أحمد . وقال أبو بكر ابن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله قال : « كان رسول الله (ص) ، يصلي فجاء الحسن والحسين فجعل يتوثبان على ظهره إذا سجد ، فأراد الناس زجرهما فلما سلم قال للناس : هذان ابناي ، من أحبهما فقد أحبني » . ورواه النسائي من حديث عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن عاصم به . وقد ورد عن عائشة وأم سلمة أمي المؤمنين أن رسول الله اشتمل علي الحسن والحسين وأمهما وأبيهما فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » وقال محمد بن سعد : ثنا محمد ابن عبد الله الأمدى ثنا شريك عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله . قال قال رسول الله : « من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلي نظر إلى الحسن ابن علي » وقد رواه وكيع عن الربيع بن سعد عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر فذكر مثله ، وإسناده لا بأس به ، ولم يخرجوه . وجاء من حديث علي وأبي سعيد وبريدة أن رسول الله قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » . وقال أبو القاسم البغوي : ثنا داود بن عمرو ثنا إسماعيل ابن عياش حدثني عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعد بن راشد عن يعلى بن مرة . قال : « جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده تحت رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، ثم جاء الآخر فجعل يده إلى الأخرى في رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال : اللهم إني أحبهما فأحبهما ، ثم قال : أيها الناس إن الولد مبغلة مجبنة مجهلة » وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي خيثم عن محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه « أن رسول الله أخذ حسنا قبله ثم أقبل عليهم فقال : إن الولد مبغلة مجبنة » وقال ابن خزيمة : ثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي ثنا زيد بن الحباب ح وقال أبو يعلى أبو خيثمة : ثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « كان رسول الله (ص) ، يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمتران ويقومان ، فنزل رسول الله إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر ، ثم قال : صدق الله ! إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، رأيت هذين الصبيين فلم أصبر ، ثم أخذ في خطبته » . وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الحسين بن واقد ، وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد رواه محمد الضمري عن زيد بن أرقم فذكر القصة للحسن وحده : وفي

حديث عبد الله بن شداد عن أبيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم إحدى صلواتي العشي فسجد سجدة  
 أطال فيها السجود ، فلما سلم قال الناس له في ذلك ، قال : إن ابني هذا - يعني الحسن - ارتحلني  
 فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » . وقال الترمذي عن أبي الزبير عن جابر قال : « دخلت على  
 رسول الله وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع ، فقلت : نعم الحمل حملكما  
 فقال : ونعم العدلان هما » على شرط مسلم ولم يخرجوه ، وقال أبو يعلى : ثنا أبو هاشم ثنا أبو عامر ثنا  
 زعنة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : « خرج رسول الله وهو حامل  
 الحسن على عاتقه فقال له رجل : يا غلام نعم المركب ركبت ، فقال رسول الله : ونعم الراكب هو » .  
 وقال أحمد : حدثنا تليد بن سليمان ثنا أبو الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال : « نظر  
 رسول الله إلى علي وحسن وحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم » . وقد رواه  
 النسائي من حديث أبي نعيم ، وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما عن سفیان الثوري عن أبي الحجاج  
 داود بن أبي عوف ، قال وكيع : وكان مريضاً - عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رسول الله قال عن  
 الحسن والحسين : « من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » وقد رواه أسباط عن  
 السدي عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم فذكره . وقال بقية عن مجير بن سعيد عن خالد  
 ابن معدان عن المقدم بن معدى كرب قال : سمعت رسول الله يقول : « الحسن مني والحسين من  
 علي » فيه نكارة لفظاً ومعنى . وقال أحمد : ثنا محمد بن أبي عدى عن ابن عوف عن عمير بن  
 إسحاق . قال : « كنت مع الحسن بن علي فلقينا أبو هريرة فقال : أرني أقبل منك حيث رأيت  
 رسول الله يقبل ، فقال : بقية ، قال : فقبل سرته » تفرد به أحمد ، ثم رواه عن إسماعيل بن عليه  
 عن ابن عوف . وقال أحمد : ثنا هاشم بن القاسم عن جرير عن عبد الرحمن أبي عوف الجرشي عن  
 معاوية . قال : « رأيت رسول الله يمص لسانه - أو قال شفته يعني الحسن بن علي - وإنه لن يعذب  
 لسان أو شفتان بمصهما رسول الله » . تفرد به أحمد ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي بكر .  
 وروى أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح  
 به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . وقد تقدم هذا الحديث في دلائل النبوة ، وتقدم قريباً عند  
 نزول الحسن لمعاوية عن الخلافة ، ووقع ذلك تصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ، هذا ، وكذلك ذكرناه في كتاب  
 دلائل النبوة وفيه الحمد والمنة . وقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه ، وكذلك عمر  
 ابن الخطاب ، فروى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه : أن عمر لما  
 عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف خمسة آلاف ، وكذلك كان عثمان بن  
 عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما . وقد كان الحسن بن علي يوم الدار - وعثمان بن عفان محصور -

عنده ومعه السيف متقلداً به يحاجف عن عثمان نخشى عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطيباً لقلب علي ، وخوفاً عليه رضى الله عنهم . وكان علي بكرم الحسن إكراماً زائداً ، ويمظمه ويبيجه وقد قال له يوماً : يا بني ألا تخطب حتى أسمك ؟ فقال : إني أستحي أن أخطب وأنا أراك ، فنهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعلى يسمع ، فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل علي يقول : ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ، ويرى هذا من النعم عليه . وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما ، رضى الله عنهما وأرضاها . وكان ابن الزبير يقول : والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي . وقال غيره : كان الحسن إذا صلى القعدة في مسجد رسول الله يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده ، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أنحفنه ثم ينصرف إلى منزله . ولما نزل معاوية عن الخلافة من ورعه صيانة لدماء المسلمين ، كان له على معاوية في كل عام جائزة ، وكان يفد إليه ، فربما أجازته بأربعمائة ألف درهم ، وراتبه في كل سنة مائة ألف ، فاقطع سنة عن الذهاب وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن إليها - وكان من أكرم الناس - فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعث بها إليه ، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله في المنام فقال له : يا بني أتكتب إلى مخلوق يحاجتك ؟ وعلمه دعاء يدعو به « فترك الحسن . ما كان هم به من الكتابة ، فذكره معاوية وافتقده ، وقال : ابعثوا إليه بمائتي ألف فلعل له ضرورة في تركه القوم علينا ، فحملت إليه من غير سؤال . قال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : الحسن بن علي مدني ثقة . حكاه ابن عساکر في تاريخه ، قالوا : وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، وخرج من ماله مرتين ، وحج خمساً وعشرين مرة ماشياً وإن الجنائب لتقاد بين يديه . وروى ذلك البيهقي من طريق عبيد الله بن عمير عن ابن عباس . وقال علي بن زيد بن جدعان : وقد علق البخاري في صحيحه أنه حج ماشياً والجنائب تقاد بين يديه ، وروى داود بن رشيد عن حفص عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال : حج الحسن بن علي ماشياً والجنائب تقاد بين يديه ونجائبه تقاد إلى جنبه . وقال العباس بن الفضل عن القاسم عن محمد بن علي قال قال الحسن بن علي : إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته ، فشئ عشرين مرة إلى المدينة على رجله ، قالوا : وكان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم ، وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام ، يقرأها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه ، فيقرأه بعد ما يدخل في الفراش قبل أن ينام رضى الله عنه . وقد كان من الكرم على جانب عظيم ، قال محمد بن سيرين : ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف . وقال سعيد بن عبد العزيز : سمع الحسن رجلاً

إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم ، فقام إلى منزله فبعث بها إليه . وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هناك لقمة ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : إني أسئحى منه أن آكل ولا أطعمه ، فقال له الحسن : لا تبرح من مكانك حتى آتيك ، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الخائط الذي هو فيه ، فأعتقه وملكه الحائط ، فقال الغلام : يامولاي قد وهبت الخائط للذي وهبني له . قالوا : وكان كثير التزوج ، وكان لا يفارقه أربع حرائر ، وكان مطلقاً مصداقاً ، يقال إنه أحسن سبعين امرأة ، وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم ، واحدة من بني أسد وأخرى من بني فزارة - فزارية - وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبرزق من عسل ، وقال للغلام : اسمع ما تقول كل واحدة منهما ، فأما الفزارية فقالت : جزاه الله خيراً ، ودعت له ، وأما الأسدية فقالت . متاع قليل من حبيب مفارق . فرجع الغلام إليه بذلك ، فارتجع الأسدية وترك الفزارية . وقد كان علي يقول لأهل الكوفة : لا تزوجوه فإنه مطلق ، فيقولون والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء ابتغاء في صهر رسول الله (ص) . وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزارية - وقيل هند بنت سهيل - فوق إجاز فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خلعها ، فلما استيقظ قال لها : ما هذا ؟ فقالت : خشيت أن تقوم من النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب . فأعجبه ذلك منها ، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلك . وقال أبو جعفر الباقر : جاء رجل إلى الحسين بن علي فاستعان به في حاجة فوجده معتكفاً فاعتذر إليه ، فذهب إلى الحسن فاستعان به ففرض حاجته ، وقال : لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر . وقال هشيم عن منصور عن ابن سيرين قال : كان الحسن بن علي لا يدعو إلى طعامه أحداً يقول : هو أهون من أن يدعى إليه أحد . وقال أبو جعفر : قال علي يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن بن علي فإنه مطلق ، فقال رجل من همدان : والله لتزوجنه ، فما رضى أمسك وما كره طلق . وقال أبو بكر الخرائطي - في كتاب مكارم الأخلاق - : ثنا ابن المنذر - هو إبراهيم - ثنا القواريري ثنا عبد الأعلى عن هشام عن محمد بن سيرين قال : تزوج الحسن بن علي امرأة فبعث إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم . وقال عبد الرزاق عن الثوري عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن الحسن بن سعد عن أبيه قال : متع الحسن بن علي امرأتين بعشرين ألفاً ورزاق من عسل ، فقالت إحداهما - وأراها الخنفية - متاع : قليل من حبيب مفارق . وقال الواقدي : حدثني علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين قال : كان الحسن بن علي مطلقاً للنساء ، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي نجيبة . وقال جويرية بن أسماء : لما مات الحسن بكى عليه مروان في جنازته ، فقال له الحسين : أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟ فقال : إني كنت أفعل إلى أحلم من هذا ، وأشار هو



إلى الجبل . وقال محمد بن سعد : أنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدی عن ابن عون عن محمد بن إسحاق قال : ما تكلم عندي أحد كان أحب إلي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي ، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة ، فانه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة فقال : ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه ، فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط . قال محمد بن سعد : وأنا الفضل بن دكين أنا مساور الجصاص عن رزين بن سوار . قال : كان بين الحسن ومروان خصومة فجعل مروان يغلظ للحسن وحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه ، فقال له الحسن : ويحك ! أما علمت أن اليمني للوجه ، والشمال للفرج ؛ أف لك ، فسكت مروان . وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قيل للحسن بن علي : إن بأزر يقول : الفتر أحب إلي من الغنى ، والسقم أحب إلي من الصحة ، فقال : رحم الله أبا زرر أما أنا فأقول : من أكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له . وهذا أحد الوقوف على الرضا بما تعرف به القضاء . وقال أبو بكر محمد بن كيسان الأصم : قال الحسن ذات يوم لأصحابه : إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني ، وكان عظيم ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً عن سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجده ، ولا يكتر إذا وجد ، وكان خارجاً عن سلطان فرجه ، فلا يستخف له عقله ولا رأيه ، وكان خارجاً عن سلطان جهله فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة ، ولا يخطو خطرة إلا لحسنة ، وكان لا يسخط ولا يتبرم ، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم ، وكان إذا غلب على الكلام لم يقلب على الصمت ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال يذر القائلين ، وكان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في مرآة ، ولا يدلي بحجة ، حتى يرى قاضياً يقول مالا يفعل ، ويفعل مالا يقول ، تفضلاً وتكرماً ، كان لا يفعل عن إخوانه ، ولا يستخص بشيء دونهم . كان لا يكرم أحداً فيما يقع العذر بمثله ، كان إذا ابتداء أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه . رواه ابن عساكر والخطيب . وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري : ثنا بدر بن الهيثم الحضرمي ثنا علي بن المنذر الطريفي ثنا عثمان ابن سعيد الدارمي ثنا محمد بن عبد الله أبو رجاء . من أهل تستر . ثنا شعبة بن الحجاج الواسطي عن أبي إسحاق الهمداني عن الحارث الأعور أن علياً سأل ابنه . يعني الحسن . عن أشياء من المروءة فقال : يا بني ما السداد ؟ قال : يا أبة السداد دفع المنكر بالمعروف ، قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع المشيرة وحمل الجبرية . قال : فما المروءة ؟ قال : العفاف واصلاح المرء ماله . قال : فما الدنيئة ؟ قال : النظر في اليسير ومنع الحقير . قال : فما اللوم ؟ قال : احتراز المرء نفسه وبنه عرسه . قال : فما السباحة ؟ قال : البنل في العسر واليسر . قال : فما الشح ؟ قال : أن ترى ما في يدك سرفاً وما أنفقته تلفاً . قال : فما الاخاء ؟ قال : الوفاء في الشدة والرخاء . قال : فما الجبن ؟ قال : الجراءة

على الصديق والنكول عن المدبر . قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا .  
 قال : فما العلم ؟ قال كظم الغيظ وملك النفس . قال : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بما قسم الله لها وإن  
 قل ، فأما الغنى غنى النفس . قال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس في كل شيء . قال : فما المنعة ؟  
 قال : شدة البأس ومقارعة أشد الناس . قال : فما النيل ؟ قال : الفزع عند المصدوقية ؟ قال : فما  
 الجراءة ؟ قال : موافقة الأقران . قال : فما الكلفة قال : كلامك فيما لا يعنيك . قال : فما الحمد . قال :  
 أن تعطى في الغرم وأن تغفر عن الجرم . قال : فما العقل ؟ قال : حفظ القلب كل ما استرعيت . قال :  
 فما الخرق ؟ قال : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك . قال : فما الثناء ؟ قال : إتيان الجميل وترك  
 القبيح . قال : فما الحزم ؟ قال : طول الأناة ، والرفق بالولاء ، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو  
 الحزم قال : فما الشرف ؟ قال : موافقة الإخوان ، وحفظ الجيران . قال : فما السفه ؟ قال : اتباع الدناءة ،  
 ومصاحبة العوادة . قال : فما الغفلة . قال : تركك المسجد وطاعتك المفسد . قال : فما الحرمان ؟ قال :  
 تركك حظك وقد عرض عليك . قال : فمن السيد ؟ قال : الأحمق في المال المتهاون بعرضه ، يشتم  
 فلا يجيب المتحرن بأمر المشيرة هو السيد . قال ثم قال علي : يا بني سمعت رسول الله (ص) يقول :  
 « لا قدر أشد من الجهل ، ولا مال أفضل من العقل ، ولا وحيدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة  
 أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالندبير ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا ورع كالكف ، ولا عبادة  
 كالتفكر ، ولا إيمان كالحياء ، ورأس الإيمان الصبر ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ،  
 وآفة الحلم السفه ، وآفة العبادة الفترة ، وآفة الطريف الصلف ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة السباحة  
 المن ، وآفة الجمال الخيلاء ، وآفة الحب الفخر » ثم قال علي : يا بني لا تسنخن برجل تراه أبداً ، فإن  
 كان أكبر منك فمده أباك ، وإن كان مثلك فهو أخوك ، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك .  
 فهذا ما سأل علي ابنه عن أشياء من المروءة . قال القاضي أبو الفرج : ففي هذا الخبر من الحكمة  
 وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه ، وحفظه ووعاه ، وعمل به وأدب نفسه بالعمل عليه ، وهذبها  
 بالرجوع إليه ، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده . وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبي (ص) ، ملا  
 غنى لكل أبيب عليم ، وقدرة حكيم ، عن حفظه وتأملمه ، والمسعود من هدى لتلقيه ، والمجدود من  
 وفق لامتناله وتقبله . قلت : ولكن إسناد هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف ، ومثل  
 هذه الألفاظ في عبارتها ما يدل مافي بعضها من النكارة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم . وقد ذكر  
 الأصمعي والعتبي والمدائني وغيرهم : أن معاوية سأل الحسن عن أشياء تشبه هذا فأجابه بنحو ما  
 تقدم ، لكن هذا السياق أطول بكثير مما تقدم فإله أعلم . وقال علي بن العباس الطبراني : كان علي  
 خاتم الحسن بن علي مكتوباً :

قدم لنفسك ما استطعت من التقى \* إن المنيّة نازلة بك يافقي  
أصبحتَ ذا فرح كأنك لا ترى \* أحباب قلبك في المقابر والبلى

قال الامام أحمد : حدثنا مطلب بن زياد بن محمد ثنا محمد بن أبان قال قال الحسن بن علي لبنيه  
و بنى أخيه : « تعلموا فانكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب » . رواه  
البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه . وقال محمد بن سعد : ثنا الحسن بن موسى وأحمد بن  
يونس قالا : ثنا زهير بن معاوية ثنا أبو إسحاق عن عمرو والأصم قال قلت للحسن بن علي : إن هذه  
الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، قال : كذبوا والله ! ما هؤلاء ، بالشيعة ، لو علمنا أنه  
مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني أبو علي سويد الطحان  
ثنا علي بن عاصم ثنا أبو ريمحانة عن سفينة عن النبي ص . قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » فقال  
رجل كان حاضراً في المجلس : قد دخلت من هذه الثلاثين ستة شهور في خلافة معاوية . فقال : من  
ها هنا أتيت تلك الشهور كانت البيعة للحسن بن علي ، بايعه أربعون ألفاً أو ثمان وأربعون ألفاً .  
وقال صالح بن أحمد : سمعت أبي يقول : بايع الحسن تسعون ألفاً فزهد في الخلافة وصالح معاوية ولم  
يسل في أيامه محجمة من دم . وقال ابن أبي خيثمة : وحدثنا أبي ثنا وهب بن جرير قال قال أبي :  
فلما قتل علي بايع أهل الكوفة الحسن بن علي وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه . وقال ابن أبي  
خيثمة : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة عن ابن شاذب . قال : لما قتل علي سار الحسن في أهل  
العراق وسار معاوية في أهل الشام فالتقوا فكره الحسن القتال وبايع معاوية علي أن جعل العهد للحسن  
من بعده . قال : فكان أصحاب الحسن يقولون : يا عار المؤمنين ، قال : فيقول لهم : العار خير من  
النار . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال : لما قتل علي بايع الناس  
الحسن بن علي فولبها سبعة وأحد عشر يوماً . وقال غير عباس : بايع الحسن أهل الكوفة ، وبايع  
أهل الشام معاوية بإيلياء بعد قتل علي ، وبويع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة  
أربعين ، ثم لقي الحسن معاوية بمسكن - من سواد الكوفة - في سنة إحدى وأربعين فاصطلحا ،  
وبايع الحسن معاوية . وقال غيره : كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة في ربيع الأول من سنة  
إحدى وأربعين . وقد تكلمنا على تفصيل ذلك فيما تقدم بما أغنى عن إعادته ها هنا .

وحاصل ذلك أنه اصطح مع معاوية علي أن يأخذ ما في بيت المال الذي بالكوفة ، فوفى له معاوية  
بذلك فاذا فيه خمسة آلاف ألف ، وقيل سبعة آلاف ألف ، وعلى أن يكون خراج . وقيل دار ابجردنه  
في كل عام ، فامتنع أهل تلك الناحية عن أداء الخراج إليه ، فعوضه معاوية عن كل ستة آلاف ألف  
درهم في كل عام ، فلم يزل يتناولها مع ماله في كل زيارة من الجوائز والتحف والهدايا ، إلى أن توفي في

هذا العام . وقال محمد بن سعد عن هودة بن خليفة عن عوف عن محمد بن سيرين قال : لما دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن بن علي قال أصحاب معاوية لمعاوية : مر الحسن بن علي أن بخطب ، فانه حديث السن عيسى ، فلهذا يتلعم فيتضع في قلوب الناس . فأمره فقام فاخطب فقال في خطبته : «أيها الناس لو اتبعتم بين جابلق وجارس رجلا جده نبي غيري وغير أخي لم تجدوه ، وإنما قد أعطينا بيعتنا معاوية ورأينا أن حقن دماء المسلمين خير من إهراقها ، والله ما أدري لعل فتنه لكم ومتاع إلى حين» - وأشار إلى معاوية - فغضب من ذلك وقال : ما أردت من هذه ؟ قال : أردت منها ما أراد الله منها . فصعد معاوية وخطب بعد . وقد رواد غير واحد وقد علمنا أن معاوية عتب على أصحابه . وقال محمد بن سعد : ثنا أبو داود الطيالسي : ثنا شعبة عن يزيد قال : سمعت جبير بن نفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال : قلت للحسن بن علي : إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة ؟ فقال : كانت جماجم العرب بيدي . يسالمون من سالمات ويحاربون من حاربت ، فتركها ابتغاء وجه الله ، ثم أثيرها ثانياً من أهل الحجاز . وقال محمد بن سعد : أنا علي بن محمد عن إبراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن بن علي وهو بالمدينة وفي يده صحيفة فقال : ما هذه ؟ فقال : ابن معاوية يعدنيها ويتوعد ، قال : قد كنت على النصف منه ، قال : أجل ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً ، أو ثمانون ألفاً ، أو أكثر أو أقل ، تنضح أوداجهم دماً ، كلهم يستعدى الله فيم هربني دمه . وقال الأصمعي عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله . قال : رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه ، [ قل هو الله احد ] ففرح بذلك فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : إن كان رأى هدد الرؤيا فقل ما بقي من أجله . قال : فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلا أياما حتى مات . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن صالح العتكي ومحمد بن عثمان العجلي قالا : ثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق . قال : دخلت أنا ورجل آخر من قريش على الحسن ابن علي فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال : لقد انظت طائفة من كبدي ألقها بهذا العود ، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيت مرة هي أشد من هذه . قال : وجعل يقول لذلك الرجل : سلني قبل أن لاتسألني ، فقال : ما أسألك شيئاً يعافيك الله ، قال : نخرجنا من عنده ثم عدنا إليه من الغد . وقد أخذ في السوق فجاء حسين حتى قعد عند رأسه ، فقال : أي أخي ! من صاحبك ؟ قال : تريد قتله ، قال : نعم ! قال لئن كان صاحبي الذي أظن لله أشد نقمة . وفي رواية : فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكنه ما أحب أن تقتل بي بريئاً . ورواه محمد بن سعد عن ابن علي عن ابن عون . وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور . قالت : الحسن سقى مراراً كل ذلك يفلت منه ، حتى كانت المرة الآخرة التي مات فيها فانه كان يختلف كبده ، فلما مات أقام

نساء بنى هاشم عليه النوح شهراً . وقال الواقدي : وحدثنا عبدة بنت نائل عن عائشة قالت : حدث نساء بنى هاشم على الحسن بن علي سنة . قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسن قال : كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء ، وكان قل ما يحظين عنده ، وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبته وضمنت به ، فيقال إنه كان سقى سما ، ثم أفلت ، ثم سقى فأفلت ثم كانت الآخرة توفي فيها ، فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه : هذا رجل قطع السم إيماءه ، فقال الحسين : يا أبا محمد أخبرني من سقاك ؟ قال : ولم يا أخي ؟ قال : أقتله والله قبل أن أدفك ولا أقدر عليه أو يكون بأرض أتكلف الشخصوص إليه . فقال : يا أخي إنما هذه الدنيا ليل فانية ، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله ، وأبى أن يسميه . وقد سمعت بعض من يقول : كان معاوية قد تلتف لبعض خدمه أن يسقيه سما . قال محمد بن سعد : وأنا يحيى بن جمال أنا أبو عوانة عن المغيرة عن أم موسى أن جمدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه شكاة ، قال فكان يوضع تحتها طشت ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً . وزوى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جمدة بنت الأشعث أن سمى الحسن وأنا أتزوجك بعده ، ففعلت ، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال : إنا والله لم نرضك للحسن أفترضاك لأنفسنا ؟ وعندى أن هذا ليس بصحيح ، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى ، وقد قال كثير نمره في ذلك :

يا جعدُ بكيه ولا تسأمي \* بكاء حق ليس بالباطل  
 لن تسترى البيت على مثله \* في الناس من حاف ولا ناعل  
 أعنى الذى أسلمه أهله \* للزمن المستخرج الماحل  
 كان إذا شبت له ناره \* رفعها بالنسب المائل  
 كما يراها بأئس مرملى \* أو فرد قوم ليس بالآهل  
 تغلى بنى اللحم حتى إذا \* أنضج لم تغل على آكل

قال سفيان بن عيينة عن رقية بن مصقلة قال : لما احتضر الحسن بن علي قال : أخرجوني إلى الصحن أنظر في ملكوت السموات . فأخرجوا فراشه فرفع رأسه فنظر فقال : اللهم إني أحتسب نفسي عندك فانها أعز الأتفس على ، قال : فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده . وقال عبد الرحمن بن مهدي : لما اشتد بسفيان الثورى المرض جزع جزعاً شديداً فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز فقال : ما هذا الجزع يا أبا عبد الله ؟ تقدم على رب عبادته . تبين سنة ، صمت له ، صليت له ، حججت له ، قال فسرى عن الثورى . وقال أبو نعيم : لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع فدخل عليه رجل فقال له : يا أبا محمد ما هذا الجزع ؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسداً فتقدم على

أبويك علي وفاطمة ، وعلى جدك النبي (ص) ، وخديجة ، وعلى أعمامك حمزة وجعفر ، وعلى أخواتك القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم ، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب ، قال : فسرى عنه . وفي رواية أن القائل له ذلك الحسين ، وأن الحسن قال له : يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط . قال : فبكى الحسين رضي الله عنهما . رواه عباس الدوري عن ابن معين ، ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد عن أبيه فذكر نحوهما . وقال الواقدي : ثنا إبراهيم بن الفضل عن أبي عتيق قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهدنا حسن بن علي يوم مات وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم ، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله ، فان خاف أن يكون في ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع ، فأبى مروان أن يدعه . ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضى معاوية . ولم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات ، قال جابر : فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت : يا أبا عبد الله اتق الله ولا تثر فتنة فان أخاك كان لا يجب ماترى ، فادفنه بالبقيع مع أمه ففعل . ثم روى الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن عمر قال حضرت موت الحسن بن علي فقلت للحسين بن علي اتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء : وادفن أخاك إلى جانب أمه ، فان أخاك قد عهد بذلك إليك ، قال ففعل الحسين . وقد روى الواقدي عن أبي هريرة نحوه من هذا ، وفي رواية أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك فأذنت له ، فلما مات لبس الحسين السلاح وتسليح بنو أمية وقالوا : لاندعه يدفن مع رسول الله (ص) ، أي دفن عثمان بالبقيع ويدفن الحسن بن علي في الحجة ؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين أن لا يقاتل فامتل ودفن أخاه قريباً من قبر أمه بالبقيع ، رضي الله عنه . وقال سفيان الثوري عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم قال : رأيت الحسين بن علي قد قدم يومئذ سعيد بن العاص فصلى على الحسن وقال : لولا أنها سنة ما قدمته . وقال محمد بن إسحاق : حدثني مساور مولى بني سعد بن بكر قال : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله يوم مات الحسن بن علي وهو ينادى بأعلى صوته : يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا . وقد اجتمع الناس لجنائزته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام . وقد بكاه الرجال والنساء سبغاً ، واستمر نساء بني هاشم ينحن عليه شهراً ، وحدث نساء بني هاشم عليه سنة . قال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن يحيى ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ومات لها حسن ، وقتل لها الحسين رضي الله عنهم . وقال شعبة عن أبي بكر بن حفص قال : توفي سعد والحسن ابن علي في أيام بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين . وقال عليه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين ، وكذا قال غيره واحد وهو أصح . والمشهور أنه مات سنة

تسع وأربعين كما ذكرنا، وقل آخرون : مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين .

### سنة خمسين من الهجرة

ففي هذه السنة توفي أبو موسى الأشعري في قول ، والصحيح سنة ثنتين وخمسين كما سيأتي . فيها حج بالناس معاوية ، وقيل ابنه يزيد ، وكان نائب المدينة في هذه السنة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسجستان وفارس والسند والهند زياد . وفي هذه السنة اشتكى بنو وهشل على الفرزدق إلى زياد فهرب منه إلى المدينة ، وكان سبب ذلك أنه عرض بمعاوية في قصيدة له فطلبه زياد أشد الطلب ففر منه إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص ، وقال في ذلك أشعاراً ، ولم يزل فيما بين مكة والمدينة حتى توفي زياد فرجع إلى بلاده ، وقد طول ابن جرير هذه القصة . وقد ذكر ابن جرير في هذه السنة من الحوادث ما رواه من طريق الواقدي : حدثني يحيى بن سعيد بن دينار عن أبيه أن معاوية كان قد عزم على تحويل المنبر النبوي من المدينة إلى دمشق وأن يأخذ العصاة التي كانت النبي (ص) ، يمسكها في يده إذا خطب فيقف على المنبر وهو ممسكها ، حتى قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله : يا أمير المؤمنين نذكرك الله أن تفعل هذا فان هذا ، لا يصلح أن يخرج المنبر من موضع وضعه فيه رسول الله (ص) ، وأن يخرج عصاه من المدينة . فترك ذلك معاوية ولكن زاد في المنبر ست درجات واعتذر إلى الناس . ثم روى الواقدي أن عبد الملك بن مروان في أيامه عزم على ذلك أيضاً فقيل له : إن معاوية كان قد عزم على هذا ثم ترك ، وأنه لما حرك المنبر خسفت الشمس فترك . ثم لما حج الوليد بن عبد الملك أراد ذلك أيضاً فقيل له : إن معاوية وأباك أرادا ذلك ثم تركاه ، وكان السبب في تركه أن سعيد بن المسيب كلم عمر بن عبد العزيز أن يكلمه في ذلك ويعظه فترك . ثم لما حج سليمان أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان عزم عليه الوليد ، وأن سعيد بن المسيب نهاه عن ذلك ، فقال : ما أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد ، وما يكون لنا أن نفعل هذا ، مالنا وله ، وقد أخذنا الدنيا فهي في أيدينا فتريد أن نعد إلى علم من أعلام الإسلام يند إليه الناس فنحمله إلى ما قبلنا . هذا ما لا يصلح رحمه الله .

وفي هذه السنة عزل معاوية عن مصر معاوية بن خديج وولى عليها من إفريقية مسلمة بن مخلد ، وفيها افتتح عقبة بن نافع الفهري عن أمر معاوية بلاد إفريقية ، واختط القيروان . وكان غيضة تأوى إليها السباع والوحوش والحيات العظام ، فدعا الله تعالى فلم يبق فيها شيء من ذلك حتى ان السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها ، والحيات يخرجن من أجحارهن هوارب - فأسلم خلق كثير من البربر فبنى في مكانها القيروان . وفيها غزا بسر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف أرض الروم ، وفيها غزا فضالة بن عبيد البحر ، وفيها توفي مدلاج بن عمرو السلمي صحابي جليل شهد

المشاهد كلها مع رسول الله (ص)، ولم أره ذكراً في الصحابة .

### صفية بنت حبي بن أخطب

ابن شعبة بن ثعلبة بن عبد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن نحم، أم المؤمنين النضرية من سلالة هارون عليه السلام، وكانت مع أبيها وابن عمها أخطب بالمدينة، فلما أجلى رسول الله (ص)، بنى النضير ساروا إلى خيبر، وقتل أبوها مع بني قريظة صبراً كما قدمنا، فلما فتح رسول الله (ص) خيبر كانت في جملة السبي فوَقعت في سهم دحية بن خليفة الكلبي، فذكر له جمالها وأنها بنت ملكهم، فاصطفأها لنفسه وعوضه منها وأسلمت وأعتقها وتزوجها، فلما حلت بالصبياء بنى بها، وكانت ماشطتها أم سليم، وقد كانت تحت ابن عمها كنانة بن أبي الحقيق فقتل في المعركة، ووجد رسول الله بجمها لطمه فقال: ما هذه؟ فقالت: إني رأيت كأن القمر أقبل من يثرب فسقط في حجري فقصيت المنام على ابن عمي فلطمني وقال: تتمنين أن يتزوجك ملك يثرب؟ فهذه من لطمته. وكانت من سيدات النساء عبادة وورعاً ورهلاًة وبراً وصدقة، رضى الله عنها وأرضاها. قال الواقدي: توفيت سنة خمسين وقال غيره سنة ست وثلاثين، والأول أصح.

### وأما أم شريك الأنصارية

ويقال العامرية فهي التي وهبت نفسها للنبي (ص)، فقيل قبلها وقيل لم يقبلها، ولم تتزوج حتى مات رضى الله عنها وهي التي سقيت بدلو من السماء لما منعها المشركون الماء فأسلموا عند ذلك، واسمها غزية، وقيل عزيلة بنى عامر على الصحيح، قال ابن الجوزي: ماتت سنة خمسين ولم أره لنيره.

### وأما عمرو بن أمية الضمري

فصحابي جليل أسلم بعد أحد، وأول مشاهده بئر معونة، وكان ساعى رسول الله (ص)، بعثه إلى النجاشي في تزويج أم حبيبة وأن يأتي بمن بقي من المسلمين، وله أفعال حسنة، وآثار محمودة، رضى الله عنه توفي في خلافة معاوية.

وذكر أبو النرج ابن الجوزي - في كتابه المنتظم - أن في هذه السنة توفي جبير بن مطعم وحماد بن ثابت، والحكم بن عمرو الغفاري، ودحية بن خليفة الكلبي، وعقيل بن أبي طالب، وعمرو بن أمية الضمري، بدرى، وكعب بن مالك، والمنيرة بن شعبة، وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حبي، وأم شريك الأنصارية. رضى الله عنهم أجمعين.

### أما جبير بن مطعم

ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي أبو محمد وقيل أبو عدي المدني، فانه قسم وهو مشرك في فناء أسارى بدر، فلما سمع قراءة رسول الله (ص) في سورة الطور [أم خلقوا من غير



شيء أم هم الخالقون [دخل في قلبه الاسلام ، ثم أسلم عام خيبر، وقيل زمن الفتح، والأول أصح، وكان من سادات قريش وأعلمها بالأنساب، أخذ ذلك عن الصديق والمشهور أنه توفي سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة تسع وخمسين .

وأما حسان بن ثابت

شاعر الاسلام فالصحيح أنه توفي سنة أربع وخمسين كما سيأتي .

وأما الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري

أخو رافع بن عمرو، ويقال له الحكم بن الأقرع، فصحابي جليل له عند البخاري حديث واحد في النهي عن لحوم الحمر الانسية، استنابه زياد بن أبيه على غزو جبل الاشل فغنم شيئاً كثيراً، فجاء كتاب زياد إليه على لسان معاوية أن يصطفى من الغنيمة لمعاوية ما فيها من الذهب والفضة لبيت ماله فرد عليه: إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين. أو لم يسمع لقوله عليه السلام: « لا طاعة لمخلوق في معصية الله »؛ وقسم في الناس غنائمهم، فيقال إنه حبس إلى أن مات بمرور في هذه السنة وقيل في سنة إحدى وخمسين رحمه الله .

وأما دحية بن خليفة الكلبي

فصحابي جليل، كان جميل الصورة، فلهدا كان جبريل يأتي كثيراً في صورته، وكان رسول الله (س) أرسله إلى قيصر، أسلم قديماً ولكن لم يشهد بدرأ، وشهد ما بعدها، ثم شهد اليرموك وأقام بالمرّة - غربى دمشق - إلى أن مات في خلافة معاوية .

وفيها توفي عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أبو سعيد العبشمي، أسلم يوم الفتح، وقيل شهد موقعة، وغزا خراسان، وافتتح سجستان وكابل وغيرها، وكانت له دار بدمشق وأقام بالبصرة، وقيل بمرور، قال محمد بن سعد وغير واحد: مات بالبصرة سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين، وصلى عليه زياد، وترك عدة من الذكور، وكان اسمه في الجاهلية عبد كلال، وقيل عبد كلوب، وقيل عبد الكعبة، فسماه رسول الله (س) عبد الرحمن. وهو كان أحد السفيرين بين معاوية والحسن رضي الله عنهما \* وفيها توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي، أبو عبد الله الطائفي، له ولأخيه الحكم صحبة، قدم على رسول الله (س) في وفد ثقيف فاستعمله رسول الله (س) على الطائف، وأمّره عليها أبو بكر وعمر، فكان أميرهم وإمامهم مدة طويلة حتى مات سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين رضي الله عنه .

وأما عقيل بن أبي طالب

أخو علي فكان أكبر من جعفر بعشر سنين وجعفر أكبر من علي بعشر سنين كما أن طالب أكبر من عقيل بعشر، وكلهم أسلم إلا طالباً، أسلم عقيل قبل الحديبية وشهد موقعة، وكان من أنسب قريش، وكان قد ورث أقرباه الذين هاجروا وتركوا أموالهم بمكة، ومات في خلافة معاوية .

وفيهما كانت وفاة عمرو بن الحق بن الكاهن الخزاعي ، أسلم قبل الفتح ، وهاجر ، وقيل : إنه إنما أسلم عام حجة الوداع ، وورد في حديث أن رسول الله دعا له أن يمنعه الله بشبابه ، فبقي ثمانين سنة لا يرى في لحيته شعرة بيضاء ، ومع هذا كان أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان ، ثم صار بعد ذلك من شيعة علي ، فشهد معه الجمل وصفين ، وكان من جملة من أعان حجر بن عدي فطلبه زياد فهرب إلى الموصل ، فبعث معاوية إلى نائبيها فوجدوه قد اختفى في غار قهشته حية فمات فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية ، فطيف به في الشام وغيرها ، فكان أول رأس طيف به . ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته آمنة بنت الشريد - وكانت في سجنه - فألقى في حجرها ، فوضعت كفها على جبينه ولتمت فيه وقالت : غيبتموه عنى طويلا ، ثم أهديتموه إلى قتيلا فأهلا بها من هدية غير قالية ولا مقلية .

### وأما كعب بن مالك الأنصاري السلمي

شاعر الاسلام فأسلم قديماً وشهد العقبة ولم يشهد بدرأ كما ثبت في الصحيحين في سياق توبة الله عليه فانه كان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم من تخلفهم عن غزوة تبوك كما ذكرنا ذلك مفصلاً في التفسير ، وكما تقدم في غزوة تبوك . وغلط ابن الكلبي في قوله إنه شهد بدرأ ، وفي قوله إنه توفي قبل إحدى وأربعين ، فان الواقدي - وهو أعلم منه - قال توفي سنة خمسين ، وقال القاسم بن عدي سنة إحدى وخمسين رضي الله عنه .

### المغيرة بن شعبة

ابن أبي عامر بن مسعود أبو عيسى ويقال أبو عبد الله الثقفي ، وعروة بن مسعود الثقفي عم أبيه ، كان المغيرة من دهاة العرب ، وذوي آرائها ، أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر من ثقيف ، رجعهم من عند المقوقس وأخذ أموالهم ففرم دياتهم عروة بن مسعود ، وشهد الحديبية ، وكان واقفا يوم الصلح على رأس رسول الله - ، بالسيف صلنا ، وبعثه رسول الله - ، بعد إسلام أهل الطائف هو وأبوسفيان بن حرب فهما اللات ، وقد منا كيفية هدمها إياها ، وبعثه الصديق إلى البحرين ، وشهد اليمامة واليرموك فأصابت عينه يومئذ ، وقيل بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه ، وشهد القادسية ، وولاه عمر فتوحاً كثيرة ، منها همدان وميسان ، وهو الذي كان رسول سعد إلى رستم فكلمه بذلك الكلام البليغ فاستنابه عمر على البصرة ، فلما شهد عليه بالزنا ولم يثبت عزله عنها وولاه الكوفة ، واستمر به عثمان حيناً ثم عزله ، فبقي معتزلاً حتى كان أمر الحكمين فلحق بمعاوية ، فلما قتل علي وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولأه عليها فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور . قاله محمد بن سعد وغيره . وقال الخطيب : أجمع الناس على ذلك ، وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة ، وقال أبو عبيد : مات سنة تسع وأربعين ، وقال : ابن عبد البر : سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل سنة ست وثلاثين وهو غلط .

قال محمد بن سعد : وكان أصهب الشعر جدا ، أكشف ، مقلص الشفتين ، أهتم ضخم الهامة ، عبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، وكان يفرق رأسه أربعة قرون . وقال الشعبي : القضاة أربعة أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والدهاة أربعة ، معاوية ، وعمر ، والمغيرة ، وزباد ، وقال الزهري : الدهاة في الفتنة خمسة ، معاوية ، وعمر ، بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وكان معتزلا ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء ، وكانا مع علي . قلت : والشيمة يقولون : الأشباح خمسة . رسول الله ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والاضداد خمسة أبو بكر ، وعمر ، ومعاوية ، وعمر ، بن العاص ، والمغيرة بن شعبة . وقال الشعبي : سمعت المغيرة يقول : ما غلبني أحد إلا فتي مرة أردت أن أتزوج امرأة فاستشرته فيها فقال : أيها الأمير ! لا أرى لك أن تتزوجها ، فقلت له : لم ؟ فقال : إني رأيت رجلا يقبلها . ثم بلغني عنه أنه تزوجها ، فقلت له : ألم تزعم أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ فقال : نعم ! رأيت أباه يقبلها وهي صغيرة . وقال أيضاً : سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينته لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر نخرج المديرة من أبوابها كلها . وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحب المرأة الواحدة يحبض معها ويمرض معها ، وصاحب المرأتين بين نارين يشتعلان ، وصاحب الأربعة قرير العين ، وكان يتزوج أربعة معاً ويطلقهن معاً ، وقال عبد الله بن نافع الصائغ أحسن المغيرة ثلثمائة امرأة . وقال غيره : ألف امرأة وقيل مائة امرأة . وقيل ثمانين امرأة .

### جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية

وكان سبها رسول الله (ص) في غزوة المريسيع ، وهي غزوة المصطلق ، وكان أبوها ملكهم فأسلمت فأعتقها رسول الله (ص) وتزوجها ، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وكتابتها فأتت رسول الله تستعينه في كتابتها فقال : « أو خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أشتريك وأعتقتك وأتزوجك » فأعتقها فقال الناس أصهار رسول الله (ص) فأعتقوا ما بأيديهم من سبي بني المصطلق نحواً من مائة أهل بيت ، فقالت عائشة : لا أعلم امرأة أعظم بركة على أهلها منها . وكان اسمها برة فسماها رسول الله (ص) جويرية . وكانت امرأة ملاحه - أي حلوة الكلام - توفيت في هذا العام سنة خمسين كما ذكره ابن الجوزي وعبره عن خمس وستين سنة ، وقال الواقدي : سنة ست وخمسين رضى الله عنها وأرضاها ، والله أعلم .

### سنة إحدى وخمسين

فيها كان مقتل حجر بن عدى بن جبل بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحارث بن معاوية بن ثور بن بزيع بن كندی الكوفي ، ويقال له حجر الخبير ، ويقال له حجر بن الأديب ، لأن

أباد عدياً طعن مولياً فسمى الأديب، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة، قال ابن عساکر: وفد إلى النبي (ص) وسمع علياً وعماراً وشراحيل بن مرة، ويقال شرحبيل بن مرة. وروى عنه أبو ليلى مولاه، وعبد الرحمن بن عباس، وأبو البختري الطائي. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عنداء، وشهد صفين مع علي أميراً، وقيل بمنداء من قرا دمشق، ومسجد قبره بها معروف. ثم ساق ابن عساکر بأسانيد إلى حجر يذکر طرفاً صالحاً من روايته عن علي وغيره، وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة، وذكر له وفادة، ثم ذكره في الأول من تابعي أهل الكوفة. قال: وكان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير علي شيئاً قال ابن عساکر: بل قد روى عن عمار وشراحيل بن مرة، وقال أبو أحمد العسكري: أكثر المحدثين لا يصححون له صحبة، شهد القادسية وافتتح برج عنداء، وشهد الجمل وصفين، وكان مع علي حجر الخير - وهو حجر بن عدى هذا - وحجر الشرف - وهو حجر ابن يزيد بن سلمة بن مرة - وقال المرزباني: قد روى أن حجر بن عدى وفد إلى رسول الله (ص) مع أخيه هاني بن عدى، وكان هذا الرجل من عباد الناس وزهادهم، وكان باراً بأمه، وكان كثير الصلاة والصيام، قال أبو مشر: ما أحدث قط إلا تَوْضاً، ولا تَوْضاً إلا صلى ركعتين. هكذا قال غير واحد من الناس. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يعلى بن عبيد حدثني الأعمش عن أبي إسحاق. قال قال سلمان الحجر: يا ابن أم حجر لو تقطعت أعضاؤك ما بلغت الإيمان، وكان إذ كان المغيرة بن شعبه على الكوفة إذا ذكر علياً في خطبته يتنقصه بعد مدح عثمان وشيعته فيغضب حجر هذا ويظهر الإنكار عليه، ولكن كان المغيرة فيه حلم وإناة فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذره غيب هذا الصنيع، فان معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حجر عن ذلك. فلما كان في آخر أيام المغيرة قام حجر يوماً، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به وذمه بتأخيره العطاء عن الناس، وقام بعد فثام الناس لقيامه، يصدقونه ويشنعون على المغيرة، ودخل المغيرة بعد الصلاة قصر الأمانة ودخل معه جمهور الأمراء، فأشاروا عليه برده حجر هذا عما تعاطاه من شق العصي والقيام على الأمير، وذمروه وحشوه على التنكيل فصفح عنه وحلم به. وذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمد بمال يبعثه من بيت المال، فبعث غيراً يحمل مالا فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها وقال: لا والله حتى يوفي كل ذي حق حقه. فقال شباب تنبئ للمغيرة: ألا نأتيك برأسه؟ فقال: ما كنت لأفعلن ذلك بحجر، فتركه، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زياداً، والصحيح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات، فلما توفي المغيرة بن شعبه رضي الله عنه وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد دخلها وقد التف على حجر جماعات من شيعة علي يقولون أمره ويشدون على يده، ويسبون معاوية ويتبرون منه، فلما كان أول خطبة خطبها زياد بالكوفة، ذكر في آخرها فضل عثمان وذم من قتله

أو أغان على قتله . فقام حجر كما كان يقوم في أيام المغيرة ، وتكلم بسحو مما قال للمغيرة ، فلم يعرض له زياد ، ثم ركب زياد إلى البصرة ، وأراد أن يأخذ حجراً معه إلى البصرة لئلا يحدث حدثاً ، فقال : إني مريض ، فقال : والله إنك لمريض الدين والقلب والعقل ، والله لئن أحدثت شيئاً لأسعين في قتلك ، ثم سار زياد إلى البصرة فبلغه أن حجراً وأصحابه أنكروا على نائبه بالكوفة - وهو عمرو بن حريث - وحصبوه وهو على المنبر يوم الجمعة ، فركب زياد إلى الكوفة فنزل في القصر ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سندس ، ومطرف خز أحمر ، قد فرق شعره ، وحجر جالس وحوله أصحابه أكثر مما كانوا يومئذ ، وكان من لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، وجلسوا حوله في المسجد في الحديد والسلاح ، فخطب زياد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن غيب البني والنبي وخيم ، وإن هؤلاء آمنوني فاجترأوا على ، وإيم الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ، ثم قال : ما أنا بشيء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر وأصحابه وأدعه نكالا لمن بعده ، ويل أمك يا حجر ، سقط بك العشاء على سرحان . ثم قال :

أبلغ نصيحة أن زاعى إبلها • سقط العشاء به على سرحان

وجعل زياد يقول في خطبته : إن من حق أمير المؤمنين - يعني كذا وكذا - فأخذ حجر كفا حصباء حصبه وقال : كذبت عليك لعنة الله . فأنحدر زياد فصلى ، ثم دخل القصر واستحضر حجراً ، ويقال إن زياداً لما خطب طول الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر : الصلاة ، فمضى في خطبته ، فلما خشي فوت الصلاة عمد إلى كف من حصباء ونادى الصلاة ، وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زيد نزل فصلى بالناس ، فلما انصرف من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه ، فكتب إليه معاوية : أن شدة في الحديد واحمله إلى ، فبعث إليه زياد والى الشرطة - وهو شداد بن المهيم - ومعه أعوانه فقال له : إن الأمير يطلبك ، فامتنع من الحضور إلى زياد ، وقام دونه أصحابه ، فرجع الوالى إلى زياد فأعلمه ، فاستنهض زياد جماعات من القبائل فركبوا مع الوالى إلى حجر وأصحابه فكان بينهم قتال بالحجارة والعصى ، فمجزوا عنه ، فندب محمد بن الأشعث وأمهله ثلاثاً وجره معه جيشاً ، فركبوا في طلبه ولم يزالوا حتى أحضروه إلى زياد ، وما أغنى عنه قومه ولا من كان يظن أن ينصره فعند ذلك قيده زياد وسجنه عشرة أيام وبعث به إلى معاوية ، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سب الخليفة ، وأنه حارب الأمير ، وأنه يقول : إن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل علي بن أبي طالب . وكان من جملة الشهود عليه أبو بردة بن أبي موسى ، ووائل بن حجر ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وموسى بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وكثير بن شهاب ، وثابت بن ربي ، في سبعين ويقال : إنه كتبت شهادة شريح القاضي فيهم ، وإنه أنكر ذلك وقال :

إنما قلت لزياد : إنه كان صواماً قواماً ، ثم بعث زياد حجراً وأصحابه مع وائل بن حجر ، وكثير بن شهاب إلى الشام . وكان مع حجر بن عدى بن جبلة الكندي ، من أصحابه جماعة ، قيل عشرون وقيل أربعة عشر رجلاً ، منهم الأرقم بن عبد الله الكندي وشريك بن شداد الحضرمي ، وصيفي بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة بن حرمة العبسي ، وكريم بن عفيف الخثعمي ، وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي ، وكدام بن حبان ، وعبد الرحمن بن حسان العرياني - من بني تميم - ومحرز ابن شهاب التيمي ، وعبيد الله بن حوية السعدي التيمي أيضاً . فهؤلاء أصحابه الذين وصلوا معه ، فساروا بهم إلى الشام . ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين ، عتبة بن الأحنس من بني سعد ، وسعد ابن عمران الهمداني ، فكلوا أربعة عشر رجلاً ، فيقال : إن حجراً لما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فغضب معاوية غضباً شديداً وأمر بضرب عنقه هو ومن معه ، ويقال إن معاوية ركب فتلقاهم في برج عذراء ، ويقال : بل بعث إليهم من تلقاهم إلى عذراء تحت الثنية - ثنية العقاب - فقتلوا هناك . وكان الذين بعث إليهم ثلاثة وهم هذبة بن فياض القضاعي ، وحضير بن عبد الله الكلابي ، وأبو شريف البدوي ، فجاؤا إليهم فبات حجر وأصحابه يصلون طول الليل ، فلما صلاوا الصبح قتلهم ، وهذا هو الأشهر والله أعلم . وذكر محمد بن سعد أنهم دخلوا عليه ثم ردهم فقتلوا بعذراء ، وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حتى وصل بهم إلى برج عذراء فمن مشير بقتلهم ، ومن مشير بتفريقهم في البلاد ، فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر في أمرهم ، فأشار عليه بقتلهم إن كان له حاجة في ملك العراق ، فعند ذلك أمر بقتلهم ، فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة ، وقتل منهم ستة أولهم حجر بن عدى ، ورجع آخر ففي عنه معاوية ، وبعث بأخر نال من عثمان وزعم أنه أول من جار في الكمام ومدح علياً ، فبعث به معاوية إلى زياد وقال له : لم تبعث إلي فيهم أردى من هذا . فلما وصل إلى زياد ألقاه في الناطف حياً - وهو عبد الرحمن بن حسان الفري . وهذه تسمية الذين قتلوا بعذراء : حجر بن عدى ، وشريك بن شداد ، وصيفي بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة ، ومحرز بن شهاب المنقري ، وكدام بن حبان . ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون بمسجد القصب في عرفة ، والصحيح بعذراء ، ويذكر أن حجراً لما أرادوا قتله قال : دعوني حتى أتوضأ ، فقالوا : توضأ ، فقال : دعوني حتى أصلي ركعتين فصلاهما وخفف فيهما ، ثم قال : لولا أن يقولوا ما بي جزع من الموت لطولتهما . ثم قال : قد تقدم لهما صلوات كثيرة . ثم قدموه للقتل وقد حفرت قبورهم ونشرت أكتافهم ، فلما تقدم إليه السيف ارتعدت فرائصه فقيل له : إنك قلت لست بجازع ، فقال : ومالي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً وكفنًا منشوراً وسيفاً مشهوراً . فأرسلها مثلاً . ثم تقدم إليه السيف . وهو أبو شريف البدوي ، وقيل تقدم إليه رجل أعور فقال له : امدد عنقك ،

فقال : لا أعين على قتل نفسي ، فضر به فقتله . وكان قد أوصى أن يدفن في قيوده ، ففعل به ذلك ، وقيل : بل صلوا عليه وغسلوه . وروى أن الحسن بن علي . قال : أصلوا عليه ودفنوه في قيوده ؛ قالوا : نعم ! قال : حجهم والله . والظاهر أن الحسين قاتل هذا ، فان حجراً قتل في سنة إحدى وخمسين ، وقبل سنة ثلاث وخمسين ، وعلى كل تقدير فالحسن قد مات قبله والله أعلم . فقتلوه رحمه الله وسامحه . وروينا أن معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلم عليها من وراء الحجاب - وذلك بعد . تمتلده حجراً وأصحابه - قالت له : أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه ؟ فقال لها : فقدته حين غاب عني من قومي مثلك يا أمه . ثم قال لها : فكيف برى بك يا أمه ؟ فقالت : إنك بي لبار ، فقال : يكفيني هذا عند الله ، وغداً لي ولحجر موقف بين يدي الله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إنما قتله الذين شهدوا عليه . وروى ابن جرير أن معاوية جعل يعر غر بالموت وهو يقول : إن يومى بك يا حجر بن عدى لطويل ، قالها ثلاثاً فله الله أعلم .

وقال محمد بن سعد في الطبقات : ذكر بعض أهل العلم أن حجراً وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخيه هانيء بن عدى ، - وكان من أصحاب علي - فله قدم ريبان بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدى فقال : تعلم أنى أعرفك وقد كنت أنا وأباك على أمر قد علمت - يعني من حب علي - وأنه قد جاء غير ذلك ، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله ، املك عليك لسانك ، وليسطك منزلك ، وهذا سر برى فهو مجلسك ، وحوائبك متضية لدى ، فاكفى نفسك فاني أعرف عجلتك ، فأنشدك الله في نفسك ، وإياك وهذه السقطة وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك . فقال حجر : قد فهمت ، ثم انصرف إلى منزله فاتاه الشيعة فقالوا : ما قال لك ؟ قال قال لي كذا وكذا . وسار زياد إلى البصرة ثم جعلوا يترددون إليه يقولون له : أنت شيخنا ، وإذا جاء المسجد مشوا معه ، فأرسل إليه عمرو بن حريث - نائب زياد على الكوفة - يقول : ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير ما قد علمت ؟ فقال للرسول : إنهم ينكرون ما أنتم عليه ، إليك ورايك أوسع لك . فكتب عمرو بن حريث إلى زياد : إن كان لك حاجة بالكوفة فاجعل العجل ، فأعجل زياد السير إلى الكوفة ، فلما وصل بعث إليه عدى بن حاتم ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وخالد بن عرفطة في جماعة من أشرف الكوفة لينهوه عن هذه الجماعة ، فأتوه فجملوا يمدونونه ولا يرد عليهم شيئاً ، بل جعل يقول : يا غلام أعلفت البكر ؟ لبكر مر بوط في الدار - فقال له عدى بن حاتم : أجنون أنت ، نكاملك وأنت تقول : أعلفت البكر ، ثم قال عدى لأصحابه : ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى . ثم نهضوا فأخبروا زياداً ببعض الخبر وكتبوه بعضاً ، وحسنوا أمره وسألوه لرفق به فلم يقبل ، بل بعث إليه الشرط والمخاربه فأتى به وأصحابه ، فقال له : مالك وملكك ؟ قال :

إني على بيعتي لمعاوية ، فجمع زياد سبعين من أهل الكوفة فقال : اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه ، ففعلوا ، ثم أوفدهم إلى معاوية ، وبلغ الخبر عائشة فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم ، فلما دخلوا على معاوية قرأ كتاب زياد فقال معاوية : اخرجوا بهم إلى عذراء فاقتلوه هناك ، فذهبوا بهم ثم قتلوا منهم سبعة ، ثم جاء رسول معاوية بالتخليفة عنهم ، وأن يطلقوهم كلهم ، فوجدوا قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين ، ولكن كان حجر فيمن قتل في السبعة الأول ، وكان قد سألهم أن يصلي ركعتين قبل أن يقتلوه ، فصلى ركعتين فطول فيهما ، وقال إنهما لأخف صلاة صليتها . وجاء رسول عائشة بعد ما فرغ من شأنهم . فلما حج معاوية قالت له عائشة : أين عزب عنك حلك حين قتلت حجراً ؟ فقال : حين غاب عني مثلك من قومي . وروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية : أقتلت حجر بن الأديب ؟ فقال معاوية : قتله أحب إلي من أن أقتل معه مائة ألف . وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حجر بن عدي وأصحابه أنهم كانوا ينالون من عثمان ويطلقون فيه مقالة الجور ، وينتقدون على الأمراء ، ويسارعون في الإنكار عليهم ، ويبالغون في ذلك ، ويتولون شيعة علي ، ويتشددون في الدين . وروى أنه لما أخذ في قيوده سائراً من الكوفة إلى الشام تلقته بناته في الطريق وهن يبكين ، فقال نحوهن : فقال إن الذي يطعمكم ويكسوكم هو الله وهو باق لكن بعدي ، فعمليكن بتقوى الله وعبادته ، وإني إما أن أقتل في وجهي وهي شهادة ، أو أن أرجع إليكن . مكرماً ، والله خليفتي عليكم . ثم انصرف مع أصحابه في قيوده ، ويقال إنه أوصى أن يدفن في قيوده ففعل ذلك به ، ولكن صلوا عليهم ودفنوه مستقبل القبلة رحمهم الله وسامحهم . وقد قالت امرأة من المشيعات ترى حجراً - وهي هند بنت زيد بن مخزوم الأنصارية - ويقال إنها لهند أخت حجر فآله أعلم .

ترفعُ أبها القمرُ المنيرُ \* تبصرُ هل ترى حجراً يسيرُ  
يسيرُ إلى معاوية بن حرب \* ليقتله كما زعمَ الأميرُ  
برى قتلَ الخيارِ عليه حقاً \* له من شرِّ أمته وزيرُ  
ألا ياليتَ حجراً ماتَ يوماً \* ولم ينحزْ كما نحزَ البعيرُ  
نجبرت الجبابرة بعد حجرٍ \* وطاب لها الخورنقُ والسديرُ  
وأصبحت البلادُ له محولاً \* كأن لم يجيها مننٌ مطيرُ  
ألا يا حجرُ حجرُ بنِ عدي \* تلقنك السلامةُ والسرورُ  
أخافُ عليك ما أردى عدياً \* وشيخاً في دمشق له زبيرُ  
فإن تهلك فكلُ زعيمِ قومٍ \* من الدنيا إلى هلكِ يصيرُ



فرضوا أن الآله عليك ميتاً \* وجناتٍ بها نعمٌ وحرورٌ

وذكر ابن عساكر له مرأى كثيرة . وقال يعقوب بن سفيان : حدثني حرمة أنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فقالت : ما حملك على قتل أهل عذراء ، حجراً وأصحابه ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني رأيت في قتلهم صلاحاً للأمة ، وفي مقامهم فساداً للأمة ، فقالت : سمعت رسول الله يقول : « سيقتل بعذراء أناس يفضب الله لهم وأهل السماء » . وهذا إسناد ضعيف منقطع . وقد رواه عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن أبي الأسود أن عائشة قالت : بلغني أنه سيقتل بعذراء أناس يفضب الله لهم وأهل السماء . وقال يعقوب : حدثني ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد عن عبد الله بن رزين النافقي . قال : سمعت علياً يقول : يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ، قال : يقتل حجر وأصحابه - ابن لهيعة ضعيف - . وروى الامام أحمد عن ابن عليه عن ابن عون عن نافع قال : كان ابن عمر في السوق فنعى له حجر فأطلق حبوته وقام وغلب عليه النجيب . وروى أحمد عن عفان عن ابن عليه عن أبوب عن عبد الله بن أبي مليكة - أو غيره - قال لما قدم معاوية المدينة دخل على عائشة فقالت : أقتلت حجراً ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خيراً من استحيائه في فسادهم . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان . قال : دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت : يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفملت الذي فعلت ، أما خشيت أن أخبالك رجلاً يقتلك ؟ فقال : لا ! إني في بيت الأمان ، سمعت رسول الله يقول : « الإيمان ضد الفتك لا يفتك مؤمن » . يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك ؟ قالت : صالح . قال : فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل . وفي رواية أنها حجبتة وقالت : لا يدخل عليّ أبداً ، فلم يزل يتلطف حتى دخل فلامته في قتله حجراً ، فلم يزل يمتدح حتى عذرتة . وفي رواية : أنها كانت تتوعده وتقول : لولا يغلبنا سفهاؤنا لكان لي وللمعاوية في قتله حجراً شأن ، فلما اعتذر إليها عذرتة . وذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة من الأكابر جرير بن عبد الله البجلي ، وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث ، وحارثة بن النعمان ، وحجر بن عدي ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو بكر نقيع بن الحارث الثقفى ، رضى الله عنهم .

#### فأما جرير بن عبد الله البجلي

فأسلم بعد نزول المائدة ، وكان إسلامه في رمضان سنة عشر ، وكان قدومه ورسول الله بخطب ، وكان قد قال في خطبته : « إنه يقدم عليكم من هذا الفج من خير ذى يمن ، وإن على وجهه مسحة ملك » ، فلما دخل نظر الناس إليه فكان كما وصف رسول الله ص ، وأخبروه بذلك فحمد الله

تعالى . و يروى أن رسول الله - ص . لما جالسه بسط له رداءه وقال : « إذا جاءكم كريم قوم فاكرهوه » قال ابن جرير : وفي هذه السنة ولى زياد على خراسان بعد موت الحكم بن عمرو الربيع بن زياد الحارثي ففتح بلخ صلحاً ، وكانوا قد غلقوها بعد ما صالحهم الأحنف ، وفتح قوهستان عنوة ، وكان عندها أتراك فقتلهم ولم يبق منهم إلا ترك طرخان ، فقتله قتيبة بن مسلم بعد ذلك كما سيأتي . وفي هذه السنة غزا الربيع ما وراء النهر فغتم وسلم ، وكان قد قطع ما وراء النهر قبله الحكم بن عمرو ، وكان أول من شرب من النهر غلام للحكم ، فسقى سيده وتوضأ الحكم وصلى وراء النهر ركعتين ثم رجع ، فلما كان الربيع هذا غزا ما وراء النهر فغتم وسلم . وفي هذه السنة حج بالناس يزيد بن معاوية فيما قاله أبو معشر والواقدي ، وبعثه رسول الله إلى ذي الخليفة - وكان بينا تعظمه دوس في الجاهلية - فذكر أنه لا يثبت على الخليل ، فضرب في صدره وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً » فذهب فهدمه . وفي الصحيحين أنه قال : ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ولا رأني إلا تبسم . وكان عمر بن الخطاب يقول : جرير يوسف هذه الأمة . وقال عبد الملك بن عمير : رأيت جريراً كأن وجهه شقة قر . وقال الشعبي : كان جرير هو وجماعة مع عمر في بيت . فاشتم عمر من بعضهم رجماً ، فقال : عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ ، فقال جرير : أو تقوم كنا فتوضأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعم السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت في الإسلام . وقد كان عاملاً لعثمان على همدان ، يقال إنه أصيبت عينه هناك ، فلما قتل عثمان اعتزل علياً ومعاوية ، ولم يزل مقبلاً بالجزيرة حتى توفي بالسرارة ، سنة إحدى وخمسين ، قاله الواقدي ، وقيل سنة أربع ، وقيل سنة ست وخمسين .

#### وأما جعفر بن أبي سفيان بن عبد المطلب

فأسلم مع أبيه حين تلقياه بين مكة والمدينة عام الفتح ، فلما ردهما قال أبو سفيان : والله لئن لم يأذن لي عليه لا آخذن بيد هذا فأذهبن في الأرض فلا يدري أين أذهب ، فلما بلغ ذلك رسول الله رقى له وأذن له وقبل إسلامهما فأسلما إسلاماً حسناً ، بعد ما كان أبو سفيان يؤذى رسول الله أذى كثيراً ، وشهد حنيناً ، وكان ممن ثبت يومئذ رضي الله عنهما .

#### وأما حارثة بن النعمان الأنصاري النجاري

فشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد ، وكان من فضلاء الصحابة ، وروى أنه رأى جبريل مع رسول الله بالمقاعد يتحدثان بعد خير ، وأنه رآه يوم بني قريظة في صورة دحية . وفي الصحيح أن رسول الله - ص . سمع قراءته في الجنة . قال محمد بن سعد : حدثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا محمد بن عثمان عن أبيه أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره فجعل خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته ، فإذا جاءه المسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ يمسك بذلك الخيط حتى

يضع ذلك في يد المسكين ، وكان أهله يقولون له : نحن نكفيك ذلك ، فيقول : سمعت رسول الله (س) يقول : « مناولة المسكين تقي مئة سوء » . وأما حجر بن عدى فقد تقدمت قصته مبسوطاً .  
وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي

فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، وأخته عاتكة زوجة عمر ، وأخت عمر فاطمة زوجة سعيد ، أسلم قبل عمر هو وزوجته فاطمة ، وهاجرا ، وكان من سادات الصحابة قال عروة والزهرى وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والواقدي وغير واحد : لم يشهد بدرأ لأنه قد كان بعثه رسول الله هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش فلم يرجعا حتى فرغ من بدر ، فضرب لهما رسول الله بسهمهما وأجرهما ، ولم يذكره عمر في أهل الشورى لثلاثي سبب قرابته من عمر فيولى فتركه لذلك ، وإلا فهو ممن شهد له رسول الله (س) بالجنة في جملة العشرة ، كما صحت بذلك الأحاديث المتعددة الصحيحة ، ولم يتول بعده ولاية ، وما زال كذلك حتى مات بالكوفة ، وقيل بالمدينة وهو الأصح ، قال الفلاس وغيره : سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ثنتين وخمسين والله أعلم . وكان رجلاً طوالاً أشعر ، وقد غسله سعد ، وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة ، وكان عمره يومئذ بضعاً وسبعين سنة .

وأما عبدالله أنيس بن الجهني ابو يحيى المدني

فصحابي جليل شهد العقبة ولم يشهد بدرأ . وشهد ما بعدها ، وكان هو ومعاذ يكسران أصنام الأنصار ، له في الصحيح حديث أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ، وهو الذي بعثه رسول الله إلى خالد بن سفيان الهذلي فقتله بعرة وأعطاه رسول الله محصره وقال : « هذه آية ما بيني وبينك يوم القيامة » فأمر بها فدفنت معه في أكفانه . وقد ذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة إحدى وخمسين ، وقال غيره سنة أربع وخمسين وقيل سنة ثمانين .

وأما ابو بكرة نفيح بن الحارث

ابن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة الثقفي فصحابي جليل كبير القدر ، ويقال كان اسمه مسروح وإنما قيل له أبو بكرة لأنه تدلى في بكرة يوم الطائف فأعتقه رسول الله وكل مولى فر إليهم يومئذ . وأمه سمية هي أم زياد ، وكانا ممن شهد على المغيرة بالزنا هو وأخوه زياد ومعهما سهل بن معبد ، ونافع بن الحارث فلما تلصقا زياد في الشهادة جلد عمر الثلاثة الباقيين ثم استتابهم فتابوا إلا أبا بكرة فإنه صمم على الشهادة ، وقال المغيرة : يا أمير المؤمنين اشفني من هذا العبد ، قهره عمر وقال له : اسكت ! لو كنت الشهادة لرجمتك بأحجارك ، وكان أبو بكرة خيراً هؤلاء الشهود وكان ممن اعتزل الفتن فلم يكن في خيرهما ، ومات في هذه السنة ، وقيل قبلها بسنة ، وقيل بعدها بسنة وصلى عليه أبو

برزة الأسلمى ، وكان قد آخى بينهما رسول الله (ص) .

وفيهما توفيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، تزوجها رسول الله (ص) ، في عمرة القضاء سنة سبع ، قال ابن عباس - وكان ابن أختها أليم الفضل لبابة بنت الحارث - : تزوجها رسول الله (ص) ، وهو محرم ، وثبت في صحيح مسلم عنها أنها كانا حلالين ، وقولها مقدم عند الأكثرين على قوله . وروى الترمذى عن أبي رافع - وكان السفير بينهما - أنها كانا حلالين . ويقال كان اسمها برة فسمها رسول الله ميمونة ، وتوفيت بسرف بين مكة والمدينة حيث بنى بها رسول الله (ص) ، في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، والمشهور الأول ، وصلى عليها ابن أختها عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

### ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين

ففيها غزا بلاد الروم وشقى بها سفيان بن عوف الأزدي فمات هنالك ، واستخلف على الجند بعده عبد الله بن مسعدة الفزارى ، وقيل إن الذى كان أمير الغزو ببلاد الروم هذه السنة بسر بن أبى أرطاة ومعه سفيان بن عوف . وتخرج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص نائب المدينة ، قاله أبو معشر والواقدي وغيرهما . وغزا الصائفة محمد بن عبد الله الثقفى . وعمال الأمصار في هذه السنة عملها في السنة الماضية .

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

خالد بن زيد بن كليب

أبو أيوب الأنصارى الخزرجى شهد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها ، وشهد مع على قتال الحرورية ، وفي داره كان نزول رسول الله (ص) . حين قدم المدينة فأقام عنده شهراً حتى بنى المسجد ومساكنه حوله ، ثم نحول إليها ، وقد كان أبو أيوب أنزل رسول الله في أسفل داره ثم تخرج من أن يعلو فوقه ، فسأل من رسول الله (ص) : أن يصعد إلى العلو ويكون هو وأم أيوب في السفلى فأجابه . وقد روينا عن ابن عباس أنه قدم عليه أبو أيوب البصرة وهو نائبها فخرج له عن داره وأنزله بها ، فلما أراد الانصراف خرج له عن كل شئ بها ، وزاده تحفاً وخبزاً كثيراً أربعين ألفاً ، وأربعين عبداً إكراماً له لما كان أنزل رسول الله (ص) ، في داره ، وقد كان من أكبر الشرف له . وهو القائل لزوجته أم أيوب - حين قالت له : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - ؟ فقال : أ كنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ فقالت : لا والله فقال : والله لى خير منك ، فأنزل الله [ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ] الآية . وكانت وفاته ببلاد الروم قريباً من سور قسطنطينية من هذه السنة ، وقيل في التى قبلها ، وقيل في التى بعدها . وكان في جيش يزيد بن معاوية ، وإليه أوصى ، وهو الذى صلى عليه . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عثمان ثنا همام ثنا أبو عاصم عن رجل من أهل مكة أن يزيد بن

معاوية كان أميراً على الجيش الذي غزاه فيه أبو أيوب ، فدخل عليه عند الموت فقال له : إذا أنا مت فقرأوا على الناس مني السلام وأخبروهم أنني سمعت رسول الله (ص) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً جله الله في الجنة » . ولينطلقوا فيبعثوني في أرض الروم ما استطاعوا . قال : فحدث الناس لما مات أبو أيوب فأسلم الناس وانطلقوا بجنائزته . وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي ظبيان قال : غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية قال : فقال إذا مت فأدخلوني في أرض العدو فأدفنوني تحت أقدامكم حيث تلقون العدو ، قال : ثم قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » . ورواه أحمد عن ابن نمير ويعلى بن عبيد عن الأعمش سمعت أبا ظبيان فذكره ، وقال فيه : سأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله (ص) ، لولا حالى هذا ما حدثتكموه ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » : وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني محمد بن قيس - قاضي عمر بن عبد العزيز - عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كنتم عنكم شيئاً سمعته من رسول الله (ص) ، سمعته يقول : « لولا أنكم تذبون لخلق الله قوماً يذنبون فيغفر لهم » . وعندى أن هذا الحديث والذي قبله هو الذي حمل يزيد بن معاوية على طرف من الأرجاء ، وركب بسببه أفعالاً كثيرة أنكرت عليه كما سنذكره في ترجمته والله تعالى أعلم .

قال الواقدي : مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ثنتين وخمسين ودفن عند القسطنطينية وقبره هنالك يستسقى به الروم إذا قحطوا ، وقيل : إنه مدفون في حائط القسطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد وهم يعظمونه ، وقال أبو زرعة الدمشقي : توفي سنة خمس وخمسين ، والأول أثبت والله أعلم . وقال أبو بكر بن خلاد : حدثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا داود بن المحبر ثنا ميسرة بن عبد ربه عن موسى بن عبيدة عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي (ص) . قال : « إن الرجلين ليتوجهاً إلى المسجد فيصلبان فينصرف أحدهما وصلاته أوزن من صلاة الآخر ، وينصرف الآخر وما تعدل صلته مثقال ذرة ، إذا كان أورعهما عن محارم الله وأحرصهما على المسارعة إلى الخير » . وعن أبي أيوب قال قال رسول الله (ص) ، لرجل سأله أن يعلمه ويوجز فقال له : « إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع ، ولاتكلمن بكلام تعتذر منه ، واجمع اليأس مما في أيدي الناس » وفيها كانت وفاة أبي موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غز بن بكر بن عامر بن عنبر بن وائل بن ناجية بن جاهر بن الأشعر الأشعري ، أسلم ببلادهم وقدم مع جعفر وأصحابه علم خبير ، وذكر محمد بن إسحاق أنه هاجر أولاً إلى مكة ثم هاجر إلى اليمن ، وليس هذا بالمشهور ، وقد استعمله رسول الله (ص) مع معاذ على اليمن ، واستنابه عمر على البصرة ، وفتح تستر ،

وشهد خطبة عمر بالجابية ، وولاه عثمان الكوفة ، وكان أحد الحكمين بين علي ومعاوية ، فلما اجتمعا خدع عمرو وأبا موسى ، وكان من قراء الصحابة وفقهائهم ، وكان أحسن الصحابة صوتاً في زمانه ، قال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صنح ولا يربط ولا مزمار أطيب من صوت أبي موسى وثبت في الحديث أن رسول الله (ص) قال : « لقد أوتى هذا مزماراً من مزمار آل داود » . وكان عمر يقول له : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ وهم يسمعون . وقال الشعبي : كتب عمر في وصيته أن لا يقرى عامل أكثر من سنة إلا أبا موسى فليقر أربع سنين . وذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة ، وهو قول بعضهم ، وقيل إنه توفي قبلها بسنة ، وقيل في سنة ثنتين وأربعين ، وقيل غير ذلك والله أعلم . وكانت وفاته بمكة لما اعتزل الناس بعد التحكيم ، وقيل بمكان يقال له : الثوبة على ميلين من الكوفة . وكان قصيراً نحيف الجسم أسبط ، أي لا لحية له ، رضى الله عنه . وذكر ابن الجوزي أنه توفي في هذه السنة أيضاً من الصحابة .

#### عبدالله بن المغفل المزني

وكان أحد البكائين ، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة ليفقهوا الناس ، وهو أول من دخل تستر من المسلمين حين فتحها . لكن الصحيح ما حكاه البخاري عن مسدد أنه توفي سنة سبع وخمسين . وقال ابن عبد البر : توفي سنة ستين ، وقال غيره : سنة إحدى وستين والله أعلم . وروى عنه أنه رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وكان هناك مكان من وصل إليه نجا ، فجعل يحاول الوصول إليه فقيل له : أتريد أن تصل إليه وعندك ما عندك من الدنيا ؟ فاستيقظ فعمد إلى عيبة عنده فيها ذهب كثير فلم يصبح عليه الصباح إلا وقد فرقها في المساكين والمحاويج والأقارب رضى الله عنه . وفيها توفي عمران بن حصين بن عبيد

ابن خلف أبو نجيذ الخزاعي ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر وشهد غزوات ، وكان من سادات الصحابة ، استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة فحكم له بها ، ثم استعفاه فأعفاه ، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة ، قال الحسن : وابن سيرين البصري : ما قدم البصرة راكب خير منه ، وقد كانت الملائكة تسلم عليه فلما اكنوى أنقطع عنه سلامهم ثم عادوا قبل موته بقليل فكاتبوا يسلمون عليه رضى الله عنه وعن أبيه .

#### كعب بن عجرة الأنصاري أبو محمد المدني

صحابي جليل وهو الذي نزلت فيه آية الفدية في الحج . مات في هذه السنة ، وقيل قبلها بسنة عن خمس أو سبع وسبعين سنة . معاوية بن خديج

ابن جفنة بن قتيبة الكندي الخولاني المصري ، صحابي على قول أكثرين ، وذكره ابن

حبان في التابعين من الثقة ، والصحيح الأول ، شهد فتح مصر ، وهو الذي وفد إلى عمر بفتح الاسكندرية ، وشهد مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح قتال البربر ، وذهبت عينه يومئذ ، وولى حروباً كثيرة في بلاد المغرب ، وكان عثمانياً في أيام علي ببلاد مصر ، ولم يبايع علياً بالكلية ، فلما أخذ معاوية بن أبي سفيان مصر أكرمه ثم استنابه بها بعد عبد الله بن عمرو بن العاص ، فانه نائب بها بعد أبيه سنتين ثم عزله معاوية وولى معاوية بن خديج هذا ، فلم يزل بمصر حتى مات بها في هذه السنة .

هانئ بن نيار ابو بردة البلوي

المخصوص بذبح العناق وإجزائها عن غيرها من الأضاحي ، وشهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها وكانت راية بني حارثة معه يوم الفتح رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

ففيها غزا عبد الرحمن بن أم الحكم بلاد الروم وشتى بها ، وفيها افتتح المسلمون وعليهم جنادة ابن أبي أمية جزيرة رودس فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشد شئاً على الكفار ، يعترضون لهم في البحر ويقطعون سبيلهم ، وكان معاوية يدر عليهم الأرزاق والأعطيات الجزيلة ، وكانوا على حذر شديد من الفرنج ، يبيتون في حصن عظيم عنده فيه حوائجهم ودوابهم وحواصلهم ، ولهم نواطير على البحر ينذرونهم إن قدم عدو أو كادهم أحد ، وما زالوا كذلك حتى كانت إمرة يزيد بن معاوية بعد أبيه ، فحولهم من تلك الجزيرة ، وقد كانت للمسلمين بها أموال كثيرة وزراعات غزيرة . وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص والى المدينة أيضاً ، قاله أبو معشر والواقدي . وفي هذه السنة توفي جبلة ابن الأيهم الغساني كما ستأتي ترجمته في آخر هذه التراجم .

وفيها توفي الربيع بن زياد الحارثي ، اختلف في صحبته وكان نائب زياد على خراسان ، وكان قد ذكر حجر بن عدى فأسف عليه ، وقال : والله لو نارت العرب له لما قتل صبراً ولكن أقرت العرب فذلت ، ثم لما كان يوم الجمعة دعا الله على المنبر أن يقبضه إليه فما عاش إلى الجمعة الأخرى ، واستخلف على عمله ابنه عبد الله بن الربيع فأقره زياد على ذلك ، فمات بعد ذلك بشهرين ، واستخلف على عملهم بخراسان خليل بن عبد الله الحنفي فأقره زياد .

رويفع بن ثابت

صحابي جليل شهد فتح مصر ، وله آثار جيدة في فتح بلاد المغرب ، ومات ببرقة والياً من جهة مسلمة بن مخلد نائب مصر .

وفي هذه السنة أيضاً توفي زياد بن أبي سفيان ويقال له : زياد بن أبيه وزياد بن سمية - وهي أمه -

في رمضان من هذه السنة مطعوناً ، وكان سبب ذلك أنه كتب إلى معاوية يقول له : إني قد ضبطت لك العراق بشمالى و يمينى فارغة ، فارح لى ذلك ، وهو يعرض له أن يستنيه على بلاد الحجاز أيضاً ، فلما بلغ أهل الحجاز جاءوا إلى عبد الله بن عمر فشكوا إليه ذلك ، وخافوا أن يلى عليهم زياد ، فيمنهم كما عسف أهل العراق ، فقام ابن عمر فاستقبل القبلة فدعا على زياد والناس يؤمنون ، فطعن زياد بالعراق في يده فضاقت ذراعاً بذلك ، واستشار شريحاً القاضى في قطع يده ، فقال له شريح : إني لا أرى ذلك ، فانه إن لم يكن في الأجل فسحة لقيت الله أجندم قد قطعت يدك خوفاً من لقائه ، وإن كان لك أجل بقيت في الناس أجندم فيعير ولدك بذلك . فصرفه عن ذلك ، فلما خرج شريح من عنده عاتبه بعض الناس : وقالوا : هلا تركته فقطع يده ؟ فقال : قال رسول الله (ص) : « المستشار مؤتمن » . ويقال إن زياداً جعل يقول : أنا أنام والطاعون في فراش واحد ؟ فعزم على قطع يده ، فلما جئ بالمكايى والحديد خاف من ذلك فترك ذلك ، وذكر أنه جمع مائة وخمسين طبيباً ليداووه مما يجد من الحر في باطنه ، منهم ثلاثة ممن كان يطب كسرى بن هرمز ، فمجزوا عن رد القدر المحتوم والأمر المحموم ، فمات في ثالث شهر رمضان في هذه السنة ، وقد قام في إمرة العراق خمس سنين . ودفن بالثوبة خارج الكوفة ، وقد كان برز منها قاصداً إلى الحجاز أميراً عليها ، فلما بلغ خبر موته عبد الله بن عمر قال : اذهب إليك يا ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت . قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني أبي عن هشام بن محمد حدثني يحيى بن ثعلبة أبو المقدم الأنصارى عن أمه عن عائشة عن أبيها عبد الرحمن بن السائب الأنصارى . قال : جمع زياد أهل الكوفة فلأ منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرض عليهم البراءة من على بن أبي طالب ، قال عبد الرحمن : فاني لمع نفر من أصحابى من الأنصار ، والناس في أمر عظيم من ذلك وفي حصر ، قال : فهومت تهوية - أى نعست نعسة - فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق ، له عنق مثل عنق البعير ، أهدب أهدل فقلت : ما أنت ؟ فقال : أنا النقاد ذو الرقبة ، بعثت إلى صاحب هذا القصر ، فاستيقظت فزعا فقلت لأصحابى : هل رأيتم ما رأيتم ؟ قالوا : لا ! فأخبرتهم ، وخرج علينا خارج من القصر فقال : إن الأمير يقول لكم : انصرفوا عني : فاني عنكم مشغول . وإذا الطاعون قد أصابه . وروى ابن أبي الدنيا أن زيادا لما ولى الكوفة سأل عن أعبدها فدل على رجل يقال له أبو المغيرة الحميرى ، فجاء به فقال له : الزم بينك ولا تخرج منه وأنا أعطيك من المال ماشئت ، فقال : لو أعطيتنى ملك الأرض ما تركت خروجى لصلاة الجماعة . فقال الزم الجماعة ولا تتكلم بشئ . فقال : لا أستطيع ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فأمر به فضربت عنقه . ولما احتضر قال له ابنه : يا أبة قد هيات لك ستين ثوباً أ كفنك فيها ، قال يا بني قد دنا من أبيك أمر إما لباس خير من لباسه وإما سلب سريع . وهذا غريب جدا .



### صعصعة بن ناجية

ابن عفان بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، كان سيدا في الجاهلية وفي الاسلام ، يقال إنه أحيى في الجاهلية ثلثمائة وستين موؤدة ، وقيل أربعمائة ، وقيل ستا وتسعين موؤدة ، فلما أسلم قال له رسول الله (ص) : « لك أجر ذلك إذ من الله عليك بالاسلام » . و يروى عنه أنه أول ما أحيى الموؤدة أنه ذهب في طلب ناقتين شردتا له ، قال فبينما أنا في الليل أسير إذ أنا بنار تضيء مرة وتخبو أخرى . فجعلت لا أهدى إليها ، فقلت : اللهم لك على إن أوصلتني إليها إن أدفع عن أهلها ضيما إن وجدته بهم ، قال فوصلت إليها وإذا شيخ كبير يوقد نارا وعنده نسوة مجتمعات ، فقلت : ما أنتن ؟ فقلن إن هذه امرأة قد حبستنا منذ ثلاث ، تطلق ولم تخلص ، فقال الشيخ صاحب المنزل : وما خبرك ؟ فقلت : إني في طلب ناقتين نددتالي ، فقال : قد وجدتهما ، إنهما لفي إبلنا ، قال فترأت عنده ؟ قال فما هو الا أن نزلت إذ قلن وضعت ، فقال الشيخ : إن كان ذكرا فارتحلوا ، وإن كان أنثى فلا تسمعني صوتها ، فقلت : علام تقتل ولك ورزقة على الله ؟ فقال : لا حاجة لي بها ، فقلت : أنا أفنديها منك وأتركها عندك حتى تبين عنك أو تموت . قال : بكم ؟ قلت . باحدى ناقتي ، قال : لا اقلت فيهما ، قال لا إلا أن تزيدني بعيرك هذا فاني أراه شابا حسن اللون ، قلت نعم على أن تردني إلى أهلي ، قال نعم ، فلما خرجت من عندهم رأيت أن الذي صنعته نعمة من الله من بها على هداني إليها ، فجعلت لله على أن لا أجد موؤدة إلا أفنديتها كما أفنديت هذه ، قال فما جاء الاسلام حتى أحييت مائة موؤدة إلا أربعة ، ونزل القرآن بتحريم ذلك على المسلمين .

ومن توفي في هذه السنة من المشاهير المذكورين جبلة بن الأيهم الغساني ملك نصارى العرب وهو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر ، واسمه المنذر بن الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، وهو ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، واسمه كعب أبو عامر بن حارثة بن امرئ القيس ، ومارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ويقال غير ذلك في نسبه ، وكنيته جبلة أبو المنذر الغساني الجفني ، وكان ملك غسان ، وهم نصارى العرب أيام هرقل ، وغسان أولاد عم الانصار أوسها وخزرجها ، وكان جبلة آخر ملوك غسان ، فكتب إليه رسول الله (ص) كتابا مع شجاع بن وهب يدعو إلى الاسلام فأسلم وكتب باسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عساکر : إنه لم يسلم قط ، وهكذا صرح به الواحدى وسعيد بن عبد العزيز . وقال الواقدي : شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر ، فاتفق أنه وطئ رداء رجل من مزينة بدمشق فلطمه ذلك المزني ، فدفعه أصحاب جبلة إلى أبي عبيدة فقالوا : هذا لطم جبلة ، قال أبو عبيدة : فيلطمه جبلة : فقالوا : أو ما يقتل ؟ قال لا ! قالوا : فما تقطع يده ؟ قال لا ، إنما أمر الله

بالقود ، فقال جبلة : أترون أتى جاعل وجهي بدلا لوجه مازني جاء من ناحية المدينة ؟ بئس الدين هذا ، ثم ارتد نصرانيا وترحل بأهله حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحسان : إن صديقك جبلة ارتد عن الاسلام ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : ولم ؟ قال لطمه رجل من مزينة فقال : وحق له ، فقام إليه عمر بالدرة فضربه . ورواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وساق ذلك بأسانيده إلى جماعة من الصحابة . وهذا القول هو أشهر الأقوال . وقد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جبلة فرح بإسلامه ، ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة ، وقيل بل استأذنه جبلة في القدوم عليه فأذن له فركب في خلق كثير من قومه ، قيل مائة وخمسين راكبا ، وقيل خمسمائة ، وتلقته هدايا عمر ونزله قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة ، ولبس تاجا على رأسه مرصعا باللاكي والجواهر ، وفيه قرطامارية جدته ، وخرج أهل المدينة رجالهم ونسأؤهم ينظرون إليه ، فلما سلم على عمر رحب به عمر وأدنى مجلسه ، وشهد الحج مع عمر في هذه السنة ، فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وطئ أزاره رجل من بني فزارة فأنجل ، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل ، ومن الناس من يقول : إنه قلع عينه ، فاستعدى عليه الفزاري إلى عمر ومعه خلق كثير من بني فزارة ، فاستحضره عمر فاعترف جبلة ، فقال له عمر : أقدته منك . فقال : كيف وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال : إن الاسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلا بالتقوى ، فقال جبلة : قد كنت أظن أن أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية ، فقال عمر : دع ذاعتك ، فانك إن لم ترض الرجل أقدته منك ، فقال إذا أنتصر ، فقال إن تنصرت ضربت عنقك ، فلما رأى الحد : قال سأنظر في أمرى هذه الليلة ، فانصرف من عند عمر ، فلما ادلهم الليل ركب في قومه ومن أطاعه فسار إلى الشام ثم دخل بلاد الروم ودخل على هرقل في مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأقطعهم بلادا كثيرة ، وأجرى عليه أرزاقا جزيلة ، وأهدى إليه هدايا جميلة ، وجعله من سباه ، فكث عنده دهرًا . ثم إن عمر كتب كتابا إلى هرقل مع رجل يقال له جثامة بن مساحق الكناني ، فلما بلغ هرقل كتاب عمر بن الخطاب قال له هرقل : هل لقبك ابن عمك جبلة ؟ قال : لا ! قال فآلقه ، فذكر اجتماعه به وما هو فيه من النعمة والسرور والحبور الدنيوي ، في لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواريه ، حوالبه الحسان من الخدم والقيان ، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوض بها عن دار الاسلام ، وذكر أنه دعاه إلى الاسلام والعود إلى الشام فقال : أبعد ما كان مني من الارتداد ؟ فقال : نعم ! إن الأشعث بن قيس ارتد وقاتلهم بالسيوف ، ثم لما رجع إلى الحق قبله منه وزوجه الصديق بأخته أم فروة ، قال : فالتهى عنه بالطعام والشراب ، وعرض عليه الخمر فأبى عليه ، وشرب جبلة من الخمر شيئا كثيرا حتى سكر

ثم امر جواريه المغنيات فغنيته بالعيد ان من قول حسان يمدح بنى عمه من غسان والشعر فى والدجيلة  
هذا الحيوان .

للهِ ذرٌ عصابةٌ نادتهم \* يوماً بخلقٍ فى الزمانِ الأولِ  
أولادَ جفنةٍ حولَ قبرِ أبهم \* قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المفضلِ  
يسقونَ من وِردِ البريصِ عليهم \* برَدَى يُصَفِّقُ بالرحيقِ السلسلِ  
بيضُ الوجوهِ كريمةٍ أحسابهم \* شمِ الأنوفِ من الطرازِ الأولِ  
يفشونَ حتى ما نهرُ كلابهم \* لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ

قال : فأعجبه قولهن ذلك ، ثم قال : هذا شعر حسان بن ثابت الأنصارى فىنا وفى ملكنا ، ثم قال  
لى : كيف حاله ؟ قلت : تركته ضرباً شيوخاً كبيراً ، ثم قال لهن : أطر بنى فاندفعن يفنين لحسان أيضاً

لمنِ الديارُ أوحشتِ بمغانِ \* بينَ أعلا اليرموكِ فالصَّمانِ  
فالقرياتِ من بلامنِ فداري \* افسكاه لقصورِ الدوانى  
فقفا جاسمِ فأودية الص \* فر مغنى قبائلِ وهجانِ  
تلكَ دارُ العزيزِ بعدَ أنيسِ \* وحلوكِ عظيمةِ الأركانِ  
صلواتِ المسيحِ فى ذلكَ الديرِ \* رِداءِ القسيسِ والرهبانِ  
ذاك مغنى لآلِ جفنةٍ فى الده \* رِ محاهِ تعاقبِ الأزمانِ  
قد أرائى هناكَ حقٌ مكينِ \* عندَ ذى التاجِ مجلسى ومكانى  
ثكلتُ أمهمُ وقد ثكلتهم \* يومَ حلوا بحارثِ العولانى  
وقد دنا الفصحُ فالولائدُ ينظم \* ن سراعاً أكيلةَ المرجانِ

ثم قال : هذا لابن الفريضة حسان بن ثابت فىنا وفى ملكنا وفى منازلنا بأكناف غوطة دمشق ،  
قال : ثم سكت طويلاً ، ثم قال لهن : بكينى ، فوضعن عيد انهن ونكسن رؤوسهن وقلن :

تنصرتُ الأشرافِ من عارِ لظمةِ \* وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضررُ  
تكنفى فيها اللجاجُ ونخوةُ \* وبعثتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعوزِ  
فيا ليتَ أمى لم تلدنى وليتنى \* رجعتُ إلى القولِ الذى قاله عمرُ  
ويا ليتنى أرعى الخاضَ بقفرةِ \* وكنتُ أسيراً فى ربيعةٍ أو مضرِ  
ويا ليتَ لى بالشامِ أدنى معيشةِ \* أجالسُ قوميَ ذاهبِ السمعِ والبصرِ  
أدينُ بما دانوا به من شريعةِ \* وقد يصبرُ العودُ الكبيرُ على الدبرِ

قال : فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحينه بدموعه وبكىت معه ، ثم استدعى بخمسمائة دينار

هرقلية فقال : خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت ، وجاء بأخرى فقال : خذ هذه لك ، فقلت : لا حاجة لي فيها ولا أقبل منك شيئا وقد ارتددت عن الاسلام ، فيقال : إنه أضافها إلى التي لحسان ، فبعث بألف دينار هرقلية ، ثم قال له : أبلغ عمر بن الخطاب مني السلام وسائر المسلمين ، فلما قدمت على عمر أخبرته خبره فقال : ورأيتك يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ! قال : أبعدك الله ، تعجل فانية بياقية فاربحت تجارتك . ثم قال : وما الذي وجه به لحسان ؟ قلت : خمسمائة دينار هرقلية ، فدعا حسانا فدفعها إليه ، فأخذها وهو يقول :

إن ابن جفنة من بقية معشر \* ثم يغرم آباؤهم باللوم  
لم ينسى بالشام إذ هوربها \* كلا ولا متنصراً بالروم  
يعطى الجزيل ولا يراه عنده \* إلا كبعض عطية المحروم  
وأتيته يوماً ف قرب مجلسي \* وسقا فرواني من المنوم

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري رسولا إلى ملك الروم ، فاجتمع بجيلة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول ، فقال له جيلة : لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثينة فانها منازلنا ، وعشرين قرية من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا ، ويحسن جوائزنا ، لرجعت إلى الشام . فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله ، فقال معاوية : أنا أعطيه ذلك ، وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك ، فما أدركه البريد إلا وقد مات في هذه السنة قبضه الله . وذكر أكثر هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم ، وأرخ وفاته هذه السنة ، - أعني سنة ثلاث وخمسين - وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فأطال الترجمة وأفاد ، ثم قال في آخرها : بلغني أن جيلة توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة .

### سنة اربع وخمسين

ففيها كان شتى محمد بن مالك بأرض الروم ، وغزا الصائفة معن بن يزيد السلمي ، وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن إمرة المدينة ورد إليها مروان بن الحكم ، وكتب إليه أن يهزم دار سعيد بن العاص ، ويصطفى أمواله التي بأرض الحجاز ، فجاء مروان إلى دار سعيد ليهزمها فقال سعيد : ما كنت لتفعل ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلي بذلك ، ولو كتب إليك في داري لفعلته . فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولاء المدينة أن يهزم دار مروان ويصطفى ماله ، وذكر أنه لم يزل يحاجف دونه حتى صرف ذلك عنه ، فلما رأى مروان الكتاب إلى سعيد بذلك ، ثناه ذلك عن سعيد ، ولم يزل يدافع عنه حتى تركه معاوية في داره وأقر عليه أمواله . وفيها

عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة ، وكان زياد استخلفه عليها فأقره معاوية ستة أشهر ، وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان . وروى ابن جرير وغيره عن سمرة أنه قال لما عزله معاوية : لمن الله معاوية لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبدا . وهذا لا يصح عنه . وأقر عبد الله بن خالد بن أسيد على نيابة الكوفة ، وكان زياد قد استخلفه عليها فأبقاه معاوية . وقدم في هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية فأكرمه وسأله عن نواب أبيه على البلاد فأخبره عنهم ، ثم ولاة إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فسار إلى مقاطعته وتجهز من فوره غاديا إليها ، فقطع النهر إلى جبال بخارا ، ففتح رامس ونصف بيكند - وهما من معاملة بخارا - ولقي الترك هناك فقاتلهم قتالا شديدا وهزمهم هزيمة فظيمة بحيث إن المسلمين أعجلوا امرأة الملك أن تلبس خفيها ، فلبست واحدة وتركت أخرى ، فأخذها المسلمون قوموا جواهرها بمائتي ألف درهم ، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة ، وأقام عبيد الله بخراسان سنتين . وفي هذه السنة حج بالناس مروان بن الحكم نائب المدينة . وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، وقيل : بل كان عليها الضحاك بن قيس ، وكان على البصرة عبد الله بن غيلان .

### ذكر من توفي فيها من الاعيان

#### اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي

أبو محمد المدني مولى رسول الله (ص) ، وابن مولاة ، ووجه وابن حبه ، وأمه بركة أم أيمن مولاة رسول الله (ص) ، وحاضنته ، ولاة رسول الله الأمرة بعد مقتل أبيه فظعن بعض الناس في إمرته ، فقال رسول الله (ص) : « إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمره أبيه من قبله ، وإيم الله إن كان خليقا بالامارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى بعده » . وثبت في صحيح البخاري عنه : « أن رسول الله كان يجلس الحسن على فخذه ويجلس أسامة على فخذه الأخرى ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . وفضائله كثيرة . توفي رسول الله وعمره تسع عشرة سنة ، وكان عمر إذا لقيه يقول : السلام عليك أيها الأمير . وصحح أبو عمر بن عبد البر أنه توفي في هذه السنة ، وقال غيره سنة ثمان أو تسع وخسين ، وقيل توفي بعد مقتل عثمان فله أعلم .

**ثوبان بن محمد** مولى رسول الله (ص) ، تقدمت ترجمته في مواليه ومن كان يخدمه عليه السلام ، أصله من العرب فأصابه سبي فاشتراه رسول الله (ص) ، فأعتقه ، فلزم رسول الله سفرا وحضرا ، فلما مات أقام بالرملة ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها دارا ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة على الصحيح ، وقيل سنة أربع وأربعين وهو غلط ، ويقال إنه توفي بمصر ، والصحيح بحمص **جبير بن مطعم** تقدم أنه توفي سنة خمسين .

### الحارث بن ربيعي

أبو قتادة الأنصاري ، وقال الواقدي : اسمه النعمان بن ربيعي ، وقال غيره : عمرو بن ربيعي . وهو أبو قتادة الأنصاري السلمي المدني فارس الاسلام ، شهد أحداً وما بعدها ، وكان له يوم ذي قرد سعي مشكور كما قدمنا هناك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع » . وزعم أبو أحمد الحاكم أنه شهد بدرًا وليس بمعروف ، وقال أبو سعيد الخدري : أخبرني من هو خير مني أبو قتادة الأنصاري أن رسول الله قال لعمر : « تقتلك الفئة الباغية » . قال الواقدي وغير واحد : توفي في هذه السنة - يعني سنة أربع وخمسين - بالمدينة عن سبعين سنة ، وزعم الهيثم بن عدى وغيره أنه توفي بالكوفة سنة ثمان وثلاثين ، وصلى عليه علي بن أبي طالب . وهذا غريب **حكيم بن حزام** بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو خالد المكي ، أمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، وعمته خديجة بنت خويلد ، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم أولاده سوى إبراهيم . ولدت أمه في جوف الكعبة قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وذلك أنها دخلت تزور فضر بها الطلق وهي في الكعبة فوضعت على نطع ، وكان شديد المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما كان بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب لا يبايعوا ولا يناكحوا ، كان حكيم يقبل بالعبير يقدم من الشام فيشترى بها بكالها ، ثم ينهب بها فيضرب أديارها حتى يلج الشعب يحمل الطعام والكسوة تكرمه لرسول الله (س) ، ولعمته خديجة بنت خويلد . وهو الذي اشترى زيد بن حارثة فاتباعته منه عمته خديجة فوهبته لرسول الله فأعتقه ، وكان اشترى حلة ذي يزن فأهداها لرسول الله (س) ، فلبسها ، قال : فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها . ومع هذا ما أسلم إلا يوم الفتح هو وأولاده كلهم ، قال البخاري وغيره : عاش في الجاهلية ستين سنة ، وفي الاسلام ستين سنة ، وكان من سادات قريش وكرمائهم وأعلمهم بالنسب ، وكان كثير الصدقة والبر والعنافة ، فلما أسلم سأل عن ذلك رسول الله فقال : « أسلمت على ما أسلمت من خير » . وقد كان حكيم شهد مع المشركين بدرًا وتقدم إلى الحوض فكاد حمزة أن يقتله ، فما سحب إلا سحباً بين يديه ، فلهدا كان إذا اجتهد في اليمين يقول : لا والذي نجاني يوم بدر . ولما ركب رسول الله إلى فتح مكة ومعه الجنود بمر الظهران خرج حكيم وأبو سفيان يتجسسان الأخبار ، فلقبهما العباس ، فأخذ أبو سفيان فأجاره وأخذ له أماناً من رسول الله (س) ، وأسلم أبو سفيان ليلئذ كرها ، ومن صبيحة ذلك اليوم أسلم حكيم وشهد مع رسول الله (س) ، حنيناً ، وأعطاه مائة من الأبل ثم سأله فأعطاه ، ثم سأله فأعطاه ، ثم قال : « يا حكيم إن هذه المال حلوة خضرة ، وإنه من أخفه بسخاوة يورك له فيه ، ومن أخذه بامرأف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع » . فقال

حكيم : والذي بعثك بالحق لا أرزأ بعدك أبدا ، فلم يرزأ أحدا بعده ، وكان أبو بكر يعرض عليه العطاء فيأبى ، وكان عمر يعرض عليه العطاء فيأبى فيشهد عليه المسلمين ، ومع هذا كان من أغنى الناس ، مات الزبير يوم مات والحكيم عليه مائة ألف ، وقد كان بيده حين أسلم الرقادة ودار الندوة فباعها بعد من معاوية بمائة ألف ، وفي رواية بأربعين ألف دينار ، فقال له ابن الزبير : بعت مكرمة قريش ؟ فقال له حكيم : ابن أخي ذهبت المكارم فلا كرم إلا التقوى ، يا ابن أخي إني اشتريتها في الجاهلية بزق خمر ، ولأشترين بها دارا في الجنة ، أشهدك أني قد جعلتها في سبيل الله ، وهذه الدار كانت لقريش بمنزلة دار العدل ، وكان لا يدخلها أحد إلا وقد صار سنه أربعين سنة ، إلا حكيم بن حزام فانه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكر الزبير أن حكيم حج عاما فأهدى مائة بدنة مجللة ، وألف شاة ، وأوقف معه بعرفات مائة وصيف في أعناقهم أطوقه الفضة ، وقد نقش فيها : هؤلاء عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، فأعتقهم وأهدى جميع تلك الانعام رضى الله عنه . توفي حكيم في هذه السنة على الصحيح ، وقيل غير ذلك وله مائة وعشرون سنة .

#### حويطب بن عبد العزى العامري

. صحابي جليل ، أسلم عام الفتح ، وكان قد عمر دهرًا طويلا ، ولهذا جعله عمر في النفر الذين جددوا أنصاب الحرم ، وقد شهد بدرا مع المشركين ، ورأى الملائكة يومئذ بين السماء والأرض ، وشهد الحديبية وسعى في الصلح ، فلما كان عمرة القضاء كان هو وسهيل هما اللذان أصرا رسول الله ﷺ بالخروج من مكة ، فأمر بلالا أن لا تغرب الشمس وبمكة أحد من أصحابه ، قال : وفي كل هذه المواطن أم بالاسلام ويأبى الله إلا ما يريد ، فلما كان زمن الفتح خفت خوفا شديدا وهربت فلحقني أبو ذر - وكان لي خليلا في الجاهلية - . فقال : يا حويطب مالك ؟ فقلت : خائف ، فقال : لا تخف فانه أبر الناس : وأوصل الناس ، وأنا لك جار فأقدم معي ، فرجعت معه فوقف بي على رسول الله وهو بالبطحاء ومعه أبو بكر وعمر ، وقد علمني أبو ذر أن أقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فلما قلت ذلك قال : « حويطب » ؟ قلت : نعم ! أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال : « الحمد لله الذي هدانا لهذا » وسر بذلك واستقرضني مالا فأقرضته أربعين ألفا ، وشهدت معه حيننا والطائف ، وأعطاني من غنائم حنين مائة بعير . ثم قدم حويطب بعد ذلك المدينة فنزلها وله بها دار ، ولما ولي عليها مروان بن الحكم جاءه حويطب وحكيم بن حزام ، ومخرمة بن نوفل ، فسلموا عليه وجعلوا يتحدثون عنده ثم تفرقوا ، ثم اجتمع حويطب بمروان يوما آخر فسأله مروان عن عمره فأخبره ، فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث . فقال حويطب : الله المستعان ، والله لقد هممت بالاسلام غير مرة كل ذلك يعوقني أبوك يقول تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين

محدث؟ وتصير تابعا؟ قال: فاسكت مروان وندم على ما كان قال له، ثم قال حويطب: أما كان أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك حين أسلم؟ قال: فازداد مروان غما. وكان حويطب ممن شهد دفن عثمان، واشترى منه معاوية داره بمكة بأربعين ألف دينار فاستكثرها الناس، فقال: وماهي في رجل له خمسة من العيال؟ قال الشافعي: كان حويطب جيد الاسلام، وكان أكثر قریش زبعا جاهليا. وقال الواقدي: عاش حويطب في الجاهلية ستين سنة، وفي الاسلام ستين سنة، ومات حويطب في هذه السنة بالمدينة وله مائة وعشرون سنة. وقال غيره: توفي بالشام. له حديث واحد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث السائب بن يزيد عنه عن عبد الله بن السعدي عن عمر في العمالة، وهو من عزيز الحديث لانه اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضی الله عنهم.

### معبد بن يربوع بن عنكثة

ابن عامر بن مخزوم، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، وأعطاه رسول الله خمسين من الابل، وكان اسمه صرما، وفي رواية أصرم، فسماه معبدا، وكان في جملة النفر الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم، وقد أصيب بصره بعد ذلك فأناه عمر يعزبه فيه، رواه البخاري. قال الواقدي وخليفة وغير واحد: مات في هذه السنة بالمدينة، وقيل بمكة وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل أكثر من ذلك.

### مرة بن شراحيل الهمداني

يقال له مرة الطيب، ومرة الخير، روى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما كبر صلى أربعاً ركعة، ويقال إنه سجد حتى أكل التراب جبهته، فلما مات رؤى في المنام. وقد صار ذلك المكان نوراً. فقيل له: أين منزلك؟ فقال: بدار لا يظن أهلها ولا يموتون.

### النعيان بن عمرو

ابن رفاعة بن الحر، شهد بدرًا وما بعدها، ويقال إنه الذي كان يؤتى به في الشراب، فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاتلعه فإنه يحب الله ورسوله»

### سودة بن زمعة

القرشية العامرية أم المؤمنين، تزوجها رسول الله بعد خديجة، وكانت قبله عند السكران بن عمرو وأخي سهيل بن عمرو، فلما كبرت هم رسول الله بطلاقها، ويقال إنه طلقها، فسألته أن يبقها في نسائه وتهب يومها لعائشة، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله: [وإن امرأة خافت من بعلها نشوراً أو إعراضاً] الآية، وكانت ذات عبادة وورع وزهادة، تالت عائشة: مامن امرأة أحب إلي أن أكون في مساحتها غير أن فيها حدة تسرع منها الفينة. ذكر ابن الجوزي وقتها في هذه السنة، وقال ابن أبي خيثمة: توفيت في آخر خلافة عمر بن الخطاب فله أعلم.



### ثم دخلت سنة خمس وخمسين

فيها عزل معاوية عبد الله بن غيلان عن البصرة وولى عليها عبيد الله بن زياد ، وكان سبب عزل معاوية بن غيلان عن البصرة أنه كان يخطب الناس فحصبه رجل من بني ضبة فأمر بقطع يده ، فجاء قومه إليه فقالوا له : إنه متى بلغ أمير المؤمنين أنك قطعت يده في هذا الصنع فعل به وبقومه نظير ما فعل بحجر بن عدى ، فاكتب لنا كتاباً أنك قطعت يده في شبهة ، فكتب لهم فتركوه عندهم حيناً ثم جاؤا معاوية فقالوا له : إن نائبك قطع يد صاحبنا في شبهة فأقدنا منه ، قال : لا سبيل إلى القود من نوابي ولكن الدية ، فأعطاهم الدية وعزل ابن غيلان ، وقال لهم : اختاروا من تريدون ، فذكروا رجالاً فقال : لا ! ولكن أولى عليكم ابن أخي عبيد الله بن زياد ، فولاه فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة ، فلم يغز ولم يفتح شيئاً ، وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ثم عزله وولى ابن أذينة ، وولى شرطها عبد الله بن الحصين . وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة . وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس رضي الله عنه .

### ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة \* أرقم بن أبي الأرقم

عبد مناف بن أمد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أسلم قديماً ، يقال سابع سبعة ، وكانت داره كهفاً للمسلمين يأوي إليها رسول الله ومن أسلم من قریش ، وكانت عند الصفا وقد صارت فيما بعد ذلك للمهدى فوهبها لامراته الخيزران أم موسى الهادي وهارون الرشيد ، فبذتها وجدتها فعرفت بها ، ثم صارت لغيرها ، وقد شهد الأرقم بدرًا وما بعدها من المشاهد ، ومات بالمدينة في هذه السنة ، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص أوصى به رضي الله عنهما ، وله بضع وثمانون سنة .

### سحبان بن زفر بن إياس

ابن عبد شمس بن الأجب الباهلي الوائلي ، الذي يضرب بفصاحته المثل ، فيقال : أفصح من سحبان وائل ، ووائل هو ابن معد بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار ، وباهلة امرأة مالك بن أعصر ، ينسب إليها ولدها ، وهي باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة . قال ابن عساکر : سحبان المعروف بسحبان وائل ، بلغني أنه وفد إلى معاوية فتكلم فقال معاوية : أنت الشيخ ؟ فقال : إني والله وغير ذلك ، ولم يزد ابن عساکر على هذا ، وقد نسبته ابن الجوزي في كتابه المنتظم كما ذكرنا ، ثم قال : وكان بليغاً يضرب المثل بفصاحته ، دخل يوماً على معاوية وعند خطباء القبائل ، فلما رأوه خرجوا لعلهم بقصورهم عنه ، فقال سحبان

لقد علم الحبي البمانون أنني \* إذا قلتُ أما بعد أتى خطيبها

فقال له معاوية : اخطب ! فقال : انظروا لي عصى تقيم من أودى ، فقالوا : وماذا تصنع بها

وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه، فأخذها وتكلم من الظهر إلى أن قاربت العصر، ماتنحني ولاسل ولاتوقف ولا ابتداء في معنى نخرج عنه وقد بقيت عليه بقية فيه، فقال معاوية: الصلاة! فقال: الصلاة أمامك، ألسنا في تحميد وتمجيد وعظة وتنبيه، وتذكير ووعد ووعيد؟ فقال معاوية: أنت أخطب العرب، قال: العرب وحدها؟ بل أخطب الجن والانس. قال: كذلك أنت.

### سعد بن أبي وقاص

واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو إسحاق القرشي الزهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض، أسلم قديماً، قالوا: وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة. وثبت عنه في الصحيح أنه قال: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام سابع سبعة، وهو الذي كوف الكوفة ونفى عنها الأعاجم، وكان مجاب الدعوة، وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله (ص)، وكان في أيام الصديق معظماً جليل المقدار، وكذلك في أيام عمر، وقد استنابه على الكوفة، وهو الذي فتح المدائن، وكانت بين يديه وقعة جلواء. وكان سيداً مطاعاً، وعزله عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك. وقد ذكره في الستة أصحاب الشورى، ثم ولاء عثمان بعدها ثم عزله عنها. وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: شهد سعد بن أبي وقاص وابن عمر دومة الجندل يوم الحكمين. وثبت في صحيح مسلم أن ابنه عمر جاء إليه وهو معتزل في إبله فقال: الناس يتنازعون الأمانة وأنت هاهنا؟ فقال: يا بني إني سمعت رسول الله (ص) يقول: «إن الله يحب العبد الغني الخفي التقى». قال ابن عساكر: ذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه فقال له: يا عم هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر، فقال: أريد من مائة ألف سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً، وإذا ضربت به الكافر قطع. وقال عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني زكريا بن عمرو أن سعد بن أبي وقاص وفد على معاوية فأقام عنده شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر، وقال غيره: فبايعه وما سأله سعد شيئاً إلا أعطاه إياه. قال أبو يعلى: حدثنا زهير ثنا إسماعيل بن علي بن علي بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم. قال قال سعد: إني لأول رجل رمى بسهم في المشركين، وما جمع رسول الله أبويه لأحد قبلي، ولقد سمعته يقول: «أرم فداك أبي وأمي». وقال أحمد: حدثنا يزيد بن هارون ثنا إسماعيل عن قيس، سمعت سعد بن مالك يقول: والله إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله،

ولقد كنا نفزو مع رسول الله وما لنا طعام نأكله إلا ورق الحلبة وهذا السم ، حتى ان أحدنا لبضع كما تضع الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرنى على الدين ، لقد خبت إذا وضل عملى . وقد رواه شعبة ووكيع وغير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد به . وقال أحمد : حدثنا ابن سعيد عن يحيى ابن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب عن سعد . قال : « جمع لى رسول الله (س) ، أبويه يوم أحد » . ورواه أحمد أيضاً عن غندر عن شعبة عن يحيى بن سعيد الأنصارى . وقد رواه الألبان وغير واحد عن يحيى الانصارى . ورواه غير واحد عن سعيد بن المسيب عن سعد . ورواه الناس من حديث عامر بن سعد عن أبيه . وفي بعض الروايات « فداك أبى وأمى » وفي رواية : « فقال ارم وأنت الغلام الحزور » قال سعيد : وكان سعد جيد الرمى . وقال الأعمش عن أبى خالد عن جابر بن سمرة . قال : أول الناس رمى بسهم فى سبيل الله سعد رضى الله عنه . وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفیان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن شداد سمعت علياً يقول : « ما سمعت رسول الله يفدى أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك ، وإنى سمعته يقول له يوم أحد : ارم سعد فداك أمى وأبى » . ورواه البخارى عن أبى نعيم عن مسعر عن سعد بن إبراهيم به . ورواه شعبة عن سعد بن إبراهيم ، ورواه سفیان بن عيينة وغير واحد عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب فذكره . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن أبوب أنه سمع عائشة بنت سعد تقول : أنا بنت المهاجر الذى فداه رسول الله (س) ، بالأبوين . وقال الواقدي : حدثنى عبيدة بن نابل عن عائشة بنت سعد عن أبيها . قال : « لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فبرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بعد ذلك فظننت أنه ملك » . وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ثنا إبراهيم عن سعد عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص . قال : « لقد رأيت عن يمين رسول الله (س) وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، مارأيتهما قبل ولا بعد » . ورواه الواقدي : حدثنى إسحاق بن أبى عبد الله عن عبد العزيز - جد ابن أبى عون - عن زياد مولى سعد عن سعد . قال : « رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن رسول الله أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، وإنى لأراه ينظر إلى ذا مرة وإلى ذا مرة مسروراً بما ظفره الله عز وجل » . وقال سفیان عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن أبيه . قال اشتركت أنا وسعد وعمار يوم بدر فيما أصبنا من الغنيمة ، فجاء سعد بأسبرين ولم أجدى ، أنا وعمار بشئ . وقال الأعمش عن إبراهيم بن علقمة عن ابن مسعود . قال : لقد رأيت سعد بن أبى وقاص يوم بدر يقاتل قتال الفارس للراجل . وقال مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع عبد الله بن عامر يقول قالت عائشة بات رسول الله أرقاً ذات ليلة ثم قال : « ليت رجلاً صالحاً يجرسنى الليلة ؟ قالت : إذ سمعنا صوت

السلاح ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا سعد بن أبي وقاص ، أنا أحرمك يا رسول الله ، قالت : فنام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى سمعت غطيته . أخرجاه من حديث يحيى بن سعيد . وفي رواية « فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم نام » وقال أحمد : حدثنا قتيبة ثنا رشدين بن سعد عن يحيى بن الحجاج بن شداد عن أبي صالح عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله قال : « أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة ، فدخل سعد بن أبي وقاص » . وقال أبو يعلى : حدثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الله بن قيس الرقاشي الخراز ، بصرى ، ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر . قال : كنا جلوسا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : « يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة ، قال فليس منا أحد إلا وهو يتمنى أن يكون من أهل بيته ، فإذا سعد بن أبي وقاص قد طلع » . وقال حرمله عن ابن وهب أخبرني حيوة أخبرني عقيل عن ابن شهاب حدثني من لآتهم عن أنس بن مالك . قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فاطلع سعد بن أبي وقاص ، حتى إذا كان الغد قال رسول الله مثل ذلك ، قال فاطلع سعد بن أبي وقاص على ترتيبه الأول ، حتى إذا كان الغد قال رسول الله مثل ذلك ، قال فطلع على ترتيبه ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني غاضبت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تتحل يميني فعلت ، قال أنس : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا كان الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئاً ، غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر ، فإذا صلى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفطراً ، قال عبد الله بن عمرو : فرمقته ثلاث ليال وأيامهن لا يزيد على ذلك ، غير أني لا أسمع يقول إلا خيراً ، فلما مضت الليالي الثلاث وكنت أحتقر عمله ، قلت : إنه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ، ولكني سمعت رسول الله قال ذلك ثلاث مرات في ثلاث مجالس : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فاطلمت أنت أولئك المرات الثلاث ، فأردت أن آوى إليك حتى أنظر ما عملك فأقتدى بك لأنال ما نلت ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ؟ فقال : ما هو إلا الذي رأيت . قال : فلما رأيت ذلك انصرفت فدعاني حين وليت ، فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي سوماً لأحد من المسلمين ، ولا أتوى له شراً ولا أقوله . قال قلت : هذه التي بلغت بك وهي التي لا أطبق . وهكذا رواه صالح المزني عن عمرو بن دينار - مولى الزبير - عن سالم عن أبيه فذكر مثل رواية أنس ابن مالك . وثبت في صحيح مسلم من طريق سفيان الثوري عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد في قوله تعالى [ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ] نزلت في سنة ، أنا وابن مسعود منهم وفي رواية أنزل الله في [ وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم ] وذلك أنه لما أسلم

امتنت أمه من الطعام والشراب أياما ، فقال لها : تطعين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا  
نفسا ما تركت ديني هذا لشيء ، إن شئت فكلّي وإن شئت فلا تأكلّي . فنزات هذه الآية . وأما  
حديث الشهادة للعشرة بالجنة فثبت في الصحيح عن سعيد بن زيد . وجاء من حديث سهيل عن أبيه  
عن أبي هريرة في قصة حراء ، ذكر سعد بن أبي وقاص منهم . وقال هشيم وغير واحد عن مجالد عن  
الشمي عن جابر . قال : كنا مع رسول الله فأقبل سعد فقال رسول الله (ص) : « هذا خالي فليرني  
امرؤ خاله » . رواه الترمذي . وقال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا عبد الوهاب  
ابن الضحاك ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمي عن جابر . قال : كنا مع  
رسول الله (ص) . إذ أقبل سعد فقال : « هذا خالي » . وثبت في الصحيح من حديث مالك وغيره  
عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه « أن رسول الله جاء ، يعودده عام حجة الوداع من وجع اشتد  
به . فقلت : يا رسول الله إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا ! قلت :  
فألشطر يا رسول الله ؟ قال : لا ! قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك  
أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفنون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت  
بها ، حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك . قلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابي ؟ فقال إنك لن تخلف  
فتمعل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام  
ويضربك آخرون . ثم قال : اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد  
ابن خولة يرثني له رسول الله إن مات بمكة » . ورواه أحمد عن يحيى بن سعيد عن الجعد بن أوس عن  
عائشة بنت سعد عن أبيها فذكر نحوه ، وفيه قال : « فوضع يده على جبهته فمسح وجهه وصدره وبطنه  
وقال : اللهم اشف سعداً وأتم له هجرته » . قال سعد : فما زلت بخيل إلى أني أجد برده على كبدي حتى  
الساعة . وقال ابن وهب : حدثني موسى بن علي بن رباح عن أبيه أن رسول الله (ص) ، عاد سعداً فقال :  
« اللهم أذهب عنه الباس ، إله الناس ، ملك الناس ، أنت الشافي لاشافي له إلا أنت ، بسم الله أريقك  
من كل شيء يؤذيك ، من حسد وعين ، اللهم أصح قلبه وجسمه ، واكشف سقمه وأجب دعوته » .  
وقال ابن وهب : أخبرني عمر وعمر بن بكر بن الأشج قال : سألت عامر بن سعد عن قول رسول  
الله لسعد : « وعسى أن تبقى ينتفع بك أقوام ويضربك آخرون » . فقال : أمر سعد على العراق  
فقتل قوما على الردة فضرم ، واستتاب قوماً كانوا سجعوا سجع مسيلة الكذاب فتابوا فانتفعوا به .  
وقال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن  
عن أبي أمامة . قال : جلسنا إلى رسول الله فذكرنا ورقتنا ، فبكي سعد بن أبي قاص فأكثر البكاء  
وقال : ياليتني مت ، فقال رسول الله (ص) : « يا سعد إن كنت للجنة خلقت فما طال عمرك أو حسن

من عملك فهو خير لك». وقال موسى بن عقبة وغيره عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن سعد . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « اللهم سدد رميته وأجب دعوته » . ورواه سيار بن بشير عن قيس عن أبي بكر الصديق . قال : سمعت رسول الله يقول لسعد : « اللهم سدد سهمه وأجب دعوته ، وحببه إلى عبادك » . وروى من حديث ابن عباس ، وفي رواية محمد بن عائذ الدمشقي عن الهيثم بن حميد عن مطعم عن المتقدم وغيره أن سعدا قال : يا رسول الله ادع الله أن يجيب دعوتي فقال : « إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطيب مطعمه ، فقال : يا رسول الله ادع الله أن يطيب مطعمي فدعاه » . قالوا : فكان سعد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت . وقد كان كذلك مجاب الدعوة لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فمن أشهر ذلك ما روى في الصحيحين من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سلمة أن أهل الكوفة شكوا سعداً إلى عمر في كل شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلي ، فقال سعد : أما إني لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله ، أطيل الأوليين وأحذف الأخرتين ، فقال : الظن بك يا أبا إسحاق ، وكان قد بعث من يسأل عنه بمحال الكوفة ، فجعلوا لا يسألون أهل مسجد إلا أثنوا خيراً ، حتى مروا بمسجد لبني عبيس فقام رجل منهم يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال : إن سعداً كان لا يسير في السرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يمدل في الرعية القضية ، فبلغ سعداً فقال : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام زبارة وسامة فأطال عمره وأدم فقره ، وأعم بصره وعرضه للفتن ، قال : فأنا رأيت بعد ذلك شيخاً كبيراً قد سقطت حاجباه على عينيه بقف في الطريق فيغمر الجوارى فيقال له ، فيقول : شيخ مفتون أصابته دعوة سعد . وفي رواية غريبة أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عبيد فقتل فيها . وقال الطبراني : ثنا يوسف القاضي ثنا عمرو بن مرزوق ثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب . قال : خرجت جارية لسعد يقال لها زبارة ، وعليها قميص جديد فكشفتها الريح فشد عليها عمر بالدرة ، وجاء سعد ليمعه فتناوله عمر بالدرة فذهب سعد يدعو على عمر ، فتناوله الدرة وقال : اقتص مني فغني عن عمر . وروى أيضاً أنه كان بين سعد وابن مسعود كلام فهم سعد أن يدعو عليه فخاف ابن مسعود وجعل يشتد في الحرب . وقال سفيان بن عيينة : لما كان يوم القادسية كان سعد على الناس وقد أصابته جراح فلم يشهلاً يوم الفتح ، فقال رجل من بجيلة :

ألم تر أن الله أظهر دينه وسعد يباب القادسية معصم  
فأبنا وقد أمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد : اللهم اكفنا يده ولسانه . فجاءه سهم غرب فأصابه فخرس ويبيت يدها جميعاً . وقد أسند زياد البكائي وسيف بن عمر عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر عن ابن عمر فذكر

مثله ، وفيه : ثم خرج سعد فأرى الناس مابه من القروح في ظهره ليعتذر إليهم . وقال هشيم عن أبي بلح عن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علي فنهأه سعد فلم ينته ، فقال سعد : أدعو عليك ، فلم ينته ، فدعا الله عليه حتى جاء بعير ناد فتخبطه . وجاء من وجه آخر عن عامر بن سعد أن سعداً رأى جماعة عكوفاً على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فاذا هو يسب علياً وطلحة والزبير ، فنهأه عن ذلك فلم ينته ، فقال : أدعو عليك ، فقال الرجل : تهددني كأنك نبي ؟ فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً قد سبق لهم منك سابقة الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبه إياهم ، فاجعله اليوم آية وعبرة . قال : فخرجت بختية نادة من دار آل فلان لا يرد لها شيء حتى دخلت بين أضعاف الناس ، فافترق الناس فأخذته بين قوائمها ، فلم يزل تتخبطه حتى مات . قال : فلقد رأيت الناس يشتدون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعائك يا أبا إسحاق . ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب فذكر نحوه وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر القرشي ثنا عبد الرزاق عن أبيه عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف أن امرأة كانت تطلع على سعد فنهاها فلم تنته ، فاطلمت يوماً وهو يتوضأ فقال : شاه وجهك ، فعاد وجهها في قفاها . وقال كثير النورى : عن عبد الله بن بديل قال : دخل سعد على معاوية فقال له : مالك لم تقا تل معنا ؟ فقال : إني مرت بي ريح مظلمة فقلت : اخ اخ . فأنجحت راحلتى حتى أنجملت عني ثم عرفت الطريق فسرت ، فقال معاوية : ليس في كتاب الله : اخ اخ . ولكن قال الله تعالى ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفء إلى أمر الله ) فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية . فقال سعد : ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ص : « أنت مني بنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » . فقال معاوية : من سمع هذا معك ؟ فقال : فلان وفلان وأم سلمة . فقال معاوية : أما إني لو سمعته منه ص ، لما قاتلت علياً . وفي رواية من وجه آخر أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجة حجها معاوية ، وأنهما قاما إلى أم سلمة فسألاها فحدثتهما بما حدث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خالداً لعلى حتى يموت أو أموت . وفي إسناد هذا ضعف والله أعلم . وقد روى عن سعد أنه سمع رجلاً يتكلم في علي وفي خالد فقال : إنه لم يبلغ ما بيننا إلى ديننا . وقال محمد بن سيرين : طاف سعد على تسع جوار في ليلة فلما انتهى إلى العاشرة أخذته النوم فاستجبت أن توقظه .

ومن كلامه الحسن أنه قال لابنه مصعب : يا بني إذا طلبت شيئاً فاطلبه بالقناعة ، فإنه من لا قناعة له لم يغنه المال . وقال حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد . قال : كان رأس أبي

في حجرى وهو يقضى فبكيت ، فقال : ما يبكيك يا بنى ؟ والله إن الله لا يمدبني أبداً ، وإني من أهل الجنة . إن الله يدين للمؤمنين بحسناتهم فاعملوا لله ، وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم ، فإذا نفدت قال : ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له . وقال الزهري : لما حضرت سعداً الوفاة دعا بخلق جبة فقال : كفنوني في هذه فاني لقيت فيها المشركين يوم بدر ، وإنما خباتها لهذا اليوم .

وكانت وفاة سعد بالعتيق خارج المدينة ، فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال فصرى عليه مروان ، وصلى بصلاته أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودفن بالبقيع . وكان ذلك في هذه السنة - سنة خمس وخمسين - على المشهور الذى عليه الأكترون ، وقد جاوز الثمانين على الصحيح . قال على بن المديني : وهو آخر العشرة وفاة . وقال غيره : كان آخر المهاجرين وفاة ، رضى الله عنه وعنهم أجمعين . وقال الهيثم بن عدى : سنة خمسين ، وقال أبو معشر وأبو نعيم مغيث بن الحرر : توفى سعد سنة ثمان وخمسين ، زاد مغيث : وفيها توفى الحسن بن علي وعائشة وأم سلمة ، والصحيح الأول - خمس وخمسين - قالوا وكان قصيراً غليظاً شثن الكفين أفطر أشعر الجسد ، يخضب بالسواد ، وكان ميراثه مائتي ألف وخمسين ألفاً .

### فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي

**أول** ، شاهده أحد ، وشهد بيعة الرضوان ، ودخل الشام ، وتولى القضاء بدمشق في أيام معاوية بعد أبي الدرداء . قال أبو عبيد : مات سنة ثلاث وخمسين . وقال غيره : سنة سبع وستين ، وقال ابن الجوزي في المنتظم : توفى في هذه السنة والله أعلم .

### قثم بن العباس بن عبد المطلب

كان أشبه الناس برسول الله (س) ، تولى نيابة المدينة في أيام علي ، وشهد فتح سمرقند فاستشهد بها .

### كعب بن عمرو أبو اليسر

الأنصاري السلمي ، شهد العقبة وبدراً ، وأسر يومئذ العباس بن عبد المطلب ، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد كلها مع رسول الله (س) . قال أبو حاتم وغيره : مات سنة خمس وخمسين ، زاد غيره : وهو آخر من مات من أهل بدر .

### ثم دخلت سنة ست وخمسين

وذلك في أيام معاوية ، ففيها شتى جنادة بن أبي أمية بأرض الروم ، وقيل عبد الرحمن بن مسعود ، ويقال فيها غزاه في البحر يزيد بن سمرة ، وفي البر عياض بن الحارث . وفيها اعتمر معاوية في رجب ، وحج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وفيها ولي معاوية سعيد بن عثمان بلاد خراسان ، وعزل عنها عبيد الله بن زياد ، فسار سعيد إلى خراسان والتقى مع الترك عند صفد سمرقند ، فقتل



منهم خلقا كثيراً ، واستشهد معه جماعة منهم فيما قيل قثم بن العباس بن عبد المطلب . قال ابن جرير :  
سأل سعيد بن عثمان بن عفان معاوية أن يوليه خراسان فقال : إن بها عبيد الله بن زياد ، فقال :  
أما لقد اصطنعتك أبي ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يجزى إليه ولا يسامى ، فما شكرت  
بلاءه ولا جازيته بألائه ، وقدمت على هذا - بعني يزيد بن معاوية - وبايعت له ، ووالله لأنا خير  
منه أبا وأما ونفسا . فقال له معاوية : أما بلاء أهلك عندي فقد يحق على الجزاء به ، وقد كان من  
شكري لذلك أتى طلبت بدمه حتى تكشفت الأمور ، ولست بلائاً لنفسى في التشمير ، وأما فضل  
أبيك على أبيه ، فأبوك والله خير مني وأقرب برسول الله (ص) ، وأما فضل أمك على أمه فما لا ينكر ،  
فإن امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة دحست  
ليزيد رجلاً مثلك - يعني أن الغوطة لو ملئت رجلاً مثل سعيد بن عثمان كان يزيد خيراً وأحب  
إلى منهم . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر في أمره ، وقد عتب  
عليك في فأعته . فولاه حرب خراسان ، فأتى سمرقند فخرج إليه أهل الصفد من الترك فقاتلهم  
وهزمهم وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رهناً خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم ،  
فأقام بالترمذ ولم يف لهم ، وجاء بالغلغان الرهن معه إلى المدينة . وفيها دعا معاوية الناس إلى البيعة  
ليزيد ولله أن يكون ولي عهده من بعده ، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا في حياة المغيرة بن شعبه -  
فروى ابن جرير من طريق الشعبي أن المغيرة كان قد قدم على معاوية وأعفاه من إمرة الكوفة فأعفاه  
لكبره وضعفه ، وعزم على توليتها سعيد بن العاص ، فلما بلغ ذلك المغيرة كأنه ندم ، فجاء إلى يزيد  
ابن معاوية فأشار عليه بأن يسأل من أبيه أن يكون ولي العهد ، فسأل ذلك من أبيه فقال : من أمرك  
بهذا ؟ قال : المغيرة ، فأعجب ذلك معاوية من المغيرة وورده إلى عمل الكوفة ، وأمره أن يسعى في ذلك ،  
فصعد ذلك سعى المغيرة في توطيد ذلك ، وكتب معاوية إلى زياد يستشير به في ذلك ، فكره زياد  
ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد ، فبعث إليه من يثني رأيه عن ذلك ، وهو عبيد  
ابن كعب بن النخعي - وكان صاحباً أكيداً لزياد - فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أولاً ، فكلّمه  
عن زياد وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك ، فإن تركه خير له من السعى فيه ، فأنزجر يزيد عما يريد من  
ذلك ، واجتمع بأبيه واتفقا على ترك ذلك في هذا الوقت ، فلما مات زياد وكانت هذه السنة ، شرع  
معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه ، وعقد البيعة لولده يزيد ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، فبايع له  
الناس في سائر الأقاليم ، إلا عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر والحسين بن علي وعبد الله بن  
الزبير وابن عباس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة - مرّحه من مكة - استدعى  
كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهده بانتراده ، فكان من أشدم عليه رداً وأجلدم في الكلام ،

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان أليهم كلاما عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم خطب معاوية وهؤلاء حضور تحت منبره ، وبإيع الناس ليزيد وهم قعود ولم يوافقوا ولم يظهر وا خلافا ، لما تهدم وتوعدم ، فانسقت البيعة ليزيد في سائر البلاد ، ووفست الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد ، فكان فيمن قدم الأحنف بن قيس ، فأمره معاوية أن يجادث يزيد ، فجلسا ثم خرج الأحنف فقال له معاوية : ماذا رأيت من ابن أخيك ؟ فقال : إنا نخاف الله إن كذبنا ونخافكم إن صدقنا ، وأنت أعلم به في ليله ونهاره ، وسره وعلايته ، ومدخله ومخرجه ، وأنت أعلم به بما أردت ، وإنا علمنا أن نسمع ونطيع ، وعليك أن تنصح للأمة . وقد كان معاوية لما صالح الحسن عهد للحسن بالأمر من بعده ، فلما مات الحسن قوى أمر يزيد عند معاوية ، ورأى أنه لذلك أهلا ، وذلك من شدة محبة الوالد لولده ، ولما كان يتوسم فيه من النجاة الدنيوية ، وسيا أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأهله ، وكان ظن أن لا يقوم أحد من أبناء الصحابة في هذا المعنى ، ولهذا قال لعبد الله ابن عمر فيما خاطبه به : إني خفت أن أذر الرعية من بعدى كالغنم المطيرة ليس لها راع ، فقال له ابن عمر : إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبداً مجذع الأطراف . وقد عاتب معاوية في ولايته يزيد ، سعيد بن عثمان بن عفان وطلب منه أن يوليه مكانه ، وقال له سعيد فيما قال : إن أبي لم يزل معتنياً بك حتى بلغت ذروة المجد والشرف ، وقد قدمت ولدك على وأنا خير منه أبا وأما ونفسا . فقال له : أما ما ذكرت من إحسان أبيك إلى فانه أمر لا ينكر ، وأما كون أبيك خير من أبيه فحق وأملك قرشية وأمه كلبية فهي خير منها ، وأما كونك خيراً منه فوالله لو ملئت إلى الغوطة رجالاً مثلك لكان يزيد أحب إلى منكم كلكم . وروينا عن معاوية أنه قال يوماً في خطبته : اللهم إن كنت تعلم أني وليته لانه فيما أراه أهل لذلك فأتهم له ما وليته ، وإن كنت وليته لأنني أحبه فلا تتم له ما وليته . وذكر الحافظ ابن عساكر أن معاوية كان قد سمر ليلة فتكلم أصحابه في المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فذكروا صفة المرأة التي يكون ولدها نجيباً : فقال معاوية : وددت لو عرفت بامرأة تكون بهنه المثابة ؟ فقال أحد جلسائه : قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين . قال : ومن ؟ قال : ابنتي يا أمير المؤمنين . فتزوجها معاوية فولدت له يزيد بن معاوية فجاء نجيباً ذكياً حاذقاً . ثم خطب امرأة أخرى فخطبت عنده وولدت له غلاماً آخر ، وهجر أم يزيد فكانت عنده في جنب داره ، فبينما هو في النظارة ومعه امرأته الأخرى ، إذ نظر إلى أم يزيد وهي تسرحه ، فقالت امرأته : قبحها الله وقبح ما تسرح . فقال : ولم ؟ فوالله إن ولدها أنجب من ولدك ، وإن أحببت بينت لك ذلك ، ثم استدعى ولدها فقال له : إن أمير المؤمنين قد عن له أن يطلق لك ما تمنناه عليه فاطلب مني ماشئت . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يطلق لي كلاباً للصيد وخيلاً ورجالاً يكونون معي في الصيد . فقال : قد أمرنا لك

بذلك ، ثم استدعى يزيد فقال له كما قال لأخيه ، فقال يزيد : أو يعينني أمير المؤمنين في هذا الوقت عن هذا ؟ فقال : لا بد لك أن تسأل حاجتك ، فقال : أسأل - وأطال الله عمر أمير المؤمنين - أن أكون ولي عهده من بعده ، فانه بلغني أن عدل يوم في الرعية كمباداة خمسمائة عام . فقال : قد أجبناك إلى ذلك ، ثم قال لامرأته : كيف رأيت ؟ فعلت وتحققت فضل يزيد على ولدها .

وقد ذكر ابن الجوزي في هذه السنة وفاة أم حرام بنت ملحان الأنصارية امرأة عبادة بن عبادة بن الصامت ، والصحيح الذي لم يذكر العلماء غيره أنها توفيت سنة سبع وعشرين ، في خلافة عثمان ، وكانت هي وزوجها مع معاوية حين دخل قبرص ، وقصتها بفلتها فماتت هناك وقبرها بقبرص ، والمعجب أن ابن الجوزي أورد في ترجمتها حديثها المخرج في الصحيحين في قبولة النبي (س) ، في بيتها ، ورؤياه في منامه قوماً من أمته يركبون ثبج البحر مثل الملوك على الأسرّة غزاة في سبيل الله ، وأنها سألته أن يدعو لها أن تكون منهم فدعا لها ، ثم نام فرأى كذلك ، فقالت : ادعوا الله أن يجعلني منهم ، فقال « لا أنت من الأولين » وهم الذين فتحوا قبرص فكانت معهم ، وذلك في سنة سبع وعشرين ، ولم تكن من الآخرين الذين غزوا بلاد الروم سنة إحدى وخمسين مع يزيد بن معاوية ومعهم أبو أيوب ، وقد توفي هناك قبره قريب من سور قسطنطينية . وقد ذكرنا هذا مقررآ في

### سنة سبع وخمسين

دلائل النبوة

فيها كان مشى عبد الله بن قيس بأرض الروم ، قال الواقدي : وفي شوالها عزل معاوية مروان ابن الحكم عن المدينة ، وولى عليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة ، لأنه صارت إليه إمرة المدينة ، وكان على الكوفة الضحاك بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله ابن زياد ، وعلى خراسان سعيد بن عثمان . قال ابن الجوزي : وفيها توفي عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي ، وهو أخو عبادة وسهل ابني حنيف ، بعثه عمر لمساحة خراج السواد بالعراق ، واستنابه عمر على الكوفة ، فلما قدم طلحة والزبير صحبة عائشة وامتنع من تسليم دار الامارة ، تنفت لحيته وحواجبه وأشفار عينيه ومثل به ، فلما جاء على وسله البلد قال له : يا أمير المؤمنين فارقتك ذا لحية واجتمعت بك أمرد ، فتبسم على رضى الله عنه وقال : لك أجر ذلك عند الله ، وله في المسند والسنن حديث الأعمى الذي سأل رسول الله (س) ، أن يدعو له ليرد الله عليه ضوء بصره فرده الله عليه ، وله حديث آخر عند النسائي ، ولم أر أحداً أرخ وقاته بهذه السنة سوى ابن الجوزي والله أعلم

### سنة ثمان وخمسين

فيها غزا مالك بن عبد الله الخنمي أرض الروم ، قال الواقدي : وفيها قتل شتى يزيد بن شجرة في البحر ، وقيل : بل غزا البسر وبلاد الروم جنادة بن أبي أمية ، وقيل : إنما شتى بأرض الروم عمرو

ابن يزيد الجهني . قال أبو معشر والواقدي : وحج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وفيها ولي معاوية الكوفة لعبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفي ، ابن أم الحكم ، وأم الحكم هي أخت معاوية ، وعزل عنها الضحاک بن قيس ، فولى ابن أم الحكم على شرطته زائدة بن قدامة ، وخرجت الخوارج في أيام ابن أم الحكم ، وكان رئيسهم في هذه الواقعة حيان بن ضبيان السلمي ، فبعث إليهم جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً ، ثم إن ابن أم الحكم أساء السيرة في أهل الكوفة فأخرجوه من بين أظهرهم طريداً ، فرجع إلى خاله معاوية فذكر له ذلك ، فقال : لأولينك مصراً هو خير لك ، فولاه مصر ، فلما سار إليها تلقاه معاوية بن خديج على مرحلتين من مصر ، فقال له : ارجع إلى خالك معاوية ، فلعمري لاندعك تدخلها فتسير فيها وفيها سيرتك في إخواننا أهل الكوفة ، فرجع ابن أم الحكم إلى معاوية ولحقه معاوية بن خديج وافداً على معاوية ، فلما دخل عليه وجد عنده أخته أم الحكم ، وهي أم عبد الرحمن الذي طرده أهل الكوفة وأهل مصر ، فلما رآه معاوية قال : بخ بخ ، هذا معاوية بن خديج ، فقالت أم الحكم : لاصر حبابه ، تسمع بالمعبدي خير من أن تراه ، فقال معاوية بن خديج : على رسلك يا أم الحكم ، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت ، وولدت فما أتجبت ، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا أهل الكوفة ، فما كان الله ليريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطأطأ منه رأسه ، - أو قال لضربنا ماصطاصاً منه - وإن كره ذلك الجالس - يعني معاوية - فالتفت إليها معاوية فقال : كفى .

### قصة غريبة

ذرها ابن الجوزي في كتابه المنتظم بسنده ، وهو أن شاباً من بني عنزة جرت له قصة مع ابن أم الحكم ، وملخصها أن معاوية بينما هو يوماً على السباط إذا شاب من بني عنزة قد تمثل بين يديه فأنتهده شعراً مضمونه التشوق إلى زوجته سعاد ، فاستدناه معاوية واستحكاها عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين إني كنت مزوجاً بابنة عم لي ، وكان لي إبل وغنم ، وأنفقت ذلك عليها ، فلما قل ما يبدي رغب عنى أبوها وشكأنى إلى عاملك بالكوفة ، ابن أم الحكم ، وبلغه جمالها فحبسني في الحديد وحملني على أن أطلقها ، فلما انقضت عدتها أعطاها عاملك عشرة آلاف درهم فزوجه إياها ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحزون الملهوف المكروب ، وسند المسلوب ، فهل من فرج ؟ ثم بكى وأثناً يقول :

في القلب منى نار \* والنار فيها شرار

والجسم منى نجيل \* واللون فيه اصفرار

والعين تبكي بشجور \* فدمعها مدرار

والحب ذاب عبر \* فيه الطيب يحار

حملتُ فيه عظيماً \* فما عليه اصطبارُ

فليس ليلى بليل \* ولا نهاري نهاري

قال : فرق له معاوية وكتب إلى ابن أم الحكم يؤنبه على ذلك ويعيبه عليه ، ويأمره بطلاقها قولاً واحداً ، فلما جاءه كتاب معاوية تنفس الصعداء وقال : وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ، وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولا يجيبه نفسه ، وجعل البريد الذي ورد عليه بالكتاب يستحسه ، فطلقها وأخرجها عنه وسيرها مع الوفد إلى معاوية ، فلما وقفت بين يديه رأى منظرًا جميلاً ، فلما استنطقها فاذا أفصح الناس وأحلام كلاماً ، وأكملهم جمالاً ودلالاً ، فقال لابن عمها : يا أعرابي هل من سلوة عنها بأفضل الرغبة ؟ قال : نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ يقول : -

لا تجعلني والامثال تضرب بي \* كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أردد سعادتي خيراً من مكتئب \* يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق مامله قلق \* وأسعر القلب منه أي إسعار

والله والله لا أنسى محبتها \* حتى أغيب في رمسي وأحجاري

كيف السلوة وقد هاهم الفؤاد بها \* وأصبح القلب عنها غير صبار ؟

فقال معاوية : فانا نخبرها بيني وبينك وبين ابن أم الحكم فأنشأت تقول : -

هذا وإن أصبح في إطار \* وكان في نقص من اليسار

أحب عندي من أبي وجاري \* وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حر النار

قال : فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم ومركب ووطاء ، ولما انقضت عدتها زوجها بها وسلمها إليه . حنفتنا منها أشعاراً كثيرة مطولة .

وَجرت في هذه السنة فصول طويلة بين عبيد الله بن زياد والخوارج ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً ، وحبس منهم آخرين ، وكان صارماً كأبيه مقداماً في أمرهم والله سبحانه وتعالى أعلم

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

توفي في هذا العام سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي ، قتل أبوه يوم بدر كافراً ، قتله علي بن أبي طالب ، ونشأ سعيد في حجر عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ، وكان من سادات المسلمين والاجواد المشهورين ، وكان جده سعيد بن العاص - ويكنى بأبي أجنحة - رئيساً في قريش ، يقال له

ذو التاج ، لأنه كان إذا اعتم لا يعتم أحد يومئذ إعظاماً له ، وكان سعيد هذا من عمال عمر على السواد ، وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته ، وكان أشبه الناس لحية برسول الله (س) ، وكان في جملة الاثني عشر رجلاً ، الذين يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه ، منهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت . واستنابه عثمان على الكوفة بعد عزله الوليد بن عقبة ، فافتتح طبرستان وجرجان ، ونقض العهد أهل أذربيجان فغزاهم ففتحها ، فلما مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين ، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه فكتب عليه فاعتذر إليه فعذره في كلام طويل جداً ، وولاه المدينة مرتين ، وعزله عنها مرتين بمروان بن الحكم ، وكان سعيد هذا لا يسب علياً ، ومروان يسبه ، وروى عن النبي (س) ، وعن عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعائشة ، وعنه ابنه عمر وبن سعيد الأشق وأبو سعيد وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم ، وليس له في المسند ولا في الكتب الستة شيء . وقد كان حسن السيرة ، جيد السريرة ، وكان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم ويكسومهم الحلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير ، وكان يصبر الصبر فيضعها بين يدي المصلين من ذوى الحاجات في المسجد . قال ابن عساکر : وقد كانت له دار بدمشق تعرف بعده بدار نعيم ، وحمام نعيم ، بنواحي الديماش ، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات ، وكان كريماً جواداً ممدحاً . ثم أورد شيئاً من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سعيد الجعفي ثنا عبد الله بن الاجلح ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن سعيد بن العاص قال : إن رسول الله (س) قال : « خياركم في الاسلام خياركم في الجاهلية » وفي طريق الزبير بن بكار : حدثني رجل عن عبد العزيز بن أبان حدثني خالد بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى رسول الله (س) ، فقلت : إني نذرت أن أعطى هذا الثوب أكرم العرب ، فقال : « اعطه هذا الغلام » - يعني سعيد بن العاص - وهو واقف ، فلذلك سميت الثياب السعيدية وأنشد الفرزدق قوله فيه

تري الغرُّ الجحاجحَ من قريش \* إذا ما الخطبُ في الحدنانِ علا

قياماً ينظرونُ إلى سعيدٍ \* كأنهم يرونُ بهِ هلالاً

وذكر أن عثمان عزل عن الكوفة المغيرة وولاه سعيد بن أبي وقاص ، ثم عزله وولاه الوليد ابن عتبة ، ثم عزله وولى سعيد بن العاص ، فأقام بها حيناً ، ولم تحمد سيرته فيهم ولم يحبوه ، ثم ركب مالك بن الحارث - وهو الأشتر النخعي - في جماعة إلى عثمان وسأله أن يعزل عنهم سعيداً فلم يعزله ، وكان عنده بالمدينة فبعثه إليهم ، وسبق الأشتر إلى الكوفة فخطب الناس وحثهم على منعه من الدخول إليهم ، وركب الأشتر في جيش يمنعوه من الدخول ، قيل تلقوه إلى العديب ، - وقد نزل سعيد بالرعثة - فمنعوه من الدخول إليهم ، ولم يزالوا به حتى ردوه إلى عثمان ، وولى الأشتر أبا موسى

الأشعري على الصلاة والثغر وحذيفة بن اليمان على الفء ، فأجاز ذلك أهل الكوفة وبعثوا إلى عثمان في ذلك فأمضاه وسره ذلك فيما أظهره ، ولكن هذا كان أول وهن دخل على عثمان . وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده بالدار ، ثم لما ركب طلحة والزبير مع عائشة من مكة يريدون قتل عثمان ركب معهم ، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما ، فأقام بالظائف حتى انقضت تلك الحروب كلها ، ثم ولاء معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين ، وعزل مروان فأقام سبعمائة ثم رد مروان . وقال عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال : بعثني زياد في تنفل إلى معاوية ، فلما فرغت من أموري قلت : يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك ؟ فسكت ساعة ثم قال : يكون بين جماعة ، إما كريم قريش سعيد بن العاص ، وإما قتي قريش ، حياء ودهاء وسخاء ، عبد الله بن عامر ، وإما الحسن بن علي فرجل سيد كريم ، وإما القاري لكتاب الله الفقيه في دين الله ، الشديد في حدود الله ، مروان بن الحكم ، وأما رجل فقيه عبد الله بن عمر ، وإما رجل يتردد الشريعة مع دواهي السباع ويروغ زوغان الثعلب فعبد الله بن الزبير . وروينا أنه استسقى يوماً في بعض طرق المدينة ، فأخرج له رجل من دار ماء فشرب ، ثم بعد حين رأى ذلك يعرض داره للبيع فسأل عنه لم يبيع داره ؟ فقالوا : عليه دين أربعة آلاف دينار ، فبعث إلى غريمه فقال : هي لك علي ، وأرسل إلى صاحب الدار فقال : استمتع بدارك . وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا بوصف بكرم ، فلو ذكرت له حالك فلهه يسمح لك بشيء ؟ فقال : ويحك ! لا تملقي وجهي ، فالت عليه في ذلك ، فجاء فجلس إليه ، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً في مكانه ، فقال له سعيد : أظن جلوسك لحاجة ؟ فسكت الرجل ، فقال سعيد لغلمانه : انصرفوا ، ثم قال له سعيد : لم يبق غيري وغيرك ، فسكت ، فأطفا المصباح ثم قال له : رحمك الله لست ترى وجهي فاذا ذكر حاجتك ، فقال : أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت ، فقال له : إذا أصبحت فائق وكيلي فلانا ، فلما أصبح الرجل لقي الوكيل فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشيء فأت بمن يحمله معك ، فقال : ما عندي من يحمله ، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها وقال : حمليني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله ، وما أراه أمر لي إلا بدقيق أو طعام ، ولو كان مالاً لما احتاج إلى من يحمله ، ولأعطانيه . فقالت له المرأة : فهما أعطاك فانه بقوتنا نخسده ، فرجع الرجل إلى الوكيل فقال له الوكيل : إني أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك ، فذهب الرجل ، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، فقال للغلمان : ضعوا ما معكم وانصرفوا ، فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك ، فانه ما بعث

مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها ، قال : فحسن حال ذلك الرجل .  
 وذكر ابن عساكر أن زياد بن أبي سفيان بعث إلى سعيد بن العاص هدايا وأموالا وكتبا ذكر فيه  
 أنه بخطب إليه ابنته أم عثمان من آمنة بنت جريبر بن عبد الله البجلي ، فلما وصلت الهدايا والأموال  
 والكتاب قرأه ، ثم فرق الهدايا في جلسائه ، ثم كتب إليه كتابا لطيفا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم !  
 قال الله تعالى [ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ] والسلام : وروينا أن سعيدا خطب أم كلثوم  
 بنت علي من فاطمة ، التي كانت تحت عمر بن الخطاب ، فأجابت إلى ذلك وشاورت أخويها فكرها  
 ذلك ، وفي رواية إنما كره ذلك الحيين . وأجاب الحسن ، فهيات دارها ونصبت سريرا وتواعدوا  
 للكتاب ، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزورها منه ، فبعث إليها بمائة ألف ، وفي رواية بمائة ألف  
 مهرا ، واجتمع عنده أصحابه ليذهبوا معه ، فقال : إني أكره أن أخرج أمي فاطمة ، فترك التزويج  
 وأطلق جميع ذلك المال لها . وقال ابن معين وعبد الأعلى بن حماد : سألت أعرابي سعيد بن العاص  
 فأمره بخمسة مائة ، فقال الخادم : خمسمائة درهم أو دينار ؟ فقال : إنما أمرتك بخمسة مائة درهم ، وإذا قد  
 جاش في نفسك أنها دنائير فادفع إليه خمسمائة دينار ، فلما قبضها الأعرابي جلس يبكي ، فقال له :  
 مالك ؟ ألم تقبض نوالك ؟ قال : بلى والله ! ولكن أبكي على الأرض كيف تأكل مثلك . وقال  
 عبد الحميد بن جعفر : جاء رجل في حمالة أربع ديات سأل فيها أهل المدينة ، فقيل : له عليك بالحسن  
 ابن علي ، أو عبد الله بن جعفر ، أو سعيد بن العاص ، أو عبد الله بن عباس ، فانطلق إلى المسجد فاذا  
 سعيد داخل إليه ، فقال : من هذا ؟ فقيل : سعيد بن العاص ، فقصدته فذكر له ما أقدمه ، فتركه  
 حتى انصرف من المسجد إلى المنزل فقال للأعرابي : إئت بمن يحمل معك ؟ فقال : رحمتك الله ! إنما  
 سألتك مالا لا تمرا ، فقال : أعرف ، إئت بمن يحمل معك ؟ فأعطاه أربعين ألفا فأخذها الأعرابي  
 وانصرف ولم يسأل غيره . وقال سعيد بن العاص لابنه : يا بني أجز الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من  
 غير مسألة ، فأما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه ، أو جاءك مخاطرا لا يدري أعطيه أم تمنعه ،  
 فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته . وقال سعيد : جليسي علي ثلاث ، إذا دنا رحبت به ،  
 وإذا جلس أوسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه . وقال أيضا : يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك  
 ولا الدنيء قهون عليه ، وفي رواية فيجترئ عليك . وخطب يوما فقال : من رزقه الله رزقا حسنا  
 فليكن أسعد الناس به ، إنما يتركه لأحد رجلين ، إما مصلح فيسعد بما جمعت له ونخب أنت ،  
 والمصلح لا يقل عليه شيء ، وإما مفسد فلا يبقى له شيء . فقال أبو معاوية : جمع أبو عثمان طرف  
 الكلام . وروى الأصمعي عن حكيم بن قيس . قال قال سعيد بن العاص : موطنان لا أستحي من  
 رفقي فيهما والتأني عندهما ، مخاطبتي جاهلا أوسفيها ، وعند مسألتني حاجة لنفسي . ودخلت عليه



امرأة من العابدات وهو أمير الكوفة فأكرمها وأحسن إليها ، فقالت : لاجعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا زالت المنة لك في أعناق الكرام ، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردّها عليه . وقد كان له عشرة من الولد ذكوراً وإناثاً ، وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص - أخت مروان بن الحكم - ولما حضرت سعيداً الوفاة جمع بنيه وقال لهم : لا يفتقدن أصحابي غير وجهي ، و صلوم بما كنت أصلهم به ، وأجروا عليهم ما كنت أجرى عليهم ، وا كفوهم مؤنة الطلب ، فان الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه ، وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد ، فوالله لرجل يتملص على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه . ثم أوصاهم بوصايا كثيرة ، منها أن يوفوا ما عليه من الدين والوعود ، وأن لا يزوجوا أخوانهم إلا من الأكفاء ، وأن يسودوا أكبرهم . فتكفل بذلك كله عمرو بن سعيد الأثدق ، فلما مات دفنه بالبيع ثم ركب عمرو إلى معاوية فعزاه فيه واسترجع معاوية وحزن عليه وقال : من ترك من دين عليه ؟ قال : نعم ! قال : ومم هو ؟ قال : ثلثمائة ألف درهم ، وفي رواية ثلاثة آلاف ألف درهم ، فقال معاوية : هي على ! فقال ابنه : يا أمير المؤمنين ، إنه أوصاني أن لا أفضي دينه إلا من ثمن أراضيه ، فاشترى منه معاوية أراضى بمبلغ الدين ، وسأل منه عمرو أن يحملها إلى المدينة فحملها له ، ثم شرع عمرو يقضى ما على أبيه من الدين حتى لم يبق أحد ، فكان من جملة من طالبه شاب معه رقعة من أديم فيها عشرون ألفاً ، فقال له عمرو : كيف استحققت هذه على أبي ؟ فقال الشاب : إنه كان يوماً يمشى وحده فأحببت أن أكون معه حتى يصل إلى منزله ، فقال : ابغني رقعة من أدم ، فذهبت إلى الجزارين فأتيته بهذه فكتب لي فيها هذا المبلغ ، واعتذر بأنه ليس عنده اليوم شيء . فدفعت إليه عمرو ذلك المال وزاده شيئاً كثيراً ، ويروى أن معاوية قال لعمر بن سعيد : من ترك مثلك لم يمت ، ثم قال : رحم الله أبا عثمان ، ثم قال : قد مات من هو أكبر مني ومن هو أصغر مني ، وأنشد قول الشاعر

إذا سار من دون امرئ وأمامه \* وأوحش من إخوانه فهو سائر

وكانت وفاة سعيد بن العاص في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وييل في التي بعدها . وقال بعضهم : كانت وفاته قبل عبد الله بن عامر بجمعة .

### شداد بن أوس بن ثابت

ابن المنذر بن حرام ، أبو يعلى الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت . وحكى ابن منده عن موسى بن عقبة أنه قال : شهد بدرًا . قال ابن منده وهو وهم ، وكان من الاجتهاد في العبادة على جانب عظيم ، كان إذا أخذ مضجعه تعلق على فراشه ويتقلب عليه ويتلوى كما تتلوى الحية ويقول : اللهم إن خوف النار قد أقلقني ، ثم يقوم إلى صلاته . قال عبادة بن الصامت :

كان شداد من الذين أوتوا العلم والحلم. نزل شداد فلسطين وبيت المقدس ، ومات في هذه السنة عن خمس وسبعين سنة ، وقيل : مات سنة أربع وستين ، وقيل سنة إحدى وأربعين . قاله أعلم

### عبدالله بن عامر

ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العيشي ، ابن خال عثمان بن عفان ، ولد في حياة رسول الله (س) ، وتغل في فيه ، فجعل يبتلع ريق رسول الله (س) ، فقال : « إنه لسقاء » ، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء ، وكان كريماً ممدحاً ميمون النقيبة ، استنابه عثمان على البصرة بعد أبي موسى ، وولاه بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، وعمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة ، ففتح خراسان كلها ، وأطراف فارس وسجستان وكرمان وبلاد غزنة ، وقتل كسرى ملك الملوك في أيامه — وهو يزدجرد — ثم أحرم عبد الله بن عامر بحجة ، وقيل بعمره من تلك البلاد شكراً لله عز وجل ، وفرق في أهل المدينة أموالاً كثيرة جزيلة ، وهو أول من لبس الخبز بالبصرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة وأجرى إليها الماء المعين والعين ، ولم يزل على البصرة حتى قتل عثمان ، فأخذ أموال بيت المال وتلقى بها طلحة والزبير وحضر معهم الجمل ، ثم سار إلى دمشق ، ولم يسمع له بذكر في صفين ، ولكن ولاه معاوية البصرة بعد صلحه مع الحسن ، وتوفي في هذه السنة بأرضه بعرفات ، وأوصى إلى عبد الله بن الزبير . له حديث واحد ، وليس له في الكتب شيء ، روى مصعب الزبيري عن أبيه عن حنظلة بن قيس عن عبد الله ابن عامر أن رسول الله (س) قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد » وقد زوجه معاوية بابنته هند ، وكانت جميلة ، فكانت تلي خدمته بنفسها من محبتها له ، فنظر يوماً في المرأة فرأى صباحة وجهها وشيبة في لحيته فطلقها ، وبعث إلى أبيها أن يزوجه بشاب كأن وجهه ورقة مصحف . توفي في هذه السنة وقيل بعدها بسنة .

### عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنها

وهو أكبر ولد أبي بكر الصديق ، قاله الزبير بن بكار ، قال : وكانت فيه دعاية ، وأمه أم رومان ، وأم عائشة فهو شقيقها ، بارز يوم بدر وأخذ مع المشركين ، وأراد قتل أبيه أبي بكر ، فتقدم إليه أبوه أبو بكر فقال له رسول الله (س) : « أمتعنا بنفسك » ثم أسلم عبد الرحمن بعد ذلك في الهدنة ، وهاجر قبل الفتح ، ورزقه رسول الله (س) ، من خير كل سنة أربعين وسقاً ، وكان من سادات المسلمين ، وهو الذي دخل على رسول الله (س) يوم مات وعائشة مسندته إلى صدرها ، ومع عبد الرحمن سواك رطب فأخذه بصره ، فأخذت عائشة ذلك السواك فقضته وطيبته ، ثم دفعته إلى

رسول الله اس. فاستن به أحسن استئنان ثم قال : « اللهم في الرفيق الأعلى » . ثم قضى . قالت :  
 فجمع الله بين ريفي وريته ، ومات بين سحري ونحري ، في بيتي ويومي لم أظلم فيه أحداً .  
 وقد شهد عبد الرحمن نوح اليمامة وقتل يومئذ سبعة ، وهو الذي قتل محم بن الطفيل . صديق مسيلة  
 على باطله . كان محم واقفاً في ثلثة حائط فرماه عبد الرحمن فسقط محم ، فدخل المسلمون من الثلثة  
 فخلصوا إلى مسيلة فقتلوه . وقد شهد فتح الشام ، وكان معظماً بين أهل الاسلام ونقل ليلي بنت  
 الجودي ملك عرب الشام ، نقله إياها خالد بن الوليد عن أمر عمر بن الخطاب كما سند كره مفصلاً .  
 وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي  
 بكر . ولم يجرب عليه كذبة قط . ذكر عنه حكاية أنه لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة ،  
 قال عبد الرحمن لمروان : جعلتموها والله هرقلية وكسروية . يعني جعلتم ملك الملك لمن بعده من  
 ولده . فقال له مروان : اسكت فانك أنت الذي أنزل الله فيك [ والذي قال لوالديه أف لكما  
 أتعداني أن أخرج ] فقالت عائشة : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن ، إلا أنه أنزل عندي ،  
 ويروى أنها بعثت إلى مروان تعبه وتؤنبه وتخبره بخبر فيه ذم له ولأبيه لا يصح عنها ، قال الزبير  
 ابن بكار : حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه عن جده . قال : بعث معاوية  
 إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمائة ألف درهم بعد أن أبي البيعة ليزيد بن معاوية ، فردها عبد الرحمن  
 وأبى أن يأخذها ، وقال : أبيع ديني بدنياي ؟ وخرج إلى مكة فمات بها . وقال أبو زرعة الدمشقي :  
 ثنا أبو مسهر ثنا مالك قال : توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومة نامها . ورواه أبو مصعب عن  
 مالك عن يحيى بن سعيد فذكره وزاد : فأعتقت عنه عائشة رقاباً . ورواه الثوري عن يحيى بن سعيد  
 عن القاسم فذكره . ولما توفي كانت وفاته بمكان يقال له الحبشي . على ستة أميال من مكة ، وقيل  
 اثني عشر ميلاً . فحمله الرجال على أعناقهم حتى دفن بأعلام مكة ، فلما قدمت عائشة مكة زارته  
 وقالت : أما والله لو شهدتك لم أبك عليك ، ولو كنت عندك لم أنقلك من موضعك الذي مت فيه ،  
 ثم تمثلت بشعر منم بن نوبرة في أخيه مالك : -

وكنا كندمانى جذيمة برهة \* من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كآنى ومالك \* لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

رواه الترمذي وغيره . وروى ابن سعد أن ابن عمر مرة رأى فسطاطاً مضروباً على قبر  
 عبد الرحمن - ضربته عائشة بعد ما ارتحلت - فأمر ابن عمر بنزعه وقال : إنما يظله عمله . وكانت  
 وفاته في هذا العام في قول كثير من علماء التاريخ ، ويقال إن عبد الرحمن توفي سنة ثلاث وخمسين  
 قاله الواقدي وكتبه محمد بن سعد وأبو عبيد وغير واحد ، وقيل سنة أربع وخمسين فإله أعلم .

## قصته مع ليلي بنت الجودي ملك عرب الشام

قال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قدم الشام في تجارة - يعني في زمان جاهليته - فرأى امرأة يقال لها ليلي ابنة الجودي على طنفسة لها وحولها ولائدها فأعجبته ، قال ابن عساكر : رآها بأرض بصرى فقال فيها :

تذكرت ليلي والسماء دونها \* فقال ابنة الجودي ليلي وماليا

وإني تعاطى قلبه حارثية \* تؤمن بصرى أو تحمل الحوايا

وإني بلا قبيها بلي ولعلها \* إن الناس حجوا قابلاً أن توافيا

قال : فلما بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال للأمير على الجيش : إن ظفرت بليلى بنت

الجودي عنوة فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فظفر بها فدفمها إليه فأعجب بها وآثرها على نسائه

حتى جعلن يشكونها إلى عائشة ، فعاتبته عائشة على ذلك ، فقال : والله كأنني أرشف بأنيابها حب

الرمان ، فأصابها وجع سقط له فوها فجفاها حتى شكته إلى عائشة ، فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن

لقد أحببت ليلي فأفرطت ، وأبغضتها فأفرطت ، فاما أن تنصفها وإما أن تجهزها إلى أهلها . قال

الزبيرى : وحدثني عبيد الله بن نافع عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه .

قال : إن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلي بنت الجودي حين فتح دمشق ، وكانت

ابنة ملك دمشق - يعني ابنة ملك العرب الذين حول دمشق - والله أعلم .

### عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب

القرشي الهاشمي ابن عم النبي (س) ، وكان أصغر من أخيه عبيد الله بسنة ، وأمها أم الفضل

لبابة بنت الحارث الهلالية ، وكان عبيد الله كريماً جميلاً وسيماً يشبه أباه في الجمال ، روي أن رسول

الله (س) « كان يصف عبيد الله وعبيد الله وكثيراً صنفاً ويقول : من سبق إلى آفة كذا ، فيستبقون

إليه فيقومون على ظهره وصدرة فيقبلهم ويلتزمهم » . وقد استنابه علي بن أبي طالب في أيام خلافته

على اليمن . وحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين ، فلما كان سنة ثمان وثلاثين اختلف

هو ويزيد بن سمرة الرهاوي الذي قدم على الحج من جهة معاوية ، ثم اصطلحا على شيبه بن عثمان

الحجبي ، فأقام للناس الحج عامئذ ، ثم لما صارت اشوكة لمعاوية تسلط على عبيد الله بسر بن أبي

أرطاد فقتل له ولدين ، وجرت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها . وكان يقدم هو وأخوه عبيد الله المدينة

فيوسعهم نبيد الله علما ، ويوسعهم عبيد الله كرماً . وقد روى أنه نزل في مسير له مع مولى له على

خيمة رجل من الأعراب ، فلما رآه الأعرابي أعظمه وأجله ، ورأى حسنه وشكله ، فقال لامرأته :

ويحك ماذا عندك لضيفنا هذا ؟ فقالت : ليس عندنا إلا هذه الشويبة التي حياة ابنتك من لبنها ،

فقال : إنه لا بد من ذبحها ، فقالت : أقتل ابنتك ؟ فقال : وإن ، فأخذ الشفرة والشاة وجعل يذبحها  
ويسلخها وهو يقول مرتجراً :

يا جارتى لا توقظى البنية \* إن توقظها تنتحب عليه • وتترزع الشفرة من يديه  
ثم היא طعماً فوضعها بين يدي عبید الله ومولاه فمشاهما ، وكان عبید الله قد سمع محاورته  
لامراته فى الشاة ، فلما أراد الارتحال قال لمولاه : ويلاك ماذا معك من المال ؟ فقال : معى خمسمائة  
دينار فضلت من نفقتك ، فقال : ادفعها إلى الأعرابي ، فقال : سبحان الله ! تعطيه خمسمائة دينار  
وإنما ذبح لك شاة واحدة تساوى خمسة دراهم ؟ فقال : ويحك والله هو أسخى منا وأجود ، لانا إنما  
أعطيناه بعض مالك ، وجاد هو علينا بجميع مالك ، وآثرنا على مهجة نفسه وولده . فبلغ ذلك  
معاوية فقال : لله در عبید الله ، من أى بيضة خرج ؟ . ومن أى شىء درج . قال خليفة بن خياط :  
توفى سنة ثمان وخمسين . وقال غيره : توفى فى أيام يزيد بن معاوية ، قال أبو عبید القاسم بن سلام !  
توفى فى سنة سبع وثمانين ، وكانت وفاته بالمدينة ، وقيل باليمن ، وله حديث واحد ، قال أحمد : ثنا  
هشيم ثنا يحيى بن إسحاق عن سليمان بن يسار عن عبید الله بن عباس قال : جاءت العميصا - أو  
الرميصا - إلى رسول الله (س) ، تشكو زوجها تزعم أنه لا يصل إليها ، فما كان إلا يسيراً حتى جاء  
زوجها فزعم أنها كاذبة ، وأنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول ، فقال رسول الله (س) : « ليس  
لك ذلك حتى ينوق عسيلتك رجل غيره » وأخرجه النسائي عن علي بن حجر عن هشيم به . ومن  
توفى فيها **ام المؤمنین عائشة بنت ابى بكر الصديق**

وزوجة رسول الله (س) ، وأحب أزواجه إليه ، المبرأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها ،  
وعن أبيها . وأما هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ، تكنى عائشة بأم عبد الله ، قيل  
كناهة بذلك رسول الله (س) ، وسلم بابن أختها عبد الله بن الزبير ، وقيل إنها أسقطت من رسول الله  
س . سقطا فسماه عبد الله ، ولم يتزوج رسول الله (س) : بكرة غيرها ، ولم ينزل عليه الوحي فى  
لحاف امرأه غيرها ، ولم يكن فى أزواجه أحب إليه منها ، تزوجها بمكة بعد وفاة خديجة ، وقد أتاه  
الملاك بها فى المنام فى سرقة من حريرة ، مرتين أو ثلاثاً ، فيقول : هذه زوجتك . قال : « فأكشف  
عنك فاذا هي أنت ، فأقول ، إن يكن هذا من عند الله يمضه ، فخطبها من أبيها فقال : يا رسول الله  
أوتحل لك ؟ قال : نعم ! قال : أو لست أخوك ؟ قال : بلى فى الأسلام ، وهى لى حلال ، فتزوجها  
رسول الله (س) ، ففضيت عنده . وقد قدمنا ذلك فى أول السيرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين ،  
وقيل بسنة ونصف ، وقيل بثلاث سنين ، وكان عمرها إذ ذاك ست سنين ثم دخل بها وهى بنت  
تسع سنين بعد بدر ، فى شوال من سنة ثنتين من الهجرة فأحبها . ولما تكلم فيها أهل الافك بالزور

والبهتان ، غار الله لها فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى على تعاقب الزمان . وقد ذكرنا ذلك مفصلاً فيما سلف ، وشرحنا الآيات والأحاديث الواردة في ذلك في غزوة المريسيع ، وبسطنا ذلك أيضاً في كتاب التفسير بما فيه كفاية ومقنع ، والله الحمد والمنة . وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها ، واختلفوا في بقية أمهات المؤمنين ، هل يكفر من قذفهن أم لا ؟ على قواين ، وأصحهما أنه يكفر ، لأن المقذوفة زوجة رسول الله (س) ، والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله (س) ، فهي وغيرها ممن سواها . ومن خصائصها رضي الله عنها أنها كان لها في القسم يومان يومها ويوم سودة حبن وهبتها ذلك تقرباً إلى رسول الله (س) ، وأنه مات في يومها وفي بيتها وبين سحرها ونحرها ، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا ، وأول ساعة من الآخرة ، ودفن في بيتها . وقد قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن إسماعيل عن مصعب بن إسحاق ابن طلحة عن عائشة عن النبي (س) : قال : « إنه ليهون على أنى رأيت بياض كف عائشة في الجنة » تفرد به أحمد . وهذا في غاية ما يكون من المحبة العظيمة أنه يرتاح لأنه رأى بياض كفها أمامه في الجنة . ومن خصائصها أنها أعلم نساء النبي (س) ، بل هي أعلم النساء على الإطلاق . قال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . وقال عطاء بن ابي رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة . وقال عروة : مارأيت أحداً أعلم بفقهِ ولا طب ولا شعر من عائشة ، ولم ترو امرأة ولا رجل غير أبي هريرة عن رسول الله (س) من الأحاديث بقدر روايتها رضي الله عنها ، وقال أبو موسى الأشعري : « ما أشكل علينا أصحاب محمد حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً » . رواه الترمذي ، وقال أبو الضحى عن مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكبر يسألونها عن الفرائض . فأما ما يلحق به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث : « خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء » فإنه ليس له أصل ولا هو مثبت في شيء من أصول الاسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزني فقال : لا أصل له . ثم لم يكن في النساء أعلم من تلميذاتها عمرة بنت عبد الرحمن ، وحفصة بنت سيرين ، وعائشة بنت طلحة . وقد تفردت أم المؤمنين عائشة بمسائل عن الصحابة لم توجد إلا عندها ، وانفردت باختيارات أيضاً وردت أخبار بخلافها بنوع من التأويل . وقد جمع ذلك غير واحد من الأئمة ، فمن ذلك قال الشعبي : كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال : حدثتني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة رسول الله المبرأة من فوق سبع سموات . وثبت في صحيح البخاري من حديث أبي عثمان النهدي عن عمرو بن العاص . قال : « قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : ومن الرجال ؟ قال : أبوها » وفي صحيح البخاري أيضاً عن أبي موسى قال قال رسول الله (س) : « كل

من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد استدل كثير من العلماء بمن ذهب إلى تفضيل عائشة على خديجة بهذا الحديث ، قال : فإنه دخل فيه سائر النساء الثلاث المذكورات وغيرهن ، ويمضد ذلك أيضا الحديث الذي رواه البخاري : حدثنا إسماعيل بن خليل ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت : « استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله (س) ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك ، فقال : اللهم هالة ، قالت عائشة : ففرت وقلت : ماتدكر من عجوز من عجائز قریش حمراء الشدين هلكت في الدهر الأول ه قد أبدلك الله خيراً منها ؟ » هكذا رواه البخاري ، فأما ما يروى فيه من الريادة : « والله ما أبدلني خيراً منها » فليس يصح سندها . وقد ذكرنا ذلك مطولاً عند وفاة خديجة ، وذكرنا حجة من ذهب إلى تفضيلها على عائشة بما أغنى عن إعادته هنا . وروى البخاري عن عائشة أن النبي (س) قال يوماً : « يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مالا أرى » وثبت في صحيح البخاري أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، فاجتمع أزواجه إلى أم سلمة وقلن لها : قولي له يأمر الناس أن يهدوا له حيث كان ، فقالت أم سلمة : فلما دخل عليّ قلت له ذلك فأعرض عني ، ثم قلن لها ذلك فقالت له فأعرض عنها ، ثم لما دار إليها قالت له فقال يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي في بيت وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها » وذكر أنهم بعثن فاطمة ابنته إليه فقالت : « إن نساءك ينشدونك العدل في ابنة أبي بكر بن أبي قحافة ، فقال : يا بنية ألا تحبين من أحب ؟ قالت : قلت بلى ا قال : فأحي هنة » . ثم بعثن زينب بنت جحش فدخلت على رسول الله (س) . وعنده عائشة فكلمت زينب وقالت من عائشة ، فانتصرت عائشة منها وكنتها حتى أغمتها ، فجعل رسول الله (س) ينظر إلى عائشة ويقول : « إنها ابنة أبي بكر » . وذكرنا أن عماراً لما جاء يستعمرخ الناس ويستنفرهم إلى قتال طلحة والزبير أيلم الجمل ، صعد هو والحسن بن عليّ على منبر الكوفة ، فسمع عمار رجلاً ينادي من عائشة فقال له : اسكت مقبوحاً منبوذاً ، والله إنها لزوجة رسول الله (س) . في الدنيا وفي الآخرة ، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أو إياها . وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة ثنا عبد الله بن خنيم حدثني عبد الله بن أبي مليكة أنه حدثه ذكران - حاجب عائشة - أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة فحنت - وعند رأسها عبد الله بن أخيها عبد الرحمن - فقلت : هذا ابن عباس يستأذن ، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال : هذا عبد الله بن عباس يستأذن - وهي تموت - فقالت : دعني من ابن عباس ، فقال : يا أمه ! إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك

ويودعك ، قالت : ائذن له إن شئت ، قال فأدخلته ، فلما جلس قال : أبشري قالت : بماذا ؟  
قال : ما بينك وبين أن تلقى محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، وكنت أحب نساء  
رسول الله (س) ، إليه ، ولم يكن رسول الله (س) ، يحب إلا طيباً ، وسقطت فلاتك ليلة الأبراء  
فأصبح رسول الله (س) ، وأصبح الناس وليس معهم ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فكان ذلك في  
سببك ، وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، جاء بها  
الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله إلا يتلى فيه آناه الليل وآناه النهار ، قالت :  
دعني منك يا ابن عباس ، والذي نفسي بيده لو ددت أتي كنت نسياً منسياً . والأحاديث في فضائلها  
ومناقبها كثيرة جداً . وقد كانت وقتها في هذا العام سنة ثمان وخمسين ، وقيل قبله بسنة ، وقيل بعده  
بسنة ، والمشهور في رمضان منه وقيل في شوال ، والأشهر ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان ،  
وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلاً ، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر ، ونزل في قبرها خمسة ، وهم  
عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام ، من أختها أسماء بنت أبي بكر ، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها  
محمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان عمرها يومئذ سبعمائة وستين سنة ،  
لأنه توفي رسول الله (س) ، وعمرها ثمان عشرة سنة ، وكان عمرها عام الهجرة ثمان سنين أو تسع  
سنين ، فأنه أعلم ورضي الله تعالى عن أبيها وعن الصحابة أجمعين  
ثم دخلت سنة تسع وخمسين

فيها شتى عمرو بن مرة الجهني في أرض الروم في البر ، قاله الواقدي ، ولم يكن فيها غزوة في البحر ،  
وقال غيره : بل غزا في البحر عامئذ جنادة بن أبي أمية . وفيها عزل معاوية ابن أم الحكم عن الكوفة  
لسوء سيرته فيهم ، وولى عليهم النعمان بن بشير . وفيها ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد ولاية خراسان  
وعزل عنها سعيد بن عثمان بن عفان ، فصار عبيد الله على البصرة ، وأخوه عبد الرحمن هذا على  
خراسان ، وعباد بن زياد على سجستان ، ولم يزل عبد الرحمن عليها والياً إلى زمن يزيد ، فقدم عليه  
بعد مقتل الحسين فقال له : كم قدمت به من هذا المال ؟ قال : عشرون ألف ألف ، فقال له : إن  
شئت حاسبناك ، وإن شئت سوغناكها وعزلناك عنها ، على أن تعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف  
درهم ، قال : بل سوغها ، وأما عبد الله بن جعفر فأعطيه ما قلت ومثلها معها ، فمزله وولى غيره ،  
وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم ، وقال : خمسمائة ألف من جهة  
أمير المؤمنين ، وخمسمائة ألف من قبلي . وفي هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية ومعه  
أشراف أهل البصرة والمراق ، فاستأذن لهم عبد الله عليه على منازلهم منه ، وكان آخر من أدخله  
على معاوية الأحنف بن قيس ، - ولم يكن عبيد الله يجله - فلما رأى معاوية الأحنف رحب به



وعظمه وأجله وأجلسه معه على السرير، ورفع منزلته، ثم تكلم القوم فأتوا على عبيد الله والأحنف ساكت، فقال له معاوية: مالك يا أبا بجر لا تتكلم؟ فقال له: إن تكلمت خالفت القوم، فقال معاوية: انهضوا فقد عزلته عنكم فاطلبوا والياً ترضونه، فكثروا أياماً يترددون إلى أشرف بنى أمية، يسألون كل واحد أن يتولى عليهم فلم يقبل أحد منهم ذلك، ثم جمعهم معاوية فقال: من اخترتم؟ فاختلّفوا عليه، والأحنف ساكت، فقال له معاوية: مالك لا تتكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد غير أهل بيتك فرأيتك فقال معاوية: قد أعدته إليكم. وقال ابن جرير: قال الأحنف: يا أمير المؤمنين إن وليت علينا من أهل بيتك فانا لانعدل بعبيد الله بن زياد أحداً، وإن وليت علينا من غيرهم فانظر لنا في ذلك. فقال معاوية: قد أعدته إليكم. ثم إن معاوية أوصى عبيد الله ابن زياد بالأحنف خيراً، وقبح رأيه فيه وفي مبادئه، فكان الأحنف بعد ذلك أخص أصحاب عبيد الله، ولما وقعت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف بن قيس، والله أعلم.

### قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري مع ابني زياد عبيد الله وعباد

ذكر ابن جرير عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وغيره أن هذا الرجل كان شاعراً، وكان مع عباد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه بحرب الترك، وضاق على الناس علف الدواب، فقال ابن مفرغ شعراً يهجو به ابن زياد على ما كان منه فقال: -

الآليت اللحي كانت حشيشاً \* فنعلفها خيول المسلمينا

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية كبيرها جداً، فبلغه ذلك فغضب وتطلبه فهرب منه وقال فيه قصائد يهجو بها كثيرة فمن ذلك قوله: -

إذا أودى معاوية بن حرب \* فبشر شعب قبك بانصداع

فأشهد أن أمك لم تباشر \* أبا سفیان واضعة القناع

ولكن كان أمراً فيه لبس \* على خوف شديد وارتباع

وقال أيضاً: -

ألا أبلغ معاوية بن حرب \* مغلفة من الرجل الجاني

أنغضب أن يقال أبوك عف \* وترضى أن يقال أبوك زاني

فأشهد أن رحمتك من زياد \* كرحم القيل من ولد الأتان

فكتب عباد بن زياد إلى أخيه عبيد الله وهو وافد على معاوية بهذه الأبيات، فقرأها عبيد الله على معاوية واستأذنه في قتله، فقال: لا تقتله، ولكن أدبه ولا تبلغ به القتل، فلما رجع عبيد الله إلى البصرة استحضره وكان قد استجار بوالد زوجة عبيد الله بن زياد، وهو المنذر بن الجارود، وكانت

أبنته بحرية عند عبيد الله ، فأجره وآواه إلى داره ، وجاء الجارود مسلماً على عبيد الله ، وبعث عبيد الله الشرط إلى دار المنذر فجاءوا بن مفرغ فأوقف بين يديه ، فقال المنذر : إني قد أجرته ، قال : يمسحك ويمسح أباك فترضى عنه ، وبهجوني وبهجوا أبي ثم نجيره على ، ثم أمر عبيد الله بن مفرغ فسقى دواء مسهلاً وحملوه على حمار عليه إكاف وجعلوا يطوفون به في الأسواق وهو يسلمح والناس ينظرون إليه ، ثم أمر به فنفى إلى سجستان إلى عند أخيه عباد ، قال ابن مفرغ لعبيد الله بن زياد : - يغسل الماء ما صنعت وقولي \* راسخ منك في العظام البوالي

فلما أمر عبيد الله بن مفرغ إلى سجستان ، كلم اليمانيون معاوية في أمر ابن مفرغ ، وأنه إنما بعثه إلى أخيه ليقته ، فبعث معاوية إلى ابن مفرغ وأحضره ، فلما وقف بين يديه بكى وشكى إلى معاوية ما فعل به ابن زياد ، فقال له معاوية : إنك هجوته ، ألس القائل كذا ؟ ألس القائل كذا ؟ فأنكر أن يكون قال من ذلك شيئاً ، وذكر أن القائل ذلك هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان ، وأحب أن يسندها إلى ، فغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم ومنعه العطاء حتى يرضى عنه عبيد الله بن زياد ، وأنشد ابن مفرغ ماقاله في الطريق في معاوية يخاطب راحلته : -

عديس ما لعباد عليك إماره \* نجوت وهذا نحمليين طليق  
لعمري لقد نجاك من هوة الردى \* إمام وجبل للأنام وثيق  
سأشكر ما أوليت من حسن نعمة \* ومثلي بشكر النعمين حقيق

قال له معاوية : أما لو كنا نحن الذين هجوتنا لم يكن من أذانا شيء يصل إليك ، ولم تتعرض لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه ارتكب في ما لم يرتكب مسلم من مسلم على غير حدث ولا جرم ، قال : ألس القائل كذا ؟ ألس القائل كذا ؟ فقد عفونا عن جرمك ، أما إنك لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيء فانظر الآن من تخاطب ومن تشاكل ، فليس كل أحد يحتمل الهجاء ، ولا تعامل أحداً إلا بالحسنى ، وانظر لنفسك أي البلاد أحب إليك تقيم بها حتى نبعثك إليها ، فاختار الموصل فأرسله إليها ، ثم استأذن عبيد الله في القدوم إلى البصرة والمقام بها فأذن له . ثم إن عبد الرحمن ركب إلى عبيد الله فاسترضاه فرضى عنه وأنشده عبد الرحمن : -

لأنت زيادة في آل حرب \* أحب إلي من إحدى بناني  
أراك أخوا وعماً وابن عم \* فلا أدري بغيب ما تراني

فقال له عبيد الله : أراك والله شاعر سوء ، ثم رضى عنه وأعاد إليه ما كان منعه من العطاء . قال أبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وكان نائب المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير ، وقاضها شريح ، وعلى البصرة

عبيد الله بن زياد ، وعلى سجستان عباد بن زياد ، وعلى كرمان شريك بن الأعور الحارثي ، من قبل عبيد الله بن زياد .

من توفي في هذه السنة من الأعيان

قال ابن الجوزي : توفي فيها أسامة بن زيد ، والصحيح قبلها كما تقدم .

### الخطيئة الشاعر

واسمه جرول بن مالك بن جرول بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن قطيعة بن عيسى ابن مليكة ، الشاعر الملقب بالخطيئة لقصره ، أدرك الجاهلية وأسلم في زمن الصديق ، وكان كثير الهجاء حتى يقال إنه هجا أباه وأمه ، وخاله وعمه ، ونفسه وعمره ، فمما قال في أمه قوله : -

تنحى فاقعدى عنى بعيدا \* أراح الله منك العالمينا

أغربالاً إذا استودعت سراً \* وكانونا على المتحدثينا

جزاك الله شراً من عجوز \* ولقائك العقوق من البنينا

وقال في أبيه وعمه وخاله : -

لحاك الله ثم لحاك حقاً \* أباً ولحاك من عمٍ وخالٍ

فنعم الشيخ أنت لدى الحارثي \* وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

ومما قال في نفسه يذمها : -

أبت شفتاي اليوم أن تتكلما \* بشرٍ فما أدري لمن أنا قائله ؟

أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه \* فقبیح من وجهٍ وقبیح حامله

وقد شكاه الناس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأحضره وحبسه ، وكان سبب ذلك أن الزبير بن عبد المطلب شكاه لعمر أنه قال له بهجوه : -

دع المكارم لانهرحل لبغيتها \* واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فقال له عمر : ما أراه هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه لا يكون هجاء أشد من هذا ، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ما هجاء ولكن سلح عليه ، فعند ذلك حبسه عمر وقال : يا خبيث لا تشغلنك عن أعراض المسلمين ، ثم شفع فيه عمرو بن العاص فأخرجه وأخذ عليه العهد أن لا يهجو الناس واستتابه ، ويقال إنه أراد أن يقطع لسانه فشفعوا فيه حتى أطلقته ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحرامي عن عبد الله بن مصعب حدثني عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : أمر عمر باخراج الخطيئة من الحبس وقد كلفه فيه عمرو بن العاص وغيره ، فأخرج وأنا حاضر فأنشأ يقول : -

ماذا تقول لافراخ بندي مرح \* زعب الحواصل لاما ولا شجر  
 غادرت كاسبهم في قعر مظلمة \* فارحم هداك ملك الناس يا عمر  
 أنت الامام الذي من بعد صاحبه \* ألقى إليك مقاليد النهي البشر  
 لم يؤثر ك بها إذ قدموك لها \* لكن لأنفسهم كانت بك الاثر  
 فامنن على صبية بالرمل مسكنهم \* بين الأباطح يفشاهم بها القدر  
 نفسي فداؤك كم بيني وبينهم \* من عرض وادية يعنى بها الخبر

قال : فلما قال الحطيئة : ماذا تقول الافراخ بندي مرح ، بكى عمر ، فقال عمرو بن العاص :  
 ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة . ثم ذكروا أنه أراد  
 قطع لسان الحطيئة لثلا يهجو به الناس فأجلسه على كرسي وجى بالموسى ، فقال الناس : لا يعود  
 يا أمير المؤمنين وأشاروا إليه قل : لا أعود ، فقال له عمر النجا ، فلما ولى قال له عمر : ارجع يا حطيئة ،  
 فرجع فقال له : كأني بك عند شاب من قريش قد كسر لك نمرقة ، وبسط لك أخرى ، وقال :  
 يا حطيئة غننا ، فاندفعت تغنيه بأعراض الناس ، قال أسلم : فرأيت الحطيئة بعد ذلك عند عبيد الله  
 ابن عمر وقد كسر له نمرقة وبسط له أخرى ، وقال : يا حطيئة غننا فاندفع حطيئة يغنى ، فقلت له :  
 يا حطيئة أتذكر يوم عمر حين قال لك ما قال ؟ ففرع وقال : رحم الله ذلك المرء ، لو كان حياً ما فعلنا  
 هذا ، فقلت لعبيد الله : إني سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل ، وقال الزبير :  
 حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال قال عمر للحطية : دع قول الشعر . قال لا أستطيع ، قال : لم ؟  
 قال : هو ما كلة عيالي ، وعله لساني ، قال : فدع المدحة المحجفة ، قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال  
 تقول بنو فلان أفضل من بني فلان ، امدح ولا تفضل ، فقال : أنت أشعر مني يا أمير المؤمنين . ومن  
 مديحه الجيد المشهور قوله :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم \* من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا  
 أولئك قومي إن بنوا أحسنوا البنا \* وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا  
 وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها \* وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا  
 قالوا : ولما احتضر الحطيئة قيل له أوص قال أوصيكم بالشعر ، ثم قال :  
 الشعر صعب وطويل سلمة \* إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه  
 زلت به إلى الحضيض قدمه \* والشعر لا يستطيعه من يظلمه  
 أراد أن يعر به فأعجمه

قال أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم : توفي الحطيئة في هذه السنة ، وذكر أيضا فيها وفاة

عبد الله بن عامر بن كريب ، وقد تقدم في التي قبلها .

### عبد الله بن مالك بن القشب

واسمه جندب بن نضلة بن عبید الله بن رافع الأزدي ، أبو محمد حليف بنى عبد المطلب ، المعروف بابن بجمينة ، وهي أمه بجمينة بثت الأرت ، واسمه الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أسلم قديماً ، وصحب رسول الله ﷺ ، وكان ناسكاً قواماً صواماً ، وكان ممن يسرد صوم الدهر كله ، قال ابن سعد : كان ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلاً من المدينة ، ومات في عمل مروان في المرة الثانية ، ما بين سنة أربع وخمسين إلى ثمان وخمسين ، والمعجب أن ابن الجوزي نقل من كلام محمد بن سعد ، ثم إنه ذكر وفاته في هذه السنة - يعني سنة تسع وخمسين فإله أعلم

### قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي

صحابي جليل كأبيه ، له في الصحيحين حديث ، وهو القيام للجنابة ، وله في المسند حديث في صوم عاشوراء ، وحديث غسل رسول الله ﷺ في دارهم وغير ذلك ، وخدم رسول الله ﷺ عشر سنين ، وثبت في صحيح البخاري عن أنس قال : كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . وحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ، واستعمله على الصدقة ، ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ومعه ثلثمائة من المهاجرين والأنصار ، فأصابهم ذلك الجهد الكثير فنحر لهم قيس بن سعد تسع جزائر ، حتى وجدوا تلك الدابة على سيف البحر فأكلوا منها ، وأقاموا عليها شهراً حتى ممنوا ، وكان قيس سيداً مطاعاً كريماً ممدحاً شجاعاً ، وولاه على نيابة مصر ، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمر وبن العاص ، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله [على] عن مصر وولى عليها محمد بن أبي بكر الصديق ، فاستخفه معاوية ، ولم يزل حتى أخذ منه مصر كما قدمنا . وأقام قيس عند علي فشهد معه صفين والنهر وان ولزمه حتى قتل ثم صار إلى المدينة ، فلما اجتمعت الكلمة على معاوية جاءه ليبارعه كما بارعه أصحابه ، قال عبد الرزاق عن ابن عيينة قال قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية : وأنت يا قيس تلجم علي مع من أجم ؟ أما والله لقد كنت أحب أن لا تأتيني هذا اليوم إلا وقد ظفرك بك ظفر من أظفري موجه ، فقال له قيس : وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأحييك بهذه التحية ، فقال له معاوية : ولم ؟ وهل أنت إلا حبر من أحبار اليهود ؟ فقال له قيس : وأنت يا معاوية كنت صنماً من أصنام الجاهلية ، دخلت في الإسلام كارهاً ، وخرجت منه طائعاً ، فقال معاوية : اللهم غفراً ، مديك ، فقال له قيس بن سعد : إن شئت . زدت وزدت . وقال موسى بن عقبة : قالت عجوز لقيس : أشكو إليك قلة فأر بيتي ، فقال قيس : ما أحسن هذه الكناية ! ! املأوا بينها خبزاً ولحماً وجمنا وتمرا .

وقال غيره : كانت له صحفة يدار بها حيث دار ، وكان ينادى له مناد : هلموا إلى اللحم والثريد . وكان أبوه وجده من قبله يفعلان كفعله ، وقال عروة بن الزبير : باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً ، فقدم المدينة فنادى مناديه : من أراد القرض فليأت ، فأقرض منها خمسين ألفاً وأطلق الباقي ، ثم مرض بعد ذلك فقل عواده ، فقال لزوجته - قريبة بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصديق - إني أرى قلة من عادني في مرضي هذا ، وإني لأرى ذلك من أجل مالي على الناس من القرض ، فبعث إلى كل رجل ممن كان له عليه دين بصكك المكتوب عليه ، فوهبهم ماله عليهم ، وقيل : إنه أمر مناديه فنادى : من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه في حل ، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد ، وكان يقول : اللهم ارزقني مالا وفعالاً ، فإنه لا يصلح الفعالي إلا بالمال . وقال سفيان الثوري : اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً فلما جاء ليوفيه إياها قال له قيس : إنا قوم ما أعطينا أحداً شيئاً فترجع فيه . وقال الهيثم بن عدى : اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم ، فقال أحدهم : عبد الله بن جعفر ، وقال الآخر : قيس بن سعد ، وقال الآخر : عرابة الأوسى ، فماروا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة ، فقال لهم رجل : فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره ، فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان . فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله في الفرز ليذهب إلى ضيعة له ، فقال له : يا ابن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فأخرج رجله من الفرز وقال : ضع رجلك واستنو عليها فهي لك بما عليها ، وخذما في الحقيبة ولا تأخذ عن عن السيف فإنه من سيوف علي ، فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار ، ومطارف من خز وغير ذلك ، وأجل ذلك سيف علي بن أبي طالب . ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائماً ، فقالت له الجارية : ما حاجتك إليه ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قالت : فحاجتك أيسر من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ماني دار قيس مال غيره اليوم ، واذهب إلى مولانا في معادن الأبل فخذلك ناقة وعبداً ، واذهب راشداً . فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك ، وقال : هلا أيقظتني حتى أعطيه ما يكفيه أبداً ، فلعل الذي أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته . وذهب صاحب عرابة الأوسى إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبيد له - وكان قد كف بصره - فقال له : يا عرابة ، فقال : قل ، فقال : ابن سبيل ومنقطع به ، قال : نخلى عن العبيد ثم صفق بيديه ، باليمنى على اليسرى ، ثم قال أوه أوه ، والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً ، ولكن خذ هذين العبيد ، قال : ما كنت لأفعل ، فقال : إن لم تأخذها فهما حران ، فان شئت فأعتق ، وإن شئت فخذ . وأقبل يلتمس الحائط بيده ، قال : فأخذها وجاء

بهما إلى صاحبيه ، قال فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم ، وأن ذلك ليس بمستنكر له ، إلا أن السيف أجلبها . وأن قيساً أحد الأجواد حكم مملوكته في ماله بغير علمه واسحقن فعلها وعتقها شكراً لها على ما فعلت ، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسى ، لأنه جاد بجميع ما يملكه ، وذلك جهد من مقل . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن عبد الرحمن بن صالح قال : قسم سعد بن عبادة ماله بين أولاده وخرج إلى الشام فمات بها ، فولد له ولد بعد وفاته ، فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس ابن سعد فقالا : إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذ كان حملاً ، فاقسموا له معكم ، فقال قيس : إني لا أغير ما فعله سعد ولكن نصيبى له . ورواه عبد الرزاق عن معمر بن أيوب عن محمد بن سيرين فذكره . ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني عطاء فذكره . وقال ابن أبي خيثمة : ثنا أبو نعيم ثنا مسعر عن معبد بن خالد . قال : كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعا أصبعه المسبحة - يعني يدعو - وقال هشام بن عمار : ثنا الجراح بن مليح ثنا أبو رافع عن قيس بن سعد . قال : لولا أني سمعت رسول الله ص يقول : « المكر والخديعة في النار » : لكنت من أمكر هذه الأمة . وقال الزهري : دهات العرب حين ثارت الفتنة خمسة ، معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد ، وعبد الله بن بديل وكانا مع علي ، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف حتى حكم الخصمان فصارا إلى معاوية . وقد تقدم أن محمد بن أبي حذيفة كان قد تغلب على مصر وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، نائب عثمان بعد عمرو بن العاص ، فأقره عليها على مدة يسيرة ثم عزله بقيس بن سعد ، فلما دخلها سار فيها سيرة حسنة وضبطها ، وذلك سنة ست وثلاثين ، فنقل أمره على معاوية وعمرو بن العاص ، فكاتباه ليكون معهما على علي فامتنع وأظهر للناس مناصحته لهما ، وفي الباطن هو مع علي ، فبلغ ذلك علياً فعزله وبعث إلى مصر الأشتر النخعي فمات الأشتر في الرملة قبل أن يصل إليها ، فبعث على محمد بن أبي بكر نخف أمره على معاوية وعمرو ، فلم يزالا حتى أخذوا منه الديار المصرية ، وقتل محمد بن أبي بكر هذا وأحرق في جيفة حمار . ثم سار قيس إلى المدينة ، ثم سار إلى علي بن أبي طالب إلى العراق ، فكان معه في حروبه حتى قتل علي ، ثم كان مع الحسن ابن علي حين سار إلى معاوية ليقاتله ، فكان قيس على مقدمة الجيش ، فلما بايع الحسن معاوية ساء قيساً ذلك وما أحبه ، وامتنع من طاعته معاوية ، ثم ارتحل إلى المدينة ، ثم قدم على معاوية في وفد من الأنصار فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما ، وكلام فيه غلظة ، ثم أكرمه معاوية وقدمه وحظي عنده ، فبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه : أن ابعث إلى بسراويل أطول رجل في العرب ، فقال معاوية : ما أرانا إلا قد احتجنا إلا سراريلك ؟ - وكان قيس مديد القامة جداً لا يصل أطول الرجال إلى صدره - فقام قيس فتنحى ثم خلع سراويله

فألقاها إلى معاوية فقال له معاوية : لو ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا ، فأنشأ قيس يقول عند ذلك : - أردتُ بها كي يعلم الناس أنها \* سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ وأن لا يقولوا غابَ قيسٌ وهذه \* سراويلُ غادي ممدٌ ونمودُ وإني من الحَيِّ البيماني لسيدة \* وما الناس إلا سيدٌ ومسودُ فكدهم بمثلٍ إن مثلي عليهم \* شديدٌ وخلقى في الرجالِ مديدٌ وفضلنى في الناسِ أصلٌ ووالدٌ \* وباعَ به أعلو الرجالِ مديدٌ

قال : فأمر معاوية أطول رجل في الوفد فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض ، وفي رواية أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم ، والآخر أطول الروم فانظر هل في قومك من يفوقهما في قوة هذا وطول هذا ؛ فان كان في قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا ، ومن التحف كذا وكذا ، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادني ثلاث سنين . فلما حضرا عند معاوية قال : من لهذا القوي ؛ فقالوا : ماله إلا أحد رجلين ، إما محمد بن الحنفية ، أو عبد الله بن الزبير ، فجىء بمحمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب ، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية : أتعلم فيم أرسلت إليك ؟ قال : لا ! فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه ، فقال للرومي : إما أن تجلس لي أو أجلس إليك وتناولني يدك أو أناؤك يدي ، فأينا قدر على أن يقيم للآخر من مكانه غلبه ، وإلا فقد غلب . فقال له : ماذا تريد ؟ تجلس أو أجلس ؟ فقال له الرومي : بل اجلس أنت ، فجلس محمد بن الحنفية وأعطى الرومي يده فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيه من مكانه أو يحركه ليقمه فلم يقدر على ذلك ، ولا وجد إليه سبيلا ، فغلب الرومي : عند ذلك ، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب ، ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومي اجلس لي ، فجلس وأعطى محمداً يده فها أمهله أن أظنه سريماً ، ورفضه في الحياء ثم ألقاه على الأرض فسر بذلك معاوية سروراً عظيماً ، ونهض قيس بن سعد فتحنى عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاهم لذلك الرومي الطويل فلبسها فبلغت إلى تديبه وأطرافها تخط بالأرض ، فاعترف الرومي بالغلب ، وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية ، وعاتب الأنصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بحضرة الناس فقال : ذلك الشعر المتقدم معتدراً به إليهم ، وليكون ذلك أزم للحجة التي تقوم على الروم ، وأقطع لما حاولوه . ورواه الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : كان قيس بن سعد رجلاً ضخماً جسيماً صغير الرأس لهحية في ذقنه ، وكان إذا ركب الحمار العالي خطت رجلاه بالأرض ، وقال الواقدي وخليفة بن خياط وغير واحد : توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية . وذكر ابن الجوزي وطته في هذه السنة ، فتبعناه في ذلك .



### معقل بن يسار المزني

صحابي جليل ، شهد الحديبية ، وكان هو الذي كان يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله (س) ، وهو يبايع الناس تحتها ، وكانت من السمر ، وهي المذكورة في القرآن في قوله تعالى : ( لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ) وقد ولاه عمر إمرة البصرة فحفر بها النهر المنسوب إليه ، فيقال نهر معقل ، وله بها دار ، قال الحسن البصرى : دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار يعود في مرضه الذي مات فيه ، فقال له معقل : إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله (س) ، لولم أكن على حالتي هذه لم أحدثك به ، سمعته يقول : « من استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » . ومن توفى في هذه السنة

### ابو هريرة الدوسي رضي الله عنه

وقد اختلف في اسمه في الجاهلية والاسلام ، واسم أبيه على أقوال متعددة ، وقد بسطنا أكثرها في كتابنا التكميل ، وقد بسط ذلك ابن عساکر في تاريخه ، والأشهر أن اسمه عبد الرحمن بن صخر وهو من الأزد ، ثم من دوس . ويقال : كان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، وقيل عبد نهم ، وقيل عبد غم ، ويكنى بأبي الأسود ، فسماه رسول الله (س) ، عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وكناه بأبي هريرة ، وروى عنه أنه قال : وجدت هريرة وحشية فأخنت أولادها فقال لي أبي : ما هنه في حرك ؟ فأخبرته ، فقال : أنت أبو هريرة . وثبت في الصحيح أن رسول الله (س) قال له : « أبا هريرة » وثبت أنه قال له : « يا أبا هريرة » قال محمد بن سعد وابن الكلبي والطبراني : اسم أمه ميمونة بنت صفيح بن الحارث بن أبي صعب بن هبة بن سعد بن ثعلبة ، أسلمت وماتت مسلمة . وروى أبو هريرة عن رسول الله (س) ، الكثير الطيب ، وكان من حفاظ الصحابة ، وروى عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب ، وأسامة بن زيد ، ونضرة بن أبي نضرة ، والفضل بن العباس ، وكعب الأحماس ، وعائشة أم المؤمنين . وحدث عنه خلائق من أهل العلم قد ذكرناهم مرتبين على حروف المعجم في التكميل ، كما ذكره شيخنا في تهذيبه . قال البخاري : روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين وغيرهم . وقال عمرو بن علي الفلاس : كان ينزل المدينة وكان إسلامه سنة خيبر : قال الواقدي : وكان بنى الخليفة له دار ، وقال غيره : كان آدم اللون ، بعيد ما بين المنكبين ، ذا طفرتين ، أقرن الثنيتين . وقال أبو داود الطيالسي وغير واحد : عبد ، خلدة ، خالد بن دينار عن أبي العالية عن أبي هريرة قال : لما أسلمت قال رسول الله (س) . « ممن أنت ؟ فقلت : من دوس ، فوضع يده على جبهته وقال : ما كنت أرى أن في دوس رجلا فيه خير » وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة قال : شهدت مع رسول الله (س) ، خيبر ، وروى عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن

إسماعيل عن قيس . قال قال أبو هريرة : جئت يوم خيبر بعد ما فرغوا من القتال . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن أبي مرزوق ثنا الدراوردي . قال : حدثني خيثم عن عراك بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة . قال : « خرج رسول الله (ص) واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة ، قال أبو هريرة : وقدمت المدينة فهاجروا فصليت الصبح وراء سباع فقرأ في السجدة الأولى سورة مريم ، وفي الثانية ويل للمطففين ، قال أبو هريرة : فقلت في نفسي : ويل لأبي فلان ، لرجل كان بأرض الأزد - وكان له مكيلان مكيل يكيل به لنفسه ، ومكيل يبخر به الناس » . وقد ثبت في صحيح البخاري أنه ضل غلام له في الليلة التي اجتمع في صبيحتها برسول الله (ص) ، وأنه جعل ينشد :

يا ليلة من طولها وعنائها على أنها من دائرة الكفر نجت

فلما قدم على رسول الله (ص) ، قال له : « هذا غلامك » ؟ فقال هو حر لوجه الله عز وجل . وقد لزم أبو هريرة رسول الله (ص) ، بعد إسلامه ، فلم يفارقه في حضر ولا سفر ، وكان أحرص شيء على سماع الحديث منه ، وتفقه عنه ، وكان يلزمه على شبع بطنه . وقال أبو هريرة - وقد تمخض يوماً في قبص له كتان - بخ بخ ، أبو هريرة يتمخض في الكتان ، لقد رأيتني آخر فيما بين المنبر والحجر من الجوع ، فيمر المار فيقول : به جنون وما بي إلا الجوع ، والله الذي لا إله إلا هو لقد كنت أعتد بكبدي على الأرض من الجوع ، وأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد كنت أستقرئ أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه ، وما بي إلا أن يستبغني إلى منزله فيطعمني شيئاً ، وذكر حديث اللين مع أهل الصفة كما قدمناه في دلائل النبوة . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ثنا عكرمة بن عامر حدثني أبو كثير - وهو يزيد بن عبد الرحمن بن أذينة السحيمي الأعمى - حدثني أبو هريرة . قال : والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبني ، قلت : وما عليك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إن أمي كانت امرأة مشركة ، وإني كنت أدعوها إلى الاسلام وكانت تأبى علي ، فدعوته يوماً فأسمعتني في رسول الله (ص) ، ما أكره ، فأتيت رسول الله (ص) ، وأنا أبكي ، فقلت : يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الاسلام فكانت تأبى علي ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال : « اللهم اهد أم أبي هريرة » فخرجت أعدوا أبشرها بدعاء رسول الله (ص) ، فلما أتيت الباب إذا هو مجاف ، وصممت خضخضة (خشخشة) وصممت خشف رجل - يعني وقعها - فقالت : يا أبا هريرة كما أنت ، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها أن تلبسه ، وقالت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعائك ، قد هدى الله أم أبي هريرة ، وقلت : يا رسول الله ادعوا الله أن يحبني وأمي إلى عباده المؤمنين ، فقال :

« اللهم حبيب عبديك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحبهم إليهما » قال أبو هريرة : فما خلق الله بن مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني . وقد رواه مسلم من حديث عكرمة عن عمار نحوه . وهذا الحديث من دلائل النبوة ، فإن أبا هريرة محبب إلى جميع الناس ، وقد شهر الله ذكره بما قدره أن يكون من روايته من إيراد هذا الخبر عنه على رؤوس الناس في الجوامع المتعددة في سائر الأقاليم في الأنصت يوم الجمعة بين يدي الخطبة ، والأمام على المنبر ، وهذا من تقدير الله العزيز العليم ، ومحبة الناس له رضى الله عنه . وقال هشام بن عمار : حدثنا سعيد ثنا عبد الحميد بن جعفر عن المقبري عن سالم مولى النضر بين أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله (س) يقول : « إني أحب بشر أغضب كما يفضب البشر وإني قد اتخنت عندك عهداً لن تخلفنيه ، فأبما رجل من المسلمين آذيته أو شتمته أو جلدته فأجعلها له قرية بها عندك يوم القيامة » قال أبو هريرة : لقد رفع علي رسول الله (س) يوماً الدرّة ليضربني بها فلأن يكون ضربني بها أحب إلي من حمر النعم ، ذلك بأنني أرجو أن أكون مؤمناً وأن يستجاب لرسول الله (س) ، ذعوته ، وقال ابن أبي ذيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة . قال : قلت يارسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه ، فقال : « ابسط رداك ، فبسطته ، ثم قال : ضمه فضمته فما نسيت حديثاً بعد » رواه البخاري . وقال الامام أحمد : حدثنا سفیان عن الزهري عن عبد الرحمن الأعرج . قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله (س) ، والله الموعود إني كنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله (س) ، على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فحضرت من رسول الله (س) يوماً مجلساً فقال : « من بسط رداءه حتى أفضى مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني » . فبسطت بردة علي حتى قضى مقالته ثم قبضتها إلى فوالذي نفسي بيده مانسيت شيئاً سمعته منه بعد ذلك . وقد رواه ابن وهب عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وله طرق أخر عنه . وقد قيل إن هذا كان خاصاً بتلك المقالة لم ينس منها شيئاً ، بدليل أنه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرح به في الصحيح ، حيث نسي حديث « لا عدوى ولا طيرة » مع حديثه « لا يورد ممرض على مصح » وقيل : إن هذا كان عاماً في تلك المقالة وغيرها والله أعلم . وقال الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : « يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن أحداً لا يسألني عن هذا الحديث أول منك ، لما رأيت من حرصك على الناس ، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه » ورواه البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو به . وقال ابن أبي ذيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : « حفظت من

رسول الله (س) ، وعاءين فأما أحدهما فبثثته في الناس ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم ،  
رواه البخاري من حديث ابن أبي ذيب ، ورواه غير واحد عن أبي هريرة ، وهذا الوعاء الذي كان  
لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم وما وقع بين الناس من الحروب والقتال ، وما سيقع التي لو أخبر بها  
قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه ، وردوا ما أخبر به من الحق ، كما قال : لو أخبرتكم أنكم  
تقتلون إمامكم وتقتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني . وقد يتمسك بهذا الحديث طوائف من  
أهل الأهواء والبدع الباطلة ، والأعمال الفاسدة ، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو  
هريرة ، ويعتقدون أن مام عليه كان في هذا الجراب الذي لم يجبر به أبو هريرة ، وما من مبطل مع  
تضاد أقوالهم إلا وهو يدعى هذا وكلهم يكذبون ، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه بعده ؟  
وإنما كان الذي فيه شيء من الفتن والملاحم كما أخبر بها هو وغيره من الصحابة ، مما ذكرناه وما  
سند كره في كتاب الفتن والملاحم . وقال حماد بن زيد : حدثنا عمرو بن عبيد الأنصاري ثنا أبو  
لزعة كاتب مروان بن الحكم أن مروان دعا أبا هريرة وأقعدته خلف السرير ، وجعل مروان يسأل  
وجعلت أكتب عنه ، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به وأقعدته من وراء الحجاب فجعل يسأله  
عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا أخر . وروى أبو بكر بن عياش وغيره عن  
الأعمش عن أبي صالح . قال : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله (س) ، ولم يكن بأفضلهم .  
وقال الربيع قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال أبو القاسم البغوي .  
حدثنا أبو خيثمة ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : تواعد الناس ليلة من  
الليالي إلى قبة من قباب معاوية فاجتمعوا فيها ، فقام أبو هريرة فحدثهم عن رسول الله (س) ، حتى  
أصبح . وقال سفيان بن عيينة عن معمر بن وهب بن منبه عن أخيه همام بن منبه . قال : سمعت  
أبا هريرة يقول : ما من أحد من أصحاب رسول الله (س) ، أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من  
عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب . وقال أبو زرعة الدمشقي : حدثني محمد بن زرعة  
الرعي ثنا مروان بن محمد ثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبد الله عن السائب بن يزيد  
قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله (س) ، ولألحقك  
بأرض دوس ، وقال لكعب الأحماسي : لتترك الحديث عن الأول أو لألحقك بأرض القردة . قال  
أبو زرعة ، وسمعت أبا مسهر يذكره عن سعيد بن عبد العزيز نحوه ولم يسنده ، وهذا محمول من  
عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلمون على ثاقبها  
من أحاديث الرخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ  
فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك . وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في التحديث ، قال مسدد :

حدثنا خالد الطحان ثنا يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة . قال : بلغ عمر حديثي فأرسل إلى فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله (س) ، في بيت فلان ؟ قال قلت : نعم ، وقد علمت لم يسألني عن ذلك ؟ قال : ولم سألتك ؟ قلت : إن رسول الله (س) ، قال يومئذ « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » قال : أما إذا فذهب فحدث . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - ثنا عاصم بن كليب حدثني أبي . قال : سمعت أبا هريرة يقول - وكان يتدبى حديثه بان يقول : قال رسول الله (س) ، الصادق المصدوق : « من كذب على عامداً فليتبوأ مقعده من النار » . وروى مثله من وجه آخر عنه . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان . أن أبا هريرة كان يقول : إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر تلجج رأسي . وقال صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنت نستطيع أن نقول : قال رسول الله (س) ، حتى قبض عمر ، وقال محمد بن يحيى الذهلي ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . قال قال عمر : أقلوا الرواية عن رسول الله (س) ، إلا فيما يعمل به . قال ثم يقول أبو هريرة : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي ؟ أما والله إذا لأيقنت أن المحففة ستبأشر ظهري ، [ فان عمر كان يقول ، اشتغلوا بالقرآن فان القرآن كلام الله ، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنك تأتي قوماً لهم في مساجد دوى بالقرآن كدوى النحل ، فدعهم على ما هم عليه ، ولا تشغلهم بالأحاديث ، وأنا شريكك في ذلك . هذا معروف عن عمر رضي الله عنه ] وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر . أنه مر بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي (س) ، أنه قال : من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط ، فان شهد دفنها فله قيراطان ، القيراط أعظم من أحد . فقال له ابن عمر : أبا هريرة انظر ما يحدث عن رسول الله (س) ، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها : يا أم المؤمنين أنشدك بالله أسمعت رسول الله (س) ، يقول : « من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فان شهد دفنها فله قيراطان » ؟ فقالت : اللهم نعم . فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله (س) ، غرس بالوادي وصفق بالأسواق ، إني إنما كنت أطلب من رسول الله (س) ، كلمة يعلمنيها ، أو أكلة يطعمنيها ، فقال له ابن عمر : أنت يا أبا هريرة كنت ألزمت رسول الله (س) ، وأعلمنا بحديثه . وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه . قال : كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة وهو يمشي أمامها ويكثر الترحم عليه ، ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله (س) ، على المسلمين . وقد روى أن عائشة تأولت أحاديث كثيرة من أبي هريرة ووهمتها في بعضها ، وفي الصحيح أنها عابت عليه سرد الحديث ، أي الاكثر منه في

الساعة الواحدة . وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا بشر بن الوليد الكندي ثنا إسحاق بن سعد عن سعيد أن عائشة قالت لأبي هريرة : أكرت الحديث عن رسول الله (س) ، يا أبا هريرة ، قال : إني والله ما كانت تشغلي عنه المكحلة والخضاب ، ولكن أرى ذلك شغلك عما استكرت من حديثي . قالت : لعله . وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم الشامي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع أن رجلاً من قريش أتى أبا هريرة في حلة وهو يتبختر فيها ، فقال : يا أبا هريرة إنك تكثر الحديث عن رسول الله (س) ، فهل سمعته يقول في حلتى هذه شيئاً ؟ قال : والله إنكم لتؤذوننا ، ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب [ ليبينه للناس ولا يكتمونونه ] ما حدثتكم بشيء ، سمعت أبا القاسم (س) يقول : « إن رجلاً من كان قبلكم بينا هو يتبختر في حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » . فوالله ما أدري لعله كان من قومك أو من رهطك - شك أبو يعلى - وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر حدثني كثير بن زيد عن الوليد بن رباح . قال : سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت بوال ، وإن الوالي لغيرك فدعه - يعني حين أرادوا يدفنون الحسن مع رسول الله (س) - ولكنك تدخل فيما لا يعينك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك - يعني معاوية - قال : فأقبل عليه مروان مفضباً فقال : يا أبا هريرة إن الناس قد قالوا إنك أكرت على رسول الله (س) الحديث ، وإنما قدمت قبل وفاة النبي (س) ، بيسير ، فقال أبو هريرة : نعم ! قدمت ورسول الله (س) بخير سنة سبع ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ، وأقت معي حتى توفي ، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه ، وأنا والله يومئذ مقل ، وأصلى خلفه وأحج وأغزو معه ، فكنت والله أعلم الناس بحديثه ، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار ، وكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا والله ما يخفى على كل حديث كان بالمدينة ، وكل من أحب الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله (س) منزلة ، وكل صاحب له ، وكان أبو بكر صاحبه في الغار وغيره ، وقد أخرجه رسول الله (س) ، أن يساكنه - يعرض بأبي مروان الحكم بن العاص - . ثم قال أبو هريرة : ليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فإنه يجد عندي منه علماً جماً ومقالاً ، قال : فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ويتقيه بعد ذلك ويخافه ويخاف جوابه [ وفي رواية أن أبا هريرة قال لمروان : إني أسلمت وهاجرت اختياراً وطوعاً ، وأحببت رسول الله (س) ، حباً شديداً ، وأنتم أهل الدار وموضع الدعوة ، أخرجتم الداعي من أرضه ، وآذيتموه وأصحابه ، وتأخر إسلامكم عن إسلامي إلى الوقت المكروه إليكم . فندم مروان على كلامه له واتقاه ] <sup>(١)</sup> وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ثنا محمد بن سلمة ثنا محمد بن إسحاق عن

(١) سقط من المصرية .

عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه - يعني عروة بن الزبير بن العوام - قال : قال لي أبي الزبير : ادنى  
 من هذا اليماني - يعني أبا هريرة - فإنه يكثر الحديث عن رسول الله .س. ، قال : فأدنيته منه ،  
 فجعل أبو هريرة يحدث ، وجعل الزبير يقول : صدق ، كذب صدق ، كذب . قال : قلت يا أبا  
 ماقولك صدق كذب ؟ قال : يا بني أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله .س. فلا  
 أشك ، ولكن منها ما يضعه علي مواضعه ، ومنها ما يضعه علي غير مواضعه . وقال علي بن المديني  
 عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي اليسر بن أبي عمر .  
 قال : كنت عند طلحة بن عبيد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليماني أعلم  
 برسول الله .س. منك ، أم يقول علي رسول الله .س. ، ما لم يسمع ، أو ما لم يقل ؟ فقال طلحة : والله  
 ما أشك أنه قد سمع من رسول الله .س. ، ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، إنا كنا قوما أغنياء ، لنا بيوتات  
 وأهلون ، وكنا تأتي رسول الله .س. ، طرفي النهار ثم نرجع ، وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل ، وإنما  
 كانت يده مع رسول الله .س. ، وكان يدور معه حيث ما دار ، فما لثك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم  
 نسمع . وقد رواه الترمذي بنحوه . وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب  
 يحدث عن أبي هريرة فقيل له : أنت صاحب رسول الله .س. ، وتحدث عن أبي هريرة ؟ فقال : إن  
 أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع ، وإني إن أحدث عنه أحب إلي من أن أحدث عن رسول الله .س. ،  
 - يعني ما لم أسمع منه - وقال مسلم بن الحجاج : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ثنا مروان  
 الدمشقي عن الليث بن سعد حدثني بكير بن الأشج . قال قال لنا بشر بن سعيد : اتقوا الله وتحفظوا  
 من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا تجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله .س. ، ويحدثنا عن كعب  
 الأخبار ثم يقوم فأسمع بعض ما كان معنا يجعل حديث رسول الله .س. عن كعب ، وحديث كعب  
 عن رسول الله .س. ، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ، وما قاله رسول الله عن كعب ،  
 فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث . وقال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلس -  
 أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله .س. ، ولا يميز هذا من هذا - ذكره ابن عساكر .  
 وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه « من أصبح جنباً فلا صيام له » فإنه لما حوقق عليه قال : أخبرني  
 مخبر ولم أسمع من رسول الله .س. . وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم . قال : كان أصحابنا يدعون  
 من حديث أبي هريرة ، وروى الأعمش عن إبراهيم . قال : ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي  
 هريرة ، وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : كانوا يرون في أحاديث أبي هريرة شيئاً ،  
 وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة ، إلا ما كان من حديث صفة جنة أونار ، أو حث علي عمل  
 صالح ، أو نهى عن شرجاء القرآن به . وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة ورد هذا الذي قاله إبراهيم

النخعي . وقد قال مآقاله إبراهيم طائفة من الكوفيين ، والجمهور على خلافهم

وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم . قال حماد بن زيد عن عباس الجريري عن أبي عثمان النهدي . قال : كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل ، وامراته ثلثه ، وابنته ثلثه ، يقوم هذا ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا هذا . وفي الصحيحين عنه أنه قال : « أوصاني خليلي (ص) ، بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام » : وقال ابن جريج عن حدثه . قال قال أبو هريرة : إني أجزئ الليل ثلاثة أجزاء فجزءاً لقراءة القرآن ، وجزءاً أنام فيه ، وجزءاً أتذكر فيه حديث رسول الله (ص) . وقال محمد بن سعد : ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا إسحاق بن عثمان القرشي ثنا أبو أيوب . قال كان لأبي هريرة مسجد في مخدعه ، ومسجد في بيته ، ومسجد في حجرته ، ومسجد على باب داره ، إذا خرج صلى فيها جميعاً ، وإذا دخل صلى فيها جميعاً . وقال عكرمة : كان أبو هريرة يسبح كل ليلة ثلثي عشرة ألف تسبيحة ، يقول : أسبح على قدر ديتي . وقال هشيم عن يعلى بن عطاء عن ميمون بن أبي ميسرة . قال : كانت لأبي هريرة صيحتان في كل يوم ، أول النهار صيحة يقول : ذهب الليل وجاء النهار وعرض آل فرعون على النار ، وإذا كان العشي يقول : ذهب النهار وجاء الليل وعرض آل فرعون على النار ، فلا يسمع أحد صوته إلا استعاذ بالله من النار . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن عبيدة عن زياد بن ثوبان عن أبي هريرة . قال : لا تنبطن فاجراً بنعمة فان من ورائه طالبا حينئذ طلبه ، جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً . وقال ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة أنه صلى بالناس يوماً فلما سلم رفع صوته فقال : الحمد لله الذي جعل الدين قواماً ، وجعل أبا هريرة إماماً ، بعدما كان أجيراً لابنة غزوان على شبع بطنه وحمولة رجله [ وقال إبراهيم بن إسحاق الحرابي : ثنا عفان ثنا سليم بن حيان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : نشأت يتيماً ، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ، أحذو بهم إذا ركبوا وأحتطب إذا نزلوا ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً ، ]<sup>(١)</sup> ثم يقول : والله يا أهل الاسلام إن كانت إجازتي معهم إلا على كسرة يابسة ، وعقبة في ليلة غبراء مظلمة ، ثم زوجنيها الله فكنيت أركب إذا ركبوا ، وأخدم إذا خدموا ، وأنزل إذا نزلوا . وقال إبراهيم بن يعقوب الجورجاني : حدثنا الحجاج بن نصر ثنا هلال ابن عبد الرحمن الحنفي عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي سلمة . قال قال أبو هريرة وأبو ذر : بانه من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً ، وباب نعلمه عملنا به أو لم نعمل به ، أحب إلينا من مائة ركعة تطوعاً ، وقالوا : سمعنا رسول الله (ص) يقول « إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحال

(١) سقط من النسخة المصرية وهو في الحلبية



مات وهو شهيد « وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه كان يتعوذ في سجوده أن يزني أو يسرق ، أو يكفر أو يعمل كبيرة . قيل له : أتخاف ذلك ؟ قال : ما يؤمنني وإبليس حي ، ومصرف القلوب يصرفها كيف يشاء ؟ . وقالت له ابنته : يا أبة إن البنات يعيرنني بقلن : لم لا يحليك أبوك بالذهب ؟ فقال : يا بنية قولي لمن . إن أبي يخشى على حر اللهب وقال أبو هريرة أتيت عمر بن الخطاب فقلت له وهو يسبح بعد الصلاة فانتظرت له فلما انصرف دنوت منه فقلت : أقرئني آيات من كتاب الله ، قال : وما أريد إلا الطعام ، قال فأقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب ، فقلت : ينزع ثيابه ثم يأمر لي بطعام ، فلم أر شيئاً ، فلما طال عليّ قمت فمشيت فاستقبلني رسول الله (ص) ، فكلمني فقال : « يا أبا هريرة إن خلف فك الليلة لشديد ؟ فقلت : أجل يا رسول الله ، لقد ظلمت صائماً وما أفطرت بعد ، وما أجد ما أفطر عليه ، قال : فانطلق ، فانطلقت معه حتى أتى بيته فدعا جارية له سوداء فقال : إيتنا بتلك القصعة ، فأتينا بقصعة فيها وضر من طعام أراه شعيراً قد أكل وبقى في جوانبها بعضه وهو يسير ، فسميت وجعلت أتبعه فأكلت حتى شبعت » . وقال الطبراني : ثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين أن أبا هريرة قال لابنته : لا تلبسي الذهب فإني أخشى عليك حر اللهب . وقد روى هذا عن أبي هريرة من طرق . وقال الأمام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن أبي الربيع عن أبي هريرة أنه قال : إن هذه الكناسة مهككة دنياكم وآخرتكم - يعني الشهوات وما يأكلونه - وروى الطبراني عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال : أتكره العمل وقد عمل من هو خير منك ؟ - أو قال : قد طلبه من هو خير منك - ؟ قال : من ؟ قال : يوسف عليه السلام فقال أبو هريرة : يوسف بنى ابن نبي ، وأنا أبو هريرة بن أميمة ، فأخشى ثلاثاً أو اثنتين . فقال عمر : أفلا قلت خساً ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حلم ، وأن يضرب ظهري ، وينزع مالي ، ويشتم عرضي . وقال سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال له : « ألا تسألني من هذه الغنائم التي سألتني أصحابك ؟ فقلت : أسألك أن تعلمني مما علمك الله ، قال : فتزع نمرة على ظهري فبسطها بيني وبينه حتى كأتني إلى القمل يدب عليها ، فحدثني حتى إذا استوعب حديثه قال : اجعها إليك فصرها ، فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني » . وقال أبو عثمان النهدي : قلت لأبي هريرة : كيف تصوم ؟ قال : أضوم أول الشهر ثلاثاً فان حدث بي حدث كان لي أجر شهرى . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان النهدي أن أبا هريرة كان في سفر ومعه قوم فلما نزلوا وضعوا السفرة وبعثوا إليه لياكل معهم فقال : إني صائم ، فلما كادوا أن يفرغوا من أكلهم جاء فجعل

ياكل ، فجل القوم ينظرون إلى رسولهم الذي أرسلوه إليه ، فقال لهم : أراكم تنظرون إلى ، قد والله أخبرني أنه صائم ، فقال أبو هريرة : صدق ، إني سمعت رسول الله (س) يقول : « صوم شهر صوم الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر » . وقد ضمت ثلاثة أيام من أول الشهر فأنا مفطر في تخفيف الله ، صائم في تضعيف الله عز وجل . وروى الامام أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل عن أبي المتوكل عن أبي هريرة أنه كان هو وأصحاب له إذا صاموا يجلسون في المسجد وقالوا نطهر صيامنا . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا عثمان الشحام أبو سلمة ثنا فرقد السبخي قال : كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول : ويل لي من بطني ، إن أشبعته كظني ، وإن أجمته أضعفني . وروى الامام أحمد عن عكرمة قال : قال أبو هريرة : إني لأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه كل يوم اثنتي عشرة ألف مرة ، وذلك على قدر ديتي . وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه اثنا عشر ألف عقدة يسبح به قبل أن ينام . وفي رواية ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به ، وهو أصح من الذي قبله . ولما حضره الموت بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بعد سفرى وقلة زادى ، وإني أصبحت في صعود ومهبوط على جنة ونار ، لا أدري إلى أيهما يؤخذ بي . وروى قتيبة بن سعيد ثنا الفرغ بن فضالة عن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : « إذا زوتم مساجدكم وحلنم مصاحفكم فالدمار عليكم » وروى الطبراني عن معمر قال : بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا مر به جنازة قال روحوا فانا غادون ، أو اغدوا فانا رائحون ، موعظة بليغة ، وعقلة سريعة ، يذهب الأول ويبقى الآخر لا عقل له . وقال الحافظ أبو بكر بن مالك : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو بكر ليث بن خالد البجلي ثنا عبد المؤمن بن عبد الله السدوسي . قال : سمعت أبا يزيد المدني يقول : قام أبو هريرة على منبر رسول الله (س) ، دون مقام رسول الله (س) ، بعثية ، فقال : ويل للعرب من شر قد اقترب ، ويل لهم من إمارة الصبيان ، يحكمون فيهم بالهوى ويقتلون بالغضب . وقال الامام أحمد : حدثنا علي بن ثابت عن أسامة ابن زيد عن أبي زياد - مولى ابن عباس - عن أبي هريرة قال : كانت لي خمس عشرة ثمرة فأفطرت على خمس وتسحرت بخمس وأبقيت خمسا لفطري . وقال أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل - يعني العبدى - عن أبي المتوكل أن أبا هريرة كانت لهم زنجية قد غنمهم بعملها ، فرفع عليها يوما السوط ثم قال : لولا القصاص يوم القيامة لأغشينك به ، ولكن سأبيعك ممن بوفيني ثمنك ، أجوج ما أكون إليه ، اذهبي فأنت حرة لله عز وجل . وروى حماد بن سلمة عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة أن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أعوده فقلت : اللهم اشف أبا هريرة ، فقال : اللهم لا ترجعها ، ثم قال : يا أبا سلمة يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب

إلى أحدكم من الذهب الأحمر . وروى عطاء عن أبي هريرة قال : إذا رأيتم سنا فان كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها ، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني ، إذا أمرت السفهاء ، وبيع الحكم ، وتهون بالدم ، وقطعت الأرحام ، وكثرت الجلاوزة ، ونشأ نشو يتخذون القرآن مزامير . وقال ابن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي أن ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه أن أباه هريرة أقبل في السوق يحمل حزمتي حطب - وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم - فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك ، [ ققلت يرحمك الله يكفي هذا ! فقال : أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه ] وله فضائل ومناقب كثيرة وكلام حسن ومواعظ جمة ، أسلم كما قدمنا عام خيبر ، فلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه إلا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، ووصاه به ، فجعله العلاء مؤذنا بين يديه ، وقال له أبو هريرة : لا تسبقني بآمين أيها الأمير . وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته ، وقاصمه مع جملة العمال . قال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين . أن عمر استعمل أباه هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه ؟ فقال أبو هريرة : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ، ولكن عدو من عاداهما . فقال : فن أن هي لك ؟ قال : خيل تتجت ، وغلة ورقيق لي ، وأعطية تتابعت علي . فنظروا فوجدوه كما قال . فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى أن يعمل له ، فقال له : تكره العمل وقد طلبه من كان خيراً منك ؟ طلبه يوسف عليه السلام ، فقال : إن يوسف نبي ابن نبي ، وأنا أبو هريرة بن أمية وأخشى ثلاثاً واثنتين ، قال عمر : فهلا قلت خمسة ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حلم ، أو يضرب ظهري ، ويتزع مالي ، ويشتم عرضي . وذكر غيره أن عمر غرمه في العمالة الأولى اثني عشر ألفاً فلهدا امتنع في الثانية . وقال عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن زياد . قال : كان معاوية يبعث أباه هريرة على المدينة فإذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم ، فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجه عنه ، فعزل مروان ورجع أبو هريرة ، فقال لمولاه : من جاءك فلا ترده واحجب مروان ، فلما جاء مروان دفع النلام في صدره فما دخل إلا بعد جهد جهيد ، فلما دخل قال : إن الغلام حجبتنا عنك ، فقال له أبو هريرة : إنك أحق الناس أن لا تفضب من ذلك . والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أباه هريرة في إمرة المدينة ، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك والله أعلم . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع : كان مروان ربما استخلف أباه هريرة على المدينة فيركب الحمار ويلقي الرجل فيقول : الطريق قد جاء الأمير - يعني نفسه - وكان يمر بالصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب ، وهو أمير ، فلا يشعرون إلا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه

كانه مجنون ، يريد بذلك أن يضحكهم ، فيفزع الصبيان منه ويفرون عنه ههنا وههنا يتضحكون .  
قال أبو رافع : ورأيت دعاني أبو هريرة إلى عشائه بالليل فيقول : دع العراق للأمير - يعني قطع اللحم -  
قال : فأنظر فإذا هو ثريد بالزيت . وقال ابن وهب : حدثني عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي  
أن ثعلبة بن أبي مالك حدثه أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان  
فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك . فقلت : أصلحك الله تلتني هذا ، فقال : أوسع الطريق  
للأمير والحزمة عليه . وقد تقدم هذا . وروى نحوه من غير وجه . وقال أبو الزعيرة كان مروان :  
بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار ، فلما كان الغد بعث إليه : إني غلظت ولم أردك بها ، وإني  
إنما أردت غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتها فإذا خرج عطائي فخذها منه - وكان قد تصدق بها -  
وإنما أراد مروان اختباره . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الأعلاب بن عبد الجبار ثنا حماد بن سلمة  
عن يحيى بن سعيد بن المسيب قال : كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت ، وإذا أمسك عنه تكلم .  
وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه جاءه شاب فقال : يا أبا هريرة إني أصبحت صائما فدخلت على  
أبي فجاءني بخبز ولحم فأكلت ناسيا ، فقال : طعمه أطعمكم الله لاعليك ، قال : ثم دخلت دارا لأهلي  
فجئ بلبن لقمحة فشربته ناسيا ، قال : لاعليك ، قال : ثم أت فاستيقظت فشربت ماء ، وفي رواية  
وجامعت ناسيا ، فقال أبو هريرة : إنك يا ابن أخي لم تعد الصيام . [ وقال غير واحد : كان أبو هريرة  
إذا رأى الجنابة قال : روحوا فانا غادون ، أو اغدوا فانا راحون . وروى غير واحد أنه لما حضرته  
الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على قلة الزاد وشدة المفازة ، وأنا على عقبه هبوط إما إلى جنة  
أو إلى نار فما أدري إلى أيهما أصير ] وقال مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري . قال : دخل  
مروان على أبي هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال : شفاك الله يا أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : اللهم  
إني أحب لقاءك فأحب لقائي . قال : فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات أبو هريرة وقال يعقوب  
ابن سفيان عن دحيم عن الوليد بن جابر عن عمير بن هاني . قال قال أبو هريرة : اللهم لا تدركني  
سنة ستين ، قال : فتوفي فيها أو قبلها بسنة ، وهكذا قال الواقدي : إنه توفي سنة تسع وخمسين ، عن  
ثمان وسبعين سنة ، قال الواقدي : وهو الذي صلى على عائشة في رمضان ، وعلى أم سلمة في شوال سنة  
تسع وخمسين ، ثم توفي أبو هريرة بمدهما فيها ، كذا قال ، والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبي  
هريرة . وقد قال غير واحد : إنه توفي سنة تسع وخمسين وقيل ثمان ، وقيل سبع وخمسين ، والمشهور  
تسع وخمسين . قالوا : وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان نائب المدينة ، وفي القوم ابن عمر وأبو  
سعيد وخلق من الصحابة وغيرهم ، وكان ذلك عند صلاة العصر ، وكانت وفاته في داره بالعقيق ،

للإمام

فحمل إلى المدينة فصلى عليه ، ثم دفن بالبقيع رحمه الله ورضى عنه . وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية  
ب وفاة أبي هريرة ، فكتب إليه معاوية : أن انظر ورثته فأحسن إليهم ، واصرف إليهم عشرة آلاف  
درهم ، وأحسن جوارهم ، واعمل إليهم معروفًا ، فإنه كان ممن نصر عثمان ، وكان معه في الدار رحهما  
الله تعالى :  
سنة ستين من الهجرة النبوية

فيها كانت عزوة مالك بن عبد الله مدينة سورية ، قال الواقدي : وفيها دخل جنادة بن أبي  
أمية جزيرة رودس ، وفيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عبيد الله بن زياد  
إلى دمشق ، وفيها مرض معاوية مرضه الذي توفي فيه في رجب منها كما سنينيه . فروى ابن جرير  
من طريق أبي مخنف : حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة أن معاوية لما  
مرض مرضه التي هلك فيها ، دعا ابنه يزيد فقال : يا بني إني قد كفيتك الرحلة والرجال . ووطأت  
لك الأشياء ، وذلت لك الأعزاء ، وأخضمت لك أعناق العرب ، وإني لا أتخوف أن ينزعك  
هنا الأمر الذي أسسته إلا أربعة نفر ، الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ،  
وعبد الرحمن بن أبي بكر . كذا قال ، والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية  
بستين كما قلنا ، فاما ابن عمر فهو رجل ثقة قد وقفته العبادة ، وإذا لم يبق أحد غيره بإيمك ، وأما  
الحسين فلن أهل العراق خلفه لا يدعون حتى يخرجونه عليك ، فان خرج فظفرت به فاصفح عنه ،  
فان له رحماً ماسة ، وحقاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ،  
ليست له همة إلا في النساء واللهم . وأما الذي يجثم لك جنوم الأسد ، ويراوغك روغان الثعلب ،  
وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فان هو فعلها بك فقدت عليه قطعه إرباً إرباً . قال  
غير واحد : فحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد في الصيد ، فاستدعى معاوية الضحاك بن قيس  
القمي . وكان على شرطه دمشق . ومسلم بن عقبة فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد السلام ويقولان له  
يتوصى بأهل الحجاز ، وإن سأله أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملاً ويولى عليهم عاملاً  
فليقل ، فعزل واحد أحب إليك من أن يُسل عليك مائة ألف سيف ، أن يتوصى بأهل الشام ،  
وأن يجعلهم أنصاره ، وأن يعرف لهم حقهم ، ولست أخاف عليه من قريش سوى ثلاثة ، الحسين ،  
وابن عمر ، وابن الزبير . ولم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهذا أصح ، فاما ابن عمر فقد وقفته  
العبادة ، وأما الحسين فرجل ضعيف وأرجو أن يكفيك الله تعالى بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وإن له  
رحماً ماسة وحقاً عظيماً ، وقرابة من محمد (س) ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان  
قدرت عليه فاصفح عنه فاني لو صاحبتة عفوت عنه . وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان شخص لك  
فانيد إليه إلا أن يلتبس منك صلحا ، فان فعل فاقبل منه ، واصفح عن دماء قومك ما استنطمت .

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة . ، قاله هشام بن الكلبي . وقيل للنصف منه ، قاله الواقدي . وقيل يوم الخميس لثمان بقين منه ، قاله المدائني . قال ابن جرير : وأجمعوا على أنه هلك في رجب منها ، وكان مدة ملكه استقلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي بادرَج ، فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وكان نائباً في الشام عشرين سنة تقريباً ، وقيل غير ذلك : وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، وقيل خمساً وسبعين سنة ، وقيل ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل خمساً وثمانين سنة ، وسيأتي بقية الكلام في آخر ترجمته . وقال أبو السكن زكريا بن يحيى : حدثني عم أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب . قال : كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فغلا ذلك البيت يوماً فاضطجع الفاكه وهد فيه في وقت القائلة ، ثم خرج الفاكه لبعض شأنه ، وأقبل رجل ممن كان يغشاه فوج البيت فلما رأى المرأة فيه ولي هارباً ، وراه الفاكه وهو خارج من البيت ، فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضربها برجله وقال : من هذا الذي كان عندك ؟ قالت : مارأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني أنت ، فقال لها : الحق بأبيك ، وتكلم فيها الناس ، فقال لها أبوها : يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك القالة ، فأنبئني نبأك ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دست إليه من يقتله فينقطع عنك القالة ، وإن يك كاذباً حاكته إلى بعض كهان اليمن ، فعند ذلك حلفت هند لأبيها بما كانوا يحلفون في الجاهلية إنه لكاذب عليها ، فقال عتبة بن ربيعة للفاكه : يا هذا إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، [ وعارك كبير ، لا يغسله الماء ، وقد جعلتنا في العرب بمكان ذلة ومنقصة ، ولولا أنك مني ذو قرابة لقتلتك ، ولكن سأحاطمك إلى كهان اليمن ]<sup>(١)</sup> فخاكني إلى بعض كهان اليمن ، فخرج الفاكه في بعض جماعة من بني مخزوم - أقاربه - وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، وخرجوا بهند ونسوة معها من أقاربهم ، ثم ساروا قاصدين بلاد اليمن ، فلما شارفوا بلاد الكاهن قالوا غداً نأتي الكاهن ، فلما سمعت هند ذلك تنكرت حالها وتغير وجهها ، وأخذت في البكاء ، فقال لها أبوها : يا بنية قد أرى مابك من تنكر الحال ، وكثرة البكاء ، وما ذاك أراه عندك من المكروه أحدثته ، وعمل اقترفتيه ، فهلا كان هذا قبل أن يشيع في الناس ويشهر مسيرنا ؟ فقالت : والله يا أبتاه ما هذا الذي تراه مني لمكروه وقع مني ، وإني لبريئة ، ولكن هذا الذي تراه من الحزن وتغير الحال هو أني أعلم أنكم تأتون هذا الكاهن وهو بشر يخطئ ويصيب ، وأخاف أن يخطئ في أمري بشيء يكون عاره على إلى آخر الدهر ، ولا آمنه أن يسمنى ميسماً تكون على سببه في العرب . فقال لها أبوها : لا تخافي فاني سوف أختبره وأمتحنه قبل أن يتكلم في شأنك وأمرك ، فإن

(١) سقط من المصرية وهو في النسخة الحلبية

أخطأ فيما أمتحنه به لم أدعه يتكلم في أمرك . ثم إنه انفرد عن القوم - وكان راكباً مهراً - حتى توأرى عنهم خلف رابية فترل عن فرسه ثم صفر له حتى أدلى ، ثم أخذ حبة بر فأدخلها في إحليل المهر ، وأوكل عليها بسير حتى أحكم ربطها ، ثم صفر له حتى اجتمع إحليله ، ثم أتى القوم فظنوا أنه ذهب ليقضى حاجة له ، ثم أتى الكاهن فلما قدموا عليه أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : انا قد جئناك في أمر ، ولكن لا أدعك تتكلم فيه حتى تبين لنا ما خبأت لك ، فأتى قد خبأت لك خبيثاً فانظر ماهو ، فأخبرنا به . قال الكاهن : ثمرة في كمره ، قال : أريد أبين من هذا ، قال : حبات بر في إحليل مهر ، قال : صدقت فخذ لما جئناك له ، انظر في أمر هؤلاء النسوة ، فأجلس النساء خلفه وهدد معهم لا يعرفها ، ثم جعل يدنو من إحداهن فيضرب كتفها ويبريها ويقول : انهضى ، حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضى حصان رزان ، غير رسخا ولا زانية ، ولتلدن ملكا يقال له معاوية . فوثب إليها الفاكه فأخذ بيدها ، ففترت يدها من يده وقالت له : إليك عنى ، والله لا يجمع رأسى ورأسك وسادة ، والله لأحرصن أن يكون هذا الملك من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت منه بمعاوية هذا . وفي رواية أن أباه هو الذي قال للفاكه ذلك والله سبحانه أعلم .

وهذه ترجمة معاوية وذكر شيء من أيامه

وما ورد في مناقبه وفضائله

وهو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، القرشي الأموي ، أبو عبد الرحمن ، خال المؤمنين ، وكاتب وحى رسول رب العالمين . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أسلم معاوية عام الفتح ، وروى عنه أنه قال : أسلمت يوم القضية ولكن كنت إسلامي من أبي ، ثم علم بذلك فقال لي : هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه ، فقلت له : لم آل نفسي جهداً . قال معاوية : ولقد دخل على رسول الله (ص) مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به ، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي فحجته فرحب بي ، وكتبت بين يديه . قال الواقدي : وشهد معي حينئذ ، وأعطاه مائة من الأبل ، وأربعين أوقية من ذهب ، وزنها بلال ، وشهد اليمامة . وزعم بعضهم أنه هو الذي قتل مسيلة ، حكاه ابن عساکر ، وقد يكون له شرك في قتله ، وإنما الذي طعنه وحشى ، وجله أبو دجاجة سماك بن خرشة بالسيف ، وكان أبوه من سادات قريش ، وتفرد بالسؤدد بعد يوم بدر ، ثم لما أسلم حسن بعد ذلك إسلامه ، وكان له مواقف شريفة ، وآثار محمودة في يوم اليرموك وما قبله وما بعده ، وصحب معاوية رسول الله (ص) ، وكتب الوحي بين يديه مع الكتاب ، وروى عن رسول الله (ص) ، أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، قال أبو بكر بن أبي الدنيا : كان معاوية طويلاً

أبيض جيلاً ، إذا ضحك انقلبت شفته العليا ، وكان يخضب . حدثني محمد بن يزيد الأزدي ثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن أبي عبد رب قال : رأيت معاوية يصفر لحيته كأنها الذهب . وقال غيره : كان أبيض طويلاً أجلح أبيض الرأس واللحية يخضبهما بالحناء والسكتم . وقد أصابته لوقة في آخر عمره ، فكان يستر وجهه ويقول : رحم الله عبداً دعاً لي بالعافية ، فقد رميت في أحسنى وما يبدو منى ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي ، وكان حليماً وقوراً رئيساً سيدياً في الناس ، كريماً عادلاً شهماً . وقال المدائني عن صالح بن كيسان قال : رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير ، فقال : إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه ، فقالت هند : نكته إن كان لا يسود إلا قومه . وقال الشافعي قال أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة كأن وجهها فلقة قر ، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس ، ومعها صبي يلعب ، فرجل فنظر إليه فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه ، فقالت هند : إن لم يسد إلا قومه فأماته الله ، وهو معاوية بن أبي سفيان . وقال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف قال : نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابني هذا لعظيم الرأس ، وإنه خلّيق أن يسود قومه ، فقالت هند : قومه فقط ، نكته إن لم يسد العرب قاطبة . وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول :

إن بني معرقٍ كريمٌ \* محببٌ في أهلٍ حلِيمٍ  
ليس بفحاشٍ ولا لثيمٍ \* ولا ضجورٌ ولا سؤومٍ  
سخر بني فهرٍ به زعيمٍ \* لا يخلفُ الظنَّ ولا يخيمُ

قال : فلما ولي عمر يزيد بن أبي سفيان ماواه من الشام ، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند : كيف رأيت صار ابنك تابعا لابني ؟ فقالت : إن اضطرت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني ، فلما مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة ، وجاء البريد إلى عمر بموته ، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد ، ثم عزى أبا سفيان في ابنه يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين من وليت مكانه ؟ قال أخوه معاوية ، قال : وصلت رحماً يا أمير المؤمنين . وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه : والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك ، وإني هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر ، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت . وقال له أبوه : يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله ، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة ، وصرنا أتباعاً ، وقد ولوك جيباً من أمورهم فلا تخالفهم ، فانك تجرى إلى أمد فنافس إن بلغته أورثته عقبك ، فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العميرية والعثمانية مدة خلافة عثمان ، وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريباً من ستين سنة في أيامه ومن بعده ، ولم تزل الفتوحات



والجهاد قائماً على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها ، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين على ما كان ، لم يقع في تلك الأيام فتح بالسكبية ، لاعلى يديه ولا على يدي على ، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله ، وقهر جنده ودحام ، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على تداني إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه ، فكتب معاوية إليه : والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يالعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف ، وبعث يطلب الهدنة . ثم كان من أمر التحكيم ما كان ، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كما تقدم ، فانقضت الكلمة على معاوية ، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين كما قدمنا ، فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته ، والجهاد في بلاد العدو قائم ، وكلمة الله عالية . والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض ، والمسلمون معه في راحة وعدل ، وصفح وعفو . وقد ثبت في صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس . قال قال أبو سفيان : يارسول الله ثلاثاً أعطينهن ، قال : نعم ، قال : تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال : نعم ، قال ومعاوية يجعله كاتباً بين يديك ، قال : نعم : وذكر الثالثة وهو أنه أراد أن يزوج رسول الله (س) ، بابنته الأخرى عزة بنت أبي سفيان ، واستعان على ذلك باختها أم حبيبة ، فقال : « إن ذلك لايجل لي » وقد تكلمنا على ذلك في جزء مفرد ، وذكرنا أقوال الأئمة واعتذارهم عنه والله الحمد . والمقصود منه أن معاوية كان من جملة الكتاب بين يدي رسول الله (س) الذين يكتبون الوحي . وروى الامام أحمد ومسلم والحاكم في مستدركه من طريق أبي عوانة - الوضاح ابن عبد الله اليشكري - عن أبي حمزة عمران بن ابي عطاء عن ابن عباس . قال : كنت ألعب مع الغلمان فاذا رسول الله (س) ، قد جاء فقلت : ما جاء إلا إلى ، فاخترت على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطاتين ، ثم قال « اذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال : فذهبت فدعوته له فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله (س) ، فقلت إنه يأكل ، فقال : اذهب فدعاه ، فأتيته الثانية فقيل : إنه يأكل فأخبرته ، فقال في الثالثة : لا أشبع الله بطنه » قال : فما شبع بعدها ، وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه ، أما في دنياه فانه لما صار إلى الشام اميراً ، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها ، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم ، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول والله ما أشبع وإنما أعيا ، وهذه فحمة ونعدة يرغب فيها كل الملوك . وأما في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة . أن رسول الله (س) ، قال : « اللهم إنما أنا بشر فأبما عبد سببته أو حلدته

أو دعوت عليه وليس لملك أهلاً فاجعل ذلك كفارةً وقربةً تقر به بها عندك يوم القيامة». فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك. وقال المسيب بن واضح عن أبي إسحاق الفزاري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس. قال: «آتى جبريل إلى رسول الله (س)، فقال: يا محمد اقرئ معاوية السلام واستوص به خيراً، فإنه أمين الله على كتابه ووحيه ونعم الأمين. ثم أورد ابن عساكر من وجه آخر عن عبد الملك بن أبي سليمان، ثم أورد أيضاً من رواية علي وجابر بن عبد الله «أن رسول الله (س)، استشار جبريل في است كتابه معاوية، فقال: است كتابه فإنه أمين». ولكن في الأسانيد إليهما غرابة، ثم أورد عن علي في ذلك غرائب كثيرة عن غيره أيضاً. وقال أبو عوانة عن سليمان بن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرم الزبيدي عن عبد الله بن عمرو. قال: كان معاوية يكتب للنبي (س). وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن محمد الصيدلاني ثنا السري عن عاصم ثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه هشام بن عروة عن عائشة. قالت: لما كان يوم أم حبيبة من النبي (س)، دق الباب داق، فقال النبي (س): «انظروا من هذا؟ قالوا: معاوية، قال: ائذنوا له، فدخل وعلى أذنه قلم يخط به، فقال: ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟ قال: قلم أعدته لله ورسوله، فقال له: جزاك الله عن نبيك خيراً، والله ما است كتابتك إلا بوحي من الله، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله، كيف لك لو قصصك الله قيصاً - يعني الخلافة -؟ فقامت أم حبيبة فجلست بين يديه وقالت: يا رسول الله وإن الله مقمصه قيصاً؟ قال: نعم! ولكن فيه هنات وهنات. فقالت: يا رسول الله فادع الله له، فقال: اللهم اهده بالهدى، وجنبه الردى، واغفر له في الآخرة والأولى». قال الطبراني تفرد به السري عن عاصم عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن هشام. وقد أورد ابن عساكر بعد هذا أحاديث كثيرة موضوعة، والمعجب منه مع حفظه وإطلاعه كيف لا ينبه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها والله الموفق للصواب. وقد أوردنا من طريق أبي هريرة وأنس ووائل بن الأسقع مرفوعاً: «الأمناء ثلاثة، جبريل، وأنا ومعاوية» ولا يصح من جميع وجوهه، ومن رواية ابن عباس: «الأمناء سبعة، القلم، واللوح، وإسرافيل، وميكائيل، وجبريل، وأنا، ومعاوية» وهذا أنكر من الأحاديث التي قبله، وأضعف إسناداً. وقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية - يعني ابن صالح - عن يونس بن سيف عن الحارث بن زياد عن أبي رهم عن العرياض بن سارية السلمي. قال: سمعت رسول الله (س) يدعونا إلى السحور في شهر رمضان: هلم إلى الغداء المبارك، ثم سمعته يقول: اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه المذاب». تفرد به أحمد. ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدي، وكذلك رواه

أسد بن موسى ، و بشر بن السري ، وعبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، بأسناده مثله . وفي رواية بشر بن السري « وأدخله الجنة » ورواه ابن عدى وغيره من حديث عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن عطاء عن ابن عباس . قال قال رسول الله (س) : « اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب » . وقال محمد بن سعد : ثنا سليمان بن حرب والحسين بن موسى الأشيب قال : ثنا أبو هلال محمد بن سليم ثنا جبلة بن عطية عن مسلمة بن مخلد ، وقال الأشهب : قال أبو هلال أو عن رجل عن مسلمة بن مخلد ، وقال سليمان بن حرب أو حدثه مسلمة عن رجل أنه رأى معاوية يأكل فقال لعروة بن العاص : إن ابن عمك هذا لمخضد : قال أما أنى أقول لك هذا وقد سمعت رسول الله (س) يقول : « اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب » . وقد أرسله غير واحد من التابعين منهم الزهري وعروة بن رويم وجرير بن عثمان الرحبي الحمصي ، ويونس بن ميسرة بن حلبس . وقال الطبراني : ثنا أبو زرعة وأحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقيان قالا : ثنا أبو مسهر ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني - وكان من أصحاب النبي (س) - أن رسول الله (س) قال لمعاوية : « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » قال ابن عساكر : وهذا غريب ، والمحفوظ بهذا الإسناد حديث العرياض الذي تقدم ، ثم روى من طريق الطبراني عن أبي زرعة عن مسهر عن سعيد بن ربيعة عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني . قال : سمعت رسول الله (س) يقول لمعاوية : « اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً واهديه » وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة عن النبي (س) أنه ذكر معاوية فقال : « اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً به » وهكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن أبي مسهر عن سعيد بن عبد العزيز به . وقال حسن غريب . وقد رواه عمر بن عبد الواحد ومحمد بن سليمان الحراني كما رواه الوليد بن مسلم وأبو مسهر عن سعيد بن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة . ورواه محمد بن المصنف عن مروان بن محمد الطاطري عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس عن ابن أبي عميرة أن رسول الله (س) دعا لمعاوية فقال : « اللهم علمه العلم ، واجعله هادياً مهدياً ، واهداً واهديه » وقد رواه مسلمة بن شبيب وصفوان بن صالح وعيسى بن هلال وأبو الأزهري عن مروان الطاطري ، ولم يذكروا أبو إدريس في إسناده . ورواه الطبراني عن عبدان بن أحمد عن علي بن سهل الرملي عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني . أنه سمع رسول الله (س) وذكر معاوية فقال : « اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً » قال ابن عساكر : وقول الجماعة هو الصواب . وقد اعتنى ابن عساكر بهذا الحديث وأطنب فيه ، وأطيب

وأطرب ، وأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد ، فرحمه الله ، كم له من موطن قد تهرز فيه على غيره من الحفاظ والنقاد . وقال الترمذی : حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الله بن محمد النفيلي ثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حليب عن أبي إدريس الخولاني قال : لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن الشام وولى معاوية قال الناس : عزل عمر عميرا وولى معاوية ، فقال عمر : لاتذكروا معاوية إلا بخير ، فاني سمعت رسول الله (س) يقول : « اللهم اهدبه » تفرد به الترمذی وقال : غريب . وعمرو ابن واقد ضعيف ، هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عمير بن سعد الأنصاري . وعندى أنه ينبغي أن يكون من رواية عمر بن الخطاب ، ويكون الصواب فقال عمر : لاتذكروا معاوية إلا بخير ، ليكون عنراً له في توليته له . ومما يقوى هذا أن هشام بن عمار قال : حدثنا ابن أبي السائب - وهو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان - قال : وسمعت أبي يذكر أن عمر بن الخطاب ولى معاوية بن أبي سفيان فقالوا : ولى حدث السن ، فقال : تلوموننى في ولايته ، وأنا سمعت رسول الله (س) يقول : « اللهم اجعله هاديا مهديا واهدا با » وهذا منقطع يقويه ما قبله .

قال الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا نعيم بن حماد ثنا محمد بن شعيب بن سابق ثنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حليب عن عبد الله بن بسر أن رسول الله (س) : « استشار أبا بكر وعمر في أمر فقال : أشيروا على ، فقالا : الله ورسوله أعلم ، فقال : ادعوا معاوية ؟ فقال أبو بكر وعمر : أما في رسول الله (س) ، ورجلين من رجال قريش ما يتقنون أمرهم ، حتى يبعث رسول الله (س) إلى غلام من غلمان قريش ؟ فقال : ادعولى معاوية فدعى له ، فلما وقف بين يديه قال رسول الله (س) : أحضروه أمركم وأشهدهوه أمركم ، فانه قوى أمين . ورواه بعضهم عن نعيم وزاد « وحملوه أمركم » . ثم ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية ، أضربنا عنها صفحا ، واكتفينا بما أوردناه من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجدات عما سواها من الموضوعات والمنكرات .

ثم قال ابن عساكر : وأصح ما روى في فضل معاوية حديث أبي جمره عن ابن عباس « أنه كان كاتب النبي (س) . منذ أسلم » أخرجه مسلم في صحيحه ، وبعده حديث العرياض : « اللهم علم معاوية الكتاب » وبعده حديث ابن أبي عميرة : « اللهم اجعله هاديا مهديا » قلت : وقد قال البخاري في كتاب المناقب : ذكر معاوية بن أبي سفيان : حدثنا الحسن بن بشر ثنا المعافى ثن عثمان ابن الأسود عن ابن أبي مليكة قال : أوتر معاوية بعد العشاء بركة وعنده مولى لابن عباس ، فأتى ابن عباس ، فقال : أوتر معاوية بركة بعد العشاء ، فقال : دعه فانه قد صحب رسول الله (س) . حدثنا ابن أبي مريم ثنا نافع بن عمر ثنا ابن أبي مليكة . قال : قيل لابن عباس : هل لك في

أمير المؤمنين معاوية؟ ما أوتر إلا بواحدة! قال: أصاب، إنه فقيه. ثنا عمرو بن عباس ثنا جعفر  
 ثنا شعبة عن أبي التياح قال: سمعت حمدان عن أبان عن معاوية. قال: إنكم لتصلون صلاة، لقد  
 صحبنا رسول الله (ص). فما رأيناه يصليهما، ولقد نهى عنهما - يعني الركعتين بعد العصر - ثم قال  
 البخاري بعد ذلك: ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة: حدثنا عبدان ثنا عبد الله ثنا يونس عن الزهري  
 حدثني عروة أن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان إلى رسول الله (ص)، فقالت:  
 يارسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى من أن يذلوا من أهل خبائك، فقال:  
 وأيضا والذي نفسي بيده. فقالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك، فهل على من حرج أن  
 أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: لا إلا بالمعروف. فملاح في قوله: «وأیضا والذي نفسي بيده»  
 وهو أنه كان يود أن هندا وأهلها وكل كافر يذلوا في حال كفرهم، فلما أسلموا كان يجب أن يعزوا  
 فأعزم الله - يعني أهل خبائها.

وقال الإمام أحمد: حدثنا روح ثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد قال: سمعت جدي يحدث أن  
 معاوية أخذ الادواة بعد أبي هريرة فتبع رسول الله (ص) بها - وكان أبو هريرة قد اشتكى - فبينما  
 هو يوضئ رسول الله (ص)، إذ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: يا معاوية إن وليت أمراً  
 فاتق الله واعدل. قال معاوية فما زلت أظن أني سأبتلى بعمل لقول النبي (ص) حتى ابتليت. تفرد  
 به أحمد، ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي إسحاق الهمداني سعيد بن زنبور بن ثابت عن عمرو  
 ابن يحيى بن سعيد. ورواه ابن منده من حديث بشر بن الحكم عن عمرو بن يحيى بن أبي  
 يعلى: حدثنا سويد بن سعيد ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد عن جده عن معاوية قال: «اتبعت  
 رسول الله (ص)، بوضوء، فلما توضأ نظر إلى فقال: يا معاوية إن وليت أمراً فاتق واعدل، فما زلت  
 أظن أني مبتلى بعمل حتى وليت». ورواه غالب القطان عن الحسن. قال: سمعت معاوية يخاطب  
 وهو يقول: «صبيت يوماً على رسول الله (ص)، ووضوءه فرفع رأسه إلى فقال: أما إنك ستلى أمر  
 أمي بعدى، فإذا كان ذلك فاقبل من محسنهم ونجاوز عن مسيئهم، وقال: فما زلت أرجو حتى قمت  
 مقامى هذا». وروى البيهقي عن الحاكم بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك بن  
 عمير. قال قال معاوية: والله ما حملني على الخلالة إلا قول رسول الله (ص): «إن ملكك فأحسن»  
 قال البيهقي: إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف، إلا أن للحديث شواهد. وروى ابن عساكر بأسناده  
 عن نعيم بن حماد: ثنا محمد بن حرب عن أبي بكر بن أبي مریم ثنا محمد بن زياد عن عوف بن مالك  
 الأشجعي قال: «بينما أنا راقد في كنيسة يوحنا - وهي يومئذ مسجد يصلى فيها - إذ انتبهت من  
 نومي فإذا أنا بأسد يمشي بين يدي، فوثبت إلى سلاحي، فقال الأسد: ١٤٠ إنما أرسلت إليك

رسالة لتبلغها ، قلت : ومن أرسلك ؟ قال : الله أرسلني إليك لتبلغ معاوية السلام وتعلمه أنه من أهل الجنة ، فقلت له . ومن معاوية ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان ، ورواه الطبراني عن أبي يزيد القراطيسي عن المعلی بن الوليد القعقاعي عن محمد بن حبيب الخولاني عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مریم الغسانی ، وفيه ضعف وهذا غريب جدا ، ولعل الجميع مناما ، ويكون قوله : إذا انتبهت من نومي مدرجاً لم يضبطه ابن أبي مریم ، والله أعلم .

وقال محمد بن عائذ عن الوليد عن ابن لهيعة عن يونس عن الزهري . قال : قدم عمر الجابية فترع شرحبيل وأمر عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر ، ونفى الشام على أميرين أبي عبيدة ويزيد ، ثم توفي أبو عبيدة فاستخلف عياض بن غنم ، ثم توفي يزيد فأمر معاوية مكانه ، ثم نعاه عمر لأبي سفيان ، فقال لأبي سفيان : احتسب يزيد بن أبي سفيان ، قال : من أمرت مكانه ؟ قال : معاوية ، فقال : وصلت رحمايا أمير المؤمنين ، فكان معاوية على الشام ، وعمير بن سعد حتى قتل عمر ، رضي الله عنهم . وقال محمد بن إسحاق : مات أبو عبيدة في طاعون عمواس واستخلف معاذاً ، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان ، فمات واستخلف أخاه معاوية فأقره عمر ، وولى عمرو بن العاص فلسطين والأردن ، ومعاوية دمشق وبعليك والبلقاء ، وولى سعد بن عامر بن جذيم حمص ، ثم جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم أمره عثمان بن عفان على الشام . وقال إسماعيل بن أمية : أفرد عمر معاوية بأمرة الشام ، وجعل له في كل شهر ثمانين ديناراً . والصواب أن الذي جمع لمعاوية الشام كلها عثمان بن عفان ، وأما عمر فانه إنما ولاه بعض أعمالها . وقال بعضهم : لما عزيت هند في يزيد بن أبي سفيان - ولم يكن منها - قيل لها : إنه قد جعل معاوية أميراً مكانه ، فقالت : أو مثل معاوية يجعل خلفاً من أحد ؟ فوالله لو أن العرب اجتمعت متوافرة ثم رمى به فيها لخرج من أي أعراضها (نواحيها) شاء . وقال آخرون : ذكر معاوية عند عمر فقال : دعوا فتى قريش وابن سيدها ، إنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه إلا على الرضا ، ومن لا يأخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن قدامة الجوهري حدثني عبد العزيز بن يحيى عن شيخ له . قال : لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا من عمر قال له : أنت صاحب الموكب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هذا حالك مع ما بلغتني من طول وقوف ذوى الحاجات يبابك ؟ قال : هو ما بلغتني من ذلك . قال : ولم تفعل هذا ؟ لقد هممت أن أمرك بالمشى حافياً إلى بلاد الحجاز ، قال : يا أمير المؤمنين إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به ، فان أمرتني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت . فقال له عمر : يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس ، لئن كان ما قلت حقاً إنه

لأرى أريت ، ولئن كان باطلاً إنه لخديعة أدبت . قال : فرنى يا أمير المؤمنين بما شئت ، قال : لا آمرك ولا أنهك . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتي عما أوردته فيه ؟ ! فقال عمر : لحسن موارده ومصادره جشمناه ماجشمناه . وفي رواية أن معاوية تلقى عمر حين قدم الشام ، ومعاوية في موكب كثيف ، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار ، ولم يشعر بهما ، فقيل له : إنك جاوزت أمير المؤمنين ، فرجع ، فلما رأى عمر ترجل وجعل يقول له ما ذكرنا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين ؟ ! فقال : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه .

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد : أخبرنا محمد بن ذئب عن مسلم بن جندب عن أسلم مولى عمر قال : قدم علينا معاوية وهو أبيض نص وباص ، أبيض الناس وأجملهم ، فخرج إلى الحج مع عمر ، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه ، ثم يضع أصبعه على متن معاوية ثم يرفعها عن مثل الشراك ، فيقول : بخ بخ ، نحن إذاً خير الناس ، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة . فقال معاوية : يا أمير المؤمنين سأحدثك أنا بأرض الحمامات والريف والشهوات ، فقال عمر : سأحدثك ما بك إلا إطفائك نفسك بأطيب الطعام وتصبحك حتى تضرب الشمس متنيك ، وذووا الحاجات وراء الباب . فقال : يا أمير المؤمنين علمني أمثل . قال : فلما جئنا ذا طوى أخرج معاوية حلة فلبسها ، فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب ، فقال : يعمد أحدكم فيخرج حاجاً مقلداً حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبه كأنهما كانا في الطيب فلبسهما ؟ ! فقال معاوية : إنما لبستهما لأدخل فيهما على عشيرتي وقومي ، والله لقد بلغني أذاك ههنا وبالشام ، فإله أعلم أنى لقد عرفت الحياء فيه ، ثم نزع معاوية ثوبه ولبس ثوبه اللذين أحرم فيهما .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني أبي عن هشام بن محمد عن أبي عبد الرحمن المدني . قال : كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال : هذا كسرى العرب . وهكذا حكى المدائني عن عمر أنه قال ذلك . وقال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده . قال : دخل معاوية على عمر وعليه حلة خضراء ، فنظر إليها الصحابة ، فلما رأى ذلك عمر وتب إليه بالدرة فجعل يضربه بها ، وجعل معاوية يقول : يا أمير المؤمنين الله الله في ، فرجع عمر إلى مجلسه فقال له القوم : لم ضربته يا أمير المؤمنين ؟ وما في قومك مثله ؟ فقال : والله ما رأيت إلا خيراً ، وما بلغني غير ذلك لكان مني إليه غير ما رأيتم ، ولكن رأيتني - وأشار بيده - فأحببت أن أضع منه ماشمخ . وقد قال أبو داود : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا يحيى بن حمزة ثنا ابن أبي مريم أن القاسم بن مخيمرة أخبره أن أبا مريم الأزدي أخبره . قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعمنا بك أبا فلان - وهي كلمة تقولها

العرب - فقلت : حديث سمعته أخبرك به ، سمعت رسول الله (س) ، يقول : « من ولاة الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وقبرهم ، احتجب الله دون حاجبه وخلته وقبره » . قال : فجعل معاوية حين سمع هذا الحديث رجلاً على حوائج الناس . ورواه الترمذى وغيره .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ثنا حبيب بن الشهيد عن أبي مجلز . قال : خرج معاوية على الناس فقاموا له فقال : سمعت رسول الله (س) ، يقول : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . [ وفي رواية . قال : خرج معاوية على ابن عامر وابن الزبير فقام له ابن عامر ولم يقم له ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : اجلس ا فاني سمعت رسول الله (س) ، يقول : « من أحب أن يتمثل له العباد قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . (١) ورواه أبو داود والترمذى من حديث حبيب بن الشهيد ، وقال الترمذى : حديث حسن . وروى أبو داود من حديث الثوري عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد المقرئ الحمصي عن معاوية . قال : قال رسول الله (س) : « إنك إن تتبع عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » . قال : كلمة سمعها معاوية نفعه الله بها . تفرد به أحمد - يعني أنه كان جيد السيرة ، حسن التجاوز ، جميل العفو ، كثير السررحه الله تعالى - وثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن معاوية . أنه قال : سمعت رسول الله (س) . يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » . وفي رواية « وهم على ذلك » وقد خطب معاوية بهذا الحديث مرة ثم قال : وهذا مالك ابن يخامر يخبر عن معاذ أن رسول الله (س) ، قال وهم بالشام - يحث بهذا أهل الشام على مناجزة أهل العراق : « وإن أهل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها » وهذا مما كان يحتج به معاوية لأهل الشام في قتالهم أهل العراق . وقال الليث بن سعد : فتح معاوية قيسارية سنة تسع عشرة في دولة عمر بن الخطاب . وقال غيره : وفتح قبرص سنة خمس وقيل سبع ، وقيل ثمان وعشرين في أيام عثمان . قالوا : وكان عام غزوة المضيق - يعني مضيق القسطنطينية - في سنة ثنتين وثلاثين في أيامه وكان هو الأمير على الناس عامئذ . وجمع عثمان لمعاوية جميع الشام ، وقيل إن عمر هو الذي جمعه ، والصحيح عثمان . واستنقى معاوية فضالة بن عبيد بعد أبي الدرداء ، ثم كان ما كان بينه وبين علي بعد قتل عثمان ، على سبيل الاجتهاد والرأى ، فجرى بينهما قتال عظيم كما قدمنا ، وكان الحق والصواب مع علي ، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالأسلام للفريقين من الطرفين - أهل العراق وأهل الشام - كما ثبت في الحديث الصحيح

(١) سقط من المصرية وهو في الحلبيّة



« تمزق مارقة على خير فرقة من المسلمين ، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق » فكانت المارقة الخوارج ، وقتلهم على وأصحابه ، ثم قتل على فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين ، وكان يغزو الروم في كل سنة مرتين ، مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، ويأمر رجلاً من قومه فيحج بالناس ، وحج هو سنة خمسين ، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين . وفيها أوفى التي بعدها أغزاه بلاد الروم [ فسار معه خلق كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية ، وقد ثبت في الصحيح : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم » . ] وقال وكيع عن الأعمش عن أبي صالح . قال : كان الحادي يحدو بعثمان فيقول : إن الأمير بعده علي \* وفي الزبير خلف مرضى

فقال كعب : بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعني معاوية - فقال : يا أبا إسحاق تقول هذا وههنا علي والزبير وأصحاب محمد (ص) ؟ فقال : أنت صاحبها . ورواه سيف عن بدر بن الخليل عن عثمان ابن عطية الأسدي عن رجل من بني أسد . قال : مازال معاوية يطعم فيها منذ سمع الحادي في أيام عثمان يقول : إن الأمير بعده علي \* وفي الزبير خلف مرضى

فقال كعب : كذبت ! بل صاحب البغلة الشهباء بعده - يعني معاوية - فقال له معاوية في ذلك فقال : نعم ! أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بحديثي هذا ، فوقعت في نفس معاوية .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد المكي ثنا سفيان بن عيينة عن أبي هارون قال قال عمر : إياكم والفرقة بعدى ، فان فعلتم فان معاوية بالشام ، وستعلمون إذا وكلمت إلى رأيكم كيف يستبزه دونكم . ورواه الواقدي من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه . وقد روى ابن عساکر عن عامر الشعبي أن علياً حين بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية قبل وقعة صفين - وذلك حين عزم علي على قصد الشام ، وجمع الجيوش لذلك - وكتب معه كتاباً إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعته ، لأنه قد بايعه المهاجرون والأنصار ، فان لم تبائع استعنت بالله عليك وقاتلتك . وقد أكرت القول في قسلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلى أحلك وإياهم على كتاب الله ، في كلام طويل . وقد قدمنا أكثره ، فقرأه معاوية على الناس وقام جرير فخطب الناس ، وأمر في خطبته معاوية بالسمع والطاعة ، وحذره من المخالفة والمعاندة ، ونهاده عن إيقاع الفتنة بين الناس ، وأن يضرب بعضهم بعضاً بالسيوف . فقال معاوية : انتظر حتى آخذ رأي أهل الشام ، فلما كان بعد ذلك أمر معاوية منادياً فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال : « الحمد لله الذي جعل الدعائم للأسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان برهاناً ، يتوقد مصباحه

بالسنة في الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده ، فاحلها أهل الشام ورضيهم لها ، ورضيها لهم ، لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم أو لياؤه فيها ، والقوام بأمره ، الذابن عن دينه وحرماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي أعلام الخير عظاماً ، يردع الله بهم الناكثين ، ويجمع بهم الألفة بين المؤمنين ، والله نستعين على إصلاح ماتشت من أمور المسلمين ، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة ، اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائمنا ، ويخيفون آمننا ، ويريدون هراقة دمائنا ، وإخافة سبلنا ، وقد يعلم الله أنا لانريد لهم عقاباً ، ولانتهك لهم حجاباً ، غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن نزرعه طوعاً ماجابوب الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى ، وقد علمنا أن الذي حملهم على خلافنا البغي والحسد لنا ، فإله نستعين عليهم . أيها الناس اقد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأنى خليفة أمير المؤمنين عثمان عليكم ، وأنى لم أقم رجلاً منكم على خزائنه قط ، وإني ولي عثمان وابن عمه ، قال الله تعالى في كتابه : [ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ] وقد علمتم أنه قتل مظلوماً ، وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقال أهل الشام بأجمعهم : بل نطلب بدمه ، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ، ووثقوا له أن يبنلوا في ذلك أنفسهم وأموالهم ، أو يدركوا بثأره ، أو يفنى الله أرواحهم قبل ذلك ، فلما رأى جرير من طاعة أهل الشام لمعاوية مارأى ، أفزعه ذلك ، وعجب منه . وقال معاوية لجرير : إن ولاتي على الشام ومصر بايعته على أن لا يكون لاحد بعده على بيعة ، فقال : اكتب إلى علي بما شئت ، وأنا أكتب معك ، فلما بلغ علياً الكتاب قال : هذه خديعة ، وقد سألتى المغيرة بن شعبة أن أولى معاوية الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك [ وما كنت متخذ المضلين عضداً ] ثم كتب إلى جرير بالقدوم عليه ، فاسم إلا وقد اجتمعت العساكر إلى علي ، وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص - وكان معتزلاً بفلسطين حين قتل عثمان - وكان عثمان قد عزله عن مصر فاعتزل بفلسطين ، فكتب إليه معاوية يستدعيه ليستشيره في أموره فركب إليه فاجتمعا على حرب علي . وقد قال عقبة بن أبي معيط في كتاب معاوية إلى علي حين سأله نيابة الشام ومصر ، فكتب إلى معاوية يؤنبه ويلومه على ذلك ويعرض بأسياء فيه .

معاوي إن الشام شامك فاعتصم \* بسامك لاتدخل عليك الأفاعيا  
فان علياً ناظر ما تحببه \* فأهدله حرباً يشيب النواصيا  
وحام عليها بالقتال وبالقتنا \* ولاتك مخشوش الذراعين وانبا  
إلا فسلم إن في الأمن راحة \* لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا

وإن كتاباً يا ابن حرب كتبته \* على طمع جان عليك الدواھيا  
سألت علياً فيه مالا تناله \* ولو نلتها لم يبق إلا لياليا  
إلى أن ترى منه الذي ليس بعدها \* بقاء فلا تكثر عليك الأمانيا  
ومثل علي تغتره بخدعة \* وقد كان ما خربت من قبل بانيا  
ولو نشبت أظفاره فيك مرة \* فراك ابن هندی بعد ما كنت فاريا

وقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له : أنت تنازع علياً أم أنت مثله ؟ فقال : والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل ، وأحق بالأمر مني ، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ، وأنا أطلب بدمه وأمره إلى ؟ فقالوا له : فليسلم إلى فتلة عثمان وأنا أسلم له أمره . فأتوا علياً فكلّموه في ذلك فلم يدفع إليهم أحداً ، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية . وعن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي وأبي جعفر الباقر . قال : بعث علي رجلاً إلى دمشق ينذرهم أن علياً قد نهد في أهل العراق إليكم ليستعلم طاعتكم لمعاوية ، فلما قدم أمر معاوية فنودي في الناس : الصلاة جامعة ، فأتوا المسجد ثم صعد المنبر فقال في خطبته : إن علياً قد نهد إليكم في أهل العراق فما الرأي ؟ فضرب كل منهم على صدره ، ولم يتكلم أحد منهم ، ولا رفعوا إليه أبصارهم ، وقام ذو الكلاع فقال : يا أمير المؤمنين عليك الرأي وعلينا الفعال ، ثم نادى معاوية في الناس : أن اخرجوا إلى معسكركم في ثلاث ، فمن تخلف بعدها فقد أحل بنفسه ، فاجتمعوا كلهم ، فركب ذلك الرجل إلى علي فأخبره ، فأمر علي منادياً فنادى : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر فقال : إن معاوية قد جمع الناس لحربكم ، فما الرأي ؟ فقال كل فريق منهم مقالة ، واختلط كلام بعضهم في بعض ، فلم يدر علي مما قالوا شيئاً ، فنزل عن المنبر وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب والله بها ابن آكلة الأكباد . ثم كان من أمر الفريقين بصفين ما كان ، كما ذكرناه مبسوطاً في سنة ست وثلاثين . وقد قال أبو بكر بن دريد : أنبأنا أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال قال معاوية : لقد وضعت رجلي في الركاب وهمت يوم صفين بالهزيمة ، فما منعني إلا قول ابن الأظنابة حيث يقول : -

أبت لي عفتي وأبي بلائي \* وأخذني الحمد بالثمن الربيح  
وإكراهي على المكروه نفسي \* وضربني هامة البطل المشيح  
وقولي كلما جشأت وجاشت \* مكانك تحمدي أو تستريحي

وروى البيهقي عن الامام أحمد أنه قال : الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، فقيل له : فمعاوية ؟ قال : لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي ، ورحم الله معاوية . وقال علي بن المديني :

سمعت سفيان بن عيينة يقول : ما كانت في علي خصلة تقصر به عن الخلافة ، ولم يكن في معاوية خصلة ينازع بها علياً . وقيل لشريك القاضي : كان معاوية حليماً ؟ فقال : ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علياً . رواه ابن عساكر . وقال سفيان الثوري ، عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه ذكر معاوية وأنه لبي عشية عرفة فقال فيه قولاً شديداً ، ثم بلغه أن علياً لبي عشية عرفة فتركه . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عباد بن موسى ثنا علي بن ثابت الجزري عن سعيد بن أبي عروبة عن عمر بن عبد العزيز . قال : رأيت رسول الله (ص) في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت عليه وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلي ومعاوية ، فأدخلا بيتنا وأجيف الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قضى لي ورب الكعبة ، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول : غفر لي ورب الكعبة . وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل : إني أبغض معاوية ، فقال له : ولم ؟ قال : لأنه قاتل علياً ، فقال له أبو زرعة : ويحك إن رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فإيش دخولك أنت بينهما ؟ رضي الله عنهما . وسئل الامام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية فقرأ [ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ] وكذا قال غير واحد من السلف .

وقال الأوزاعي : سئل الحسن عما جرى بين علي وعثمان فقال : كانت لهذا سابقة ولهذا سابقة ، ولهذا قرابة ولهذا قرابة ، فابتلى هذا وعوفي هذا . وسئل عما جرى بين علي ومعاوية فقال : كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة ، ولهذا سابقة ولم يكن لهذا سابقة ، فابتليا جميعاً . وقال كلثوم بن جوشن : سألت النضر أبو عمر الحسن البصري فقال : أبو بكر أفضل أم علي ؟ فقال : سبحان الله ولا سواء ، سبقت لعلي سوابق يشركه فيها أبو بكر ، وأحدث علي حوادث لم يشركه فيها أبو بكر ، أبو بكر أفضل . قال : فعمر أفضل أم علي ؟ فقال : مثل قوله في أبي بكر ، ثم قال : عمر أفضل . ثم قال : عثمان أفضل أم علي ؟ فقال مثل قوله الأول ، ثم قال : عثمان أفضل . قال : فعلي أفضل أم معاوية ؟ فقال : سبحان الله ولا سواء سبقت لعلي سوابق لم يشركه فيها معاوية ، وأحدث علي أحداثاً يشركه فيها معاوية ، علي أفضل من معاوية . وقد روى عن الحسن البصري أنه كان ينقم على معاوية أربعة أشياء ، قتاله علياً ، وقتله حجر بن عدي ، واستلحاقه زياد بن أبيه ، ومبايعته ليزيد ابنه . وقال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة . قال : لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته : أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال : ويحك إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقہ والعلم ، وفي رواية أنها قالت له بالأمس تقاتلته واليوم تبكيه ؟

قلت : وقد كان مقتل علي في رمضان سنة أربعين ، ولهذا قال الليث بن سعد : إن معاوية يبيع

له بإيليا بيعة الجماعة ، ودخل الكوفة سنة أربعين ، والصحيح الذي قاله ابن إسحاق والجمهور انه  
 ببيع له بإيليا في رمضان سنة أربعين ، حين بلغ أهل الشام مقتل علي ، ولكنه إنما دخل الكوفة  
 بعد مصلحة الحسن له في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ، وذلك بمكان  
 يقال له أدرج ، وقيل بمسكن من أرض سواد العراق من ناحية الانبار ، فاستقل معاوية بالأمر إلى أن  
 مات سنة ستين . قال بعضهم : كان نقش خاتم معاوية : لكل عمل ثواب . وقيل بل كان : لا قوة  
 إلا بالله . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وسعيد بن منصور قالا : ثنا أبو معاوية  
 ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد . قال : صلى بنا معاوية بالنخيلة - يعني خارج  
 الكوفة - الجمعة في الضحى ثم حطبنا فقال : ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ،  
 قد عرفت أنكم تفعلون ذلك ، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم  
 كارهون . رواه محمد بن سعد عن يعلى بن عبيد عن الأعمش به . وقال محمد بن سعد : حدثنا  
 عارم ثنا حماد بن يزيد عن معمر عن الزهري أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه ، ثم إنه  
 بعد عن ذلك . وقال نعيم بن حماد : حدثنا ابن فضيل عن السري بن إسماعيل عن الشعبي حدثني  
 سفيان بن الليل قال : قلت للحسن بن علي لما قدم من الكوفة إلى المدينة : يامذل المؤمنين ، قال :  
 لا تنقل ذلك فإني سمعت رسول الله (س) يقول : « لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية » .  
 فعلت أن أمر الله واقع ، فكرهت أن تهراق بيني وبينه دماء المسلمين . وقال مجالد عن الشعبي عن  
 الحارث الأعور . قال قال علي بعد ما رجع من صفين : أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنكم  
 لو فقدتموه رأيتم الرؤس تنذر عن كواهلها كأنها الحنظل . وقال ابن عساكر بأسناده عن أبي داود  
 الطيالسي : ثنا أيوب بن جابر عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد قال قلت لعائشة : ألا تعجبين  
 لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله (س) في الخلافة ؟ فقالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو  
 سلطان الله يؤتية البر والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعين سنة ، وكذلك غيره من الكفار .  
 وقال الزهري : حدثني القاسم بن محمد أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة  
 فكلما خالين لم يشهد كلامهما أحد إلا ذكوان أبو عمرو ومولى عائشة ، فقالت : أمنت أن أخبألك  
 رجلاً يقتلك بقتلك أخي محمداً ؟ فقال : صدقي ، فلما قضى معاوية كلامه معها تشهدت عائشة ثم  
 ذكرت ما بعث الله به نبيه (س) من الهدى ودين الحق ، والذي سن الخلفاء بعده ، وحضت معاوية  
 على العدل واتباع أثرهم ، فقالت في ذلك فلم يترك له عذراً ، فلما قضت مقالها قال لها معاوية : أنت  
 والله العاملة العاملة بأمر رسول الله (س) ، الناصحة المشفقة البليغة الموعظة ، حضضت علي الخير ،  
 وأمرت به ، ولم تأمرينا إلا بالذي هو لنا مصلحة ، وأنت أهل أن تطاعى . وتكلمت هي ومعاوية

كلاماً كثيراً . فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان وقال : والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله (ص) .  
أبلغ من عائشة . وقال محمد بن سعد : حدثنا خالد بن مخلد البجلي ثنا سليمان بن بلال حدثني علقمة  
ابن أبي علقمة عن أمه . قالت : قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة فأرسل إلى عائشة : أن ارسلني  
بانبجانية رسول الله (ص) ، وشعره ، فأرسلت به معي أحمله ، حتى دخلت به عليه ، فأخذ الانبجانية  
فلبسها ، وأخذ شعره فدعا بماء فغسله وشر به وأفاض على جلده . وقال الأصمعي عن الهذلي عن الشعبي  
قال : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقته رجال من وجوه قريش فقالوا : الحمد لله الذي أعز  
نصرك ، وأعلا أمرك . فمرد عليهم جواباً حتى دخل المدينة ، فقصد المسجد وعلا المنبر فحمد الله  
وأثنى عليه ثم قال : أما بعد افاقي والله ما وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي  
ولا تحبونها ، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك ، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ، ولقد رمت  
نفسى على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه ، وأردتها على عمل ابن الخطاب  
فكانت أشد نفوراً وأعظم هرباً من ذلك ، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت على وأين مثل  
هؤلاء ؟ ومن يقدر على أعمالهم ؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد من بعدهم ؟ رحمة الله ورضوانه عليهم ،  
غير أنني سلكت بها طريقاً لي فيه منفعة ، ولكم فيه مثل ذلك . ولكل فيه مواكفة حسنة ، ومشاركة  
جميلة ، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة ، فإن لم تجدونني خيركم فأنا خير لكم ، والله لا أحمل  
السيف على من لا سيف معه ، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني ، وإن لم تجدونني أقوم  
بمحققكم كله فارضوا مني ببعضه ، فإنها بقايبه قوبها ، وإن السيل إذا جاء يبرى ، وإن قل أغنى ، وإياكم  
والفتنة فلا تموا بها ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، وتورث الاستيصال ، أستغفر الله لي ولكم ،  
أستغفر الله . ثم نزل . - قال أهل اللغة : القايبه البيضة ، والقوب الفرخ ، قابت البيضة تقوب إذا  
انفلقت عن الفرخ . -

والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حج في سنة أربع وأربعين ، أوفى سنة خمسين ، لافي عام الجماعة .  
وقال الليث : حدثني علوان بن صالح بن كيسان أن معاوية قدم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع  
الناس عليه ، فليقيه الحسن والحسين ورجال من قريش ، فتوجه إلى دار عثمان بن عفان ، فلما دنا إلى  
باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباها ، فقال معاوية لمن معه : انصرفوا إلى منازلكم فإن  
لي حاجة في هذه الدار ، فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بنت عثمان ، وأمرها بالكف وقال لها : يا بنت  
أخي إن الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحته حقد ، فبعنهم  
هذا بهذا ، وباعونا هذا بهذا ، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بمقتنا وغمطناهم بمقتهم ،  
ومع كل إنسان منهم شيعته ، وهو يرى مكان شيعته ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ثم لا ندري أتكون

لنا الدائرة أم علينا؟ وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين أحب إلى أن تكوني أمة من إماء المسلمين ،  
ونعم انخلف أنا لك بعد أبيك . وقد روى ابن عدي من طريق علي بن زيد وهو ضعيف عن أبي  
نضرة عن أبي سعيد ، ومن حديث مجالد وهو ضعيف أيضاً عن أبي الوداك عن أبي سعيد . أن رسول  
الله (س) قال : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » . وأسنده أيضاً من طريق الحكم بن ظهير  
- وهو متروك - عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مرفوعاً . وهذا الحديث كذب بلا شك ، ولو كان  
صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك ، لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم . وأرسله عمرو بن عبيد  
عن الحسن البصري ، قال أيوب : وهو كذب ورواه الخطيب البغدادي بإسناد مجهول عن أبي الزبير  
عن جابر مرفوعاً : « إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه <sup>(١)</sup> فانه أمين مأمون »

وقد قال أبو زرعة الدمشقي عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي قال : أدركت خلافة معاوية عدة  
من الصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت وسلة بن مخلد وأبو سعيد ورافع بن  
خديج وأبو أمامة وأنس بن مالك ، ورجال أكثر وأطيب ممن سمينا بأضعاف مضاعفة ، كانوا مصابيح  
الهدى ، وأوعية العلم ، حضروا من الكتاب تنزيله ، ومن الدين جديده ، وعرفوا من الإسلام ما لم  
يعرفه غيرهم ، وأخذوا عن رسول الله (س) ، تأويل القرآن . ومن التابعين لهم باحسان ما شاء الله ،  
منهم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن  
محيرز ، وفي أشباه لهم لم يترعوا يدا من جماعة في أمة محمد (س) .

وقال أبو زرعة عن دحيم عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز . قال : لما قتل عثمان لم يكن  
للناس غازية تغزو ، حتى كان عام الجماعة فأغزوا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة ، تذهب سرية  
في الصيف ويشتوا بأرض الروم ، ثم تقفل وتعبها أخرى ، وكان في جملة من أغزى ابنه يزيد ومعه  
خلق من الصحابة ، فجاز بهم الخليج ، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها ، ثم قفل بهم راجعاً إلى  
الشام ، وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال : شد خناق الروم . وقال ابن وهب عن يونس عن  
الزهري قال . حج معاوية بالناس في أيام خلافته مرتين ، وكانت أيامه عشرين سنة إلا شهراً . وقال  
أبو بكر بن عياش : حج بالناس معاوية سنة أربع وأربعين ، وسنة خمسين . وقال غيره : سنة إحدى  
وخمسين فله أعلم . وقال الليث بن سعد : حدثنا بكير عن بشر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال :  
ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب - يعني معاوية - وقال عبد الرزاق :  
حدثنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن ثنا المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية . قال :

(١) لعله فاقبلوه بدليل قوله في سياق الكلام : فانه أمين مأمون ، ولا يظن في الحديث

ويصح المعنى والله أعلم .

فلما دخلت عليه - حسبت أنه قال سلمت عليه - فقال : ما فعل طعنك على الأئمة يامسور ؟ قال  
قلت : ارفضنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له ، فقال : لتكلمني بذات نفسك ، قال : فلم أدع شيئاً  
أعيبه عليه إلا أخبرته به ، فقال : لا تبرأ من الذنوب ، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم  
يفرّها الله لك ؟ قال : قلت : نعم ! إن لي ذنوباً إن لم تغفرها هلكت بسببها ، قال : فما الذي يجعلك  
أحق بأن ترجو أنت المغفرة مني ، فوالله لما إلى من إصلاح الرعايا وإقامة الحدود والإصلاح بين الناس  
والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يحرصها إلا الله ولا يحرصها أكثر مما تذكر من العيوب  
والذنوب ، وإني لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات ، والله على ذلك ما كنت لأخبر  
بين الله وغيره إلا اخترت الله على غيره مما سواه ، قال : ففكرت حين قال لي ما قال فعرفت أنه قد  
خصمني . قال : فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعاه بخير . وقد رواه شعيب عن الزهري عن  
عروة عن المسور بنحوه .

وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي قال قال معاوية : يا أيها الناس ! ما أنا بخيركم وإن منكم  
لمن هو خير مني ، عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما من الأفاضل ، ولكن عسى أن  
أكون أنفعكم ولأية ، وأنكأكم في عدوكم ، وأدركم حلباً . وقد رواه أصحاب محمد عن ابن سعد عن  
محمد بن مصعب عن أبي بكر بن أبي مرزوق عن ثابت مولى معاوية أنه سمع معاوية يقول نحو ذلك .  
وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن حليس قال سمعت معاوية  
على منبر دمشق يوم الجمعة يقول : أيها الناس اعقلوا قولي ، فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة  
منّي ، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة ، أو ليخالفن الله بين قلوبكم ، خذوا على أيدي سفهائكم  
أو ليلسطن الله عليكم عدوكم فليسومنكم سوء العذاب . تصدقوا ولا تقولن الرجل إني مقل ، فإن  
صدقة المقل أفضل من صدقة الغني ، إياكم وقذف المحصنات ، وأن يقول الرجل : سمعت وبلغني ،  
فلوقذف أحدكم امرأة على عهد نوح اسئل عنها يوم القيامة . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا يزيد  
ابن طهمان الرقاشي ثنا محمد بن سيرين . قال : كان معاوية إذا حدث عن رسول الله (ص) لم يتهم .  
ورواه أبو القاسم البغوي عن سويد بن سعيد عن همام بن إسماعيل عن أبي قبيل . قال : كان معاوية  
يبعث رجلاً يقال له أبو الجيش في كل يوم فيدور على المجالس يسأل هل ولد لأحد مولود ؟ أو قدم  
أحد من الوفود ؟ فإذا أخبر بذلك أثبت في الديوان - يعني ليحجرى عليه الرزق - وقال غيره : كان  
معاوية متواضعاً ليس له مجالد إلا كجالد الصبيان التي يسمونها الخاريق فيضرب بها الناس . وقال  
هشام بن عمار عن عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة بن حليس . قال : رأيت معاوية في سوق  
دمشق وهو مردف وراءه وصفياء عليه قبص مرقوع الجيب ، وهو يسير في أسواق دمشق ، وقال



الأعمش عن مجاهد ، إنه قال : لو رأيت معاوية لقلتم هذا المهدي . وقال هشيم عن العوام عن جبلة ابن سحيم عن ابن عمرو . قال : ما رأيت أحداً أسود من معاوية ، قال قلت : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه . ورواه أبو سفيان الخيري عن العوام بن حوشب به . وقال : ما رأيت أحداً بعد رسول الله ( ص ) ، أسود من معاوية ، قيل ولا أبو بكر ؟ قال : كان أبو بكر وعمر وعثمان خيراً منه ، وهو أسود . وروى من طرق عن ابن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : عن معمر عن همام سمعت ابن عباس يقول : ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية ، وقال حنبل بن إسحاق : حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن أبي عتيبة عن شيخ من أهل المدينة قال قال معاوية . أنا أول الملوك . وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف حدثنا حمزة عن ابن شوذب قال : كان معاوية يقول أنا أول الملوك وآخر خليفة ، قلت : والسنة أن يقال لمعاوية ملك ، ولا يقال له خليفة لحديث « سفينة الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً » .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً وذكر معاوية فقال : ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه . وقال قبيصة بن جابر : ما رأيت أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سوءاً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً ، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية . وقال بعضهم : أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شديداً ، فقيل له لو سطوت عليه ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن يضيق خلعي عن ذنب أحد من رعيتي . وفي رواية قال له رجل : يا أمير المؤمنين ما أحلمك ؟ فقال : إني لأستحي أن يكون جرم أحد أعظم من حلتي . وقال الأصمعي عن الثوري : قال قال معاوية : إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي ، أو جهل أكبر من حلتي ، أو تكون عورة لا أواربها بستري . وقال الشعبي والأصمعي عن أبيه قالا : جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غمراً لمعاوية ، فأطرق معاوية . ثم رفع رأسه فقال : يا أبا الجهم إياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبيان ، ويأخذ أخذ الأسد ، وإن قليله يغلب كثير الناس . ثم أمر معاوية لأبي الجهم بمال فقال : أبو الجهم في ذلك يمدح معاوية .

نمى على جوانبه كأننا \* نميل إذا نميل على أينا

نقله لنخبر حالته \* فنخبر منها كرمًا ولينا

وقال الأعمش : طاف الحسن بن علي مع معاوية فكان معاوية يمشي بين يديه ، فقال الحسن : ما أشبه ألبتة باليتي هند ؟ ! فالتفت إليه معاوية فقال : أما إن ذلك كان يعجب أبا سفيان . وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم لمعاوية : إن فلاناً يشتمني ، فقال له : طأطأ لها فتمر فتجاوزك . وقال ابن الأعرابي : قال رجل لمعاوية : ما رأيت أندل منك ، فقال معاوية : بلى من واجه الرجال بمثل

هذا . وقال أبو عمرو بن العلاء قال معاوية : ما يسرى بنزل الكرم حمر النعم . وقال : ما يسرى بنزل  
الحلم عز النصر . وقال بعضهم : قال معاوية : يا بني أمية فارقوا قريشا بالحلم ، فوالله لقد كنت ألقى  
الرجل في الجاهلية فيوسعني شتما وأوسعته حلماً ، فأرجع وهو لي صديق ، إن استنجدته أتجدني ،  
وأثور به فيثور معي ، وما وضع الحلم عن شريف شرفه ، ولا زاده إلا كراماً وقال : آفة الحلم الذل .  
وقال : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة  
الحلم . وقال عبد الله بن الزبير : لله در ابن هند ، إن كنا لنفرقه وما الليث على برائته بأجرأ منه ،  
فيتفارق لنا ، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا ، والله لو ددت  
أنا متعنا به مادام في هذا الجبل حجر - وأشار إلى أبي قبيس - وقال رجل لمعاوية : من أسود الناس ؟  
فقال : أسخام نفسا حين يسأل ، وأحسنهم في المجالس خلقاً ، وأحلمهم حين يستجمل . وقال أبو  
عبيدة معمر بن المثنى : كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيراً

فما قتل السفاهة مثل حلم \* يعودُ به على الجهلِ الحليمُ  
فلا تسفه وإن ملئتُ غيظاً \* على أحدٍ فان الفحشَ لومُ  
ولا تقطعْ أخالك عند ذنبٍ \* فان الذنبَ يغفره الكريمُ

[ وقال القاضي الماوردي في الأحكام السلطانية : وحكى أن معاوية أتى بلصوص قطعهم حتى

بقي واحد من بينهم ، فقال :

يميني أمير المؤمنين أعينها \* بعفوك أن تلقى مكاناً يشينها  
يدي كانت الحسناء لو تم مئتها \* ولا تعدم الحسناء عيباً يشيها  
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة \* إذا ماشى فارقها يمينا

فقال معاوية : كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابك ؟ فقالت أم السارق : يا أمير المؤمنين !  
اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها . نخلي سبيله ، فكان أول جد ترك في الاسلام [ . وعن ابن  
عباس أنه قال : قد علمت بم غلب معاوية الناس ، كانوا إذا طاروا وقع ، وإذا وقع طاروا ، وقال  
غيره : كتب معاوية إلى نائبه زياد : إنه لا ينبغي أن يسوس الناس سياسةً واحدةً باللين فيمرحوا ،  
ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك ، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة ، وأنا للين والألفة  
والرحمة ، حتى إذا خاف خائف وجد باباً يدخل منه . وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز . قال :  
قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانمائة عشر ألف دينار ، وما كان عليها من الدين الذي كانت  
تعطيه الناس . وقال هشام بن عروة عن أبيه . قال : بعث معاوية إلى أم المؤمنين عائشة بمائة ألف

للا لالا

ففرقتها من يومها فلم يبق منها درهم ، فقالت لها خادمتها : هلا أبقيت لنا درهماً نشترى به لحماً تفطري عليه ؟ فقالت : لو ذكرتيني لفعلت . وقال عطاء : بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف قبلته . وقال زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة . قال : قدم الحسن بن علي على معاوية فقال له : لأجزئك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلي ، فأعطاه أربع مائة ألف . ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائة ألف ، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي ، فقال له الحسين : ولم تعط أحداً أفضل منا . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا يوسف بن موسى ثنا جرير عن مغيرة . قال : أرسل الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال ، فبعث إليهما - أو إلى كل منهما - بمائة ألف ، فبلغ ذلك علياً فقال لهما : ألا تستحيان ؟ رجل نطعن في عينه غدوةً وعشيةً تسألانه المال ؟ فقالا : بل حرمتنا أنت وجاد هولنا . وروى الأصمعي قال : وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ، وأمر له بثلاث مائة ألف ، وقال لابن الزبير : مرحباً وأهلاً بابن عمه رسول الله ، وأمر له بمائة ألف . وقال أبو مروان المرواني : بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمائة ألف فقسمها على جلسائه ، وكانوا عشرة ، فأصاب كل واحد عشرة آلاف . وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبها منه امرأته فاطمة فأطلقها لها ، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف فقسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً ، وبعث إلى ابن عمر بمائة ألف ففرق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف . فقال معاوية : إنه لمقتصد يجب الاقتصاد . وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمائة ألف فقال للرسول : لم جئت بها بالنهار ؟ هلا جئت بها بالليل ؟ ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً ، فقال معاوية : إنه نخب ضب ، كانك به قد رفع ذبده وقطع حبله . وقال ابن دآب : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، ويقضى له معها مائة حاجة ، فقدم عليه عاماً فأعطاه المال وقضى له الحاجات ، وبقيت منها واحدة ، فبينما هو عنده إذ قدم أصبغهند سجستان يطلب من معاوية أن يملكه على تلك البلاد ، ووعده من قضي له هذه الحاجة من ماله ألف ألف ، فطاف على رؤوس الأشهاد والأمراء من أهل الشام وأمراء العراق ، ممن قدم مع الأحنف بن قيس ، فكلهم يقولون : عليك بعبد الله بن جعفر ، فقصدته الدهقان فكلم فيه ابن جعفر معاوية فقضى حاجته تكلمة المائة حاجة ، وأمر الكاتب فكتب له عهده ، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم ، فقال له ابن جعفر : اسجد لله واحمل مالك إلى منزلت ، فإننا أهل بيت لا نبيع المعروف باليمن . فبلغ ذلك معاوية فقال : لأن يكون يزيد قالمها أحب إلي من خراج العراق ، أبت بنو هاشم إلا كرمًا . وقال غيره : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، فاجتمع عليه في بعض الأوقات دين خمسمائة ألف ، فألح عليه

غرماءه فاستنظروهم حتى يقدم على معاوية فيسأله أن يسلفه شيئاً من العطاء ، فركب إليه فقال له :  
 ما أقدمك يا ابن جعفر ؟ فقال : دين ألح على غرماءه ، فقال : ومم هو ؟ قال : خمائة ألف .  
 فقضاها عنه وقال له : إن الألف ألف ستأتيك في وقتها . وقال ابن سعيد : حدثنا موسى بن إسماعيل  
 ثنا ابن هلال عن قتادة . قال قال معاوية : يا عجبا للحسن بن علي !! شرب شربة عسل بمائة بماء  
 رومة فتضى نجبه ، ثم قال لابن عباس : لا يسؤك الله ولا يحزنك في الحسن بن علي ، فقال ابن عباس  
 لمعاوية : لا يحزنني الله ولا يسوءني ما أبقى الله أمير المؤمنين . قال : فأعطاه ألف ألف درهم وعروضا  
 وأشياء ، وقال : خذها فاقسمها في أهلك . وقال أبو الحسن المدايني عن سلمة بن محارب قال : قيل  
 لمعاوية أيكم كان أشرف ، أتم أو بنو هاشم ؟ قال : كنا أكثر أشرافا وكانوا هم أشرف ، فيهم واحد لم  
 يكن في بني عبد مناف مثل هاشم ، فلما هلك كنا أكثر عدداً وأكثر أشرافا ، وكان فيهم  
 عبد المطلب لم يكن فينا مثله ، فلما مات صرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافا ، ولم يكن فيهم واحد  
 كواحدنا ، فلم يكن إلا كقرار العين حتى قالوا : منا نبي ، فجاء نبي لم يسمع الأولون والآخرون بمثله ،  
 محمد رسول الله ، فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف ؟ . وروى ابن أبي خيثمة عن موسى بن إسماعيل  
 عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمرو بن العاص قص  
 على معاوية مناماً رأى فيه أبا بكر وعمر وعثمان وهم يجاسبون على ما وكوه في أيامهم ، ورأى معاوية  
 وهو موكل به رجلان يجاسبانه على ما عمل في أيامه ، فقال له معاوية : وما رأيت ثم دنانير مصر ؟ .  
 وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي . قال : دخل عمرو بن العاص على معاوية وقد ورد عليه كتاب فيه  
 تمزية له في بعض الصحابة ، فاسترجع معاوية فقال عمرو بن العاص : -

تموت الصالحون وأنت حي \* تخطك المنايا لا تموت

فقال له معاوية : -

أترجو أن أموت وأنت حي \* فليست بميت حتى تموت

وقال ابن السكيت قال معاوية : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فانه لا يرضيه إلا  
 زوالها ، وقال الزهري عن عبد الملك عن أبي بكرة . قال قال معاوية : المروءة في أربع ، العفاف  
 في الاسلام ، واستصلاح المال ، وحفظ الأخوان ، وحفظ الجار . وقال أبو بكر الهذلي : كان معاوية  
 يقول الشعر فلما ولي الخلافة قال له أهله : قد بلغت الغاية فماذا تصنع بالشعر ؟ فارتاح يوماً فقال : -

صرمت سفاهتي وأرحت حلمي • وفي علي تحملي اعتراض

علي أني أجيب إذا دعيتني \* إلى حاجاتها الحدق المراض

وقال مغيرة عن الشعبي : أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمه وعظم بطنه . وكذا

روى عن مغيرة عن إبراهيم أنه قال : أول من خطب جالساً يوم الجمعة معاوية . وقال أبو المليح عن ميمون : أول من جلس على المنبر معاوية واستأذن الناس في الجلوس . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : أول من أذن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية . وقال أبو جعفر الباقر : كانت أبواب مكة لا أغلق لها ، وأول من اتخذ لها الأبواب معاوية . وقال أبو الهيثم عن شعيب عن الزهري : مضت السنة أن لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر ، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية ، وقضى بذلك بنو أمية بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فراجع السنة ، وأعاد هشام ما قضى به معاوية وبنو أمية من بعده ، وبه قال الزهري ، ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم ، وكان معاوية أول من قصرها إلى النصف ، وأخذ النصف لنفسه . وقال ابن وهب عن مالك عن الزهري قال : سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله (س) فقال لي : اسمع يا زهري ، من مات محباً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وشهد للعشرة بالجنة ، وترحم على معاوية ، كان حقاً على الله أن لا يناقشه الحساب . وقال سعيد بن يعقوب الطالقاني : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : تراب في أنف معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز . وقال محمد بن يحيى بن سعيد : سئل ابن المبارك عن معاوية فقال : ما أقول في رجل قال رسول الله (س) : سمع الله لمن حمده ، فقال خلفه : ربنا ولك الحمد ، فقيل له : أيهما أفضل ؟ هو أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لتراب في منخري معاوية مع رسول الله (س) خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز . وقال غيره عن ابن المبارك قال معاوية : عندنا محنة فمن رأيناه ينظر إليه شزراً أتهمناه على القول - يعني الصحابة - وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي وغيره : سئل المعافى بن عمران أيهما أفضل ؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فغضب وقال للسائل : أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين ؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله . وقد قال رسول الله (س) : « دعوا لي أصحابي وأصحابي ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . وكذا قال الفضل بن عتيبة . وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي : معاوية ستر لأصحاب محمد (س) ، فإذا كشف الرجل السترا جترأ على ما وراءه . وقال الميموني قال لي أحمد بن حنبل : يا أبا الحسن إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام . وقال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمر وبن العاص أيقال له رافضي ؟ فقال : إنه لم يجترأ عليهما إلا وله خبيثة سوء ، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء . وقال ابن المبارك عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة . قال : ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية ، فانه ضربه أسواطاً . وقال بعض السلف : بينما أنا على جبل بالشام إذ سمعت هاتفاً يقول : من أبغض الصديق فذاك زنديق ، ومن أبغض عمر فإلى جهنم زمراً ، ومن

أبغض عثمان فذاك خصمه الرحمن ، ومن أبغض علياً فذاك خصمه النبي ، ومن أبغض معاوية سجنته الزبانية ، إلى جهنم الحامية ، يرمى به في الحامية الهاوية . وقال بعضهم : رأيت رسول الله (ص) ، وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ، إذ جاء رجل فقال عمر : يا رسول الله هذا يتنقصنا ، فكأنه انتهره رسول الله (ص) ، فقال : يا رسول الله إني لا أتقص هؤلاء ولكن هذا - يعني معاوية - فقال : « ويلك ! أو ليس هو من أصحابي ؟ قالها ثلاثاً ، ثم أخذ رسول الله (ص) حربة فناولها معاوية فقال : جابها في لبتة » فضربه بها وانتهت فبكرت إلى منزلي فاذا ذلك الرجل قد أصابته الذبحة من الليل ومات ، وهو راشد الكندي . وروى ابن عساکر عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول : معاوية من الصحابة ، من العلماء الكبار ، ولكن ابتلى بحب الدنيا . وقال العتبي : قيل لمعاوية أسرع إليك الشيب ؟ فقال : كيف لا ولا أزال أرى رجلاً من العرب قائماً على رأسي يلقح لي كلاماً يلزمني جوابه ، فإن أصبت لم أحمد ، وإن أخطأت سارت بها البرود . وقال الشعبي وغيره : أصابت معاوية في آخر عمره لوقة [ وروى ابن عساکر في ترجمة خديج الخصى مولى معاوية قال : اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة فأدخلها عليه مجردة ، وبیده قضيب ، فجعل يهوى به إلى مناعها - يعني فرجها - ويقول : هذا المتاع لو كان لي متاع ، اذهب بها إلى يزيد بن معاوية ، ثم قال : لا ادع لي ربيعة بن عمرو الجرشي - وكان فقيهاً - فلما دخل عليه قال : إن هذه أتيت بها مجردة فرأيت منها ذلك وذلك ، وإني أردت أن أبعث بها إلى يزيد ، قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ! فانها لا تصلح له ، فقال : نعم ما رأيت ، قال : ثم وهبها لعبد الله بن مسعدة الفزاري مولى فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وكان أسود فقال له : بيض بها ولدك ، وهذا من فقه معاوية ونحره ، حيث كان نظر إليها بشهوة ، ولكنه استضعف نفسه عنها ، فتخرج أن يهبها من ولده يزيد لقوله تعالى [ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ] وقد وافقه على ذلك الفقيه ربيعة بن عمرو الجرشي الدمشقي [ وذاكر ابن جرير أن عمرو بن العاص قدم في وفد أهل مصر إلى معاوية ، فقال لهم في الطريق : إذا دخلتم على معاوية فلا تسلموا عليه بالخلافة فانه لا يجب ذلك ، فلما دخل عليه عمرو وقبلهم ، قال معاوية لحاجبه : أدخلهم ، وأوعز إليه أن يخوفهم في الدخول وبرعبهم ، وقال : إني لأظن عمراً قد تقدم إليهم في شيء ؟ . فلما أدخلهم عليه - وقد أهانهم - جعل أحدهم إذا دخل يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فلما نهض عمرو من عنده قال : قبحكم الله ! نهيتكم عن أن تسلموا عليه بالخلافة فسلمتم عليه بالنبوة .

وذكر أن رجلاً سأل من معاوية أن يساعده في بناء داره باثني عشر ألف جندع من الخشب .



فقال له معاوية : أين دارك ؟ قال : بالبصرة ، قال : ولم اتساعها ؟ قال : فرسخان في فرسخين ، قال : لا تقل داري بالبصرة ، ولكن قل : البصرة في داري . وذكروا أن رجلاً دخل بابن معه فجلسا على سباط معاوية فجعل ولده يأكل أكلًا ذريعاً ، فجعل معاوية يلاحظه ، وجعل أبوه يريد أن ينهيه عن ذلك فلا يفتن ، فلما خرجا لأمه أبوه وقطعه عن الدخول ، فقال له معاوية : أين ابنك التلقامة ؟ قال : اشتكى . قال : قد علمت أن أكله سيورثه داء . قال : ونظر معاوية إلى رجل وقف بين يديه يخاطبه وعليه عباءة فجعل يزدرية ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك لا تخاطب العباءة ، إنما يخاطبك من بها . وقال معاوية : أفضل الناس من إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر غفر ، وإذا وعد أجز ، وإذا أساء استغفر . وكتب رجل من أهل المدينة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : إذا الرجال ولدت أولادها ، واضطربت من كبر أعضادها وجعلت أسقامها تعنادها ، فهي زروع قد دنا حصادها . فقال معاوية : نعي إلى نفسي [

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني هارون بن سفيان عن عبد الله السهمي حدثني ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس ! إن من زرع قد استحصد ، وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدى خير مني ، وإنما يليكم من هو شر مني ، كما كان من وليكم قبلي خيراً مني ، ويا يزيد إذا دنا أجلي فول غسلي رجلاً لبيباً ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله (س) ، وقراضة من شعره وأظفاره ، فاستودع القراضة أنفي وفمي ، وأذني وعيني ، واجعل ذلك الثوب مما يلي مجلدي دون لفافي ، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين ، فإذا أدرجتموني في جريدتي ووضعتوني في حفرتي نخلوا معاوية وأرحم الراحمين . وقال بعضهم : لما احتضر معاوية جعل يقول : -

لعمري لقد عمرت في الدهر برهة \* ودانت لي الدنيا بوقع البواتر  
وأعطيت حرم المال والحكم والنهي \* ولي سلط كل الملوك الجبار  
فأضحى الذي قد كان مما يسرني \* كحكم مضى في المزمات الغوابر  
فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة \* ولم أسع في لذات عيش نواضر  
وكنت كذى طمرين عاش ببلغة \* فلم يك حتى زار ضيق المقابر

وقال محمد بن سعد . أنبأنا علي بن محمد عن محمد بن الحكم عن حدثه أن معاوية لما احتضر أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال - كأنه أراد أن يطيب له - لأن عمر بن الخطاب قاصم عماله . وذكروا أنه في آخر عمره اشتد به البرد فكان إذا لبس أو تغطى بشيء ثقيل يغمه ، فاتخذ له

توبا من حواصل الطير ، ثم ثقل عليه بعد ذلك ، فقال : تبا لك من دار ، ملكتك أربعين سنة ،  
عشرين أميراً ، وعشرين خليفة ، ثم هذا حال فيك ، ومصيرى منك ، تباً للدنيا ولحبيها . وقال  
محمد بن سعد : أنبأنا أبو عبيدة عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير . قال : لما ثقل معاوية  
وتحدث الناس بموته قال لأهله : احشوا عيني إيمداً ، وأوسعوا رأسي دهنًا ، ففعلوا وغرقوا وجهه  
بالدهن ، ثم مهد له مجلس وقال : اسندوني ، ثم قال : إيذنا للناس فليسلموا على قياما ولا يجلس  
أحد ، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه مكتحلاً متدهناً فيقول متقول الناس إن أمير المؤمنين  
لما به وهو أصح الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية في ذلك : -

وتجلدى للشامتين أريهم \* أنى لريب الدهر لا أتضعضُ  
وإذا المنية أنشبت أظفارها \* ألفت كل تيمة لا تنفعُ

قال : وكان به النقابة - يعني لوقه - فمات من يومه ذلك رحمه الله . وقال موسى بن عقبة : لما نزل  
بمعاوية الموت قال : ياليتني كنت رجلاً من قريش بنى طوى ، ولم آل من هذا الأمر شيئاً . وقال  
أبو السائب المخزومي : لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر : -

إن تناقش يكن نقاشك يارب \* عذاباً لا طوق لي بالعذاب  
أو تجاوز تجاوز العفو واصفح \* عن مسيء ذنوبه كالتراب

وقال بعضهم : لما احتضر معاوية جعل أهله يقلبونه فقال لهم : أى شيخ تقلبون ؟ إن نجاه الله من  
عذاب النار غداً .

وقال محمد بن سيرين : جعل معاوية لما احتضر يضع خدماً على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع  
الخد الآخر ويبيكى ويقول : اللهم إنك قلت في كتابك [ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون  
ذلك لمن يشاء ] اللهم فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له . وقال العتبي عن أبيه : تمثل معاوية عند موته  
بقول بعضهم وهو في السياق

هو الموت ، لا منجم الموت والذى \* نحاذر بعد الموت أدهى وأفظعُ

ثم قال : اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وتجاوز بجملك عن جهل من لم يرج غيرك ، فانك  
واسع المغفرة ، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك . ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن  
أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء فذكر مثله ، وزاد : ثم مات . وقال غيره : أغنى عليه ثم أفاق  
فقال لأهله : اتقوا الله فان الله تعالى يقي من اتقاه ، ولا يقي من لا يتقى ، ثم مات رحمه الله وقد  
روى أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل . قال : لما مات معاوية صعد الضحاك بن قيس المنبر فخطب  
الناس - وأكفان معاوية على يديه - فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن معاوية الذي كان سور



العرب وعونهم وجدتم ، قطع الله به الفتنة ، وملكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قدمات وهذه  
أكفانه ، فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ، ثم هول البرزخ إلى يوم القيامة ،  
فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى . ثم نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية  
يعلمه ويستحثه على المجيء .

ولا خلاف أنه توفي بدمشق في رجب سنة ستين . فقال جماعة : ليلة الخميس للأنصف من رجب  
سنة ستين ، وقيل ليلة الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين . قاله ابن إسحاق وغير واحد ، وقيل  
لأربع خلت من رجب ، قاله الليث . وقال سعد بن إبراهيم لمستهل رجب ، قال محمد بن إسحاق  
والشافعي : صلى عليه ابنه يزيد ، وقد ورد من غير وجه أنه أوصى إليه أن يكفن في ثوب رسول الله  
ص ، الذي كساه إياه ، وكان مدخرا عنده لهذا اليوم ، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامه أظفاره  
في فمه وأنفه وعينه وأذنيه . وقال آخرون : بل كان ابنه يزيد غائبا فصلى عليه الضحاك بن قيس بعد  
صلاة الظهر بمسجد دمشق ، ثم دفن فقيل بدار الامارة وهي الخضراء ، وقيل بمقابر باب الصغير ،  
وعليه الجمهور والله أعلم . وكان عمره إذ ذاك ثمانيا وسبعين سنة ، وقيل جاوز الثمانين وهو الأشهر  
والله أعلم . ثم ركب الضحاك بن قيس في جيش وخرج ليلتاقى يزيد بن معاوية - وكان يزيد  
بحوارين - فلما وصلوا إلى ثنية العقاب تلقتهم أثقال يزيد ، وإذا يزيد راكب على بنحى وعليه الحزن  
ظاهر ، فلم عليه الناس بالامارة وعزوه في أبيه ، وهو يخفض صوته في رده عليهم ، والناس صامتون  
لا يتكلم معه إلا الضحاك بن قيس ، فانهى إلى باب توما ، فظن الناس أنه يدخل منه إلى المدينة ،  
فأجازه مع السور حتى انتهى إلى الباب الشرقي ، فقيل : يدخل منه لأنه باب خالد ، فجازه حتى أتى  
الباب الصغير فعرف الناس أنه قاصد قبر أبيه ، فلما وصل إلى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل  
فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم انفلت ، فلما خرج من المقبرة أتى بمراكب الخلافة فركب .

ثم دخل البلد وأمر فنودي في الناس إن الصلاة جامعة ، ودخل الخضراء فاعتسل ولبس ثيابا  
حسنة ثم خرج فخطب الناس أول خطبة خطبها وهو أمير المؤمنين ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :  
أيها الناس ! إن معاوية كان عبدا من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه ، وهو خير ممن بعده  
ودون من قبله ، ولا أزكيه على الله عز وجل فإنه أعلم به ، إن عفى عنه فبرحمته ، وإن عاقبه فبذنبه ،  
وقد وليت الأمر من بعده ، ولست آسى على طلب ، ولا أعتذر من تفریط ، وإذا أراد الله شيئا  
كان . وقال لهم في خطبته هذه : وإن معاوية كان يغزيكم في البحر ، وإني لست حاملا أحدا من  
المسلمين في البحر ، وإن معاوية كان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتيا أحدا بأرض الروم ، وإن  
معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثا وأنا أجمعه لكم كله . قال : فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون

عليه أحداً . وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : بعث معاوية وهو مر يرض  
إلى ابنه يزيد ، فلما جاءه البريد ركب وهو يقول : -

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يخبُّ بهِ \* فأوجسُ القلبُ من قرطاسِهِ فزعا  
قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتكم \* قال الخليفةُ أمسي منقلأً وجما  
فادت الأرضُ أو كادتُ تميدبنا \* كأنَّ أغبرَ من أركانها انقلعا  
ثم انبعثنا إلى خوصٍ مضمرةٍ \* نرمى الفجاجَ بها ما نأتلى سرعا  
فما نبالي إذا بَلَّغْنَ أرجلنا \* ما ماتَ منهنَّ بالمرماتِ أو طلعا  
لما انتهينا وبابُ الدارِ منصفقٌ \* بصوتِ رملةٍ ريعَ القلبُ فانصدعا  
من لا تزلُ نفسه توفى على شرفٍ \* نوشكُ مقاليدَ تلكَ النفسِ أن تقعا  
أودي ابنَ هندی وأودي المجديتبعه \* كأننا جميعاً خليطاً سالمين معا  
أغرَّ أبلجٌ يستسقى الغمامَ بهِ \* لو قارعَ الناسَ عن أحلامهم قرعا  
لا يرقعُ الناسَ ما أوهى وإن جهدوا \* أن يرقعوه ولا يوهونَ ما رقعا

وقال الشافعي : سرق يزيد هذين البيتين من الأعشى ، ثم ذكر أنه دخل قبل موت أبيه  
دمشق وأنه أوصى إليه ، وهذا قد قاله ابن إسحاق وغير واحد ، ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل  
دمشق إلا بعد موت أبيه ، وأنه صلى على قبره بالناس كما قدمناه والله أعلم . وقال أبو الورد العنبري  
برثي معاوية رضي الله عنه : -

ألا أنمي معاوية بن حربٍ \* نعاةَ الحلِّ للشهرِ الحرامِ  
نعاةَ الناعياتِ بكلِّ فجٍ \* خواضعَ في الأزمةِ كالسهمِ  
فهايتك النجومُ وهنَّ خرسٌ \* ينحنُ على معاويةَ الهمامِ

وقال أيمن بن خريم يرثيه أيضا : -

رمى الحدنانِ نسوةَ آلِ حربٍ \* بمقدارِ سمنٍ له سمودا  
فردَّ شعورهنَّ السودَ بيضا \* وردَّ وجوهنَّ البيضَ سودا  
فانك لو شهدت بكاءَ هندي \* ورملةً إذ يصفقنُ الحدودا  
بكيتَ بكاءَ معولةٍ قريحٍ \* أصابَ الدهرُ واحداها الفريدا

ذكر من تزوج من النساء ومن ولد له

كان له عبد الرحمن وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وكان ضعيف العقل ، وأمهما فاخنة بنت قرظة  
ابن عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد تزوج بأختها منفردة عنها بعدها ، وهي كنة بنت قرظة وهي

التي كانت معه حين افتتح قبرص ، وتزوج نائلة بنت عمارة السكلبية فأعجبته وقال ليسون بنت  
بجدل : ادخلي فانظري إلى ابنة عمك ، فدخلت فسألها عنها فقالت : إنها لكاملة الجمال ، ولكن  
رأيت تحت سرتها خلا ، وإني لأرى هذه يقتل زوجها ويوضع رأسه في حجرها . فطلقها معاوية  
فتزوجها بعده حبيب بن سلمة الفهري ، ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير فقتل ووضع رأسه في  
حجرها . ومن أشهر أولاده يزيد وأمه مبسون بنت بجدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة السكلبي ، وهي  
التي دخلت على نائلة فأخبرت معاوية عنها بما أخبرته ، وكانت حازمة عظيمة الشأن جمالا ورياسة  
وعقلا ودينا ، دخل عليها معاوية يوما ومعه خادم خصي فاستترت منه وقالت : ما هذا الرجل معك ؟  
فقال : إنه خصي فاظهري عليه ، فقالت : ما كانت المثلة لتحل له ما حرم الله عليه ، وحجبتة عنها .  
وفي رواية أنها قالت له : إن مجرد مثلتك له لن تحل ما حرمه الله عليه ، فلماذا أولى الله ابنها يزيد  
الخليفة بعد أبيه . وذكروا ابن جرير أن ميسون هذه ولدت لمعاوية بنتا أخرى يقال لها : أمة رب  
المشارك ، ماتت صغيرة ، ورملة تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان ، كانت دارها بدمشق عند عقبة  
السك تجاه زقاق الرمان ، قاله ابن عساکر قال : ولها طاحون معروفة إلى الآن ، وهدت بنت معاوية  
تزوجها عبد الله بن عامر ، فلما أدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنعت عليه  
وأبت أشد الأباء ، فضربها فصرخت ، فلما سمع الجوارى صوتها صرخن وعلت أصواتهن ، فسمع  
معاوية قهض إليهن فاستعلمن ما الخبر ؟ فقلن : سمعنا صوت سيدتنا فصحننا ، فدخل فاذا بها تبكي  
من ضربه ، فقال لابن عامر : ويحك !! مثل هذه تضرب في مثل هذه الليلة ؟ ثم قال له : اخرج من  
هنا ، فخرج ابن عامر وخلاها معاوية فقال لها : يا بنية إنه زوجك الذي أحله الله لك ، أو ما سمعت  
قول الشاعر :-

من الخفّرات البيضُ أما حرامها \* فصعبٌ وأما حلها فندولُ ؟

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها : ادخل فقد مهدت لك خلقها ووطأتها . فدخل ابن عامر  
فوجدتها قد طابت أخلاقها فقضى حاجته منها رحمهم الله تعالى .

كان علي قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب ، فلما حضره الموت أشار على معاوية  
بتولية فضالة بن عبيد ، ثم مات فضالة فولى أبا إدريس الخولاني . وكان علي حرسه رجل من الموالى  
يقال له المختار وقيل مالك ، ويكنى أبا المخارق - مولى لمحير - وكان معاوية أول من اتخذ الحرس ،  
وعلى حجابه سعد مولاة وعلى الشرطة قيس بن حمزة ، ثم زميل بن عمرو العذري ، ثم الضحاك بن  
١٠٢ ج ٨

قیس الفهری ، وكان صاحب أمره سرجون بن منصور الرومی . وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم وختم الكتب

ومن ذكر أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة ستين - ( صفوان بن المعطل ) بن رخصة بن المؤمل ابن خزاعي أبو عمرو ، وأول مشاهده المرسيع ، وكان في الساقية يومئذ ، وهو الذي رماه أهل الافك بأثم المؤمنين فبرأه الله وإياها مما قالوا ، وكان من سادات المسلمين ، وكان ينام نوماً شديداً حتى كان ربما طلعت عليه الشمس وهو نائم لا يستيقظ ، فقال له رسول الله (ص) : « إذا استيقظت فصل » وقد قتل صفوان شهيداً .

### ابو مسلم الخولاني

عبد بن ثوب الخولاني من خولان ببلاد اليمن . دعاه الأسود العنسي إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، أشهد أن محمداً رسول الله ، فأجج له ناراً وألقاه فيها فلم تضره ، وأنجاه الله منها فكان يشبهه إبراهيم الخليل ، ثم هاجر فوجد رسول الله (ص) : قدم على الصديق فأجلسه بينه وبين عمر وقال له عمر : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى في أمة محمد من فعل به كما فعل إبراهيم الخليل ، وقبله بين عينيه ، وكانت له أحوال ومكاشفات والله سبحانه أعلم . ويقال إنه توفي فيها النعمان بن بشير ، والأظهر أنه مات بعد ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

### يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه

بويع له بالخلافة بعد أبيه في رجب سنة ستين ، وكان مولده سنة ست وعشرين ، فكان يوم بويع ابن أربع وثلاثين سنة ، فأقر نواب أبيه على الأقاليم ، لم يعزل أحداً منهم ، وهذا من ذكائه . قال هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي الأخباري : ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأمير الكوفة النعمان بن بشير ، وأمير البصرة عبد الله بن زياد ، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يكن ليزيد همّة حين ولي إلا بيعة النفر الذين أتوا على معاوية البيعة ليزيد ، فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة : « بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكّن له ، فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ومات برأ تقياً والسلام .

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن الفارة : أما بعد فخذ حُبنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن

(كرامت)  
آگ زبلا سکی

يزيد کا خط

للا

الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام . فلما أتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه ، فبعث إلى مروان فقرأ عليه الكتاب واستشاره في أمر هؤلاء النفر ، فقال : أرى أن تدعوهم قبل أن يعلموا بموت معاوية إلى البيعة ، فان أبو ضربت أعناقهم . فأرسل من فوره عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان إلى الحسين وابن الزبير - وهما في المسجد - فقال لهما : أجيبا الأمير ، فقالا : انصرف الآن نأتيه ، فلما انصرف عنهما قال الحسين لابن الزبير : إني أرى طاغيتهم قد هلك ، قال ابن الزبير : وأنا ما أظن غيره . قال : ثم نهض حسين فأخذ معه مواليه وجاء باب الأمير فاستأذن فأذن له ، فدخل وحده ، وأجلس مواليه على الباب ، وقال : إن سمعتم أمراً يريكم فادخلوا ، فلم وجلس ومروان عنده ، فناوله الوليد بن عتبة الكتاب ونعى إليه معاوية ، فاسترجع وقال : رحم الله معاوية ، وعظم لك الأجر ، فدعاه الأمير إلى البيعة فقال له الحسين : إن مثلي لا يبايع سرا ، وما أراك تجتري مني بهذا ، ولكن إذا اجتمع الناس دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً ، فقال له الوليد - وكان يحب العافية - فانصرف على اسم الله حتى تأتينا في جماعة الناس . فقال مروان للوليد : والله لئن فارقك ولم يبايع الساعة ليكثرن القتل بينكم وبينه ، فاحبسه ولا تخرجه حتى يبايع وإلا ضربت عنقه ، فهض الحسين وقال : يا ابن الزرقاء أنت تقتلني ؟ كذبت والله وأثمت . ثم انصرف إلى داره ، فقال مروان للوليد : والله لا تراه بعدها أبداً . فقال الوليد : والله يا مروان ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وأني قتلت الحسين ، سبحان الله ! أقتل حسينا أن قال لا أبايع ، والله إني لأظن أن من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة . وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير فامتنع عليه وما طله يوماً وليلة ، ثم إن ابن الزبير ركب في مواليه واستنصحب معه أخاه جعفرا وسار إلى مكة على طريق الفرع ، وبعث الوليد خلف ابن الزبير الرجال والفرسان فلم يقدرُوا على رده ، وقد قال جعفر لأخيه عبد الله وهما سائران متمثلا بقول صبرة الحنظلي : -

وكلُّ بني أمِّ سيمسونَ ليلةٌ \* ولم يبقَ من أعقابهم غير واحدٍ

فقال : سبحان الله ! ما أردت إلى هذا ؟ فقال : والله ما أردت به شيئا يسوءك ، فقال : إن كان إنما جرى على لسانك فهو أكره إلى ، قالوا وتطير به . وأما الحسين بن علي فان الوليد تشاغل عنه بان الزبير وجعل كلما بعث إليه يقول حتى تنظر وتنظر ، ثم جمع أهله وبنيه وركب ليلة الأحد ليلتين بقينا من رجب من هذه السنة ، بعد خروج ابن الزبير بليلة ، ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى محمد بن الحنفية ، فانه قال له : والله يا أخي لأنت أعز أهل الأرض علي ، وإني ناصح لك لا تدخلن مصراً من هذه الأمصار ، ولكن اسكن البوادي والرمال ، وابعث إلى الناس فاذا بايعوك واجتمعوا عليك فادخل مصر ، وإن أبيت إلا سكني المصر فاذهب إلى مكة ، فان رأيت مانحاً وإلا ترفعت

إلى الرمال والجبال . فقال له : جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشقت ، وسار الحسين إلى مكة فاجتمع هو وابن الزبير بها ، وبعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال : بايع ليزيد ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فقال رجل : إنما تريد أن تختلف الناس ويقتلون حتى يتفانوا ، فإذا لم يبق غيرك بايعوك ؟ فقال ابن عمر : لا أحب شيئاً مما قلت ، ولكن إذا بايع الناس فلم يبق غيري بايعت ، وكانوا يتخوفونه . وقال الواقدي : لم يكن ابن عمر بالمدينة حين قدم نعي معاوية ، وإنما كان هو وابن عباس بمكة فلقبهما وهما مقبلان منها الحسين وابن الزبير ، فقال : ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية والبيعة ليزيد بن معاوية ، فقال لهما ابن عمر : اتقيا الله ولا تفرقا بين جماعة المسلمين ، وقدم ابن عمر وابن عباس إلى المدينة فلما جاءت البيعة من الأمصار بايع ابن عمر مع الناس ، وأما الحسين وابن الزبير فاتهما قدما مكة فوجدا بها عمرو بن سعيد بن العاص نخافاه وقالوا : إنا جئنا عواذاً بهذا البيت .

وفي هذه السنة في رمضان منها عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه ، وأضافها إلى عمرو بن سعيد بن العاص نائب مكة ، فقدم المدينة في رمضان ، وقيل في ذي القعدة ، وكان متألفاً متكبراً ، وسلط عمرو بن الزبير - وكان عدواً لأخيه عبد الله - على حربه وجرده له ، وجعل عمرو بن سعيد يبعث البعوث إلى مكة لحرب ابن الزبير . وقد ثبت في الصحيحين أن أبا شريح الخزاعي قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : إني نزلت لي أبها الأمير أن أحدثك حديثاً قام به رسول الله (ص) ، الغد من يوم الفتح ، سمعته أذنأي ووعاه قلبي حين تكلم به إنه حمد الله وأثنى عليه وقال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، وإنه لم يحل القتال فيها لأحد كان قبلي ، ولم تحل لأحد بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، ثم قد صارت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » . وفي رواية « فإن أحد ترخص بقتال رسول الله (ص) ، فيها فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » فقيل لأبي شريح : ما قال لك ؟ فقال : قال لي نحن أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بخربة .

قال الواقدي : ولي عمرو بن سعيد شرطة المدينة عمرو بن الزبير فتتبع أصحاب أخيه ومن يهوى هواه ، فضربهم ضرباً شديداً حتى ضرب من جملة من ضرب أخاه المنذر بن الزبير ، وأنه لا بد أن يأخذ أخاه عبد الله في جامعة من فضة حتى يقدم به على الخليفة ، فضرب المنذر بن الزبير ، وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخبيب بن عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم ، ضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين جلدة ، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان النيمي ، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس من مكة ثم جاء العزم من يزيد إلى عمرو بن سعيد في تطلب ابن الزبير ، وأنه لا يقبل منه وإن

✓  
حرمت مكة

بايع حتى يؤتى به إلى في جامعة<sup>(١)</sup> من ذهب أو من فضة تحت برنسه ، فلا ترى إلا أنه يسمع صوتها ، وكان ابن الزبير قد منع الحارث بن خالد الخزومي من أن يصلى بأهل مكة ، وكان نائب عمرو بن سعيد عليها ، فحينئذ صمم عمرو على تجهيز سرية إلى مكة بسبب ابن الزبير ، فاستشار عمرو بن سعيد عمرو ابن الزبير : من يصلح أن نبعثه إلى مكة لأجل قتاله ؟ فقال له عمرو بن الزبير : إنك لا تبعث إليه من هو أنكى له مني ، فعينه على تلك السرية وجعل على مقدمته أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة مقاتل . وقال الواقدي : إنما عينهما يزيد بن معاوية نفسه ، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد ، فعسكر أنيس بالجرف وأشار مروان بن الحكم على عمرو بن سعيد أن لا يغزو مكة وأن يترك ابن الزبير بها ، فإنه عما قليل إن لم يقتل يموت ، فقال أخوه عمرو بن الزبير : والله لنغزونه ولو في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم . فقال مروان : والله إن ذلك ليسرني . فسار أنيس واتبعه عمرو بن الزبير في بقية الجيش - وكانوا ألفين - حتى نزل بالأبطح ، وقيل بداره عند الصفا ، ونزل أنيس بندي طوى ، فكان عمرو بن الزبير يصلى بالناس ، ويصلى وراءه أخوه عبد الله بن الزبير ، وأرسل عمرو إلى أخيه بقول له : برعيت الخليفة ، وأتته وفي عنقك جامعة من ذهب أو فضة ، ولا تدع الناس يضرب بعضهم بعضا ، واتفق الله فانك في بلد حرام . فأرسل عبد الله يقول لأخيه : موعذك المسجد . وبعث عبد الله ابن الزبير عبد الله بن صفوان بن أمية في سرية فاقتلوا مع عمرو بن أنيس الأسلمي فهزموا أنيسا هزيمة قبيحة ، وتفرق عن عمرو بن الزبير أصحابه وهرب عمرو إلى دار ابن علقمة ، فأجاره أخوه عبدة بن الزبير ، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال : نجير من في عنقه حقوق الناس ؟ ثم ضربه بكل من ضربه بالمدينة إلا المنذر بن الزبير وابنه فانهما أيا أن يستقيدا من عمرو ، وسجنه ومعه علم ، فمسي سجن عارم ، وقد قيل إن عمرو بن الزبير مات تحت السياط والله أعلم .

### قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة

#### في طلب الأمانة وكيفية مقتله

ولنبداً قبل ذلك بشيء من ترجمته ثم تتبع الجميع بذكر مناقبه وفضائله .

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو عبد الله القرشي الهاشمي ، السبط الشهيد بكر بلاء ابن بنت رسول الله (ص) ، فاطمة الزهراء ، وريحانته من الدنيا ، ولد بعد أخيه الحسن ، وكان مولد الحسن في سنة ثلاث من الهجرة ، وقال بعضهم : إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل ، وولد لحسن ليال خلون من شعبان سنة أربع . وقال قتادة : ولد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ ، وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء في المحرم سنة إحدى وستين ، وله

(١) الجامعة الفل بضم الفين . وهو ما يوضع في اليد أو العنق .

أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف ، رضى الله عنه . وروى عن النبي (س) : أنه حنكه وتفل في فيه ودعاه وسماه حسيناً ، وقد كان سماه أبوه قبل ذلك حرباً ، وقيل جعفرأ ، وقيل : إنما سماه يوم سابعه وعق عنه . وقال جماعة عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي رضى الله عنه قال : الحسن أشبه برسول الله (س) ، ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه به ما بين أسفل من ذلك ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك الحزامي . قال : كان وجه الحسن يشبه وجه رسول الله (س) ، وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله (س) . وروى محمد بن سيرين وأخته حفصة ، عن أنس . قال : كنت عند ابن زياد فجئ برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيت مثل هذا حسناً ، فقلت له : إنه كان من أشبههم برسول الله (س) . وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي زياد : رأيت الحسين ؟ قال : نعم أسود الرأس واللحية إلا شعرات ههنا في مقدم لحيته ، فلا أدري أخضب وترك ذلك المكان تشبهاً برسول الله (س) ، أو لم يكن شاب منه غير ذلك ؟ وقال ابن جريج : سمعت عمر بن عطاء قال : رأيت الحسين بن علي يصبغ بالوشمة ، أما هو فكان ابن ستين سنة ، وكان رأسه ولحيته شديدي السواد ، فأما الحديث الذي روى من طريقين ضعيفين أن فاطمة سألت رسول الله (س) في مرض الموت أن ينحل وكنها شيئاً فقال : « أما الحسن فله هيبتي ومؤددي ، وأما الحسين فله جرأتي وجودي » فليس بصحيح ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب المعتبرة ، وقد أدرك الحسين من حياة النبي (س) خمس سنين أو نحوها ، وروى عنه أحاديث ، وقال مسلم بن الحجاج له رؤية من النبي (س) ، وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال في الحسن بن علي : إنه تابعي ثقة ، وهذا غريب فلأن يقول في الحسين إنه تابعي بطريق الأولى

وسند كراما كان رسول الله (س) ، يُكرمها به ، وما كان يظهر من محبتهم والحنو عليهما . والمقصود أن الحسين عاصر رسول الله (س) ، وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض ، ولكنه كان صغيراً . ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه ، وكذلك عمر وعثمان ، وصحب أباه وروى عنه ، وكان معه في مغازيه كلها ، في الجبل وصفين ، وكان معظماً موقراً ، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل ، فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح شق ذلك عليه ولم يسد رأى أخيه في ذلك ، بل حنه على قتال أهل الشام ، فقال له أخوه : والله لقد هممت أن أسجنك في بيت واطبق عليك بابه حتى أفرغ من هنا الشأن ثم أخرجك . فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم ، فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرهما معاوية إكراماً زائداً ، ويقول لهما : مرحبا وأهلاً ، ويعطيها عطاءً جزيلاً ، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف ، وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله



لا يعطيكها أحد قبلي ولا بعدي ، فقال الحسين : والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلاً أفضل منا . ولما توفي الحسن كان الحسين يهد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه ، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد ، في سنة إحدى وخمسين . ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس ، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمم على ذلك ، فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد ، بايع ابن عمر وابن عباس ، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير ، وخرجوا من المدينة فآووا إلى مكة فأقاموا بها ، فعكف الناس على الحسين يفتنون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حوله ، ويستمعون كلامه ، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد ، وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاه عند الكعبة ، وجعل يتردد في غيابة ذلك إلى الحسين في جملة الناس ، ولا يمكنه أن يتحرك بشيء مما في نفسه مع وجود الحسين ، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه ، غير أنه قد تعينت سرايا والبعوث إلى مكة بسببه ، ولكن أظفروا الله بهم كما تقدم ذلك آنفاً ، فانقضت السرايا عن مكة مفلولين واتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من الزبيديين ، وضرب أخاه عمراً وسجنه واقتص منه وأهانته ، وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز ، واشتهر أمره وبعد صيته ، ومع هذا كله ليس هو معظماً عند الناس مثل الحسين ، بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لانه السيد الكبير ، وابن بنت رسول الله (س) ، فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه ، ولكن الدولة الزيدية كانت كلها تناوئه .

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم - وذلك حين بلغهم موت معاوية وولاية يزيد ، ومصير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد - فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهمداني ، وعبد الله بن وال ، معهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ، فقدموا على الحسين لعشر مضين من رمضان من هذه السنة ، ثم بعثوا بعدهما نفرًا منهم قيس بن مسهر الضدائي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكوا الأرحبي ، وعمارة بن عبد الله السلولي ، ومعهم نحو من مائة وخمسين كتاباً إلى الحسين ، ثم بعثوا هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي ومعهما كتاب فيه الاستعجال في السير إليهم ، وكتب إليه شيث بن ربي ، وحجار بن أبيجر ، ويزيد بن الحارث ابن رويم ، وعمرو بن حجاج الزبيدي ، وعبد بن عمر بن يحيى التيمي : أما بعد فقد اخضرت الجنان وأينعت التمار ولطمت الجمام ، فاذا شئت فأقدم على جندك مجندة والسلام عليك . فاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحسين ، وجعلوا يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضاً عن يزيد بن معاوية ، ويذكرون في كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية ، وينالون منه ويتكلمون في دولته ، وأنهم

لما يبايعوا أحداً إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم ، فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق ، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق ، فان كان منعها وأمرًا حازماً محكماً بعث إليه ليركب في أهله وذويه ، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه ، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك ، فلما سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فأخذ منها دليلين فسارا به على براري مهجورة المسالك ، فكان أحد الدليلين منهما أول هالك ، وذلك من شدة العطش ، وقد أضلوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له المضيق ، من بطن خبيث ، فتطير به مسلم بن عقيل ، فتلبث مسلم على ما هنالك ومات الدليل الآخر فكتب إلى الحسين يستشير به في أمره ، فكتب إليه يعزم عليه أن يدخل العراق ، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ويستخبر خبرهم . فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي ، وقيل نزل في دار المختار ابن أبي عبيد الثقفي فأنه أعلم . فتسارع أهل الكوفة بقدومه فجاؤا إليه فبايعوه على إمرة الحسين ، وحلفوا له لينصره بأنفسهم وأموالهم ، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأموال ، فتجهز الحسين من مكة قاصداً الكوفة كما سندرته . وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير خبره رجل بذلك ، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعاب به ، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة ، وأمرهم بالائتلاف والسنة ، وقال : إني لا أقاتل من لا يقاتلني ، ولا أئب على من لا يئب علي ، ولا آخذكم بالظنة ، ولكن والله الذي لا إله إلا هو لئن فارقت إمامكم ونكثتم بيعته لأقاتلنكم مادام في يدي من سيفي قائمته . فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي فقال له : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالفشمة ، وإن الذي سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين . قال له النعمان : لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأقوياء الأعرين في معصية الله . ثم نزل فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يطمه بذلك ، وكتب إلى يزيد عمارة ابن عقبة وعمرو بن سعد بن أبي وقاص ، فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضما إلى عبيد الله ابن زياد مع البصرة ، وذلك بإشارة سرجون مولى يزيد بن معاوية ، وكان يزيد يستشيره ، قال سرجون : أكنت قابلاً من معاوية ما أشار به لو كان حياً ؟ قال : نعم ، قال : فاقبل مني فإنه ليس لكوفة إلا عبيد الله بن زياد ، فوله إيها . وكان يزيد ينفذ عبيد الله بن زياد ، وكان يريد أن يعزله عن البصرة ، فولاه البصرة والكوفة معاً لما يريد الله به وبغيره .

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد : إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل فان قدرت عليه فاقتله أو افضه ، وبعث الكتاب مع المهدي مع مسلم بن عمرو الباهلي ، فسار ابن زياد من البصرة إلى

الكوفة ، فلما دخلها دخلها مثلما بعامة سوداء ، فجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قال : سلام عليكم .  
فيقولون : وعليكم السلام مرحباً بابن رسول الله - يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه -  
وتكاثرت الناس عليه ، ودخلها في سبعة عشر ركباً ، فقال لهم مسلم بن عمرو من جهة يزيد : تأخروا ،  
هذا الأمير عبيد الله بن زياد ، فلما علموا ذلك علمهم كآبة وحزن شديد ، فتحقق عبيد الله الخبير ،  
ونزل قصر الأمانة من الكوفة ، فلما استقر أمره أرسل مولى أبي رهم - وقيل كان مولى له يقال له  
معقل - ومعه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص ، وأنه إنما جاء لهذه البيعة ، فذهب  
ذلك المولى فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها ، وعى  
دار هاني بن عروة التي تحول إليها من الدار الأولى ، فبايع وأدخلوه على مسلم بن عقيل فلزمهم أياماً  
حتى اطلع على جلية أمرهم ، فدفع المال إلى أبي تمامة العامري بأمر مسلم بن عقيل - وكان هو الذي  
يقبض ما يؤتى به من الأموال ويشترى السلاح - وكان من فرسان العرب ، فرجع ذلك المولى وأعلم  
عبيد الله بالدار وصاحبها ، وقد تحول مسلم بن عقيل إلى دار هاني بن حميد بن عروة المرادي ، ثم إلى  
دار شريك بن الأعور وكان من الأمراء الأكابر ، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته ، فبعث إلى  
هاني يقول له : ابعث مسلم بن عقيل حتى يكون في داري ليقتل عبيد الله إذا جاء يعودي ، فبعثه إليه  
فقال له شريك : كن أنت في الخباء ، فاذا جلس عبيد الله فاني أطلب الماء وهي إشارتي إليك ، فاخرج  
فاقتله ، فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك وعنده هاني بن عروة ، وقام من بين يديه غلام يقال  
له مهران ، فتحدث عنده ساعة ثم قال شريك : اسقوني ، فتجبن مسلم عن قتله ، وخرجت جارية  
بكوثر من ماء فوجدت مسلماً في الخباء فاستحييت ورجعت بالماء ثلاثاً ، ثم قال : اسقوني ولو كان فيه  
ذهاب نفسي أحمونني من الماء ؟ ففهم مهران الغدر فغمز مولاة فنهض سريراً وخرج ، فقال شريك :  
أيها الأمير ، إني أريد أن أوصي إليك ، فقال : سأعود ! فخرج به مولاة فأركبه وطرده به - أي ساق  
به - وجعل يقول له مولاة : إن القوم أرادوا قتلك فقال : ويحك إني بهم لرفيق . فما بالهم ؟ وقال  
شريك لمسلم : ما منعك أن تخرج فتقتله ؟ قال : حديث بلغني عن رسول الله (س) أنه قال « الإيمان  
ضد الفتك ، لا يفتك مؤمن » وكرهت أن أقتله في بينك ، فقال : أما لو قتلته لجلست في القصر لم  
يستعد منه أحد وليكفينك أمر البصرة ، ولو قتلته لقتلت ظلماً فاجراً ، ومات شريك بعد ثلاث .  
ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو منتم ظنه النعمان بن بشير الحسين قد قدم ، فأغلق  
باب القصر وقال : ما أنا بمسلم إليك أمانتي ، فقال له عبيد الله : افتح لافتحته ، ففتح وهو يظنه  
الحسين ، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط في يده ، فدخل عبيد الله إلى قصر الأمانة وأمر منادياً  
فنادى : إن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان

أمير المؤمنين قد ولاني أمركم ونفركم ونيأكم ، وأمرني بأنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ، والاحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، والشدة على مريبكم وعاصيكم ، وإنما أنا ممثّل فيكم أمره ومنفذ عهده ، ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية وأهل الريب والخلاف والشقاق ، وأبما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نفي وأسقطت عرفته من الديوان - وكان هاني أحد الامراء الكبار - ولم يسلم على عبيد الله منذ قدم وتمارض ، فذكره عبيد الله وقال : ما بال هاني لم يأتني مع الامراء ؟ فقالوا : أيها الأمير إنه يشتكى ، فقال : إنه بلغني أنه يجلس على باب داره . وزعم بعضهم أنه عادته قبل شريك بن الأعور ومسلم بن عقيل عنده ، وقد هموا بقتله فلم يمكنهم هاني لكونه في داره ، فجاء الامراء إلى هاني بن عروة فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد ، فالتفت عبيد الله إلى القاضي شريح فقال متمثلاً بقول الشاعر :

أريدُ حياتهُ ويريدُ قتي \* عذيركُ من خليكُ من مرادٍ

فلما سلم هاني على عبيد الله قال : يا هاني أين مسلم بن عقيل ؟ قال : لا أدري ، فقام ذلك المولى التيمي الذي دخل دار هاني في صورة قاصد من حمص فبايع في داره ودفع الدرهم بحضرة هاني إلى مسلم ، فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ! فلما رآه هاني قطع وأسقط في يده ، فقال : أصاح الله الأمير ، والله ما دعوته إلى منزلي ، ولكنه جاء فطرح نفسه علي ، فقال عبيد الله : فأتني به ، فقال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه ، فقال : أدنوه مني ، فأدنوه فصر به بحربة على وجهه فشجه على حاجبه وكسر أنفه ، وتناول هاني سيف شرطى ليسله فدفع عن ذلك ، وقال عبيد الله : قد أحل الله لي دمك ، لانك حروري ، ثم أمر به فحبسه في جانب الدار وجاء قومه من بني مذحج مع عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل ، فسمع عبيد الله لهم جلبة ، فقال اشريح القاضي وهو عنده : اخرج إليهم فقل لهم : إن الأمير لم يحبسه إلا ليسأله عن مسلم بن عقيل ، فقال لهم : إن صاحبكم حي وقد ضربه سلطانتنا ضرباً لم يبلغ نفسه ، فأنصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فتفرقوا إلى منازلهم ، وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب وتنادى بشعاره «يامنصور امت» وواجهت إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وكان معه المختار بن أبي عبيد ، ومعه راية خضراء ، عبد الله بن نوفل بن الحارث بن راية حمراء ، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب إلى عبيد الله ، وهو يخطب الناس في أمر هاني ويحذرهم من الاختلاف ، وأشرف الناس وأمرؤهم تحت منبره ، فبينما هو كذلك إذ جاءت النظارة يقولون : جاء مسلم بن عقيل ، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب ، فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك ، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر ، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف ، ونهدوهم وتوعدوهم ،

وأخرج عبيد الله بعض الامراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل ، ففعلوا ذلك ، فجعلت المرأة تجي إلى ابنها وأخيها وتقول له : ارجع إلى البيت ، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه : كأنك غدا بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم ؟ فتخاذل الناس وقصروا وتصرموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتى لم يبق إلا في خمسمائة نفس ، ثم تقالوا حتى بقي في ثلاثمائة ثم تقالوا حتى بقي معه ثلاثون رجلاً ، فصلى بهم المغرب وقصد أبواب كنده فخرج منها في عشرة ، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يده على الطريق ، ولا من يؤانسه بنفسه ، ولا من يأويه إلى منزله ، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب ، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها طوعة ، كانت أم ولد للأشعث بن قيس ، وقد كان لها ابن من غيره يقال له بلال بن أسيد ، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنتظره ، فقال لها مسلم بن عقيل : اسقني ماء فسقته ، ثم دخلت وخرجت فوجدته ، فقالت : ألم تشرب ؟ قال : بلى ! قالت : فاذهب إلى أهلك عافاك الله ، فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أجمله لك ، فقام فقال : يا أمه الله ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة ، فهل إلى أجر ومعرفة وفعل نكافئك به بعد اليوم ؟ فقالت : يا عبد الله وماهو ؟ قال أنا مسلم بن عقيل ، كذبتني هؤلاء القوم وغروني ، فقالت : أنت مسلم ؟ قال : نعم ! قالت ادخل ! فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي يكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج ، فسألها عن شأنها فقالت : يا بني الله عن هذا ، فألح عليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً ، فأخبرته خبر مسلم ، فاضطجع إلى الصباح ساكتاً لا يتكلم . وأما عبيد الله بن زياد فانه نزل من القصر بمن معه من الامراء والاشراف بعد العشاء الآخرة فصلى بهم العشاء في المسجد الجامع ، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عقيل وحث على طلبه ، ومن وجد عنده ولم يعلم به قدمه هدر ، ومن جاء به فله ديتة ، وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهديم . فلما أصبح ابن تلك المعجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم ، فجاء عبد الرحمن فسار آياه بذلك وهو عند ابن زياد ، فقال ابن زياد : ما الذي سارك به ؟ فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال : قم فأتني به الساعة . وبعث ابن زياد عمر بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً ، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها ، فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، وأصيبت شفته العليا والسفلى ، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب فضاق بهم ذرعاً ، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده ، وجاؤا ببغلة فأركبوه عليها وسلبوا عنه سيفه فلم يبق يملك من نفسه شيئاً ، فبكي عند ذلك وعرف أنه مقتول ،

فئس من نفسه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال بعض من حوله : إن من يطلب مثل الذي  
تطلب لا يبكي إذا نزل به هذا ، فقال : أما والله لست أبكي على نفسي ، ولكن أبكي على الحسين ،  
وآل الحسين ، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة ، ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال : إن  
سئلت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل ، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين  
بأمره بالرجوع فلم يصق الرسول في ذلك ، وقال : كل ما حمى الله واقع . قالوا : ولما انتهى مسلم بن عقيل  
إلى باب القصر إذا على باب جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه ، ينتظرون أن  
يؤذن لهم على ابن زياد ، ومسلم مخضب بالدماء في وجهه وثيابه ، وهو مثخن بالجراح ، وهو في غاية  
العطش ، وإذا قلة من ماء بارد هنالك فأراد أن يتناولها ليشرب منها فقال له رجل من أولئك : والله  
لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم ، فقال له : ويلك يا ابن ناهلة ، أنت أولى بالحميم والخلود في نار  
الجحيم مني ، ثم جالس فسانده إلى الحائط من التعب والكلال والعطش ، فبعث عمارة بن عقبة بن  
أبي معيط مولى له إلى داره فجاء بقلة عليها منديل ومعه قدح ، فجعل يفرغ له في القدح ويعطيه فيشرب  
فلا يستطيع أن يسيغه من كثرة الدماء التي تعلق على الماء مرتين أو ثلاثاً ، فلما شرب سقطت ثنياه  
مع الماء فقال : الحمد لله لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماء ، ثم أدخل على ابن زياد ، فلما  
وقف بين يديه لم يسلم عليه ، فقال له الحرسي : ألا تسلم على الأمير ؟ فقال : لا ، إن كان يريد قتلي  
فلا حاجة لي بالسلم عليه ، وإن لم يرد تنلي فأسلم عليه كثيراً ، فأقبل ابن زياد عليه فقال : إيه  
يا ابن عقيل ، أتيت الناس وأمرهم جميع وكنتم واحداً لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على  
قتل بعض ؟ قال : كلا لست لذلك أتيت ، ولكن أهل مصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك  
دماءهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقیصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب . قال :  
وما أنت وذاك يا فاسق ؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ فقال : أنا  
أشرب الخمر والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنت قلت بغير علم ، وأنت أحق بذلك مني ،  
[ فاني لست كما ذكرت ، وإن أولى بها مني من يبلغ في دماء المسلمين ولغا ، ويقتل النفس التي حرم  
الله بغير نفس ، ويقتل على الغضب والظن ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً . فقال له ابن زياد :  
يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه ، ولم يرك أهله ، قال : فمن أهله يا ابن زياد ؟ قال :  
أمير المؤمنين يزيد . قال : الحمد لله على كل حال ، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم . قال : كأنك تظن  
أن لكم في الأمر شيئاً ؟ قال : لا والله ما هو بالظن ولكنه اليقين . قال له : قتلتني الله إن لم أقتلك  
قتلاً لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس . قال : أما إنك أحق من أحدث في الإسلام بما لم يكن فيه ،

أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً ، ومسلم ساكت لا يكلمه رواه ابن جرير عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة . ثم قال له ابن زياد : إني قاتلك . قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعني أوصي إلى بعض قومي ، قال : أوص . فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص . فقال : يا عمر إن بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وهي سر فتم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك ، فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد ، فقام فتنحى قريباً من ابن زياد فقال له مسلم : إن علي ديناً في الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني ، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها ، وابتعث إلى الحسين ، فإني كنت قد كتبت إليه أن الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً ، فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له فأجاز ذلك له كله ، وقال : أما الحسين فإنه لم يردنا لا نردة ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد إلى أعلا القصر وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا ، ثم ضرب عنقه رجل يقال له بكير ابن جمران ، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر ، وأتبع رأسه بجسده . ثم أمر بهاني بن عروة المدحجي فضربت عنقه بسوق الغنم ، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكناسة ، فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة : -

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري \* إلى هاني في السوق وابن عقيل  
أصابهما أمر الامام فأصبحا \* أحاديث من يفتي بكل سبيل  
إلى بطل قد هشم السيف وجهه \* وآخر يهوي في طمار قتيل  
تري جسداً قد غير الموت لونه \* ونضح دم قد سال كل مسيل  
فان أنتم لم تثاروا بأخيمكم \* فكونوا بغيماً أرضيت بقليل

ثم إن ابن زياد قتل معها أناساً آخرين ، ثم بعث برؤسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، وكتب له كتاباً صورة ما وقع من أمرهما

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة بيوم خطب أهلها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والتفرق ، وذلك لما رواه هشام بن الكلبي وأبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النهدي . قال : بعث الحسين مع مولى له يقال له سلمان كتاباً إلى أشرف أهل البصرة فيه : أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به ، وكنا أهله وأولياؤه وورثته وأحق الناس به وبمقامه

في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا من تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، ونحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم ، وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فان السنة قد أميتت ، وإن البدعة قد أحييت ، فتسمعوا قولي وتطيعوا أمري ، فان فعلتم أهدكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله . وعندى في صحة هذا عن الحسين نظر ، والظاهر أنه مطرز بكلام مزيد من بعض رواة الشيعة . قال : فكل من قرأ ذلك من الأشراف كتبه إلا المنذر بن الجارود فإنه ظن أنه دسيئة من ابن زياد فجاء به إليه ، فبعث خلف الرسول الذي جاء به من حسين ف ضرب عنقه ، وصعد عبيد الله ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فوالله ما بي تقرن الصعبة ، وما يقع لي بالشنان ، وإني لنكال لمن عاداني ، وسهام لمن حاربنى ، أنصف « القارة »<sup>(١)</sup> من رباها ، يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة ، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان ، وإياكم والخلاف والارجاف ، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ، ولا آخذن الأذى بالأقصى ، حتى يستقيم لي الأمر ، ولا يكن فيكم مخالف ولا مشاقق ، أنا ابن زياد أشبهت من بين من وطئ الحصى ، ولم يتزعنى شبه خال ولا عم . ثم خرج من البصرة ومعه مسلم ابن عمرو الباهلي فكان من أمره ماتقدم .

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن عون بن جحيفة قال : كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة ، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة ، وذلك يوم عرفة سنة ستين ، وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصداً أرض العراق بيوم واحد ، وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان ، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال والقعدة ، وخرج من مكة لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية وفي رواية ذكرها ابن جرير أن مسلم بن عقيل لما بكى قال له عبيد الله بن عباس السلمي . إن من يطلب مثل ما تطلب لا يبكي إذ أنزل به مثل الذي نزل بك ، قال : إني والله ما لنفسي أبكي ، وما لها من القتل أدنى ، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ، ولكنني أبكي لأهل المقبلين إلى الكوفة ، أبكي الحسين وآل حسين ، ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ! إني والله أراك بتعجز عن أماني ، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يبلغ حسيناً عنى رسالة ؟ فإني لأراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته ، وإن ماتراه من جزعي لنلك ، فتقول له : إن ابن عقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم



أسير لا يدري أيصبح أم يمسي حتى يقتل ، وهو يقول لك : ارجع بأهلك ولا يفرنك أهل الكوفة فانهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأى ، فقال ابن الأشعث : والله لأفعلن ولأعلمن ابن زياد أتى قد أمنتك . قال أبو مخنف : فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائى من بنى مالك بن ثمامة - وكان شاعراً - فقال له : اذهب فالتق حسينا فأبلغه هذا الكتاب - وكتب فيه الذى أمره به ابن عقيل - ثم أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره ، فخرج حتى لقي الحسين بزبالة ، لاربع ليال من الكوفة فأخبر الخبر وأبلغه الرسالة ، فقال الحسين : كل ما حم نازل ، عند الله نحتسب وأنفسنا وفساد أئمتنا . ولما انتهى مسلم إلى باب القصر وأراد شرب الماء قال له مسلم بن عمرو الباهلى : أراها ما أبردها ؟ والله لا تذوقها أبداً حتى تذوق الحميم فى نار جهنم . فقال له ابن عقيل : ويحك من أنت ؟ قال : أنا من عرف الحق إذ أنكرته ، ونصح لامامه إذ غششته ، وسمع وأطاع إذ عصيت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلى . فقال له مسلم : لأمك الويل ! ما أجفأك وأفظك ، وأغلظك يا ابن ناهلة !! أنت والله أولى بالحميم ونار الحميم

### صفة مخرج الحسين إلى العراق

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق وتكررت الرسل بينهم وبينه ، وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدم عليه بأهله ، ثم وقع فى غبون ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عقيل ، والحسين لا يعلم بشئ من ذلك ، بل قد عزم على المسير إليهم والقدم عليهم ، فاتفق خروجه من مكة أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد - فان ساء أقتل يوم عرفة - ولما أستشعر الناس خروجه أشفقوا عاياه من ذلك ، وحذروه منه ، وأشار عبايد ذؤوب الرأى منهم والمحبة له بمدم الخروج إلى العراق ، وأمروه بالمقام بمكة ، وذكروه ماجرى لأبيه وأخيه معهم . قال سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس . قال : استشارنى الحسين بن على فى الخروج فقلت : لولا أن يزرى بى وبك الناس اشبثت يدي فى رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذى رد على أن قال : لأن أدتل فى مكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة . قال : فكان هذا الذى سلى نفسى عنه . وروى أبو مخنف عن الحارث بن كعب الوالى عن عقبة بن سمان . أن حسينا لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لى ما أنت صانع ؟ فقال : إنى قد أجمعت المسير فى أحد يومى هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرنى إن كان قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم ، وإن كان أميرهم حى وهو مقيم عليهم ، قاهر لهم ، وعماله نجى بلادهم ، فانهم إنما دعوك للفننة والقتال ، ولا آمن عليك

أن يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك . فقال الحسين : إني أستخير الله وأنظر ما يكون . فخرج ابن عباس عنه ، ودخل ابن الزبير فقال له : ما أدري ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ، أخبرني ما تريد أن تصنع ؟ . فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي بانيان الكوفة ، ولقد كتب إلي شيعتي بها وأشرفها بالقدوم عليهم ، وأستخير الله . فقال ابن الزبير : أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها . فلما خرج من عنده قال الحسين : قد علم ابن الزبير أنه ليس له من الأمر معي شيء ، وأن الناس لم يعدلوا بي غيري ، فود أني خرجت لتخلوه . فلما كان من العشي أو من الغد ، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له يا ابن عم ! إني أتصبر ولا أصبر ، إني أخوف عليك في هذا الوجه الهلاك ، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم اقدم عليهم ، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعابا ، ولأبيك به شيعه ، وكن عن الناس في معزل ، واكتب إليهم وبث دعواتك فيهم ، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب . فقال الحسين : يا ابن عم ! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكنني قد أزمعت المسير . فقال له : فان كنت ولا بد سائراً فلا تسرباً ولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على وعليك الناس أطعنتي وأقت لفعلت ذلك . قال : ثم خرج من عنده فلقى ابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ؟ ثم قال :

يا لك من قبرةٍ بمعمرٍ \* خلالكِ الجوفِ بيضى واصفرى  
ونقرى ماشئتِ أن تنقرى \* صيادكِ اليومَ قتيلٌ فابشرى

ثم قال ابن عباس : هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز

وقال غير واحد عن شبابة بن سوار . قال : حدثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي قال سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، وإذا معه طوامير وكتب ، فقال : هذه كتبهم وبيعهم ، فقال : لاتاهم ، فأبى . فقال ابن عمر : إني محدثك حديثاً ، إن جبريل أتى النبي (ص) فخبره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنك بضعة من رسول الله ، والله ما يلبها أحد منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم ، فأبى أن يرجع . قال فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل . وقال يحيى بن معين : حدثنا أبو عبيدة ثنابن سليم بن حيان عن سعيد بن مينا . قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : عجل حسين قدره ، والله لو أدركته ماركته بخروج

إلا أن يغلبني ، بيني هاشم فتح هذا الأمر ، وبينى هاشم بختم ، فاذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان . قلت : وهذا مع حديث ابن عمر يدل على أن الفاطميين أذعياء كذبة ، لم يكونوا من سلالة فاطمة كما نص عليه غير واحد من الأئمة على ما سئد كره في موضعه إن شاء الله .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان ثنا عبد الله بن شريك عن بشر ابن غالب . قال قال ابن الزبير للحسين : أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك ووطنوا أخاك ؟ فقال : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن تستحل بي - يعني مكة - وقال الزبير بن بكار : حدثني عمي مصعب بن عبد الله أخبرني من سمع هشام بن يوسف يقول عن معمر قال : سمعت رجلاً يحدث عن الحسين أنه قال لعبد الله بن الزبير : أتتني بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطلاق والعناق إنهم معي ، فقال له ابن الزبير : أخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟ قال هشام : فسألت معمرًا عن الرجل فقال : هو ثقة . قال الزبير : وقال عمي : وزعم بعض الناس أن ابن عباس هو الذي قال هذا . وقد ساق محمد بن سعد كاتب الواقدي هذا سياقاً حسناً مبسوطاً . فقال : أنبأنا علي ابن محمد عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه ، وعن لوط بن يحيى العامري عن محمد بن بشير الهمداني وغيره ، وعن محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن هارون بن عيسى عن يونس بن إسحاق عن أبيه ، وعن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مجالد عن الشعبي . قال محمد بن سعد : وغير هؤلاء قد حدثني أيضاً في هذا الحديث بطائفة فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين رضي الله عنه وأرضاه :

قالوا : لما بايع الناس معاوية ليزيد كان حسين ممن لم يبايع له ، وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية ، كل ذلك يأتي عليهم ، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية يطلبون إليه أن يخرج معهم فأبى ، وجاء إلى الحسين يعرض عليه أمرهم ، فقال له الحسين : إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ، ويستطيعوا بنا ، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا ، فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم ، مرة يريد أن يسير إليهم ، ومرة يجمع الإقامة عنهم . فجاءه أبو سعيد الخدري فقال : يا أبا عبد الله ! إني لكم ناصح ، وإني عليكم مشفق ، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتك بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة : والله لقد مللتهم وأبغضتهم ، وملوني وأبغضوني ، وما يكون منهم وفاء قط ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخبى ، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ، ولا صبر على السيف . قال : وقدم المسيب بن عتبة الفزاري في عدة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن ، فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا : قد علمنا رأيك ورأى أخيك ، فقال : إني لأرجو أن يعطى الله أخي على نيته في جبه الكف ، وأن يعطيني على نيته

في حبي جهاد الظالمين وكتب مروان إلى معاوية : إني لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة ، وأظن يومكم من حسين طويلاً . فكتب معاوية إلى الحسين : إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء ، وقد أنبئت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق ، وأهل العراق من قد جربت قد أفسدوا على أهلك وأخيك ، فاتق الله واذكر الميثاق ، فانك متى تكذبتني أكذبك . فكتب إليه الحسين : أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عن جدير ، والحسنات لا يهدى لها إلا الله ، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً ، وما أظن لي عند الله عنراً في ترك جهادك ، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة .

فقال معاوية : إن أثرنا بأبي عبد الله إلا شراً . وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه : إني لأظن أن في رأسك نزوة فوددت أني أدركها فأغفرها لك . قالوا : فلما احتضر معاوية دعا يزيد فأوصاه بما أوصاه به ، وقال له : انظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ، فإنه أحب الناس إلى الناس ، فصل رحمه ، وارفق به ، يصلح لك أمره ، فإن يكن منه شيء فإني أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذله أخاه . وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين ، وبأيع الناس يزيد ، فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامري عامر بن لؤي ، إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة : أن ادع الناس فبايعهم ، وابدأ بوجوه قريش ، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي ، فإن أمير المؤمنين عهد إلي في أمره الرفق به واستصلاحه . فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فأخبرهما بوفاة معاوية ، ودعاهما إلى البيعة ليزيد ابن معاوية ، فقالا : إلى أن نصبح وتنظر ما يصنع الناس ، ووثب الحسين فخرج وخرج معه ابن الزبير وقالوا : هو يزيد الذي نعرف ، والله ما حدث له عزم ولا مروءة . وقد كان الوليد أغلظ للحسين فشتمه الحسين وأخذ بعمامته فترعها من رأسه ، فقال الوليد : إن هجنا بأبي عبد الله إلا شراً . فقال له مروان - أو بعض جلسائه - اقتله ، فقال : إن ذلك لدم مضمون به مصون في بني عبد مناف . قالوا : وخرج الحسين وابن الزبير من ليلتهما إلى مكة ، وأصبح الناس فغدوا على البيعة ليزيد ، وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدوا ، فقال المسور بن مخرمة : عجل الحسين وابن الزبير يلقته ويرجيه ليخلو بمكة ، فقدم مكة فترزل الحسين دار العباس ، ولزم ابن الزبير الحجر ، ولبس المعافى وجعل يحرض الناس على بني أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق ، ويقول : هم شيعتك وشيعة أهلك ، وكان ابن عباس ينهيه عن ذلك ، وقال له عبد الله بن مطيع : إني فداؤك وأبي وأمي ، فأمتعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق ، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخونوا عبيداً وخولا . قالوا : ولقيهما عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وابن أبي ربيعة بالأبواء منصرفين

من العمرة فقال لهما ابن عمر : أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس ، وتنظر  
فان اجتمع الناس عليه فلم تشدا ، وإن افترقوا عليه كان الذي تريدان . وقال ابن عمر للحسين :  
لا تخرج فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك  
بضعة منه ولاتنا لها - يعني الدنيا - واعتنقه وبكى وودعه ، فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بن  
علي بالخروج ، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، فرأى من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان  
ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش ، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس ، فان الجماعة خير . وقال له  
ابن عباس : وأين تريد يا ابن فاطمة ؟ فقال : العراق وشيعتي ، فقال : إني لكاره لوجهك هذا تخرج  
إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وهلاكة لهم ؟ أذكرك الله أن تغرر بنفسك .  
وقال أبو سعيد الخدري : غلبني الحسين على الخروج ، وقلت له : اتق الله في نفسك والزم بينك  
ولا تخرج على إمامك . وقال أبو واقد الليثي : بلغني خروج الحسين بن علي فأدر كته بمل فناشدته  
الله أن لا يخرج فانه يخرج في غير وجه خروج ، إنما خرج يقتل نفسه ، فقال : لا أرجع . وقال  
جابر بن عبد الله : كلمت حسيناً فقلت : اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض ، فوالله ما حمدتم  
ما صنعتم فصاتي . وقال سعيد بن المسيب : لو أن حسيناً لم يخرج لكان خيراً له . وقال أبو سلمة  
ابن عبد الرحمن : وقد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم ، ولكن شجعه على  
ذلك ابن الزبير . وكتب إليه المسور بن مخرمة : إياك أن تغتر بكتب أهل العراق وبقول ابن  
الزبير : الحق بهم فانهم ناصروك . وقال له ابن عباس : لا تبرح الحرم فانهم إن كانت بهم إليك  
حاجة فيضربون إليك أباط الأبل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة . فجزاه خيراً وقال : أستخير  
الله في ذلك . وكتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع ، وتأمره بالطاعة  
ولزوم الجماعة ، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه . وتقول : أشهد لسمعت عائشة تقول  
إنها سمعت رسول الله (ص) يقول : « يقتل الحسين بأرض بابل » فلما قرأ كتابها قال : فلا بد لي  
إذا من مصرعي ومضي . وأناه بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : يا ابن عم قد  
رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك ، وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك  
من قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره ، فأذكرك الله في نفسك .  
فقال : جزاك الله يا ابن عم خيراً ، مهما يقضى الله من أمر يكن . فقال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه  
راجعون ، نحتسب أبا عبد الله عند الله . وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذره أهل العراق  
ويناشده الله إن شخص إليهم . فكتب إليه الحسين : إني رأيت رؤيا ، ورأيت رسول الله (ص)  
أمرني بأمر وأنا ماض له ، ولست بمخبر بها أحداً حتى ألقى علي . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن

العاص نائب الحرمين : إني أسأل الله أن يلهمك رشداً ، وأن يصرفك عما يرديك ، بلغني أنك قد عزمتم على الشغوص إلى العراق ، وإني أعيذك الله من الشقاق ، فإني إن كنت خائفاً فاقبل إلى ، فلك عندي الأمان والبر والصلة . فكتب إليه الحسين : إن كنت أردت بكتابك برى وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة ، وإني لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، وخير الأمان أمان الله ، ولم يؤمن بالله من لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أماتا يوم القيامة عنده . قالوا : وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة ، وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فنوه الخلافة ، وعندك منهم خبر ونجربة ، فان كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكفه عن السعي في الفرقة . وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش : -

يا أيها الراكب العادي مطينه \* على غداً في سيرها فحم  
أبلغ قريشاً على نأي المزاربها \* بيني وبين حسين الله والرحم  
وموقف ببناء البيت أنشده \* عهد الاله وما توفي به الذمم  
عنيم قومكم نخرأ بأممكم \* أم لعمرى حصان برة كرم  
هي التي لا يداني فضلها أحد \* بنت الرسول وخير الناس قد علموا  
وفضلها لكم فضاؤهم \* من قومكم لهم في فضلها قسم  
إني لأعلم أوظناً كماله \* والظن يصدق أحياناً فينتظم  
أن سوف يترككم ماتدعون بها \* قتلى تهادا كم العقبان والرحم  
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ مسكت \* ومسكوا بحبال السلم واعتصموا  
قد جرب الحرب من قد كان قبلكم \* من القرون وقد باذت بها الأمم  
فانصفوا قومكم لا تهلكوا برحاً \* فرب ذي برح زلت به القدم

قال : فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه ، ولست أدع النصيحة له في كل ما تجتمع به الألفة وتطفي به الثائرة ، ودخل ابن عباس على الحسين فكلمه طويلاً وقال له : أنشدك أن تهلك غداً بحال مضية لاتأني العراق ، وإن كنت لا بد فاعلا فأقم حتى ينقضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدر من ، ثم ترى رأيك ، وذلك في عشر ذي الحجة . فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إني لأظنك ستقتل غداً بين نساءك وبناتك كما قتل عثمان بن نساءه وبناته ، والله إني لأخاف أن تكون أنت الذي يقاد به عثمان ، فأنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس إنك شيخ قد كبرت ، فقال له ابن عباس : لولا أن يزري

ذلك بي وبك لنشبت يدي في رأسك ، ولو أعلم أنا إذا تباصينا أقت لفعلت ، ولكن لا أخال ذلك مانك . فقال الحسين : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة وتستحل بي ، قال : فبكي ابن عباس وقال : أقررت عين ابن الزبير بذلك ، وذلك الذي سلى نفسي عنه قال : ثم خرج ابن عباس عنه وهو مغضب وابن الزبير على الباب ، فلما رآه قال : يا ابن الزبير قد أتى ما أحببت ، قرت عينك ، هذا أبو عبد الله خارج ويتركك والحجاز ، ثم قال :

يالك من قبرة بممر \* خلالك الجوف بيضى واصفرى  
ونقرى ماشئت أن تنقرى \* صيادك اليوم قتيل فابشرى

قال : وبعث الحسين إلى المدينة يقدم عليه من خف من بنى عبد المطلب ، وهم تسعة عشر رجلا ونساء وصبيان من إخوته وبناته ونسائه ، وتبعهم محمد بن الحنفية ، فأدرك حسيناً بمكة ، فأعلمه أن الخروج ليس له برأى يومه هذا ، فأبى الحسين أن يقبل ، فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث أحداً منهم حتى وجد الحسين في نفسه على محمد ، وقال : ترغب بوليك عن موضع أصاب فيه ؟ فقال : وما حاجتى إلى أن تصاب ويصابون معك ؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم ؟ قالوا : وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، فخرج متوجهاً إليهم في أهل بيته وستين شخصاً من أهل الكوفة صحبته ، وذلك يوم الاثنين فى عشر ذى الحجة ، فكتب مروان إلى ابن زياد : أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجه إليك ، وهو الحسين بن فاطمة . وفاطمة بنت رسول الله (ص) ، والله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين ، فأياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شئ ، ولا تنسأه العامة ، ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص : أما بعد فقد توجه إليك الحسين ، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترق كما يسترق العبيد ، وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه . قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : إنه قد بلغنى أن حسيناً قد سار إلى الكوفة ، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتليت أنت به من بين العمال ، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما ترق العبيد وتعبّد ، ققتله ابن زياد وبعث برأسه إليه .

قلت : والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام كما سيأتى وفى رواية أن يزيد كتب إلى ابن زياد : قد بلغنى أن الحسين قد توجه إلى نحو العراق ، فضع المناظر والمسلح ، واحترس واحبس على الظنة وخذ على التهمة ، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلى فى كل ما يحدث من خبر والسلام .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

قال الزبير بن بكار : وحدثني محمد بن الضحاك قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة مر بباب المسجد الحرام وقال :

لاذعرت السوام في فلق الصبح \* مفيراً ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى مخافة الموت ضيماً \* والمنايا ترصدني أن أحيدا

وقال أبو مخنف : قال أبو جناب يحيى بن أبي خيشمة عن عدى بن حرملة الأسدي عن عبد الله ابن سليم والمنذر بن المشعل الأسديين قالا : خرجنا حاجين من الكوفة فقدمنا مكة فدخلنا يوم التروية فاذا نحن بالحسين وابن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئت أن تقم أقمت فوليت هذا الأمر فوازرك وساعدناك ونصحنالك وبايعناك ؟ . فقال الحسين : إن أبي حدثني أن لها كبشاً يستحل حرمتها يقتل ، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش . فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئت وولني أنا الأمر فقطع ولا تعصى ، فقال : وما أريد هذا أيضاً ، ثم إنهما أخفيا كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دُعاة الناس متوجهين إلى منى عند الظهيرة ، قالا : فطاق الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة ، وقصر من شعره ، وحل من عمرته ، ثم توجه نحو الكوفة وتوجهنا نحن مع الناس إلى منى .

وقال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب الوالي عن عقبة بن سمان . قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد - يعني نائب مكة - عليهم أخوه يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرف أين تريد ؟ فأبى عليهم ومضى ، وتنافع الفريقان وتضاربوا بالسياط والعصى ، ثم إن حسينا وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قويا ، ومضى الحسين على وجهه ذلك ، فناداه : يا حسين ألا تتق الله ؟ تخرج من الجماعة وتفرق بين الأمة بعد اجتماع الكلمة ؟ قال : فتأول الحسين هذه الآية [ لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ]

قال : ثم إن الحسين مر بالتنعيم فلقى بها عيراً قد بعث بها بجير بن زياد الحميري نائب اليمن قد أرسلها من اليمن إلى يزيد بن معاوية ، عليها ورس وحلل كثيرة ، فأخذها الحسين وانطلق بها ، واستأجر أصحاب الجمال عليها إلى الكوفة ، ودفع إليهم أجرتهم ، ثم ساق أبو مخنف بأسناده الأول أن الفرزدق لقي الحسين في الطريق فسلم عليه وقال له : أعطاك الله سؤلك وأملك فيما نحب . فسأله الحسين عن أمر الناس وما وراءه فقال له : قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء . فقال له : صدقت ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، يفعل ما يشاء ، وكل يوم ربنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه . وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نيتيه ، والتقوى سريرته ، ثم حرك الحسين راحلته وقال :



السلام عليكم ثم افترقا . وقال هشام بن الكلبي عن عوانة بن الحكم عن ليطة بن غالب بن الفرزدق عن أبيه . قال : حججت بأمي فبينما أنا أسوق بها بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج ، وذلك في سنة ستين ، إذ لقيت الحسين خارجا من مكة معه أسيافه وأتراسه ، فقلت له : بأبي وأمي يا ابن رسول الله ، ما أعجلك عن الحج ؟ فقال : لولم أعجل لأخذت ، ثم سألتني : ممن أنت ؟ فقلت : امرؤ من العراق ، فسألني عن الناس فقلت له : القلوب معك والسيوف مع بني أمية ، وذاكر نحو ما تقدم . قال الفرزدق : وسألت الحسين عن أشياء وعن المناسك فأخبرني بها قال . وإذا هو ثقيل اللسان من برسام كان أصابه بمن بالعراق قال : ثم مضيت فاذا فسطاط مضروب في الحرم وهيئة حسنة ، فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، فسألني فأخبرته أني لقيت الحسين ، قال : فهلا اتبعته ؟ فان الحسين لا يحيك فيه السلاح ولا يجوز فيه وفي أصحابه . فقدم الفرزدق وهم أن يلحق به ، ووقع في قلبه مقالة ابن عمرو ، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصدني ذلك عن اللحاق به ، فلما بلغه أنه قتل لعن ابن عمرو ، وكان ابن عمرو يقول : والله لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يبلغ هذا الأمر ويظهر ، وإنما أراد ابن عمرو بقوله : لا يحيك فيه السلاح ، أي السلاح الذي لم يقدر أن يقتل به ، وقيل غير ذلك وقيل أراد الهزل بالفرزدق . قالوا : ثم سار الحسين لا يلوي على شيء حتى نزل ذات عرق . قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن علي بن الحسين بن علي . قال : لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنه عون ومحمد : أما بعد فاني أسألك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا ، فاني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلك اليوم طفئ نور الاسلام ، فانك علم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فاني في أثر كتابي والسلام . ثم نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد نائب مكة فقال له : اكتب إلى الحسين كتابا تجعل له فيه الأمان ، وتنبه في البر والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو : اكتب عني ماشئت وأتني به حتى أختمه . فكتب ابن جعفر على لسان عمرو بن سعيد ما أراد عبد الله ، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو ففتحته بخاتمته ، وقال عبد الله لعمرو بن سعيد : ابعث معي أمانك ، فبعث معه أخاه يحيى ، فانصرفا حتى لحقا الحسين فقرأ عليه الكتاب فأبى أن يرجع وقال : إني رأيت رسول الله - ﷺ - في المنام وقد أمرني فيها بأمر وأنا ماض له ، فقلا : وما تلك الرؤيا ؟ فقال : لأحدث بها أحدا حتى ألقى ربي عز وجل .

قال أبو مخنف : وحدثني محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن ذي الرمة ،



بعث قيس بن مسهر الصيداوى إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم واجتماع ملتكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يتيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضيئ من ذى الحجة يوم التروية ، فاذا قدم عليكم رسولى فاكتبوا أمرى وجدوا فإني قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال : وكان كتاب مسلم قد وصل إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ، ومضمونه : أما بعد فان الرائد لا يكتب أهله ، وإن جميع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابى هذا والسلام عليكم .

قال : وأقبل قيس بن مسهر الصيداوى بكتاب الحسين إلى الكوفة ، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن عمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له ابن زياد : اصعد إلى أعلا القصر فاسب الكذاب ابن الكذاب على بن أبى طالب وابنه الحسين ، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن هذا الحسين بن على خير خلق الله ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقت بالحاجر من بطن ذى الرمة ، فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلى والحسين . فأمر به ابن زياد فألقى من رأس القصر فتقطع ، ويقال بل تكسرت عظامه وبقى فيه بقية رمق ، فقام إليه عبد الملك بن عمير البجلي فدبجه ، وقال : إنما أردت إراحته من الألم ، وقيل إنه رجل يشبه عبد الملك بن عمير وليس به ، وفى رواية أن الذى قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن بقطر أخو الحسين من الرضاة ، فألقى من أعلى القصر والله أعلم .

ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشئ مما وقع من الأخبار . قال أبو مخنف عن أبى على الأنصارى عن بكر بن مصعب المزنى . قال : وكان الحسين لا يمر بماء من مياه العرب إلا اتبعوه ، قال قال أبو مخنف عن أبى جناب عن عدى بن حرمة عن عبد الله بن سليم والمنذر بن المشعل الأسيديين قالا : لما قضينا حجتنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين ، فأدركناه وقد مر برجل من بنى أسد فهم الحسين أن يكلمه ويسأله ثم ترك ، فحسنا ذلك الرجل فسألناه عن أخبار الناس فقال : والله لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة ورأيتهما يجران بأرجلهما فى السوق . قالا : فلحقنا الحسين فأخبرناه فجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون مراراً . قتلنا له الله فى نفسك . فقال : لا خير فى العيش بعدهما . قلنا : خار الله لك . وقال له بعض أصحابه : والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قد قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع . وقال غيرهما : لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عقيل ، وثب عند ذلك بنو عقيل بن أبى طالب وقالوا : لا والله

لا ترجع حتى ندرك ثأرنا ، أو نذوق مذاق أخونا. فسار الحسين حتى إذا كان بزروود بلغه أيضا مقتل الذي بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر ، فقال : خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف من غير حرج عليه ، وليس عليه منا ذمام ، قال : فتفرق الناس عنه أيادي سبا يمينا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة ، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أن من اتبعه من الأعراب إنما اتبعوه لأنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهلها ، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على م يقدمون ، وقد علم أنه إذا بين لهم الأمر لم يصحبه إلا من يريد مواساته في الموت معه قال : فلما كان السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا منه ، ثم سار حتى مر ببطن العقبة فنزل بها

وقال محمد بن سعد : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا جعفر بن سليمان عن يزيد الرشك قال : حدثني من شافه الحسين قال : رأيت أخبية مضر وبة بفلاة من الأرض فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : هذه لحسين قال فأتيته فاذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه ولحيته ، قال قلت : بأبي وأمي يا ابن بنت رسول الله ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟ فقال : هذه كتب أهل الكوفة إلى ولا أراهم إلا قاتلي ، فاذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلا انتهكوها ، فيسلط الله عليهم من يذلمهم حتى يكونوا أذل من قرم الامة - يعني مقنعها - وأخبرنا علي بن محمد عن الحسن بن دينار عن معاوية بن قررة . قال قال الحسين : والله لتعتدنّ علي كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت . وحدثنا علي بن محمد عن جعفر بن سليمان الضبعي . قال قال الحسين : والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفى ، فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلمهم حتى يكونوا أذل من قرم الامة . فقتل بني نوى يوم عاشوراء سنة إحدى وستين . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان ثنا شهاب بن حراش عن رجل من قومه . قال : كنت في الجيش الذين بعثهم ابن زياد إلى الحسين ، وكانوا أربعة آلاف يريدون قتال الديلم ، فعينهم ابن زياد وصرفهم إلى قتال الحسين ، فلقيت حسينا فرأيت أسود الرأس واللحية ، فقلت له : السلام عليك أبا عبد الله ، فقال : وعليك السلام - وكانت فيه غنة - فقال : لقد باتت فيكم سلة منذ الليلة - يعني سراقا - قال شهاب : فحدثت به زيد بن علي فأعجبه وكانت فيه غنة - قال سفيان بن عيينة : وهي في الحسينيين

قال أبو مخنف عن أبي خالد الكاهلي : قال : لما أصبحت الخيل الحسين بن علي رفع يديه فقال : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي من كل أمر نزل ثقة وعدة ، فكم من هم يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، فأنزلته بك



وشكوته إليك برغبة فيه إليك عن سواك ، فرجته وكشفته وكفيتنيه ، فانت لي ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل غاية . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثني حجاج بن محمد عن أبي معشر عن بعض مشيخته . قال قال الحسين حين نزلوا كربلاء : ما اسم هذه الأرض ؟ قالوا كربلاء ، قال : كرب وبلاء . وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتالهم ، فقال له الحسين : يا عمر اختر بني إحدى ثلاث خصال ، إما أن تتركني أرجع كما جئت ، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في مارأى ، فإن أبيت هذه فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر بن ذي الجوشن : لا ! إلا أن ينزل على حكمك ، فأرسل إلى الحسين بذلك فقال الحسين : والله لا أفعل ، وأبطأ عمر عن قتاله فأرسل ابن زياد شمر بن ذي الجوشن وقال له : إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقته وكن مكانه ، فقد وليتك الامرة . وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة ، فقالوا له : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله (ص) ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً ؟ فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه .

وقال أبو زرعة : حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن حصين . قال : أدركت من مقتل الحسين قال : فحدثني سعد بن عبيدة قال : فرأيت الحسين وعليه جبة برود ورماء رجل يقال له عمرو ابن خالد الطهوي بسهم ، فنظرت إلى السهم معلقاً بجيبته . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عمار الرازي حدثني سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام ثنا حصين أن الحسين بعث إليه أهل الكوفة : إن معك مائة ألف . فبعث إليهم مسلم بن عقيل فذكر قصة مقتل مسلم كما تقدم . قال حصين : فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر الناس أن يأخذوا ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة حفظاً فلا يدعون أحداً يلهج ولا أحداً يخرج ، وأقبل الحسين ولا يشعر بشئ حتى أتى الأعراب فسألهم عن الناس فقالوا : والله لا ندري ، غير أنك لا تستطيع أن تلج ولا تخرج ، قال : فانطلق يسير نحو يزيد بن معاوية ، فتلقته الخيول بكر بلاء فنزل يناشدهم الله والاسلام ، قال : وكان بعث إليه ابن زياد عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحصين بن نمير ، فناشدهم الله والاسلام أن يسروه إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده ، فقالوا له : لا ! إلا أن تنزل على حكم ابن زياد ، وكان في جملة من معهم الحر بن يزيد الحنظلي ثم النهشلي على خيل ، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم : ألا تتقون الله ؟ ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم ، والله لو سألتكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوم فأبوا إلا حكم ابن زياد ؟ ف ضرب الحروجه فرسه وانطلق إلى الحسين ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم ، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ثم كثر على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمه الله . وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجباً فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي مخزومة

المرادى ورجلان آخران ، وهما عمرو بن الحجاج ومعن السلمى ، وأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد وعليه جبة من برود ، فلما كلمهم انصرف فرماه رجل من بنى تميم يقال له عمرو الطهوى بسهم بين كتفيه ، فأتى لأ نظر إلى السهم بين كتفيه متعلقا بجيبته ، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه وإني لأنظر إليهم وهم قريب من مائة رجل ، فيهم لصلب على خمسة ، ومن بنى هاشم ستة عشر ، ورجل من بنى سليم حليف لهم ، ورجل من بنى كنانة حليف لهم ، وابن عم ابن زياد .

وقال حصين : حدثني سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد إذ أتاه رجل فسارّه فقال له : قد بعث إليك ابن زياد جويرية بن بدر التميمي وأمره إن لم تقا تل القوم أن يضرب عنقك . قال : فوثب إلى فرسه فركبها ثم دعا بسلاحه فلبسه وإنه لعلى فرسه ، ونهض بالناس إليهم فقاتلهم فجئ برأس الحسين إلى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيبه في أنفه ويقول : إن أبا عبد الله كان قد شحط . قال : وجئ بنسائه وبناته وأهله قال : وكان أحسن شئ صنعته أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل وأجرى عليهم رزقا ، وأمر لهم بنفقة وكسوة . قال : وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر - أو ابن أبي جعفر - فأتيا رجلا من طي فلجأ إليه مستجيران به ، فضرب أعناقهما وجاء برأسيهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد ، قال : فهم ابن زياد بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت . قال : وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال : لما أتى يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه رأيته يبكي ويقول : لو كان بين ابن زياد وبينه رحم ما فعل هذا - يعني ابن زياد - قال الحصين : ولما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلتطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع

قال أبو مخنف : حدثني لوذان حدثني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين : ابن تريد ؟ فحدثه ، فقال له : أنشدك الله لما انصرفت راجعاً ، فوالله ما بين يديك من القوم أحد يذب عنك ولا يقاتل معك ، وإنما والله أنت قادم على الأسننة والسيوف ، فان هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء ، ثم قدمت عليهم بعد ذلك كان ذلك رأيا ، فأما على هذه الصفة فاني لا أرى لك أن تفعل . فقال له الحسين : إنه ليس بخفي على ما قلت وما رأيت ، ولكن الله لا يغلب على أمره ، ثم ارتحل قاصداً الكوفة . وقال خالد بن العاص : -

رُبُّ مُسْتَنْصَحٍ يَنْشُ وَرُبُّ دِي \* وَظَنِينَ بِالْغَيْبِ يَلْتَقِي نَصِيحًا

وقد حج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد بن العاص وكان عامل المدينة ومكة ليزيد . وقد عزل يزيد عن إمرة المدينة الوليد بن عتبة وولاهها عمرو بن سعيد بن العاص في شهر رمضان منها والله سبحانه وتعالى أعلم .

## ثم دخلت سنة إحدى وستين

استهلت هذه السنة والحسين بن علي سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقراباته ، فقتل في يوم عاشوراء من شهر المحرم من هذه السنة على المشهور الذي صححه الواقدي وغير واحد ، وزعم بعضهم أنه قتل في صفر منها والأول أصح .

وهذه صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة هذا

الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب

قال أبو مخنف عن أبي جناب عن عدي بن حرمة عن عبد الله بن حرمة عن عبد الله بن سليم والمذري <sup>(١)</sup> بن المشعل الأسديين قالا : أقبل الحسين فلما نزل شرف قال لغلمانه وقت السحر : استقوا من الماء فأكثروا ، ثم ساروا إلى صدر النهار فسمع الحسين رجلا يكبر فقال له : مم كبرت ؟ فقال : رأيت النخيلة ، فقال له الاسديان : إن هذا المكان لم ير أحد منه نخيلة ، فقال الحسين : فماذا تريانه رأى ؟ فقالا : هذه الخيل قد أقبلت ، فقال الحسين : أما لنا ملجأ نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقالا : بلى : ذو حسم . فأخذ ذات اليسار إليها فترل ، وأمر بأبنيته فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التيمي ، وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد ، حتى وقفوا في مقابلته في نحو الظهر ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدون سيوفهم ، فأمر الحسين أصحابه أن يترروا من الماء ويسقوا خيولهم ، وأن يسقوا خيول أعدائهم أيضا . وروى هو وغيره قالوا : لما دخل وقت الظهر أمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي فأذن ثم خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين فخطب الناس من أصحابه وأعدائه واعتذر إليهم في مجيئه هذا إلى هنا ، بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة أنهم ليس لهم إمام ، وإن أنت قدمت علينا بايعناك وقاتلنا معك ، ثم أقيمت الصلاة فقال الحسين للحر : تريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال لا ! ولكن صل أنت ونحن نصلي وراءك . فصلى بهم الحسين ، ثم دخل إلى خيمته واجتمع به أصحابه ، وانصرف الحر إلى جيشه وكل على أهبته ، فلما كان وقت العصر صلى بهم الحسين ثم انصرف فخطبهم وحثهم على السمع والطاعة له وخلع من عاداهم من الادعياء السارين فيكم بالجور . فقال له الحر : إنا لاندرى ما هذه الكتب ، ولا من كتبها ، فأحضر الحسين خرجين مملوءين كتباً فنثرها بين يديه وقرأ منها طائفة ، فقال الحر : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك في شيء ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لانفارقك حتى تقدمك على عبيد الله بن زياد ، فقال الحسين : الموت أدنى من ذلك ، ثم قال الحسين لأصحابه : اركبوا ! فركبوا وركب النساء ، فلما أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف ، فقال الحسين للحر : ثكلتك أمك ، ماذا تريد ؟

(١) كذا بالأصلين . وفي الطبري

قال له الحر : أما والله لو غيرك يقولهالى من العرب وهو على مثل الحال التي أنت عليها لأقتصن منه ، ولما تركت أمه ، ولكن لاسبيل إلى ذكر أمك إلا بأحسن ما تقدر عليه ، وتناول القوم وتراجعوا فقال له الحر : إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد ، فاذا أبيت فخذ طريقا لا يقدمك الكوفة ولا تردك إلى المدينة ، واكتب أنت إلى يزيد ، وأكتب أنا إلى ابن زياد إن شئت ، فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشئ من أمرك . قال : فأخذ الحسين يساراً عن طريق العذيب والقادسية ، والحر بن يزيد يساره وهو يقول له : يا حسين إني أذكرك الله في نفسك ، فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن ، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى . فقال له الحسين : أقبالوت تخوفني ؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وقد لقيه وهو يريد نصره رسول الله ص . فقال : أين تذهب فانك مقتول ؟ فقال : -

سأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفتي \* إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً  
وآسى الرجال الصالحين بنفسه \* وفارق خوفاً أن يعيش ويرغماً

وبروى على صفة أخرى

سأمضي وما بالموتِ عارٌ على امرئ \* إذا مانوى حقاً ولم يلف مجرماً  
فإن متُّم أندم وإن عشتُ لم ألم \* كفى بك موتاً أن تذلل وترغماً

فلما سمع ذلك الحر منه تنحى عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه ، فانتهوا إلى عذيب الهجانات وإذا سفر أربعة - أى أربعة نفر - قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ينجبون ويجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل قد أقبلوا من الكوفة يقصدون الحسين ودليلهم رجل يقال له الطرماح بن عدى راكب على فرس وهو يقول

ياناقتي لاتدعري من زجري \* وشعري قبل طلوع الفجر  
بخير ركبانٍ وخير سفرٍ \* حتى نحلى بكريم النجر  
الماجد الحر رحيب الصدر \* أتى به الله خير أمر  
نمت أبقاه بقاء الدهر

فأراد الحر أن يحول بينهم وبين الحسين فمنعه الحسين من ذلك ، فلما اخلصوا إليه قال لهم : أخبروني عن الناس ورايكم ، فقال له مجمع بن عبد الله العامري أحد نفر الأربعة : أما أشراف الناس فهم إلب عليك ، لأنهم قد عظمت رشوتهم وملت غرائهم ، يستميل بذلك ودم ويستخلص به نصيحتهم ، فهم إلب واحد عليك ، وأما سائر الناس فأفئدتهم نهوى إليك ، وسيوفهم غدا مشهورة عليك . قال

لَا تَلَا

لهم : فهل لكم برسولى علم؟ قالوا : ومن رسولاك؟ قال : قيس بن مسهر الصيداوى . قالوا : نعم أخذه الحسين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلى عليك وعلى أبيك ولعن بن زياد وأباه ، ودعا الناس إلى نصرتك وأخبرهم بقدمك فأمر به فالتقى من رأس القصر فمات ، فترقت عيننا الحسين ، وقرأ قوله تعالى [ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ] الآية ثم قال : اللهم اجعل منازلهم الجنة نزلاً ، واجمع بيننا وبينهم فى مستقر من رحمتك ، وورثهم مدخور ثوابك . ثم إن الطرماح بن عدى قال للحسين : انظر فما معك؟ لا أرى معك أحداً إلا هذه الشزيمة اليسيرة ، وإني لأرى هؤلاء القوم الذين يسابرونك أكفاء لمن معك ، فكيف وظاهر الكوفة مملوء بالخيل والجيش يعرضون ليقصدونك ، فأنشدك الله ، إن قدرت أن لا تتقدم إليهم شبراً فافعل ، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به من ملوك غسان وحمير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر ، والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حتى أنزلك القرية ، ثم تبعث إلى الرجال من باجا وسلمى من طيء ، ثم أقم معنا ما بدالك ، فأنا زعيم بعشرة آلاف طائى يضربون بين يديك بأسياقهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف . فقال له الحسين : جزاك الله خيراً ، فلم يرجع عما هو بصدد ، فودعه الطرماح ، ومضى الحسين ، فلما كان من الليل أمر فتيانه أن يستقوا من الماء كفايتهم ، ثم سرى فنعس فى مسيره حتى خفق برأسه ، واستيقظ وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين . ثم قال : رأيت فارساً على فرس وهو يقول : القوم يسرون والمنايا تسرى إليهم ، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا ، فلما طلع الفجر صلى بأصحابه وعجل الركوب ثم تيسر فى مسيره حتى انتهى إلى نينوى ، فاذا راكب متنكب قوساً قد قدم من الكوفة ، فسلم على الحر بن يزيد ولم يسلم على الحسين ، ودفع إلى الحر كتاباً من ابن زياد ومضمونه أن يعدل بالحسين فى السير إلى العراق فى غير قرية ولا حصن ، حتى تأتبه رسله وجنوده ، وذلك يوم الخميس الثانى من المحرم سنة إحدى وستين ، فلما كان من الغد قدم عمر بن سعد بن أبى قاص فى أربعة آلاف ، وكان قد جهزه ابن زياد فى هؤلاء إلى الديلم ، وخيم بظاهر الكوفة ، فلما قدم عليهم أمر الحسين قال له : سر إليه ، فاذا فرغت منه فسر إلى الديلم ، فاستعفاه عمر بن سعد من ذلك . فقال له ابن زياد : إن شئت عفيتك وعزلتك عن ولاية هذه البلاد التى قد استنبتك عليها ، فقال : حتى أنظر فى أمرى ، فجعل لا يستشير أحداً إلا نهاه عن المسير إلى الحسين ، حتى قال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة : إياك أن تسير إلى الحسين فتعصى ربك وتقطع رحمتك ، فوالله لأن تخرج من سلطان الأرض كلها أحب إليك من أن تلقى الله بدم الحسين ، فقال : إني أفعل إن شاء الله تعالى . ثم إن عبيد الله بن زياد تهدده وتوعده بالعزل والقتل ، فسار إلى الحسين فنارله فى المكان الذى ذكرنا ، ثم بعث إلى الحسين الرسل : ما الذى أقدمك؟ فقال



كتب إلى أهل الكوفة أن أقدم عليهم ، فإذا قد كرهوني فأنا راجع إلى مكة وأذركم . فلما بلغ عمر بن سعد هذا قال : أرجو أن يعافيني الله من حربه ، وكتب إلى ابن زياد بذلك ، فرد عليه ابن زياد : أن حل بينهم وبين الماء كما فعل بالتقى الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، واعرض على الحسين أن يبايع هو ومن معه لأمر المؤمنين يزيد بن معاوية ، فإذا فعلوا ذلك رأينا رأينا ، وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من الماء ، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج ، فدعا عليهم بالمعش فمات هذا الرجل من شدة العطش . ثم إن الحسين طلب من عمر بن سعد أن يجتمع به بين العسكرين ، فجاء كل واحد منهما في نحو من عشرين فارساً ، فتكلما طويلاً حتى ذهب هزيع من الليل ، ولم يدر أحد ماقالا ، ولكن ظن بعض الناس أنه سأل أن يذهب معه إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ويترك العسكرين متواقفين ، فقال عمر إذا بهم ابن زياد داري ، فقال الحسين : أنا أبنها لك أحسن مما كانت ، قال : إذا يأخذ ضياعي ، قال أنا أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز ، قال : فتكره عمر بن سعد من ذلك . وقال بعضهم : بل سأل منه إما أن يذهب إلى يزيد ، أو يتركه يرجع إلى الحجاز أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك ، فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك ، فقال : نعم ! قد قبلت ، فقام الشمر بن ذى الجوشن فقال : لا والله حتى ينزل على حكك هو وأصحابه ، ثم قال : والله لقد بلغني أن حسيناً وابن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل ، فقال له ابن زياد : فنعمة ما رأيت . وقد روى أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سمان . قال : لقد صحبت الحسين من مكة إلى حين قتل ، والله مامن كلمة قالها في موطن إلا وقد سمعتها ، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده إلى يده ، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور ، ولكن طلب منهم أحد أمرين ، إما أن يرجع من حيث جاء ، وإما أن يدعوهم يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه . ثم إن عبيد الله بعث شمر بن ذى الجوشن فقال : اذهب فان جاء حسين وأصحابه على حكى وإلا فمر عمر بن سعد أن يقاتلهم ، فان تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه ثم أنت الأمير على الناس . وكتب إلى عمر بن سعد يتهده على توانيه في قتال الحسين ، وأمره إن لم يجي الحسين إليه أن يقاتله ومن معه ، فانهم مشاقون . فاستأمن عبيد الله بن أبي المحل لبي عمته أم البنين بنت حرام من علي ، وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وبعثه عبيد الله بن المحل مع مولى له يقال له كرماني ، فلما بلغهم ذلك قالوا : أما أمان ابن سمية . فلا نريده ، وإنا نرجو أماناً خيراً من أمان ابن سمية . ولما قدم شمر بن ذى الجوشن على عمر بن سعد بكتاب عبيد الله بن زياد ، قال عمر : أبعد الله دارك ، وقبح ماجئت به ، والله إنى لأظنك الذي صرفته عن الذي عرضت عليه من الأمور الثلاثة التي طلبها الحسين ، فقال له شمر : فأخبرني ما أنت صانع ؟ أتقاتلهم أنت أو تاركى وإياهم ؟

فقال له عمر : لا ولا كرامة لك ! أنا أتولى ذلك ، وجعله على الرجالة ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من المحرم ، فقام شمر بن ذى الجوشن فقال : أين بنو أختنا ؟ فقام إليه العباس وعبد الله ، وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب ، فقال : أنتم آمنون . فقالوا : إن أمنتنا وابن رسول الله (س) ، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك . قال : ثم نادى عمر بن سعد في الجيش : يا خيل الله اركبي وابشري ، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ ، هذا وحسين جالس أمام خيمته محتبياً بسيفه ، ونفس تخفق برأسه وسمعت أخته الضجة فدنت منه فأيقظته ، فرجع برأسه كما هو ، وقال : إني رأيت رسول الله (س) في المنام فقال لي : « إنك تروح إلينا » فلطمت وجهها وقالت : يا ويلتنا . فقال : ليس لك الويل يا أخته : اسكني رحمك الرحمن ، وقال له أخوه العباس بن علي : يا أخي جاءك القوم ، فقال : اذهب إليهم فسلهم ما بداهم ، فذهب إليهم في نحو من عشرين فارساً فقال : مالكم ؟ فقالوا جاء أمر الأمير إما أن تأتوا على حكمه وإما أن نقاتلكم . فقال : مكانكم حتى أذهب إلى أبي عبد الله فأعلمه ، فرجع ووقف أصحابه فجعلوا يتراجعون القول ويؤنب بعضهم بعضاً ، يقول أصحاب الحسين : بئس القوم ، أنتم تريدون قتل ذرية نبيكم وخيار الناس في زمانهم ؟ ثم رجع العباس بن علي من عند الحسين إليهم فقال لهم : يقول لكم أبو عبد الله : انصرفوا عشيتكم هذه حتى ينظر في أمره الليلة ، فقال عمر بن سعد لشمر بن ذى الجوشن : ما تقول ؟ فقال : أنت الأمير والرأي رأيك ، فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي : سبحان الله ! والله لو سألكم ذلك رجل من الديلم لكان ينبغى إجابته . وقال قيس بن الأشعث : أجهم إلى ما سألوك ، فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة ، وهكذا جرى الأمر ، فان الحسين لما رجع العباس قال له : ارجع فارددهم هذه العشية لعننا نصلي لربنا هذه الليلة ونستغفره وندعوه ، فقد علم الله مني أني أحب الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، والاستغفار والدعاء . وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله ، وخطب أصحابه في أول الليل فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على رسوله بعبارة فصيحة بليغة ، وقال لأصحابه : من أحب أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنت له فان القوم إنما يريدونني . فقال مالك بن النضر : على دين ولى عيال ، فقال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه حجلاً ، ليأخذ كل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم اذهبوا في بساط الأرض في سواد هذا الليل إلى بلادكم ومدائنكم ، فان القوم إنما يريدونني ، فلو قد أصابوني لهما عن طلب غيري ، فاذهبوا حتى يفرج الله عز وجل . فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه : لا بقاء لنا بعدك ، ولا أرانا الله فيك مانكره ، فقال الحسين : يا بني عقيل حسبكم بمسلم أخيكم ، اذهبوا فقد أذنت لكم ، قالوا : فما تقول الناس إننا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومنا خير الأعمام ، لم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، رغبة في الحياة الدنيا ، لا والله لا نفعل ، ولكن نفديك

بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك . فقبح الله العيش بعدك . وقال نحو ذلك مسلم بن عوسجة الأندلسي ، وكذلك قال سعيد بن عبد الله الحنفي : والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله (ص) ، فيك ، والله لو علمت أني أقتل دونك ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الفتنية من أهل بيتك ، لأحببت ذلك ، وإنما هي قتلة واحدة . وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بمضه بعضا من وجه واحد ، فقالوا : والله لا نفارقك ، وأنفسنا الفداء لك ، نفيك بنحورنا وجباهنا ، وأيدينا وأبداننا ، فإذا نحن قتلنا وفينا وقضينا ما علينا . وقال أخوه العباس : لا أرانا الله يوم فقدك ولا حاجة لنا في الحياة بعدك . وتتابع أصحابه على ذلك وقال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين زين العابدين . قال : إني لجالس تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها ، وعمتي زينب تمرضني إذ اعتزل أبي في خبائه ومعه أصحابه ، وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول : -

يَا دَهْرُ أَفِ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ \* كَمْ لَكَ بِالْأَشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ

مَنْ صَاحِبٍ أَوْ طَالِبٍ قَتِيلٍ \* وَالْدَهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ

وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ \* وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكِ السَّبِيلِ

فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى حفظتها وفهمت ما أراد ، فخنقتني العبرة فرددتها ، ولزمت السكوت ، وعلمت أن البلاء قد نزل ، وأما عمتي فقامت حاسرة حتى انتهت إليه فقالت : وائكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ، ماتت أمي فاطمة وعلى أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي ، وثمال الباقي فنظر إليها وقال : يا أخيه ، لا يذهبن حلمك الشيطان ، فقالت : بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله ، استقلت ؟ ولطمت وجهها وشقت جيبتها وخرت مغشيا عليها ، فقام إليها فصب على وجهها الماء وقال يا أخيه اتق الله واصبري وتعزري بعزاء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميتهم بقهره وعزته ، ويعيدهم فيعبدونه وحده ، وهو فرد وحده ، واعلمي أن أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، وولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة ، ثم خرج عليها أن لا تفعل شيئا من هذا بعد مهلكه ، ثم أخذ بيدها فردّها إلى عندي ، ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض ، وأن لا يجعلوا للعدو مخلصا إليهم إلا من جهة واحدة ، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ، ومن ورائهم وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون ، وخبول حرس عدوهم تدور من ورائهم ، عليها عزرة بن قيس

لَا تَلَا

الأحمسى [ والحسين يقرأ ( ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خبر ولا نفهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) الآية فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تجرس من أصحاب ابن زياد فقال : نحن ورب الكعبة الطيبون ميزنا الله منكم . قال فعرفته فقلت لزيد<sup>(١)</sup> بن حضير : أتدرى من هذا ؟ قال : لا ! فقلت هذا أبو حرب السبيعي عميد الله بن شمير - وكان مضحكا كاطال - وكان شريفا شجاعا فائقا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في خبائه . فقال له يزيد بن حصين : يافسق متى كنت من الطيبين ؟ فقال : من أنت ويلك ؟ قال : أنا يزيد بن حصين . قال : إنا لله ! هلكت والله عدو الله ! على م يريد قتلك ؟ قال فقلت له : يا أبا حرب هل لك أن تتوب من ذنوبك العظام ؟ فوالله إنا لنحن الطيبون وإنكم لأنتم الخبيثون . قال : نعم وأنا على ذلك من الشاهدين . قال : ويحك أفلا ينفعك معرفتك ؟ قال فأنهزه عزرة بن قيس أمير السرية التي تحرسنا فانصرف عنا<sup>(٢)</sup> قالوا : فلما صلى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة وقيل يوم السبت - وكان يوم عاشوراء - انتصب للقتال ، وصلى الحسين أيضا بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارسا وأربعون رجلا ، ثم انصرف فصنعهم فجعل على يمينته زهير بن القين ، وعلى اليسرة حبيب بن المطهر ، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه ، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم ، وقد أمر الحسين من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقا وقذفوا فيه حطبا وخشباً وقصباً ، ثم أضرمت فيه النار لئلا يخلص أحد إلى بيوتهم من وراءها . وجعل عمر بن سعد على يمينته عمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعلى اليسرة شمر بن ذي الجوشن - واسم ذي الجوشن شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بني الضباب بن كلاب - وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسى ، وعلى الرجال شبيث بن ربيع ، وأعطى الراية لوردان مولاه ، وتواقف الناس في ذلك الموضع ، فعدل الحسين إلى خيمة قد نصبت فاغتسل فيها وانطلى بالنورة وتطيب بمسك كثير ، ودخل بعده بعض الأمراء ففعلوا كما فعل ، فقال بعضهم لبعض : ما هذا في هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : دعنا منك ، والله ما هذه بساعة باطل ، فقال يزيد بن حصين : والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاحقون ، والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء القوم فيقتلوننا . ثم ركب الحسين على فرسه وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه ، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما تقدم ذكره : اللهم أنت تقى في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، إلى آخره . وركب ابنه علي بن الحسين - وكان ضعيفاً مريضاً - فرساً يقال له الأحق ونادى الحسين أبها الناس : اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم ، فأنصت الناس كلهم ، فقال يمد حمد

(١) كذا بالأصلين . وفي الطبري : برير بن حضير (٢) سقط من المصرية

الله والثناء عليه : أيها الناس إن قبلتم مني وأنصتتموني كذتم بذلك أعمد ، ولم يكن لكم على سبيل ، وإن لم تقبلوا مني [ فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم افضوا إلى ولا تنتظرون . إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ] .

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفت أصواتهن بالمكاء فقال عند ذلك : لا يبعد الله ابن عباس . - يعني حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر - ثم بعث أخاه العباس فسكتن ، ثم شرع يذكر للناس فضله وعظمة نسبه وعلو قدره وشرفه ، ويقول : راجعوا أنفسكم وحاسبوها . هل يصلح لكم قتال مثلي ، وأنا ابن بنت نبيكم ، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري ؟ وعلى أبي ، وجعفر ذو الجناحين عمي ، وحمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ وقال لي رسول الله (ص) ، ولأخي : « هذان سيّدا شباب أهل الجنة » . فان صدقتهموني بما أقول فهو الحق ، فوالله ما تعدت كذبة منذ علمت أن الله يمقت على الكذب ، وإلا فاسألوا أصحاب رسول الله (ص) . عن ذلك ، جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد ، وسهل بن سعد ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبرونكم بذلك ، ويحكم ! أما تتقون الله ؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ . فقال عند ذلك شمر بن ذي الجوشن : هو يعبد الله على حرف : إن كنت أدري ما يقول ؟ فقال له حبيب بن مظهر (١) : والله يا شمر إنك لتعبد الله على سبعين حرفا ، وأما نحن فوالله إنا لندري ما يقول ، وإنه قد طبع على قلبك . ثم قال : أيها الناس ذروني أرجع إلى مأمني من الأرض ، فقالوا : وما يمنعك أن تنزل على حكم بني عمك ؟ فقال : معاذ الله [ إني عندي بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ] ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمان فعقلها [ ثم قال : أخبروني أطلبوني بقتيل لكم قتلته ؟ أو مال لكم أكلته ؟ أو بقصاصة من جراحة ؟ قال : فأخذوا لا يكاهونه . قال : فنادى ياشبيت بن ربي ، يا حجار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي أنه قد أينعت الثمار واخضر الجناب ، فأقدم علينا فانك إنما تقدم على جند مجنّدة ؟ فقالوا له : لم نفعل . فقال : سبحان الله ! والله لقد فعلتم ، ثم قال : يا أيها الناس ! إذ قد كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم ، فقال له قيس بن الأشعث : ألا تنزل على حكم بني عمك فانهم لن يؤذوك ، ولا ترى منهم إلا ما تحب ؟ فقال له الحسين : أنت أخو أخيك ، أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم ابن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر لهم إقرار العبيد .

قال : وأقبلوا بزحفون نحوه وقد تحيز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارساً فيما قيل ، منهم الحر بن يزيد أمير مقدمة جيش ابن زياد ، فاعتذر إلى الحسين مما كان منهم ،

(١) كذا بالأصلين وفي الطبري : مظاهر .

قال : ولو أعلم أنهم على هذه النية لسرت معك إلى يزيد ، فقبل منه الحسين ، ثم تقدم بين يدي أصحاب الحسين فخطب عمر بن سعد فقال : ويحكم ألا تقبلون من ابن بنت رسول الله (ص) ، ما يعرض عليكم من الخصال الثلاث واحدة منها ؟ فقال : لو كان ذلك إلى قبلي .

قال : وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شك في السلاح ، فقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن أخوة ، وعلى دين واحد ، وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بنصرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية ، عبید الله بن زياد ، فانكم لم تدركوا منهما الاسوء عموم سلطانهما ، يسملان أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويقتلان أمثالكم وقراءكم ، أمثال حجر بن عدى وأصحابه ، وهاني بن عروة وأشباهاه . قال : فسبوه وأنثوا على ابن زياد ودعوا له ، وقالوا : لا نزرع حتى نقتل صاحبك ومن معه . فقال لهم : إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية ، فان أنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم ، خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، نذهب حيث شاء ، فلعمرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين . قال : فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال له : اسكت أسكت الله نامتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك ، فقال له زهير : يا ابن البوآل على عقبه ، إياك أخطب ؟ إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين ، فابشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال له شمر : إن الله قاتلك وصاحبك بعد ساعة ، فقال له زهير : أبا الموت تخوفنى ؟ فولله للموت معه أحب إلى من الخلد معكم . ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعاً صوته يقول : عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجاني وأشباهاه ، فوالله لا ينال شفعة محمد (ص) ، قوم أهرقوا دماء ذريته ، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم .

وقال الحر بن يزيد لعمر بن سعد : أصلحك الله ! أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إى والله قتلا أسره أن تسقط الرأس وتطيح الأيدي ، وكان الحر من أشجع أهل الكوفة ، فلامه بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين ، فقال له : والله إني أخير نفسى بين الجنة والنار ، ووالله لا أختار على الجنة غيرها ولو قطعت وحرقت . ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فاعتذر إليه بما تقدم ، ثم قال : يا أهل الكوفة لامكم الهبل ، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا أناكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة الوسيعة التي لا يمنع فيها الكلب والخنزير ، وحلم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعهم

العطش؟ بثس ما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظم الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه. فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين وقال لهم عمر بن سعد: لو كان الأمر لي لأجبت الحسين إلى ما طلب ولكن أبي علي عبيد الله بن زياد، وقد خاطب أهل الكوفة وأنهم ووبخهم وسبهم، فقال لهم الحر بن يزيد: ويحكم منعم الحسين ونساءه وبناته الماء الفرات الذي يشرب منه اليهود والنصارى ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، فهو كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

قال فتقدم عمر بن سعد وقال لمولاه: يادريد أدن رايتك، فأدناها ثم شمر عمر عن ساعده ورمى بسهم وقال: أشهدوا أنني أول من رمى القوم، قال: فترامى الناس بالنبال، وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله، فقالا: من يبارز؟ فبرز لهما عبيد الله بن عمر الكلبي بعد استئذانه الحسين فقتل يساراً أولاً ثم قتل سالماً بعده، وقد ضربه سالم ضربة أطار أصابع يده اليسرى، وحمل رجل يقال له عبد الله بن حوزة حتى وقف بين يدي الحسين فقال له: يا حسين أبشر بالنار! فقال له الحسين: كلا وبحك إنى أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع، بل أنت أولى بالنار. قالوا: فانصرف فوقصته فرسه فسقط وتعلقت قدمه بالركاب، وكان الحسين قد سأل عنه فقال: أنا ابن حوزة، فرفع الحسين يده وقال: اللهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة وأراد أن يقم عليه الفرس وبينه وبينه نهر، فحالت به الفرس فانقطعت قدمه وساقه ونخذه وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب، وشد عليه مسلم بن عوسجة فضربه فأطار رجله اليمنى، وغارت به فرسه فلم يبق حجر يمر به إلا ضربه في رأسه حتى مات.

وروى أبو مخنف عن أبي جناب قال: كان منار رجل يدعى عبد الله بن نمير من بني عليم، كان قد نزل الكوفة واتخذ داراً عند بئر الجعد من همدان، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط، فرأى الناس يتهيئون للخروج إلى قتال الحسين، فقال: والله لقد كنت على قتال أهل الشرك حريصاً، وإني لأرجو أن يكون جهادي مع ابن بنت رسول الله (س). لهؤلاء أفضل من جهاد المشركين، وأيسر ثواباً عند الله، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما هو عازم عليه، فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك. قال: فخرج بها ليلاً حتى أتى الحسين، ثم ذكر قصة رمى عمر بن سعد بالسهم، وقصة قتله يسار مولى زياد، وسالم مولى ابن زياد، وأن عبد الله ابن عمير استأذن الحسين في الخروج إليهما فنظر إليه الحسين، فرأى رجلاً آدم طويلاً شديداً الساعدين بعيد ما بين المنكبين، فقال الحسين: إني لأحسبه للأقران قتالاً، أخرج إن شئت،

نخرج فقال له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك إلا هو خير منكما ، ثم شد على يسار فكان كأس الزاهب ، فانه لمشتغل به إذ حمل عليه سالم مولى ابن زياد فصاح به صائح قد رهقك العبد ، قال : فلم يفتبه حتى غشيه فضربه على يده اليسرى فأطار أصابعه ، ثم مال على الكعبين فضربه حتى قتله وأقبل يرتجز ويقول :-

إن تنكراني فانا ابن كلبٍ نسبي \* بيتي في عليمٍ حسبي \* إني امرؤ ذومروءةٍ وغضبٍ  
ولست بالخوارٍ عند الكرب \* إني زعيمٌ لك أم وهب \* بالطنن فيهم مقدما والضرب  
\* ضرب غلام مؤمن بالرب \*

فأخذت أم وهب عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداؤك أبي وأمي ، قاتل دون الطيبين ، ذرية محمد عليه السلام ، فأقبل إليها يردّها نحو النساء فأقبلت تجاذبه ثوبه ، قالت : دعني أكون معك ، فزادها الحسين : انصرفي إلى النساء فاجلسي معهن فانه ليس على النساء قتال ، فانصرفت إليهن قال : وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصر في ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم ، وأنهم مستميتون لا عاصم لهم إلا سيوفهم ، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة ، وحمل عمرو بن الحجاج أمير ميمنة جيش ابن زياد . وجعل يقول : قاتلوا من مرق من الدين وفارق الجماعة . فقال له الحسين : ويحك يا حجاج أعليّ تحرض الناس ؟ أمحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه ؟ ستعلمون إذا فارقت أرواحنا أجسادنا من أولى بصلى النار . وقد قتل في هذه الحملة مسلم بن عوسجة ، وكان أول من قتل من أصحاب الحسين فشى إليه الحسين فترحم عليه ، وهو على آخر رمق ، وقال له حبيب بن مطهر : ابشر بالجنة ، فقال له بصوت ضعيف : بشرك الله بالخير . ثم قال له حبيب : لولا أني أعلم أني على أثرك لا حقت لكنت أفضى ما توصى به ، فقال له مسلم بن عوسجة : أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - إلى أن تموت دونه . قالوا : ثم حمل شمر بن ذي الجوشن بليسرة وقصدوا نحو الحسن فدافعت عنه الفرسان من أصحابه دفاعاً عظيماً ، وكافحوا دونه مكافحة بليغة ، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرماة الرجالة ، فبعث إليهم نحواً من خمسمائة ، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فمقروها كلها حتى بقي جميعهم رجالة ، ولما عقروا جواد الحر ابن يزيد نزل عنه وفي يده السيف كأنه ليث وهو يقول :

إن تعقروا بي فانا ابن الحر \* أشجع من ذي لبدٍ هزبر

ويقال إن عمر بن سعد أمر بتقويض تلك الأبنية التي تمنع من القتال من أنى ناحيتها ، فجعل أصحاب الحسين يقتلون من يتعاطى ذلك ، فأمر بتحريقها فقال الحسين : دعوهم يحرقونها فانهم

لله



لا يستطيعون أن يجوزوا منها وقد أحرقت . وجاء شمر بن ذى الجوشن قبحه الله إلى فسطاط الحسين فطعنه برمح - يعنى الفسطاط - وقال : إيتونى بالنار لأحرقه على من فيه ، فصاحت النسوة وخرجن منه ، فقال له الحسين : أحرقتك الله بالنار . وجاء شبيث بن ربعى إلى شمر قبحه الله فقال له : مارأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا ، أتريد أن ترعب النساء ؟ فاستحى وهم بالرجوع وقال حميد بن مسلم : قلت لشمر سبحان الله ! ! إن هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلةين ؟ تعذب بمذاب الله وتقتل الولدان والنساء ؟ والله إن فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك . قال فقال لى : من أنت ؟ قلت : لا أخبرك من أنا - وخشيت أنى إن أخبرته فعرفى أن يسوءنى عند السلطان - .

و شد زهير بن القين فى رجال من أصحاب الحسين على شمر بن ذى الجوشن فأزالوه عن موقفه ، وقتلوا أبا عزة الضبابى - وكان من أصحاب شمر - وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قتل بان فيهم الخلل ، وإذا قتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبين ذلك فيهم لكثرتهم ، ودخل عليهم وقت الظهر فقال الحسين : مروهم فليكفوا عن القتال حتى نصلى ، فقال رجل من أهل الكوفة : إنى لا تقبل منكم ، فقال له حبيب بن مطهر : ويحك !! أتقبل منكم ولا تقبل من آل رسول الله - ؟

وقاتل حبيب قتالاً شديداً حتى قتل رجلاً يقال له بديل بن صريم من بنى عقفان وجعل يقول :

أنا حبيبٌ وأبى مطهرٌ \* فارسٌ هيجاءٌ وحربٌ مسعرٌ  
أنتم أوفرٌ عدةً وأكثرٌ \* ونحن أوفى منكم وأصبرٌ  
ونحن أعلى حجةً وأظهرٌ \* حقاً وأبقى منكم وأظهرٌ

ثم حمل على حبيب هذا رجل من بنى تميم فطعنه فوقه ، ثم ذهب ليقوم فضر به الحصين بن تمير على رأسه بالسيف فوقه ، ونزل إليه التميمى فاحتز رأسه وحمله إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه فعرفه فقال لحامله : اعطنى رأس أبى حتى أدفنه ، ثم بكى . قال : فمكث الغلام إلى أن بلغ أشده ثم لم تكن له همة إلا قتل قاتل أبيه ، قال : فلما كان زمن مصعب بن عمير دخل الغلام عسكر مصعب فاذا قاتل أبيه فى فسطاطه ، فدخل عليه وهو قاتل فضر به بسيفه حتى برد .

وقال أبو مخنف : حدثنى محمد بن قيس قال : لما قتل حبيب بن مطهر هدى ذلك الحسين ، وقال عند ذلك : أحتسب نفسى ، وأخذ الحرّ يرتجز ويقول للحسين :

آليتُ لا تقتلُ حتى أقتلا \* ولن أصابُ اليومُ إلا مقبلاً  
أضربهم بالسيفِ ضرباً مقصلاً \* لانا كلاً عنهم ولا مهملأ

ثم قاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً فكان إذا شد أحدهما حتى استلحم شد الآخر حتى

يخلصه ، فعلا ذلك ساعة ، ثم إن رجالاً شذوا على الحر بن يزيد فقتلوه ، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدواً له . ، ثم صلى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف ، ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً ودافع عن الحسين صناديد أصحابه ، وقاتل زهير بن القين بين يدي الحسين قتالاً شديداً ، ورى بعض أصحابه بالنبل حتى سقط بين يدي الحسين وجعل زهير يرتجز ويقول : -

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ \* أذودكم بالسيفِ عن الحسينِ

قال : وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول :

أقدم هديتَ هادياً مهدياً \* فاليومَ تلقى جدكُ النبيا

وحسناً والمرضى علياً \* وذا الجناحينِ الفتى الكميا

\* وأسدَ اللهَ الشهيدَ الحيا \*

قال : فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه

قال : وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلال الجملي ، وكان قد كتب على فوق نبله فجعل يرمى

بها مسمومة وهو يقول :

أرمى بها معلماً أفواقها \* والنفسُ لا ينفعها شقاقها \* أنا الجملي أنا على دينِ علي .

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد ، سوى من جرح ، ثم ضرب حتى كسرت عضداه ،

ثم أسروه فأتوا به عمر بن سعد فقال له : ويحك يا نافع ، ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ فقال :

إن ربي يعلم ما أردت ، والدماء تسيل عليه وعلى لحيته ، ثم قال : والله لقد قتلت من جندكم اثني عشر

سوى من جرح ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسزتموني . فقال شمر

لعمر : اقله ، قال : أنت جئت به ، فان شئت اقله . فقام شمر فألقى سيفه فقال له نافع : أما والله

يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل مناياتنا على يدي

شرار خلقه . ثم قتله ، ثم أقبل شمر فحمل على أصحاب الحسين وتكاثر معه الناس حتى كادوا أن

يصلوا إلى الحسين ، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم ، وأنهم لا يقدرون على أن

يمنعوا الحسين ولا أنفسهم ، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ، فجاء عبد الرحمن وعبد الله ابنا عذرة

الفغاري ، فقالا : أبا عبد الله عليك السلام ، حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك وندفع

عنك . فقال : مرحباً بكما ، ادنوا مني ، فدنوا منه فجعلوا يقاتلان قريباً منه وهما يقولان :

قد علمتُ حقاً بنو غفار \* وخندف بعدُ بني نزارِ

لنضربنَ معشرَ الفجارِ \* بكلِ عضبِ قاطعِ بنارِ

ياقُمُ ذودوا عن بني الأخيَّارِ \* بالمشرِ في والقنا الخطَّارِ

ثم أتاه أصحابه مثني وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول: جزاكم الله أحسن جزاء المتقين ، فجمعوا يسلمون على الحسين و يقاتلون حتى يقتلوا ، ثم جاء عابس بن أبي شبيب فقال : يا أبا عبد الله ! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ على منك ، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشئ أعزّ على من نفسي ودمي لفعلته ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، اشهد لي أني على هديك . ثم مشى بسيفه صلماً وبه ضربة على جبينه - وكان أشجع الناس - فنادى : الأرجل لرجل ؟ ألا ابرزوا إليّ . فعرّفوه فنكّلوا عنه ، ثم قال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة ، فرمى بالحجارة من كل جانب ، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ، ثم شد على الناس ، والله لقد رأيت يكرد أكثر من مائتين من الناس بين يديه ، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فقتل رحمه الله ، فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوى عدد ، كل يدعى قتله ، فأتوا به عمر بن سعد فقال لهم : لا تختصموا فيه ، فإنه لم يقتله إنسان واحد ، ففرق بينهم بهذا القول

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانوا ولم يبق معه أحد إلا سويد بن عمرو بن أبي مطاع الخثعمي ، وكان أول قتيل قتل من أهل الحسين من بني أبي طالب على الأكبر بن الحسين بن علي ، وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي ، طعنه مرة بن منقذ بن النعمان العبدي فقتله ، لأنه جعل يقي أباه ، وجعل يقصد أباه ، فقال علي بن الحسين :

أنا علي بن الحسين بن علي \* نحن بيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعى \* كيف ترون اليوم ستري عن أبي

فلما طعنه مرة احتوشته الرجال فقطعوه بأسيا فهم ، فقال الحسين : قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على الله وعلى انتباهك محارمه ؟ ! فعلى الدنيا بعديك العفاء . قال : وخرجت جارية كأنها الشمس حسنا فتالت : يا أخياه ويا ابن أخاه ، فإذا هي زينب بنت علي من فاطمة ، فأكبت عليه وهو صريع . قل : فجاء الحسين فأخذ بيدها فأدخلها الفسطاط ، وأمر به الحسين فحوّل من هناك إلى بين يديه عند فسطاطه ، ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل . ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر ، ثم قتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب ، ثم قتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب . قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد ، وكان رامياً ، وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة . جثى على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها على الأرض خمسة أسهم ، فلما فرغ من الرمي قال : قد تبين لي أني قتلت خمسة نفر :

أنا يزيدُ وأنا المهاجر \* أشجعُ من ليث قومي حادُرُ



رب إني للحسين ناصر • ولابن سعد تارك وهاجر

قالوا : ومكث الحسين نهراً طويلاً وحده لا يأتي أحدٌ إليه إلا رجع عنه ، لا يجب أن يلي قتله ، حتى جاءه رجل من بني بداء ، يقال له مالك بن البشير ، فضرب الحسين على رأسه بالسيف فأدمى رأسه ، وكان على الحسين برنس فقطعه وجرح رأسه فامتلاً البرنس دمًا ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربت ، وحشرك الله مع الظالمين . ثم ألقى الحسين ذلك البرنس ودعا بعمامة فلبسها .  
وقال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد . قال : خرج إلينا غلام كأن وجهه فلقة قر في يده السيف وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لنا عمر بن سعد بن نفيل الأزدي : والله لأشدن عليه . فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك . قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم . فقال : والله لأشدن عليه ، فشد عليه عمر بن سعد أمير الجيش ، فضربه وصاح الغلام : ياعماء ، قال : فشد الحسين على عمر بن سعد شدة ليث أعضب ، فضرب عمر بالسيف فاتقاه بالساعد فأطأها من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه ، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين ، فاستقبلت عمر بصدورها وحركت حوافرها ، وجالت بفرسانها عليه ، ثم انجلت الغبرة فاذا بالحسين قائم على رأس الغلام ، والغلام يفحص برجله والحسين يقول : بُعداً لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك . ثم قال : عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا ينفعك ، صوت والله كثروا تره وقل ناصره . ثم احتمله فكأني أنظر إلى رجلى الغلام يخطان في الأرض ، وقد وضع الحسين صدره على صدره ، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه علي الأكبر ومع من قتل من أهل بيته ، فسألت عن الغلام فقيل لي هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وقال هاني بن ثابت الحضرمي : إني لواقف يوم مقتل الحسين عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، وعليه إزار وقميص ، وهو مدعور يلتفت يمينا وشمالا ، فكأني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت ، إذ أقبل رجل يركض فرسه حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ثم أخذ الغلام فقطعه بالسيف . قال هشام السكوني : هاني بن ثابت هو الذي قتل الغلام ، خاف أن يعاب ذلك عليه فكفى عن نفسه  
قال : ثم إن الحسين أعيا فقعد على باب ف طاطه وأتى بصبي صغير من أولاده اسمه عبس الله ، فأجلسه في حجره ، ثم جعل يقبله ويشمه ويودعه ويوصي أهله ، فرماه رجل من بني أسد يقال له « ابن موقد النار » بسهم فذبح ذلك الغلام ، فتلقي حسين دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال : رب

اللهم

إن تك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير ، وانتقم لنا من الظالمين . ورمى عبد الله ابن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضا ، ثم قتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنوا علي بن أبي طالب ، إخوة الحسين . وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر ، بل مانعوه عنه ، فخلص إلى شربة منه ، فرماه رجل يقال له حصين بن عيم بسهم في حنكه فأثبته ، فانزعه الحسين من حنكه ففار الدم فتلقيه بيديه ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دماً ، ثم رمى به إلى السماء وقال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بديداً ، ولا تذر على الأرض منهم أحداً . ودعا عليهم دعاء بليغا .

قال : فوالله إن مكث الرجل الرامي له إلا يسيراً حتى سمب الله عليه الظماً ، فجعل لا يروى ويسقى الماء مبرداً ، ونارة يبرد له اللبن والماء جميعاً ، ويسقى فلا يروى ، بل يقول : ويلكم اسقوني قتلني الظماً . قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انفد بطنه انفداد بطن البعير . ثم إن شمر بن ذى الجوش أقبل في نحو من عشرة من رجالة الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله ، فمشى نحوهم فخالوا بينه وبين رحله ، فقال لهم الحسين : ويلكم ! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا في دنياكم أحراراً وذوي أحساب ، امنعوا رحلي وأهلي من طغانكم وجهالكم ، فقال ابن ذى الجوشن ذلك لك يا ابن فاطمة ، ثم أحاطوا به فجعل شمر يجرضهم على قتله ، فقال له أبو الجنوب : وما يمنعك أنت من قتله ؟ فقال له شمر : إلى تقول ذا ؟ فقال أبو الجنوب : إلى تقول ذا ، فاستبأ ساعة ، فقال له أبو الجنوب - وكان شجاعاً - : والله لقد هممت أن أخضخض هذا السنان في عينك ، فأنصرف عنه شمر

ثم جاء شمر ومعه جماعة من الشجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فسطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه ، فجاء غلام يشتد من الخيام كأنه البدر ، وفي أذنيه درتان ، فخرجت زينب بنت علي لترده فامتنع عليها ، وجاء يحاجف عن عمه فضربه رجل منهم بالسيف فاتقاه بيده فأطنها سوى جلده ، فقال : يا أبتاه ، فقال له الحسين : يا بني احتست أجرك عند الله ، فأنك تلحق بأبائك الصالحين . ثم حمل على الحسين الرجال من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف يمينا وشمالا ، فيتنافرون عنه كتنافر المعزى عن السبع ، وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول : ليت السماء تقع على الأرض ، وجاءت عمر بن سعد فقالت : يا عمر أرضيت أن يقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فتحدت الدموع على لحيته وصرف وجهه عنها ، ثم جعل لا يقدم أحد على قتله ، حتى نادى شمر بن ذى الجوشن : ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل ؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم . فحملت الرجال من كل جانب

على الحسين وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى ، وضرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو ، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوقه ، ثم نزل فذبحه وحز رأسه ، ثم دفع رأسه إلى خولى بن يزيد . وقيل : إن الذي قتله شمر بن ذى الجوشن ، وقيل رجل من منحج ، وقيل عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وليس بشيء ، وإنما كان عمر أمير السرية التي قتلت الحسين فقط . والأول أشهر . وقال عبد الله بن عمار : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه حتى اندغروا عنه ، فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشاً منه ولا أمضى جناحاً منه ، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله . وقال : ودنا عمر بن سعد من الحسين فقالت له زينب : يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فبكى وصرف وجهه عنها . وقال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير عن حميد بن مسلم قال : جعل الحسين يشد على الرجال وهو يقول : أعلى قتلى تحابون ؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عماد الله أسخط عليكم بقتله مني ، وأيم الله إنى أرجو أن يكرمني الله بهو انكم ثم ينتقم الله لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قد قتلته توني لقد ألقى الله بأسمك بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكن كان يتقى بعضهم ببعض دمه ، ويجب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء مؤنة قتله ، حتى نادى شمر بن ذى الجوشن ماذا تنتظرون بقتله ؟ فتقدم إليه زرعة بن شريك التميمي فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرو والنخعي بالرمح ، ثم نزل فاحتر رأسه ودفعه إلى خولى . وقد روى ابن عساکر في ترجمة شمر بن ذى الجوشن ، وذو الجوشن صحابي جليل ، قيل اسمه شرحبيل ، وقيل عثمان بن نوفل ، ويقال ابن أوس بن الأعور العامري الضبابي ، بطن من كلاب ، ويكنى شمر بأبي السابغة . ثم روى من طريق عمر بن شبة : ثنا أبو أحمد حدثني عمي فضيل بن الزبير عن عبد الرحيم بن ميمون عن محمد بن عمرو بن حسن . قال : كنا مع الحسين بنهري كربلاء ، فنظر إلى شمر بن ذى الجوشن فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله (ص) : « كأني أنظر إلى كلب أبقع يبلغ في دماء أهل بيتي » وكان شمر قبحة الله أبرص . وأخذ سنان وغيره سلبه ، وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله ، وما في خبائه حتى ما على النساء من الثياب الطاهرة .

وقال أبو مخنف عن جعفر بن محمد . قال : وجدنا بالحسين حين قتل ثلاثة وثلاثين طعنة ، وأربعة وثلاثين ضربة ، وهم شمر بن ذى الجوشن بقتل على بن الحسين الأصغر « زين العابدين » وهو صغير مريض حتى صرفه عن ذلك حميد بن مسلم أحد أصحابه . وجاء عمر بن سعد فقال : ألا لا يدخلن



على هذه النسوة أحد ، ولا يقتل هذا الغلام أحد ، ومن أخذ من متاعهم شيئا فليرده عليهم ، قال :  
فوالله ما ردَّ أحد شيئا . فقال له علي بن الحسين : جزيت خيرا فقد دفع الله عني بمقاتلتك شرًّا ،  
قالوا : ثم جاء سنان بن أنس إلى باب فسطاط عمر بن سعد فنادى بأعلا صوته :

أَوْ قَرَّ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا \* أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحْجِبِيَا  
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا \* وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَنْسَبُونَ نَسْبَا

فقال عمر بن سعد : أدخلوه علي ، فلما دخل رماه بالسوط وقال : وبمك أنت مجنون ، والله  
لو سمعتك ابن زياد تقبول هذا لضرب عنقك . ومن عمر بن سعد على عقبة بن سميان حين أخبره أنه  
مولى ، فلم ينج منهم غيره . والرفع بن يمانه أسرف من عليه ابن زياد ، وقتل من أصحاب الحسين اثنان  
وسبعمون نفساً ، فدفعهم أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم واحد ، قال : ثم أمر عمر بن سعد  
أن يوطأ الحسين بالخليل ، ولا يصح ذلك والله أعلم . وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون  
نفساً . وروى عن محمد بن الحنفية أنه قال : قتل مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من أولاد فاطمة ،  
وعن الحسن البصري أنه قال : قتل مع الحسين ستة عشر رجلاً كلهم من أهل بيته ، ما على وجه الأرض  
يومئذ لهم شبه . وقال غيره : قتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً ، فمن أولاد  
علي رضي الله عنه جعفر ، والحسين ، والعباس ، ومحمد ، وعثمان ، وأبو بكر . ومن أولاد الحسين علي  
الأكبر وعبد الله . ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة ، عبد الله ، والقاسم ، وأبو بكر بنو الحسن بن علي  
ابن أبي طالب . ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان ، عون ومحمد . ومن أولاد عقيل ، جعفر ، وعبد الله  
وعبد الرحمن ، ومسلم قتل قبل ذلك كما قدمنا . فهؤلاء أربعة لأصلبه ، واثنان آخرا نهما عبد الله بن  
مسلم بن عقيل ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ، فكلوا ستة من ولد عقيل ، وفيهم يقول الشاعر . -

وَأَنْدَبِي تَسَعَةً لَصَلْبِ عَلِيٍّ \* قَدْ أُصِيبُوا وَسْتَةً لِعَقِيلِ

وَسَمِي النَّبِيِّ غَوْدَرَ فِيهِمْ \* قَدْ عَلَوْهُ بِصَارِمٍ مِصْقُولِ

وممن قتل مع الحسين بكر بلاء أخوه من الرضاة عبد الله بن بقطر ، وقد قيل إنه قتل قبل ذلك  
حيث بعث معه كتاباً إلى أهل الكوفة فحمل إلى ابن زياد فقتله . وقتل من أهل الكوفة من أصحاب  
عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى ، فصلى عليهم عمر بن سعد ودفعهم . ويقال إن عمر بن  
سعد أمر عشرة فرسان فداسوا الحسين بحوافر خيولهم حتى الصقوه بالأرض يوم المعركة ، وأمر برأسه  
أن يحمل من يومه إلى ابن زياد مع خولي بن يزيد الأصبحي ، فلما انتهى به إلى القصر وجده مغلقاً  
فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجانة وقال لامرأته نوار بنت مالك : جئتك بعز الدهر ، فقالت :  
وما هو ؟ فقال : برأس الحسين . فقالت : جاء الناس بالذهب والفضة ، وجئت أنت برأس ابن بنت

رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجمعني وإياك فراش أبداً ، ثم نهضت عنه من الفراش ، واستدعى بامرأة له أخرى من بنى أسد فنامت عنده قالت المرأة الثانية الاسديّة : والله ما زلت أرى النور ساطعاً من تلك الاجانة إلى السماء ، وطبوراً أيضاً ترفرف حولها ، فلما أصبح غدابه إلى ابن زياد فأحضره بين يديه ، ويقال إنه كان معه رؤس بقية أصحابه ، وهو المشهور . ومجموعها اثنان وسبعون رأساً ، وذلك أنه ما قتل قتيل إلا احتزوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد ، ثم بعث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية إلى الشام .

قال الامام أحمد : حدثنا حسين ثنا جرير عن محمد بن أنس . قال : أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست فجعل ينكت عليه وقال في حسنه شيئاً ، فقال أنس : إنه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان مخضوباً بالوشمة . ورواه البخاري في المناقب عن محمد بن الحسن بن إبراهيم - هو ابن إشكاب - عن حسين بن محمد عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أنس فذكره . وقد رواه الترمذي من حديث حفصة بنت سيرين عن أنس . وقال : حسن صحيح ، وفيه « فجعل ينكت بقضيب في أنفه ويقول : مارأيت مثل هذا حسناً » . وقال البزار : حدثنا مفرج بن شجاع بن عبيد الله الموصلي ثنا غسان بن الربيع ثنا يونس بن عبيدة عن ثابت وحميد عن أنس . قال : لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه ويقول : لقد كان - أحسبه قال جميلاً - فقلت : والله لأسوء نك « إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله » . قال فانقبض .

تفرد به البزار من هذا الوجه وقال : لا نعلم رواه عن حميد غير يونس بن عبيدة وهو رجل من أهل البصرة مشهور وليس به بأس . ورواه أبو يعلى الموصلي عن إبراهيم بن الحجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس فذكره . ورواه قرّة بن خالد عن الحسن عن أنس فذكره .

وقال أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم . قال : دعاني عمر بن سعد فسرحتني إلى أهله لأبشرهم بما فتح الله عليه وبعاثيته ، فأجد ابن زياد قد جلس للناس ، وقد دخل عليه الوفد الذين قدموا عليه ، فدخلت فيمن دخل . فاذا رأس الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو ينكت فيه بقضيب بين ثناياه ساعة ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنتين ، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله على هاتين الثنتين يقبلهما » ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عتقك اضربت عتقك ، قال : فهض نخرج ، فلما خرج قال الناس : والله لقد قال زيد بن أرقم كلاماً لو سمعه ابن زياد لقتله ، قال : فقلت ما قال ؟ قالوا : مر بنا وهو يقول : ملك عبد عبيداً \* فأتخذهم تليداً \* أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ، وسيتعبد شراركم ، فبعداً لمن رضى بالذل . وقد روى من طريق أبي داود بإسناده عن زيد بن أرقم بنحوه .



ورواه الطبراني من طريق ثابت عن زيد .

وقد قال الترمذى : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير . قال : لما جرى برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه فنصبت في المسجد في الرحبة فاتميت إليهم وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فاذا حية قد جاءت تتخلل الرأس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد ، فكثت هنيهة ثم خرجت ، فذهبت حتى ، تغيب ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . ثم قال الترمذى : حسن صحيح .

وأمر ابن زياد فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين الذي أراد أن يسلبهم الملك ويفرق الكلمة عليهم ، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقال : ويحك يا ابن زياد ! تقتلون أولاد النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين ! فأمر به ابن زياد فقتل وصلب . ثم أمر برأس الحسين فنصب بالكوفة وطيف به في أزقتها ، ثم سيره مع زحر بن قيس ومعه رؤس أصحابه إلى يزيد بن معاوية بالشام ، وكان مع زحر جماعة من الفرسان ، منهم أبو بردة بن عوف الأزدي : وطارق بن أبي ظبيان الأزدي ، فخرجوا حتى قدموا بالرؤس كلها على يزيد بن معاوية . قال هشام : فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجرشى من حمير . قال : والله إني لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس فدخل على يزيد ، فقال له يزيد : ويحك ما وراءك ؟ فقال أبشريا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره ، ورد علينا الحسين بن علي بن أبي طالب وثمانية عشر من أهل بيته ، وستون رجلا من شيعته ، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاخترأوا القتال ، فغدونا إليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من ظلم القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولا وزر ، ويلوذون منا بالأكام والحفر ، لو آذنا كما لاذ الحمام من صقر ، فوالله ما كانوا إلا حزر جزور ، أو نومة قائل ، حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة ، وثيابهم منملة ، وخدودهم مَعْفرة ، تصهرم الشمس وتسفي عليهم الريح ، وازرهم العقبان والرخم . قال : فدمعت عينا يزيد بن معاوية وقال : كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين بن علي بن الله ابن صمية ، أما والله لو أنى صاحبه لعفوت عنه ، ورحم الله الحسين . ولم يصل الذي جاء برأسه بشيء . وذا وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال : أما والله لو أنى صاحبك ماقتلك ، ثم أنشد قول الحسين بن الحمام المرى الشاعر

يفلقن هاما من رجالٍ أعزّة \* علينا وهم كانوا أعق وأظما

لله

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جعفر العباسي قال : وقام يحيى بن الحكم - أخو مروان بن الحكم - فقال : -  
 لهم بجنب الطف أدنى قرابة \* من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل  
 سمية أضحي نسلها عدد الحصى \* وليس لآل المصطفى اليوم من نسل  
 قال : فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال له : اسكت ، وقال محمد بن حميد الرازي -  
 وهو شيعي - : ثنا محمد بن يحيى الأحمري ثنا لبث عن مجاهد قال ، لما جئ برأس الحسين فوضع  
 بين يدي يزيد تمثل بهذه الأبيات : -

ليت أشياخي بيد شهدوا \* جزع الخزر ج في وقع الأسل  
 فأهلوا واستهلوا فرحاً \* ثم قالوا لي هنياً لا تسل  
 حين حكنا بفناء بركا \* واستحز القتل في عبد الأسل  
 قد قتلنا الضعف من أشرافكم \* وعدلنا ميل بدر فاعتدل<sup>(١)</sup>

قال مجاهد : نافع فيها ، والله ثم والله ما بقي في جيشه أحد إلا تركه أي ذمه وعابه .

وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ، على  
 قولين ، الأظهر منهما أنه سيره إليه ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فالله أعلم . وقال أبو مخنف عن  
 أبي حمزة الثمالي عن عبد الله اليماني عن القاسم بن بخيت ، قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي  
 يزيد بن معاوية جعل ينكت بقضيب كان في يده في ثغره ، ثم قال : إن هذا وإيانا كما قال الحصين  
 ابن الحمام المري : -

يفلقن هاماً من رجال أعزة \* علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

فقال له أبو برزة الأسلمي : أما والله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذاً لقد رأيت رسول الله (ص) ، برشفه ،  
 ثم قال : ألا إن هذا سيجي يوم القيامة وشفيعه محمد ، وتجيء وشفيعك ابن زياد . ثم قام فولى . وقد  
 رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الوليد عن خالد بن يزيد بن أسد عن عمار الدهني عن جعفر . قال :  
 لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو برزة وجعل ينكت بالقضيب فقال له : « ارفع  
 قضيبك فلقد رأيت رسول الله (ص) ، يلثمه » . قال ابن أبي الدنيا : وحدثني مسلمة بن شبيب عن  
 الحميدي عن سفيان سمعت سالم بن أبي حفصة قال قال الحسن : لما جئ برأس الحسين جعل يزيد  
 (١) بالهامش : لا يتصور أن يكون يزيد قد تمثل بهذه الأبيات هذه الأيام ، فان المؤرخين  
 قاطبة ذكروا أنه تمثل بها لما جاءه خبر وقعة الحرة بالمدينة الشريفة ، وقتل الأنصار ، ووقعة الحرة  
 بعد هذه كما ستراه . وأيضاً فان قضية الحسين رضي الله عنه لم يكن حاضرها أحد من الخزر ج ، يعلم  
 ذلك من الألمان بالأخبار وأيام الناس والله أعلم .

يطمن بالتضييب ، قال سفيان وأخبرت أن الحسين كان ينشد على إثر هذا : -

ميمية أمسى نسلها عدد الحصى \* وبنث رسول الله ليس لها نسل

وأما بقية أهله ونسائه فان عمر بن سعد وكل بهم من يجرسهم ويكلوهم ، ثم أركبهم على الرواحل في الهوادج ، فلما مروا بمكات المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين هناك بكنه النساء ، وصرخن ، وندبت زينب أباها الحسين وأهلها ، فقالت وهي تبكي :

يا محمداه ، يا محمداه \* صلى عليك الله \* وملك السماء \* هذا حسين بالعراه \* مزمل بالدماء ، مقطع الأعضاء يا محمداه \* وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة ، أسفى عليها الصبا . قال فأبكت والله كل عدو وصديق .

قال قره بن قيس لما مرت النسوة بالقتلى صحن ولطمن خدودهن ، قال : فما رأيت من منظر من نسوة قط أحسن منظر رأيت منهن ذلك اليوم ، والله إنهن لأحسن من مهايرين . وذكر الحديث كما تقدم ثم قال : ثم ساروا بهم من كر بلاء حتى دخلوا الكوفة فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم النفقات والكساوى وغيرها ، [ قال : ودخلت زينب ابنة فاطمة فى أزدل ثيابها قد تنكرت وحفت بها إماؤها ، فلما دخلت على عبيد الله بن زياد قال : من هذه ؟ فلم تكلمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة ، فقال : الحمد لله الذى فضحك وقتلكم وكذب أحد وثنكم . فقالت : بل الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر . قال : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتكم ؟ فقالت : كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجونك إلى الله . فغضب ابن زياد واستشاط ، فقال له عمرو بن حريث : أصلح الله الأمير ! إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشئ من منطقتها ؟ إنها لا تؤاخذ بما تقول ولا تلام على خطئ .

وقال أبو مخنف عن المجالد عن سعيد : إن ابن زياد لما نظر إلى على بن الحسين « زين العابدين » قال لشرطى : انظر أدرك هذا الغلام ، فان كان أدرك فانطلقوا به فاضربوا عنقه ؟ فكشف إزاره عنه فقال : نعم ! فقال : اذهب به فاضرب عنقه ، فقال له على بن الحسين : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابث معهن رجلاً يحافظ عليهن ، فقال له ابن زياد : تعال أنت ! فبعته معهن . قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبي راشد فحدثني عن حميد بن مسلم قال : إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه على بن الحسين ، فقال له ما اسمك ؟ قال : أنا على بن الحسين ، قال : أو لم يقتل الله على ابن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد . مالك لا تتكلم ؟ قال : كان لى أخ يقال له على أيضاً قتله

الناس . قال : إن الله قتله ، فسكت ، فقال : مالك لا تتكلم ؟ فقال ( الله يتوفى الأنفس حين موتها )  
( وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله ) قال : أنت والله منهم ، ويحك !! انظروا هذا أدرك ؟  
والله إني لأحسبه رجلاً ، فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتله ،  
فقال علي بن الحسين : من يوكل بهذه النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمنه فقالت : يا ابن زياد حسبك  
منا ما فعلت بنا ، أما رويت من دماننا ؟ وهل أبقيت منا أحداً ؟ قال : واعتنقته وقالت : أسألك  
بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه ، وناداه علي فقال : يا ابن زياد !! إن كان بينك وبينهم  
قربة فابعث معهم رجلاً تقياً يصحبهم بصحبة الاسلام . قال : فنظر إليهم ساعة ثم نظر إلى القوم  
فقال : عجبا للرحم !! والله إني لأظن أنها وددت لو أتى قتلته أن أقتلها معه ، دعوا الغلام ، انطلق مع  
نسائك . قال : ثم إن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبياناه وبناته فجهزن إلى يزيد ، وأمر بعلي بن  
الحسين فغل بغل إلى عنقه ، وأرسلهم مع محقر بن ثعلبة العائذي - من عائذة قريش - ومع شمر بن  
ذى الجوشن قبجه الله ، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية رفع محقر بن ثعلبة صوته فقال : هذا محقر بن  
ثعلبة ، أنى أمير المؤمنين باللثام الفجرة ، فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدت أم محقر شر وأأم [ (١) ] .  
فلما دخلت الرؤس والنساء على يزيد دعا أشراف الشام فأجلسهم حوله ، ثم دعا بعلي بن الحسين  
وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلن عليه والناس ينظرون ، فقال لعلي بن الحسين : يا علي أبوك قطع  
رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت . فقال علي : [ ما أصاب من مصيبة  
في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب ] فقال يزيد لابنه خالد : أجبه . قال : فسادى خالد ما يرد  
عليه ، فقال له يزيد : قل [ ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ] فسكت عنه  
ساعة ثم دعا بالنساء والصبيان فرأى هيئة قبيحة ، فقال : قبح الله بن مرجانة ، لو كانت بينهم وبينه  
قربة ورحم ما فعل هذا بهم ، ولا بعث بكم هكذا .

وروى أبو مخنف عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي قالت : لما أجلسنا بين يدي يزيد  
رق لنا وأمر لنا بشيء وألطفنا ، ثم إن رجلاً من أهل الشام أحر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين  
هب لي هنة - يعني - وكنت جارية وضيئة ، فارتعدت فزعة من قوله ، وظننت أن ذلك جائز لهم ،  
فأخنت بثياب أختي زينب - وكانت أكبر مني وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز - فقالت  
لذلك الرجل : كذبت والله ولؤمت ، ما ذلك لك وله : ففضب يزيد فقال لها : كذبت ! والله إن  
ذلك لي ، ولو شئت أن أفعله لفعلت . قالت : كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من  
ملتنا وتدين بغير ديننا . قالت : فضب يزيد واستطار ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من

(١) سقط من المصرية

الدين أبوك وأخوك ، فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك . قال : كذبت يا عدوة الله . قالت : أنت أمير المؤمنين مسلط تشتم ظلماً وتقهر بسططانك . قالت : فوالله لكأنه استحي فسكت ، ثم قام ذلك الرجل فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه . فقال له يزيد : اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً . ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يبعث معهم إلى المدينة رجلاً أميناً معه رجال وخيل ، ويكون على بن الحسين معهم . ثم أنزل النساء عند حريمه في دار الخلافة فاستقبلهن نساء آل معاوية يبكين وينحن على الحسين ، ثم أقمن المناحة ثلاثة أيام ، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا ومعه على بن الحسين وأخوه عمر بن الحسين ، فقال يزيد يوماً لعمر بن الحسين - وكان صغيراً جداً - أتقاتل هذا ؟ - يعني ابنه خالد بن يزيد - يريد بذلك ممازحته وملاعبته ، فقال : اعطني سكيناً واعطه سكيناً حتى نتقاتل ، فأخذه يزيد فضمه إليه وقال : شَنْشِينَةٌ أعرفها من أخزم ، هل تلد الحية إلا حية ؟

ولما ودعهم يزيد قال لعلي بن الحسين : قبح الله بن سمية ، أما والله لو أتى صاحب أبيك ما سألتني خصلة إلا أعطيتها إياها ، ولدفت الحنف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيت ، ثم جهزه وأعطاه مالا كثيراً وكساحم وأوصى بهم ذلك الرسول ، وقال له : كاتبني بكل حاجة تكون لك ، فكان ذلك الرسول الذي أرسله معهم يسير عنهم بمعزل من الطريق ، ويبعد عنهم بحيث يدركن طرفه وهو في خدمتهم حتى وصلوا المدينة ، فقالت فاطمة بنت علي : قلت لأختي زينب : إن هذا الرجل الذي أرسل معنا قد أحسن صحبتنا فهل لك أن نصله ؟ فقالت : والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا ، قالت وقلت لها : نعطيه حلينا ، قالت : فأخذت سوارى ودماجى ، وأخذت أختي سوارها ودملجها وبعثنا به إليه واعتدنا إليه وقلنا : هذا جزاؤك بحسن صحبتك لنا ، فقال : لو كان الذي صنعت معكم إنما هو للدنيا كان في هذا الذي أرسلتموه ما يرضيني وزيادة ، ولكن والله ما فعلت ذلك إلا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله - .

وقيل إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال : أتدرون من أين أتى ابن فاطمة ؟ وما الحامل له على ما فعل ، وما الذي أوقعه فيها وقع فيه ؟ قالوا : لا ! قال : يزعم أن أباه خير من أبي ، وأمه فاطمة بنت رسول الله - . خير من أمي ، وجدته رسول الله خير من جدتي ، وأنه خير مني وأحق بهذا الأمر مني ، فأما قوله أبوه خير من أبي فقد حاج أبي أباه إلى الله عز وجل ، وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما قوله أمه خير من أمي فلمعري إن فاطمة بنت رسول الله - . خير من أمي ، وأما قوله جدته رسول الله خير من جدتي ، فلمعري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله فينا عدلاً ولا ندأ ، ولكنه إنما أتى من قلة فقهم لم يقرأ [ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتترع الملك ممن

تشاء وتمز من تشاء وتذل من تشاء [ الآية ، وقوله تعالى ] والله يؤتى ملكه من يشاء . فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين - وكانت أكبر من سكينه - يا يزيد ! بنات رسول الله (ص) ، سبايا . فقال يزيد : يا بنت أخي ، أنا لهذا كنت أكره . قالت قلت والله ما تركوا لنا خرصاً ، فقال : ابنة أخي ! ما أتى إليك أعظم مما ذهب لك . ثم أدخلهن داره ثم أرسل إلى كل امرأة منهن ما إذا أخذ لك ؟ فليس منهن امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لها .

وقال هشام عن أبي مخنف : حدثني أبو حمزة الثمالي عن عبد الله الثمالي عن القاسم بن نجيب . قال : لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرم ، وهذه الرؤس والسبايا ، فوثب مروان وانصرف ، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال : ما صنعتم ؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه ، فقال لهم : حجتهم عن محمد (ص) . يوم القيامة ، لن أجامعكم على أمر أبداً ، ثم قام فانصرف . قال : ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بني هاشم ونحن عليه . وروى أن يزيد استشار الناس في أمرهم فقال رجال ممن قبحهم الله : يا أمير المؤمنين لا يتخزن من كلب سوء جروا ، اقتل على ابن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد ، فسكت يزيد فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله (ص) ، لورآهم على هذه الحال . فرق عليهم يزيد وبعث بهم إلى الحمام وأجرى عليهم الكساوى والعطايا والاطعمة ، وأنزلهم في داره

وهذا برد قول الرافضة : إنهم حملوا على جنائب الابل سبايا عرايا ، حتى كذب من زعم منهم أن الابل البخاتي إنما نبتت لها الأسنان من ذلك اليوم لتستر عوراتهن من قبلهن ودبرهن . ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد أمير الحرمين يبشره بمقتل الحسين ، فأمر منادياً فنادى بذلك . فلما سمع نساء بني هاشم ارتفعت أصواتهن بالبكاء والنوح ، فجعل عمرو بن سعيد يقول : هذا يبكاء نساء عثمان بن عفان . وقال عبد الملك بن عمير : دخلت على عبيد الله بن زياد وإذا رأس الحسين بن علي بين يديه على ترس ، فوالله ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبي عبيد وإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على ترس ، ووالله ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على عبد الملك بن مروان وإذا رأس مصعب بن الزبير على ترس بين يديه .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه : حدثني زكريا بن يحيى الضرير ثنا أحمد بن خباب المصيصي ثنا خالد بن يزيد عن عبد الله القسري ثنا عمار الدهني قال : قلت لأبي جعفر : حدثني عن مقتل الحسين كأي حضرة ، فقال : أقبل الحسين بكتاب مسلم بن عقيل الذي كان قد كتبه إليه بأمره

فيه بالتقدم عليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاث أميال ، لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له : أين تريد ؟ فقال : أريد هذا المصر ، فقال له : ارجع فاني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه ، فهمّ الحسين أن يرجع ، وكان معه أخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا من قتل أخانا أو نقتل . فقال : لاخير في الحياة بكم ، فسار فلقية أوائل خيل ابن زياد ، فلما رأى ذلك عاد إلى كربلاء فأمسد ظهره إلى قصيتنا وحلفنا ليقاتل من جهة واحدة . فقتل وضرب أبنيته وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاءه بن زياد الرى وعهد إليه عهده ، فقال : اكفى هذا الرجل واذهب إلى عمك ، فقال : اعفنى . فأبى أن يعفيه ، فقال : أنظرني الليلة ، فأخبره فنظر في أمره ، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمره به ، فتوجه إليه عمر بن سعد فلما أتاه قال له الحسين : اختر واحدة من ثلاث ، إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت ، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور . فقبل ذلك عمر ، فكتب إليه عبيد الله ابن زياد لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي ، فقال الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً . فقاتله قتل أصحاب الحسين كلهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته ، وجاءه سهم فأصاب ابناً له في حجره فجعل يمسح الدم ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا ، ثم أمر بحجرة فشقها ثم لبسها وخرج بسيفه فقاتل حتى قتل ، قتله رجل من مذحج وحز رأسه فانطلق به إلى ابن زياد وقال في ذلك :-

أوقرّ ركابي فضةً وذهبا \* فقد قتلتُ الملكَ المحجبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أمأً وأبا \* وخيرهم إذ ينسبون نسباً

قال فأوفده إلى يزيد بن معاوية فوضع رأسه بين يديه ، وعنده أبو برزة الأسلمي ، فجعل يزيد

ينكت بالقضيب على فيه ويقول :-

يفلّقنّ هاماً من رجالٍ أعزةٍ \* علينا وهم كانوا أعقّ وأظلاما

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيت رسول الله (ص) ، واضعاً فيه على فيه يلثمه . قال : وأرسل عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى ابن زياد ، ولم يكن بقي من آل الحسين إلا غلام ، وكان مريضاً مع النساء ، فأمر به ابن زياد ليقتل فطرحت زينب نفسها عليه وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلوني ، فرق لها وكف عنه ، قال : فأرسلهم إلى يزيد فجمع يزيد من كان بحضرته من أهل الشام ثم دخلوا عليه فهنّوه بالفتح ، فقام رجل منهم أحمر أزرق - ونظر إلى وصيفة من بناته - فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه ، فقالت زينب : لا ولا كرامة لك ولا له ، إلا أن تخرجنا من دين الله ، قال : فأعادها الأزرق فقال له يزيد : كف عن هذا . ثم أدخلهم على عياله ، ثم حملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كُمها على رأسها تتلقاهم وهي تبكي ،

وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم • ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعتروني وبأهلي بعد مفتقدى • منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم • أن تخلفوني بسوء في ذوى رحم

وقد روى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود أن بنت عقيل هي التي قالت هذا الشعر، وهكذا حكى الزبير بن بكار أن زينب الصغرى بنت عقيل بن أبي طالب هي التي قالت ذلك حين دخل آل الحسين المدينة النبوية. وروى أبو بكر بن الأباري بإسناده أن زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة - وهي زوج عبد الله بن جعفر أم بنيه - رفعت سجف خباثتها يوم كربلاء يوم قتل الحسين وقالت هذه الأبيات فآله أعلم. وقال هشام بن الكلبي: حدثني بعض أصحابنا عن عمرو بن المقدام قال: حدثني عمر بن عكرمة قال: أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة فإذا مولاة لنا تمدتنا قالت: سمعت البارحة منادياً ينادى وهو يقول:

أيها القاتلون ظلماً حسيناً • أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم • من نبي ومالك وقبيل

لقد لعنتم على لسان بن داود • وموسى وحامل الأنجيل

قال ابن هشام: حدثني عمرو بن حيزوم الكلبي عن أمه قالت: سمعت هذا الصوت، وقال الليث وأبو نعيم يوم السبت. وما أنشده الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيره لبعض المتقدمين في مقتل الحسين

جاؤا برأسك يا ابن بنت محمد • متزماً بدهائه تزيلاً

وكأنما بك يا ابن بنت محمد • قتلوا جهراً عامدين رسولا

قتلوك عطشانا ولم يتدبروا • في قتلك القرآن والتزيلاً

ويكبرون بأن قتلنا وإنما • قتلوا بك التكبير والتزيلاً

فضيحة

وكان مقتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة، يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين. وقال هشام بن الكلبي، سنة ثنتين وستين، وبه قال علي بن المديني. وقال ابن لهيعة: سنة ثنتين أو ثلاث وستين. وقال غيره سنة ستين. والصحيح الأول. بمكان من الطائف يقال له كربلاء من أرض العراق وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها، وأخطأ أبو نعيم في قوله: إنه قتل وله من العمر خمس أو ست وستون سنة

تاريخ نهجيات



شہادت کی خبر

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة - يعني ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال : « استأذن ملك القطر أن يأتي النبي (س) ، فأذن له ، فقال لأم سلمة : احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسين بن علي فوثب حتى دخل ، فجعل يصعد علي منكب النبي (س) ، فقال الملك : أتجبه ؟ قال : نعم : فقال : إن أمتك تقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه ، قال : فضرب بيده فأراه ترابا أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرتة في طرف ثوبها » . قال : فكنا نسمع أنه يقتل بكر بلاء \* وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع حدثني عبد الله ابن سعيد عن أبيه عن عائشة - أو أم سلمة - أن رسول الله (س) قال : « لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل قبلها ، فقال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها ، قال : فأخرج تربة حمراء » . وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أم سلمة . ورواه الطبراني عن أبي أمامة وفيه قصة أم سلمة . ورواه محمد بن سعد عن عائشة بنحو رواية أم سلمة والله أعلم . وروى ذلك من حديث زينب بنت جحش ولبابة أم الفضل امرأة العباس . وأرسله غير واحد من التابعين .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا محمد بن هارون أبو بكر ثنا إبراهيم بن محمد الرقي وعلي بن الحسن الرازي قالا : ثنا سعيد بن عبد الملك أبو واقد الحراني ثنا عطاء بن مسلم ثنا أشعث بن سحيم عن أبيه قال سمعت أنس بن الحارث يقول سمعت رسول الله (س) يقول : « إن ابني - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلاء ، فمن شهد منكم ذلك فلينصره » . قال : فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين ، قال : ولا أعلم رواه غيره . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ثنا شراحيل بن مدرك عن عبد الله بن يحيى عن أبيه أنه سار مع علي - وكان صاحب مطهرته - فلما جاؤا نينوى وهو منطلق إلى صفين ، فنادى علي : اصبر أبا عبد الله ، اصبر أبا عبد الله ، بشط الفرات قلت : وماذا تريد ؟ قال : « دخلت علي رسول الله (س) ذات يوم وعيناه تفيضان فقلت : ما أبكاك يا رسول الله ؟ قال : بلي قام من عندي جبريل قبل ، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات ، قال فقال : هل لك أن أشمك من تربته ؟ قال : فدیده قبض قبضة من تراب فأعطا نبيها فلم أملك عيني أن طأنا » . تفرد به أحمد .

وروى محمد بن سعد عن علي بن محمد عن محمد بن يحيى بن زكريا عن رجل عن عامر الشعبي عن علي مثله . وقد روى محمد بن سعد وغيره من غير وجه عن علي بن أبي طالب أنه مرّ بكر بلاء عند أشجار الخنظل وهو ذاهب إلى صفين ، فسأل عن اسمها فقيل كربلاء ، فقال : كرب وبلاء ، فنزل وصلى عند شجرة هناك ثم قال : يقتل هنا شهداء هم خير الشهداء خير الصحابة ، يدخلون الجنة بغير حساب .

- وأشار إلى مكان هناك - فعلموه بشئ قتل فيه الحسين . وقد روى عن كعب الأخبار آثاره  
 كربلاء وقد حكى أبو الجنباب الكلبي وغيره أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجن على  
 الحسين وهن يقرن : -

مسح الرسول جبينه \* فله بريق في الخدود  
 أبواه من عليا قريش \* جده خير الجدود

وقد أجابهم بعض الناس فقال : -

خرجوا به وفداً إليه فهم له شر الوفود  
 قتلوا ابن بنت نبيهم \* سكنوا به ذات الخدود

وروى ابن عساكر أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم فوجدوا في كنيسة مكتوباً  
 أترجو أمة قتلت حسيناً \* شفاعته جده يوم الحساب ؟

فسألوهم : من كتب هذا ؟ فقالوا : إن هذا مكتوب ههنا من قبل مبعث نبيكم بثلاثمائة سنة .  
 وروى أن الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والزأس معهم ، فبرز لهم قلم من حديد فرسم  
 لهم في الحائط بدم هذا البيت

أترجو أمة قتلت حسيناً \* شفاعته جده يوم الحساب ؟

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن وعفان ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن  
 عباس . قال : « رأيت رسول الله (ص) في المنام نصف النهار أشعث أغبر ، معه قارورة فيها دم ،  
 قتلت : بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم . قال  
 عمار : فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم . تفرد به أحمد وإسناده قوى .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عبد الله بن محمد بن هاني أبو عبد الرحمن النحوي ثنا مهدي  
 ابن سليمان ثنا علي بن زيد بن جدعان . قال : استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال : قتل  
 الحسين والله ، فقال له أصحابه : لم يا ابن عباس ؟ فقال : « رأيت رسول الله (ص) ومعه زجاجة من  
 دم فقال : أتعلم ما صنعت أمتي من بعدى ؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله .  
 فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه ، وتلك الساعة ، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر  
 بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة . وروى الترمذي عن أبي سعيد الأشج عن أبي خالد  
 الأحمر عن رزين عن سلمي قالت : دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قالت :  
 رأيت رسول الله (ص) وعلى رأسه ولحيته التراب ، فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : « شهدت  
 قتل الحسين آنفاً »

غول کا نوح

ضوء کربلا

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أنبأنا قرّة بن خالد أخبرني عامر بن عبد الواحد عن شهر بن حوشب قال : إنا لعند أم سلمة زوج النبي (ص) فسمعنا صارخة فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة فقالت : قتل الحسين . فقالت : قد فعلوها ، ملأ الله قبورهم - أو بيوتهم - عليهم ناراً ، ووقعت مفشياً عليها ، وقنا . وقال الامام أحمد : حدثنا عبيد الرحمن بن مهدي ثنا ابن مسلم عن عمار قال : سمعت أم سلمة قالت : سمعت الجن يبكين على الحسين وسمعت الجن تنوح على الحسين . رواه الحسين بن إدريس عن هاشم بن هاشم عن أمه عن أم سلمة قالت : سمعت الجن ينحن على الحسين وهن يقلن .

أبها القاتلون جهلاً حسيناً \* أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم • ونبي ومرسل وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود • وموسى وصاحب الأنجيل

وقد روى من طريق أخرى عن أم سلمة بشعر غير هذا فالله أعلم .

وقال الخطيب : أنبأنا أحمد بن عثمان بن ساج السكر . ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم السامعي ثنا محمد بن شداد المسمعي ثنا أبو نعيم ثنا عبيد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : « أوحى الله تعالى إلى محمد إني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، وأنا قاتل بابل بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » . هذا حديث غريب جداً ، وقد رواه الحاكم في مستدرکه . وقد ذكر الطبراني ههنا آثاراً غريبة جداً ، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء ، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا ، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد نخته دم ، وأن أرجاء السماء احمرت ، وأن الشمس كانت تطلع وشماعها كأنه الدم ، وصارت السماء كأنها علقة ، وأن السكاكب ضرب بعضها بعضاً ، وأمطرت السماء دماً أحمر ، وأن الحرة لم تكن في السماء قبل يومئذ ، ونحو ذلك . وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل المعافري أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر ، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الامارة جعلت الحيطان تسيل دماً ، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام ، ولم يمض زعفران ولا ورس (١) بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه ، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر نخته دم عبيط ، وأن الأبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم . إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعية التي لا يصح منها شيء .

وأما ما روى من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح ، فانه قل من نجا من

(١) كذا بالأصل ولعلها : مما .

أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض، وأكثرتهم أصابهم الجنون. وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة، وفيما ذكرنا كفاية، وفي بعض ما أوردناه نظر، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين في هذا الشأن ممن بعده والله أعلم.

وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدباب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويُنذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشاً. ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتاتك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في دولتهم.

وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويقتلون ويتطيبون ويلبسون أفرثيابهم ويتخذون ذلك اليوم عيداً يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم وقد تناول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتواعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى مسائل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها، فإذا ذمت طائفة من الجبارين تدم الأئمة كلها بكاملها وتتهم على نبيها، فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأئمة قدما وحديثا كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة.

فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون من الدنيا وآخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرغبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه. وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبراً عن

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

نفسه بذلك . وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو ، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله أعلم

فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله رضى الله عنه ، فانه من سادات المسلمين ، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله (س) ، التي هي أفضل بناته ، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً ، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذى لعل أكثره تصنع ورياء ، وقد كان أبوه أفضل منه قتل ، وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين ، فان أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين ، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة ، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذى الحجة سنة ست وثلاثين ، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي ، قتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً ، ورسول الله (س) سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين . ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة ، مثل كسوف الشمس والحرة التي تطلع في السماء وغير ذلك

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله (س) أنه قال : « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدا فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها » . رواه الامام أحمد وابن ماجه .

### واما قبر الحسين رضى الله عنه

فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه في مشهد علي . يمكن من الطف عند نهر كربلاء ، فيقال إن ذلك المشهد مبنى على قبره فانه أعلم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عنى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر . وقد كان أبو نعيم ، الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . وذكر هشام بن الكلبي أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضةً ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال : بأبي أنت وأمي ، ما كان أطيبك وأطيب تربتك ! ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه \* فطيب تراب القبر دل على القبر .



## وأما رأس الحسين رضي الله عنه

فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندى أن الأول أشهر فالله أعلم . ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع ، وذكر ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح - وهما ضعيفان - أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي فأخذ من خزائنه فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثاني . وذكر ابن عساکر في تاريخه في ترجمته رأياً حاضنة يزيد بن معاوية ، أن يريد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبيرى يعنى قوله : -

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدِي شَهَدُوا \* جَزَعُ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع في خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جئ به إليه ، وقد بقى عظماً أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسوودة - يعنى بنى العباس - نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساکر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة فالله أعلم وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربع مائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة ، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر ، الذي يقال له تاج الحسين ، بعد سنة خمسمائة . وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك لطلان ما ادعوه من النسب الشريف ، وهم في ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء ، في دولتهم في حدود سنة أربع مائة ، كما سنين ذلك كله إذا انتهينا إليه في مواضعه إن شاء الله تعالى . قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فاتهم جاؤا برأس فوضعه في مكان هذا المسجد المذكور ، وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك والله أعلم

فَضَّلْنَاكَ

شيء من فضائله

روى البخارى من حديث شعبة ومهدى بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب سمعت ابن أبي نعيم

ﷺ

قال : سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الذباب فقال : أهل العراق يسألون عن قتل الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله (س) ، وقد قال رسول الله (س) : « هما ریحائتاى من الدنيا » . ورواه الترمذی عن عقبه بن مکرم عن وهب بن جریر عن ابنه عن محمد بن أبي يعقوب به نحوه : أن رجلا من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب ، فقال ابن عمر : أنظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت محمد (س) . وذكر تمام الحديث . ثم قال : حسن صحيح . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن أبي الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال قال رسول الله (س) : « من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » - يعني حسنا وحسينا - . وقال الامام أحمد : حدثنا تميم بن سليمان كوفي ثنا أبو الحجاج عن أبي حازم عن أبي هريرة . قال : « نظر النبي (س) إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سلمكم » . تفرد بهما الامام أحمد . وقال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير ثنا حجاج - يعني ابن دينار - عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة . قال : « خرج علينا رسول الله (س) ، ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه الواحد ، وهذا على عاتقه الآخر ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة ، حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل يا رسول الله ! والله إنك لتحبهما ، فقال : من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » . تفرد به أحمد . وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عقبه بن خالد حدثني يوسف بن إبراهيم التميمي أنه سمع أنس بن مالك يقول : سئل رسول الله (س) : أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » . قال : وكان يقول « ادع لي ابني فيشهما ويضمهما إليه » . وكذا رواه الترمذی عن أبي سعيد الأشج به ، وقال : حسن غريب من حديث أنس . وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر وعفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس . أن رسول الله (س) ، « كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ، [ إنما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً ] ورواه الترمذی عن عبد بن حميد عن عفان به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة .

وقال الترمذی : حدثنا محمود بن غيلان ثنا أبو أسامة عن فضيل بن مرروق عن عدي عن ثابت عن البراء أن رسول الله (س) ، « أبصر حسنا وحسينا فقال : اللهم إني أحبهما فأحبهما » : ثم قال : حسن صحيح وقد روى الامام أحمد عن زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد وأهل السنن الأربعة من حديث الحسين بن واقد عن بريدة عن أبيه . قال : « كان رسول الله (س) ، يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران ، يمشیان ويعثران ، فنزل رسول الله (س) ، عن المنبر

فحملها فوضعها بين يديه ثم قال : صدق الله ، ( إنما أموالكم وأولادكم فتنة ) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما . وهذا لفظ الترمذی ، وقال غريب لانعرفه إلا من حديث الحسن بن واقد . ثم قال : حدثنا الحسين بن عرفة ثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيده بن راشد عن يعلى بن مرة . قال قال رسول الله (س) : « حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط » . ثم قال الترمذی . هذا حديث حسن . ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن عبد الله بن عثمان بن خيثم به . ورواه الطبرانی عن بكر بن سهل عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح بن راشد بن سعد عن يعلى بن مرة أن رسول الله (س) قال : « الحسن والحسين سبطان من الأسباط » . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا سفیان عن يزيد بن أبي زياد عن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري . قال : قال رسول الله (س) : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ورواه الترمذی من حديث سفیان الثوري وغيره عن يزيد بن أبي زياد ، وقال : حسن صحيح . وقد رواه أبو القاسم البغوي عن داود بن رشيد عن مروان الفزاري عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن أبيه عن أبي سعيد . قال قال رسول الله (س) : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخلة ، يحيى وعيسى (س) » . وأخرجه النسائي من حديث مروان بن معاوية الفزاري به ، ورواه سويد بن سعيد عن محمد بن حازم عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد . وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن ربيع بن سعد عن أبي سابط قال : دخل حسين بن علي المسجد فقال جابر بن عبد الله : من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فليتنظر إلى هذا ، سمعته من رسول الله (س) . تفرد به أحمد ، وروى الترمذی والنسائي من حديث إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زرب بن حبيش عن حذيفة أن أمه بعثته ليستغفر له رسول الله (س) ، ولها ، قال : فأتيته فصليت معه المغرب ثم صلى حين صلى العشاء ، ثم انقل فتبعته فسمع صوتي فقال : « من هذا ؟ حذيفة ؟ قلت : نعم ، قال : ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ؟ إن هذا ملك لم ينزل إلى الأرض قبل هذه الليلة ، استأذن ربه بأن يسلم عليّ ويبشرني بان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ثم قال الترمذی : هذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف إلا من حديث إسرائيل . وقد روى مثل هذا من حديث علي بن أبي طالب ومن حديث الحسين نفسه ، وعمر وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ، وفي أسانيد كلها ضعف والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا موسى بن عطية عن أبيه عن أبي هريرة . قال : سمعت رسول



الله (س) ، يقول في الحسن والحسين : « من أحبني فليحب هذين » . وقال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا إسماعيل - يعني ابن جعفر - أخبرني محمد - يعني ابن حرملة - عن عطاء . أن رجلاً أخبره أنه رأى النبي (س) ، « يضم إليه حسناً وحسيناً ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . وقد روى عن أسامة بن زيد وسلمان الفارسي شيء يشبه هذا وفيه ضعف وسقم والله أعلم . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا كامل وأبو المنذر ابنا كامل قال أسود : أنبأنا المعنى عن أبي صالح عن أبي هريرة . قال : « كنا نصلي مع رسول الله (س) ، العشاء فاذا سجد وثب الحسين والحسن على ظهره ، فاذا رفع رأسه أخذهما أخذا رفيقا فيضعهما على الأرض ، فاذا عاد عادا حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذه ، قال : فقامت إليه فقلت : يا رسول الله أردهما إلي أمهما ؟ قال فبرقت برقة فقال لهما : الحقا بأمكما ، قال فكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما » . وقد روى موسى بن عثمان الحضرمي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة نحوه ، وقد روى عن أبي سعيد وابن عمر قريب من هذا ، فقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا معاذ بن معاذ ثنا قيس بن الربيع عن أبي المقدم عبد الرحمن الأزرق عن علي . قال : « دخل علي رسول الله (س) ، وأنا نائم ، فاستسقى الحسن أو الحسين فقام رسول الله (س) . إلى شاة لنا كي يحملها فدرت فجاءه الآخر فنجاه ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه أحبهما إليك ؟ قال : لا ولكنه استسقى قبله ، ثم قال : إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة » . تفرد به أحمد . ورواه أبو داود الطيالسي عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي فاختة عن علي فذكر نحوه . وقد ثبت أن عمر بن الخطاب كان يكرمهما ويحملهما ويعطيتهما كما يعطي أباهما ، وحي مرة بجلل من اليمن قسمها بين أبناء الصحابة ولم يعطهما منها شيئاً ، وقال : ليس فيها شيء يصلح لهما ، ثم بعث إلى نائب اليمن فاستعمل لهما حلتين تناسبهما .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا قبيصة بن عقبة ثنا يونس بن أبي إسحاق عن العيزار بن خريث قال : بينما عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلاً فقال : هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء . وقال الزبير بن بكار : حدثني سليمان بن الدراوردي عن جعفر بن محمد عن أبيه « أن رسول الله (س) . بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، ولم يبايع صغيراً إلا مناً » . وهذا مرسل غريب . وقال محمد بن سعد : أخبرني يعلى ابن عبيد ثنا عبد الله بن الوليد الرصافي عن عبد الله بن عبيد الله بن عميرة . قال : حج الحسين ابن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد بين يديه . وحدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسين بن علي حج ماشياً وإن نجائبه لتقاد وراه . والصواب أن ذلك إنما هو الحسن أخوه ، كما حكاه البخاري . وقال المدائني : جرى بين

الحسن والحسين كلام قهاجرا ، فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن إلى الحسين فأكب على رأسه يقبله ، فقام الحسين قبله أيضا ، وقال : إن الذي منى من ابتدائك بهذا أنى رأيت أنك أحق بالفضل منى فكرهت أن أفازعك ما أنت أحق به منى . وحكى الأصمعي عن ابن عون أن الحسن كتب إلى الحسين يمين عليه إعطاء الشعراء فقال الحسين إن أحسن المال ما وقي العرض .

وقد روى الطبراني : حدثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي ثنا يزيد بن البراء بن عمرو ابن البراء الغنوي ثنا سليمان بن الهيثم قال : كان الحسين بن علي يطوف بالبيت فأراد أن يستلم فما وسع له الناس ، فقال رجل : يا أبا فراس من هذا فقال الفرزدق

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته \* والبيت يعرفه والحل والحرم  
 هذا ابن خير عباد الله كلهم \* هذا التقى النقى الطاهر العلم  
 يكاد بمسكه عرفان راحته \* ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم  
 إذا رآته قريش قال قائلها \* إلى مكارم هذا ينهى الكرم  
 يفضى حياءً ويفضى من مهابته \* فما يكلم إلا حين ينتم  
 في كفه خيزران ريمها عبق \* بكف أروع في عرينه شم  
 مشتقة من رسول الله نسبه \* طابت عناصره والحليم والشيم  
 لا يستطيع جواد بعد غايته \* ولا يدانيه قوم إن هموا كرموا  
 من يعرف الله يعرف أولية ذا \* فالدين من بيت هذا ناله أمم  
 أي العشار هم ليست رقابهم \* لاولية هذا أوله نعم

هكذا أوردها الطبراني في ترجمة الحسين في معجمه الكبير وهو غريب ، فان المشهور أنها من قيل الفرزدق في علي بن الحسين لافي أبيه ، وهو أشبه فان الفرزدق لم ير الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسين ذاهب إلى العراق ، فسأل الحسين الفرزدق عن الناس فذكر له ماتقدم ، ثم إن الحسين قتل بعد مفارقه له بأيام يسيرة ، فمضى رآه يطوف بالبيت والله أعلم ، وروى هشام عن عوانة قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد : أين الكتاب الذي كتبه إليك في قتل الحسين ؟ فقال : مضيت لأمرك وضاع الكتاب ، فقال له ابن زياد : لتجيبن به ، قال : ضاع ، قال : والله لتجيبن به ، قال : ترك والله يقرأ على عجايز قريش أعترز إليهن بالمدينة ، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها إلى سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدبت حقه ، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله ، صدق عمر والله . ولوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يقتل ، قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله بن زياد .



في شيء من أشعاره التي رويت عنه

فمن ذلك ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما :-

إغنَ غِنِ المخلوقِ بالخالقِ \* تسد على الكاذبِ والصادقِ  
واسترزقِ الرحمنَ من فضلهِ \* فليسَ غيرَ اللهِ من رازقِ  
من ظنَّ أنَ الناسَ يغنونهُ \* فليسَ بالرحمنِ بالوائقِ  
أوظنَّ أنَ المالَ من كسبهِ \* زلتَ به النعلانِ من حالقِ

عن الأعمش أن الحسين بن علي قال :-

كلما زيدَ صاحبُ المالِ مالاً \* زيدَ في همهِ وفي الاشتغالِ  
قدَ عرفناكِ يا منغصةَ العيدِ \* شِ ويا دارَ كلِّ فانٍ وبالي  
ليسَ يصفونَ لزاھِدٍ طلبَ الزم \* دَ إذا كانَ منقلاباً بالعيالِ

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال :-

ناديتَ سكانَ القبورِ فأسكتوا \* وأجابني عن صمتهم ترب الحصا  
قالتُ أتدري ما فعلتَ بساكني \* مزقتُ لحمهمُ وخرقتُ الكسا  
وحشوتُ أعينهمُ تراباً بعد ما \* كانتُ تأذي باليسيرِ من القذا  
أما العظامَ فأنني مزقتها \* حتى تباينتَ المفاصلُ والشوا  
قطعتُ ذا زادٍ من هذا كذا \* فتركها ريماً يطوفُ بها البلا

وأنشد بعضهم للحسين رضي الله عنه أيضاً :-

لئنَ كانتِ الدنيا تعدّ نفيسةً \* فدارُ نوابِ اللهِ أعلى وأنبلُ  
وإنَ كانتِ الأبدانُ للوثةِ أنشئتُ \* فقتلُ امرئٍ بالسيفِ في اللهِ أفضلُ  
وإنَ كانتِ الأرزاقُ شيئاً مقدراً \* فقلةُ سعيِ المرءِ في الرزقِ أجلُ  
وإنَ كانتِ الاموالُ للتركِ جمعها \* فما بالَ متروكٍ به المرءُ يبخلُ

ومما أنشد الزبير بن بكار من شعره في امراته الرباب بنت أنيف ، ويقال بنت امرئ القيس ابن عدي بن أوس الكلبي أم ابنته سكينه .

لممركِ إنني لأحبُّ داراً \* تحلُّ بها سكينهُ والربابُ

أحبها وأبذل جُلِّ مالي \* وليسَ للآئمي فيها عتابُ  
ولستُ لهمْ وإنْ عتبوا مطيعاً \* حياتي أو يعليني الترابُ

وقد أسلم أبوها على يدي عمر بن الخطاب وأمره عمر على قومه ، فلما خرج من عنده خطب إليه على بن أبي طالب أن يزوج ابنه الحسن أو الحسين من بناته ، فزوج الحسن ابنته سلمى ، والحسين ابنته الرباب ، وزوج علياً ابنته الثالثة ، وهي الحياة بنت امرئ القيس في ساعة واحدة ، فأحب الحسين زوجته الرباب حباً شديداً وكان بها معجباً يقول فيها الشعر ، ولما قتل بكر بلاه كانت معه فوجدت عليه وجداً شديداً ، وذكر أنها أقامت على قبره سنة ثم انصرفت وهي تقول :

إلى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما \* ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقد خطبها بعده خلق كثير من أشرف قريش فقالت : ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله (س) ، ووالله لا يؤويني ورجلا بعد الحسين سقف أبداً . ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت ، ويقال إنها إنما عاشت بعده أيلماً يسيرة فالله أعلم ، وابتها سكيئة بنت الحسين كانت من أجمل النساء حتى إنه لم يكن في زمانها أحسن منها فالله أعلم .

وروى أبو مخنف عن عبد الرحمن بن جندب أن ابن زياد بعد مقتل الحسين تفقد أشرف أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر بن يزيد ، فتطلبه حتى جاءه بعد أيام فقال : أين كنت يا ابن الحر ؟ قال : كنت مريضاً ، قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد من الله عليه بالعافية ، فقال له ابن زياد : كذبت ، ولكنك كنت مع عدونا ، قال : لو كنت مع عدوك لم يخف مكان مثلي ، ولكن الناس شاهدوا ذلك ، قال : وعقل عن ابن زياد عقلةً فخرج ابن الحر فقمعد على فرسه . ثم قال : أبلغوه أني لا آتبه والله طائعاً فقال ابن زياد : أين ابن الحر ؟ قال : خرج ، فقال علي به ، فخرج الشرط في طلبه فأسمعهم غليظ ما يكرهون ، وترضى عن الحسين وأخيه وأبيه ثم أسمعهم في ابن زياد غليظاً من القول ثم امتنع منهم وقال في الحسين وفي أصحابه شعراً :-

يقولُ أميرُ غادرٍ حقُ غادرٍ \* ألا كنتِ قاتلتِ الشهيدَ ابنَ فاطمة

فيا ندمي أن لا أكونَ نصرتهُ \* لذو حسرةٍ ما إن تفرقتِ لازمة

سقى اللهَ أرواحَ الذينَ تبارزوا \* على نصره سقياً من الغيثِ دائماً

وقفتَ على أجدانهم وقبورهم \* فكان الحشى ينقضُ والعينُ ساجدة

لعمري لقد كانوا مصاليتَ في الوغى \* سراءاً إلى الهيجا حماة حضارمة

تأسوا على نصرِ بنِ بنتِ نبيهم \* بأسيا فهم أصاد غيلِ ضراغمة

فان يقتلوا تلكَ النفوسَ التقيةَ \* على الأرضِ قد أضحيتَ لتلكِ واجمة

فما إن رأى الرايون فضل منهم \* لدى الموت سادات وزهر قاقه  
 أتقتلهم ظلماً وترجو وادانا \* فذى خطة ليست لنا بلامنة  
 لعمرى لقد راغتمونا بقتلهم \* فكم ناقم منا عليكم وناقه  
 أهم مراراً أن أسير بجحفل \* إلى فئة زاغت عن الحق ظالمة  
 فيا ابن زياد استعد لحربنا \* وهو قف ضحك تقصم الظهر قاصمه

وقال الزبير بن بكار: قال سليمان بن قتيبة يرثي الحسين رضي الله عنه

وإن قتل الطف من آل هاشم \* ذل رقاباً من قريش فذلت  
 فان تنبهوه عائداً لبيت تصبحوا \* كعاد أعمت عن هداها فصلت  
 مرت على آيات آل محمد \* فالفيتمها أمثالها حيث حلت  
 وكانوا لنا غنماً فعادوا رزية \* لقد عظمت تلك الرزايا وجلت  
 فلا يبعد الله الديار وأهلها \* وإن أصبحت منهم بزعمي تحلت  
 إذا افتقرت قيس خبرنا فقيرها \* وتفننا قيس إذا النعل زلت  
 وعند يزيد قطرة من دمائنا \* سنجزيمهم يوماً بها حيث حلت  
 ألم تر أن الأرض أضحت مريضة \* لقتل حسين والبلاد اقشعرت

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة - أعني سنة إحدى وستين - بعد مقتل الحسين

ففيها ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد بنجستان وخراسان حين وفد عليه ، وله من العمر أربعة وعشرون سنة ، وعزل عنها أخويه عباداً وعبيد الرحمن ، وسار سلم إلى عمه فجعل يندحب الوجوه والفرسان ، ويمرض الناس على الجهاد ، ثم خرج في جحفل عظيم ليغزو بلاد الترك ، ومعه امرأته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فكافئت أول امرأة من العرب قطع بها النهر ، وولدت هناك ولداً أسمود صفدي ، وبعثت إليها امرأة صاحب صفدي بتاجها من ذهب ولآل . وكان المسلمون قبل ذلك لا يشتون في تلك البلاد ، فبشي بها سلم بن زياد . وبعث المهلب بن أبي صفرة إلى تلك المدينة التي هي للترك ، وهي خوارزم فحاصروها حتى صالحوه على نيف وعشرين ألف ألف ، وكان يأخذ منهم عروضاً عوضاً ، فيأخذ الشيء بنصف قيمته فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظي بذلك المهلب عند سلم بن زياد

ثم بعث من ذلك ما اصطفاه يزيد بن معاوية مع مرزبان ومعه وفد ، وصالح سلم أهل سمرقند في هذه الغزوة على مال جزيل . وفيها عزل يزيد عن إمرة الحرمين عمرو بن سعيد وأعاد إليها الوليد بن

عتبة بن أبي سفيان ، فولاه المدينة ، وذلك أن ابن الزبير لما بلغه مقتل الحسين شرع بخطب الناس ويعظم قتل الحسين وأصحابه جدا ، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين ، ويترحم على الحسين ويلعن من قتله ، ويقول : أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الفنا والملاهي ، ولا بالبكاء من خشية الله اللغو والحداء ، ولا بالصيام شرب المدام وأكل الحرام ، ولا بالجلوس في حلق الذكر طلب الصيد ، - يُعرض في ذلك يزيد بن معاوية - فسوف يلتقون غيا ، ويؤلب الناس على بني أمية ويمنهم على مخالفته وخلع يزيد . فبايعه خلق كثير في الباطن ، وسألوه أن يظهرها فلم يمكنه ذلك مع وجود عمرو بن سعيد ، وكان شديداً عليه ولكن فيه رفق ، وقد كان كاتبه أهل المدينة وغيرهم ، وقال الناس : أما إذ قتل الحسين فليس ينزع أحد ابن الزبير ، فلما بلغ ذلك يزيد شق ذلك عليه وقيل له : إن عمرو بن سعيد لو شاء لبعث إليك برأس ابن الزبير ، أو يحاصره حتى يخرج من الحرم ، فبعث فعزله وولى الوليد بن عتبة فيها ، وقيل في مستهل ذي الحجة ، فأقام للناس الحج فيها ، وحلف يزيد ليأتيني ابن الزبير في سلسلة من فضة ، وبعث بها مع البريد ومعه برنس من خزليبر يمينه ، فلما مر البريد على مروان وهو بالمدينة وأخبره بما هو قاصد له وما معه من الغل أنشأ مروان يقول :-

نخنها فما هي للعزيز بخطه \* وفيها مقال لامرئ متذلل

أعمر إن القوم ساموك خطه \* وذلك في الجيران غزل بمغزل

أراك إذا ما كنت في القوم ناصحاً \* يقال له بالدلو أدبر وأقبل

فلما انتهت الرسل إلى عبد الله بن الزبير بعث مروان ابنه عبد الملك وعبد العزيز ليحضرا مراجعته في ذلك ، وقال : أسمعاه قولي في ذلك ، قال عبد العزيز : فلما جلس الرسل بين يديه جعلت أنشده ذلك وهو يسمع ولا أشعره ، فالتفت إلى فقال : أخبرا أبأبا أنني أقول :-

إني لمن نبعة صم مكاسرها \* إذا تناوحت القصباء والعشر

ولا ألين لغير الحق أسأله \* حتى يلين لضرس الماضع الحجر

قال عبد العزيز : فما أدري أيما كان أعجب ! !

قال أبو معشر : لا خلاف بين أهل السير أن الوليد بن عتبة حج بالناس في هذه السنة وهو أمير الحرمين وعلى البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان وسجستان سلم بن زياد أخو عبيد الله ابن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة .

من توفي فيها من الأعيان

الحسين بن علي رضي الله عنهما ومعه بضعة عشر من أهل بيته قتلوا جميعاً بكر بلاء ، وقيل بضعة

وعشرون كما تقدم . وقتل معهم جماعة من الأبطال والفرسان .

### جابر بن عتيك بن قيس

أبو عبد الله الأنصاري السلمي ، شهد بدرًا وما معه ، وكان حمل راية الأنصار يوم الفتح ،  
كذا قال ابن الجوزي ، قال : وتوفي في هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة

### حمزة بن عمرو الأممي

صحابي جليل ثبت في الصحيحين عن عائشة أنها قالت : سألت حمزة بن عمرو رسول الله (س) ،  
فقال : إني كثير الصيام أفصوم في السفر ؟ فقال له : « إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر » . وقد  
شهد فتح الشام ، وكان هو البشير للصديق يوم أجنادين ، قال الواقدي : وهو الذي بشر كعب بن  
مالك بتوبة الله عليه فأعطاه ثوبيه ، وروى البخاري في التاريخ بإسناد جيد عنه أنه قال : « كنا  
مع رسول الله (س) في ليلة مظلمة فأضاءت لي أصابعي حتى جمعت عليها كل متاع كان للقوم » .  
اتفقوا على أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة إحدى وستين -

### شيبه بن عثمان بن أبي طلحة العبدي الحنفي

صاحب مفتاح الكعبة كان أبوه ممن قتل علي بن أبي طالب يوم أحد كافرين ، وأظهر شيبه الإسلام  
يوم الفتح ، وشهد حنيناً وفي قلبه شيء من الشك ، وقد هم بالفتك برسول الله (س) ، فأطلع الله على  
ذلك رسوله فأخبره بما هم به فأسلم باطناً وجاد إسلامه ، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر . قال الواقدي  
عن أشياخه : إن شيبه قال : كنت أقول والله لو آمن بمحمد جميع الناس ما آمنت به ، فلما فتح مكة  
وخرج إلى هوازن خرجت معه رجاء أن أجد فرصة آخذ بثأر قريش كلها منه ، قال : فاختلط الناس  
ذات يوم ونزل رسول الله (س) عن بغلته فدنوت منه وانتضيت سيفي لأضربه به ، فرفع لي شواظ  
من نار كاد يحشني ، فالتفت إلى رسول الله (س) ، وقال : « يا شيبه ادن مني ، فدنوت منه فوضع يده  
على صدري وقال : اللهم أعذه من الشيطان . قال : فوالله ما دفع يده حتى هو يومئذ أحب إلي من  
محمي وبصري ، ثم قال : اذهب فقاتل ، قال : فتقدمت إلى العدو والله لو لقيت أبي لقتلته لو كان  
حياً ، فلما تراجع الناس قال لي : يا شيبه الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك ، ثم حدثني بكل  
ما كان في نفسي مما لم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل ، فتشهدت وقلت : أستغفر الله ، فقال :  
غفر الله لك » . ولى الحجابة بعد عثمان بن طلحة واستقرت الحجابة في بنيه وبيته إلى اليوم ، وإليه  
ينسب بنو شيبه ، وهم حجة الكعبة . قال خليفة بن خياط وغير واحد : توفي سنة سبع وخمسين .  
وفال محمد بن سعد : بقي إلى أيام يزيد بن معاوية . وقال ابن الجوزي في المنتظم : مات في هذه السنة .  
عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم صحابي اتقل إلى دمشق وله بها دار ،

ولما مات أوصى إلى يزيد بن معاوية وهو أمير المؤمنين .

### الوليد بن عقبة بن أبي معيط

ابن أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو وهب القرشي العبشمي ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، وللوليد من الأخوة خالد وعمارة وأم كلثوم ، وقد قتل رسول الله ﷺ . أباه بعد وقعة بدر من بين الأسرى صبراً بين يديه ، فقال : يا محمد من تلصبية ؟ فقال : « لهم النار » وكذلك فعل بالنضر بن الحارث . وأسلم الوليد هذا يوم الفتح ، وقد بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فظن أنهم إنما خرجوا لقتاله فرجع ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ . فأراد أن يجهز إليهم جيشاً ، فبلغهم ذلك فجاء من جاء منهم ليعتذروا إليه ويخبرونه بصورة ما وقع ، فأنزل الله تعالى في الوليد [ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ] الآية . ذكر ذلك غير واحد من المفسرين والله أعلم بصحة ذلك . وقد حكى أبو عمرو بن عبد البر على ذلك الاجماع . وقد ولاء عمر صدقات بني تغلب ، وولاه عثمان نيابة الكوفة بعد سعد ابن أبي وقاص ، سنة خمس وعشرين ، ثم شرب الخمر وصلى بأصحابه ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ ووقع منه تخييط ، ثم إن عثمان جلده وعزله عن الكوفة بعد أربع سنين فأقام بها ، فلما جاء على إلى العراق سار إلى الرقة واشترى له عندها ضيعة وأقام بها معتزلاً جميع الحروب التي كانت أيام علي ومعاوية وما بعدها إلى أن توفي بضيعة في هذه السنة ، ودفن بضيعة وهي على خمسة عشر ميلاً من الرقة ، ويقال : إنه توفي في أيام معاوية فله أعلم . روى له الامام أحمد وأبو داود حديثاً واحداً في فتح مكة ، وقد ذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، وذكر أيضاً وفاة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وقد تقدم ذكر وفاتها في سنة إحدى وخمسين ، وقيل إنها توفيت سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، والصواب ما ذكرناه .

### أم سلمة أم المؤمنين

هند بنت أبي أمية حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، القرشية المخزومية كانت أولاً تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد فمات عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ . ودخل بها في شوال سنة ثنتين بعد وقعة بدر ، وقد كانت سمعت من زوجها أبي سلمة : حديثاً عن رسول الله ﷺ . أنه قال « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها ، إلا أبله الله خيراً منها » قالت : فلما مات أبو سلمة قلت ذلك ثم قلت : ومن هو خير من أبي سلمة أول رجل هاجر ؟ ثم عزم الله لي قتلها فأبدلني الله خيراً



منه ، رسول الله (ص) ، وكانت من حسان النساء وعابداتهن . قال الواقدي : توفيت سنة تسع وخمسين  
وصلى عليها أبو هريرة . وقال ابن أبي خيثمة : توفيت في أيام يزيد بن معاوية . قلت : والأحاديث  
المتقدمة في مقتل الحسين تدل على أنها عاشت إلى ما بعد مقتله والله أعلم . ورضي الله عنها والله  
سبحانه أعلم

### ثم دخلت سنة ثنتين وستين

يقال فيها قدم وفد المدينة النبوية على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأجازهم بجوائز سنوية ، ثم عادوا  
من عنده بالجوائز فخلعوه وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة الفسيل ، فبعث إليهم يزيد جنداً في السنة  
الآتية إلى المدينة فكانت وقعة الحرة على ما سنبينه في التي بعدها إن شاء الله تعالى ، وقد كان  
يزيد عزل عن الحجاز عمرو بن سعيد بن العاص ، وولى عليهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فلما  
دخل المدينة احتاط على الأموال والحواصل والأموال ، وأخذ العبيد الذين لعمر بن سعيد  
فحبسهم - ، وكانوا نحو من ثلاثمائة عبد - فتجهز عمرو بن سعيد إلى يزيد وبعث إلى عبيده أن  
يخرجوا من السجن ويلحقوا به ، وأعد لهم إبلا يركبونها ، ففعلوا ذلك ، فلما لحقوه حتى وصل إلى يزيد  
فأكرمه واحترمه ورحب به يزيد ، وأدنى مجلسه ، ثم إنه عاتبه في تقصيره في شأن ابن الزبير ، فقال  
له : يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما ليرى الغائب ، وإن جل أهل مكة والحجاز مالأوه علينا وأحبوه  
ولم يكن لي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته ، وقد كان يحذرنى ويحترس منى ، وكنت أرفق به كثيراً  
وأداريه لأستمكن منه فأثب عليه ، مع أنى قد ضيقت عليه ومنعتة من أشياء كثيرة ، وجعلت على  
مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا اسمه واسم أبيه ، ومن أى بلاد هو  
وما جاء له ، وماذا يريد ، فإن كان من أصحابه أو ممن عرف أنه يريد رددته صاغراً ، وإلا خليت  
سبيله . وقد وليت الوليد وسياتيك من عمله وأمره ما لملك تعرف به فضل مسارعتي واجتهادى في  
أمرك ومناصحتى لك إن شاء الله ، والله يصنع لك ويكبت عدوك . فقال له يزيد : أنت أصدق من  
رماك وحملنى عليك ، وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وأدخره لذات الصدع ، وكفاية المهم وكشف  
نوازل الأمور العظام . فى كلام طويل ،

وأما الوليد بن عتبة فإنه أقام بالحجاز وقد هم مراراً أن يبطش بعبد الله بن الزبير فبجده متحذراً  
ممتنعاً قد أعد للأمر أقرانها . وثار باليمامة رجل آخر يقال له نجدة بن عامر الحنفي حين قتل الحسين ،  
وخالف يزيد بن معاوية ، ولم يخالف ابن الزبير بل بقى على حدة ، له أصحاب يتبعونه ، فاذا كان  
ليلة عرفة دفع الوليد بن عتبة بالجمهور وتخلف عنه ابن الزبير وأصحاب نجدة ، ثم يدفع كل فريق  
وخدم . ثم كتب نجدة إلى يزيد : إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج لا ينتج إلا مرشداً ولا يرعوى لعظة

الحكيم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق لين الكنف ، رجوت أن يسهل به من الأمور ما امتنع منها وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر في ذلك فان فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله تعالى . قالوا : فعزل يزيد الوليد وولى عثمان محمد بن أبي سفيان ، فسار إلى الحجاز وإذا هو قتي غر حدث غم لم يمارس الأمور ، فطمعوا فيه ، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد منها وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة الحضرمي ، والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشرف أهل المدينة ، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وعظم جوائزهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة ، إلا المنذر بن الزبير فانه سار إلى صاحبه عبيد الله بن زياد بالبصرة ، وكان يزيد قد أجازة بمائة ألف نظير أصحابه من أولئك الوفد ، ولما رجع وفد المدينة إليها أظروا شتم يزيد وعييه وقالوا : قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر وتعزف عنده القينات بالمعازف ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه ، فتابعهم الناس على خلعه ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الموت ، وأنكر عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ورجع المنذر بن الزبير من البصرة إلى المدينة فوافق أولئك على خلع يزيد ، وأخبرهم عنه أنه يشرب الخمر ويسكر حتى ترك الصلاة ، وعابه أكثر مما عابه أولئك . فلما بلغ ذلك يزيد قال : اللهم إني آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت ، فأدره وانتقم منه . ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة النعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا ويحذرهم غيباً ذلك ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة ، فسار إليهم ففعل ما أمره يزيد وخوفهم الفتنة وقال لهم : إن الفتنة وخيمة ، وقال : لاطاقة لكم بأهل الشام ، فقال له عبد الله بن مطيع : ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا ؟ فقال له النعمان : أما والله لكأني وقد تركت تلك الأمور التي تدعو إليها ، وقامت الرجال على الركب التي تُضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رحا الموت بين الفريقين ، وكأني بك قد ضربت جنب بغلتك إلى وخلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يقتلون في سكاكهم ومساجدهم ، وعلى أبواب دورهم . فعصاه الناس فلم يسمعوا منه فانصرف وكان الأمر والله كما قال سواء . قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة كذا قال وفيه نظر ، فانه إن كان في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فانما وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلا في أول سنة ثلاث وستين وهو أشبه والله أعلم .

### ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

بريدة بن الحُصيب الأسيدي كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله (ص) ، وهو مهاجر إلى المدينة عند كراع النجم ، فلما كان هناك تلقاه بريدة في ثمانين نفساً من أهله فأسلموا ، وصلى بهم صلاة العشاء وعلمه

ليلتئذ صدراً من سورة مريم ، ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد أحد فشهد معه المشاهد كلها وأقام بالمدينة ، فلما فتحت البصرة نزلها واختط بها داراً ، ثم خرج إلى غزو خراسان فمات بمرور في خلافة يزيد بن معاوية . ذكر موته غير واحد في هذه السنة .

### الربيع بن خثيم

أبو يزيد الثوري الكوفي أحد أصحاب ابن مسعود قال له عبد الله بن مسعود : ما رأيتك قط إلا ذكرتُ المحبتين ، ولوراك رسول الله ﷺ الأحبك . وكان ابن مسعود يحمله كثيراً ، وقال الشعبي : كان الربيع من معادن الصدق ، وكان أورع أصحاب ابن مسعود ، وقال ابن معين : لا يسأل عن مثله ، وله مناقب كثيرة جداً ، أرخ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة .

**علقمة بن قيس أبو شبل النخعي الكوفي** كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم وكان يشبه بابن مسعود . وقد روى علقمة عن جماعة من الصحابة وعنه خلق من التابعين .

### عقبة بن نافع الفهري

بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف فافتحها ، واختط القيروان ، وكان موضعها غيضة لا ترام من السباع والحيات والحشرات ، فدعا الله تعالى فجعلن يخرجن منها بأولادهن من الأوكار والجحار ، فبناها ولم يزل بها حتى هذه السنة ، غزا أقواماً من البربر والروم فقتل شهيداً رضى الله عنه **عمرو بن حزم** صحابي جليل استعمله رسول الله ﷺ على نجران وعمره سبع عشرة سنة وأقام بها مدة ، وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

**مسلم بن مخلد الانصاري** الزرقى ولد عام الهجرة ، وسمع من رسول الله ﷺ ، وشهد فتح مصر ، وولى الجند بها لمعاوية ويزيد ، ومات في ذي القعدة من هذه السنة .

**مسلم بن معاوية الديلمي** صحابي جليل شهد بدرًا وأحدًا وانخفق مع المشركين ، وكانت له في المسلمين نكاية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد فتح مكة وحنيناً ، وحج مع أبي بكر سنة سبع ، وشهد حجة الوداع ، وعمر ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، قاله الواقدي . قال : وأدرك أيام يزيد بن معاوية ، وقال ابن الجوزي : مات في هذه السنة .

وفيهما توفيت الزباب بنت أنيف امرأة الحسين بن علي التي كانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدون في السبت أو في الجمعة على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ .

### ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ففيها كانت وقعة الحرّة وكان سببها أن أهل المدينة لما دخلوا يزيد بن معاوية وولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، فلما كان في أول هذه السنة أظهروا

ذلك واجتمعوا عند المنبر فجعل الرجل منهم يقول : قد خلعت يزيد كما خلعت عماتي هذه ، ويلقبها عن رأسه ، ويقول الآخر : قد خلعتني كما خلعت نعلي هذه ، حتى اجتمع شيء كثير من العامة والنعال هناك ، ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم ، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن عم يزيد ، وعلى إجلاء بني أمية من المدينة ، فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم ، وأحاط بهم أهل المدينة بحاصر ونهم ، واعتزل الناس علي بن الحسين « زين العابدين » وكذلك عبد الله بن عمر ابن الخطاب لم يخلعوا يزيد ، ولا أحد من بيت ابن عمر ، وقد قال ابن عمر لأهله : لا يخلعن أحد منكم يزيد فتكون الفيصل وروى الصليم بيني وبينه ، وسيأتي هذا الحديث بلفظه وإسناده ، في ترجمة يزيد ، وأفكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت ، وقال : إنما كنا نباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن لا نفر ، وكذلك لم يخلع يزيد أحد من بني عبد المطلب ، وقد مثل محمد بن الحنفية في ذلك فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وناظرهم وجادلهم في يزيد ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شرب الخمر وتركه بعض الصلوات كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله ، وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والأهانة ، والجوع والعطش ، وإنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم ، وبعثوا ذلك مع البريد ، فلما قدم بذلك على يزيد وجدته جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرد به مما به من النقرس في رجله ، فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال : ويلك ! ما فيهم ألف رجل ؟ قال : بلى ، قال : فهل لاقاتلوا ساعة من نهار ؟ ثم بعث إلى عمرو بن سعيد ابن العاص فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعث إليهم ، وعرض عليه أن يبعث إليهم فأبى عليه ذلك ، وقال : إن أمير المؤمنين عزاني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة ، فأما الآن فأنما دماء قریش تراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك منهم ، ليتولى ذلك من هو أبعد منهم مني ، قال : فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المزني وهو شيخ كبير ضعيف فانتدب لذلك وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس ، وقيل اثنا عشر ألفاً وخمسة عشر ألف رجل ، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار وقيل أربعة دنانير ، ثم استعرضهم وهو على فرس له ، قال المدائني : وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري ، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السكوني ، وعلى أهل الأردن حبش بن دجلة القيني ، وعلى أهل فلسطين رُوح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني ، وعلى أهل قنسرين طريف بن الحساس الهلالي ، وعليهم مسلم بن عقبة المزني من غطفان ، وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة . فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ولني عليهم أكفك - وكان العمان أخا عبد الله بن حنظلة لأنه عمرة بنت رَواحة - فقال يزيد لا ! ليس لهم إلا هذا العشمة ، والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة . فقال النعمان يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وقال له عبد الله بن جعفر : رأيت

إن رجعوا إلى طاعتك أيقبل منهم؟ قال: إن فعلوا فلا سبيل عليهم، وقال يزيد لمسلم بن عقبة: ادع القوم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرت عابهم فأبج المدينة ثلاثاً ثم اكف عن الناس، وانظر إلى علي بن الحسين فكف عنه واستوص به خيراً، وأدن مجلسه، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه، وأمر مسلم إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن عمير، وقال له: إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوني. وقد كان يزيد كتب إلى عبد الله بن زياد أن يسير إلى الزبير فيحاصره بمكة، فأبى عليه وقال: والله لا أجمعهما للفاسق أبداً، أقتل ابن بنت رسول الله -ص-، وأغزو البيت الحرام؟ وقد كانت أمه مرجانة قالت له حين قتل الحسين: ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت؟ وعنفته تعنيفاً شديداً. قالوا: وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته: يزيد القروذ، شارب الخمر، تارك الصلوات، منعكف على القينات. فلما جهز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول:-

أبلغ أبا بكر إذا الجيشُ سرى \* وأشرف الجيشُ على وادي القرى  
أجمع سكران من القوم ترى \* يا عجباً من ملحد في أم القرى

\* مخادع للدين يقضى بالفري \* وفي رواية

أبلغ أبا بكر إذا الأمرُ انبرى \* ونزل الجيشُ على وادي القرى  
عشرون ألفاً بين كهلٍ وفقى \* أجمع سكران من القوم ترى

قالوا: وسار مسلم بمن معه من الجيوش إلى المدينة، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية، وقالوا لهم: والله لنقتلنكم عن آخركم أو تعطونا موثقاً أن لا تدلوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين، ولا تماثلوهم علينا، فأعطوهم العهود بذلك، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسألهم عن الأخبار فلا يخبره أحد، فأنحصر لذلك، وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له: إن كنت تريد النصر فانزل شرق المدينة في الحرة، فاذا خرجوا إليك كانت الشمس في أقبستكم وفي وجوههم، فادعهم إلى الطاعة، فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الامام وخرجوا عن الطاعة. فشكره مسلم بن عقبة على ذلك، وامتل ما أشار به، فنزل شرق المدينة في الحرة، ودعا أهلها ثلاثة أيام، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة، فلما مضت الثلاث قال لهم في اليوم الرابع - وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين - قال لهم: يا أهل المدينة: مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لي: إنكم أصله وعشيرته، وإنه يكره إراقة دمائكم، وإنه أمرني أن أوصلكم ثلاثاً فقد مضت، فماذا أنتم صانعون؟ آتسلمون أم نجاهبون؟ فقالوا: بل نجاهبون. فقال: لا تفعلوا بل سلموا ونجعل جدنا وقوتنا على هذا الملحد - يعني ابن الزبير -

فقالوا : يا عدو الله ! لو أردت ذلك لما مكناك منه ، أنحن نذر كم تذهبون فتلحدون في بيت الله الحرام ؟ ثم تهبوا للقتال ، وقد كانوا اتخذوا خندقاً بينهم وبين ابن عقبة ، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير ، وجعلوا أجمل الأرباع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الفسيل ، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم أهل المدينة إليها . وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والاعيان ، منهم عبد الله بن مطيع وبنون له سبعة بين يديه ، وعبد الله بن حنظلة الفسيل ، وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شناس ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، وقد مر به مروان وهو مجندل فقال : رحمك الله فكم من سارية قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود .

ثم أباح مسلم بن عقبة ، الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة - قبحة الله من شيخ سوء ما أجهله - المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد ، لا جزاء الله خيراً ، وقتل خلقاً من أشرافها وقرانها وانهب أموالاً كثيرة منها ، ووقع شرّاً عظيماً وفساد عريض على ما ذكره غير واحد . فكان ممن قتل بين يديه صبياً معقل بن سنان ، وقد كان صديقه قبل ذلك ، ولكن أسمعته في يزيد كلاماً غليظاً فنقم عليه بسببه ، واستدعى لعلي بن الحسين فجاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ليأخذ له بهما عنده أماناً ، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به ، فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشراب - وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام ثلجاً إلى المدينة فكان يشاب له بشرا به - فلما جىء بالشراب شرب مروان قليلاً ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أماناً ، وكان مروان مواداً لعلي بن الحسين ، فلما نظر إليه مسلم بن عقبة قد أخذ الاناء في يده قال له : لا تشرب من شرابنا ، ثم قال له : إنما جئت مع هذين لتأمن بهما ؟ فارتعدت يد علي بن الحسين وجعل لا يضع الاناء من يده ولا يشربه ، ثم قال له : لولا أن أمير المؤمنين أوصاني بك لضربت عنقك ، ثم قال له : إن شئت أن تشرب فاشرب ، وإن شئت دعونا لك بغيرها ، فقال : هذه الذي في كفي أريد ، فشرب ثم قال له مسلم بن عقبة : قم إلى ههنا فاجلس ، فأجلسه معه على السرير وقال له : إن أمير المؤمنين أوصاني بك ، وإن هؤلاء شغلوني عنك . ثم قال لعلي بن الحسين : لعل أهلك فزعوا ، فقال : إي والله . فأمر بدابته فأسرجت ثم حملة عليها حتى رده إلى منزله مكرماً . ثم استدعى بعمر بن عثمان بن عفان - ولم يكن خرج مع بني أمية - فقال له : إنك إن ظهر أهل المدينة قلت أنا معكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين ، ثم أمر به ففتفت لحيته بين يديه - وكان ذا لحية كبيرة - قال المدائني : وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام ، يقتلون من وجدوا من الناس ، ويأخذون الأموال . فأرسلت سعدى بنت عوف المريفة إلى مسلم بن عقبة تقول له : أنا بنت عمك فر أصحابك أن لا يتعرضوا لابلنا بمكان كذا وكذا ، فقال لأصحابه : لا تبدؤوا إلا بأخذ إبلها أولاً . وجاءته امرأة فقالت :

أنا مولاتك وابني في الأسارى ، فقال : عجلاه لها ، فضربت عنقه ، وقال : اعطوه رأسه ، أما ترضين أن لا يقتل حتى تتكلمي في ابنك ؟ ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلى ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج فالله أعلم . قال المدائني عن أبي قررة قال قال هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج . وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله ، وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل فلحقه رجل من أهل الشام ، قال : فلما رأيته انتضيت سيفي فقصدني ، فلما رأيته صمم على قتلي فشممت سيفي ثم قلت : ( إني أريد أن تبوء بائمي وإيمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ) فلما رأى ذلك قال : من أنت ؟ قلت : أنا أبو سعيد الخدري قال : صاحب رسول الله (ص) ؟ قلت : نعم ! فمضى وتركني .

قال المدائني : وجيء إلى مسلم بسعيد بن المسيب فقال له : بايع ! فقال : أبايع على سيرة أبي بكر وعمر . فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون نخلي سبيله . وقال المدائني عن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التميمي قالا : لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان ، فقال ابن عمر : بعثان ورب الكعبة . قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة . قال : سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة قال : سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ووجوه الموالى ومن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف . قال : وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام . قال الواقدي وأبو معشر : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

قال الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكانوا يسمونه العائد - يعني العائد بالبيت - ويرون الأمر شورى ، وجاء خبر الحرة إلى أهل مكة ليلة مستهل المحرم مع سعيد مولى المسور بن مخرمة ، فحزنوا حزناً شديداً وتأهبوا لقتال أهل الشام . قال ابن جرير : وقد رويت قصة الحرة على غير ما رواه أبو مخنف ، فحدثني أحمد بن زهير ثنا أبي سمعت وهب بن جرير ثنا جويرية بن أسماء قال : سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فان فعلوا فارمهم بمسلم ابن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته لنا ، فلما هلك معاوية وفد إلى يزيد وفد من أهل المدينة ، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - وكان شريفاً فاضلاً سيذاً عابداً - ومعه ثمانية بنين له فأعطاه يزيد مائة ألف درهم ، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملاتهم ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدمها أتاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدت بهم . قالوا : قد بلغنا أنه أعطاك وأخدمك وأخذك

وأكرمك . قال : قد فعل وما قبلت منه إلا لأتقوى به على قتاله ، فحضر الناس فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد فبعث إليهم مسلم بن عقبة ، وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبوا فيه زقا من قطران وغوروه ، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً بالمطر ، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بمجموع كثيرة وهيئة لم ير مثلها ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، وكان أميرهم مسلم شديد الوجع ، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، قد أقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدر ، فانهزم الناس فكان من أصيب في الخندق أعظم ممن قتل ، فدخلوا المدينة وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يفظ نوما ، فنبه ابنه ، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس ، أمر أكبر بنيه فتقدم فقاتل حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية ، ويحكم في دماهم وأموالهم وأهلهم ماشاء . وقد روى ابن عساکر في ترجمة أحمد بن عبد الصمد من تاريخه من كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكي : ثنا الحسين بن الحسن اليشكري ثنا الزيادي عن الأصمعي ح . وحدثني محمد بن الحارث عن المدائني قال : لما قتل أهل الحرة هتف هاتف بمكة على أبي قبيس مساء تلك الليلة ، وابن الزبير جالس يسمع : —

والصائمون \* القاتون \* ن أولوا العبادة والصلاح  
 المهتدون \* المحسنون \* ن السابقون إلى الفلاح  
 ماذا بواقم \* والبقية \* ع من الجحاجة الصباح  
 وبقاع يثرب \* ويجهن \* ن من النوادب والصباح  
 قتل الخيار بنوا الحيا \* ر ذوى المهابة والسماح

فقال ابن الزبير : يا هؤلاء قتل أصحابكم فانا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام ، وهذا خطأ كبير فاحش ، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم ، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدى عبید الله بن زياد . وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية مالا يحمد ولا يوصف ، مما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ، ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده ، وحال بينه وبين ما يشتهي ، فقصمه الله قاصم الجبابرة ، وأخذه أخذ عزيز مقتدر . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



قال البخارى فى صحيحه : حدثنا الحسين بن الحارث ثنا الفضل بن موسى ثنا الجعد عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص عن أبيها . قال : سمعت رسول الله (س) يقول : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء » . وقد رواه مسلم من حديث أبى عبد الله القراظ المدينى - واسمه دينار - عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله (س) قال : « لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص - أو ذوب الملح فى الماء » . وفى رواية لمسلم من طريق أبى عبد الله القراظ عن سعد وأبى هريرة أن رسول الله (س) قال : « من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » وقال الامام أحمد : حدثنا أنس بن عياض ثنا يزيد بن خصيفة عن عطاء بن يسار عن السائب ابن خلاد أن رسول الله (س) قال : « من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه امانة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » . ورواه النسائى من غير وجه عن على ابن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة عن عطاء بن يسار عن خلاد بن منجوف بن الخزرج أخبره فذكره . وكذلك رواه الحميدى عن عبد العزيز بن أبى حازم عن يزيد بن خصيفة . ورواه النسائى أيضاً عن يحيى بن حبيب بن عربى عن حماد عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن أبى مريم عن عطاء بن يسار عن ابن خلاد - وكان من أصحاب النبى (س) - فذكره . وقال ابن وهب : أخبرنى حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن أبى بكر عن عطاء بن يسار عن السائب بن خلاد ، قال سمعت رسول الله (س) يقول : « من أخاف أهل المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وقال الدارقطنى : ثنا على بن أحمد بن القاسم ثنا أبى ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصارى عن محمد وعبد الرحمن ابنى جابر عبد الله قالا : خرجنا مع أبينا يوم الحرة وقد كف بصره فقال : تعس من أخاف رسول الله (س) ابن قتلنا : يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله (س) ؟ فقال : سمعت رسول الله (س) يقول : « من أخاف أهل هذا الحى من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين - ووضع يده على جبينه - » قال الدارقطنى : تفرد به سعد بن عبد العزيز لفظاً وإسناداً ، وقد استدلل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص فى لعنة يزيد بن معاوية وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضى أبو يعلى وابنه القاضى أبو الحسين وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزى فى مصنف مفرد ، وجوز لعنته . ومنع من ذلك آخرون وصنفوا فيه أيضاً لئلا يجعل لعنة وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة ، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ ، وقالوا : إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً ، والامام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه على أصح قولى العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما فى ذلك من

إثارة الفتنة ، ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضما فسقه كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرة من مسلم بن عقبة وجيشه ، فرح بذلك فرحاً شديداً ، فانه كان يرى أنه الامام وقد خرجوا عن طاعته ، وأمروا عليهم غيره ، فله قتلهم حتى يرجعوا إلى إطاعة ولزوم الجماعة ، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم ، وقد جاء في الصحيح : « من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنا من كان » . وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبير في وقعة أحد التي يقول فيها

ليت أشياخي بيدر شهدوا \* جزع الخزر ج من وقع الأسل  
حين حلت بفنائهم برّكها \* واستجر القتل في عبد الأشل  
قد قتلنا الضعف من أشرافهم \* وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال :-

لعبت هاشم بالملك فلا \* ملك جاءه ولا وحي نزل

فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين ، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه ، وسيدكر في ترجمة يزيد بن معاوية قريبا ، وما ذكر عنه وما قيل فيه وما كان يعانیه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية ، فانه لم يمهل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده ، إنه كان عليهما قديرا . وقد توفي في هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرة مما يطول ذكرهم . فمن مشاهيرهم من الصحابة عبد الله بن حنظلة أمير المدينة في وقعة الحرة ، ومعقل بن سنان وعبيد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنهم ، ومسروق بن الأجدع .

### ثم دخلت سنة أربع وستين

ففيها في أول المحرم منها سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصداً قتال ابن الزبير ومن التف عليه من الأعراب ، على مخالفة يزيد بن معاوية ، واستخلف على المدينة رُوح بن زنباع ، فلما بلغ ثنية هرشا بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهم ، فقال : إن أمير المؤمنين عهد إلى إن حدث بي حدث الموت أن أستخلف عليكم حصين بن نمير السكوني ، والله لو كان الأمر لي ما فعلت ، ثم دعا به فقال : انظريا ابن بردعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به ، ثم أمره إذا وصل مكة أن يناجز ابن الزبير قبل ثلاث ، ثم



قال : اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أحب إلى من قتل أهل المدينة ، وأجزى عندي في الآخرة . وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشتى ، ثم مات قبحه الله ودفن بالمسلك فيما قاله الواقدي .

ثم أتبعه الله يزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه ، فما متمهما الله بشيء مما رجوه وأملوه ، بل قهرهم القاهر فوق عباده ، وسلبهم الملك ، ونزعه منهم من يزرع الملك ممن يشاء

وسار حصين بن نمير بالجيش نحو مكة فأنهى إليها لأربع بقين من المحرم فيما قاله الواقدي ، وقيل لسبع مضيئ منه ، وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشرف أهل المدينة ، وانضاف إليه أيضاً نجدة بن عامر الحنفي - من أهل اليمامة - في طائفة من أهلها ليمنعوا البيت من أهل الشام ، فقتل حصين بن نمير ظاهر مكة ، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن التف معه فاقتلوا عند ذلك قتالاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة ، فأنكشف أهل مكة ، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به ، ففكر عليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة فقاتلوا دونه حتى قتلوا جميعاً ، وصارهم ابن الزبير حتى الليل فانصرفوا عنه ثم اقتتلوا في بقية شهر المحرم وصفرًا بكامله ، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورموها حتى بالنار ، فاحترق جدار البيت في يوم السبت ، هذا قول الواقدي ، وهم يقولون :

خَطَّارُهُ مِثْلُ الْفَتِيحِ الْمَزْبُورِ \* تُرْمَى بِهَا جِدْرَانُ هَذَا الْمَسْجِدِ

وجعل عمر بن حوطة السدوسي يقول :-

كَيْفَ تَرَى صَنِيعَ أُمِّ فِرْوَةَ \* تَأْخِذُهُمْ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمِرْوَةِ

وأم فروة اسم المنجنيق ، وقيل : إنما احترقت لأن أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة ، فعلمت النار في بعض أستار الكعبة فسرت إلى أخشابها وسقفها فاحترقت ، وقيل إنما احترقت لأن ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام ، فرفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل ، فأطارت الريح شررةً من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة ، فعلمت في أستارها وأخشابها فاحترقت ، وأسود الركن وانصدع في ثلاثة أمكنة منه . واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر ، وجاء الناس نعي يزيد بن معاوية ، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابن خمس

لِللَّيْلِ

أو ثمان أو تسع وثلاثين سنة ، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أو ثمانية أشهر ، فغلب أهل الشام مالك وانقلبوا صاغرين ، فحينئذ خمدت الحرب وظفقت نار الفتنة ، ويقال : إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد نحو أربعين ليلة ، ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام وسأى فيهم : يا أهل الشام قد أهلك الله طاعتكم ، فمن أحب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليعمل ، ومن أحب أن يرجع إلى شامه فليرجع ، فلم يصدق الشاميون أهل مكة فيما أخبروهم به ، حتى جاء ثابت بن قيس بن القيقع بالخبر اليقين . ويذكر أن حصين بن نمير دعاه ابن الزبير ليحدثه بين الصفين فاجتمعا حتى اختلفت رؤوس فرسيهما ، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفها ، فقال له ابن الزبير : مالك ؟ فقال : إن الحمام تحت رجلى فرسى تأكل من الروث فأكره أن أطأ حمام الحرم ، فقال له : تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين ؟ فقال له حصين . فأذن لنا فلنظف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا ، فأذن لهم فطافوا .

وذكر ابن جرير أن حصينا وابن الزبير اتعدا ليلة أن يجتمعا فاجتمعا بظاهر مكة ، فقال له حصين : إن كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر بعده ، فسلم فارحل معي إلى الشام ، فوالله لا يختلف عليك اثنان . فيقال : إن ابن الزبير لم يثق منه بذلك وأغلظ له في المقال فنفر منه ابن نمير وقال : أنا أعود إلى الخلافة وهو يغلظ لي في المقال ؟ ثم كر بالجيش راجعاً إلى الشام ، وقال : أعدده بالملك ویتواعدني بالقتل ؟ . ثم ندم ابن الزبير على ما كان منه إليه من الغلظة ، فبعث إليه يقول له : أما الشام فلست بيده ولكن خذلي البيعة على من هناك ، فإني أو منكم وأعدل فيكم . فبعث إليه يقول له : إن من يبتغيها من أهل هذا البيت بالشام لكثير . فرجع فاجتاز بالمدينة مطمع فيه أهلها وأهائهم إهانة بالغة ، وأكرمهم على بن الحسين « زين العابدين » وأهدى لحصين ابن نمير قنطرة وعلفاً ، وارتحلت بنو أمية مع الجيش إلى الشام فوجدوا معاوية بن يزيد بن معاوية قد استخاف مكان أبيه بدمشق عن وصية من أبيه له بذلك ، والله سبحانه أعلم بالصواب .

### وهذه ترجمة يزيد بن معاوية

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي ، ولد سنة خمس أوست أو سبع وعشرين ، وبويج له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعده ، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين ، فاستمر متولياً إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين . وأمه ميسون بنت مخلد بن أنيف بن دلجة بن نفاثة بن عدى بن زهير بن حارثة الكلبى . روى عن أبيه معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وحديثاً آخر في الوضوء . وعنه ابنه خالد

ولي زهيرى

وعبد الملك بن مروان ، وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلى الصحابة ، وهي العليا ، وقال : له أحاديث ، وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر جميلاً طويلاً ضخماً الهامة محدد الأصابع غليظها مجدراً ، وكان أبوه قد طلق أمه وهي حامل به ، فرأت أمه في المنام أنه خرج منها قر من قبلها ، فقصت رؤياها على أمها فقالت : إن صدقت رؤياك لتلدن من يبايع له بالخلافة . وجلست أمه ميسون يوماً تمسّطه وهو صبي صغير ، وأبوه معاوية مع زوجته الحظية عنده في المنطرة ، وهي فاخنة بنت قرظة ، فلما فرغت من مشطه نظرت أمه إليه فأعجبها فقبلته بين عينيه ، فقال معاوية عند ذلك :

إذا مات لم تفلح مزينه بعده \* فنوطى عليه يامزين التماماً

وانطلق يزيد يمشى وفاخنة تتبعه بصرها ثم قالت : لعن الله سواد ساق أمك ، فقال معاوية : أما والله إنه خير من ابنك عبد الله - وهو ولده منها وكان أحق - فقالت فاخنة : لا والله لكنك تؤثر هذا عليه ، فقال : سوف أبين لك ذلك حتى تعرفينه قبل أن تقومى من مجلسك هذا ، ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له : إنه قد بدالى أن أعطيك كل ما تسألنى في مجلسى هذا ، فقال : حاجتى أن تشتري لى كلباً فارهاً وحملاً فارهاً ، فقال : يا بنى أنت حمار وتشتري لك حملاً ؟ قم فاخرج . ثم قال لأمه : كيف رأيت ؟ ثم استدعى يزيد فقال : إني قد بدالى أن أعطيك كل ما تسألنى في مجلسى هذا ، فسألنى ما بدالك . فخر يزيد ساجداً ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذى بلغ أمير المؤمنين هذه المدة ، وأراه فى هذا الراى ، حاجتى أن تعقد لى العهد من بعدك ، وتولينى العام صائفة المسلمين ، وتأذن لى فى الحج إذا رجعت ، وتولينى الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل فى عطائه ، وتجعل ذلك بشفاعتى ، وتعرض لأيتام بنى جمح ، وأيتام بنى سهم ، وأيتام بنى عدى . فقال : مالك ولأيتام بنى عدى ؟ فقال : لأنهم حالفونى وانتقلوا إلى دارى . فقال معاوية : قد فعلت ذلك كله ، وقبل وجهه ، ثم قال لفاخنة بنت قرظة : كيف رأيت ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين أوصد بى فأنت أعلم به منى ، ففعل . وفى رواية أن يزيد لما قال له أبوه : سألنى حاجتك ، قال له يزيد : اعتقنى من النار أعتق الله رقبتك منها ، قال : وكيف ؟ قال : لأنى وجدت فى الآثام أنه من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرّمه الله على النار ، فاعهد إلى بالأمر من بعدك ففعل .

وقال العتبي : رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً له فقال له : اعلم أن الله أقدر عليك منك عليه ، سواة لك ! ! أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك ؟ والله لقد منعتى القدرة من الانتقام من ذوى الاحن ، وإن أحسن من عفا لمن قدر .

قلت : وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله (س) رأى أبا مسعود يضرب غلاماً له فقال : « اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه » . قال العتبي : وقدم زياد بأموال كثيرة وبسقط مملوء جواهر

نوكى

على معاوية فسرّ بذلك معاوية ، فقام زياد فصعد المنبر ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية ، فقام يزيد فقال : إن تفعل ذلك يازياد فنحن نعلمناك من ولاء ثقيف إلى قريش ، ومن القلم إلى المنابر ، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بنى أمية . فقال له معاوية : اجلس فداك أبي وأمي . وعن عطاء بن السائب قال : غضب معاوية على ابنه يزيد فهجره فقال له الأحنف بن قيس : يا أمير المؤمنين إنما هم أولادنا ، ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، إن غضبوا فارضهم ، وإن طلبوا فاعطهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً فيملوا حياتك ويتمنوا موتك . فقال معاوية : لله درك يا أبا بحر ، يا غلام ائت يزيد فأقره مني السلام وقل له : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف درهم ، ومائة ثوب . فقال يزيد : من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : الأحنف ، فقال يزيد : لا جرم لأقاسمته ، فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفاً وخمسين ثوباً .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا ابن عائشة عن أبيه . قال : كان يزيد في حدائقه صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث ، فأحس معاوية بذلك فأحب أن يعظه في رفق ، فقال : يا بني ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمرءتك وقدرك ، ويشمت بك عدوك ويسئ بك صديقك ، ثم قال : يا بني إني منشدك أبياتاً فتأدب بها واحفظها ، فأنشده : -

انصبّ نهارة في طلاب العلاء \* واصبر على هجر الحبيب القريب  
حتى إذا الليل أتى بالدجا \* واكتحلت بالغمض عين الرقيب  
فبأشرف الليل بما تشهى \* فانما الليل نهار الأريب  
كم فاسق تحسبه ناسكاً \* قد بأشرف الليل بأمر عجيب  
غطى عليه الليل أستاره \* فبات في أمن وعيش خصيب  
ولدة الأحمق مكشوفة \* يسعى بها كل عدو مريب<sup>(١)</sup>

قلت : وهذا كما جاء في الحديث « من ابتلى بشئ من هذه القاذورات فليستر بستر الله عز وجل » .

وروى المدائني أن عبد الله بن عباس وفد إلى معاوية فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رحب به وأكرمه ، وجلس عنده بين يديه ، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنما أجلس مجلس للمعزى لا المهني ، ثم ذكر الحسن فقال رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك ، وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبي . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب

(١) بالهامش - ونسبة هذا الشعر إلى معاوية فيه نظر والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذهب علماء الناس ، ثم أنشد متمثلاً .

مغاض عن العوراء لا ينطقوا بها \* وأصل ورائاتِ الحلوم الأوائلُ

وقد كان يزيد أول من غزى مدينة قسطنطينية في سنة تسع وأربعين في قول يعقوب بن سفيان . وقال خليفة بن خياط : سنة خمسين . ثم حج بالناس في تلك السنة بعد مرجعه من هذه الغزوة من أرض الروم . وقد ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم » . وهو الجيش الثاني الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه عند أم حرام فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنت من الأولين » . يعني جيش معاوية حين غزا قبرص ، ففتحها في سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان ، وكانت معهم أم حرام فماتت هنالك بقبرص ، ثم كان أمير الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية ، ولم تدرك أم حرام جيش يزيد هذا . وهذا من أعظم دلائل النبوة .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر ههنا الحديث الذي رواه محاضر عن الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله . أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . وكذلك رواه عبد الله بن شفيق عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثله . ثم أورد من طريق حماد بن سلمة عن أبي محمد عن زرارة بن أوفى قال : القرن عشرون ومائة سنة ، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قرن وكان آخره موت يزيد بن معاوية . قال أبو بكر بن عياش : حج بالناس يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين وثلثين وخمسين وثلث خمسين . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو كريب ثنا رشد بن عمرو بن الحارث عن أبي بكير بن الأشج أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلا إن وليت ؟ قال : يمتع الله بك يا أمير المؤمنين ، قال لتخبرني : قال ، كنت والله يا أبة عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بني والله لقد جهدت على سيرة عثمان بن عفان فما أطقها فكيف بك وسيرة عمر ؟

وقال الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن مروان بن أبي سعيد بن المعلى قال قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت : يا يزيد !! اتق الله فقد وطأت لك هذا الأمر ، ووليت من ذلك ما وليت ، فان يك خيراً فانا أسعد به ، وإن كان غير ذلك شقيت به ، فافرق بالناس وأغض عما بلنك من قول تؤذى به وتنتقص به ، وطأ عليه بهنك عيشك ، وتصلح لك رعيتك ، وإياك والمناقشة وحمل الغضب ، فانك تهلك نفسك ورعيتك ، وإياك وخيرة أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم ، ولن لهم لنا بحيث لا يروا منك ضعفاً ولا خوراً ، وأوطنهم فراشك وقر بهم إليك وادنهم منك ، فانهم يعلموا لك حقتك ، ولا تهتمهم ولا تستخف بحقهم فيهنوك ويستخفوا بحقتك ويقعوا فيك ،

فاذا أردت أمراً فادع أهل السن والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى فشاوهم ولا تخالفهم ، وإياك والاستبداد برأيك فان الرأي ليس في صدر واحد ، وصدق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف ، واخزن ذلك عن نساءك وخدمك ، وشمر إزارك ، وتعاهد جنك ، وأصلح نفسك تصلح لك الناس ، لاتدع لهم فيك مقالا فان الناس سراع إلى الشر ، واحضر الصلاة ، فانك إذا فعلت ما أوصيك به عرف الناس لك حقك ، وعظمت مملكتك ، وعظمت في أعين الناس ، واعرف شرف أهل المدينة ومكة فانهم أصلك وعشيرتك ، واحفظ لأهل الشام شرفهم فانهم أهل طاعتك ، واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعدم فيه منك بالمعروف ، فان ذلك يبسط آمالهم ، وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم وأكرمهم فانهم لمن ورائهم ، ولا تسمعن قول قاذف ولا ما حل فاني رأيتهم وزراء سوء .

وهن وجه آخر أن معاوية قال ليزيد : إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه ، قال : ومن هو ؟ قال : عبد الله بن جعفر . فلما وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التي كان معاوية يعطيه إياها ، وكانت جائزته على معاوية ستمائة ألف ، فأعطاه يزيد ألف ألف ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، فأعطاه ألف ألف أخرى . فقال له ابن جعفر : والله لا أجمع أبوي لأحد بعدك . ولما خرج ابن جعفر من عند يزيد وقد أعطاه ألفي ألف ، رأى على باب يزيد بخاتي مبركات قد قدم عليها هدية من خراسان ، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد فسأله منها ثلاث بخاتي ليركب عليها إلى الحج والعمرة ، وإذا وفد إلى الشام على يزيد ، فقال يزيد للحاجب : ما هذه البخاتي التي على الباب ؟ - ولم يكن شعر بها - فقال : يا أمير المؤمنين هذه أربعمائة بختية جاءتنا من خراسان تحمل أنواع الألفاظ - وكان عليها أنواع من الأموال كلها - فقال : اصرفها إلى أبي جعفر ، ما عليها . فكان عبد الله بن جعفر يقول : أتقوموني على حسن الرأي في هذا ؟ - يعني يزيد -

وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك . وكان ذا جمال حسن المعاشرة ، وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات ، وإماتتها في غالب الأوقات . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ثنا حيوة حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أباسعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون خلف من بعد ستين سنة أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، و يقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وقاجر . » فقلت للوليد : ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به . تفرد به أحمد . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زهير بن حرب ثنا الفضل بن دكين ثنا كامل أبو العلاء سمعت



أبا صالح سمعت أبا هريرة . يقول قال رسول الله ص : « تعوذوا بالله من سنة سبعين ، ومن إماراة الصبيان » . وروى الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال في يزيد بن معاوية : -

لست منا وليس خالك منا \* يامضيع الصلوات للشهوات

قال : وزعم بعض الناس أن هذا الشعر لموسى بن يسار ، ويعرف بموسى شهوات ، وروى عن عبد الله بن الزبير أنه سمع جارية له تغني بهذا البيت فضربها وقال قولي :

أنت منا وليس خالك منا \* يامضيع الصلوات للشهوات

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحكم بن موسى ثنا يحيى بن حمزة عن هشام بن الغاز عن مكحول

عن أبي عبيدة : أن رسول الله ص قال : « لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يثله رجل من بني أمية يقال له يزيد » . وهذا منقطع بين مكحول وأبي عبيدة بل منقطع . وقد رواه ابن عساكر من طريق صدقة بن عبد الله الدمشقي عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة . عن رسول الله ص قال : « لا يزال أمر هذه الأمة قائما بالقسط حتى يكون أول من يثله رجل من بني أمية يقال له يزيد » . ثم قال وهو منقطع أيضا بين مكحول وأبي ثعلبة . وقال أبو يعلى :

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن عوف عن خالد بن أبي المهاجر عن أبي العالية . قال : كنا مع أبي ذر بالشام فقال أبو ذر سمعت رسول الله ص يقول : « أول من يغير

منتى رجل من بني أمية » . ورواه ابن خزيمة عن بندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد عن عوف : حدثنا مهاجر بن أبي مخلد حدثني أبو العالية حدثني أبو مسلم عن أبي ذر فذكر نحوه ، وفيه قصة وهي أن أبا ذر كان في غزاة عليهم يزيد بن أبي سفيان فاشتصب يزيد من رجل جارية ، فاستعان الرجل بأبي ذر على يزيد أن يردّها عليه ، فأمره أبو ذر أن يردّها عليه ، فتلكأ فذكر أبو ذر له الحديث فردّها ، وقال يزيد لأبي ذر : نشدتك بالله أهو أنا ؟ قال : لا . وكذا رواه البخاري في التاريخ وأبو يعلى عن محمد بن المثني عن عبد الوهاب . ثم قال البخاري : والحديث معلول ولا نعرف أن أبا ذر

قدم الشام زمن عمر بن الخطاب . قال : وقد مات يزيد بن أبي سفيان زمن عمر فولى مكانه أحاه معاوية . وقال عباس الدوري : سألت ابن معين : أسمع أبو العالية من أبي ذر ؟ قال : لا إنما يروى عن أبي مسلم عنه ، قلت : فمن أبو مسلم هذا ؟ قال : لا أدري .

وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح شيء منها ، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيدہ وانقطاع بعضه والله أعلم . قال الحارث بن مسكين عن سفيان عن شبيب عن عرقدة بن المستظل . قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد علمت ورب الكعبة

متى تهلك العرب ، إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية ولم يكن له قدم في الاسلام . قلت : يزيد بن معاوية أكثر ما نقم عليه في عمله شرب الخمر وإتيان بعض الفواحش ، فأما قتل الحسين فانه كما قال جده أبو سفيان يوم أحد لم يأمر بذلك ولم يسؤه . وقد قدمنا أنه قال : لو كنت أنا لم أفعل معه ما فعله ابن مرجانة - يعني عبيد الله بن زياد - وقال للرسول الذين جاؤا برأسه : قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا ، ولم يعطهم شيئاً ، وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضعافه ، وردم إلى المدينة في محامل وأهبة عظيمة ، وقد ناح أهله في منزله على الحسين حين كان أهل الحسين عندهم ثلاثة أيام ، وقيل إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ثم ندم على ذلك ، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : إن يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال : لما قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث برؤسهم إلى يزيد ، فسر بقتله أولاً وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم فكان يقول : وما كان علي لو احتملت الأذى وأنزلته في داري وحكمته فيما يريد ، وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني ، حفظا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ورعاية لحقه وقرابته ، ثم يقول : لعن الله ابن مرجانة فانه أخرج واضطره ، وقد كان سأله أن يخلى سبيله أو يأتيني أو يكون بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله ، فلم يفعل ، بل أبى عليه وقتله ، فبغضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً ، مالي ولا ابن مرجانة قبحة الله وغضب عليه .

ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلعوه وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة ، لم يذكروا عنه - وهم أشد الناس عداوة له - إلا ما ذكره عنه من شرب الخمر وإتيانه بعض القاذورات ، لم يتهموه بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض ، بل قد كان فاسقاً والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يشور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج كما وقع زمن الحرة ، فانه بعث إليهم من يردمهم إلى الطاعة وأنظرم ثلاثة أيام ، فلما رجعوا قاتلهم وغير ذلك ، وقد كان في قتال أهل الحرة كفاية ، ولكن تجاوز الحد باباحة المدينة ثلاثة أيام ، فوقع بسبب ذلك شر عظيم كما قدمنا ، وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد . ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد . كما قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن علية حدثني صخر بن جويرية عن نافع . قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال : أما بعد فانا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول . « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ، وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الاشرار بالله ، أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته . » فلا يخلفن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر ، فيكون الفيصل بيني وبينه .

يزيد

موقف الامام

قتال أهل الحرة

وقد رواه مسلم والترمذى من حديث صخر بن جويرية ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني عن صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر فذكر مثله .

ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ماتدكرون ، وقد حضرته وأقت عنده فرأيت موظباً على الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة ، قالوا : فان ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذي خاف مني أوجا حتى يظهر إلى الخشوع ؟ فأطلعكم على ماتدكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأينا . فقال لهم أبي الله ذلك على أهل الشهادة ، فقال : [ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ] ولست من أمركم في شيء ، قالوا : فلعلك تذكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ماتريدوني عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك ، قال : جيتوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه ، فقالوا : فرأيتك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا ، قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاما تحض الناس فيه على القتال ، قال : سبحان الله !! أمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه . إذا ما نصحت لله في عباده . قالوا : إذا نكرهك . قال : إذا أمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق ، وخرج إلى مكة .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا مصعب الزبيري ثنا ابن أبي حازم عن هشام عن زيد بن أسلم عن أبيه أن ابن عمر دخل وهو معه علي بن مطيع ، فلما دخل عليه . قال : مزحياً بأبي عبد الرحمن ضعوا له وسادة ، فقال : إنما جئتكم لأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نزع يداً من طاعة فانه يأتي يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات مفارق الجماعة فانه يموت موة جاهلية » . وهكذا رواه مسلم من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر به ، وتابعه إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن زيد بن أسلم عن أبيه . وقد رواه الليث عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فذكره . وقال أبو جعفر الباقر : لم يخرج أحد من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحرة ، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرمه وأدنى مجلسه وأعطاه كتاب أمان . وروى المدائني أن مسلم بن عقبة بعث روح بن زنباع إلى يزيد ببشارة الحرة ، فلما أخبره بما وقع قال : واقوماه ، ثم دعا الضحاک بن قيس الفهري فقال له : ترى مالقي أهل المدينة ؟ فما الذي يجبرهم ؟ قال : الطعام والأعطية ، فأمر بحمل الطعام إليهم وأفاض عليهم أعطيته . وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض

عنه من أنه سمعت بهم واشتفى بقتلهم ، وأنه أنشد ذكراً وأثراً شعر ابن الزبير المتقدم ذكره . وقال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام : حدثني محمد بن القاسم سمعت الأصمعي يقول سمعت هارون الرشيد ينفذ يزيد بن معاوية :-

إنها بين عامر بن لؤي \* حين تمنى وبين عبد مناف  
ولها في الطيبين جدود \* ثم نالت مكارم الأخلاف  
بنت عم النبي أكرم من \* عشي بنعل على التراب وحاف  
إن تراها على التبدل والغدا \* ظلة إلا كدره الأصداف

قال الزبير بن بكار : أنشدني عمي مصعب يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

آب هذا لهم فاكنتفا \* ثم مر النوم فامتنعا  
إعياً للنجم أرقبه \* فاذا ما كوكب طلعا  
حام حتى أننى لأرى \* أنه بالغور قد وقعا  
ولها بالمطارون إذا \* أكل النمل الذى جمعا  
نزفه حتى إذا بلغت \* نزلت من خلق تبعنا  
في قباب وسط دسكرة \* حولها الزيتون قدینعا

ومن شعره

وقائلة لى حين شبهت وجهها \* ببدر الدجى يوماً وقد ضاق منهجى  
تسببى بالبدر هذا تناقص \* بقدرى ولكن لست أول من هجى  
ألم تر أن البدر عند كماله \* إذا بلغ التشبيه عاد كمنلجى  
فلا نخر إن شبهت بالبدر مبسبى \* وبالسحر أجفانى وبالليل مدعجى

قد ذكره الزبير بن بكار عن أبي محمد الجزرى قال : كانت بالمدينة جارية مغنية يقال لها سلامة ، من أحسن النساء وجهاً ، وأحسنهن عقلاً وأحسنهن قداً ، قد قرأت القرآن . وروت الشعر وقالته ، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يجلسان إليها . فعلمت الأحوص فصدت عن عبد الرحمن ، فرحل ابن حسان إلى يزيد بن معاوية إلى الشام فامتدحه ودله على سلامة وجعلها وحسنها وفصاحتها . وقال : لا تصلح إلا لك يا أمير المؤمنين ، وأن تكون من سمارك ، فأرسل يزيد فاشترى له وجمعت إليه ، فوقمت منه موقعا عظيماً ، وفضلها على جميع من عنده ، ورجع عبد الرحمن إلى المدينة فر بالأحوص فوجده مهموماً ، فأراد أن يزيد به إلى مابه من الهم هما فقال :

للا لالا

يا مبتلى بالحب مقروجا \* لاقى من الحب تبارجحا  
أغمه الحب فما ينثنى \* إلا بكاس الحب مصبوحا  
وصار ما يعجبه مفلقاً \* عنه وما يكره مفتوحا  
قد حازها من أصبحت عنده \* ينال منها الشم والريحا  
خليفة الله فسل الهوى \* وعز قلباً منك مجروحاً

قال : فأمسك الأحوص عن جوابه ثم غلبه وجده عليها فسار إلى يزيد فامتدحه فأكرمه يزيد وحظى عنده ، فدست إليه سلامة خادماً وأعطته مالاً على أن يدخله إليها ، فأخبر الخادم يزيد بذلك ، فقال : امض لرسالتك ، ففعل وأدخل الأحوص عليها وجلس يزيد في مكان يراها ولا يريانه ، فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فآلتى له كرسي فقعد عليه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة شوقه إليه فلم يزالا يتحدثان إلى السحر ، ويزيد يسمع كلامهما من غير أن يكون بينهما ريب ، حتى إذا هم الأحوص بالخروج قال : -

أمسى فؤادي في همٍ وبلبالٍ \* من حبٍ من لم أزل منه على بالٍ  
صحح المحبون بعد النأي إذ يتسوا \* وقد يتست وما أضحوا على حالٍ  
قال : من كان يسلوبياً عن أخى ثقة \* فعنك سلام ما أمسيت بالسالى  
فقلت : والله والله لا أنساك يا شجنى \* حتى تفارق منى الروح أوصالى  
قال : والله ما خاب من أمسى وأنت له \* يا قرّة العين في أهل وفي مالٍ

قال : ثم ودعها وخرج ، فأخذه يزيد ودعا بها فقال : أخبرانى عما كان فى ليلتكما وأصدقانى ، فأخبراه وأنشدها ما قال ، فلم يحرفا منه حرفاً ولا غيراً شيئاً مما سمعه ، فقال لها يزيد : أتجيبينه ؟  
قلت : إى والله يا أمير المؤمنين

حباً شديداً جرى كالروح فى جسدى \* فهل يفرق بين الروح والجسد ؟  
فقال له : أتجيبها ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين

حباً شديداً تليداً غير مطرفٍ \* بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال يزيد : إنكما لتصفان حباً شديداً خذها يا أحوص فهى لك ، ووصله صلة سنية . فرجع بها الأحوص إلى الحجاز وهو قرير العين . وقد روى أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والفنا والصيد وأخذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدياب والقروء ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً ، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ، ويلبس القرد قلانس الذهب ، وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل ، وكان إذا مات القرد حزن عليه . وقيل :

إن سبب موته أنه حمل قرودة وجمل ينقرها فعضته . وذكروا عنه غير ذلك والله أعلم بصحة ذلك  
وقال عبد الرحمن بن أبي مدعور : حدثني بعض أهل العلم قال : آخر ماتكم به يزيد بن  
معاوية : اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه ، ولم أرده ، واحكم بيني وبين عبيد الله بن زياد . وكان نقش  
خاتمه آمنت بالله العظيم

مات يزيد بجوارين من قرى دمشق في رابع عشر ربيع الأول ، وقيل يوم الخميس للنصف  
منه ، سنة أربع وستين . وكانت ولايته بعد موت أبيه في منتصف رجب سنة ستين ، وكان مولده  
في سنة خمس ، وقيل سنة ست ، وقيل سبع وعشرين . ومع هذا فقد اختلف في سنه ومبلغ أيامه في  
الامارة على أقوال كثيرة ، وإذا تأملت ما ذكرته لك من هذه التحديدات انزاح عنك الأشكال  
من هذا الخلاف ، فإن منهم من قال : جاوز الأربعين حين مات فله أعلم . ثم حمل بعد موته إلى  
دمشق وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذ ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وفي أيامه  
وسع النهر المسمى بيزيد في ذيل جبل قاسيون ، وكان جدولاً صغيراً فوسعه أضعاف ما كان يجري  
فيه من الماء .

وقال ابن عساكر : حدثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدى قاضى البحرين  
من لفظه وكتبه لى بخطه - قال : رأيت يزيد بن معاوية فى النوم فقلت له : أنت قتلت الحسين ؟  
فقال : لا ! فقلت له : هل غفر الله لك ؟ قال : نعم ، وأدخلنى الجنة . قلت : فالحديث الذى بروى  
أن رسول الله (ص) : « رأى معاوية يحمل يزيد فقال : رجل من أهل الجنة يحمل رجلاً من أهل  
النار » ؟ فقال : ليس بصحيح . قال ابن عساكر . وهو كما قال ، فإن يزيد بن معاوية لم يولد فى حياة  
النبي (ص) . وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة .  
وقال أبو جعفر بن جرير :

### أولاد يزيد بن معاوية وعددهم

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أبا ليلي وهو الذى يقول فيه الشاعر : -  
إنى أرى فتنة قدحان أولها \* والملاك بعد أبى ليلي لمن غلبا  
وخالد بن يزيد يكنى أبا هاشم كان يقال إنه أصاب علم الكيمياء ، وأبوسفيان ، وأمهما أم هاشم  
بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وقد تزوجها بعد يزيد مروان بن الحكم ، وهى  
التي يقول فيها الشاعر :

أنعى أم خالد \* رب ساع كقاع

للاللال

وعبد العزيز بن يزيد ويقال له الأسوار، وكان من أرمى العرب، وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الذي يقول فيه الشاعر:

زعم الناس أن خير قرشي \* كلهم حين يذكرون الأساور

وعبد الله الأصغر، وأبو بكر، وعتبة، وعبد الرحمن، والربيع، ومحمد، لأمهات أولاد شتي. ويزيد وحرب وعمر وعثمان. فهؤلاء خمسة عشر ذكراً، وكان له من البنات عاتكة ورملة وأم عبد الرحمن وأم يزيد، وأم محمد. فهؤلاء خمس بنات. وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب، والله سبحانه أعلم.

### إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية

أبي عبد الرحمن ويقال أبو يزيد ويقال أبو يعلى القرشي الأموي، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة، بويع له بعد موت أبيه - وكان ولي عهده من بعده - في رابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان رجلاً صالحاً ناسكاً، ولم تطل مدته، قيل: إنه مكث في الملك أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً، وقيل شهرين، وقيل شهراً ونصف شهر، وقيل ثلاثة أشهر وعشرون يوماً، وقيل أربعة أشهر فإله أعلم.

وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج إلى الناس، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلي بالناس ويسد الأمور، ثم مات معاوية بن يزيد هذا عن إحدى وعشرين وقيل ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً، وقيل تسع عشرة سنة، وقيل عشرون سنة، وقيل ثلاث وعشرون سنة، وقيل: إنما عاش ثمانين سنة، وقيل تسع عشرة سنة، وقيل عشرون، وقيل خمس وعشرون فإله أعلم. وصلى عليه أخوه خالد، وقيل عثمان بن عتبة وهو الصحيح، فانه أوصى إليه بذلك، وشهد دفنه مروان بن الحكم، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلي بالناس بعده حتى استقر الأمر لمروان بالشام، ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق، ولما حضرته الوفاة قيل له الأنوصي فقال: لا أتزوّد مرارتها إلى آخرتي وأترك حلاوتها لبني أمية، وكان رحمه الله أبيض شديد البياض كثير الشعر كبير العينين جعد الشعر أفتى الأنف، مدور الرأس، جميل الوجه كثير شعر الوجه دقيقه حسن الجسم. قال أبو زرعة الدمشقي: معاوية وعبد الرحمن وخالد أخوه، وكانوا من صالحى القوم وقال فيه بعض الشعراء - وهو عبد الله بن همام البلوي -:

تلقاها يزيد عن أبيه \* فدونكم معاوى عن يزيدا

أدبروها بنى حرب عليكم \* ولا ترموا بها الغرض البعيدا

ويروى أن معاوية بن يزيد هذا نادى في الناس الصلاة جامعة ذات يوم، فاجتمع الناس فقال لهم فيما قال: يا أيها الناس إني قد وليت أمركم وأنا ضعيف عنه، فان أحببتم تركتها لرجل قوى كما

تركها الصديق لعمر ، وإن شئتم تركتها شورى في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب ، وليس فيكم من هو صالح لذلك ، وقد تركت لكم أمركم فولوا عليكم من يصلح لكم . ثم نزل ودخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى . ويقال إنه سقى ويقال إنه طعن .

ولما دفن حضر مروان دفنه فلما فرغ منه قال مروان : أتدرون من دفنتم ؟ قالوا : نعم معاوية ابن يزيد ، فقال مروان : هو أبو ليلى الذي قال فيه أرثم الفزاري

إني أرى فتنة تغلي مراجلها \* والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

قالوا : فكان الأمر كما قال ، وذلك أن أبا ليلى توفي من غير عهد منه إلى أحد ، فتغلب إلى الحجاز عبد الله بن الزبير ، وعلى دمشق وأعمالها مروان بن الحكم ، وبايع أهل خراسان سلم بن زياد حتى يتولى على الناس خليفة ، وأحبوه محبة عظيمة ، وسار فيهم سلم سيرة حسنة أحبوه عليها ، ثم أخرجوه من بين أظهرهم . وخرج القراء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق ، وطردها عنهم عبيد الله بن زياد بعد ما كانوا بايعوه عليهم حتى يصير للناس إمام ، فأخرجوه عنهم ، فذهب إلى الشام بعد فصول يطول ذكرها ، وقد بايعوا بعده عبد الله بن الحارث بن نوفل المعروف ببة ، وأمه هند بنت أبي سفيان ، وقد جعل على شرطة البصرة هميان بن عدي السدوسي ، فبايعه الناس في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، وقد قال الفرزدق

وبايعت أقواماً وفيت بهمهم \* وبية قد بايعته غير نادم

فأقام فيها أربعة أشهر ثم لزم بيته ، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب ابن الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلى بالناس ، فصلى بهم شهرين ، ثم كان ماسنذ كره . وخرج نجدة بن عامر الحنفي باليمامة ، وخرج بنو ماحورا في الأهواز وفارس وغير ذلك على ماسياتي تفصيله قريباً إن شاء الله تعالى .

### إمارة عبد الله بن الزبير

#### وعند ابن حزم وطائفة أنه أمير المؤمنين آنذاك

قد قدمنا أنه لما مات يزيد أفلح الجيش عن مكة وهم الذين كانوا يحاصرون ابن الزبير وهو عائد بالبيت فلما رجع حصين بن نمير السكوني بالجيش إلى الشام ، استفحل ابن الزبير بالحجاز وماز الأها ، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة هناك ، واستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير ، وأمره باجلاء بني أمية عن المدينة فاجلاهم فرحلوا إلى الشام ، وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير بعد حروب جرت بينهم وقتن كثيرة يطول استقصاؤها ، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحواً من أربعة أمراء من بينهم ثم تضررب أمورهم ، ثم بعثوا إلى ابن الزبير



وهو بمكة يخطبونه لأنفسهم ، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلي بهم ، ويقال إن أول من بايع ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن ، فقال الناس : هذا أمر فيه صعوبة ، وبايعه عبد الله بن جعفر وعبد الله بن علي بن أبي طالب ، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفية وابن عباس ليبايعوا فأبوا عليه . وبيع في رجب بعد أن أقام الناس نحو ثلاثة أشهر بلا إمام . وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبد الرحمن ابن يزيد الأنصاري على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج ، واستوثق له المصران جميعاً ، وأرسل إلى مصر فبايعوه . واستناب عليها عبد الرحمن بن جحدر ، وأطاعت له الجزيرة ، وبعث على البصرة الحارث بن عبد الله بن ربيعة ، وبعث إلى اليمن فبايعوه ، وإلى خراسان فبايعوه ، وإلى الضحاك بن قيس بالشام فبايع ، وقيل إن أهل دمشق وأعمالها من بلاد الأردن لم يبايعوه ، لأنهم بايعوا مروان بن الحكم لما رجع الحصين بن نمير من مكة إلى الشام ، وقد كان التف على عبد الله بن الزبير جماعة من الخوارج يدافعون عنه ، منهم نافع بن الأزرق ، وعبد الله بن أباض ، وجماعة من رؤسهم . فلما استقر أمره في الخلافة قالوا فيما بينهم : إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيه في عثمان بن عفان - وكانوا ينتقصون عثمان - فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان فأجابهم فيه بما يسوؤهم ، وذكر لهم ما كان متصفاً به من الإيمان والتصديق ، والمدل والاحسان والسيرة الحسنة ، والرجوع إلى الحق إذا تبين له ، فعند ذلك نفروا عنه وفارقوه وقصدوا بلاد العراق وخراسان ، ففترقوا فيها بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة ، التي لا تنضبط ولا تنحصر ، لأنها مفرعة على الجهل وقوة النفوس ، والاعتقاد الفاسد ، ومع هذا استحوذوا على كثير من البلدان والكور ، حتى انتزعت منهم على ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله .

### ذكر بيعة مروان بن الحكم .

وكان سبب ذلك أن حصين بن نمير لما رجع من أرض الحجاز وارتحل عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام ، وانتقلت بنو أمية من المدينة إلى الشام ، اجتمعوا إلى مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد ، وقد كان معاوية بن يزيد قد عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق ، وقد بايع أهلها الضحاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على إمام ، والضحاك يريد أن يبايع لابن الزبير ، وقد بايع لابن الزبير النعمان بن بشير بخص ، وبايع له زفر بن عبيد الله الكلابي بقنسرين ، وبايع له نائل بن قيس بفسطاطين ، وأخرج منها روح بن زنباع الجذامي ، فلم يزل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير بمروان بن الحكم يحسنون له أن يتولى ، حتى ثنوه عن رأيه وحذروه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام ، وقالوا له : أنت شيخ قريش وسيدها ، فأنت أحق بهذا الأمر . فرجع عن البيعة لابن الزبير ، وخاف ابن زياد الهلاك إن تولى غير بني

أمية ، فعند ذلك التف مؤلاء كلهم مع قومه بني أمية ومع أهل اليمن على مروان ، فواقهم على ما أرادوا ، وجعل يقول ما فات شي ، وكتب حسان بن مالك بن مجدل الكلبي إلى الضحاك بن قيس يثنيه عن المبايعة لابن الزبير ، ويعرفه أيادي بني أمية عنده وإحسانهم ، ويدكر فضلهم وشرفهم ، وقد بايع حسان بن مالك أهل الأردن لبني أمية ، وهو يدعو إلى ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان ، وبعث إلى الضحاك كتابا بذلك ، وأمره أن يقرأ كتابه على أهل دمشق يوم الجمعة : على المنبر ، وبعث بالكتاب مع رجل يقال له ناغضة بن كريب الطابجي ، وقيل هو من بني كلب وقال له : إن لم يقرأه هو على الناس فقرأه أنت ، فأعطاه الكتاب فسار إلى الضحاك فأمره بقراءة الكتاب فلم يقبل ، فقام ناغض فقرأه على الناس فصدقه جماعة من أمراء الناس ، وكذبه آخرون ، وثار فتنة عظيمة بين الناس ، فقام خالد بن يزيد بن معاوية وهو شاب حدث على درجتين من المنبر فسكن الناس ، ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ، وأمر الضحاك بن قيس بأولئك الذين صدقوا ناغضة أن يسجنوا ، فثار قبائلهم فأخرجوهم من السجن ، واضطرب أهل دمشق في ابن الزبير وبني أمية ، وكان اجتماع الناس لذلك ووقوفهم بعد صلاة الجمعة بباب الجيرون « فسمى هذا اليوم يوم جيرون »

قال المدائني : وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يتولى عليهم فأبى ، وهلك في تلك الليالي ، ثم إن الضحاك بن قيس صعد منبر المسجد الجامع فخطبهم به ، ونال من يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من بني كلب فضر به بعصى كانت معه ، والناس جلوس متقلدي سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا في المسجد قتالا شديدا ، فقيس ومن لف لفيها يدعون إلى ابن الزبير وينصرون الضحاك بن قيس ، وبنو كلب يدعون إلى بني أمية وإلى البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، ويتعصبون ليزيد وأهل بيته ، فنهض الضحاك بن قيس فدخل دار الامارة وأغلق الباب ولم يخرج إلى الناس إلا يوم السبت لصلاة الفجر ، ثم أرسل إلى بني أمية فجمعهم إليه فدخلوا عليه وفيهم مروان بن الحكم ، وعمر بن سعيد بن العاص ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية . قال المدائني : فاعتذر إليهم مما كان منه ، واتفق معهم أن يركب معهم إلى حسان بن مالك الكلبي فيتفقوا على رجل يرتضونه من بني أمية للامارة ، فركبوا جميعا إليه ، فبينما هم يسرون إلى الجابية لقصد حسان ، إذ جاء معن بن نور بن الأخنس في قومه قيس ، فقال له : إنك دعوتنا إلى بيعة ابن الزبير فأجبنك ، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له الضحاك : وما الرأي ؟ قال : الرأي أن نظهر ما كنا نسر ، وأن ندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها من أباه . فقال الضحاك بمن معه فرجع إلى دمشق ، فأقام بها بمن معه من الجيش من قيس ومن لف لفيها ،

وبعث إلى أمراء الأجناد وبايع الناس لابن الزبير ، وكتب بذلك إلى ابن الزبير يعلمه بذلك ، فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعه ، وكتب إليه بفيابة الشام ، وقيل بل بايع لنفسه بالخلافة فآله أعلم .

والذي ذكره المدائني أنه إنما دعا إلى بيعة ابن الزبير أولاً ، ثم حسن له عبيد الله بن زياد أن يدعو إلى نفسه ، وذلك إنما فعله مكرماً منه وكباراً ليفسد عليه ما هو بصدده ، فدعا الضحاك إلى نفسه ثلاثة أيام ، فنقم الناس عليه ذلك وقالوا : دعوتنا إلى بيعة رجل فبايعناه ثم خلعتنا بلا سبب ولا عذر ، ثم دعوتنا إلى نفسك ؟ فرجع إلى البيعة لابن الزبير فسقط بذلك عند الناس ، وذلك الذي أراد ابن زياد . وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه مروان وتحمينه له أن يدعو إلى نفسه ، ثم فارق مروان ليخضع له الضحاك ، فنزل عنده بدمشق وجعل يركب إليه كل يوم ، ثم أشار ابن زياد على الضحاك أن يخرج من دمشق إلى الصحراء ويدعو بالجيش إليه ليكون أمكن له ، فركب الضحاك إلى مرج راهط فنزل بمن معه من الجنود ، وعند ذلك اجتمع بنو أمية ومن اتبعهم بالأردن واجتمع إليهم من هنالك من قوم حسان بن مالك من بني كلب . ولما رأى مروان بن الحكم ما انتظم من البيعة لابن الزبير ، وما استوثق له من الملك ، عزم على الرحيل إليه لمبايعته وليأخذ منه أماناً لبني أمية ، فسار حتى بلغ أذرعات فلقبه ابن زياد مقبلاً من العراق فصدده عن ذلك وهجن رأيه ، واجتمع إليه عمرو بن سعيد بن العاص ، وحصين بن نمير ، وابن زياد ، وأهل اليمن وخلق ، فقالوا لمروان : أنت كبير قریش ، وخالد بن يزيد غلام ، وعبيد الله بن الزبير كهل ، فانما يقرع الحديد ببعضه ببعض ، فلا تناوته بهذا الغلام ، وارم بنحرك في نحره ، ونحن نبايعك ، ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه بالجابية في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين ، قاله الواقدي ، فلما تمهد له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس فالتقيا بمرج راهط فغلبه مروان بن الحكم وقتله وقتل من قيس مقتلة لم يسمع بمثلا ، على ما سيأتي تفصيله في أول سنة خمس وستين . فان الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت هذه الوقعة في الحرم من أول سنة خمس وستين . وفي رواية محمد بن سعد : وعن الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت في أواخر هذه السنة . وقال الليث بن سعد والواقدي والمدائني وأبو سليمان بن يزيد وأبو عبيدة وغير واحد : كانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري رضي الله عنه  
قد تقدم أن الضحاك كان نائب دمشق لمعاوية بن أبي سفيان ، وكان يصلي عنهم إذا اشتغلوا

❦❦❦

أو غابوا ، و يقيم الحدود ويسد الأمور ، فلما مات معاوية قام بأعباء بيعة يزيد ابنه ، ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد ، فلما مات معاوية بن يزيد بايعه الناس من دمشق حتى تجتمع الناس على إمام ، فلما اتسعت البيعة لابن الزبير عزم على المبايعة له ، فخطب الناس يوماً وتكلم في يزيد بن معاوية وذمه ، وقامت فتنة في المسجد الجامع ، حتى اقتتل الناس فيه بالسيوف ، فسكن الناس ثم دخل دار الامارة من الخضراء وأغلق عليه الباب ، ثم اتفق مع بني أمية على أن يركبوا إلى حسان ابن مالك بن بحدل وهو بالأردن فيجتمعوا عنده على من يراه أهلاً للامارة ، وكان حسان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد ، ويزيد ابن ميسون ، وميسون بنت بحدل ، أخت حسان ، فلما ركب الضحاك معهم انخزل بأكثر الجيش فرجع إلى دمشق فامتنع بها ، وبعث إلى أمراء الأجناد فبايعهم لابن الزبير ، وسار بنو أمية ومعهم مروان وعمر بن سعيد ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ، حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية . وليس لهم قوة طائلة بالنسبة إلى الضحاك بن قيس ، فعزم مروان على الرحيل إلى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ أماتاً منه لبني أمية ، فانه كان قد أمر بأجلاتهم عن المدينة ، فسار حتى وصل إلى أذرعاء فلقبه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق ، فاجتمع به ومعه حصين بن نمير ، وعمر بن سعيد بن العاص ، فحسنوا إليه أن يدعو إلى نفسه ، فانه أحق بذلك من ابن الزبير الذي قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من الخلفاء ، فلم يزالوا بمروان حتى أجابهم إلى ذلك ، وقال له عبيد الله بن زياد : وأنا أذهب لك إلى الضحاك إلى دمشق فأخذه لك وأخذل أمره ، فسار إليه وجعل يركب إليه كل يوم ويظهر له الود والنصيحة والمحبة ، ثم حسن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع ابن الزبير فانك أحق بالأمر منه ، لأنك لم تزل في الطاعة مشهوراً بالأمانة ، وابن الزبير خارج عن الناس ، فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يصمد معه ، فرجع إلى الدعوة لابن الزبير ، ولكن انحط بها عند الناس ، ثم قال له ابن زياد : إن من يطلب ما تطلب لا يزل المدن والحصون ، وإنما ينزل الصحراء ويدعو إليه بالجنود ، فبرز الضحاك إلى مرج راهط فترله ، وأقام ابن زياد بدمشق وبنو أمية بتدمر ، وخالد وعبيد الله عند خالهم حسان بالجابية ، فكتب ابن زياد إلى مروان يأمره أن يظهر دعوته ، فدعا إلى نفسه ، وتزوج بأم خالد بن يزيد - وهي أم هاشم . بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة - فعظم أمره وبايعه الناس ، واجتمعوا عليه ، وسار إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس ، وركب إليه عبيد الله بن زياد وأخوه عباد بن زياد ، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً ، و بدمشق من جهته يزيد بن أبي النمر ، وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو يمد مروان بالسلح والرجال وغير ذلك . ويقال كان نائبه على دمشق يومئذ عبد الرحمن بن أم الحكم ، وجعل مروان على ميمنته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص ، وبعث الضحاك

إلى النعمان بن بشير فأمدته النعمان بأهل حمص عليهم شرحبيل بن ذى الكلاع . وركب إليه زفر ابن الحارث الكلابي في أهل قنسرين . فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ، على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي ، وعلى ميسرته زكريا بن شمر الهلالي ، فتصافوا وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون بالمرج في كل يوم فيقتتلون قتالا شديداً ، ثم أشار عبيد الله على مروان أن يدعوهم إلى المواعدة خديمة فان الحرب خدعة ، وأنت وأصحابك على الحق ، وهم على الباطل ، فنودي في الناس بذلك ، ثم غدر أصحاب مروان فمالوا يقتلونهم قتالا شديداً ، وصبر الضحاك صبراً بليغاً ، فقتل الضحاك بن قيس في المعركة ، قتله رجل يقال له زحمة بن عبد الله من بني كلب ، طعنه بجرية فأنفذه ولم يعرفه . وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فر أولئك بين يديه ، فنادى مروان : ألا لا تتبعوا مدبراً ، ثم جئ برأس الضحاك ، ويقال إن أول من بشره بقتله روح بن زنباع الجذامي ، واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم . وروى أنه بكى على نفسه يوم مرج راهط ، فقال : أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك ؟

قلت : ولم تطل مدته في الملك إلا تسعة أشهر على ما سند كره .

وقد كان الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيان ابن محارب بن فهر بن مالك ، أبو أنيس الفهري أحد الصحابة على الصحيح ، وقد سمع من النبي . وروى عنه أحاديث عدة ، وروى عنه جماعة من التابعين ، وهو أخو فاطمة بنت قيس وكانت أكبر منه بعشر سنين ، وكان أبو عبيدة بن الجراح عمه . حكاه ابن أبي حاتم . وزعم بعضهم أنه لا صحبة له ، وقال الأرقدي : أدرك النبي (س) ، وسمع منه قبل البلوغ . وفي رواية عن الواقدي أنه قال : ولد الضحاك قبل وفاة النبي (س) . بسنتين . وقد شهد فتح دمشق وسكنها وله بها دار عند حجر الذهب مما يلي نهر بردا ، وكان أميراً على أهل دمشق يوم صفين مع معاوية ، ولما أخذ معاوية الكوفة استنابه بها في سنة أربع وخمسين . ثم روى البخاري في التاريخ أن الضحاك قرأ سورة ص في الصلاة فسجد فيها فلم يتابعه علقمة وأصحاب ابن مسعود في السجود . ثم استنابه معاوية عنده على دمشق فلم يزل عنده حتى مات معاوية وتولى ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد ، ثم صار أمره إلى ما ذكرنا .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن الحسن أن الضحاك بن قيس كتب إلى الهيثم حين مات يزيد بن معاوية : السلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله (س) ، يقول : « إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، فتنا كقطع الدخان ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح

كافراً ، يبيع أقوام أخلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا قليل . وإن يزيد بن معاوية قد مات وأنتم إخواننا وأشقاؤنا فلا تسبونا حتى نحتال لأنفسنا . وقد روى ابن عساكر من طريق ابن قتيبة عن العباس بن الفرغ الرياشي عن يعقوب بن إسحاق بن ثوبة عن حماد بن زيد . قال : دخل الضحاك ابن قيس على معاوية فقال معاوية منشداً له :

تطاولت للضحاك حتى رددته \* إلى حسب في قومه متقاصر

فقال الضحاك : قد علم قومنا أنا أحلاس الخيل ، فقال : صدقت ، أنتم أحلاسها ونحن فرسانها يريد معاوية أنتم راضة وساسة ، ونحن الفرسان - . ورأى أن أصل الكرامة من الحلس وهو كساء يكون تحت البرذعة أي أنه لازم ظهر الفرس كما يلزم الحلس ظهر البعير والدابة . وروى أن مؤذن دمشق قال للضحاك بن قيس : والله أيها الأمير إني لأحبك في الله . فقال له الضحاك : ولكني والله أبغضك في الله . قال : ولم أصلحك الله ؟ قال : لأنك تتراءى في أذنانك وتأخذ على تعليمك أجراً . فقتل الضحاك رحمه الله يوم مرج راهط وذلك للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين ، قاله الليث بن سعد وأبو عبيد والواقدي وابن زبير والمدائني .

### وفيها مقتل النعمان بن بشير الانصاري

وأمه عمرة بنت رواحة ، كان النعمان أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة للأنصار ، في جمادى الأولى سنة ثنتين من الهجرة ، فأنت به أمه تحمله إلى النبي - . فحنكه وبشرها بأنه يعيش حميداً ، ويقتل شهيداً ، ويدخل الجنة ، فعاش في خير وسعة ، وولى نيابة الكوفة لمعاوية تسعة أشهر ، ثم سكن الشام ، وولى قضاءها بعد فضالة بن عبيد ، وفضالة بعد أبي الدرداء . وناب بجمص لمعاوية ، وهو الذي رد آل رسول الله - . إلى المدينة بأمر يزيد له في ذلك ، وهو الذي أشار على يزيد بالاحسان إليهم فرق لهم يزيد وأحسن إليهم وأكرمهم ، ثم لما كانت وقعة مرج راهط وقتل الضحاك بن قيس ، وكان النعمان قد أمده بأهل حمص . فقتلوه بقرية يقال لها بيرين ، قتله رجل يقال له خالد بن خلي المازني وقتل خلي بن داود وهو جد خالد بن خلي . وقد رثته ابنته فقالت :

ليث ابن مرثة وابنه \* كانوا لقتلك واقية  
وبني أمية كلهم \* لم تبقى منهم باقية  
جاء البريد بقتله \* يا للكلاب العاوية  
يستفتحون برأسه \* دارت عليهم فانية  
فلا بكين سريرة \* ولا بكين علانية  
ولا بكينك ما حيد \* ت مع السباع العادية

وقيل إن أعشى همدان قدم على النعمان بن بشير وهو على حمص وهو مريض ، فقال له النعمان : ما أقدمك ؟ قال : لتصلي وتحمض قرابتي وتقضى ديني ، فقال : والله ما عندي ، ولكني سأتلهم لك شيئاً ، ثم قام فصعد المنبر ثم قال : يا أهل حمص ، إن هذا ابن عمكم من العراق ، وهو مسترفدكم شيئاً فما ترون ؟ فقالوا : احتكم في أموالنا ، فأبى عليهم ، فقالوا : قد حكنا من أموالنا كل رجل دينارين - وكانوا في الدايون عشرين ألف رجل - فجعلها له النعمان من بيت المال أربعين ألف دينار ، فلما خرجت أعطياتهم أسقط من عطاء كل رجل منهم دينارين

ومن كلام النعمان بن بشير رضي الله عنه قوله : إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل السيئات في زمان البلاء . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو اليان ثنا إسماعيل بن عياش عن أبي راحة يزيد ابن أبيهم عن الهيثم بن مالك الطائي سمعت النعمان بن بشير على المنبر يقول سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن للشيطان مصالي ونحوها ، وإن من مصاليه ونحوه البطر بنعم الله ، والفخر بعطاء الله ، والكبر على عباد الله ، واتباع الهوى في غير ذات الله » . ومن أحاديثه الحسان الصحاح ما سمعه من رسول الله - ﷺ - ، بقول : « إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبين ذلك أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صالح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ، ألا وهي القلب » . رواه البخاري ومسلم .

وقال أبو مسهر : كان النعمان بن بشير على حمص عاملاً لابن الزبير ، فلما تملك مروان خرج النعمان هارباً فاتبعه خالد بن خلى الكلاعي فقتله . قال أبو عبيدة وغير واحد : في هذه السنة . وقد روى محمد بن سعد بأسانيد أن معاوية تزوج امرأة جميلة جداً فبعث إحدى امرأته - قيسون أوظاخته - لتنظر إليها ، فلما رأتها أعجبها جداً ، ثم رجعت إليه فقال : كيف رأيتهما ؟ قالت : بديعة الجمال ، غير أنني رأيت تحت سرتها خلاً أسود ، وإني أحسب أن زوجها يقتل ويلقى رأسه في حجرها . فطلقها معاوية وتزوجها النعمان بن بشير ، فلما قتل أبي رأسه فالتقى في حجرها سنة خمس وستين ، وقال سليمان بن زبير قتل بسلمية سنة ست وخمسين . وقال غيره : سنة خمس وستين ، وقيل سنة ستين والصحيح ما ذكرناه . وفيها توفي المسور بن مخرمة بن نوفل ، صحابي صغير ، أصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير بمكة وهو قائم يصلي في الحجر . وهو من أعيان من قتل في حصار مكة وهو المسور بن مخرمة بن نوفل أبو عبد الرحمن الزهري ، أمه عائكة أخت عبد الرحمن بن عوف ، له صحبة ورواية ، ووفد على معاوية ،



وكان ممن يلزم عمر بن الخطاب ، وقيل إنه كان ممن يصوم الدهر ، وإذا قدم مكة طاف لكل يوم غلب عنها سبعا ، وصلى ركعتين ، وقيل إنه وجد يوم القادسية إبريق ذهب مرصع بالياقوت فلم يدر ما هو ، فلقبه رجل من الفرس فقال له : بعنيه بعشرة آلاف ، فعلم أنه شيء له قيمة ، فبعث به إلى سعد بن أبي وقاص فنقله إياه ، فباعه بمائة ألف . ولما توفي معاوية قدم مكة فأصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير لما رموا به الكعبة ، فمات من بعد خمسة أيام ، وغسله عبد الله بن الزبير ، وحمله في جملة من حمل إلى الحجون ، وكانوا يطأون به القتلى ، ويمشون به بين أهل الشام ، واحتكر المسور بن مخرمة طعاما في زمن عمر بن الخطاب ، فرأى سحابا فكرهه ، فلما أصبح عدا إلى السوق فقال : من جاءني أعطيته ، فقال عمر : أجننت يا أبا مخرمة ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت سحابا فكرهت ما فيه الناس فكرهت أن أربح فيه شيئا ، فقال له عمر : جزاك الله خيرا . ولد المسور بمكة بعد الهجرة بستين .

### المنذر بن الزبير بن العوام

ولد في خلافة عمر بن الخطاب ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية فأجازه بمائة ألف ، وأقطع أرضا ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال . وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام يقاتلون أهل الشام بالتهار ، ويطعمانهم بالليل . قتل المنذر بمكة في حصارها مع أخيه ، ولما مات معاوية أوصى إلى المنذر أن ينزل في قبره .

### مصعب بن عبد الرحمن بن عوف

كان شابا دينيا فاضلا . قتل مصعب أيضا في حصار مكة مع ابن الزبير .

وممن قتل في وقعة الحرة محمد بن أبي بن كعب ، وعبد الرحمن بن أبي قتادة ، وأبو حكيم معاذ بن الحارث الأنصاري الذي أقامه عمر يصلي بالناس ، وقتل يومئذ ولدان لزيد بن أم سلمة ، وزيد بن محمد بن سلمة الأنصاري قتل يومئذ ، وقتل معه سبعة من إخوته وغير هؤلاء رحمهم الله ورضى عنهم أجمعين . وفيها توفي الأخنس بن شريق ، شهد فتح مكة وكان مع علي يوم صفين .

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وستين - جرت حروب كثيرة وقتن منتشرة ببلاد المشرق واستحوذ على بلاد خراسان رجل يقال له عبد الله بن خازم ، وقهر عمالها وأخرجهم منها ، وذلك بعد موت يزيد وابنه معاوية ، قبل أن يستقر ملك ابن الزبير على تلك النواحي ، وجرت بين عبد الله بن خازم هذا وبين عمرو بن مرثد حروب يطول ذكرها وتفصيلها ، اكتفينا بذكرها إجمالا إذ لا يتعلق بذكرها كبير فائدة ، وهي حروب فتنة وقتال بغاة بعضهم في بعض ، والله المستعان . وقال الواقدي : وفي هذه السنة بعد موت معاوية بن يزيد بايع أهل خراسان سلم بن زياد بن



أبيه ، وأحبوه حتى أنهم سموا باسمه في تلك السنة أكثر من ألف غلام مولود ، ثم نكثوا واختلفوا  
نخرج عنهم سلم وترك عليهم المهلب بن أبي صفرة  
وفيها اجتمع ملا الشيعه على سليمان بن سرد بالكوفة ، وتواعدوا النخيلة ليأخذوا بثأر الحسين  
ابن علي بن أبي طالب ، وما زالوا في ذلك مجدين ، وعليه عازمين ، من مقتل الحسين بكر بلاء من  
يوم عاشوراء عشرة المحرم سنة إحدى وستين ، وقد ندموا على ما كان منهم من بعثهم إليه ، فلما أتاهم  
خذلوه وتخلوا عنه ولم ينصروه \* فجدت بوصل حين لا ينفع الوصل \* فاجتمعوا في دار سليمان بن سرد  
وهو صحابي جليل ، وكان رؤس القامئين في ذلك خمسة ، سليمان بن سرد الصحابي ، والمسيب بن نجبة  
الغزاري أحد كبار أصحاب علي ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمي ،  
ورفاعه بن شداد البجلي . وكلهم من أصحاب علي رضي الله عنه ، فاجتمعوا كلهم بعد خطب ومواعظ  
على تأمير سليمان بن سرد عليهم ، فتعاهدوا وتعاقبوا وتواعدوا النخيلة ، وأن يجتمع من يستجيب  
لهم إلى ذلك الموضع بها في سنة خمس وستين ، ثم جمعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئا كثيرا وأعدوه  
لذلك . وقام المسيب بن نجبة خطيباً فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فقد ابتلينا بطول  
العمر وكثرة الفتن ، وقد ابتلانا الله فوجدنا كاذبين في نصره ابن بنت رسول الله (س) ، بعد أن  
كتبنا إليه وراسلناه ، فأتانا طمعا في نصرتنا إياه ، فخذ لناه وأخلفناه ، وأتينا به إلى من قتله وقتل أولاده  
وذريته وقراباته الأخيار ، فما نصرناهم بأيدينا ، ولا خذلنا عنهم بالسنتنا ، ولا قويناهم بأموالنا ،  
فالويل لنا جميعا وبلا متصلا أبداً لا يفتر ولا يبديدون أن نقتل قاتله والمماليين عليه ، أو نقتل دون  
ذلك وتنهب أموالنا ونحرب ديارنا ، أيها الناس قوموا في ذلك قومة رجل واحد ، وتوبوا إلى بارئكم  
فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم . وذكر كلاما طويلا . ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن  
يجتمعوا بالنخيلة في السنة الآتية .

وكتب سليمان بن سرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك  
فاستجاب له ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن ، فبادروا إليه بالاستجابة والقبول ، وتماثلوا  
عليه وتواعدوا النخيلة في التاريخ المذكور . وكتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن سرد بذلك ففرح  
أهل الكوفة من مواقة أهل المدائن لهم على ذلك ، وتنشطوا لأمرهم الذي تماثلوا عليه . فلما مات  
يزيد بن معاوية وابنه معاوية بعد قليل ، طمعوا في الأمر ، واعتقدوا أن أهل الشام قد ضعفوا ، ولم  
يبق من يقيم لهم أمرا ، فاستشاروا سليمان في الظهور وأن يخرجوا إلى النخيلة قبل الميقات ، فتهام عن  
ذلك وقال : لا ا حتى يأتي الأجل الذي واعدنا إخواننا فيه ، ثم هم في الباطن يعدون السلاح والقوة



ولا يشعر بهم جمهور الناس ، وحيثئذ عمد جمهور أهل الكوفة إلى عمرو بن حريث نائب عبيد الله ابن زياد على الكوفة فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الملقب دحرجة ، فبايع لعبد الله بن الزبير ، فهو يسد الأبور حتى تأتي نواب ابن الزبير . فلما كان يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من هذه السنة - أعنى سنة أربع وستين - قدم أميران إلى الكوفة من جهة ابن الزبير ، أحدهما عبد الله بن يزيد الخطمي ، على الحرب والثغر ، والآخر إبراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله التيمي ، على الخراج والأموال . وقد كان قدم قبلهما بجمعة واحدة للنصف من هذا الشهر المختار بن أبي عبيد - وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب - فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً ، وهم معدون للحرب . فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو محمد بن الحنفية في الباطن ، ولقبه المهدي ، فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة وفارقوا سليمان بن صرد ، وصارت الشيعة فرقتين ، الجمهور منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين ، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، وإنما يتقولون عليه ليرجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة ، وجاءت العين الصافية إلى عبد الله بن يزيد الخطمي نائب ابن الزبير بما تمألاً عليه فرقتا الشيعة على اختلافهما من الخروج على الناس والدعوة إلى ما يريدون ، وأشار من أشار عليه بأن يبادر إليهم ويحتاط عليهم ويبعث الشرط والمقاتلة فيجمعهم عمائم مجمعون عليه من إرادة الشر والفتنة . فقام خطيباً في الناس وذكر في خطبته ما بلغه عن هؤلاء القوم ، وما أجمعوا عليه من الأمر ، وأن منهم من يريد الأخذ بثأر الحسين ، ولقد علموا أنني لست ممن قتله ، وإني والله لمن أصيب بقتله وكره قتله ، فرحمه الله ولعن قاتله ، وإني لا أعرض لأحد قبل أن يبدأني بالشر ، وإن كان هؤلاء يريدون الأخذ بثأر الحسين فليعمدوا إلى ابن زياد فإنه هو الذي قتل الحسين وخيار أهله فليأخذوا منه بالتأثر ، ولا يخرجوا بسلاحهم على أهل بلادهم ، فيكون فيه حنظهم واستئصالهم . فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة الأمير الآخر فقال : أيها الناس لا يفرنكم من أنفسكم كلام هذا المداهن ، إنا والله قد استيقنا من أنفسنا أن قوما يريدون الخروج علينا ، ولناخذن الوالد بالولد والولد بالوالد ، والحميم بالحميم ، والعريف بما في عرافته ، حتى تدينوا بالحق وتذلوا للطاعة . فوثب إليه المسيب بن نجية الفزاري فقطع كلامه فقال : يا ابن الناكثين أتهددنا بسيفك وعشمتك ؟ أنت والله أذل من ذلك ، إنا لا نلومك على بفضنا وقد قتلنا أباك وجدك ، وإنا لترجوا أن نلحقك بهما قبل أن تخرج من هذا القصر . وباعد المسيب بن نجية من أصحاب إبراهيم بن محمد ابن طلحة جماعة من العمال ، وجرت فتنة وشيء كبير في المسجد ، فقتل عبد الله بن يزيد الخطمي

عن المنبر وحاولوا أن يوقفوا بين الأُميرين فلم يتفق لهم ذلك ، ثم ظهرت الشيعة أصحاب سليمان بن سرد بالسلاح ، وأظهروا ما كان في أنفسهم من الخروج على الناس ، وركبوا مع سليمان بن سرد فقصدوا نحو الجزيرة ، وكان من أمرهم ما سنذكره .

وأما المختار بن عبيد الثقفي الكذاب فإنه قد كان بغضاً إلى الشيعة من يوم طعن الحسين وهو ذاهب إلى الشام بأهل العراق ، فلجأ إلى المدائن ، فأشار المختار على عمه وهو نائب المدائن بأن يقبض على الحسين ويبعثه إلى معاوية فيتخذ بذلك عنده اليد البيضاء ، فامتنع عم المختار من ذلك ، فأبغضته الشيعة بسبب ذلك ، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان وقتله ابن زياد ، كان المختار يومئذ بالكوفة فبلغ ابن زياد أنه يقول : لأقوم بنصرة مسلم ولا آخذن بثأره ، فأحضره بين يديه وضرب عينه بقضيب كان بيده فشرها ، وأمر بسجنه ، فلما بلغ أخته سجنه بكت وجزعت عليه ، وكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنده في إخراج المختار من السجن ، فبعث يزيد إلى ابن زياد : أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن عبيد من السجن ، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك ، فأخرجه وقال له : إن وجدتك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك . فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول : والله لأقطعن أنامل عبيد الله بن زياد ، ولأقتلن بالحسين بن علي على عدد من قتل بدم يحيى بن زكريا . فلما استفحل أمر عبد الله بن الزبير بايعه المختار بن عبيد ، وكان من كبار الأُمراء عنده ، ولما حاصره الحصين بن نمير مع أهل الشام قاتل المختار دون ابن الزبير أشد القتال ، فلما بلغه موت يزيد بن معاوية واضطراب أهل العراق ، فقم على ابن الزبير في بعض الأمر وخرج من الحجاز فقصد الكوفة فدخلها في يوم الجمعة والناس يتهيئون للصلاة ، فجعل لا يمر بملأ إلا سلم عليه وقال : أبشروا بالنصر . ودخل المسجد فصلى إلى سارية هنالك حتى أقيمت الصلاة ، ثم صلى من بعد الصلاة حتى صليت العصر ، ثم انصرف فسلم عليه الناس وأقبلوا إليه وعليه وعظموه ، وجعل يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن الحنفية ، ويظهر الانتصار لأهل البيت ، وأنه ما جاء إلا بصد أن يقيم شعارهم ، ويظهر منارهم ، ويستوفى ثأرهم ، ويقول للناس الذين اجتمعوا على سليمان بن سرد من الشيعة - وقد خشى أن يبادروا إلى الخروج مع سليمان - فجعل يخذلهم ويستميلهم إليه ويقول لهم : إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصي الرضى ، والامام المهدي ، بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النعماء ، وأن سليمان بن سرد يرحمنا الله وإياه إنما هو غشمة من الغشم ، وشن بال ليس بنى تجربة للأمر ، ولا له علم بالحروب ، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، وإني إنما أعمل على مثل مثل لي ، وأمر قد بين لي ، فيه عز وليكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني وأطيعوا أمرى ، ثم أبشروا

وتباشروا ، فاني لكم بكل ما تأملون وتحبون كفيلا . فالتف عليه خلق كثير من الشيعة ، ولكن الجمهور منهم مع سليمان بن سرد ، فلما خرجوا مع سليمان إلى النخيلة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي وغيرهما لعبد الله بن زياد نائب الكوفة : إن المختار بن أبي عبيد أشد عليكم من سليمان بن سرد ، فبعث إليه الشرط فأحاطوا به فذهب به إلى السجن مقيداً ، وقيل بغير قيد ، فأقام به مدة ومرض فيه . قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى أنه قال : دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدى فعوده وتعاهده . فسمعتة يقول : أما ورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصلين الأخيار ، لأقتلن كل جبار ، بكل لذن جثا رخطار ، ومهند بتار ، بجسد من الأخيار ، وجموع من الأنصار ، ليسوا بميل الأنهار ، ولا بعزل أشرار ، حتى إذا أقيمت عمود الدين ، وجبرت صدع المسلمين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وأدركت نار أولاد النبيين ، لم أبك على زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا دنا . قال : وكان كلما أتينا وهو في السجن يردد علينا هذا القول حتى خرج .

### ذكر هدم الكعبة وبنائها في أيام ابن الزبير

قال ابن جرير : وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة ، وذلك لأنه مال جدارها من رمي المنجنيق فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرق من حرير ، وادخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب ، عند الخزان حتى أعاد ابن الزبير بناءها على ما كان رسول الله (س) يريد أن يبنها عليه من الشكل ، وذلك كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن ، من طرق عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله (س) قال : «لولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة ولأدخلت فيها الحجر ، فان قومك قصرت بهم النفقة ، ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ، يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ، ولألصقت بابها بالأرض فان قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا » . فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله (س) ، فجزاه الله خيرا . ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي ، هدم الحائط الشمالي وأخرج الحجر كما كان أولا ، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصها فيه ، فارتفع الباب وسه الغربي ، وتلك آثاره إلى الآن ، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان في ذلك ، ولم يكن بلغه الحديث ، فلما بلغه الحديث قال : وددنا أنا تركناه وما تولى من ذلك . وقد هم ابن المنصور المهدي أن يعينها على ما بناها ابن الزبير ، واستشار الامام مالك بن أنس في ذلك ، فقال : إني أكره أن يتخذها الملوك لعبة ، - يعني يتلاعبون في بنائها بحسب آرائهم - فهذا يرى رأي ابن الزبير ، وهذا يرى رأي

عبد الملك بن مروان ، وهذا يرى رأياً آخر والله سبحانه وتعالى أعلم .  
قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة أخوه  
عبيد الله ، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي ، وعلى قضائها سعيد بن المرزبان ، وامتنع شريح  
أن يحكم في زمان الفتنة ، وعلى البصرة عمر بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هبيرة ، وعلى  
خراسان عبد الله بن خازم ، وكان في أواخر هذه السنة وقعة مرج راهط كما قدمنا ، وقد استقر ملك  
الشام لمروان بن الحكم ، وذلك بعد ظفروه بالضحاك بن قيس وقتله له في الوقعة ، وقيل إن فيها دخل  
مروان مصر وأخذها من نائبها الذي من جهة ابن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جحدر . واستقرت  
يد مروان على الشام ومصر وأعمالها والله أعلم .

وقال الواقدي : لما أراد ابن الزبير هدم البيت شاوور الناس في هدمها فأشار عليه جابر بن  
عبد الله وعبيد بن عمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ، فلا تزال تهدم  
حتى يتهاون الناس بحرمتها ، ولكن أرى أن تصلح ما يتهدم من بنيانها . ثم إن ابن الزبير استخار  
الله ثلاثة أيام ، ثم غدا في اليوم الرابع فبدأ ينقض الركن إلى الأساس ، فلما وصلوا إلى الأساس  
وجدوا أصلاً بالحجر مشبكاً كأصابع اليدين ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً فأمرهم أن يحفروا ،  
فلما ضربوا بالمعاول في تلك الأحجار المشبكة ارتجت مكة فتركة على حاله ، ثم أسس عليه البناء ،  
وجعل للكعبة بابين موضوعين بالأرض ، باب يدخل منه وباب يخرج منه ، ووضع الحجر الأسود  
بيده ، وشده بفضة لأنه كان قد تصدع ، وزاد في وسع الكعبة عشرة أذرع ، ولطخ جدرانها بالمسك  
وسترها بالديباج ، ثم اعتمر من مساجد عائشة وطاف بالبيت وصلى وسعى ، وأزال ما كان حول الكعبة  
من الزبالة ، وما كان حولها من الدماء ، وكانت الكعبة قد وهت من أعلاها إلى أسفلها من حجارة  
المنجنيق ، واسود الركن وانصدع الحجر الأسود من النار التي كانت حول الكعبة ، وكان سبب  
تجديد ابن الزبير لها ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة المتقدم ذكره والله أعلم

ثم دخلت سنة خمس وستين

فيها اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً ، كلهم يطلبون الأخذ بنار الحسين ممن  
قتله ، قال الواقدي : لما خرج الناس إلى النخيلة كانوا قليلاً ، فلم تعجب سليمان قتلهم ، فأرسل حكيم  
ابن منقذ فنادى في الكوفة بأعلى صوته : يا ثارات الحسين ، فلم يزل ينادى حتى بلغ المسجد الأعظم ،  
فسمع الناس فخرجوا إلى النخيلة وخرج أشراف الكوفة فكانوا قريباً من عشرين ألفاً أو يزيدون ،  
في ديوان سليمان بن صرد ، فلما عزم على السير بهم لم يصف معه منهم سوى أربعة آلاف ، فقال



المسيب بن نجبة سليمان : إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية ، وباع نفسه لله  
 عروحل ، فلا تنتظرن أحداً وامض لأمرك في جهاد عدوك واستعن بالله عليهم . فقام سليمان في أصحابه  
 وقال : يا أيها الناس ! من كان إنما خرج لوجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ومن كان  
 خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا . فقال الباقر معه : مالدنيا خرجنا ، ولا لها طلبنا ، فقيل  
 له : أنسير إلى قتلة الحسين بالشام وقتلته عندنا بالكوفة كلهم مثل عمر بن سعد وغيره ؟ فقال سليمان :  
 إن ابن زياد هو الذي جهز الجيش إليه وفعل به ما فعل ، فاذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة ،  
 ولو فالتوهم أولاً ، وهم أهل مصر كم ما عدم الرجل منكم أن يرى رجلاً قد قتل أباه قد قتل أخاه أوحيمه ،  
 ويقع التخاذل ، فاذا فرغتم من الفاسق ابن زياد حصل لكم المراد . فقالوا : صدقت . فنأدى فيهم :  
 سيروا على اسم الله تعالى ، فساروا عشية الجمعة لخمس مضي من ربيع الأول  
 وقال في خطبته : من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزبرجدها فليس معنا مما يطلب شيء ، وإنما  
 معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح في أكفنا ، وزاد يكفيننا حتى نلقى عدونا . فأجابوه إلى السمع  
 والطاعة والحالة هذه ، وقال لهم : عليكم بابن زياد الفاسق أولاً ، فليس له إلا السيف ، وها هو قد  
 أقبل من الشام قاصداً العراق . فصم الناس معه على هذا الرأي ، فلما أزمعوا على ذلك بعث  
 عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد أمراء الكوفة من جهة ابن الزبير ، إلى سليمان بن سرد يقولان  
 له : إنا نحب أن تكون أيدينا واحدة على ابن زياد ، وأنهم يريدون أن يبعثوا معهم جيشاً ليقومهم  
 على ما هم قد قصدوا له ، وبعثوا يريدوا بذلك ينتظروهم حتى يقدموا عليه ، قتهياً سليمان بن سرد  
 أقدمهم عليه في رؤس الأمراء ، وجلس في أهنته والجيش محدة به ، وأقبل عبد الله بن يزيد  
 وإبراهيم بن طلحة في أشرف أهل الكوفة من غير قتلة الحسين ، لئلا يطمعوا فيهم ، وكان عمر بن  
 سعد بن أبي وقاص في هذه الأيام كلها لا يبيت إلا في قصر الامارة عند عبد الله بن يزيد خوفاً على  
 نفسه ، فلما اجتمع الاميران عند سليمان بن سرد قالوا له وأشارا عليه أن لا يذهبوا حتى تكون أيديهما  
 واحدة على قتال ابن زياد ، ويجهزوا معهم جيشاً ، فان أهل الشام جمع كثير وجم غفير ، وهم يحاجفون  
 عن ابن زياد ، فامتنع سليمان من قبول قولهما وقال : إنا خرجنا لأمر لا نرجع عنه ولا تتأخر فيه .  
 فانصرف الاميران راجعين إلى الكوفة ، وانتظر سليمان بن سرد وأصحابه أصحابهم الذين كانوا قد  
 واعدوهم من أهل البصرة وأهل المدائن فلم يقدموا عليهم ولا واحد منهم ، فقام سليمان في أصحابه خطيباً  
 وحرصهم على الذهاب لما خرجوا عليه ، وقال : لو قد سمع إخوانكم بخروجكم للحقكم سراعا . فخرج  
 سليمان وأصحابه من النخيلة يوم الجمعة لخمس مضي من ربيع الأول سنة خمس وستين ، فسار بهم

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

مراحل ، مايتقدمون مرحلة إلى نحو الشام إلا تخلف عنه طائفة من الناس الذين معه ، فلما مروا بقبر الحسين صاحوا صيحة واحدة وتباكوا وباتوا عنده ليلة يصلون ويدعون ، وظلوا يوماً يترحمون عليه ويستغفرون له ويترضون عنه ويتمنون أن لو كانوا ماتوا معه شهداء . قلت : لو كان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك المنزلة ، لكان أنفع له وأنصر من اجتماع سليمان وأصحابه لنصرته بعد أربع سنين ، ولما أرادوا الانصراف جعل لا يريم أحد منهم حتى يأتي القبر فيترحم عليه ويستغفر له ، حتى جعلوا يزدحمون أشد من ازدحامهم عند الحجر الأسود . ثم ساروا قاصدين الشام ، فلما اجتازوا بقرقيسيا تحصن منهم زفر بن الحارث ، فبعث إليه سليمان بن سرد : إنا لم نأت لقتالكم فأخرج إلينا سوقاً فانا إنما نقيم عندكم يوماً أو بعض يوم ، فأمر زفر بن الحارث أن يخرج إليهم سوق ، وأمر للرسول إليه وهو المسيب بن نجبة بفارس وألف درهم . فقال : أما المال فلا . وأما الفرس فنع . وبعث زفر بن الحارث إلى سليمان بن سرد ورؤس الأمراء الذين معه إلى كل واحد عشرين جزوراً وطعاماً وعلفها كثيراً ، ثم خرج زفر بن الحارث فشيّعهم ، وسار مع سليمان بن سرد وقال له : إنه قد بلغني أن أهل الشام قد جهزوا جيشاً كثيراً ، مع حصين بن نمير ، وشرحبيل بن ذى الكلاع ، وأدهم بن محرز الباهلي . وربيع بن مخارق الغنوي ، وجبل بن عبد الله الخثعمي . فقال سليمان بن سرد : على الله توكلنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ثم عرض عليهم زفر أن يدخلوا مدينته أو يكونوا عند بابها ، فان جاءهم أحد كان معهم عليه ، فأبوا أن يقبلوا وقالوا : قد عرض علينا أهل بلدنا مثل ذلك فامتنعنا . قال : فاذا أبيتكم ذلك فبادروهم إلى عين الوردة ، فيكون الماء والمدينة والأسواق والسباق خلف ظهوركم ، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه ، ثم أشار عليهم بما يعتمدونه في حال القتال فقال : ولا تقاتلوهم في فضاء فانهم أكثر منكم عدداً فيحيطون بكم ، فإني لا أرى معكم رجالاً والتوم ذروا رجال وفرسان ، ومعهم كراديس فاحذروهم ، فأثنى عليه سليمان بن سرد والناس خيراً ، ثم رجع عنهم ، وسار سليمان بن سرد فبادر إلى عين الوردة فنزل غربها ، وأقام هناك قبل وصول أعدائه إليه ، واستراح سليمان وأصحابه واطمأنوا

### وقعة عين وردة

فلما اقترب أهل الشام إليهم خطب سليمان أصحابه فرغبهم في الآخرة وزهدهم في الدنيا ، وحثهم على الجهاد ، وقال : إن قتلت فالأمير عليكم المسيب بن نجبة ، فان قتل فعبد الله بن سعد بن نضيل ، فان قتل فعبد الله بن وال ، فان قتل فرفاعة بن شداد ، ثم بعث بين يديه المسيب بن نجبة في خمسمائة فارس ، فأغاروا على جيش ابن ذى الكلاع وهم عارون ، فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين ،



واستاقوا نهما ، وأتى الخبر إلى عبيد الله بن زياد فأرسل بين يديه الحصين بن نمير في إثني عشر ألفاً ، فصبح سليمان بن سرد وجيشه واقفون في يوم الأربعاء ثمان بقين من جمادى الأولى ، وحصين بن نمير قائم في إثني عشر ألفاً ، وقد تهيأ كل من الفريقين لصاحبه ، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدخول في طاعة مروان بن الحكم ، ودعا أصحاب سليمان الشاميين إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلونه عن الحسين ، وامتنع كل من الفريقين أن يجيب إلى مادعا إليه الآخر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً عامة يومهم إلى الليل ، وكانت الدائرة فيه للعراقيين على الشاميين ، فلما أصبح ابن ذى الكلاع وقد وصل إلى الشاميين في ثمانية عشرة ألف فارس ، وقد أنبه وشمته ابن زياد ، فاقتتل الناس في هذا اليوم قتالاً لم ير الشيب والمرد مثله قط ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل ، فلما أصبح الناس من اليوم الثالث وصل إلى الشاميين أدهم بن محرز في عشرة آلاف ، وذلك في يوم الجمعة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى حين ارتفاع الضحى ، ثم استدار أهل الشام بأهل العراق وأحاطوا بهم من كل جانب ، فخطب سليمان بن سرد الناس وحرصهم على الجهاد ، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً جداً ، ثم ترجل سليمان بن سرد وكسر جفن سيفه ونادى يا عباد الله ، من أراد الروح ، إلى الجنة والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فليأت إلى ، فترجل معه ناس كثيرين وكسروا جفون سيوفهم ، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم ، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا في الدماء ، وقتل سليمان بن سرد أمير العراقيين ، رماه رجل يقال له يزيد بن الحصين بسهم فوق ، ثم وثب ثم وقع ثم وثب ثم وقع ، وهو يقول : فزت ورب الكعبة ، فأخذ الراية المسيب بن نجبة فقاتل بها قتالاً شديداً وهو يقول : -

قد علمت ميالة الذوائب \* واضحة اللبائ والترائب

أنى غداة الروح والتغالب \* أشجع من ذى لبدة موائب

\* قصاع أقران مخوف الجانب \*

ثم قاتل قتالاً شديداً فقضى ابن نجبة نجه ، ولحق في ذلك الموقف صحبه رحهم الله ، فأخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل فقاتل قتالاً شديداً أيضاً ، وحمل حينئذ ربيعة بن مخارق على أهل العراق حملة منكراً ، وتبارز هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ، ثم اتحدا فحمل ابن أخي ربيعة على عبد الله بن سعد فقتله ، ثم احتمل عمه ، فأخذ الراية عبد الله بن وال ، فخرض الناس على الجهاد وجعل يقول : الروح إلى الجنة - وذلك بعد العصر - وحمل بالناس ففرق من كان حوله ثم قتل - وكان من الفقهاء المفتين - قتله أدهم بن محرز الباهلي أمير حرب الشاميين ساعتئذ ، فأخذ الراية رفاعة بن شداد فأنحاز بالناس وقد دخل الظلام ، ورجع الشاميون إلى رحالم ، وانشر رفاعة بمن بقى معه راجعا إلى بلاده ، فلما أصبح الشاميون إذا العراقيون قد كروا راجعين إلى بلادهم ، فلم يعثوا وراهم طلباً ولا أحداً



لما لقوا منهم من القتل والجراح ، فلما وصلوا الى هيت إذا سعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بمن معه من أهل المدائن ، قاصدين إلى نصرتهم ، فلما أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم ، ونعوا إليه أصحابهم ترحموا عليهم واستغفروا لهم وتباكوا على إخوانهم ، وانصرف أهل المدائن إليها ، ورجع راجعة أهل الكوفة إليها ، وقد قتل منهم خلق كثير وجم غفير ، وإذا المختار بن أبي عبيد كما هو في السجن لم يخرج منه ، فكتب إلى رفاعة بن سداد يعزیه فيمن قتل منهم ويترحم عليهم ويغبطهم بما نالوا من الشهادة ، وجزيل الثواب ويقول : مرحبا بالذين أعظم الله أجورهم ورضى عنهم ، والله ما خطا منهم أحد خطوة إلا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها ، وإن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه في أرواح النبيين والشهداء والصالحين ، وبعد فأنا الأمير المأمون ، قاتل الجبارين والمفسدين إن شاء الله ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله : والطلب بدماء أهل البيت . وذكر كلاما كثيرا في هذا المعنى .

وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن ربه الذي كان يأتي إليه من الشياطين ، فانه قد كان يأتي إليه شيطان فيوحى إليه قريبا مما كان يوحى شيطان مسيلة إليه ، وكان جيش سليمان بن سرد وأصحابه يسمى بجيش التوابين رحمهم الله ، وقد كان سليمان بن سرد الخزرجي صحابيا جليلا نبلا عابدا زاهدا ، روى عن النبي ص . أحاديث في الصحيحين وغيرهما ، وشهد مع علي صفين ، وكان أحد من كان يجتمع الشيعة في داره لبيعة الحسين ، وكتب إلى الحسين فيمن كتب بالقدوم إلى العراق ، فلما قدمها تخلوا عنه وقتل بكر بلاء بعد ذلك ، ورأى هؤلاء أنهم كانوا سببا في قدومه ، وأنهم خذلوه حتى قتل هو وأهل بيته ، فندموا ، على ما فعلوا معه ، ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسماوا جيشهم جيش التوابين ، وسماوا أميرهم سليمان بن سرد أمير التوابين ، قتل سليمان رضي الله عنه في هذه الواقعة بعين وردة سنة خمس وستين ، وقيل سنة سبع وستين ، والأول أصح . وكان عمره يوم قتل ثلاثا وتسعين سنة رحمه الله . وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجبة إلى مروان بن الحكم بعد الواقعة ، وكتب أمراء الشاميين إلى مروان بما فتح الله عليهم وأظفرهم من عدوهم ، فخطب الناس وأعلمهم بما كان من أمر الجنود ومن قتل من أهل العراق ، وقد قال : أهلك الله رؤس الضلال سليمان ابن سرد وأصحابه ، وعلق الرأس بدمشق ، وكان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز . وأخذ بيعة الأمراء على ذلك في هذه السنة ، قاله ابن جرير وغيره . وفيها دخل مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدق إلى الديار المصرية فأخذها من نائبها الذي كان لعبد الله بن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن حجدم ، وكان سبب ذلك أن مروان قصدتها

فخرج إليه نائبها ابن جحدم فقابله مروان ليقاتله فاشتغل به ، وخلص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جحدم فدخل مصر فملكها ، وهرب عبد الرحمن ودخل مروان إلى مصر فملكها ، وجعل عليها ولده عبد العزيز . وفيها بعث ابن الزبير أخاه مصعبا ليفتح له الشام ، فبعث إليه مروان عمرو بن سعيد فقتلاه إلى فلسطين فهرب منه مصعب بن الزبير وكر راجعاً ولم يظفر بشيء . واستقر ملك الشام ومصر لمروان .

وقال الواقدي : إن مروان حاصر مصر فحشد عبد الرحمن بن جحدم على البلد خندقاً ، وخرج في أهل مصر إلى قتاله ، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون ، ويسمى ذلك يوم التراويح ، واستمر القتل في خواص أهل البلد فقتل منهم خلق كثير ، وقتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معدى كرب الكلاعي أحد الأشراف . ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله ، فأجابه مروان إلى ذلك ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده ، وتفرق الناس وأخذوا في دفن موتاهم والبكاء عليهم ، وضرب مروان عنق ثمانين رجلاً تخلفوا عن مبايعته ، وضرب عنق الأكيذر بن حملة اللخمي ، وكان من قتلة عثمان ، وذلك في نصف جمادى الآخرة يوم توفي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فما قدروا أن يخرجوا بجنائزهم فدفنوه في داره ، واستولى مروان على مصر وأقام بها شهراً ، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز ، وترك عنده أخاه بشر بن مروان وموسى بن نصير وزيراً له ، وأوصاه بالاحسان إلى الأكابر ورجع إلى الشام

وفيها جهز مروان جيشين أحدهما مع حبش بن دلجة العتيبي ليأخذ له المدينة ، وكان من أمره ما سئد كره ، والآخرة مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزعه من نواب ابن الزبير ، فلما كانوا ببعض الطريق لقوا جيش التوابين مع سليمان بن صرد وكان من أمرهم ما تقدم ذكره . واستمر جيش الشاميين ذاهباً إلى العراق ، فلما كانوا بالجزيرة بلغهم موت مروان بن الحكم

وكانت وفاته في شهر رمضان من هذه السنة ، وكان سبب موته أنه تزوج بأمة خالد امرأة يزيد ابن معاوية ، وهي أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وإنما أراد مروان بتزويجه إياها ليصغر ابنها خالداً في أعين الناس ، فانه قد كان في نفوس كثير من الناس منه (١) أن يملكوه بعد أخيه معاوية ، فتزوج أمه ليصغر أمره ، فبينما هو ذات يوم داخل إلى عند مروان ، إذ جعل مروان يتكلم فيه عند جلسائه ، فلما جلس قال له فيما خاطبه به : يا ابن الرطبة الامت ، فذهب خالد إلى أمه فأخبرها بما قال له ، فقالت : اكنتم ذلك ولا تعلمه أنك أعلمتني بذلك ، فلما دخل عليها مروان قال لها : هل ذكرني خالد عندك بسوء ؟ فقالت له : وما عساه يقول لك وهو يحبك ويمظمك ؟ ثم إن

(١) كذا بالأصلين ، ولعل كلمة : منه زائدة ، أو ان في العبارة مقطاً .

مروان رقد عندها، فلما أخذته النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتحاملت عليها هي وجواربها حتى مات غماً، وكان ذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بدمشق، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وقيل إحدى وثمانون سنة، وكانت إمارته تسعة أشهر، وقيل عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام

### ترجمة مروان بن الحكم

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك ويقال أبو الحكم، ويقال أبو القاسم، وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه ولد في حياة النبي (س)، وروى عنه في حديث صلح الحديبية، وفي رواية في صحيح البخاري عن مروان والمسور بن مخرمة عن جماعة من الصحابة الحديث بطوله، وروى مروان عن عمر وعثمان وكان كاتبه - أي كان كاتب عثمان - وعلى وزيد بن ثابت وبسيرة بنت صفوان الأزديّة وكانت حماته، وقال الحاكم أبو أحمد: كانت خالته، ولا منافاة بين كونها حماته وخالته. وروى عنه ابنه عبد الملك وسهل بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلى بن الحسين زين العابدين ومجاهد وغيرهم. قال الواقدي ومحمد بن سعد: أدرك النبي (س)، ولم يحفظ عنه شيئاً، وكان عمره ثمان سنين حين توفي النبي (س)، وذكره بن سعد في الطبقة الأولى من التابعين، وقد كان مروان من سادات قریش وفضلها، روى ابن عساکر وغيره أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها فقالت: قد خطبها جرير بن عبد الله البجلي وهو سيد شباب المشرق، ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قریش، وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم، فقالت المرأة: أجاد يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قالت: قد زوجناك يا أمير المؤمنين. وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويعظمه، وكان كاتب الحكم بين يديه، ومن تحت رأسه جرت قضية الدار، وبسببه حصر عثمان بن عفان فيها. وألح عليه أولئك أن يسلم مروان إليهم فامتنع عثمان أشد الامتناع، وقد قاتل مروان يوم الدار قتالاً شديداً، وقتل بعض الخوارج، وكان على الميسرة يوم الجمل، ويقال إنه رمى طلحة بسهم في ركبته فقتله فآله أعلم.

وقال أبو الحكم: سمعت الشافعي يقول: كان على يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان فقيل له في ذلك فقال: إنه يمظني عليه رحم ماسة، وهو سيد من شباب قریش. وقال ابن المبارك عن جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية: من تركت لهذا الأمر من بعدك؟ فقال: أما القاري لكتاب الله، الفقيه في دين الله، الشديد في حدود الله، مروان بن الحكم. وقد استنابه على المدينة غير مرة، يعزله ثم يعيده إليها، وأقام للناس



الحج في سنين متعددة، وقال حنبل عن الامام أحمد، قال يقال كان عند مروان قضاء، وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب. وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول وذكر مروان يوما فقال قال مروان: قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة ثم أصبحت فيها أنا فيه، من إهراق الدماء وهذا الشأن. وقال إسماعيل ابن عياش عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد وغيره. قال: كان مروان إذا ذكر الاسلام قال: بنعمتِ ربِّي لا بما قدمت يدي \* ولا بترائي إنني كنتُ خاطئا

وقال الليث عن يزيد بن حبيب عن سالم أبي النضر أنه قال: شهد مروان جنازة فلما صلى عليها انصرف، فقال أبو هريرة: أصاب قيراطاً وحرماً قيراطاً، فأخبر بذلك مروان فأقبل يجرى حتى بدت ركبته، فقعده حتى أذن له. وروى المدائني عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد أن مروان كان أسلف على بن الحسين حتى يرجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه الحسين ستة آلاف دينار، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يرجع من علي بن الحسين شيئاً، فبعث إليه عبد الملك بذلك فامتنع من قبولها، فألح عليه فقبلها. وقال الشافعي: أنبأنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسن والحسين كانا يصليان خلف مروان ولا يعيدانها، ويعتدان بها. وقد روى عبد الرزاق عن الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: أول من قدم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان، فقال له رجل: خالفت السنة: فقال له مروان: إنه قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله (ص) يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». قالوا: ولما كان نائباً بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع من عنده من الصحابة فاستشارهم فيها. قالوا: وهو الذي جمع الصيعان فأخذ بأعدائها فنسب إليه الصاع، فقيل صاع مروان، وقال الزبير بن بكار: حدثنا إبراهيم ابن حمزة حدثني ابن أبي علي اللهبي عن إسماعيل بن أبي سعيد الخدري عن أبيه. قال: خرج أبو هريرة من عند مروان فلقية قوم قد خرجوا من عنده فقالوا له: يا أبا هريرة، إنه أشهدنا الآن على مائة رقبة أعتقها الساعة، قال: فغمز أبو هريرة يدي وقال: يا أبا سعيد، بك من كسب طيب خير من مائة رقبة. قال الزبير: البك الواحد.

وقال الامام أحمد: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد. قال قال رسول الله (ص): «إذا بلغ بنو أبي فلان ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا، ودين الله دخلاً، وعباد الله خولا». ورواه أبو يعلى عن زكريا بن زحمويه عن صالح بن عمر عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد. قال قال رسول الله (ص): «إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً، وعباد الله خولا، ومال الله دولا». وقد رواه الطبراني عن أحمد بن عبد الوهاب عن أبي

المغيرة عن أبي بكر بن أبي مرزوق عن راشد بن سعد عن أبي ذر . قال سمعت رسول الله (س) يقول : « إذا بلغ بنو أمية أربعين رجلاً » . وذكره ، وهذا منقطع ، ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة من قوله « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً » فذكره ، ورواه البيهقي وغيره من حديث ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن وهب عن معاوية وعبد الله بن عباس عن رسول الله (س) ، أنه قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين اتخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباد الله خولا ، وكتاب الله دغلا ، فاذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمر ، وأن رسول الله (س) ذكر عبد الملك بن مروان فقال أبو الجبارة الأربعة » . وهذه الطرق كلها ضعيفة . وروى أبو يعلى وغيره من غير وجه عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة : « أن رسول الله (س) رأى في المنام أن بني الحكم يرقون على منبره وينزلون ، فأصبح كالمغيط ، وقال : رأيت بني الحكم ينزلون على منبري نزول القردة ، فما رؤى رسول الله (س) مستجمعا ضاحكا بعد ذلك حتى مات » ورواه الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل وفيه « فأوحى الله إليه إنما هي دنيا أعطوها » . فقرت عينه » وهي قوله ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ) يعني بلاء للناس واختباراً ، وهذا مرسل وسنده إلى سعيد ضعيف . وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة ، فلهاذا أضربنا صفحا عن إيرادها لعدم صحتها .

وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي (س) ، وإنما أسلم يوم الفتح ، وقدم الحكم المدينة ثم طرده النبي (س) إلى الطائف ، ومات بها ، ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان لأنه زور على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك الوفد ، ولما كان متوليا على المدينة لمعاوية كان يسب عليا كل جمعة على المنبر ، وقال له الحسن بن علي : لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه فقال : لعن الله الحكم وما ولد والله أعلم

وقد تقدم أن حسان بن مالك لما قدم عليه مروان أرض الجابية ، أعجبه إتيانه إليه ، فبايع له وبايع أهل الأردن على أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الأمرة لخالد بن يزيد ، ويكون لمروان إمرة حمص ، ولعمرو بن سعيد نيابة دمشق ، وكانت البيعة لمروان يوم الاثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وستين ، قاله الليث بن سعد وغيره ، وقال الليث : وكانت وقعة مرج راهط في ذي الحجة من هذه السنة بعد عيد النحر بيومين ، قالوا : فغلب الضحاك بن قيس واستوثق له ملك الشام ومصر ، فلما استقر ملكه في هذه البلاد بايع من بعده لولده عبد الملك ، ثم من بعده لولده عبد العزيز - والد عمر بن عبد العزيز - وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، لأنه كان لا يراه أهلا للخلافة ،



وواقفه على ذلك مالك بن حسان ، وإن كان خلا لخالد بن يزيد ، وهو الذي قام بأعباء بيعة عبد الملك ، ثم إن أم خالد دبرت أمر مروان فسمته ويقال : بل وضعت على وجهه وهو نائم وسادة فمات مخنوقاً ثم إنها أعلنت الصراخ هي وجواربها وصحن : مات أمير المؤمنين فجأة . ثم قام من بعده ولده عبد الملك بن مروان كما سنذكره . وقال عبد الله بن أبي مذعور : حدثني بعض أهل العلم قال : كان آخر ما تكلم به مروان : وجبت الجنة لمن خاف النار ، وكان نقش خاتمه العزة لله . وقال الأصمعي : حدثنا عدى بن أبي عمار عن أبيه عن حرب بن زياد قال : كان نقش خاتم مروان آمنت بالعزيز الرحيم

وكانت وفاته بدمشق عن إحدى وقيل ثلاث وستين سنة ، وقال أبو معشر : كان عمره يوم توفي إحدى وثمانين سنة ، وقال خليفة : حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال : مات مروان بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين ، وهو ابن ثلاث وستين ، وصلى عليه ابنه عبد الملك ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقال غيره : عشرة أشهر . وقال ابن أبي الدنيا وغيره : كان قصيراً أحمر الوجه أوقص دقيق العنق كبير الرأس واللحية ، وكان يلقب خيط باطل ، قال ابن عساکر وذكر سعيد بن كثير بن عفير أن مروان مات حين انصرف من مصر بالصنبرة ويقال بلد ، وقد قيل إنه مات بدمشق ودفن بين باب الجابية وباب الصغير . وكان كاتبه عبيد بن أوس ، وحاجبه المنهال مولاه ، وقاضيه أبو إدريس الخولاني ، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغساني ، وكان له من الولد عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومعاوية . وغير هؤلاء ، وكان له عدة بنات من أمهات شتى

### خلافة عبد الملك بن مروان

بويح له بالخلافة في حياة أبيه ، فلما مات أبوه في ثالث رمضان منها جددت له البيعة بدمشق ومصر وأعمالهما ، فاستقرت يده على ما كانت يد أبيه عليه ، وقد كان أبوه قبل وفاته بعث بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزعها من نواب ابن الزبير ، فلقى في طريقه جيش التوابين مع سليمان بن صرد عند عين الوردية ، فكان من أمرهم ما تقدم ، من ظفره بهم ، وقتله أميرهم وأكثرتهم . والبعث الآخر مع حبيش بن دلجة إلى المدينة ليرتجعها من نائب ابن الزبير : فسار نحوها ، فلما انتهى إليها هرب نائبها جابر بن الأسود بن عوف ، وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ، فجهز نائب البصرة من قبل ابن الزبير وهو الحارث بن عبد الله بن ربيعة ، جيشاً من البصرة إلى ابن دلجة بالمدينة ، فلما سمع بهم حبيش بن دلجة سار إليهم . وبعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد نائباً عن المدينة ،

للاطلاع

وأمره أن يسير في طلب حبيش ، فسار في طلبهم حتى لحقهم بالر بذة فرمى يزيد بن سياه حبيشا بسهم فقتله ، وقتل بعض أصحابه وهزم الباقون ، وتحصن منهم خمسمائة في المدينة ثم نزلوا على حكم عباس ابن سهل فقتلهم صبراً ، ورجع فلهم إلى الشام .

قال ابن جرير : ولما دخل يزيد بن سياه الاسوارى قاتل حبيش بن دلجة إلى المدينة مع عباس ابن سهل كان عليه ثياب بياض وهو راكب برذوناً أشهب ، فلما لبث أن اسودت ثيابه ودابته مما يتمسح الناس به ومن كثرة ما صبوا عليه من الطيب والمسك .

وقال ابن جرير : وفي هذه السنة اشدت شوكة الخوارج بالبصرة ، وفيها قتل نافع بن الأزرق وهو رأس الخوارج ورأس أهل البصرة ، مسلم بن عبيس فارس أهل البصرة ، ثم قتله ربيعة السلوى وقتل بينهما نحو خمسة أمراء ، وقتل في وقعة الخوارج قررة بن إياس المزني أبو معاوية ، وهو من الصحابة . ولما قتل نافع بن الأزرق رأست الخوارج عليهم عبيد الله بن ماجور ، فسار بهم إلى المدائن فقتلوا أهلها ثم غلبوا على الأهواز وغيرها ، وجبوا الأموال وأتتهم الأمداد من اليمامة والبحرين ، ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عتاب بن ورقاء الرياحي ، فالتقاهم فهزمهم ، ولما قتل أمير الخوارج ابن ماجور كما سندر ، أقاموا عليهم قطري بن الفجاءة أميراً

ثم أورد ابن جرير قصة قتالهم مع أهل البصرة بمكان يقال له دولاب ، وكانت الدولة للخوارج على أهل البصرة ، وخاف أهل البصرة من الخوارج أن يدخلوا البصرة ، فبعث ابن الزبير فعزل نائبها عبد الله بن الحارث المعروف بيبه ، بالحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع ، وأرسل ابن الزبير المهلب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان ، فلما وصل إلى البصرة قالوا له : إن قتال الخوارج لا يصلح إلا لك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد بعثنى إلى خراسان ، ولست أعصى أمره . فاتفق أهل البصرة مع أميرهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على أن كتبوا كتاباً على لسان ابن الزبير إلى المهلب يأمره فيه بالمسير للخوارج ليكفهم عن الدخول إلى البصرة ، فلما قرئ عليه الكتاب اشترط على أهل البصرة أن يقوى جيشه من بيت مالهم ، وأن يكون له ما غلب عليه من أموال الخوارج ، فأجابوه إلى ذلك ، ويقال إنهم كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأمضى لهم ذلك وسوغه ، فسار إليهم المهلب . وكان شجاعاً بطلاً صديداً ، فلما أراد قتال الخوارج أقبلوا إليه يزفون في عدة لم ير مثلها من الدروع والزرود والخيول والسلاح ، وذلك أن لهم مدة يأكلون تلك النواحي ، وقد صار لهم تحمل عظيم مع شجاعة لاتدانا ، وإقدام لايسامى ، وقوة لا تجارى ، وسبق إلى حومة الوغى فلما تواقف الناس بمكان يقال له سل وسل ابرى ، اقتتلوا قتالاً شديداً عظيماً ، وصبر كل من الفريقين

صبراً باهراً ، وكان في نحو من ثلاثين ألفاً ، ثم إن الخوارج حملوا حملة منكراً ، فانهزم أصحاب المهلب لا يلوى والد على ولد ، ولا يلتفت أحد إلى أحد ، ووصل إلى البصرة فلأ لهم ، وأما المهلب فانه سبق المنهزمين فوقف لهم بمكان مرتفع ، وجعل ينادى : إلى عباد الله ، فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف من الفرسان الشجعان ، فقام فيهم خطيباً فقال في خطبته : أما بعد أيها الناس ، فإن الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهزمون ، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ، ولعمري ما بكم الآن من قلة ، وأنتم فرسان الصبر وأهل النصر ، وما أحب أن أحداً ممن انهزموا معكم الآن [ ولو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خيلاً ] ثم قال : عزمت على كل رجل منكم إلا أخذ عشرة أحجار معه ، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم فانهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيولهم في طلب إخوانكم ، فوالله إني لأرجو أن لا ترجع خيولهم إلا وقد استبجتم عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم . ففعل الناس ذلك ، فزحف بهم المهلب بن أبي صفرة على معشر الخوارج فقتل منهم خلقاً كثيراً نحواً من سبعة آلاف ، وقتل عبيد الله بن الماجور في جماعة كثيرة من الازارقة ، واحتاز من أموالهم شيئاً كثيراً ، وقد أُرصد المهلب خيولاً بينه وبين الذين يرجعون من طلب المنهزمين ، فجعلوا يقطعون دون قومهم ، وانهزم فلهم إلى كرمان وأرض أصبهان ، وأقام المهلب بالأهواز حتى قدم مصعب بن الزبير إلى البصرة ، وعزل عنها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة كما سيأتي قريباً

قال ابن جرير : وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمداً إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر . قلت : محمد بن مروان هذا هو والد مروان الحمار ، وهو مروان بن محمد بن مروان ، وهو آخر خلفاء بني أمية ، ومن يده استلبت الخلافة العباسيون كما سيأتي .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل ابن الزبير أخاه عبيد الله عن إمرة المدينة وولاهها أخاه مصعباً ، وذلك أن عبيد الله خطب الناس فقال في خطبته : وقد رأيتم ما صنع الله يقوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فلما بلغت أخاء قال : إن هذا هو التكلف ، وعزله . ويسمى عبيد الله مقوم الناقة لذلك ، قال ابن جرير : وفي آخرها عزل ابن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي ، وولى عليها عبد الله بن مطيع الذي كان أمير المهاجرين يوم الحرة ، لما خلعوا يزيد .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة ، وقال ابن الجوزي في المنتظم : كان في سنة أربع وستين ، وقد قيل إنما كان في سنة تسع وستين ، وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي وغيره ، وكان معظم ذلك بالبصرة ، وكان ذلك في ثلاثة أيام ، فمات في أول يوم من الثلاثة من أهل البصرة سبعون ألفاً ، وفي اليوم الثاني منها إحدى وسبعون ألفاً ، وفي اليوم الثالث منها ثلاثة وسبعون ألفاً ، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى الا قليل من آحاد الناس ، حتى ذكر أن



أم الأمير بها ماتت فلم يوجد لها من يحملها ، حتى استأجروا لها أربعة أنقس . وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : حدثنا عبيد الله ثنا أحمد بن عصام حدثني معدي عن رجل يكنى أبا النفيد ، وكان قد أدرك من هذا الطاعون ، قال : كنا نطوف بالقبائل وندفن الموتى ، فلما كثروا لم نقو على الدفن ، فكنا ندخل الدار وقد مات أهلها ففسد بابها عليهم . قال فدخلنا دارا ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حياً فسدنا بابها ، فلما مضت الطواعين كنا نطوف فنفتح تلك السدود عن الأبواب ، ففتحننا سدة الباب الذي كنا فتشناه - أو قال الدار التي كنا سدناها - وفتشناها فإذا نحن بسلام في وسط الدار طرى دهن ، كأنما أخذ ساءتشد من حجر أمه ، قال : فبينما نحن وقوف على السلام نتعجب منه إذ دخلت كلبه من شق في الحائط فجعلت تلوز بالسلام والنعلم يحبو إليها حتى مصص من لبنها ، قال معدي : وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة وقد قبض على لحيته .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير الكعبة البيت الحرام ، يعني أكل بناءها ودخل فيها الحجر ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

قال ابن جرير : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد حدثني زياد بن جبل أنه كان بمكة يوم كان عليها ابن الزبير ، فسمعتة يقول : حدثتني أمي أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله (ص) قال لعائشة : « لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة من الحجر » : قال : فأمر ابن الزبير فحفروا فوجدوا تلالاً أمثال الابل ، فحركوا منها تلمة - أو قال صخرة - فبرقت برقة فقال : أقروها على أساسها ، فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر .

قلت : هذا الحديث له طرق متعددة عن عائشة في الصحاح والحسان والمسانيد ، وموضوع سياق طرق ذلك في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى .

وذكر ابن جرير في هذه السنة حروباً جرت بين عبد الله بن خازم بخراسان ، وبين الحرشي ابن هلال القزيعي يطول تفصيلها . قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة الخزومي .

ومن نوفي فيها من الأعيان عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل أبو محمد السهمي كان من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم ، وكتب عن النبي (ص) كثيراً ، أسلم قبل أبيه ، ولم يكن أصغر من أبيه الا باثني عشرة سنة ، وكان واسع العلم مجتهداً في العبادة ، عاقلاً ، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية ،

وكان سميماً ، وكان يقرأ الكتابين القرآن والتوراة ، وقيل إنه بكى حتى عمى ، وكان يقوم الليل ويصوم يوماً ويفطر يوماً ويصوم يوماً . استنابه معاوية على الكوفة ثم عزله عنها بالمغيرة بن شعبة ، توفي في هذه السنة بمصر . وقتل بمكة عبد الله بن سعدة الفزاري ، له صحبة ، نزل دمشق وقيل إنه من سبي فزارة

### ثم دخلت سنة ست وستين

ففيها وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة ليأخذوا ثار الحسين بن علي فيما يزعم ، وأخرج عنها عاملها عبد الله بن مطيع ، وكان سبب ذلك أنه لما رجع أصحاب سليمان بن صرد مغلوبين إلى الكوفة وجدوا المختار بن أبي عبيد مسجوناً فكتب إليهم يعزيهم في سليمان بن صرد ويقول : أنا عوضه وأنا أقتل قتلة الحسين . فكتب إليه رفاعه بن شداد وهو الذي رجع عن بقي من جيش التوابين نحن على ما نحب ، فشرع المختار يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، وقال لهم فيما كتب به إليهم خفية : أبشروا فاني لو قد خرجت إليهم جرت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيف فجعلتهم باذن الله ركاباً ، وقتلهم أفراداً وتوأماً ، فرحب الله بمن قارب منهم واهتدى ، ولا يبعد الله إلا من أبي وعصى ، فلما وصلهم الكتاب قرؤه سرّاً وردوا إليه : إنا كما نحب . ففتى أحببت أخرجناك من محسبك ، فكره أن يخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة ، فتلطف فكتب إلى زوج أخته صفية ، وكانت امرأة صالحة ، وزوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب إليه أن يشفع في خروجه عند نائبي الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، فكتب ابن عمر إليهما يشفع عندهما فيه ، فلم يمكنهما رده ، وكان فيما كتب إليهما ابن عمر : قد علمنا ما بيني وبينكما من الود ، وما بيني وبين المختار من القرابة والصهر ، وأنا أقسم عليكم لما خلتما سبيله والسلام .

فاستدعيا به فضمنه جماعة من أصحابه ، واستحلفه عبد الله بن يزيد إن هو بغى للمسلمين غائلة فعلية ألف بدنة ينحرها تجاه الكعبة ، وكل مموك له عبد وأمة حر ، فالتزم لهما بذلك ، ولزم منزله ، وجعل يقول : قاتلها الله ، أما حلفاني بالله ، فاني لا أحلف على بين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني ، وأتيت الذي هو خير ، وأما إهدائي ألف بدنة فيسير ، وأما عنقي مما ليكي فوددت أنه قد استتم لي هذا الأمر ولا أملك مملوكاً واحداً ، واجتمعت الشيعة عليه وكثر أصحابه وبايعوه في السر . وكان الذي يأخذ البيعة له ويحرض الناس عليه خمسة ، وهم السائب بن مالك الأشعري ، ويزيد بن أنس ، وأحمد بن شميظ ، ورفاعة بن شداد ، وعبد الله بن شداد الجشمي . ولم يزل أمره يقوى ويشد ويستفحل ويرتفع ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع نائبا عليها ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة نائبا على البصرة ، فلما دخل عبد الله بن مطيع الخزومي إلى الكوفة في رمضان سنة خمس وستين ، خطب الناس وقال في خطبته : إن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير أمرني أن أسير في فيثكم أسيرة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان . فقام إليه السائب بن مالك الشيمي فقال : لا نرضى إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا ، ولا نريد سيرة عثمان - وتكلم فيه - ولا سيرة عمر وإن كان لا يريد للناس إلا خيراً ، وصدقه على ما قال بعض أمراء الشيعة ، فسكت الأمير وقال : إني سأسير فيكم بما تحبون من ذلك ، وجاء صاحب الشرطة وهو ياس بن مضارب البجلي إلى ابن مطيع فقال : إن هذا الذي يرد عليك من رؤس أصحاب المختار ، ولست آمن من المختار ، فابعث إليه فارده إلى السجن فان عيوني قد أخبروني أن أمره قد استجمع له ، وكأنك به وقد وثب في المصر . فبعث إليه عبد الله بن مطيع زائدة بن قدامة وأميراً آخر معه ، فدخل على المختار فقال له : أجب الأمير . فدعا بنياته وأمر بأسراج دابته ، وتهبأ للذهاب معها ، فقرأ زائدة بن قدامة [ وإذ عكركم الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ] الآية . فألقى المختار نفسه وأمر بقطيعة أن تلقى عليه ، وأظهر أن مريض ، وقال : أخبروا الأمير بحالي ، فرجعوا إلى ابن مطيع فاعتذرا عنه ، ففسد فيهما ولما عنه ، فلما كان شهر المحرم من هذه السنة عزم المختار على الخروج لطلب الأخذ بشار الحسين فيما يزعم ، فلما صم على ذلك اجتمعت عليه الشيعة وثبطوه عن الخروج إلا إلى وقت آخر ، ثم انفدوا طائفة منهم إلى محمد بن الحنفية يسألونه عن أمر المختار وما دعا إليه ، فلما اجتمعوا به كان ملخص ما قال لهم : إنا لانكره أن نصرنا الله بمن شاء من خلقه ، وقد كان المحار بله يخرجهم إلى محمد بن الحنفية ، فكره ذلك وخشى أن يكذبه فيما أخبر به عنه ، فانه لم يكن باذن محمد بن الحنفية ، وهم بالخروج قبل رجوع أولئك ، وجعل يسجع لهم سجعاً من سجع الكهان بذلك ، ثم كان الأمر على ما سجع به ، فلما رجعوا أخبروه بما قال ابن الحنفية ، فعند ذلك قوى أمر الشيعة على الخروج مع المختار بن أبي عمير .

وقد روى أبو مخنف أن أمراء الشيعة قالوا للمختار : اعلم أن جميع أمراء الكوفة مع عبد الله بن مطيع وهم إلب علينا ، وإنه إن بايعك إبراهيم بن الأشتر النخعي وحده أغنانا عن جميع من سواه . فبعث إليه المختار جماعة يدعونه إلى الدخول معهم في الأخذ بشار الحسين . وذكره سابقاً أبيه مع علي رضي الله عنه ، فقال : قد أجبتمكم إلى ما سألتكم ، على أن أكون أنا ولي أمركم ، فقالوا : إن هذا لا يمكن . لأن المهدي قد بعث لنا المختار وزيراً له وداعياً إليه ، فسكت عنهم إبراهيم بن الأشتر فرجعوا إلى المختار فأخبروه ، فمكث ثلاثاً ثم خرج في جماعة من رؤس أصحابه إليه ، فدخل على ابن الأشتر وأخبره به ، فاحترمه وأكرمه وجلس إليه ، فدعاه إلى الدخول معهم ، وأخرج له كتاباً على لسان ابن الأشتر .

يدعوه إلى الدخول مع اصحابه من الشيعة فيما قاموا فيه من نصرة آل بيت النبي (ص)، والأخذ  
بئثارهم . فقال ابن الأشر: إنه قد جائتني كتب محمد بن الحنفية بغير هذا النظام ، فقال المختار: إن  
هذا زمان وهذا زمان ، فقال ابن الأشر: فمن يشهد أن هذا كتابه ؟ فتقدم جماعة من أصحاب  
المختار فشهدوا بذلك ، فقام ابن الأشر من مجلسه وأجلس المختار فيه وبايعه ، ودعا لهم بفاكهة وشراب  
من عسل . قال الشعبي : وكنت حاضرا أنا وأبي أمر إبراهيم بن الأشر . ذلك المجلس ، فلما انصرف  
المختار قال إبراهيم بن الأشر : يا شعبي ما ترى فيما شهد به هؤلاء ؟ فقلت : إنهم قراء وأمراء ووجوه  
الناس : ولا أراهم يشهدون إلا بما يعلمون ، قال : وكنتم ما في نفسي من اتهامهم ، ولكني كنت  
أحب أن يخرجوا للأخذ بئثار الحسين ، وكنت على رأى القوم . ثم جعل إبراهيم يختلف إلى المختار  
في منزله هو ومن أطاعه من قومه ، ثم اتفق رأى الشيعة على أن يكون خروجهم ليلة الخميس لأربع عشرة  
ليلة خلت من هذه السنة - سنة ست وستين .

وقد باغ ابن مطيع أمر القوم وما اشتوروا عليه ، فبعث الشرط في كل جانب من جوانب الكوفة  
والزم كل أمير أن يحفظ ناحيته من أن يخرج منها أحد ، فلما كان ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الأشر  
قاصداً إلى دار المختار في مائة رجل من قومه ، وعليهم الدروع تحت الاقبية ، فلقبه إياس بن  
مضارب فقال له : أين تريد يا ابن الأشر في هذه الساعة ؟ إن أمرك لمريب ، فوالله لا أدعك حتى  
أحضرك إلى الأمير فيرى فيك رأيه ، فتناول ابن الأشر رمحا من يد رجل فطعنه في ثغرة نحره  
فسقط ، وأمر رجلا فاحتر رأسه ، وذهب به إلى المختار فألقاه بين يديه ، فقال له المختار : بشرك الله  
بحير ، فهذا طائر صالح . ثم طلب إبراهيم من المختار أن يخرج في هذه الليلة ، فأمر المختار بالنار أن  
ترفع وأن ينادى شعار أصحابه : يا منصور أمت ، يا ثارات الحسين . ثم نهض المختار فجعل يلبس درعه  
وسلاحه وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل \* واضحة الخدين عجزاء الكفل \* أنى غداة الروع مقدم بطل  
وخرج بين يديه إبراهيم بن الأشر فجعل يتقصد الأمراء الموكلين بنواحي البلد فيطردهم عن أماكنهم  
واحداً واحداً . وينادى بشعار المختار ، وبعث المختار أبا عثمان النهدي فنادى بشعار المختار ، يا ثارات  
الحسين . فاجتمع الناس إليه من هنا وهناك ، وجاء شيبث بن ربي فاقتل هو والمختار عند داره  
وحصره حتى جاء ابن الأشر فطرده عنه ، فرجع شيبث إلى ابن مطيع وأشار عليه بأن يجمع الأمراء  
إليه ، وأن ينهض بنفسه ، فان أمر المختار قد قوى واستفحل ، وجاءت الشيعة من كل فج عميق إلى  
المختار ، فاجتمع إليه في أثناء الليل قريب من أربعة آلاف ، فأصبح وقد عبي جيشه وصلح بهم  
الصبح ، فقرأ فيها [ والنازعات غرقا ] [ وعبس وتولى ] في الثانية قال بعض من سمعه : فما سمعت إملما

أفصح لهجة منه ، وقد جهز ابن مطيع جيشه ثلاثة آلاف عليهم شبت بن ربيعي ، وأربعة آلاف أخرى مع راشد بن إياس بن مضارب ، فوجه المختار ابن الأشتر في ستماية فارس وستماية راجل إلى راشد بن إياس ، وبعث نعيم بن هبيرة في ثلاثماية فارس وستماية راجل إلى شبت بن ربيعي ، فأما ابن الأشتر فإنه هزم قرنه راشد بن إياس وقتله وأرسل إلى المختار يبشره ، وأما نعيم بن هبيرة فإنه لقي شبت بن ربيعي فهزمه شبت وقتله وجاء فأحاط بالمختار وحصره . وأقبل إبراهيم بن الأشتر نحوه فاعترض له حسان بن قائد بن العبسي في نحو من ألفي فارس من جهة ابن مطيع ، فاقتلوا ساعة . فهزمه إبراهيم ، ثم أقبل نحو المختار فوجد شبت بن ربيعي قد حصر المختار وجيشه ، فما زال حتى طردهم فكروا راجعين ، وخلص إبراهيم إلى المختار ، وارتحلوا من مكانهم ذلك إلى غيره في ظاهر الكوفة ، فقال له إبراهيم بن الأشتر اعمد بنا إلى قصر الامارة فليس دونه أحد يرد عنه ، فوضعوا مامعهم من الأثقال ، وأجلسوا هنالك ضعفة المشايخ والرجال ، واستخلف على من هنالك أبا عثمان النهدي ، وبعث بين يديه ابن الأشتر ، وعبأ المختار جيشه كما كان ، وسار نحو القصر ، فبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس وسار هو وابن الأشتر أمامه حتى دخل الكوفة من باب الكناسية ، وأرسل ابن مطيع شمر بن ذى الجوشن الذي قتل الحسين في ألفين آخرين ، فبعث إليه المختار سعد بن منقذ الهمداني ، وسار المختار حتى انتهى إلى سكة شبت . وإذا نوفل بن مساحق ابن عبد الله بن مخزومة في خمسة آلاف وخرج ابن مطيع من القصر في الناس ، واستخلف عليه شبت بن ربيعي ، فتقدم ابن الأشتر إلى الجيش الذي مع ابن مساحق ، فكان بينهم قتال شديد ، قتل فيه رفاعة بن شداد أمير جيش التوابين الذين قدم بهم ، وعبد الله بن سعد وجماعة غيرهم ، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر فهزموهم ، وأخذ بلجام دابة ابن مساحق فمت إليه بالقرابة ، فأطلقه ، وكان لا ينساها بعد لابن الأشتر . ثم تقدم المختار بجيشه إلى الكناسية وحصروا ابن مطيع بقصره ثلاثا ، ومعه أشرف الناس سوى عمرو بن حريث فإنه لزم داره ، فلما ضاق الحال على ابن مطيع وأصحابه استشارهم فأشار عليه شبت بن ربيعي أن يأخذ له ولهم من المختار أمانا ، فقال : ما كنت لأفعل هذا وأمير المؤمنين مطاع بالحجاز وبالبحر ، فقال له : فان رأيت أن تنهب بنفسك مختفيا حتى تلحق بصاحبك فتخبره بما كان من الأمر وما كان منافي نصره وإقامة دولته ، فلما كان الليل خرج ابن مطيع مختفيا حتى دخل دار أبي موسى الأشعري ، فلما أصبح الناس أخذ الأمراء إليهم أمانا من ابن الأشتر فأنهم ، فخرجوا من القصر وجاءوا إلى المختار فبايعوه ، ثم دخل المختار إلى القصر فبات فيه ، وأصبح أشرف الناس في المسجد وعلى باب القصر ، فخرج المختار إلى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة ثم دعا الناس إلى البيعة وقال : فوالذي جعل السماء سقفا مكفوفاً والأرض فجاجا

سبلا ، ما بايعتم بعد بيعة عليّ أهدى منها . ثم نزل فدخل الناس يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله ، والطلب بثأر أهل البيت وجاء رجل إلى المختار فأخبره أن ابن مطيع في دار أبي موسى ، فأراه أنه لا يسمع قوله ، ففكر ذلك ثلاثا فسكت الرجل ، فلما كان الليل بعث المختار إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم . وقال له : اذهب فقد أخذت بكائك . وكان له صديقا قبل ذلك - فذهب ابن مطيع إلى البصرة وكره أن يرجع إلى ابن الزبير وهو مغلوب ، وشرع المختار يتعجب إلى الناس بحسن السيرة ، ووجد في بيت المال تسعة آلاف ألف ، فأعطى الجيش الذين حضروا معه القتال نفقات كثيرة . واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل اليشكري ، وقرب أشرف الناس فكانوا جلساءه ، فشق ذلك على الموالي الذين قاموا بنصره ، وقالوا : لأبي عمرة كيسان مولى غزينة - وكان على حرسه - قدم والله أبو إسحاق العرب وتركنا ، فأنهى ذلك أبو عمرة إليه ، فقال : بل هم مني وأنا منهم ، ثم قال [ إنا من المجرمين منتقمون ] فقال لهم أبو عمرة : أبشروا فانه سيدنيكم ويقربكم . فأعجبهم ذلك وسكتوا .

ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي والبلدان والرسلا تيق ، من أرض العراق وخراسان ، وعقد الألوية والرايات ، وقرر الامارة والولايات ، وجعل يجلس للناس غدوة وعشية يحكم بينهم ، فلما طال ذلك عليه استقضى شريحا فتكلم في شريح طائفة من الشيعة ، وقالوا : إنه شهد حجر بن عدى ، وإنه لم يبلغ عن هاني بن عروة كما أرسله به ، وقد كان على بن أبي طالب عزله عن القضاء . فلما بلغ شريحا ذلك تمارض ولزم بيته ، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضيا .

### فصل في

ثم شرع المختار يتبع قتلة الحسين من شريف ووضع فيقتله ، وكان سبب ذلك أن عبید الله ابن زياد كان قد جهزه مروان من دمشق ليدخل الكوفة ، فان ظفر بها فليبحها ثلاثة أيام ، فسار ابن زياد قاصدا الكوفة ، فلقى جيش التوابين فكان من أمرهم ماتقدم . ثم سار من عين وردة حتى انتهى إلى الجزيرة فوجد بها قيس غيلان ، وهم من أنصار ابن الزبير ، وقد كان مروان أصاب منهم قتلى كثيرة يوم مرج راهط ، فهم إلب عليه ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فتعوق عن المسير سنة وهو في حرب قيس غيلان بالجزيرة ، ثم وصل إلى الموصل فانحاز نائبها عنه إلى تكريت ، وكتب إلى المختار يعلمه بذلك فنسب المختار يزيد بن أنس في ثلاثة آلاف اختارها ، وقال له : إني سأمدك بالرجال بعد الرجال ، فقال له : لا تمدني إلا بالرجال . وخرج معه المختار إلى ظاهر الكوفة فودعه ودعاه

وقال له : ليكن خبرك في كل يوم عندي ، وإذا لقيت عدوك فناجزك فناجزه ، ولا تؤخر فرصة . ولما بلغ مخرجهم ابن زياد جهز بين يديه سريتين إحداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف ، والأخرى مع عبد الله بن حملة ثلاثة آلاف ، وقال : أيكم سبق فهو الأمير ، وإن سبقنا معاً فالأمير عليكم أسنكا . فسبق ربيعة بن مخارق إلى يزيد بن أنس فالتقيا في طرف أرض الموصل مما يلي الكوفة ، فواقفا هنالك ، ويزيد بن أنس مريض مدنف ، وهو مع ذلك يحرض قومه على الجهاد ويدور على الأرباع وهو محمول مضنى وقال للناس : إن هلكت فالأمير على الناس عبد الله بن ضمرة الفزارى ، وهو رأس اليمينة ، وإن هلك فمسعر بن أبي مسعر رأس الميسرة ، وكان ورقاء بن خالد الأسدي على الخليل . وهو وهؤلاء الثلاثة أمراء الأرباع ، وكان ذلك في يوم عرفة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح ، فقتلواهم والشاميون قتالا شديداً ، واضطربت كل من اليمنتين والميسرتين ، ثم حمل ورقاء على الخليل فهزمها وفر الشاميون وقتل أميرهم ربيعة بن مخارق ، واحتار جيش المختار ما في معسكر الشاميين ، ورجع فرارهم فلقوا الأمير الآخر عبد الله بن حملة ، فقال : ما خبركم ؟ فأخبروه فرجع بهم وسار بهم نحو يزيد بن أنس فأنهى إليهم عشاء ، فبات الناس متحاجزين ، فلما أصبحوا توافقوا على تعبتهم ، وذلك يوم الأضحى من سنة ست وستين ، فقتلوا قتالا شديداً ، فهزم جيش المختار جيش الشاميين أيضاً ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة واحتوا على أماني معسكرهم ، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير ، فجاءوا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق ، فأمر بضرب أعناقهم .

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك وصلى عليه خليفته ورقاء بن عامر ودفنه ، وسقط في أيدي أصحابه وجعلوا يتسللون راجعين إلى الكوفة ، فقال لهم ورقاء يا قوم ماذا ترون ؟ إنه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل في ثمانين ألفاً من الشام ، ولا أرى لكم بهم طاقة ، وقد هلك أميرنا ، وتفرق عنائفة من الجيش من أصحابنا فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونظرنا أنا إنما انصرفنا حزناً منا على أميرنا لكان خيراً لنا من أن نلقاهم فيهمزوتنا ونرجع مغلوبين ، فاتفق رأى الأمراء على ذلك ، فرجعوا إلى الكوفة . فلما بلغ خبرهم أهل الكوفة ، وأن يزيد بن أنس قد هلك ، أرجف أهل الكوفة بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس في المعركة وانهمز جيشه ، وعماً قليل يقدم عليكم ابن زياد فيستأصلكم ويشتف خضراكم ، ثم تمالؤا على الخروج على المختار وقالوا : هو كذاب ، واتفقوا على حربه وقتاله وإخراجه من بين أظهرهم ، واعتقدوا أنه كذاب ، وقالوا : قد قدم موالينا على أشرافنا ، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالآخذ بثار الحسين وهو لم يأمره بشيء ، وإنما هو متقول عليه ، وانتظروا بمخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة إبراهيم بن الأشتر فإنه قد عينه المختار أن يخرج في سبعة آلاف لقاء ابن زياد ، فلما خرج ابن الأشتر اجتمع أشراف الناس ممن كان في جيش قتلة الحسين وغيرهم

في دار شيبث بن ربي وأجمعوا أمرهم على قتال المختار، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة، وقصدوا قصر الامارة، وبعث المختار عمرو بن نوبة بريداً إلى إبراهيم بن الأشتر ليرجع إليه سريعاً وبعث المختار إلى أولئك يقول لهم: ماذا تنعمون؟ فاني أجيءكم إلى جميع ما تطلبون، وإنما يريد أن يثبطهم عن مناهضته حتى تقدم إبراهيم بن الأشتر، وقال: إن كنتم لاتصدقونني في أمر محمد بن الحنفية فابعثوا من جهنكم وأبعث من جهتي من يسأله عن ذلك، ولم يزل يطا ولهم حتى قدم ابن الأشتر بعد ثلاث، فانقسم هو والناس فرقتين، فتكفل المختار بأهل اليمن، وتكفل ابن الأشتر بمصر وعليهم شيبث بن ربي، وكان ذلك بإشارة المختار، حتى لا يتولى ابن الأشتر بقتال قومه من أهل اليمن فيحنو عليهم وكان المختار شديداً عليهم.

ثم اقتتل الناس في نواحي الكوفة قتالا عظيما وكثرت القتلى بينهم من الفريقين، وجرت فصول وأحوال حربية يطول استقصاؤها، وقتل جماعة من الأشراف، منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندي، وسبعمائة وثمانين رجلا من قومه، وقتل من مضر بضعة عشر رجلا، ويعرف هذا اليوم بجبانة السبيع، وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ست وستين، ثم كانت النصره للمختار عليهم، وأسر منهم خمسمائة أسير، فعرضوا عليه فقال: انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه، فقتل منهم مائتان وأربعون رجلا، وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسئ إليهم بغير أمر المختار، ثم أطلق الباقين، وهرب عمرو بن الحجاج الزبيدي، وكان ممن شهد قتل الحسين فلا يدري أين ذهب من الأرض.

مقتل شمر بن ذي الجوشن. أمير السرية التي قتلت حسناً

وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير، وكان ممن هرب لقصد شمر بن ذي الجوشن قبحة الله، فبعث المختار في أثره غلاما له يقال له زرنب، فلما دنا منه قال شمر لأصحابه: تقدموا وذروني وراءكم بصفة أنكم قد هربتم وتركتموني حتى يطعم في هذا العليج، فساقوا وتأخر شمر فأدركه زرنب فعطف عليه شمر فدق ظهره فقتله، وسار شمر وتركه، وكتب كتابا إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة ينذره بقدمه عليه، ووفادته إليه، وكان كل من فر من هذه الواقعة يهرب إلى مصعب بالبصرة، وبعث شمر الكتاب مع عليج من علوج قرية قد نزل عندها يقال لها الكلبانية عند نهر إلى جانب تل هناك، فذهب ذلك العليج فلقبه عليج آخر فقال له: إلى أين تنهب؟ قال: إلى مصعب. قال: ممن؟ قال: من شمر، فقال: اذهب معي إلى سيدي، وإذا سيده أبو عمرة أمير حرس المختار، وهو قد ركب في طلب شمر، فدلّه العليج على مكانه فقصد أبو عمرة، وقد أشار أصحاب شمر عليه أن يتحول من مكانه ذلك، فقال لهم: هنا كله فرق من الكذاب، والله لا أرنجل من هنا



إلى ثلاثة أيام حتى أملاً قلوبهم رعباً فلما كان الليل كابسهم أبو عمرة في الخيل فأعجلهم أن يركبوا أو يلبسوا أسلحتهم ، وثار إليهم شمر وبن ذى الجوشن فطاعنهم برمح وهو عريان ثم دخل خيمته فاستخرج منها سيفاً وهو يقول :-

نبتهم ليث عربين بأسلا \* جهماً حياً يدق الكاهلا  
لم يربوياً عن عدوٍ ناكلا \* إلا أكرّ مقاتلاً أوقاتلا  
يزعجهم ضرباً ويروي العاملة

ثم ما زال يناضل عن نفسه حتى قتل ، فلما سمع أصحابه وهم منهزمون صوت التكبير وقول أصحاب المختار الله أكبر قتل الخبيث عرفوا أنه قد قتل قبحة الله .

قال أبو مخنف عن يونس بن أبي إسحاق قال : ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر - يعني منصوره من القتال - ناداه سراقه بن مرداس بأعلا صوته وكان في الأسرى

امنن على اليوم ياخير معد \* وخير من حل بشحر والجند \* وخير من لبي وصام وسجد  
قال : فبعث إلى السجن فاعتقله ليلة ثم أطلقه من الغد ، فأقبل إلى المختار وهو يقول

ألا أخبر أبا إسحاق أنا \* نزونا نزوةً كانت علينا  
خرجنا لا ترى الضعفاء شيئاً \* وكان خروجنا بطراً وشينا  
نراهم في مصافهم قليلاً \* وهم مثل الربا حين التقينا  
برزنا إذ رأيناهم فلما \* رأينا القوم قد برزوا إلينا  
رأينا منهم ضرباً وطحناً \* وطعناً صائباً حتى انثنينا  
نصرت على عدوك كل يوم \* بكل كثيبة تنعى حسينا  
كنصر محمد في يوم بدر \* ويوم الشعب إذ لاقى حنينا  
فاسجح إذ ملكت فلوملكننا \* لجرنا في الحكومة واعتدينا  
تقبل توبة مني فاني \* سأشكر إذ جعلت العفودينا

وجعل سراقه بن مرداس يحلف أنه رأى الملائكة على الخيول البلق بين السماء والأرض ، وأنه لم يأسره إلا واحد من أولئك الملائكة ، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيخبر الناس بذلك . فصعد المنبر فأخبر الناس بذلك ، فلما نزل خلا به المختار فقال له : إني قد عرفت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت بقولك هذا أني لا أقتلك ، ولست أقتلك فأذهب حيث شئت لئلا تفسد على أصحابي ، فذهب سراقه إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وجعل يقول :-

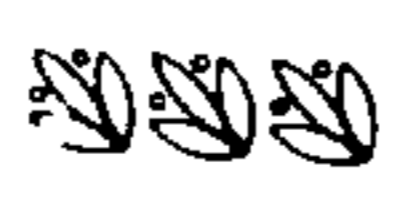
ألا أخبر أبا إسحاق أني \* رأيتُ البلق دهماً مصمتات

كفرتُ بوجيكمُ وجعلتُ نذراً \* على قتالكمُ حتى المماتِ  
 رأيتُ عيناى ما لم تبصراه \* كلانا عالمٌ بالسرّاتِ  
 إذا قالوا : أقولُ لهمُ كذبتُم \* وإن خرجوا لبستُ لهمُ أداتى

قالوا : ثم خطب المختار أصحابه فحرضهم في خطبته تلك على من قتل الحسين من أهل الكوفة المقيمين بها ، فقالوا : ما ذنبنا نترك أقواماً قتلوا حسيناً يمشون في الدنيا أحياء آمنين ، بئس ناصرو آل محمد إني إذا كذاب كما سميتوني أنتم ، فاني بالله أستعين عليهم ، فالحمد لله الذي جعلني سيفاً أضر بهم ، ورحماً أطفئهم ، وطالب وترهم ، وقائماً بحقهم ، وإنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن ينزل من جهل حقهم ، فسموهم ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم ، فانه لا يسبغ لى الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، وأنقى من فى المصر منهم . ثم جعل يتتبع من فى الكوفة - وكانوا يأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات مما يناسب ما فعلوا - ، ومنهم من حرقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم من يرمى بالنبال حتى يموت ، فأتوه بمالك ابن بشر فقال له المختار : أنت الذى نزعيت برنس الحسين عنه ؟ فقال : خرجنا ونحن كارهون فامنن علينا ، فقال : اقطعوا يديه ورجله . ففعلوا به ذلك ثم تركوه يضطرب حتى مات ، وقتل عبدالله بن أسيد الجهني وغيره شر قتلة

### مقتل خولي بن يزيد الأصبحي الذي احتز رأس الحسين

بعث إليه المختار أبا عمرة صاحب حرسه ، فكبس بيته فخرجت إليهم امرأته فسألوها عنه فقالت : لا أدري أين هو ، وأشارت بيدها إلى المكان الذى هو مختف فيه ، - وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها ، وكانت تلومه على ذلك - واسمها العبوق بنت مالك بن نهار بن عقرب الحضرمي ، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة فحملوه إلى المختار فأمر بقتله قريباً من داره ، وأن يحرق بعد ذلك . وبعث المختار إلى حكيم بن فضيل السنبسى - وكان قد سلب العباس بن علي بن أبى طالب يوم قتل الحسين - فأخذ فذهب أهله إلى عدى بن حاتم ، فركب ليشفع فيه عند المختار ، فخشى أولئك الذين أخذوه أن يسبقهم عدى إلى المختار فيشفعه فيه ، فقتلوا حكيماً قبل أن يصل إلى المختار ، فدخل عدى فشفعه فيه ، فلما رجموا وقد قتلوه شتمهم عدى وقام متغضباً عليهم وقد تقلد منة المختار . وبعث المختار إلى يزيد بن ورقاء وكان قد قتل عبدالله بن مسلم بن عقيل ، فلما أحاط الطلب بداره خرج فقاتلهم فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط ، ثم حرقوه وبه رمق الحياة ، وطلب المختار سنان بن أنس ، الذى كان يدعى أنه قتل الحسين ، فوجدوه قد هرب إلى البصرة أو الجزيرة



فهدمت داره ، وكان محمد بن الأشعث بن قيس ممن هرب إلى مصعب فأمر المختار بهدم داره وأن يبنى بها دار حجر بن عدى التي كان زياد هدمها .

### مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الذين قتلوا الحسين

قال الواقدي : كان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه جالساً ذات يوم إذ جاء غلام له ودمه يسيل على عقبه ، فقال له سعد : من فعل بك هذا ؟ فقال : ابنك عمر ، فقال سعد : اللهم اقتله وأسل دمه . وكان سعد مستجاب الدعوة ، فلما خرج المختار على الكوفة استجار عمر بن سعد بعبد الله بن جعدة بن هبيرة ، وكان صديقاً للمختار من قرابته من علي ، فأتى المختار فأخذ منه لعمر بن سعد أماناً مضمونه أنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رحله ومصره ، مالم يحدث حدثنا . وأراد المختار مالم يأت الخلاء فيبول أو يغوط . ولما بلغ عمر بن سعد أن المختار يريد قتله خرج من منزله ليلاً يريد السفر نحو مصعب أو عبيد الله بن زياد ، فسمى للمختار بعض مواليه ذلك ، فقال المختار : وأى حدث أعظم من هذا ؟ وقيل إن مولاه قال له ذلك ، وقال له : تخرج من منزلك ورحلك ؟ ارجع ، فرجع . ولما أصبح بعث إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك ؟ وقيل إنه أتى المختار يتعرف منه ذلك فقال له المختار : اجلس ، وقيل إنه أرسل عبد الله بن جعدة إلى المختار يقول له : هل أنت مقيم على أمانك له ؟ فقال له المختار : اجلس ، فلما جلس قال المختار لصاحب حرسه : اذهب فأتني برأسه فذهب إليه فقتله وأناه برأسه

وفي رواية أن المختار قال ليلة : لأقتلن غدا رجلاً عظيم القدمين غائر العينين ، مشرف الحاجبين يسر بقتله المؤمنون والملائكة المقربون ، وكان الهيثم بن الأسود حاضراً فوقع في نفسه أنه أراد عمر بن سعد فبعث إليه ابنه الفرثان فأنذره ، فقال : كيف يكون هذا بعد ما أعطاني من العهود والمواثيق ؟ وكان المختار حين قدم الكوفة أحسن السيرة إلى أهلها أولاً وكتب لعمر بن سعد كتاب أمان إلا أن يحدث حدثنا

قال أبو مخنف : وكان أبو جعفر الباقر يقول : إنما أراد المختار إلا أن يدخل الكنيف فيحدث فيه ، ثم إن عمر بن سعد قلق أيضاً ، ثم جعل يتنقل من محلة إلى محلة ثم صار أمره أنه رجع إلى داره ، وقد بلغ المختار انتقاله من موضع إلى موضع فقال : كلا والله إن في عنقه سلسلة ترده لوجهه ، إن يطير لأدركه دم الحسين فأخذ برجله . ثم أرسل إليه أبا عمرة فأراد الفرار منه فعثر في جيبته ، فضربه أبو عمرة بالسيف حتى قتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار ، لابنه



حفص - وكان جالساً عند المختار - فقال : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ولاخير في العيش بعده ، فقال : صدقت ، ثم أمر فضربت عنقه ووضع رأسه مع رأس أبيه ، ثم قال المختار : هذا بالحسين وهذا بعلي بن الحسين الأكبر ، ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قریش ماوفوا أئمة من أئمة . ثم بعث المختار برأسيهما إلى محمد بن الحنفية ، وكتب إليه كتاباً في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك أيها المهدي فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله بعثني نعمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد ، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم ، ونصر مؤازركم ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا من اشترك في دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليه ، وإن يعجز الله من بقي ، ولست بمنحجم عنهم حتى يبلغني أنه لم يبق على وجه الأرض منهم أحد ، فاكتب إلى أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته . ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية رد جوابه ، مع أن ابن جرير قد تقصى هذا الفصل وأطال شرحه ، ويظهر من غيبون كلامه قوة وجدده به وغرامه ، ولهذا توسع في إيراد روايات أبي مخنف لوط بن يحيى ، وهو منهم فيما يرويه ، ولا سيما في باب التشيع ، وهذا المقام للشيعة فيه غرام وأي غرام ، إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله من قتلهم ، والانتقام منهم . ولا شك أن قتل قتلته كان متحماً ، والمبادرة إليه كان مغنا ، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذي صار يدعو إلى إتيان الوحي إليه كافراً ، وقد قال رسول الله

« إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون [ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ] وقال بعض الشعراء :-

وما من يد إلا يد الله فوقها \* ولا ظالم إلا سيلى بظالم

وسياتي في ترجمة المختار ما يدل على كذبه وافتراءه ، وادعائه نصرته أهل البيت ، وهو في نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعا من الشيعة الذين بالكوفة . ليقم لهم دولة ويصول بهم ويجول على مخالفه صولة .

ثم إن الله تعالى سلط عليه من انتقم منه ، وهذا هو الكذاب الذي قال فيه الرسول في حديث أسماء بنت الصديق : « إنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير » . فهذا هو الكذاب وهو يظهر التشيع وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد ولى الكوفة من جهة عبد الملك بن مروان كما سياتي ، وكان الحجاج عكس هذا ، كان ناصبياً جليلاً ظالماً غاشماً ، ولكن لم يكن في طبقة هذا ، منهم علي دين الاسلام ودعوة النبوة ، وأنه يأتيه الوحي من العلي العلام .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بعث المختار المثني بن مخزومة العبدي إلى البصرة يدعو إليه من

استطاع من أهلها ، فدخلها وابتنى بها مسجداً يجتمع فيه إليه قومه ، فجعل يدعو إلى المختار ، ثم أتى مدينة الوراق فمسكرها فبعث إليه الحارث بن عبد الله بن ربيعة القبايع - وهو أمير البصرة قبل أن يعزل بمصعب - جيشاً مع عباد بن الحصين أمير الشرطة ، وقيس بن الهيثم . فقاتلوه وأخذوا منه المدينة وانهمزم أصحابه ، وكان قد قام بنصرتهم بنو عبد القيس . فبعث إليهم الجيش فبعثوا إليه فأرسل الأحنف بن قيس وعمرو بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس ، وساعدهما مالك بن مسعم ، فأنجز الناس بعضهم عن بعض . ورجع إلى المختار في نفر يسير مغلوباً مغلوباً ، وأخبر المختار بما وقع من الصلح على يدي الأحنف وغيره من أولئك الأمراء ، وطمع المختار فيهم وكتبهم في أن يدخلوا معه فيما هو فيه من الأمر ، وكان كتابه إلى الأحنف بن قيس : من المختار إلى الأحنف بن قيس ومن قبله من الأمراء : أفسلم أتم أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر ، وأن الأحنف يورد قومه سقر ، حيث لا يستطيع لهم صدر ، وإني لا أملك لكم ما قد خط في القدر ، وقد بلغني أنكم سميتوني الكذاب ، وقد كذب الأنبياء من قبلي ولست بخير منهم .

وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ثنا الحسن بن حماد عن حماد بن علي عن مجالد عن الشعبي . قال : دخلت البصرة فقعدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال لبعض القوم : ممن أنت ؟ قلت : رجل من أهل الكوفة ، فقال : أتم موال لنا ، قلت : وكيف ؟ قال : أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار ، قلت : أتدرى ما قال شيخ من همدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف : وما قال ؟ قلت : قال :-

أنخرتم ان قتلتم أعبداً \* وهزمتم مرة آل عدل  
 فاذا فاخرتمونا فاذكروا \* مافعلنا بكم يوم الجمل  
 بين شيخ خاضب عثبونه \* وفقى البيضاء وضاحاً دقل  
 جاء يهدج في سابغة \* فذبجناه ضحى ذبح الجمل  
 وعفونا فسيتم . عفونا \* وكفرتم نعمة الله الأجل  
 وقتلتم بحسين منهم \* بدلاً من قومكم شر بدل

قال : فغضب الأحنف وقال : يا غلام هات الصحيفة ، فأتى بصحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ، أما بعد فويل لبني ربيعة من مضر فإن الأحنف يورد قومه سقر حيث لا يقدر على الصدر ، وقد بلغني أنكم تكذبوني ، فإن كذبت فقد كذبت رسل من قبلي ، ولست بخير منهم ، ثم قال الأحنف : هذا منا أو منكم .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

## فضيلة الزبير

ولما علم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنهم ، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك مع ابن زياد يقصدونه في جمع كثير لا يرام ، شرع يصانع ابن الزبير ويعمل على خداعه والمكربه ، فكتب إليه : إني كنت بايعتك على السمع والطاعة والنصح لك ، فلما رأيتك قد أعرضت عني تباعدت عنك ، فإن كنت على ما أعهد منك فأنا على السمع والطاعة لك ، والمختار يخفى هذا كل الاخفاء عن الشيعة ، فاذا ذكر له أحد شيئاً من ذلك أظهر لهم أنه أبعد الناس من ذلك ، فلما وصل كتابه إلى ابن الزبير أراد أن يعلم أصادق أم كاذب ، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، فقال له : تجهز إلى الكوفة فقد وليتها ، فقال : وكيف وبها المختار ؟ فقال : يزعم أنه سارع لنا مطيع ، وأعطاه قريبا من أربعين ألفا يتجهز بها ، فسار فلما كان ببعض الطريق لقيه زائدة بن قدامة من جهة المختار في خمسمائة فارس ملبسة ، ومعه سبعون ألفا من المال ، وقد تقدم إليه المختار فقال : اعطه المال فإن هو انصرف والافاره الرجال فقاتله حتى ينصرف ، فلما رأى عمر بن عبد الرحمن الجد قبض المال وسار إلى البصرة فاجتمع هو وابن مطيع بها عند أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب المشني بن مخزومة كما تقدم ، وقبل وصول مصعب بن الزبير إليها .

وبعث عبد الملك بن مروان بن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم في جيش إلى وادي القرى ليأخذوا المدينة من نواب ابن الزبير ، وكتب المختار إلى ابن الزبير إن أحببت أن أمك بمدد ، وإنما يريد خديعته ومكايده ، فكتب إليه ابن الزبير : إن كنت على طاعتي فلست أكره ذلك فابعث بجند إلى وادي القرى ليكونوا مددا لنا على قتال الشاميين . فجهز المختار ثلاثة آلاف عليهم شرحبيل بن ورس الهمداني ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فاذا دخلت فاكتب إلي حتى يأتبك أمرى ، وإنما يريد أخذ المدينة من ابن الزبير ، ثم يركب بعد ذلك إلى مكة ليحاصر ابن الزبير بها ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار بعث ذلك الجيش مكرًا فبعث العباس ابن سهل بن سعد الساعدي في ألفين ، وأمره أن يستعين بالأعراب وقال لهم : إن رأيتموهم في طاعتي وإلا فكأيديهم حتى يهلكهم الله . فأقبل العباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم ، وقد بقي ابن ورس في جيشه ، فاجتمعوا على ماء هنالك ، فقال له العباس : ألسم في طاعة ابن الزبير ؟ فقال : بلى ، قال : فانه قد أمرني أن نذهب إلى وادي القرى فنقاتل من به من الشاميين . فقال له ابن ورس : فاني لم أؤمر بطاعتك ، وإنما أمرني أن أدخل المدينة ثم أكتب إلى صاحبي فانه يأمرني بأمره ، ففهم عباس مغزاه ولم يظهر له أنه فطن لذلك ، فقال له : رأيك أفضل ، فاعمل ما بدالك . ثم نهض

العباس من عنده وبعث إليهم الجزر والغنم والدقيق، وقد كان عندهم حاجة شديدة إلى ذلك، وجوع كثير، فجعلوا يذبحون ويطبخون ويخبزون ويأكلون على ذلك الماء، فلما كان الليل بينهم عباس بن سهل قتل أميرهم وطائفة منهم نحواً من سبعين، وأسر منهم خلقاً كثيراً قتل أكثرهم، ورجع القليل منهم إلى المختار وإلى بلادهم خائبين

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف أن عباس بن سهل انتهى إليهم وهو يقول: -

أنا ابن سهل فارس غير وكل \* أروع مقدام إذا الكبش نكل

وأعتلى رأس الطرماح البطل \* بالسيف يوم الروع حتى ينجدل

فلما بلغ خبرهم المختار قام في أصحابه خطيباً فقال: إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار، ألا إنه كان أمراً مأتياً، وقضاء مقضياً. ثم كتب إلى محمد بن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي كتاباً يذكر فيه أنه بعث إلى المدينة جيشاً لنصرته فغدر بهم جيش ابن الزبير، فان رأيت أن أبعث جيشاً آخر إلى المدينة وتبعث من قبلك رسلاً إليهم فافعل، فكتب إليه ابن الحنفية: أما بعد فان أحب الأمور كلها إلى ما أطيع الله فيه، فأطع الله فيما أسرت وأعلنت، واعلم أنني لو أردت القتال لوجبت الناس إلى سراعاً، والأعوان لي كثيرة، ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. وقال لصالح بن مسعود: قل للمختار فليتق الله وليكف عن الدماء. فلما انتهى إليه كتاب محمد بن الحنفية قال: إني قد أمرت بجمع البر واليسر، وبطرح الكفر والندر.

وذكر ابن جرير من طريق المدائني وأبي مخنف أن ابن الزبير عمده إلى ابن الحنفية وسبعة عشر رجلاً من أشرف أهل الكوفة فحبسهم حتى يبائعوه، فكرهوا أن يبائعوا إلا من اجتمعت عليه الأمة، قهدهم وتوعدهم واعتقلهم بزمرهم، فكتبوا إلى المختار بن أبي عبيد يستصرخونه ويستنصرونه، ويقولون له: إن ابن الزبير قد توعدنا بالقتل والحريق، فلا نخذلونا كما خذلتهم الحسين وأهل بيته، فجمع المختار الشيعة وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا صريح أهل البيت يستصرخكم ويستنصركم، فقام في الناس بذلك وقال: لست أنا بآبئ إسحاق إن لم أنصركم نصراً مؤزراً، وإن لم أرسل إليهم الخليل كالسيل يتلوه السيل، حتى يحل بابن الكاهلية الويل، ثم وجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوة، وظيفان بن عمر التيمي في أربعين، وأبا المعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، وكتب إلى محمد بن الحنفية مع الطفيل بن عامر بتوجيه الجنود إليه، فقتل أبو عبد الله الجدلي بذات عرق حتى تلاحق به نحو من مائة وخمسين فارساً، ثم سار بهم حتى دخل المسجد الحرام نهاراً جهاراً وهم يقولون: يا نارات الحسين، وقد أعد ابن الزبير الخطب لابن الحنفية وأصحابه ليحرقهم به إن لم يبائعوه، وقد بقي من الأجل يومان، فعمدوا - يعني أصحاب

المختار - إلى محمد بن الحنفية فأطلقوه من سجن ابن الزبير ، وقالوا : إن أذنت لنا قاتلنا ابن الزبير ، فقال : إني لا أرى القتال في المسجد الحرام ، فقال لهم ابن الزبير : ليس نبرح وتبرحون حتى يبايع وتبايعوا معه ، فامتنعوا عليه ثم لحقهم بقية أصحابهم فجعلوا يقولون وهم داخلون الحرم : يا ثارات الحسين فلما رأى ابن الزبير ذلك منهم خافهم وكف عنهم ، ثم أخذوا محمد بن الحنفية وأخذوا من الحجيج مالا كثيراً فسار بهم حتى دخل شعب علي ، واجتمع معه أربعة آلاف رجل ، قسم بينهم ذلك المال . هكذا أورده ابن جرير وفي صحتها نظر والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان نائبه بالمدينة أخاه مصعب ونائبه علي البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وقد استحوذ المختار على الكوفة ، وعبد الله ابن خازم على بلاد خراسان ، وذكر حروباً جرت فيها لعبد الله بن خازم يطول ذكرها

### فصل في

قال ابن جرير : وفي هذه السنة سار إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد ، وذلك ثمان بقين من ذي الحجة . وقال أبو مخنف عن مشايخه : ما هو إلا أن فرغ المختار من جباية السبيع وأهل الكناسة ، فما ترك ابن الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجهه فيه لقتال أهل الشام ، فخرج يوم السبت ثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وخرج معه المختار يودعه في وجوه أصحابه ، وخرج معهم خاصة المختار . ومعهم كرسى المختار على بغل أشهب ليستنصروا به على الأعداء ، وهم حافون به يدعون ويستصرخون ويستنصرون ويتضرعون ، فرجع المختار بعد أن وصاه بثلاث قال : يا ابن الأشتر اتق الله في شرك وعلانيتك ، وأسرع السير ، وعاجل عدوك بالقتال . واستمر أصحاب الكرسى سائرين مع ابن الأشتر ، فجعل ابن الأشتر يقول : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، سنة بني إسرائيل والذي نفسى بيده إذ عكفوا على عجلهم ، فلما جاوز القنطرة هو وأصحابه رجع أصحاب الكرسى .

قال ابن جرير : وكان سبب اتخاذ هذا الكرسى ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شيبويه حدثني أبي ثنا سليمان ثنا عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة حدثني معد بن خالد حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة قال : أهدمت مرة من الورق فاني كذلك إذ مررت بباب رجل هو جار لي له كرسى قدر كبه وسخ شديد ، فخطر في بالي أن لو قلت في هذا ، فرجعت فأرسلت إليه أن ارسل إلى بالكرسي ، فأرسل به ، فأتيت المختار فقلت له : إني كنت أكتمك شيئاً وقد بدالي أن أذكره إليك ، قال : وما هو ؟ قال : قلت كرسى كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه كان يرى أن فيه أثره من



علم . قال : سبحان الله ! فلم أخرت هذا إلى اليوم ؟ ابعته إلى ، قال فجئت به وقد غسل فخرج عودا ناضرا وقد شرب الزيت ، فأمر لي باثني عشر ألفا ، ثم نودي في الناس الصلاة جامعة ، قال : نخطب المختار الناس فقال : إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه قد كان في بني إسرائيل تابوت يستنصرون به ، وإن هذا مثله ، ثم أمر فكشف عنه أثوابه وقامت السبائية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا ، فقام شبت بن ربيعي فأنكر على الناس وكاد أن يكفر من يصنع بهذا التابوت هذا التعظيم . وأشار بأن يكسر ويخرج من المسجد ويرمي في الخنس ، فشكرها الناس لشبت ابن ربيعي ، فلما قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد أقبل ، وبعث المختار ابن الأشر ، بعث معه بالكرسي يحمل على بغل أشهب قد غشى بأثواب الحرير ، عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فلما تواجها مع الشاميين كما سيأتي وغلبوا الشاميين وقتلوا ابن زياد : ازداد تعظيمهم لهذا الكرسي حتى بلغوا به الكفر ، قال الطفيل بن جعدة فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وندمت على ما صنعت ، وتكلم الناس في هذا الكرسي وكثر عيب الناس له ، فغيب حتى لا يرى بعد ذلك .

وذكر ابن الكلبي أن المختار طلب من آل جعدة بن هبيرة الكرسي الذي كان على مجلس عليه فقالوا : ما عندنا شيء مما يقول الأمير ، فألح عليهم حتى علموا أنهم لو جاؤا بأي كرسي كان لقبه منهم ، فحملوا إليه كرسيًا من بعض الدور فقالوا : هذا هو ، فخرجت شيام وشاكر وسائر رؤس المختارية وقد عصبوه بالحرير والديباج . وحكى أبو مخنف أن أول من سدن هذا الكرسي موسى بن أبي موسى الأشعري ، ثم إن الناس عتبوا عليه في ذلك ، فرفعه إلى حوشب البرصمي ، وكان صاحبه حتى هلك المختار قبحه الله . ويروى أن المختار كان يظهر أنه لا يعلم بما يعظم أصحابه هذا الكرسي ، وقد قال في هذا الكرسي أعشى همدان : -

شهدتُ عليكم أنكم سبائية \* وأنى بكم ياشرطة الشرك عارفُ  
وأقسم ماكر سيكم بسكينة \* وإن كان قد لفت عليه اللغائفُ  
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سمعتُ \* شبام حوالبه ونهد وخارفُ  
وإني امرؤٌ أحببتُ آل محمدٍ \* وتابعتُ وحيًا ضمنته المصاحفُ  
وتابعتُ عبد الله لما تابعتُ \* عليه قريشٌ تمطها والفظارفُ

وقال المتوكل الليثي

أبلغ أبا إسحاق إن جئتُه \* أنى بكر سيكم كافرُ  
تنزوا شبام حول أعواده \* وتحمّل الوحي له شاكرُ  
محرة أعينهم حوله \* كأنهن الحص الحادرُ

قلت : هذا وأمثاله مما يدل على قلة عقل المختار وأتباعه ، وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله ، وورادة فهمه ، وترويج الباطل على أتباعه وتشبهه الباطل بالحق ليضل به الطغام ، ويجمع عليه جهال العوام قال الواقدي : وفي هذه السنة وقع في مصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها ، وفيها ضرب الدنانير عبد العزيز بن مروان بمصر ، وهو أول من ضربها بها . قال صاحب مرآت الزمان : وفيها ابتداء عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى ، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين ، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة ، وكان يخطب في أيام منى وعرفة ، ومقام الناس بمكة ، وينال من عبد الملك ويذكر مساوي بني مروان ، ويقول : إن النبي (ص) لعن الحكم وما نسل ، وأنه طريد رسول الله (ص) ولعينه ، وكان يدعو إلى نفسه ، وكان فصيحاً ، فقال معظم أهل الشام إليه ، وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا ، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم ، وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤسهم ، ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه ، وكان يشنع عليه بمكة ويقول : ضاهى بها فعل الأكرسة في إيوان كسرى ، والخضراء ، كما فعل معاوية .

ولما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه إليه بالأموال والعمال ، ووكل بالعمل رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولاه ، وجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس ، وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة ، وأمر رجاء بن حيوة ويزيد أن يفرغا الأموال إفراغاً ولا يتوقفا فيه ، فبنوا النفقات وأكثروا ، فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء ، وفرشاها بالرخام الملون ، وعملا للقبة جلالين أحدهما من اليود الأحمر للشتاء ، وآخر من آدم للصيف ، وحفا القبة بأنواع الستور ، وأقاما لها سدنة وخداما بأنواع الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران ، ويعملون منه غالبية ويبخرون القبة والمسجد من الليل ، وجعل فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، وجعل فيها العود القمارى المغلف بالمسك وفرشاها والمسجد بأنواع البسط الملونة ، وكانوا إذا أطلقوا البخور شم من مسافة بعيدة ، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياما ، ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس ، وأنه دخل الصخرة ، وكان فيه من السدنة والقوم القامعين بأمره خلق كثير ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس ، بحيث إن الناس التهبوا بها عن الكعبة والحج ، وبحيث كانوا لا يلتفتون في موسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس ، وافتتن الناس بذلك افتتاناً عظيماً ، وأتوه من كل مكان ، وقد عملوا فيه من الأشارات والعلامات المكذوبة شيئاً كثيراً مما في الآخرة ، فصوروا

فيه صورة الصراط وباب الجنة ، وقسم رسول الله (ص) ، وواحي جهم ، وكنك في أبوابه ومواضع منه ، فاغتر الناس بذلك ، وإلى زماننا ، وبالجملة أن صخرة بيت المقدس لما فرغ من بنائها لم يكن لها نظير على وجه الأرض بهجة ومنظراً ، وقد كان فيها من الفصوص والجواهر والفسيفساء وغير ذلك نبي ، كثير ، وأنواع باهرة . ولما فرغ رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام من عمارتها على أكل الوجوه فضل من المال الذي أنفقاه على ذلك ستائة ألف مثقال ، وقيل ثلاثمائة ألف مثقال ، فكتبنا إلى عبد الملك يخبرانه بذلك ، فكتب إليهما : قد وهبته منكما ، فكتبنا إليه : إنا لو استطعنا لزدنا في عمارة هذا المسجد من حلي نساءنا ، فكتب إليهما إذ أبيتنا أن تقبلناه فأفرغنا على القبة والأبواب ، فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة مما عليها من الذهب القديم والحديث . فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قدم بيت المقدس في سنة أربعين ومائة ، فوجد المسجد خراباً ، فأمر أن يقلع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب ، وأن يعمروا بها ما تشعث في المسجد ، ففعلوا ذلك . وكان المسجد طويلاً فأمر أن يؤخذ من طوله ويزاد في عرضه ، ولما كمل البناء كتب على القبة مما يلي الباب القبلي : أمر بينائه بعد تسميته أمير المؤمنين عبد الملك سنة اثنتين وستين من الهجرة النبوية ، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعائة وخمسة وستون ذراعاً ، وعرضه أربعمائة وستون ذراعاً ، وكان فتوح القدس سنة ستة عشر والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة سبع وستين

ففيها كان مقتل هبيد الله بن زياد على يدي إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية ، ثم استهلت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل ، فكان اجتماعهما بمكان يقال له الخازر ، بينه وبين الموصل خمسة فراسخ ، فبات ابن الأشتر تلك الليلة ساهراً لا يستطيع النوم ، فلما كان قريب الصبح نهض فعبى جيشه وكتب كتابه ، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت ، ثم ركب فناهض جيش ابن زياد ، وزحف بجيشه رويداً وهو ماش في الرجالة حتى أشرف من فوق تل على جيش ابن زياد ، فاذا هم لم يتحرك منهم أحد ، فلما رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين ، فركب ابن الأشتر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيحرضهم على قتال ابن زياد ويقول : هذا قاتل ابن بنت رسول الله (ص) ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم ، فعليكم به فإنه قد فعل في ابن بنت رسول الله (ص) ما لم يفعله فرعون في بني إسرائيل هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين ماء الفرات أن يشرب منه هو وأولاده ونساؤه ، ومنعه أن ينصرف إلى بلده أو يأتي يزيد بن معاوية حتى قتله ،



ويحك !! اشفوا صدوركم منه ، وارووا رماحكم وسيوفكم من دمه ، هذا الذي فعل في آل نبيكم ما فعل ، قد جاءكم الله به ، ثم أكثر من هذا القول وأمثاله ، ثم نزل تحت رايته وأقبل ابن زياد في خيله ورجله في جيش كثيف قد جعل على ميمنته حصين بن نمير وعلى الميسرة ، عمير بن الحباب السلي . وكان قد اجتمع بابن الأشتر ووعدده أنه معه وأنه سينهزم بالناس غدا - وعلى خيل ابن زياد شرحبيل بن الكلاع ، وابن زياد في الرجالة يمشي معهم . فما كان إلا أن تواقفا الفريقان حتى حمل حصين بن نمير بالميمنة على ميسرة أهل العراق فهزما ، وقتل أميرها علي بن مالك الجشمي فأخذ رايته من بعده ولده محمد بن علي فقتل أيضاً ، واستمرت الميسرة ذاهبة فجعل الأشتر يناديهم إلى يا شرطة الله ، أنا ابن الأشتر ، وقد كشف عن رأسه ليعرفوه ، فالتاثوا به وانعطفوا عليه ، واجتمعوا إليه ، ثم حملت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة أهل الشام . وقيل بل انهزمت ميسرة أهل الشام وانحازت إلى ابن الأشتر ، ثم حمل ابن الأشتر بمن معه وجعل يقول لصاحب رايته : ادخل برايتك فيهم ، وقاتل ابن الأشتر يومئذ قتالا عظيماً ، وكان لا يضرب بسيفه رجلاً إلا صرعه ، وكثرت القتلى بينهم ، وقيل إن ميسرة أهل الشام ثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً بالرماح ثم بالسيوف ، ثم أردف الحملة ابن الأشتر فانهزم جيش الشام بين يديه ، فجعل يقتلهم كما يقتل الحملان ، واتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان ، وثبت عبيد الله بن زياد في موقفه حتى اجتاز به ابن الأشتر فقتله وهو لا يعرفه ، لكن قال لأصحابه : التمسوا في القتلى رجلاً ضربته بالسيف فنفتحنى منه ريح المسك ، شرقت يدها وغربت رجلاه ، وهو واقف عند راية منفردة على شاطئ نهر خازر : فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد ، وإذا هو قد ضرب به ابن الأشتر فقطعه نصفين ، فاحتزوا رأسه وبعثوه إلى المختار إلى الكوفة مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام ، وقتل من رؤس أهل الشام أيضاً حصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع ، واتبع الكوفيون أهل الشام فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم أكثر ممن قتل ، واحتازوا ما في معسكرهم من الأموال والخيول .

وقد كان المختار بشر أصحابه بالنصر قبل أن يجي الخبر ، فما ندري أكان ذلك تفاقلاً منه أو اتفاقاً وقع له ، أو كهانة . وأما على ما كان يزعم أصحابه أنه أوحى إليه بذلك فلا ، فان من اعتقد ذلك كفر ومن أقرم على ذلك كفر ، لكن : قال إن الواقعة كانت بنصيبين فأخطأ مكانها ، فانها إنما كانت بأرض الموصل ، وهذا مما انتقده عامر الشعبي على أصحاب المختار حين جاءه الخبر ، وقد خرج المختار من الكوفة ليتلقى البشارة ، فأتى المدائن فصعد منبرها فينما هو يخاطب إذ جاءته البشارة وهو هناك . قال الشعبي : فقال لي بعض أصحابه : أما سمعته بالأمس يخبرنا بهذا ؟ فقلت له : زعم أن الواقعة كانت

للا

بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإنما قال البشير : إنهم كانوا بالخازر من أرض الموصل ، فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم . ثم رجع المختار إلى الكوفة .

وفي غيبته هذه تمكن جماعة ممن كان قاتله يوم جبانة السبيع والكناسة من الخروج إلى مصعب ابن الزبير إلى البصرة ، وكان منهم شيبث بن ربيعي ، وأما ابن الأشتر فإنه بعث بالبشارة وبرأس ابن زياد وبعث رجلا على نيابة نصيبين واستمر مقبياً في تلك البلاد ، وبعث عمالا إلى الموصل وأخذ سنجار ودارا وما ولاها من الجزيرة

وقال أبو أحمد الحاكم : كان مقتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة ست وستين ، والصواب سنة سبع وستين . وقد قال سراقه بن مرداس البارقى يمدح ابن الأشتر على قتله ابن زياد

أنا كم غلام من عرانيين مذحج \* جرى على الأعداء غير نكول  
فيا ابن زياد بو بأعظم هالك \* وذوق حد ماضى الشفرنين صقيل  
ضربناك بالعصب الحسام بمجد \* إذا ما أنا قتيلاً بقتيل  
جزى الله خيراً شرطة الله إنهم \* شفوا من عبيد الله أمس غليل

### وهذه ترجمة ابن زياد

هو عبيد الله بن زياد بن عبيد ، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان ، ويقال له زياد بن أبيه ، وابن سمية ، أمير العراق بعد أبيه زياد ، وقال ابن معين : ويقال له عبيد الله بن مرجانة وهي أمه ، وقال غيره : وكانت مجوسية ، وكنيته أبو حفص ، وقد سكن دمشق بعد يزيد بن معاوية ، وكانت له دار عند الديماش تعرف بعده بدار ابن عجلان ، وكان مولده في سنة تسع وثلاثين فيما حكاه ابن عساکر عن أبي العباس أحمد بن يونس الضبي ، قال ابن عساکر : وروى الحديث عن معاوية وسعد بن أبي وقاص ومفضل بن يسار . وحدث عنه الحسن البصري وأبو المليخ بن أسامة . وقال أبو نعيم الفضل ابن دكين : ذكروا أن عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين كان عمره ثمانياً وعشرين سنة ، قلت : فعلى هذا يكون مولده سنة ثلاث وثلاثين والله أعلم .

وقد روى ابن عساکر أن معاوية كتب إلى زياد : أن أوفد إلى ابنك ، فلما قدم عليه لم يسأله معاوية عن شيء إلا نفد منه ، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئاً . فقال له : ما منعك من تعلم الشعر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدري مع كلام الرحمن كلام الشيطان ، فقال معاوية : اغرب فوالله ما منعتني من الفرار يوم صفين إلا قول ابن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عفتي وأبي بلائي \* وأخذني الحمد بالثمن الربيع  
وإعطائي على الأعدام مالي \* وإقدامي على البطل المشيح

وقولى كلما جثأت وجثت • مكانك نحمدى أو تسربح  
لأدفع عن ما نر صلحت • وأحى بعد عن إنف صحيح  
ثم كتب إلى أبيه : أن روه من الشعر ، فرواه حتى كان لا يسقط عنه منه شئ بعد ذلك ، ومن  
شعره بعد ذلك : -

سيلم مروان بن نوسة أنى • إذا التقت الخيلان أظنها شزراً  
وإنى إذا حل الضيوف ولم أجد • سوى فرسى أو سعتة لهم نحرأ  
وقد سأل معاوية يوماً أهل البصرة عن ابن زياد فقالوا : إنه لظريف ولكنه يلحن ، فقال :  
أوليس اللحن أظرف له ؟ قال ابن قتيبة وغيره : إنما أرادوا أنه يلحن فى كلامه ، أى يلغز ، وهو  
ألحن بحجته كما قال الشاعر فى ذلك : -

منطق رائع ويلحن أحيانا • وخير الحديث ما كان لحنا  
وقيل إنهم أرادوا أنه يلحن فى قوله لحنا وهو ضد الاعراب ، وقيل أرادوا اللحن الذى هو ضد  
الصواب وهو الأشبه والله أعلم . فاستحسن معاوية منه السهولة فى الكلام وأنه لم يكن ممن يتعمق  
فى كلامه ويفخمه ، ويتشقق فيه ، وقيل أرادوا أنه كانت فيه لكنة من كلام المعجم ، فان أمه مرجانة  
كانت سيروية وكانت بنت بعض ملوك الأعاجم بزجرى أو غيره ، قالوا : وكان فى كلامه شئ من  
كلام المعجم ، قال يوماً لبعض الخوارج : أهرورى أنت ؟ يعنى أحرورى أنت ؟ وقال يوماً من كاتلنا  
كاتلناه ، أى من كاتلنا قاتلناه ، وقول معاوية ذاك أظرف له ، أى أجود له حيث نزع إلى أخواله ،  
وقد كانوا يوصفون بحسن السياسة وجودة الرعاية ومحاسن الشيم .

ثم لما مات زياد سنة ثلاث وخمسين ولى معاوية على البصرة سمرة بن جندب سنة ونصف ثم  
عزله وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة ستة أشهر ، ثم عزله وولى عليها ابن زياد سنة  
خمس وخمسين . فلما تولى يزيد الخلافة جمع له بين البصرة والكوفة ، فبنى فى إمارة يزيد البيضاء ،  
وجعل باب القصر الأبيض الذى كان لكسرى عليها . وبنى الحراء وهى على سكة المربد ، فكان  
يشقى فى الحراء ويصيف فى البيضاء ، قالوا : وجاء رجل إلى ابن زياد فقال : أصلح الله الأمير ،  
إن امرأتى ماتت ، وإنى أريد أن أتزوج أمها ، فقال له : كم عطاؤك فى الديوان ؟ فقال : سبعمائة ،  
فقال : يا غلام حط من عطائه أربعمائة ، ثم قال له : يكفيك من فقك هذا ثلاثمائة ، قالوا : وتخاصمت  
أم الفجيج وزوجها إليه وقد أحببت المرأة أن تفارق زوجها ، فقال أبو الفجيج : أصلح الله الأمير  
إن خير شطرى الرجل آخره ، وإن شر شطرى المرأة آخرها ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال : إن الرجل  
إذا أسبن اشتد عقله واستحكم رأيه وذهب جهله ، وإن المرأة إذا أسنت ساء خلقها وقل عقلها وعم

رحمها واحسد لسانها ، فقال : صدقت خذ بيدها وانصرف ، وقال يحيى بن معين : أمر ابن زياد لصفوان بن محرز بألفي درهم فسرقته ، فقال : عسى أن يكون خيراً فقال أهله : كيف يكون هذا خيراً ؟ فبلغ ذلك ابن زياد فأمر له بألفين آخرين ، ثم وجد الألفين فصارت أربعة آلاف فكان خيراً . وقيل لهند بنت أسماء بن خارجة - وكانت قد تزوجت بعده أزواجاً من نواب العراق - من أعز أزواجك عنده وأكرمهم عليك ؟ فقالت : ما أكرم النساء أحد ! كرام بشير بن مروان ، ولا هاب النساء هيبه الحجاج بن يوسف ، ووددت أن التيامة قد قامت فأرى عبيد الله بن زياد وأشتى من حديثه والنظر إليه - وكان أتى عذاريتها - وقد تزوجت بالآخرين أيضاً .

وقال عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : أول من جهر بالمعوذتين في الصلاة المكتوبة ابن زياد ، قلت : يعني والله أعلم في الكوفة ، فان ابن مسعود كان لا يكتبها في مصحفه وكان فقهاء الكوفة عن كبار أصحاب ابن مسعود يأخذون والله أعلم .

وقد كانت في ابن زياد جرأة وإقدام ومبادرة إلى ما لا يجوز ، ومالا حاجة له به ، لما نبت في الحديث الذي رواه أبو يعلى ومسلم ، كلاهما عن شيبان بن فروخ عن جرير عن الحسن أن نائداً بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أي بني ، سمعت رسول الله - يقول : « إن سر الرعاء الحطمة ، فإياك أن تكون منهم » . فقال له اجلس فانما أنت من نخالة أصحاب رسول الله - ، فقال : وهل كان فيهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم . وقد روى غير واحد عن الحسن أن عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار يعود فقل له : إني محدثك بحديث سمعته من رسول الله - ، أنه قال : « ما من رجل استرعاه الله رعيته يموت يوم يموت وهو غاشط لم الا حرم الله عليه الجنة » .

وقد ذكر غير واحد أنه لما مات معقل صلى عليه عبيد الله بن زياد ولم يشهد دفنه ، واحتذر بما ليس يجدي شيئاً وركب إلى قصره ، ومن جراته إقدامه على الأثر بإحضار الحسين إلى بين يديه وإن قتل دون ذلك ، وكان الواجب عليه أن يجيبه إلى سؤاله الذي سأله فيما طلب من ذهابه إلى يزيد أو إلى مكة أو إلى أحد الثغور ، فلما أشار عليه شمر بن ذى الجوشن بأن الحزم أن يحضر عندك وأنت تسيره بعد ذلك إلى حيث شئت من هذه الخصال أو غيرها ، فوافق شمر على ما أشار به من إحضاره بين يديه فأبى الحسين أن يحضر عنده ليقضى فيه بما يراه ابن مرجانة . وقد تمس وخاب وخسر ، فليس لابن بنت رسول الله - ، أن يحضر بين يدي ابن مرجانة الخبيث ، وقد قال محمد ابن سعد : أنبأنا الفضل بن دكين ومالك بن إسماعيل قالا : حدثنا عبد السلام بن حرب عن عبد الملك بن كردوس عن حاجب عبيد الله بن زياد قال : دنات مع القصر حين قتل الحسين قال

فاضطرم في وجهه ناراً أو كلمة نحوها ، فقال بكه هكذا على وجهه وقال : لا تحدثن بها أحدا ، وقال شريك عن مغيرة قال قالت مرجانة لابنها عبيد الله : يا خبيث قتلت ابن بنت رسول الله (س) ، لا ترى الجنة أبداً . وقد قدمنا أن يزيد بن معاوية لما مات بايع الناس في المصرين لعبيد الله حتى يجتمع الناس على إمام ، ثم خرجوا عليه فأخرجوه من بين أظهرهم ، فسار إلى الشام فاجتمع مروان ، وحسن له أن يتولى الخلافة ويدعو إلى نفسه ففعل ذلك ، وخالف الضحاک بن قيس ، ثم انطلق عبيد الله إلى الضحاک بن قيس فما زال به حتى أخرجه من دمشق إلى مرج راهط ، ثم حسن له أن دعا إلى بيعة نفسه وخلع ابن الزبير ففعل ، فأنحل نظامه ووقع ما وقع بمرج راهط ، من قتل الضحاک وخلق معه هنالك ، فلما تولى مروان أرسل ابن زياد إلى العراق في جيش فالتقى هو وجيش التوابين مع سليمان بن صرد فكسرهم ، واستمر قاصدا الكوفة في ذلك الجيش ، فتعوق في الطريق بسبب من كان يمازعه من أهل الجزيرة من الأعداء الذي هم من جهة ابن الزبير . ثم اتفق خروج ابن الأشتر إليه في سبعة آلاف ، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك ، ولكن ظفر به ابن الأشتر فقتله شر قتلة على شاطئ نهر الخازر قريبا من الموصل بخمس مراحل .

قال أبو أحمد الحاكم : وكان ذلك يوم عاشوراء قلت : وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين ، ثم بعث ابن الأشتر برأسه إلى المختار ومعه رأس حصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وجماعة من رؤساء أصحابهم ، فسر بذلك المختار ، فقال يعقوب بن سفيان : حدثني يوسف بن موسى بن جرير عن يزيد بن أبي زياد قال : لما جىء برأس ابن مرجانة وأصحابه طرحت بين يدي المختار فجاءت حية رقيقة ثم تخللت الرأس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وخرجت من منخره ، ودخلت في منخره وخرجت من فمه ، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه من بين الرأس . ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر فقال : حدثنا واصل بن عبد الاعلاب بن أبي معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير . قال : لما جىء برأس عبيد الله وأصحابه فنصبت في المسجد في الرحبة ، فأنهيت إليها وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فاذا حية قد جاءت تخلل الرأس حتى دخلت في منخرى عبيد الله بن زياد ، فمكثت هنيهة ثم خرجت فنهبته حتى تغيبت ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا . قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح .

وقال أبو سليمان بن زيد : وفي سنة ست وستين قالوا فيها قتل ابن زياد والحسين بن نمير ، ولي قتلها إبراهيم بن الأشتر وبعث برؤسهما إلى المختار فبعث بهما إلى ابن الزبير ، فنصبت بمكة والمدينة . وهكذا حكى ابن عساكر عن أبي أحمد الحاكم وغيره أن ذلك كان في سنة ست وستين ، زاد أبو أحمد في يوم عاشوراء ، وسكت ابن عساكر عن ذلك ، والمشهور أن ذلك كان في سنة سبع



وستين كما ذكره ابن جرير وغيره ، ولكن بعث الرأس إلى ابن الزبير في هذه السنة متعذراً لان  
العدواة كانت قد قويت وتحققت بين المختار وابن الزبير في هذه السنة ، وعمّا قيل أمر ابن الزبير  
أخاه مصعباً أن يسير من البصرة إلى الكوفة لحصار المختار وقتاله والله أعلم .

### مقتل المختار بن ابي عبيد على يدي مصعب ابن الزبير

كان عبد الله بن الزبير قد عزل في هذه السنة عن نيابة البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي  
ربيعة المخزومي المعروف بالقباع ، وولاهها لأخيه مصعب بن الزبير ، ليكون رداً وقرناً وكفوفاً  
للمختار ، فلما قدم مصعب البصرة دخلها مثلما فيم المذبر ، فلما صعدته قال الناس : أمير أمير ، فلما  
كشف اللثام عرفه الناس فأقبلوا إليه ، وجاء القباع فجلس تحته بدرجة ، فلما اجتمع الناس قام  
مصعب خطيباً فاستفتح القصص حتى بلغ [ إن فرعون عيلا في الأرض وجعل أهلها شيعة ] وأشار  
بيده نحو الشام أو الكوفة ، ثم قال [ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة  
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ] وأشار إلى الحجاز . وقال : يا أهل البصرة إنكم تلقبون  
أمراءكم ، وقد سميت نفسي الجزار ، فاجتمع عليه الناس وفرحوا به ، ولما انهزم أهل الكوفة حين  
خرجوا على المختار فقهرهم وقتل منهم من قتل ، كان لا ينهزم أحد من أهلها إلا قصد البصرة ، ثم  
خرج المختار ليلتقي بالذي جاء بالرؤس والبشارة ، اغتم من نبي بالكوفة من أعداء المختار غيبته  
فذهبوا إلى البصرة فراراً من المختار لقلّة دينه وكفره ، ودعواوه أنه يأتيه الوحي ، وأنه قدم الموالي  
على الأشراف ، واتفق أن ابن الأشتر حين قتل ابن زياد واستقل بتلك النواحي ، فأحرز بلاداً  
وأقاليم ورساتيق لنفسه ، واستهان بالمختار ، فطعم مصعب فيه وبعث محمد بن الأشعث يفتنه  
على البريد إلى المهلب بن أبي صفرة ، وهو نائبهم على خراسان ، فقدم في تجمّل عظيم ومال ورجال  
وعدد وعدد ، وجيش كثيف ، وفرح به أهل البصرة وتقوى به مصعب ، فركب في أهل البصرة  
ومن اتبعهم من أهل الكوفة فركبوا في البحر والبر قاصدين الكوفة .

وقدم مصعب بين يديه عباد بن الحصين ، وجعل على ميمنته عمر بن عبيد الله ،  
الميسرة المهلب بن أبي صفرة ، ورتب الأمراء على راياتها وقبائنها ، بك بن مسمع ، والأحنف  
ابن قيس ، وزياد بن عمر ، وقيس بن الهيثم وغيرهم ، وخرج المختار بعسكره فتزل المدار وقد جعل  
على مقدمته أبا كامل الشاكري ، وعلى ميمنته عبد الله بن كامل ، وعلى ميسرته عبد الله بن وهب  
الجشمي ، وعلى الخليل وزير بن عبد الله السلولي ، وعلى الموالي أبا عمرة صاحب شريطه  
ثم خطب الناس وحثهم على الخروج ، وبعث بين يديه الجيوش ، وركب هو وخلق من أصحابه

وهو يبشرهم بالنصر ، فلما انتهى مصعب إلى قريب الكوفة لقيتهم الكتاب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية ، فمالبت المختارية إلا يسيراً حتى هربوا على حمية ، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء ، وخاق من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة الأغبياء ، ثم انتهت الهزيمة إلى المختار .

وقال الواقدي : لما انتهت مقبلة المختار إليه جاء مصعب فقطع الدجلة إلى الكوفة وقد حصن المختار القصر واستعمل عليه عبد الله بن شداد وخرج المختار بمن بقي معه فنزل حروراء فلما قرب جيش مصعب منه جهز إلى كل قبيلة كردوسا ، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ ، وإلى عبد القيس مالك بن منذر ، وإلى العالية عبد الله بن جعدة ، وإلى الأزدي مسافر بن سعيد ، وإلى بني تميم سليم بن يزيد الكندي ، وإلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك ، ووقف المختار في بقية أصحابه فاقتلوا قتالاً شديداً إلى الليل فقتل أعيان أصحاب المختار وقتل تلك الليلة محمد بن الأشعث وعمير ابن علي بن أبي طالب ، وتفرق عن المختار باقي أصحابه ، فقيل له القصر القصر ، فقال : والله ما خرجت منه وأنا أريد أن أعود إليه ، ولكن هذا حكم الله ، ثم ساروا إلى القصر فدخل وجاءه مصعب ففرق القبائل في نواحي الكوفة ، واقتسموا المحال ، وخلصوا إلى القصر ، وقد منعوا المختار المادة والماء ، وكان المختار يخرج فيقتلهم ثم يعود إلى القصر ، ولما اشتد عليه الحصار قال لأصحابه : إن الحصار لا يزيدنا إلا ضعفاً ، فانزلوا بنا حتى نقاتل حتى الليل حتى نموت كراماً ، فوهنوا فقال أما فوالله لا أعطى يدي . ثم اغتسل وتطيب وتمحط وخرج فقاتل هو ومن معه حتى قتلوا .

وقيل بل أشار عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته ، فدخله وهو ملوم مذموم . وعن قريب ينفذ فيه القدر المحتوم ، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم ، وضيق عليهم المسالك والمقاصد ، وانسدت عليهم أبواب الخيل ، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم ، ثم جعل المختار يجيل فكرته ويكرر رويته في الأمر الذي قد حل به ، واستشار من عنده في هذا السبب السيء الذي قد اتصل بسببه بسببه من الموالى والعبيد ، ولسان القدر والشرع يناديه [ قد جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعبد ] ثم قوى عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه ، على أن أخرجته من بين من كان يحالفه وبواليه ، ورأى أن يموت على فرسه ، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسه ، فنزل حمية وغضباً ، وشجاعة وكلبا ، وهو مع ذلك لا يجد مناصاً ولا مفراً ولا مهرباً ، وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر ، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر الموكلون بسقر ، ولما خرج من القصر سأل أن يخلى سبيله فيذهب في أرض الله فقتلوا له : إلا على حكم الأمير . والمقصود أنه لما خرج من القصر تقدم إليه رجلان شقيقان أخوان ،

وهما طرفة وطراف ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة ، فقتلاه بمكان الزياتين من الكوفة : واحتزا رأسه وأتيا به إلى مصعب بن الزبير ، وقد دخل قصر الامارة ، فوضع بين يديه ، كما وضع رأس ابن زياد بنى يدي المختار ، وكما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد ، كما سيوضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان ، فلما وضع رأس المختار بين يدي مصعب أمر لهما بثلاثين ألفا . وقد قتل مصعب جماعة من المختارية ، وأسر منهم خمسمائة اسير ، فضرب أعناقهم عن آخرهم في يوم واحد ، وقد قتل من أصحاب مصعب في الوقعة محمد بن الأشعث بن قيس ، وأمر مصعب بكف المختار فقطعت وصحرت إلى جانب المسجد ، فلم يزل عنالك حتى قدم الحجاج ، فسأل عنها فقيل له هي كف المختار ، فأمر بها فرفعت وانتزعت من هنالك ، لأن المختار كان من قبيلة الحجاج والمختار هو الكذاب ، والمبير الحجاج ، ولهذا أخذ الحجاج بثاره من ابن الزبير قتله وصلبه شهوراً ، وقد سأل مصعب أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار عنه فقالت : ما عسى أن أقول فيه إلا ماتقولون أنتم فيه ، فتركها واستدعى بزوجه الأخرى وهي عمرة بنت النعمان بن بشير فقال لها : ماتقولين فيه ؟ فقالت : رحمه الله لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فسجتها وكتب إلى أخيه إنها تقول إنه نبي فكتب إليه أن اخرجها فاقتلها ، فأخرجها إلى ظاهر البلاد فضربت ضربات حتى ماتت ، فقال في ذلك عمر بن أبي رمثة الخزومي :

إن من أعجب العجائب عندي \* قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت هكذا على غير جرم \* إن الله درنا من قتييل

كتب القتل والقتال علينا \* وعلى الغانيات جر الذبول

وقال أبو مخنف : حدثني محمد بن يوسف أن مصعباً لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم عليه فقال ابن عمر : من أنت ؟ فقال : أنا ابن أخيك مصعب بن الزبير ، فقال له ابن عمر : نعم ، أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ؟ عس ما استطعت ، فقال له مصعب : بهم كانوا كفرة سحرة ، فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدلهم غنا من ثراث أبيك لكان ذلك سرفاً .

وهذه ترجمة المختار بن أبي عبيد الثقفي

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عفرة بن عميرة بن عوف بن ثقيف الثقفي ، أسلم أبوه في حياة النبي (ص) ، ولم يره ، فلهدا لم يذكره أكثر الناس في الصحابة ، وإنما ذكره ابن الأثير في الغابة ، وقد كان عمر بعثه في جيش كثيف في قتال الفرس سنة ثلاث عشرة ، فقتل يومئذ شهيداً وقتل معه نحو من أربعة آلاف من المسلمين ، كما قدمنا ، وعرف ذلك الجسر به ، وهو جسر على دجلة فيقال له إلى اليوم جسر أبي عبيد ، وكان له من الولد صفية بنت أبي

عبيد ، وكانت من الصالحات العابدات . وهي زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان عبد الله لها مكرماً ومحبباً ، وماتت في حياته ، وأما أخوها المختار هذا فإنه كان أولاً ناصبياً يبغض علياً بغضاً شديداً ، وكان عند عمه في المدائن ، وكان عمه نائبها ، فلما دخلها الحسن بن علي خذله أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه ، فلما أحس الحسن منهم بالقدرة فر منهم إلى المدائن في جيش قليل ، فقال المختار لعمه : لو أخذت الحسن فبعثته إلى معاوية لا تخنت عند اليد البيضاء أبداً ، فقال له : عمه بئس ما تأمرني به يا ابن أخي ، فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بن أبي طالب ما كان ، وكان المختار من الأمراء بالكوفة ، فجعل يقول : أما لأنصرنه ، فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مائة جلدة ، فأرسل ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يتشفع فيه ، فأرسل يزيد إلى ابن زياد فأطلقه وسيره إلى الحجاز في عباءة ، فصار إلى ابن الزبير بمكة فقاتل معه حين حصره أهل الشام قتالاً شديداً ، ثم بلغ المختار ما قال أهل العراق فيه من التخبيط ، فسار إليهم وترك ابن الزبير ، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع نائب الكوفة ففعل ، فسار إليها ، وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسبه في السر ، ويمدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه ، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بنار الحسين ، وبسبب ذلك التفت عليه جماعات كثيرة من الشيعة وأخرج عامل ابن الزبير منها ، واستقر ملك المختار بها ، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مدهنا لبني أمية ، وقد خرج من الكوفة ، وأنا ومن بها في طاعتك ، فصدقه ابن الزبير لأنه كان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤس الناس ، ويظهر طاعته ، ثم شرع في تتبع قتلة الحسين ومن شهد الواقعة بكر بلاء من ناحية ابن زياد ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وظفر برؤس كبار منهم ، كعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين . وشمر بن ذي الجوشن أمير الألف الذين ولوا قتل الحسين ، وسنان بن أبي أنس ، وخولى بن يزيد الأصبحي ، وخلق غير هؤلاء ، وما زال حتى بعث سيف نعمته إبراهيم بن الأشتر في عشرين ألفاً إلى ابن زياد ، وكان ابن زياد حين التقاه في جيش أعظم من جيشه - في أضعاف مضاعفة - كانوا ثمانين ألفاً ، وقيل ستين ألفاً ، فقتل ابن الأشتر ابن زياد وكسر جيشه ، واحتاز ما في معسكره ، ثم بعث برأس ابن زياد ورؤس أصحابه مع البشارة إلى المختار ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، ثم إن المختار بعث برأس ابن زياد ورأس حصين بن نمير ومن معهما إلى ابن الزبير بمكة . فأمر ابن الزبير بها فنصبت على عقبة الحجون .

وقد كانوا نصبوها بالمدينة ، وطابت نفس المختار بالملك ، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع ، فلما تبين ابن الزبير خداعه ومكره وسوء مذهبه ، بعث أخاه مصعباً أميراً على العراق ، فسار إلى البصرة

فجمع المساكر فحتم سرور المختار حتى سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جيش هائل فقتله واحتز رأسه وأمر بصلب كفه على باب المسجد ، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرط على البريد ، إلى أخيه عبد الله بن الزبير ، فوصل مكة بعد العشاء فوجد عبد الله يتنفل ، فما زال يصلح حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس ، فلما كان قريب الفجر قال : ما جاء بك ؟ فألقى إليه الكتاب فقرأه ، فقال : يا أمير المؤمنين معي الرأس ، فقال : ألقه على باب المسجد ، فألقاه ثم جاء فقال : جائزتي يا أمير المؤمنين ، فقال : جائزتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن ، وكذلك سائر الدول ، وفرح المسلمون بزوالها ، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقاً ، بل كان كاذباً يزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل . قال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا عيسى القاري أبو عمير بن السدي عن رفاعة القبابي قال : دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك ، قال : فأردت أن أضرب عنقه قال فذكرت حديثاً حدثني أخى عمر بن الحلق ، قال قال رسول الله - : « أيما مؤمن أمن مؤمنا على دمه فقتله فأنا من القاتل بري » . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن حماد بن سلمة حدثني عبد الملك بن عمير عن رفاعة بن شداد . قال : كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبه هممت أن أسل سيفي فأضرب عنقه ، فذكرت حديثاً حدثناه عمر بن الحلق . قال سمعت رسول الله - يقول : « من أمن رجلاً على نفسه فقتله أعطى لواء غد يوم القيامة » ورواه النسائي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الملك بن عمير وفي لفظ لهما : « من أمن رجلاً على دم فقتله فأنا بري من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً » . وفي سند هذا الحديث اختلاف . وقد قيل لابن عمر : إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه ، فقال صدق ، قال تعالى [ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ] وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأنزلي عنده ، وكان يتعاهد سببتي بالليل قال قال لي : اخرج فحدث الناس ، قال : بنفرت فجاء رجل فقال : مات قول في الوحي ؟ فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى [ إنا أوحينا إليك هذا القرآن ] وقال تعالى [ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ] قال فهموا أن يأخذوني فقلت : مالك وذاك اإني مفتيكم وضيغكم . فتركوني ، وإنما أراد عكرمة أن يعرض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي ينزل عليه .

وروى الطبراني من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم أن أباه دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له : يا أبا عامر لو شفت <sup>(١)</sup> رأي جبريل وميكائيل ، فقال له زيد خسرت وتعتت ، أنت أهون

(١) كذا بالأصول كلها وفي القاموس : شاف تطلع وأشرف .

على الله من ذلك ، كذاب مفتر على الله ورسوله ، وقال الامام أحمد : حدثنا ابن إسحاق بن يوسف ثنا ابن عوف الصديق الناجي أن الحجاج بن يوسف دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق ، بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال : إن ابنك ألد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب اليم ، وفعل به وفعل ، فقالت له كذبت ، كان باراً بالوالدين ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله (س) : « أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . هكذا رواه أحمد بهذا السند واللفظ . وقد أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل عن عقبة بن مكرم العمي البصري عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل عن أبي عقرب واسمه معاوية بن سلم عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله (س) قال : « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » . وفي الحديث قصة طويلة في مقتل الحجاج ولدها عبد الله في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي ، وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في دلائل النبوة ، وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة ، وأسر إلى أخصائه أنه يوحى إليه ، ولكن ما أدري هل كان يدعى النبوة أم لا ؟ وكان قد وضع له كرسي يعظم ويحف به الرجال ، ويستر بالحرير ، ويحمل على البغال ، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن ، ولا شك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين ، كما قال تعالى [وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون] وأما المبير فهو القتال وهو الحجاج بن يوسف الثقفي نائب العراق لعبد الملك ابن مروان ، الذي انتزع العراق من يد مصعب بن الزبير ، كما سيأتي بيانه قريباً .

وذكر الواقدي أن المختار لم يزل مظهرًا موافقًا لابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله وكان المختار في نحو من عشرين ألفاً ، وقد حمل عليه المختار مرة فهزمه ، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويدعون المختار ، وينقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكنب ، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الامارة فحاصره مصعب فيه أربعة أشهر ، ثم قتله في رابع عشر رمضان سنة سبع وستين ، وله من العمر سبع وستون سنة فيما قيل .

### فَضْلُ مَرْوَانَ

ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة بعث إلى إبراهيم بن الأشتر ليقدم عليه ، وبعث إليه عبد الملك بن مروان ليقدم عليه ، فخار ابن الأشتر في أمره ، وشاور أصحابه إلى أيهما ينهب ، ثم اتفق رأيهم على الذهاب إلى بلد الكوفة ، فقدم ابن الأشتر على مصعب بن الزبير فأكرمه وعظمه

واحترمه كثيراً ، وبعث مصعب المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذر بيحان وأرمينية ، وكان قد استخلف على اصرة حين خرج منها عبيد الله بن عبد الله بن معمر ، وأقام هو بالكوفة ، ثم لم تنسلخ هذه السنة حتى عزله أخوه عبد الله بن الزبير عن البصرة وولى عليها ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وكان شجاعاً جواداً مخلطاً يعطى أحياناً حتى لا يدع شيئاً ، ويمنع أحياناً ما لم يمنع مثله ، وظهرت خفة وطيش في عقله ، وسرعة في أمره ، فبعث الأحنف إلى عبد الله بن الزبير فعزله وأعاد إلى ولايتها أخاه مصعباً مضافاً إلى ما بيده من ولاية الكوفة ، قالوا : وخرج حمزة بن عبد الله بن الزبير من البصرة بمال كثير من بيت مالها ، فعرض له مالك بن مسمع ، فقال : لاندعك تنهب بأعطياتنا ، فضمن له عبيد الله بن معمر العطاء فكف عنه ، فلما انصرف حمزة لم يقدم على أبيه مكة ، بل عدل إلى المدينة ، فأودع ذلك المال رجالاً فكلمهم غل ما أودعه وججده ، سوى رجل من أهل الكتاب ، فأدى إليه أمانته . فلما بلغ أباه ما صنع قال : أبعد الله ، أردت أن أباهى به بنى مروان فنكص . وذكر أبو مخنف أن حمزة بن عبد الله بن الزبير ولى البصرة سنة كاملة فأنه أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس فيها عبد الله بن الزبير ، وكان عامله على الكوفة أخاه مصعباً ، وعلى البصرة ابنه حمزة ، وقيل بل كان رجع إليها أخوه ، وعلى خراسان وتلك البلاد عبد الله بن خازم السلمى من جهة ابن الزبير والله سبحانه أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وأبو الجهم ، وهو صاحب الأبخانية المذكورة في الحديث الصحيح . وفيها قتل خاق كثير يطول ذكرهم .

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ففيها رد عبد الله أخاه مصعباً إلى إمرة البصرة ، فأتاها فأقام بها ، واستخلف على الكوفة الحارث ابن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، قباق ، واستعمل على المدينة جابر بن الأسود الزهرى ، وعزل عنها عبد الرحمن بن الأشعث لكونه ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً ، فانه أراد منه أن يبايع لابن الزبير فامتنع من ذلك فضربه ، فعزله ابن الزبير . وفيها هلك ملك الروم قسطنطين بن قسطنطين ببلده ، وفيها كانت وقعة الأزارقة .

وذلك أن مصعباً كان قد عزل عن ناحية فارس المهلب بن أبي صفرة ، وكان قاهراً لهم وولاه الجزيرة ، وكان المهلب قاهراً للأزارقة ، وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن معمر ، فثاروا عليه فقاتلهم عمر بن عبيد الله فقهروهم وكهروهم ، وكانوا مع أميرهم الزبير بن جور ، ففروا بين يديه إلى اصطخر فاتبعهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقتلوا ابنه ، ثم ظفر بهم مرة أخرى ثم هربوا إلى بلاد



أصبهان ونواحيها ، فتقووا هنالك وكثر عددهم وعددهم ، ثم أقبلوا يريدون البصرة ، فرؤا بعض بلاد فارس وتركوا عمر بن عبيد الله بن معمر وراء ظهورهم ، فلما سمع مصعب بقدمهم ركب في الناس وجعل يلوم عمر بن عبيد الله بتركه هؤلاء يجتازون ببلاده ، وقد ركب عمر بن عبيد الله في آثارهم ، فبلغ الخوارج أن مصعباً أمامهم وعمر بن عبيد الله وراءهم ، فعدلوا إلى المدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، ويبقرون بطون الحبالي ، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم ، فقصدهم نائب الكوفة الحارث بن أبي ربيعة ومعه أهلها وجماعات من أشرافها ، منهم ابن الأشتر وشبث بن ربعي ، فلما وصلوا إلى جسر الصراة قطعه الخوارج بينه وبينهم ، فأمر الأمير بإعادته ، ففرت الخوارج هاربين بين يديه ، فاتبعهم عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف فرؤا على الكوفة ثم صاروا إلى أرض أصبهان ، فانصرف عنهم ولم يقاتلهم ، ثم أقبلوا فحاصروا عتاب بن ورقاء شهراً ، بمدينة جيا ، حتى ضيقوا على الناس فتركوا إليهم فقاتلهم فكشفوهم وقتلوا أميرهم الزبير بن الماجور وعنموا ما في معسكرهم ، وأمرت الخوارج عليهم فطرى بن الفجاءة ثم ساروا إلى بلاد الأهواز ، فكتب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة - وهو على الموصل - أن يسير إلى قتال الخوارج وكان أبصر الناس بقتالهم ، وبعث مكانه إلى الموصل إبراهيم بن الأشتر فانصرف المهلب إلى الأهواز فقاتل فيها الخوارج ثمانية أشهر قتالاً لم يسمع بمثله

قال ابن جرير: وفي هذه السنة كان القحط الشديد ببلاد الشام بحيث لم يتمكنوا معه من الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم . قال ابن جرير: وفيها قتل عبيد الله بن الحر وكان من خبره أنه كان رجلاً شجاعاً تتقلب به الأحوال والأيام والآراء ، حتى صار من أمره أنه لا يطاع لأحد من بني أمية ولا لآل الزبير ، وكان يمر على عامل الكورة من العراق وغيره فيأخذ منه جميع ما في بيت ماله قهراً ويكتب له براءة ويذهب فينفقه على أصحابه . وكان الخلفاء والأمرء يبعثون إليه الجيوش فيطردها ويكسرها قلت أو كثرت ، حتى كاع فيه مصعب بن الزبير وعماله ببلاد العراق ، ثم إنه وفد على عبد الملك بن مروان فبعثه في عشرة نفر وقال : ادخل الكوفة وأعلمهم أن الجنود متصل إليهم سريعاً ، فبعث في السر إلى جماعة من إخوانه فظهر على أمره فأعلم أمير الكوفة الحارث بن عبد الله فبعث إليه جيشاً فقتلوه في المكان الذي هو فيه ، وحمل رأسه إلى الكوفة ، ثم إلى البصرة ، واستراح الناس منه .

قال ابن جرير: وفيها شهد موقف عرفة أربع رايات متباينة ، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى الواحدة لمحمد بن الحنفية في أصحابه ، والثانية لنجدة الحروري وأصحابه ، والثالثة لبني أمية ، والرابعة لعبد الله بن الزبير ، وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية ، ثم نجدة ، ثم بنو أمية ، ثم دفع ابن الزبير



فدفع الناس معه ، وكان عبد الله بن عمر فيمن انتظر دفع ابن الزبير ، ولكنه تأخر دفعه ، فقال ابن عمر : أشبه بتأخره دفع الجاهلية ، فدفع ابن عمر فدفع ابن الزبير ، وتحاجز الناس في هذا العام فلم يكن بينهم قتال . وكان علي نيابة المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري من جهة ابن الزبير ، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مصعب ، وعلى ملك الشام ومصر عبد الملك بن مروان ، والله أعلم .

### وممن توفي فيها من الأعيان

عبد الله بن يزيد الأوسي ، شهد الحديبية ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث .  
وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، ابن أخي عمر بن الخطاب ، أدرك النبي (ص) ، وتوفي بالمدينة عن نحو سبعين سنة . عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري . عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن امرئ القيس ، صحابي جليل ، سكن الكوفة ثم سكن قوميسيا . زيد بن أرقم بن زيد صحابي جليل

### وفيهما توفي عبد الله بن عباس ترجمان القرآن

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي بن عم رسول الله (ص) ، جبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله وترجمانه ، كان يقال له الخبر والبحر ، وروى عن رسول الله (ص) شيئا كثيرا ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله ، رضى الله عنه وأرضاه . وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، وهو أخو أخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس ، وهو آخرهم مولداً ، وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد عن الآخر كما سيأتي ذلك . قال مسلم بن خالد الزنجي المكي عن ابن نجيب عن مجاهد عن ابن عباس . قال : لما كان رسول الله (ص) في الشعب جاء أبي إلى رسول الله (ص) ، فقال له : يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل ، فقال : « لعل الله أن يقر أعينكم » . قال : فلما ولدتنى أتى بي رسول الله (ص) ، وأنا في خرقة فحنكنى بريقه . قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله (ص) بريقه غيره ، وفي رواية أخرى قال رسول الله (ص) : « لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام » فولدت عبد الله بن عباس ، وعن عمرو بن دينار قال : ولد ابن عباس عام الهجرة ، وروى الواقدي من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال : ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين ، ونحن في الشعب ، وتوفي رسول الله (ص) وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، ثم قال الواقدي : وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم . واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهز الحلم

•

عام حجة الوداع . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : توفي رسول الله (س) ، وأنا مختون ، وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم . وقال شعبة وهشام وابن عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : توفي رسول الله (س) ، وأنا ابن عشر سنين مختون . زاد هشام : وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله (س) . قلت : وما المحكم ؟ قال : المفصل . وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قبض رسول الله (س) ، وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون ، وهذا هو الأصح ويؤيده صحة ما ثبت في الصحيحين ، ورواه مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : أقبلت راكبا على أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ، ورسول الله (س) ، يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار ، فررت بين يدي بعض الصف ، فترلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف ، فلم ينكر على ذلك أحد . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين ، كانت أمي من النساء وكنت أنا من الولدان ، وهاجر مع أبيه قبل الفتح ، فاتفق لقيامهما النبي (س) ، بالجحفة ، وهو ذاهب لفتح مكة ، فشهد الفتح وحينئذ والطائف عام ثمان ، وقيل كان في سنة تسع وحجة الوداع سنة عشر ، وصحب النبي (س) ، حينئذ ولزمه ، وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال ، وأخذ عن الصحابة علماء عظاما مع الفهم الثاقب ، والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة ، والاصالة والبيان ، ودعاه رسول الرحمن (س) ، كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان ، أن رسول الله (س) ، « دعاه بأن يعلمه التأويل ، وأن يفقهه في الدين » . وقال الزبير ابن بكار : حدثني ساعدة بن عبيد الله المزني عن داود بن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أنه قال : إن عمر كان يدعو عبد الله بن عباس فيقر به ويقول : إني رأيت رسول الله (س) ، دعاك يوماً فمسح رأسك وتفل في فيك وقال : « اللهم فقهِه في الدين ، وعلمه التأويل » . وبه أن رسول الله (س) ، قال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » . وقال حاد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : بت في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي (س) ، غسلا ، فقال : « من وضع هذا ؟ قالوا : عبد الله بن عباس ، فقال : اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين » . وقد رواه غير واحد عن ابن خثيم بنحوه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن بكر بن أبي صفرة أبو يونس عن عمرو بن دينار أن كريبا أخبره أن ابن عباس قال : أتيت رسول الله (س) ، من آخر الليل فصلبت خلفه فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حيامه ، فلما أقبل رسول الله (س) ، على صلواته خنست فصلى رسول الله (س) ، فلما انصرف من صلواته قال : « ماشأني أجلك في حداثي فتخنس » ؟ قلت : يا رسول الله أو ينبئني لأحد أن يصلي في حداثك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني

علما وفهما ، قال : ثم رأيت رسول الله (س) ، نام حتى سمعت نفخه ، ثم أتاه بلال فقال : يا رسول الله الصلاة ، فقام فصلى ما أعاد وضوءاً .

وقال الامام أحمد وغيره : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا ورقاء سمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس قال : « أتى رسول الله (س) ، الخلاء فوضعت له وضوءاً ، فلما خرج قال من وضع ذا ؟ فقيل ابن عباس ، فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . » وقال الثوري وغيره عن ليث عن أبي جهضم موسى بن سالم عن ابن عباس أنه رأى جبريل وأن رسول الله (س) ، دعا له بالحكمة ، وفي رواية بالعلم ، مرتين . وقال الدارقطني : حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمي وآخرون قالوا : حدثنا العباس بن محمد حدثنا محمد بن مصعب بن أبي مالك النخعي عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال : « رأيت جبريل مرتين ، ودعا لي رسول الله (س) ، بالحكمة مرتين » ، ثم قال : غريب من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عكرمة تفرد به عنه أبو مالك النخعي عبد الملك بن حسين . وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس . قال : « ضمنى رسول الله (س) ، وقال : اللهم علمه الحكمة » . ورواه أحمد أيضاً عن إسماعيل بن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة عنه قال : « ضمنى إليه رسول الله (س) ، وقال : اللهم علمه الكتاب » . وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث خالد وهو ابن مهران الحذاء عن عكرمة عنه به وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد ثنا سليمان بن بلال ثنا حسين بن عبد الله بن عكرمة عن ابن عباس . أن رسول الله (س) ، قال : « اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل » . تفرد به أحمد ، وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا . ومنهم من أرسله عن عكرمة ، والمتصل هو الصحيح ، فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس ، وروى من طريق أمير المؤمنين المهدي عن أبيه عن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس . أن رسول الله (س) ، قال : « اللهم علمه الكتاب وفقهه في الدين » .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو كامل وعفان المعنى قالا : ثنا حماد ثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس . قال : « كنت مع أبي عند النبي (س) ، وعنده رجل يناجيه ، قال عفان : وهو كالمريض عن العباس ، فخرجنا من عنده فقال العباس : ألم أر ابن عمك كالمريض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناجيه ، قال عفان قال عباس : أو كان عنده أحد ؟ قلت : نعم ، فرجع إليه فقال : يا رسول الله هل كان عندك أحد آتفا ؟ فان عبد الله أخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك ، قال : هل رأيت يا عبد الله ؟ قال : قلت نعم ! قال ذلك جبريل عليه السلام » . وقد روى من حديث المهدي عن

آبائه ، وفيه ان رسول الله ﷺ قال له : « اما إنك ستصاب في بصرك » . وكان ذلك ، وقد روى من وجه آخر أيضاً والله أعلم .

### ذكر صفة اخرى لرؤيته جبريل

رواها قتيبه عن الدراوردي عن ثور بن يزيد عن موسى بن ميسرة أن العباس بعث ابنه عبد الله في حاجة إلى رسول الله ﷺ ، فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل ، فأتى العباس بعد ذلك رسول الله ﷺ ، فقال العباس : يا رسول الله أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلاً فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم تدري من ذاك الرجل ؟ قال : لا ! قال : ذاك جبريل ، وإن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علماً » . ورواه سليمان بن بلال عن ثور بن يزيد كذلك ، وله طريق أخرى . وقد ورد في فضائل ابن عباس أحاديث كثيرة منها ما هو منكر جداً أضر بنا عن كثير منها صفحاً ، وذكرنا ما فيه من منع وكفاية عما سواه .

وقال البيهقي : أنبأ أبو عبد الله الحافظ أنبأ عبد الله بن الحسن القاضي بن محمد بن محمد بن زيد بن هارون أنبأ جبريل بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لما قبض رسول الله ﷺ ، قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فانهم اليوم كثير ، فقال : يا عجبا لك يا ابن عباس !! أتري الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، من فيهم ؟ قال : فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتى بابه وهو قائل فأتوسدردائي على بابه يسقى الريح على من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلى فأتيتك ؟ فأقول : لا ! أنا أحق أن أتيتك ، قال : فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع حولي الناس يسألوني ، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني » . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : ثنا محمد بن عمرو ابن علقمة ثنا أبو سلمة عن ابن عباس قال : وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحى من الأنصار . إن كنت لأقيل بباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه . وقال محمد بن سعد : أنبأ محمد بن عمر حدثني قدامة بن موسى عن أبي سلمة الحضرمي قال سمعت ابن عباس يقول : كنت ألزم الأكارب من أصحاب رسول الله ﷺ ، من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنت لا آتى أحداً منهم إلا سر باتيانى إليه ، لتقربى من رسول الله ﷺ ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً . وكان من الراسخين في العلم - عما نزل من القرآن بالمدينة ، فقال : نزل سبع وعشرون سورة وسائرهما مكي . وقال أحمد : عن عبد الرزاق عن معمر قال : عامة علم ابن عباس من ثلاثة ، من عمرو وعلى وأبي

بن كعب ، وقال طاوس عن ابن عباس أنه قال : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد من ثلاثين من اصحاب رسول الله (س) . وقال مغيرة عن الشعبي قال : قيل لابن عباس : أنى أصبت هذا العلم ؛ قال : بلسان سؤال ، وقلب عقول . وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجلس ابن عباس مع شايخ الصحابة ويقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وكان إذا أقبل يقول عمر : جاء فتى الكهول ، وذو اللسان السئول ، والقلب العقول . وثبت في الصحيح أن عمر سأل الصحابة عن تفسير [ إذا جاء نصر الله والفتح ] فسكت بهض وأجاب بهض بجواب لم يرتضه عمر ، ثم سأل ابن عباس عنها فقال : أجل رسول الله (س) ، نعم إليه ، فقال : لا أعلم منها إلا بما تعلم ، وأراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره ، وكبير منزلته في العلم والفهم . وسأله مرة عن ليلة القدر فاستنبت أنها في السابعة من العشر الأخير فاستحسنه عمر واستجاده كما ذكرنا في التفسير .

وقد قال الحسن بن عرفة : حدثنا يحيى بن اليمان عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبيرة عن عمر أنه قال لابن عباس : لقد علمت علماً ما علمناه ، وقال الأوزاعي قال عمر لابن عباس : إنك لأصبح فتياناً وجهاً ، وأحسنهم عقلاً ، وأفقههم في كتاب الله عز وجل . وقال مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال لي أبي : إن عمر يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثاً ، لا تفشين له سرا ، ولا تفتن ابن عنده أحداً ، ولا يجرب ابن عليك كذبا . قال الشعبي : قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

وقال الواقدي : حدثنا عبد الله بن الفضل بن أبي عبد الله عن أبيه عن عطاء بن يسار أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر ، وكان يفتى في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات . قلت : وشهد فتح إفريقية سنة سبع وعشرين مع ابن أبي سرح ، وقال الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه قال : نظر أبي إلى ابن عباس يوم الجمل يمشي بين الصفيين ، فقال : أقر الله عين من له ابن عم مثل هذا ، وقد شهد مع علي الجمل وصفيين وكان أميراً على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج وكان ممن أشار على علي أن يستنيب معاوية على الشام ، وأن لا يعزله عنها في بادئ الأمر ، حتى قال له فيما قال : إن أحببت عزله فوله شهراً واعزله دهرآ ، فأبى علي إلا أن يقاتله ، فكان ما كان مما قد سبق بيانه . ولما تراوض الفريقان على تحكيم الحكيم طلب ابن عباس أن يكون من جهة علي ليكافي عمرو بن العاص ، فامتنعت مذحج وأهل اليمن إلا أن يكون من جهة علي أبو موسى الأشعري ، وكان من أمر الحكيم ماسلف . وقد استنابه علي على البصرة ، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة وفسر فيها سورة البقرة ، وفي رواية سورة النور ، قال من سمعه : فسر ذلك تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلوا . وهو أول من عرف بالناس في البصرة ، فكان

يصعد المنبر ليلة عرفة ويجتمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن، ويذكر الناس من بعد العصر إلى الغروب، ثم ينزل فيصلي بهم المغرب، وقد اختلف العلماء بعده في ذلك: فمنهم من كره ذلك وقال: هو بدعة لم يعملها رسول الله ﷺ، ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس، ومنهم من استحب ذلك لأجل ذكر الله وموافقة الحجاج.

وقد كان ابن عباس ينتقد علي في بعض أحكامه فيرجع إليه علي في ذلك، كما قال الامام أحمد: حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن علياً حرق ناساً ارتدوا عن الاسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنالم أحرقتهم بالنار، إن رسول الله ﷺ قال: «لا تعذبوا بعذاب الله» بل كنت قاتلهم لقول رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه». فبلغ ذلك علياً فقال: ويح ابن عباس، وفي رواية ويح ابن عباس إنه لغواص على الهنات وقد كافأه علي فان ابن عباس كان يرى إباحة المتعة، وأنها باقية، وتحليل الحمر الانسية، فقال علي: إنك امرؤ تائه، إن رسول الله ﷺ «نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الانسية يوم خيبر». وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما، وله ألفاظ هذا من أحسنها والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال البيهقي: أنبأ أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر بن المؤمل يقول سمعت أبا نصر بن أبي ربيعة يقول: ورد صعصعة بن صوحان علي بن أبي طالب من البصرة فسأله عن ابن عباس - وكان علي خلفه بها - فقال صعصعة: يا أمير المؤمنين، إنه أخذ بثلاث وتارك ثلاث، أخذ بقلوب الرجال إذا حدث، وبجسن الاستماع إذا حدث وبأيسر الأمرين إذا خولف. وترك المرأة ومقارنة اللئيم، وما يعتذر منه. وقال الواقدي: ثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن موسى بن سعيد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. قال: ما رأيت أحداً أحضر فهما ولا أب لباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر يدعو لهعضلات ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأَنْصار. وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله بن مسعود: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد. وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، وعن ابن عمر أنه قال: ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ، وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر حدثني يحيى بن العلاء عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال سمعت جابر بن عبد الله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصفق باحدى يديه على الأخرى: مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق. وبه إلى يحيى بن العلاء عن عمر بن عبد الله عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. قال: لما مات ابن عباس قال رافع ابن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم. قال الواقدي: وحدثني

أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عمرو بن أبي عمرو : عن عكرمة قال : سمعت معاوية يقول مات والله أفقه من مات ومن عاش ، وروى ابن عساكر عن ابن عباس قال : دخلت على معاوية حين كان الصلح وهو أول ما التقيت أنا وهو ، فاذا عنده أناس فقال : مرحباً بابن عباس ، ما تحاكت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز علي بعداً ولا أحب إلى قرباً ، الحمد لله الذي أمات علياً ، فقلت له : إن الله لا يذم في قضائه ، وغير هذا الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : أحب أن تعفيني بن ابن عمي وأعفنيك من ابن عمك ، قال : ذلك لك . وقالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس : هو أعلم الناس بالمناسك . وقال ابن المبارك عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله - ﷺ ، قال : هكذا أمرنا أن نفعل بملأنا فقال زيد : أتى يداك ؟ فأخرج يديه فقبلهما فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وقال الواقدي : حدثني داود بن هند عن سعيد بن جبير سمعت ابن المسيب يقول : ابن عباس أعلم الناس . وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عتبة . قال : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال . بعلم ما سبق إليه ، وفقه فيما احتجج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي - ﷺ ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفریضة منه ، ولا أعلم فيما مضى ولا أتقب رأياً فيما احتجج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً ما يذكر فيه إلا التأويل ، ويوماً ما يذكر فيه إلا المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، ولا وجدت سائلاً سألته إلا وجد عند علماء . قال : وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً . وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت مثل ابن عباس قط . وقال عطاء : ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، ولا أعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر عنه يسألونه ، فكأنهم يصدر في واد أوسع . وقال الواقدي : حدثني بشر بن أبي سليم عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان ابن عباس قد يسبق على الناس في العلم كما تسبق النخلة السحوق على الودي الصغار . وقال لبت بن أبي سليم قلت لطاوس : لم لزمتم هذا الغلام ؟ - يعني ابن عباس - وتركت الأكبر من الصحابة ؟ فقال : إنني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله ، وقال طاوس أيضاً : ما رأيت أفقه منه ، قال وما خالفه أحد قط فتركه حتى يقرره . وقال علي بن المديني ويحيى بن معين وأبو نعيم وغيرهم عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : ما رأيت مثله قط ، ولقد مات يوم مات وإبنة لجر هذه الأمة - يعني ابن عباس - وقال أبو بكر بن أبي شيبة وغيره عن أبي أسامة عن الأعمش

عن مجاهد . قال : كان ابن عباس أمدم قوة ، وأعظمهم جفنة ، وأوسعهم علماً . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلسه - يعني ابن عباس - الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام . وقال مجاهد : ما رأيت أعرب لساناً من ابن عباس ، وقال محمد بن سعد : ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم بن أخضر عن سليمان التيمي - وهو ممن أرسله الحكم بن أديب - إلى الحسن سألته عن أول من جمع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة ؟ قال : ابن عباس ، وكان رجلاً منجى - أحسب في الحديث - كثير العلم ، وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسرهما آية آية . وقد روى من وجه آخر عن الحسن البصري نحوه ، وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال : كان ابن عباس أول من عرف بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفاً حرفاً . منجى : قال ابن قتيبة منجى من الشج وهو السيلان ، قال تعالى [ وأنزلنا من المعصرات ماءً نجاجاً ] وقيل كثيراً بسرعة : وقال يونس بن بكير : حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح : قال لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش نخرت به لكان ذاب به الفخر ، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابي حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحديهم أن يجيء ، ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابي ، فقال لي : ضع لي وضوءاً ، قال : فتوضأ وجلس وقال : اخرج فقتلهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل . قال : فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فمألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوها عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا . ثم قال : اخرج فقتل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، قال فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال إخوانكم فخرجوا ، ثم قال اخرج فقتل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها ، فليدخل ، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقتل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال إخوانكم فخرجوا ، قال أبو صالح : فلو أن قريشاً كلها نخرت بذلك لكان نخرأ ، فمأريت مثل هذا لأحد من الناس .

وقال طاووس وميمون بن مهران : ما رأينا أروع من ابن عمر ولا أققه من ابن عباس ، قال يسور : وكان ابن عباس أققهما ، وقال شريك القاضي عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس ، فإذا نطق قلت أفصح الناس ، فإذا تحدث



قلت أعلم الناس . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن  
عكرمة قال : كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن ، وكان علي أعلمهما بالمبهمات ، وقال إسحاق بن راهويه :  
إنما كان كذلك لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير ، وضم إلى ذلك ما أخذ عن أبي  
بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وشيخهم من كبار الصحابة . مع دعاء رسول الله - له أن يمهده الله  
الكتاب . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : خطب ابن عباس وهو  
على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأها ويفسرهما فجعلت أقول ما ريت ولا سمعت كلام رجل  
مثله ، لو سمعته فارس والروم لأسلمت . وقد روى أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن  
أبي وائل أن ابن عباس حج بالناس عام قتل عثمان فقرأ سورة النور وذكر نحو ما تقدم ، فلعل الأول  
كان في زمان علي فقرأ في تلك الحججة سورة البقرة ، وفي فتنة عثمان سورة النور ، والله أعلم .  
وقد روينا عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد :  
عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أفقت عند كل آية فأسأل عنها ، وروى عنه أنه قال : أربيع  
من القرآن لا أدري ما به جىء ، الأواد ، والحنان ، والرقيم ، والغسلين . وكل القرآن أعلمه إلهذه  
الأربيع . وقال ابن وهب وغيره عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد . قال : كان ابن  
عباس إذا سئل عن مسألة فإن كانت في كتاب الله قال بها ، وإن لم تكن وهي في السنة قال بها ، فإن  
لم يقنها رسول الله - ، وجدها عن أبي بكر وعمر قال بها ، وإلا اجتهد رأيه ، وقال يعقوب بن  
سفيان : ثنا أبو عاصم وعبد الرحمن بن الشعبي عن كهمس بن الحسن عن عبد الله بن يزيد . قال :  
سئل رجل ابن عباس فقال له : إنك لتشتمي وفي ثلاث خصال ، إني لا آتي على الآية من كتاب  
الله فأود أن الناس علموا مني مثل الذي أعلم ، وإني لأسمع بالحكام من حكم المسلمين يقضى بالعدل  
ويحكم بالتسقط فأفرح به وأدعو إليه . ولعل لا تقاضى إليه ولا أحاكم أبداً وإني لأسمع بالنيث  
يعي - الأرض من أرض المسلمين فأفرح به ومالي بها من سائمة أبداً ، ورواه البيهقي عن الحاكم  
عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون عن كهمس بن . وقال ابن أبي مليكة : صحبت  
ابن عباس من المدينة إلى مكة ، وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن حفا حفا ،  
ويكثر في ذلك من الفسيح والنحيب ويقرأ | وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد |  
وقال الأصم عن المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم قال : كان في هذا المكان - وأوماً إلى بحري  
الدعوع من خديده يعني خدي ابن عباس - مثل الشراك البالي من البكاء . وقال غيره : كان يصوم  
يوم الاثنين والخميس ، وقال : أحب أن يرتفع عملي وأنا صائم ، وروى هاشم وغيره عن علي بن  
زيد عن يوسف بن مهرا عن ابن عباس أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام

إلى الله عز وجل . ومن أكرم العباد على الله عز وجل ، ومن أكرم الاماء على الله عز وجل . وعن أربعة  
 فيهم الروح فلم يركضوا في رحم ، وعن قبر سار بصاحبه ، وعن مكان في الأرض لم تطلع فيه الشمس  
 إلا مرة واحدة ، وعن قوس قزح ما هو ؛ وعن الحجرة . فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن فكتب  
 ابن عباس إليه : أما أحب الكلام إلى الله فسيبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا  
 حول ولا قوة إلا بالله ، وأكرم العباد على الله آدم ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له  
 ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء . وأكرم الاماء على الله مريم بنت عمران ، وأما الأربعة اللذين لم  
 يركضوا في رحم فآدم وحواء وعصى موسى ، وكبش إبراهيم الذي فدى به إسماعيل . وفي رواية وناق  
 صالح ، وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس ، وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة  
 واحدة فهو البحر لما انفلق لموسى حتى جاز بنوا إسرائيل فيه ، وأما قوس قزح فإمان لأهل الأرض  
 من الفرق ، والحجرة باب في السماء ، وفي رواية الذي ينشق منه . فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجب  
 وقال : والله ما هي من عند معاوية ولا من قوله ، وإنما هي من عند أهل النبي صلى الله عليه وآله ، وقد ورد في  
 هذه الاسئلة روايات كثيرة فيها وفي بعضها نظر والله أعلم

### قصته

تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور ، وفي غيبته  
 هذه قتل عثمان ، وحضر ابن عباس مع علي الجمل ، وكان على الميسرة يوم صفين ، وشهد قتال الخوارج  
 وتأمروا على البصرة من جهة علي ، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة ،  
 وزياد بن أبي سفيان على الخراج ، وكان أهل البصرة مغبوطين به ، يفقههم ويعلم جاهلهم ، ويعظ  
 مجرمهم ، ويعطي فقيرهم ، فلم يزل عليها حتى مات علي ، ويقال إن علياً عزله عنها قبل موته ، ثم وفد  
 علي معاوية . فأكرمه وقربه واحترمه وعظمه ، وكان يلقي عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها سريعاً ،  
 فكان معاوية يقول : ، رأيت أحداً أحضر جواباً منه ، ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن علي اتفق  
 كون ابن عباس عند معاوية فعزاد فيه بأحسن تعزية ، ورد عليه ابن عباس رداً حسناً كما قدمنا ،  
 ردت معاوية ابنة يزيد فجلس بين يدي ابن عباس وعزاه بعبارة فصيحة وجيزة ، شكره عليه .  
 ابن عباس . ولما مات معاوية ورام الحسين الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس أشد النهي ، وأراد  
 ابن عباس أن يتعلق بثياب الحسين - لأن ابن عباس كان قد أضر في آخر عمره - فلم يقبل منه ،  
 ثم بده موته حين عليه حزناً شديداً ولزم بيته ، وكان يقول : يا لسان قل خيراً نعم ، وأسكت عن  
 سيئاً . فانك إن لاتعمل تندم . وجاء إليه رجل يقال له جنذب فقال له : أوصني ، فقال : أوصيك

بتوحيد الله والعمل له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فان كل خير آتية أنت بعد ذلك منك مقبول ، وإلى الله مرفوع ، ياجندب إنك لن تزد من موتك إلا قرباً ، فصل صلاة مودع . واصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر ، فانك من أهل القبور ، وابك على ذنبك وتب من خطيئتك ، ولتكن الدنيا عليك أهون من شمع نعلك ، فكان قد فارقتها وصرت إلى عمل الله ، ولن تنتفع بما خلفت ، ولن ينفعك إلا عملك . وقال بمضهم : أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدم ، قال : لاتكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موصفاً ، ولا تمارس فيها ولا حلماً فان الحلیم يغلبك والسفيه يزدریک ، ولاتدكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزي بالاحسان مأخوذ بالاجرام . فقال رجل عنده : يا ابن عباس ! هذا خير من عشرة آلاف . فقال ابن عباس : كلمة منه خير من عشرة آلاف . وقال ابن عباس : تمام المعروف تعجيله وتصغيره وسره - يعني أن تعجل العطفة للمعطي ، وأن تصغر في عين المعطي - وأن تسترها عن الناس فلا تظهرها ، فان في إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطي ، واستحياءه من الناس . وقال ابن عباس : أعز الناس على جليس لو استطعت أن لا يقع الثباب على وجهه لفعلت ، وقال أيضاً : لا يكافيء من أتاني يطلب حاجة فرآني لها موصفاً إلا الله عز وجل ، وكذا رجل بداني بالسلام أو أوسع لي في مجلس أو قام لي عن المجلس ، أو رجل سقاني شربة ماء على ظمأ ، ورجل حفظني بظهر الغيب . والمأثور عنه من هذه المكارم كثير جداً وفيما ذكرنا إشارة إلى ما لم نذكره .

وقد عده الهيثم بن عدي في العميان من الأشراف ، وفي بعض الأحاديث الواردة عنه ما يدل على ذلك ، وقد أصيبت إحدى عينيه فنحل جسمه ، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه ، فقيل له في ذلك فقال : أصابني مارأيتم في الأولى شفقة على الأخرى ، فلما ذهبنا اطمان قلبي . وقال أبو القاسم البغوي : ثنا علي بن الجعد ثنا شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه وقع في عينيه الماء فقال له الطبيب : نزعك من عينيك الماء على أن لا تصلي سبعة أيام . فقال : لا إني من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان ، وفي رواية أنه قيل له : نزيل هذا الماء من عينيك على أن تبقى خمسة أيام ولا تصلي إلا على عود ، وفي رواية إلا مستلقياً ، فقال : لا والله ولا ركعة واحدة ، إني من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله وهو عليه غضبان . وقد أنشد المدائني لابن عباس حين عمي

إن يأخذ الله من عيني نورهما \* ففي لساني وسمي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل \* وفي في صارم كالسيف مأثور

ولما وقع الخلف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية

الناس ، فدعاهما ابن الزبير لبيابهما فأبيا عليه ، وقال كل منهما : لانبأيك ولا نخالفك ، فهم بهما

فبعثنا أبا الطفيل عامر بن وائلة فاستنجد لهما من العراق من شيعتهما . فقدم أربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة ، وهما بابن الزبير فهرب فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : أنا عائد بالله ، فكفوم عنه ، ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم ، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف ، وأقام ابن عباس سنتين لم يبايع أحدا كما تقدم .

فلما كان في سنة ثمان وستين توفي ابن عباس بالطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ، فلما وضعوه ليدخلوه في قبره جاء طائر أبيض لم ير مثل خلقته ، فدخل في أكفانه والتف بها حتى دفن معه . قال عفان : وكانوا يرون علمه وعمله ، فلما وضع في اللحد تلا نال لا يعرف من هو وفي رواية أنهم سمعوا من قبره [ يا أيتهما النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ] هذا القول في وفاته هو الذي صححه غير واحد من الأئمة ، ونص عليه أحمد بن حنبل والواقدي وابن عساکر ، وهو المشهور عند الحفاظ ، وقيل إنه توفي في سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ثلاث وسبعين ، وقيل سنة سبع وستين ، وقيل سنة تسع وستين ، وقيل سنة سبعين . والأول أصح ، وهذه الأقوال كلها شاذة غريبة مردودة والله سبحانه وتعالى أعلم . وكان عمره يوم مات ثنتين وسبعين سنة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل أربع وسبعين ، والأول أصح والله أعلم .

### صفة ابن عباس

كان جسيماً إذا جلس يأخذ مكان رجلين ، جميله وفرة ، قد شاب مقدم رأسه ، وشابت لفته ، وكان ينخضب بالحناء وقيل بالسواد ، حسن الوجه يلبس حسناً ويكثر من الطيب بحيث إنه كان إذا مر في الطريق يقول النساء هذا ابن عباس أو رجل معه مسك ، وكان وسماً أبيض طويلاً جسيماً فصيحاً ، ولما عمى اعترى لونه صفرة يسيرة . وقد كان بنو العباس عشرة ، وهم الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، ومعبد ، وقيم ، وعبد الرحمن ، وكثير ، والحارث ، وعون ، وتمام . وكان أصغرهم تمام ، ولهذا كان يحمله ويقول .

تموا بتمام فصاروا عشرة \* يارب فاجعلهم كراماً بررة \* واجعلهم ذكراً وانم الثمرة  
فأما الفضل فمات بأجنادين شهيداً ، وعبد الله بالطائف ، وعبيد الله باليمن ، ومعبد وعبد الرحمن بآفريقية ، وقيم وكثير بينبع ، وقيل إن قتما مات بسمرقند ، وقد قال مسلم بن حماد المكي مولى بني مخزوم : ما رأيت مثل بني أم واحدة أشرف ولدوا في دار واحدة أبعد قبوراً من بني أم الفضل ، ثم ذكر مواضع قبورهم كما تقدم ، إلا أنه قال الفضل مات بالمدينة ، وعبيد الله بالشام .

وقد كان عبد الله بن عباس يلبس الحلة بألف درهم ، وكان له من الولد العباس وعلي ، وكان علي يدعى السجاد لكثرة صلاته ، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض ، وقد قيل إنه كان يصلي كل يوم

ألف ركة ، وقيل في الليل والنهار مع الجمال التام ، وعلى هذا فهو أبو خلفاء العباسيين ، ففي ولده كانت الخلافة العباسية كما سيأتي ، وكان لابن عباس أيضاً محمد والفضل وعبد الله ، وأمهم زرعة بنت مسرح بن معدى كرب ، وله أسماء وهي لأم ولد ، وكان له من الموالى عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة ودقيق وأبو عمرة وأبو عبيد . وأسند ألفاً وستمائة وسبعين حديثاً والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفيها توفي أبو شريح الخزاعي العدوي الكعبي ، اختلف في اسمه على أقوال أصحها خويلد بن عمرو ، أسلم عام الفتح ، وكان معه أحد ألوية بني كعب الثلاثة ، قال محمد بن سعد : مات في هذه السنة وله أحاديث . وفيها توفي أبو واقد الليثي صحابي جليل مختلف في اسمه وفي شهوده بدرأ ، قال الواقدي توفي سنة ثمان وستين عن خمس وستين سنة ، وكذا قال غير واحد في تاريخ وفاته . وزعم بعضهم أنه عاش سبعين سنة ، مات بمكة بعد ما جاوز بها سنة ودفن في مقابر المهاجرين والله أعلم .

### ثم دخلت سنة تسع وستين

ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الأبري قتله عبد الملك بن مروان وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب في أول هذه السنة في جنوده قائداً قرقيسيا ليحاصر زفر بن الحارث الكلبي الذي أعان سليمان بن صرد على جيش مروان حين قتلوه بمين وردة . ومن عزه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك ، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق ، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال وقيل بل كان مع عبد الملك ولكنه انخدل عنه في طاعة من الجيش وكر راجعاً إلى دمشق في الليل ، ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي ، وزهير بن الأبرد الكلبي ، فأتوا إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم نائباً من جهة عبد الملك ، فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الأشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن ، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجليل ، ولما علم عبد الملك بما فعله الأشدق كر راجعاً من فوره فوجد الأشدق قد حصن دمشق وعلق عليها النار والمسوح ، وانحاز الأشدق إلى حصن رومي منيع كان بدمشق فنزله . فحاصره عبد الملك وقاله الأشدق مدة ستة عشر يوماً ، ثم اصطلمها على ترك القتال ، وعلى أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك ، وعلى أن يكون لكل عامل لعبد الملك عامل له ، وكتبا بينهما كتاب أمان ، وذلك عشية الخميس ، ودخل عبد الملك إلى دمشق إلى دار الامارة على عادته ، وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له : رد على الناس أعطياتهم التي أخذتها من بيت المال ، فبعث إليه الأشدق : إن هذا ليس إليك ، وليس هذا البلد لك فاخرج منه ، فلما كان يوم الاثنين بعث عبد الملك إلى الأشدق يأمره بالاتيان إلى منزله بدار الامارة الخضراء ، فلما جاءه الرسول صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو زوج ابنته أم موسى بنت

الأشدق ، فاستشاره عمرو الأشدق في الذهاب إليه فقال له : يا أبا سعيد والله لانت أحب إلى من سمى وبصرى ، وأرى أن لا تأتيه ، فان تبعاً الحميري ابن امرأة كعب الأخبار قال : إن عظيماً من عظماء بني إسماعيل يفلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل . فقال عمرو : والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن يفهني ابن الزرقاء ، وما كان ليجتريء على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه ، وقال عمرو بن سعيد أبلغه السلام وقل له أنا رابع إليك العشية إن شاء الله . فلما كان العشي - يعني بعد الظهر - لبس عمرو درعا بين ثيابه وتقلد سيفه ونهض فغتر بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره : إنا لا نرى أن لا تأتيه ، فلم يلتفت إلى ذلك ومضى في مائة من مواله ، وكان عبد الملك قد أمر بني مروان فاجتمعوا كلهم عنده ، فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يجلس من معه عند كل باب طائفة منهم ، فدخل حتى انتهى إلى صرحه المكان الذي فيه عبد الملك ، ولم يبق معه من مواله سوى وصيف ، فرمى بيصره فاذا مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك ، فأحس بالشر فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له همساً : ويحك انطلق إلى أخي يحيى فقل له فليأتني ، فلم يفهم عنه وقال له : لبيك ، فاعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضاً وقال : لبيك ، فقال : ويحك أغرب عني في حرق الله وناره ، وكان عند عبد الملك حسان بن مالك ابن بحدل ، وقبيصة بن ذؤيب ، فأذن لهما عبد الملك بالانصراف ، فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحب به وأجلسه معه على السرير ، ثم جعل يتحدث طويلاً ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إنا لله يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : أو تطمع أن تتحدث معي متقلدا سيفك ؟ فأخذ الغلام السيف عنه ، ثم تحدثا ساعة ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : إنك حيث خلعتني آليت بيمينى إن ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة ، فقالت بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ، فقال ثم أطلقه ، وما عسيت أن أفعل بأبي أمية ، فقال بنو مروان : بريمين أمير المؤمنين ، فقال عمرو : بر قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال : يا غلام قم فاجمه فيها ، فقام الغلام فجمعه فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤس الناس ، فقال عبد الملك : أمكرا يا أبا أمية عند الموت ؟ لاها الله إذا ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك إلا صدأ ، ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فيه السرير فكسر ثنينه ، فقال عمرو : أذكرك الله أن يدعوك كسر عظمى إلى ما هو أعظم من ذلك ، فقال عبد الملك : والله لو أعلم أنك إذا بقيت تنى لى وتصلح قريش لأطلقتك ، ولكن ما اجتمع رجلان في بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، وفي رواية أنه قال له : أما علمت يا عمر وأنه لا يجتمع فلان

في شرك ؟ . فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له : أعذراً يا ابن الزرقاء ؟ وأسمعه كلاماً رديئاً بشما ، وبينما هما كذلك إذ أذن المؤذن للعصر ، فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة ، وأمر أخاه عبد العزيز ابن مروان بقتله ، وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو : أذكرك الله والرحم أن لا تلي ذلك مني ، وليتول ذلك غيرك ، فكف عنه عبد العزيز . ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو وأرجف الناس بعمرو ، فأقبل أخوه يحيى بن سعيد في ألف عبد لعمرو بن سعيد وأناس معهم كثير ، وأسرع عبد الملك الدخول إلى دار الامارة ، وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الامارة ويقولون : أسمعنا صوتك يا أبا أمية ، وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك في رأسه بالسيف فجرحه ، فأدخله إبراهيم بن عدى صاحب الديوان بيتاً ، وأحرزه فيه ، ووقعت خبطة عظيمة في المسجد ، وضجت الأصوات ، ولما رجع عبد الملك وجد أخاه لم يقتله فلامه وسبه وسب أمه - ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك - فقال له : ناشدني الله والرحم ، وكان ابن عمه عبد الملك بن مروان ، ثم إن عبد الملك قال : يا غلام أتني بالجرية ، فأناه بها فهرها وضربه بها فلم تكن شيئاً ، ثم ثني فلم تكن شيئاً ، فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك وقال : أدارع أيضاً ؟ إن كنت معداً ، يا غلام اتنى بالصمصامة ، فأناه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع ثم جلس على صدره فذبجه وهو يقول : -  
يا عمرو إلا تدع شتى ومنقصتى \* أضربك حتى تقول الهامة استقوني

قالوا : وانتفض عبد الملك بعد ما ذبحه كما تنتفض القصبه برعدة شديدة جداً ، بحيث إنهم مارفوه عن صدره إلا محمولاً ، فوضعوه على سريره وهو يقول : ما رأيت مثل هذا قط قبله صاحب دنيا ولا آخرة ، ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فألقاه بين أظهرهم ، وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الأموال تحمل ، فألقيت بين الناس فجعلوا يختطفونها ، ويقال : إنها استرجعت بعد ذلك من الناس إلى بيت المال ، ويقال إن الذي ولي قتل عمرو بن سعيد مولى عبد الملك أبو الزعيرة بعد ما خرج عبد الملك إلى الصلاة فله أعلم . وقد دخل يحيى بن سعيد - أخو عمرو بن سعيد - دار الامارة بعد مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتلوا ، وجرح جماعات من الطائفتين ، وجاءت يحيى بن سعيد صخرة في رأسه أشغلته عن نفسه وعن القتال ، ثم إن عبد الملك بن مروان خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر فجعل يقول : ويحكم أين الوليد ؟ وأبهم لأن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأناه إبراهيم بن عدى الكنانى فقال : هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس ، ثم أمر عبد الملك بيحيى بن سعيد أن يقتل فتشفع فيه أخوه عبد العزيز ابن مروان ، وفي جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد أمر بقتلهم ، فشغفه فيهم وأمر بحبسهم فحبس شهراً ، ثم سيره وبني عمرو بن سعيد وأهلهم إلى العراق فدخلوا على مصعب بن الزبير فأكرمهم

ياحسن إليهم ، ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن الزبير ، وفدوا عليه فكاد يقتلهم فتلف بعضهم في العبارة حتى رق لهم ردة شديدة ، فقال لهم عبد الملك : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم وأرغاني لحقكم فأحسن جائزتهم وقربهم ، وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعتي إلى بكتاب الأمان الذي كنت كتبت له عمرو ، فقالت : إني دفنته معه ليحاكك به يوم القيامة عند الله . وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولي العهد من بعد ولده عبد الملك ، كلاماً مجرداً ، فطمع في ذلك وقويت نفسه بسبب ذلك ، وكان عبد الملك يفضيه بغضا شديداً من حال الصغر ، ثم كان هذا صديقه إليه في الكبر . قال ابن جرير : وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته حتى قتلته ؟ فقال : -

وأدنيته مني ليسكن روعه \* فاصول صولة حازم مستمكن

غضباً ومحبة لديني إنه \* ليس المسىء سبيله كالمحسن

قال خليفة بن خياط : وهذا الشعر للضبي بن أبي رافع تمثل به عبد الملك . وروى ابن دريد عن أبي حاتم عن الشعبي أن عبد الملك قال : لقد كان عمرو بن سعيد أحب إلي من دم النواظر ، ولكن والله لا يجتمع فحلان في الأبل إلا أخرج أحدهما الآخر ، وإنا لكما قال أخو بني يربوع : -

أجازي من جزائي الخير خيراً \* وجازي الخير يجزي بالنوال

وأجزي من جزائي الشر شراً \* كما نخذ النعال على النعال

قال خليفة بن خياط : وأنشد أبو اليقظان لعبد الملك في قتله عمرو بن سعيد

صحت ولا تشلل وضرت عدوها \* بين أراقت مهجة ابن سعيد

وجدت ابن مروان ولا نبل عنده \* شديدة ضريرة اناس غر بليد

هو ابن أبي العاصي لمروان ينتهي \* إلى أسرة طابت له وجدود

وكان الواقدي يقول : أما حصار عبد الملك لعمر بن سعيد الأشدق فكان في سنة تسع وستين ، رجع إليه من بطنان فحاصره بدمشق ثم كان قتله في سنة سبعين والله أعلم .

### وهذه ترجمة الأشدق

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو أمية القرشي الأموي ، المعروف بالأشدق ، يقال إنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - وروى عنه أنه قال : « ما نحل والد ولداً أحسن من أدب حسن » وحديثنا آخر في العتق ، وروى عن عمر وعثمان وعلي وعائشة ، وحدث عنه بنوه أمية وسعيد





وموسى وغيرهم ، واستنابه معاوية على المدينة ، وكذلك يزيد بن معاوية بعد أبيه كما تقدم ، وكان من سادات المسلمين ، ومن الكرماء المشهورين ، يعطى الكثير ، ويتحمل العظام ، وكان وصى أبيه من بين بنيه ، وكان أبوه كما قدمنا من المشاهير الكرماء ، والسادة النجباء ، قال عمرو : ما شتمت رجلاً منذ كنت رجلاً ، ولا كلفت من قصدنى أن يسألنى ، لهو أمن على منى عليه ، وقال سعيد بن المسيب : خطباء الناس فى الجاهلية الأسود بن عبد المطلب ، وسهيل بن عمرو ، وخطباء الناس فى الإسلام معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبد الله بن الزبير .

وقد قال الأم أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد ثنا على بن زيد أخبرنى من سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله (س) يقول . « ليرعفن على منبرى جبار من جبارة بنى أمية حتى يسيل رعافه » قال : فأخبرنى من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعى على منبر رسول الله (س) حتى سال رعافه . وهو الذى كان يبعث البعوث إلى مكة بعد وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير ، فنهاه أبو شريح الخزاعى وذكر له الحديث الذى سمعه من رسول الله (س) فى تحريم مكة ، فقال : نحن أعلم بذلك منك يا شريح ، إن الحرام لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بجزية ، الحديث كما تقدم وهو فى الصحيحين . ثم إن مروان دخل إلى مصر بعد ما دعا إلى نفسه واستقر له الشام ، ودخل معه عمرو بن سعيد ففتح مصر ، وقد كان وعد عمرأ أن يكون ولى العهد من بعد عبد الملك ، وأن يكون قبل ذلك نائباً بدمشق ، فلما قويت شوكة مروان رجع عن ذلك ، وجعل الأمر من بعد ذلك لولده عبد العزيز ، وخلع عمرأ . فما زال ذلك فى نفسه حتى كان من أمره ما تقدم ، فدخل عمرو دمشق وتمحصن بها وأجابه أهلها ، فحاصره عبد الملك ثم استنزله على أمان صورى ، ثم قتله كما قدمنا .

وكان ذلك فى هذه السنة على المشهور عند الأكتريين ، وقال الواقدى وأبو سعيد بن يونس سنة سبعين فأنه أعلم . ومن الغريب ما ذكره هشام بن محمد الكلبي بسنده أن رجلاً سمع فى المنام قائلاً يقول على سور دمشق قبل أن يخرج عمرو بالكلية ، وقبل قتله بمدة هذه الأبيات :

ألا يا قومُ للسفاهة والوهن \* وللفاجر الموهونِ والرأى . الأفنِ  
ولا بن سعيدٍ بينما هو قائمٌ • على قدميه خنز للوجهِ والبطنِ  
رأى الحصنَ منجاةً من الموتِ فالتجأ \* إليه فزارتهُ المنيةُ فى الحصنِ

قال : فأتى الرجل عبد الملك فأخبره فقال : ويحك سمعها منك أحد ؟ قال : لا ! قال : فضمها تحت قدميك ، قال : ثم بعد ذلك خلع عمرو والطاعة وقتله عبد الملك بن مروان ، وقد قيل إن عبد الملك لما حاصره راسله وقال : أنشدك الله والرحم أن تدع أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة فإن فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا ، فارجع إلى بيتك ولك على عهد الله وميثاقه ،

وحلف له بالایمان المؤکدة أنك ولی عهدی من بعدی ، وکتبا بينهما کتابا ، فأنخدع له عمرو وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم .

### ومن توفي فيها من الأعيان

#### ابو الأسود الدؤلي

ويقال له الديلي . قاضي الكوفة ، تابعي جليل ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ابن جلس بن شباعة بن عدى بن الدؤل بن بكر ، أبو الأسود الذي نسب إليه علم النحو ، ويقال إنه أول من تكلم فيه ، وإنما أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد اختلف في اسمه على أقوال ، أشهرها أن اسمه ظالم بن عمرو ، وقيل عكسه ، وقال الواقدي : اسمه عويمر بن ظويلم . قال وقد أسلم في حياة النبي (ص) ، ولم يره ، وشهد الجمل دهلك في ولاية عبد الله بن زياد ، وقال يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلي : كان ثقة وهو أول من تكلم في النحو ، وقال ابن معين وغيره : مات بالطاعون الجارف سنة تسع وستين . قال ابن خلكان : وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقد كان ابتداءؤها في سنة تسع وتسعين . قلت : وهذا غريب جداً . قال ابن خلكان وغيره : كان أول من أتى إليه علم النحو على بن أبي طالب ، وذكر له أن الكلام اسم وفعل وحرف ، ثم إن أبا الأسود نحى نحوه وفرع على قوله ، وسلك طريقه ، فسمى هذا العلم النحو لذلك ، وكان الباعث لأبي الأسود على ذلك تغير لغة الناس ، ودخول اللحن في كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق ، وكان أبو الأسود مؤدب بنيه ، فانه جاء رجل يوماً إلى زياد فقال : توفي أبانا وترك بنون ، فأمره زياد أن يضع للناس شيئاً يهتدون به إلى معرفة كلام العرب ، ويقال إن أول ما وضع منه باب التعجب من أجل أن ابنته قالت له ليلة : يا أبة ما أحسن السماء ، قال نجومها ، فقالت : إني لم أسأل عن أحسنها إنما تعجبت من حسنها ، فقال قولي : ما أحسن السماء قال ابن خلكان : وقد كان أبو الأسود يبخل وكان يقول : أطعنا المساكين في أموالنا لكننا مثلهم : وعشى ليلة مسكيناً ثم قيده وبيته عنده ومنعه أن يخرج ليلته تلك لثلا يؤذي المسلمين بسؤاله ، فقال له المسكين : اطلقني ، فقال هيات ، إنما عشيتك لأريج منك المسلمين الليلة ، فلما أصبح أطلقه . وله شعر حسن .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وقد أظهر خارجي التحكيم بمنى فقتل عند الحجر . والنواب فيها هم الذين كانوا في السنة التي قبلها **ومن توفي فيها جابر بن سمرة** ابن جنادة ، له صحبة ورواية ولأبيه أيضاً صحبة ورواية ، وقيل توفي في سنة ست وستين فأنه أعلم .  
اسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، بايعت النبي (ص) ، وقتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم ليلة عرسها ، وسكنت دمشق ودفنت بباب الصغير

حسان بن مالك أبو سليمان البحدلي قام ببيعة مروان لما تولى الخلافة ، مات في هذه السنة  
واقفه سبحانه أعلم .

ثم دخلت ستة سبعين من الهجرة

فيها تارت الروم واستجاشوا على من بالشام ، واستضعفوم لما يرون من الاختلاف الواقع بين  
بنى مروان وابن الزبير ، فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل  
جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام . وفيها وقع الوباء بمصر فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى  
الشرقية ، فنزل حلوان وهي على مرحلة من القاهرة ، وأخذها منزلاً واشتراها من القبط بعشرة آلاف  
دينار ، وبني بها داراً للإمامة وجامعاً ، وأنزلها الجند . وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى  
مكة ومعه أموال جزيلة . فأعطى وفرق وأطلق جماعة من رؤس الناس بالحجاز أموالاً كثيرة .

ومن توفي فيها من الأعيان عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، وأمه جميلة بنت ثابت  
ابن أبي الأفلح ، ولد في حياة رسول الله ﷺ ، ولم يرو إلا عن أبيه حديثاً واحداً ، إذا أقبل الليل  
من هنا الحديث ، وعنه ابنه حفص وعبد الله ، وعروة بن الزبير ، وقد طلق أبوه أمه فأخذته  
جدته الشموس بنت أبي عامر ، أتى به الصديق وقال شمها ولطفها أحب إليه منك ، ثم لما زوجه أبود  
في أيام إمارته أنفق عليه من بيت المال شهراً ، ثم كف عن الانفاق عليه وأعطاه ثمن ماله وأمره أن  
يتجر وينفق على عياله . وذكر غير واحد أنه كان بين عاصم وبين الحسن والحسين منازعة في  
أرض ، فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال : هي لك ، فقال له : بل هي لك ، فتركها ولم يتعرضا  
لها ، ولا أحد من ذريتهما حتى أخذها الناس من كل جانب ، وكان عاصم رئيساً وقوراً كريماً فاضلاً .  
قال الواقدي : مات سنة سبعين بالمدينة قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكلبي أبو العلاء من كبار  
التابعين وهو أخو معاوية من الرضاعة ، كان من فقهاء أهل المدينة وصالحهم ، انتقل إلى الشام وكان  
معلم كتاب

قيس بن دريج

المشهور أنه من بادية الحجاز ، وقيل إنه أخو الحسين بن علي من الرضاعة ، وكان قد تزوج لبني  
بنت الحباب ثم طلقها ، فلما طلقها هام لها به من الغرام ، وسكن البادية ، وجعل يقول فيها الأشعار  
ونحل جسمه ، فلما زاد مابه أتاه ابن أبي عتيق فأخذه ومضى به إلى عبد الله بن جعفر فقال له : فداك  
أبي وأمي ، اركب معي في حاجة ، فركب واستنهض معه أربعة نفر من وجوه قريش ، فذهبوا معه  
وم لا يدرون ما يريد ، حتى أتى بهم باب زوج لبني ، فخرج إليهم فاذا وجوه قريش ، فقال : جعلني  
الله فداكم ! ما جاء بكم ؟ قالوا : حاجة لابن أبي عتيق ، فقال الرجل : اشهدوا أن حاجته مقضية ،  
وحكمه جائز ، فقالوا : أخبره بمحاجتك ، فقال ابن أبي عتيق : اشهدوا على أن زوجته لبني منه طالق ،

قال عبد الله بن جعفر : قبحك الله ، ألهذا جئت بنا ؟ فقال : جعلت فداكم يطلق هذا زوجته ويتزوج بغيرها خير من أن يموت رجل مسلم في هواها صبابة ، والله لا أبرح حتى ينتقل متاعها إلى بيت قيس ، ففعلت وأقاموا مدة في أرغد عيش وأطيبه رحمهم الله تعالى .

• يزيد بن زياد بن ربيعة المحيرى

الشاعر كان كثير الشعر والهجو ، وقد أراد عبيد الله بن زياد قتله لكونه هجا أباه زياداً ، ففعله معاوية من قتله ، وقال : أدبه ، فسقاه دواء مسهلاً وأركبه على حمار وطاف به في الأسواق وهو يسبح على الحمار فقال في ذلك : -

يفسل الماء ما صنعت وشعري \* راسخ منك في العظام البوالى

بشير بن النضر قاضى مصر ، كان رزقه في العام ألف دينار ، توفي بمصر ، وولى بعده عبد الرحمن بن حمزة الخولانى ، والله سبحانه أعلم مالك بن يخامر السكسكى الألهانى الحمصى تابعى جليل ، ويقال له صحبة فالله أعلم . روى البخارى من طريق معاوية عنه عن معاذ بن جبل في حديث الطائفة الظاهرة على الحق أنهم بالشام ، وهذا من باب رواية الأكارب عن الأصاغر ، إلا أن يقال له صحبة ، والصحيح أنه تابعى وليس بصحابى ، وكان من أخص أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال غير واحد : مات في هذه السنة ، وقيل سنة اثنتين وسبعين والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة احدى وسبعين

ففيها كان مقتل مصعب بن الزبير ، وذلك أن عبد الملك بن مروان سار في جنود هائلة من الشام قاصداً مصعب بن الزبير ، فالتقيا في هذه السنة ، وقد كانا قبلها يركب كل واحد ليلتى . بالآخر فيحول بينهما الشتاء والبرد والوحل ، فيرجع كل واحد منهما إلى بلده ، فلما كان في هذا المام سار إليه عبد الملك وبعث بين يديه السرايا ، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة فدنا أهلها إلى عبد الملك في السر ، فاستجاب له بعضهم ، وقد كان مصعب سار إلى الحجاز فجاء ودخل البصرة على إثر ذلك ، فأنب الكبراء من الناس وشتهم ولاهمهم على دخول أولئك إليهم ، وإقرارهم لهم على ذلك ، وهدم دور بعضهم ، ثم شخص إلى الكوفة ، ثم بلغه قصد عبد الملك له بجنود الشام فخرج إليه ووصل عبد الملك إلى مسكن ، وكتب إلى مروان التي استجابوا لمن بعث إليهم فأجابوه ، واشتروا عليه أن يوليهم أصبهان فقال نعم - وم جماعة كثيرة من الأمراء - وقد جعل عبد الملك على مقدمته أخاه محمد بن مروان ، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية ، وخرج مصعب وقد اختلف عليه أهل العراق ، وخذلوه وجعل يتأمل من معه فلا يجد من يقاومون أعداءه ، فاستقتل وطمن نفسه على ذلك ، وقال : لى بالحسين بن على أسوة حين امتنع من

إلقائه يده، ومن النلة لعبيد الله بن زياد، وجعل ينشد ويقول مسلماً نفسه :

وإن الأولى بالطف من آل هاشم \* تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وكان عبد الملك قد أشار عليه بعض أصحابه أن يقيم بالشام وأن يبعث إلى مصعب جيشاً، فأبى وقال : لعلني إن بعثت رجلاً شجاعاً كان لا رأى له، ومن له رأى ولا شجاعة له، وإني أجد من نفسي بصيراً بالحرب وشجاعة، وإن مصعباً في بيت شجاعة، أبوه أشجع قرشي، وأخوه لا تجهل شجاعته، وهو شجاع ومعه من يخالفه ولا علم له بالحرب، وهو يحب الدعة والصفح، ومعنى من ينصح لي ويوافقني على ما أريد، فسار بنفسه فلما تقارب الجيشان بعث عبد الملك إلى أمراء مصعب يدعوم إلى نفسه ويعدم الولايات، فجاء إبراهيم بن الأشتر إلى مصعب فألقى إليه كتاباً مختوماً وقال : هذا جاءني من عبد الملك، ففتحه فاذا هو يدعوه إلى الاتيان إليه وله نيابة العراق، وقال لمصعب : أيها الأمير ! إنه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا، فان أظعتني ضربت أعناقهم . فقال له مصعب : إني لو فعلت ذلك لم ينصحننا عشائهم بعدهم، فقال : فابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه، فان كانت لك النصره ضربت أعناقهم، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك . فقال له : يا أبا النعمان، إني لفي شغل عن هذا، ثم قال مصعب : رحم الله أبا بجر - يعني الأحنف - أن كان ليحذرنى غدر أهل العراق، وكأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه الآن . ثم تواجه الجيشان بدير الجائلق من مسكن، فحمل إبراهيم بن الأشتر - وهو أمير المقدمة العراقية لجيش مصعب - على محمد بن مروان - وهو أمير مقدمة الشام - فأزالهم عن موضعهم، فأردفه عبد الملك بعبد الله بن يزيد بن معاوية، فحملوا على ابن الأشتر ومن معه فطحنوه، وقتل ابن الأشتر رحمه الله وعفا عنه، وقتل معه جماعة من الأمراء، وكان عتاب بن ورقاء على خيل مصعب فهرب أيضاً ولجأ إلى عبد الملك بن مروان، وجعل مصعب بن الزبير وهو واقف في القلب ينهض أصحاب الرايات ويحث الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام القوم، فلا يتحرك أحد، فجعل يقول : يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم، وتفانم الأمر واشتد القتال، وتخاذلت الرجال، وضاق الحال، وكثر النزال . قال المدائني : أرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال : إن مني لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً . قالوا : فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال : يا ابن أخي لا تقتل نفسك، لك الأمان، فقال له مصعب : قد أمنك عمك فامض إليه، فقال : لا يتحدث نساء قریش أني أسلمتك لقتل، فقال له : يا بني فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فاني مقتول ههنا، فقال : والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً، ولا أخبر نساء قریش بمصرعك، ولا أقتل إلا معك ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فانهم على الجماعة، فقال : والله لا يتحدث قریش

بأني فررت من القتال ، فقال لابنه : تقدم بين يدي حتى احتسبك ، فتقدم ابنه مقاتل حتى قتل ، وأثنى مصعب بالرمي فنظر إليه زائدة بن قدامة وهو كذلك فحمل عليه فطعنه وهو يقول : يا أبا رات المختار ، ونزل إليه رجل يقال له عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي فقتله وحز رأسه وأتى به عبد الملك بن مروان ، فسجد عبد الملك وأطلق له ألف دينار فأبى أن يقبلها وقال : لم أقتله على طاعتك ولكن بثأر كان لي عنده ، وكان قد ولي له عملاً قبل ذلك فعزله عنه وأهانته .

قالوا : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال عبد الملك : لقد كان بيني وبين مصعب صحبة قديمة ، وكان من أحب الناس إلي ، ولكن هذا الملك عقيم ، وقال : لما تفرق عن مصعب جموعه قال له ابنه عيسى : لو اعتصمت ببعض القلاع وكأنت من بعد عنك مثل المهلب بن أبي صفرة وغيره فقدموا عليك ، فاذا اجتمع لك ما تريد منهم لقيت القوم ، فانك قد ضعفت جداً . فلم يرد عليه جواباً ، ثم ذكر ما جرى للحسين بن علي وكيف قتل كريماً ولم يلق بيده ، ولم يجد من أهل العراق وطاء ، وكذلك أبوه وأخوه ، ونحن ما وجدنا لهم وطاء ، ثم انهزم أصحابه وبقي في قليل من خواصه ، ومال الجميع إلى عبد الملك ، وقد كان عبد الملك يحب مصعباً حباً شديداً ، وكان خليلاً له قبل الخلافة ، فقال لأخيه محمد : اذهب إليه فأمنه ، فجاءه فقال له : يا مصعب قد أمنك ابن عمك على نفسك ووليك ومالك وأهلك ، فاذهب حيث شئت من البلاد ، ولو أراد بك غير ذلك لكان ، فقال مصعب : قضى الأمر ، إن مني لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً ، فتقدم ابنه عيسى مقاتل ، فقال محمد بن مروان : يا ابن أخي لا تقتل نفسك . ثم ذكر من قوله ما تقدم ، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله ، ثم ذكر من قتل منهم بعده كما تقدم ، قال : ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بكى وقال : والله ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حبي له حتى دخل السيف بيننا ، ولكن الملك عقيم . ولقد كانت المحبة والحرمة بيننا قديمة ، متى تله الداء مثل مصعب ؟ ثم أمر بمواراته ودفنه هو وابنه وإبراهيم بن الأشتر في قبور بمسكن بالقرب من الكوفة . قال المدائني : وكان مقتل مصعب بن الزبير يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الأولى أو الآخرة من سنة إحدى وسبعين في قول الجمهور وقال المدائني : سنة ثنتين وسبعين والله أعلم .

قالوا : ولما قتل عبد الملك مصعباً ارتحل إلى الكوفة فترز النخيلة فوفدت عليه الوفود من رؤساء القبائل وسادات العرب ، وجعل يخاطبهم بفصاحة وبلاغة واستشهاد بأشعار حسنة ، وبأيامه أهل العراق وفرق العملات في الناس ، وولى الكوفة قطن بن عبد الله الحرى أربمين يوماً ، ثم عزله وولى أخاه بشر بن مروان عليها . وخطب عبد الملك يوماً بالكوفة فقال في خطبته : إن عبد الله بن الزبير لو كان خلفية كما يزعم لخرج قاسم بنفسه ولم يفرز ذنبه في الحرم ، ثم قال لهم : إني قد استخلفت عليكم

أخى بشر بن مروان وأمرته بالاحسان إلى أهل الطاعة ، وبالشدة على أهل المعصية ، فاسمعوا له وأطيعوا .  
 وأما أهل البصرة فانهم لما بلغهم مقتل مصعب تنازع في إمارتها أبان بن عثمان بن عفان ،  
 وعبيد الله بن أبي بكر ، فغلبه أبان عليها ، فبايعه أهلها فكان أشرف الرجلين ، قال أعرابي : والله  
 لقد رأيت رداء أبان مال عن عاتقه يوماً فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه على منكبيه ،  
 وقال غيره : مدّ أبان يوماً رجله فابتدرها معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها ، قال : فبعث  
 عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد واليا عليها - يعني على البصرة - فأخذها من أبان  
 واستناب فيها عبيد الله بن أبي بكر ، وعزل أبانا عنها . قالوا : وقد أمر عبد الملك بطعام كثير  
 فعمل لأهل الكوفة فأكلوا من سمائه ومعه يومئذ على السير عمرو بن حريث ، فقال له عبد الملك :  
 ما أذ عيشنا لو أن شيئاً يدوم ؟ ولكن كما قال الأول

وكل جديد يا أميم إلى البلى \* وكل امرئ يوماً يصير إلى كان

فلما فرغ الناس من الأكل نهض فدار في القصر وجعل يسأل عمرو بن حريث عن أحوال القصر  
 ومن بني أما كنه وبيوته ثم عاد إلى مجلسه فاستلقى وهو يقول :

اعمل على مهل فانك ميت \* واكسح لنفسك أيها الانسان  
 فكان ما قد كان لم يك إذ مضى \* وكان ما هو كائن قد كان

قال ابن جرير : وفيها رجع عبد الملك كما زعم الواقدي إلى الشام ، وفيها عزل ابن الزبير جابر  
 ابن الأسود عن المدينة وولى عليها طلحة بن عبد الله بن عوف ، وكان هو آخر أمراءه عليها ،  
 حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان من جهة عبد الملك . وفيها حج بالناس عبد الله بن  
 الزبير ولم يبق له ولاية على العراق . قال الواقدي : وفيها عقد عبد العزيز بن مروان نائب مصر  
 لحسان العائى على غزو إفريقية فسار إليها في عدد كثير ، فافتتح قرطاجنة وكان أهلها روما عباد  
 أصنام . وفيها قتل نجدة الحرورى الذى تغلب على اليمامة ، وفيها خرج عبد الله بن ثور فى اليمامة .

وهذه ترجمة مصعب بن الزبير

وهو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو  
 عبد الله القرشى ، ويقال له أبو عيسى أيضاً الأسدى ، وأمه كرمان بنت أنيف الكلبية ، كان من  
 أحسن الناس وجهاً ، وأشجعهم قلباً . وأسماخ كفاً ، وقد حكى عن عمر بن الخطاب ، وروى عن أبيه  
 الزبير وسعد وأبي سعيد الخدرى ، وروى عنه الحكم بن عيينة وعمرو بن دينار الجمحى ، وإسماعيل  
 ابن أبي خالد ، ووفد على معاوية ، وكان ممن يجالس أبا هريرة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، حكى  
 الزبير بن بكار أن جميلاً نظر إليه وهو واقف بعرفة فقال : إن ههنا فتى أكره أن تراه بثينة ، وقال

الشعبي : ما رأيت أميراً على منبر قط أحسن منه ، وكذا قال إسماعيل بن خالد . وقال الحسن هو أجمل أهل البصرة ، وقال الخطيب البغدادي : ولي إمرة العراقيين لأخيه عبدالله حتى قتله عبد الملك بمسكن بموضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجائلين ، وقبره إلى الآن معروف هناك . وقد ذكرنا صفة مقتله المختار بن أبي عبيد ، وأنه قتل في غداة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف ، قال الواقدي : لما قتل مصعب المختار طلب أهل القصر من أصحاب المختار من مصعب الأمان فأنهم ، ثم بعث إليهم عباد بن الحصين فجعل يخرجهم ملتفين ، فقال له رجل : الحمد لله الذي نصركم علينا وابتلانا بالأسر ، يا ابن الزبير من عفا عفا الله عنه ، ومن عاقب لا يأمن القصاص ، نحن أهل قبيلتكم وعلى ملتكم وقد قدرت فاسمح واعف عنا ، قال : فرق لهم مصعب وأراد أن يخلى سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وغيره من كل قبيلة فقالوا : قد قتلوا أولادنا وعشارنا وجرحوا منا خلقاً ، اخترنا أو اخترهم ، فأمر حينئذ بقتلهم ، فنادوا بأجمعهم : لا تقتلنا واجعلنا مقدمتك في قتال عبد الملك بن مروان ، فان ظفرتنا فلكم ، وإن قتلنا لا تقتل حتى تقتل منهم طائفة ، وكان الذي تريد ، فأبى ذلك مصعب ، فقال له مسافر : اتق الله يا مصعب ، فان الله عز وجل أمرك أن لا تقتل نفساً مسلمة بغير نفس ، وإن [ من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ] فلم يسمع له بل أمر بضرب رقابهم جميعهم وكانوا سبعة آلاف نفس ، ثم كتب مصعب إلى ابن الأشر أن أجبنى فلك الشام وأعنة الخليل ، فسار ابن الأشر إلى مصعب . وقيل إن مصعباً لما قدم مكة أتى عبد الله بن عمر فقال : أي عم : إني أسألك عن قوم خلعوا الطاعة وقاتلوا حتى غلبوا تحصنوا وسألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا بعد ذلك . فقال : وكم هم ؟ فقال : خمسة آلاف ، فسبح ابن عمر واسترجع وقال : لو أن رجلاً أتى ماشية الزبير فذبح منها خمسة آلاف ماشية في غداة واحدة أأنت تعد مسرفاً ؟ قال : نعم : قال : أفترأه إسرافاً في البهائم ولا ترأه إسرافاً في من ترجو توبته ؟ يا ابن أخي أصب من الماء البارد ما استطعت في دنياك . ثم إن مصعباً بعث برأس المختار إلى أخيه بمكة وتمكن مصعب في العراق تمكناً زائداً ، فقرر بها الولايات والعمال ، وحظي عنده ابن الأشر فجعله على الوفاة ، ثم رحل مصعب إلى أخيه بمكة فأعلمه بما فعل فأقره على ما صنع ، إلا ابن الأشر لم يرض له ما جعله عليه ، وقال له : أترأني أحب الأشر وهو الذي جرحني هذه الجراحة ، ثم استدعى بمن قدم مع مصعب من أهل العراق فقال لهم : والله لو ددت أن لي بكل رجلين منكم رجلاً من أهل الشام . فقال له أبو حازم الأسدي - وكان قاضي الجماعة بالبصرة - إن لنا ولكم مثلاً قد مضى يا أمير المؤمنين وهو ما قال الاعشى :-

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً \* غيري وعلق أخرى غيرها الرجل



قلت كما قيل أيضاً : -

جننا بليلي وهي جنت بغيرنا \* وأخرى بنا مجنونة لا نزيدها

غلقتك يا أمير المؤمنين وعلقت أهل الشام وعلق أهل الشام إلى مروان ، فما عسينا أن نضع ؟ قال الشعبي : ما سمعت جواباً أحسن منه ، وقال غيره : وكان مصعب من أشد الناس محبة للنساء وقد أمضى من ذلك شيئاً كثيراً كما روى أنه اجتمع عند الحجر الأسود جماعة منهم ابن عمر ومصعب بن الزبير ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم وليسأل من الله حاجته ، فسأل ابن عمر المغفرة ، وسأل مصعب أن يزوجه الله مكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة ، وكانتا من أحسن النساء في ذلك الزمان ، وأن يعطيه الله إمرأة العراقين ، فأعطاه الله ذلك ، تزوج بعائشة بنت طلحة ، وكان صداقها عليه مائة ألف دينار ، وكانت باهرة الجمال جداً ، وكان مصعب أيضاً جميلاً جداً ، وكذلك بقية زوجاته ، قال الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : اجتمع في الحجر مصعب وعروة وابن الزبير وابن عمر ، فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمني الخلافة ، وقال عروة : أما أنا فأتمني أن يؤخذ عني العلم : وقال مصعب ، أما أنا فأتمني إمرأة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر : أما أنا فأتمني المغفرة . قال : فنالوا كلهم ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر الله له

وقال عامر الشعبي : بينما أنا جالس إذ دعاني الأمير مصعب بن الزبير فأدخلني دار الإمارة ثم كشف فاذا وراءه عائشة بنت طلحة ، فلم أر منظرًا أبهى ولا أحسن منها ، فقال : أتدري من هذه ؟ قلت : لا فقال : هذه عائشة بنت طلحة ، ثم خرجت فقالت : من هذا الذي أظهرتني عليه ؟ قال : هذا عامر الشعبي ، قالت : فأطلق له شيئاً ، فأطلق لي عشرة آلاف درهم . قال الشعبي : فكان أول مال ملكته ، وحكى الحافظ ابن عساكر أن عائشة بنت طلحة تفضت مرة على مصعب فترضاها بأربعمائة ألف درهم ، فأطلقها هي للمرأة التي أصلحت بينهما ، وقيل إنه أهديت له نخلة من ذهب ثمارها من صنوف الجواهر المشتمة ، فقومت بألفي ألف دينار ، وكانت من متاع الفرس فأعطائها لعائشة بنت طلحة .

وقد كان مصعب من أجود الناس وأكثرهم عطاء ، لا يستكثر ما يعطى ولو كان ماعساه أن يكون فكانت عطاياه للقوى والضعيف ، والوضيع والشريف متقاربة ، وكان أخوه عبد الله يبخل . وروى الخطيب البغدادي في تاريخه أن مصعباً غضب مرة على رجل فأمر بضرب عنقه ، فقال له الرجل : أعز الله الأمير ما أقبح بمثلي أن يقوم يوم القيامة فيتعلق بأطرافك هذه الحسنة ، وبوجهك هذا الذي يستضاء به ، فأقول : يارب سل مصعباً فيم قتلني . فعفا عنه ، فقال الرجل : أعز الله الأمير إن

رأيت ما وهبتني من حياتي في عيش رضى ، فأطلق له مائة ألف ، فقال الرجل إني أشهدك أن نصفها لابن قيس الرقيات حيث يقول فيك : -

إن مصعباً شهاباً من الله \* نجت عن وجه الظلماء  
ملكه ملك رحمة ليس فيه \* جبروت منه ولا كبرياء  
يتقى الله في الأمور وقد \* أفلح من كان همه الاتقاء

وفي رواية أنه قال له : أيها الأمير قد وهبتني حياة ، فان استطعت أن تجعل ما قد وهبتني من الحياة في عيش رضى وسعة فافعل ، فأمر له بمائة ألف .

وقال الامام أحمد : حدثنا حماد بن سلمة ثنا علي بن يزيد قال : بلغ مصعبا عن عريف الأنصاري شيء فهم به ، فدخل عليه أنس بن مالك فقال له : سمعت رسول الله .س. يقول : « استوصوا بالأَنْصَارِ خيراً - أو قال معروفاً - اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » . فألقى مصعب نفسه عن سريره وألصق خده بالبساط وقال : « أمر رسول الله .س. على الرأس والعين » فتركه . ومن كلام مصعب في التواضع أنه قال : العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين . وقال محمد بن يزيد المبرد : سئل القاسم بن محمد عن مصعب فقال : كان نبيلاً رئيساً تقياً أنيساً . وقد تقدم أنه لما ظهر على المختار قتل من أصحابه في غداة واحدة خمسة آلاف ، وقيل سبعة آلاف ، فلما كان بعد ذلك لقي ابن عمر فسلم عليه فلم يعرفه ابن عمر ، لأنه كان قد انصرف في عينيه ، فتعرف له فعرفه ، قال : أنت الذي قتلت في غداة واحدة خمسة آلاف ممن يوحد الله ؟ فاعتذر إليه بأنهم بايعوا المختار ، فقال : أما كان فيهم من هو مستكره أو جاهل فينظر حتى ينوب ؟ أرايت لو أن رجلاً جاء إلى غم الزبير فنحر منها خمسة آلاف في غداة واحدة ، أما كان مسرفاً ؟ قال : بلى قال : وهي لا تعبد الله ولا تعرفه كما يعرفه الآدمي ، فكيف بمن هو موحد ؟ ثم قال له : يا بني تمتع من الماء البارد ما استطعت ، وفي رواية أنه قال له : عش ما استطعت .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الحسن عن زفر بن قتيبة عن الكلبي قال قال عبد الملك ابن مروان يوماً لجلسائه : من أشجع العرب والروم ؟ قالوا شبيب ، وقال آخر : قطري بن الفجاءة وفلان وفلان . فقال عبد الملك : إن أشجع الناس لرجل جمع بين سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمه الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كرز ، وابنه ريان بن أنيف الكلبي ، سيد ضاحية العرب وولي العراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف ، مع ما لنفسه من الأموال وملك غير ذلك من الأثاث والدواب والأموال مالا يحصى ، وأعطى مع هذا الأمان وأن يعلم هذا له جميعه مع الحياة فزهده في هذا كله وأبى واختار القتل على مقام ذل ، ومفارقة هذا كله ومشو

بسيفه قاتل حتى مات ، وذلك بعد خذلان أصحابه له ، فذلك مصعب بن الزبير رحمه الله ، وليس هو كمن قطع الجسور مرة ههنا ومرة ههنا ، فهذا هو الرجل وهذا هو الزهد . قالوا : وكان مقتله يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين .

وقال الزبير بن بكار : حدثني فليح بن إسماعيل وجعفر بن أبي بشير عن أبيه . قال : لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال : -

لقد أردى الفوارس يوم عبس \* غلام غير مناع المتاع  
ولا فرح بخير إن آناه \* ولا هلع من الحدنان لراع  
ولا رقابة والخيل تعدو \* ولا خال كانبوب البراع

فقال الرجل الذي جاء برأسه : والله يا أمير المؤمنين لو رأيتك لورأيتك والرمح في يده تارة والسيف تارة يفرى بهذا ويطن بهذا ، رأيت رجلاً يملأ القلب والعين شجاعة ، لكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقي وحده ما زال ينشد : -

وإني على المكروه عند حضوره \* أكنب نفسي والجفون فلم تنض  
وما ذاك من ذل ولكن حفيظة \* أذب بها عند المكارم عن عرضي  
وإني لأهل الشر بالشر مرصد \* وإني لذي سلم أذل من الأرض

فقال عبد الملك : كان والله كما وصف به نفسه وصدق ، ولقد كان من أحب الناس إلي ، وأشدهم لي ألفة ومودة ، ولكن الملك عقيم . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان قتل مصعباً عند دير الجائلق على شاطئ نهر يقال له دجيل ، من أرض مسكن ، واحتز رأسه فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكراً لله ، وكان ابن ظبيان فاتكاً رديئاً وكان يقول : ليتني قتلت عبد الملك حين سجد يومئذ فأكون قد قتلت ملكي العرب ، قال يعقوب : وكان ذلك سنة ثنتين وسبعين فإله أعلم . وحكى الزبير بن بكار في عمره يوم قتل ثلاثة أقوال ، أحدها خمس وثلاثون سنة والثاني أربعون سنة ، والثالث خمس وأربعون سنة فإله أعلم .

وروى الخطيب البغدادي أن امرأته سكيئة بنت الحسين كانت معه في هذه الواقعة فلما قتل طلبته في القتلى حتى عرفته بشامة في خده فقالت : نعم بعل المرأة المسلمة ، كنت أدركك والله ما قال عنتر

وخليل غانية تركت مجندلاً \* بالقاع لم يعهد ولم يتعلم  
فهنكت بالرمح الطويل إهابه \* ليس الكريم على القنا بمحرم

قال الزبير : وقال عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير رحمه الله تعالى :

لقد أورثَ المصريينَ حزناً وذلّةً • قتلَ بديرَ الجائليقَ مقيمٍ  
 فما نصحتَ اللهُ بكرُ بنِ وائلٍ • ولا صدقتَ يومَ اللقاءِ نعيمٍ  
 ولو كانَ بكربيا يعطفُ حولهُ • كتابَ يبقَى حرماً ويدومُ  
 ولكنه ضاعَ الذمامُ ولم يكنِ • بها مضرى يومَ ذاكِ كريمٍ  
 جرى اللهُ كوفياً هناكَ ملامةً • وبصرهم إنَّ المومَ ملومُ  
 وإن بنى العلاتِ أخلوا ظهورنا • ونحنُ صريحٌ بينهم وصميمُ  
 فان نفنُ لا يبقَى أولئكَ بعدنا • لذي حرمةٍ في المسلمينَ حريمُ

وقد قال أبو حاتم الرازي : ثنا يحيى بن مصعب الكلابي ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد الملك بن عمير قال : دخلت القصر بالكوفة فاذا رأس الحسين بن علي على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بمحين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي المختار ، والمختار على السرير ، ثم دخلت القصر بعد ذلك بمحين فرأيت رأس المختار على ترس بين يدي مصعب بن الزبير ، ومصعب على السرير ، ثم دخلت القصر بعد حين فرأيت رأس مصعب ابن الزبير على ترس بين عبد الملك ، وعبد الملك على السرير . وقد حكى ذلك الامام أحمد وغير واحد عن عبد الملك بن عمير . وقال عبد الله بن قيس الرقيات برثي مصعباً أيضاً

نعتِ السحائبُ والغمامُ بأسرها • جسداً بمسكنِ عارى الأوصالِ  
 تسمى عوائدهُ السباعُ ودارهُ • بمنازلِ أطلالهنِ بوالى  
 رحلَ الرفاقُ وغادروهُ ثاويًا • للريحِ بين صبا وبين شمالي

### قصيدة

وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذي قتل معه وسكينة وأمهم فاطمة بنت عبد الله بن السائب ، وعبد الله ومحمد ، وأمهما عائشة بنت طلحة ، وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر والمنزل لأمهات شتى ، والرباب وأمها سكينة بنت الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم

قال ابن جرير . وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى حدثني مصعب بن عثمان قال : لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب قام في الناس خطيباً فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء وينزل من يشاء ، يده

الخير وهو على كل شيء قدير، ألا وإنه لم ينزل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً وحده، ولن يفلح من كان وليه الشيطان وحزبه ولو كان معه الا نام طراً، ألا وإنه أانا من العراق خبر أحننا وأفرحنا، أانا قتل مصعب فأحننا فأما الذي أفرحنا فعلنا أن قتله له شهادة، وأما الذي أحننا فان الحميم لفراقه لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم برعوى من بعدها، وذو الرأي جميل الصبر كريم العزاء، ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله، وعون من أعوانى، ألا وإن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن، فان يقتل فانا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبى العاص، والله ما قتل منهم رجل فى زحف فى الجاهلية ولا فى الاسلام، وما نموت إلا بأطراف الرماح أو تحت ظل السيوف، فان بنى أبى العاص يجمعون الناس بالرغبات والرهبات، ثم يقاتلون بهم أعداءهم ممن هو خير منهم وأكرم ولا يقاتلون تابعيهم زحفاً، ألا وإن الدنيا عارية من الملك الأعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه، فان تقبل الدنيا لا آخذها أخذ الاشر البطر، وإن تدبر لا أبكى عليها بكاء الحزين الأسف المهين، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

### ومن توفى فيها من الأعيان ابراهيم بن الاشر

كان أبوه ممن قام على عثمان وقتله، وكان إبراهيم هذا من المعروفين بالشجاعة وله شرف، وهو الذى قتل عبيد الله بن زياد كما ذكرنا

عبد الرحمن بن غسيلة أبو عبد الله المرادى الصنابجى، كان من الصلحاء، وكان عبد الملك يجلسه معه على السرير، وكان عالماً فاضلاً، توفى بدمشق.

عمر بن سلمة الخزومى المدنى ربيب النبي (ص)، ولد بأرض الحبشة

### سفينة مولى رسول الله (ص)

أبو عبد الرحمن كان عبداً لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله (ص)، فقال: أنا لا أزال أخدم رسول الله (ص)، لو لم تعتقني ما عشت، وقد كان سفينة بآل رسول الله (ص)، أليفاً، وبهم خليطاً، وروى الطبرانى أن سفينة سئل عن اسمه لم سمى سفينة؟ قال: سماني رسول الله (ص)، سفينة، خرج مرة ومعه أصحابه فقتل عليهم متاعهم، فقال لى رسول الله (ص): «ابسط كساءك فبسطته فجعل فيه متاعهم، ثم قال لى: احمل ما أنت إلا سفينة، قال فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما نقل على». وروى محمد بن المنكدر عن سفينة قال: ركبت مرة سفينة فى البحر فانكسرت بنا فركبت لوحاً منها فطرخنى البحر إلى غيضة فيها الأسد فجاءنى فقلت: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله (ص)، فطأطأ رأسه وجعل يدفعنى بجانبه أو بكفه حتى وضعنى

على الطريق ، ثم همهم هممة فظننت أنه يودعني . وقال حماد بن سلمة : ثنا سعيد بن جهمان عن سفينة أن رسول الله (س) ، « دخل بيت فاطمة فرأى في ناحية البيت قرماً مضروباً فرجع ولم يدخل ، فقالت فاطمة لعلي : سل رسول الله (س) ، ما الذي رده ؟ فسأله فقال : ليس لي ولا لنبى أن يدخل بيتاً مزوقاً » .

عمر بن أخطب أبو زيد الأنصارى الأعرج غزا مع النبي (س) ثلاث عشرة غزوة  
 يزيد بن الأسود الجرشى السكوني كان عبداً زاهداً صالحاً ، سكن الشام بقرية زبدین ،  
 وقيل بقرية جرین ، وكانت له دار داخل باب شرقي ، وهو مختلف في صحبته ، وله روايات عن  
 الصحابة ، وكان أهل الشام يستسقون به إذا قحطوا ، وقد استسقى به معاوية والضحاك بن قيس ،  
 وكان يجلسه معه على المنبر ، قال معاوية : قم يزيد اللهم إنا نتوسل إليك بخيارنا وصلحائنا ، فيستسقى  
 الله فيستقون ، وكان يصلي الصلوات في الجامع بدمشق ، وكان إذا خرج من القرية يريد الصلاة بالجامع  
 في الليلة المظلمة يضيء له إبهام قدمه ، وقيل أصابع رجليه كلها حتى يدخل الجامع ، فإذا رجع أضاءت  
 له حتى يدخل القرية . وذكروا أنه لم يدع شجرة في قرية زبدین إلا صلى عندها ركعتين ، وكان يمشي  
 في ضوء إبهامه في الليلة المظلمة ذاهباً إلى صلاة العشاء بالجامع بدمشق وآتياً إلى قريته ، وكان يشهد  
 الصلوات بالجامع بدمشق لانفوه به صلاة . مات بقرية زبدین أو جرین من غوطة دمشق رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

ففيها كانت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له  
 سولاق م مكثوا نحواً من ثمانية أشهر متواقفين ، وجرت بينهم حروب يطول بسطها ، وقد استقصاها  
 ابن جرير ، وقتل في أثناء ذلك من هذه المدة مصعب بن الزبير ، ثم إن عبد الملك أقر المهلب بن  
 أبي صفرة على الأهواز وما معها ، وشكر سعيه وأثنى عليه ثناء كثيراً ، ثم تواقع الناس في دولة  
 عبد الملك بالأهواز فكسر الناس الخوارج كثرة فظيعة ، وهربوا في البلاد لايلون على أحد ،  
 واتبعهم خالد بن عبد الله أمير الناس ودواد بن محند فطردوهم ، وأرسل عبد الملك إلى أخيه بشر بن  
 مروان أن يمدم بأربعة آلاف ، فبعث إليه أربعة آلاف عليهم عتاب بن ورقاء فطردوا الخوارج  
 كل مطرد ، ولكن لقي الجيش جهداً عظيماً وماتت خيولهم ولم يرجع أكثرهم إلا مشاة إلى أهلهم .  
 قال ابن جرير : وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الحارثي وهو من قيس بن ثعلبة ، وغلب  
 على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحارثي ، فبعث إليه خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية  
 ابن عبد الله في جيش كثيف ، فهزمهم أبو فديك وأخذ جارية لأمية واصطفاها لنفسه ، وكتب  
 خالد أمير البصرة إلى عبد الملك يعلمه بما وقع ، واجتمع على خالد هذا حرب أبي فديك وحرب

الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة بالأهواز .

قال ابن جرير : وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة ، قال : وكان السبب في بعثه له دون غيره ، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعباً وأخذته العراق ، ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك ، فقام الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين أنا له ، وقص الحجاج على عبد الملك مناماً زعم أنه رآه ، قال : رأيت يا أمير المؤمنين كأنني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته ، فابعث بي إليه فاني قاتله ، فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوه ، قالوا : نخرج الحجاج في جمادى من هذه السنة ومعهم ألفا فارس من أهل الشام ، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف ، وجعل يبعث البعوث إلى عرفة ، ويرسل ابن الزبير الخيل فيلتقيان فيهزم خيل ابن الزبير وتظفر خيل الحجاج ، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير ، فانه قد كلت شوكته ، وملت جماعته ، وتفرق عنه عامة أصحابه ، وسأله أن يمد به رجال أيضاً ، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه بالحجاج ، وارتحل الحجاج من الطائف فترل بئر ميمونة ، وحصر ابن الزبير بالمسجد ، فلما دخل ذو الحجة حج بالناس الحجاج في هذه السنة وعليه وعلى أصحابه السلاح وهم وقوف بعرفات ، وكذا فيما بعدها من المشاعر ، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة ، بل نحر بدنا يوم النحر ، وهكذا لم يتمكن كذا . ممن معه من الحج ، وكذا لم يتمكن كثير ممن مع الحجاج وطارق بن عمرو أن يطوفوا بالبيت ، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثاني ، والحجاج وأصحابه نزول بين الحجون وبئر ميمونة فانا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان يدعه إلى بيعته ويقطعه خراسان سبع سنين ، فلما وصل إليه الكتاب قال للرسول : بعثك أبو الذبان ؟ وارتحل إلى أن الرسل لا تقتل لقتلتك ، ولكن كل كتابه فأكله ، وبعث عبد الملك إلى بكير بن وشاح نائب ابن خازم على مرو يعده بأمره خراسان إن هو خلع عبد الله بن خازم ، فخلعه ، فجاء ابن خازم فقاتله فقتل في المعركة عبد الله بن خازم أمير خراسان ، قتله رجل يقال له وكيع بن عميرة ، لكن كان قد ساعده غيره ، فجلس وكيع على صدره وفيه رمق ، فذهب لينوء فلم يتمكن من ذلك ، وجعل وكيع يقول : يا ناراء دويلة - يعني أخاه - وكان دويلة قد قتله ابن خازم ، ثم إن ابن خازم تنخم في وجه وكيع قال وكيع : لم أر أحداً أكثر ريقاً منه في تلك الحال ، وكان أبو هريرة إذا ذكر هذا يقول : هذه والله هي البسالة ، وقال له ابن خازم : ويحك أتقتلني بأخيك ؟ لعنك الله ، أتقتل كبش مصر بأخيك

الملج؟ وكان لا يساوي كفا من تراب - أو قال من نوى - قال : فاحتز رأسه وأقبل بكبير بن وشاح فأراد أخذ الرأس فنعه منه بجير بن ورفاء بعمود وقيده ، ثم أخذ الرأس ثم بعثه إلى عبد الملك بن مروان وكتب إليه بالنصر والظفر ، فسر بذلك سروراً كثيراً ، وكتب إلى بكبير بن وشاح بأقراره على نيابة خراسان . وفي هذه السنة أخذت المدينة من ابن الزبير واستناب فيها عبد الملك طارق ابن عمرو ، الذي كان بعثه مدداً للحجاج .

### وهذه ترجمة عبدالله بن خازم

هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي أبو صالح البصري أمير خراسان أحد الشجعان المذكورين ، والفريسان المشكورين ، قال شيخنا الحافظ أبو الحلج المزي في تهذيبه : ويقال له صحبة ، روى عن النبي (س) ، في العمامة السوداء ، وهو عند أبي داود والترمذي والنسائي لكن لم يسموه ، وروى عنه سعد بن عثمان الرازي وسعيد بن الأزرق . روى أبو بشر الدولابي أنه قتل في سنة إحدى وسبعين ، وقيل : في سنة سبع وثمانين ، وليس هذا القول بشيء . انتهى ما ذكره شيخنا ، وقد ذكره أبو الحسن ابن الأثير في الغابة في أسماء الصحابة ، فقال : عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك بن عوف بن امرئ القيس بن نهية بن سليم بن منصور ، أبو صالح السلمي ، أمير خراسان ، شجاع مشهور ، وبطل مذكور ، وروى عنه سعيد بن الأزرق ، وسعد بن عثمان ، قيل إن له صحبة ، وفتح سرخس ، وكان أميراً على خراسان أيام فتنة ابن الزبير ، وأول ما وليها سنة أربع وستين بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية ، وجرى له فيها حروب كثيرة حتى تم أمره بها ، وقد استقصينا أخباره في كتاب الكامل في التاريخ ، وقتل سنة إحدى وسبعين . وهكذا حكى شيخنا عن الدولابي ، وكذا رأيت في التاريخ لشيخنا الذهبي . والذي ذكره ابن جرير في تاريخه أنه قتل سنة ثنتين وسبعين ، قال : وزعم بعضهم أنه قتل بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك بعث برأس ابن الزبير إلى ابن خازم بخراسان ، وبعث يدعو إلى طاعته وله خراسان عشر سنين ، وأن ابن خازم لما رأى رأس ابن الزبير حلف لا يعطى عبد الملك طاعة أبداً ، ودعا بطست ففعل رأس ابن الزبير وكفنه وطيبه وبعث به إلى أهله بالمدينة ، ويقال بل دفنه عنده بخراسان والله أعلم . وأطعم الكتاب للبريد الذي جاء به وقال : لولا أنك رسول لضربت عنقك ، وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه

### ومن توفي فيها من الأعيان الأحنف بن قيس

أبو معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر البصري ابن أخي صعصعة بن معاوية ، والأحنف لقب له ، وإنما اسمه الضحاك ، وقيل صخر ، أسلم في حياة النبي (س) . ولم يره ، وجاء في حديث أن



رسول الله ﷺ ، دعاه ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً ، عليم اللسان ، وكان يضرب بحلمه المثل وله أخبار في حلمه سارت بها الركبان ، قال عنه عمر بن الخطاب : هو مؤمن عليم اللسان . وقال الحسن البصرى : ما رأيت شريف قوم أفضل منه ، وقال أحمد بن عبد الله العجلي : هو بصرى تابعى ثقة ، وكان سيد قومه ، وكان أعور أحيى الرجلين ذمياً قصيراً كوسجالة بيضة واحدة ، احتبسه عمر بن قومه سنة يختبره ، ثم قال : هذا والله السيد - أو قال السؤدد - وقيل إنه خطب عند عمر فأعجبه منطقته ، قيل ذهبت عينه بالجدرى ، وقيل في فتح سمرقند ، وقال يعقوب بن سفيان : كان الأحنف جواداً حلماً ، وكان رجلاً صالحاً . أدرك الجاهلية ثم أسلم ، وذكروا للنبي ﷺ ، فاستغفر له ، وقال : كان ثقة مأموناً قليل الحديث وكان كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلي ويبكى حتى الصباح ، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول : حس يا أحنف ، ما حملك على كذا ؟ ما حملك على كذا ؟ ويقول لنفسه : إذا لم تصبر على المصباح فكيف تصبر على النار الكبرى ؟ وقيل له : كيف سودك قومك وأنت أردلهم خلقة ؟ قال : لو غاب قومي الماء ما شربته ، كان الأحنف من أمراء على يوم صفين ، وهو الذي صالح أهل بلخ على أربع مائة ألف دينار في كل سنة . وله وقائع مشهودة مشهورة ، وقتل من أهل خراسان خلقاً كثيراً في القتال بينهما ، وانتصر عليهم . وقال الحاكم : وهو الذي افتتح مرو والروذ ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه ، وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد . وقيل إنه مات سنة سبع وستين ، وقيل غير ذلك ، عن سبعين سنة . وقيل عن أكثر من ذلك . ومن كلامه وقد سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال : الذل مع الصبر ، وكان إذا تعجب الناس من حلمه يقول : والله إنى لأجد ما يجدون ، ولكنى صبور . وقال : وجدت الحلم أنصرتلى من الرجال وقد انتهى إليه الحلم والسؤدد ، وقال : احبى معروفك بامانة ذكرد ، وقال عجبت لمن يجرى مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟ وقال : ما أتيت باب أحد من هؤلاء ، إلا أن أدعى ، ولا دخلت بين اثنين إلا أن يدخلاني بينهما ، وقيل له : بم سدت قومك ؟ قال : بتركي من الأمر مالا يعنينى ، كما عنك من من أمرى مالا يعنيك . وأغاظ له رجل في الكلام وقال : والله يا أحنف أنت قلت لي واحدة لتسمعن بدلتها عشراً ، فقال له : إنك إن قلت لي عشراً لا تسمع منى واحدة ، وكان يقول في دعائه : اللهم إن تعذبتني فأنا أهل للثلك ، وإن تغفرتلي فأنت أهل لذلك . وقد كان زياد بن أبيه يقر به ويدنيه ، فلما مات زياد وولى ابنه عبيد الله لم يرفع به رأساً ، فتأخرت عنده منزله ، فلما وفد برؤساء أهل العراق على معاوية أدخلهم عليه على مراتبهم عنده ، فكان الأحنف آخر من أدخله عليه ، فلما رآه معاوية أجله وعظمه ، وأدناه وأكرمه ، وأجلسه معه على الفراش ، ثم أقبل عليه بمحادثته دونهم ،

ثم شرع الحاضرون في الثناء على ابن زياد والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : مالك لا تتكلم ؟ قال : إن تكلمت خالفتهم ، فقال معاوية : أشهدكم أنني قد عزلته عن العراق ، ثم قال لهم . انظروا لكم نائبا ، وأجلهم ثلاثة أيام ، فاختلفوا بينهم اختلافا كثيرا ، ولم يذكر أحد منهم بعد ذلك عبيد الله ، ولا طلبه أحد منهم ، ولم يتكلم الأحنف في ذلك كلمة واحدة مع أحد منهم ، فلما اجتمعوا بعد ثلاث أفاضوا في ذلك الكلام ، وكثر اللفظ ، وارتفعت الأصوات والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : تكلم ، فقال له : إن كنت تريد أن تولى فيها أحداً من أهل بيتك فليس فيهم من هو مثل عبيد الله ، فإنه رجل حازم لا يسد أحد منهم مسده ، وإن كنت تريد غيره فأنت أعلم بقرابتك ، فرده معاوية إلى الولاية ، ثم قال له بينه وبينه : كيف جهلت مثل الأحنف ؟ إنه هو الذي عزلك وولاك وهو ساكت ، فعظمت منزلة الأحنف بعد ذلك عند ابن زياد جداً .

توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير ، ومشي في جنازته ، وقد تقدمت له حكاية ، ذكر الواقدي أنه قدم على معاوية فوجده غضبان على ابنه يزيد ، وأنه أصلح بينهما بكلام ، قال فبعث معاوية إلى يزيد بمال جزيل وقماش كثير ، فأعطى يزيد نصفه للأحنف والله سبحانه أعلم .

البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي الأوسي . صحابي جليل ، وأبوه أيضاً صحابي ، روى عن رسول الله (ص) . أحاديث كثيرة ، وحدث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وعنه جماعة من التابعين وبعض الصحابة . وقيل إنه مات بالكوفة أيام ولاية مصعب بن الزبير على العراق عبيدة السلماني القاضي وهو عبيدة بن عمرو ويقال ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي . وسلمان بطن من مراد ، أسلم عبيدة في حياة النبي (ص) . وروى عن ابن مسعود وعلي وابن الزبير . وحدث عنه جماعة من التابعين ، وقال الشعبي : كان يوازي شريحاً في القضاء ، قال ابن نمير : كان شريح إذا أشكل عليه أمر كتب إلى عبيدة فيه ، وانتهى إلى قوله ، وقد أثنى عليه غير واحد ، وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين فإله أعلم . وقد قيل إن مصعب بن الزبير قتل فيها فإله أعلم . ومن توفي فيها أيضاً عبد الله بن السائب بن صيفي الخزومي ، له صحبة ورواية ، وقرأ على أبي بن كعب ، وقرأ عليه مجاهد وغيره عطية بن بشر المازني له صحبة ورواية عبيدة بن نضيلة أبو معاوية الخزاعي الكوفي مقرئ أهل الكوفة ، مشهور بالخير والصلاح ، توفي بالكوفة في هذه السنة عبد الله بن قيس الرقيات القرشي العامري أحد الشعراء ، مدح مصعباً وابن جعفر عبد الله بن حمام أبو عبد الرحمن الشاعر السلوي هجاء بني أمية بقوله : -

شربنا الغيض حتى لو سقيننا \* دماء بني أمية ما رويننا

ولو جاؤا برملة أو بهندي \* لبايعنا أمير المؤمنين  
 وكان عبدة السلمي أعوراً، وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتنون الناس. توفي بالكوفة  
 ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي المبير قبحة الله  
 وأخزاه، قال الواقدي: حدثني مصعب بن نائب عن نافع مولى بني أسد - وكان عالماً بفتنة ابن الزبير -  
 قال: حصر ابن الزبير ليلة هلال الحجة سنة ثنتين وسبعين وقتل لسبع عشر ليلة خلت من جمادى  
 الأولى سنة ثلاث وسبعين، فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة. وقد ذكرنا فيما  
 تقدم أن الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة، وكان في الحج ابن عمر، وقد كتب عبد الملك  
 إلى الحجاج أن يأتهم بابن عمر في المناسك كم ثبت ذلك في الصحيحين، فلما استهلت هذه السنة  
 استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى  
 يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك. وكان مع الحجاج الحبشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقاً  
 كثيراً، وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عنهم الميرة والماء، فكانوا  
 يشربون من ماء زمزم، وجعلت الحجارة تقع في الكعبة، والحجاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام  
 الله في الطاعة، فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال إنهم أخذوه في هذه الشدة، فيشد عليهم  
 ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شيبه، ثم يكرون عليه فيشد عليهم، فعل ذلك  
 مراراً، وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول: هذا وأنا ابن الحواري. وقيل لابن الزبير ألا تكلمهم  
 في الصلح! فقال: والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً والله لا أسألكم صلحاً أبداً.  
 وذكري واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تملأ أصواتها  
 على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثني عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم  
 عن المحاصرة، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول: إني خبير بهذه البلاد، هذه بروق تهامة ورعودها  
 وصواعقها، وإن القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم، وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب  
 ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً، فجعل الحجاج يقول: ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على  
 الطاعة وهم على المخالفة، وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون: مثل الفتيق المزبد \*  
 نرمي بها أعواد هذا المسجد \* فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقف أهل الشام عن  
 الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال: ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا  
 فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم؟ فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته، فعادوا إلى المحاصرة.

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتركون ابن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف، فأمهم وقل أصحاب ابن الزبير جداً، حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله ابن الزبير، فأخذوا أنفسهم أماناً من الحجاج فأمهما، ودخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له، وخر وجههم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله، وأنه لم يبق معه إلا اليسير، ولم يبق لهم صبر ساعة، والقوم يعطونني ماشئت من الدنيا، فما رأيك؟ قالت: يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن. فدنا منها فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، ثم قال: والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماه فاني مقتول في يومى هذا فلا يشتد حزنك، وسلمى لأمر الله، فان ابنك لم يتعمد إتيان منكراً، ولا عمل بفاحشة قط، ولم يجر في حكم الله، ولم يفدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته، ولم يكن عندي آثر من رضى ربي عز وجل، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسى، اللهم أنت أعلم بي منى ومن غيرى، ولكني أقول ذلك تمزية لأمي لتسلو عني، فقالت أمه: إني لا أرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسناً، إن تقدمتني أو تقدمتني، ففي نفسى اخرج يابنى حتى أنظر ما يصير إليه أمرك، فقال جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعى الدعاء قبل وبعد. فقالت: لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام وذلك النحيب والظلم في هواجر المدينة ومكة، وبره بأبيه وبى، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين. ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها - وكانت قد أضرت في آخر عمرها - فوجدته لابسا درعا من حديد فقالت: يا بني ما هذا لباس من يريد ما يريد من الشهادة!! فقال: يا أماه إنما لبسته لأطيب خاطر وأسكن قلبك به، فقالت: لا يابنى ولكن ائزعه فترعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهي تقول: شمر ثيابك، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل، وجعلت تذكره بأبيه الزبير، وجده أبى بكر الصديق، وجدته صفية بنت عبد المطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله (ص)، وترجيه القدوم عليهما إذا هو قتل شهيدا، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهد بهارضى الله عنهما وعن أبيه وأبيها.

قالوا: وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمائة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون

عنه يمينا وشمالا ، ولا يثبت له أحد وهو يقول : -

إني إذا أعرف يومى أصبر \* إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

وكانت أبواب الحرم قد قل من بحرسها من أصحاب ابن الزبير ، وكان لأهل حصص حصار الباب الذى يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بنى شيبه ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بنى جحج ، ولأهل قنسرين باب بنى سهم ، وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد ، وكان الحجاج وطارق بن عمرو فى ناحية الأبطح ، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرقههم ويبدد شملهم ، وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصيح لو كان قرنى واحداً كفيته ، فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضاً : إى والله وألف رجل ، ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا يترزعج بذلك ، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضارى ، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته ، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلى طول ليلته ثم جلس فاحتبى بحميلة سيفه فأغفى ثم انتبه مع الفجر على عادته ، ثم قال : أذن ياسعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابن الزبير ثم صلى ركعتى الفجر ، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر ، ثم قرأ سورة ن حرفاً حرفاً ، ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم ، فكشفوا وجوههم وعليهم المعافر ، فخرضهم وحثهم على القتال والصبر ، ثم نهض ثم حمل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته فى وجهه فارتعش لها ، فلما وحده سحونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم : -

ولسنا على الأعتاب تدمى كلومنا \* ولكن على أقدامنا تنطأ الدما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه رضى الله عنه ، وجاءوا إلى الحجاج فأخبروه خبر ساجدا قبحه الله ، ثم قام هو وطارق بن عمرو حتى وقفما عليه وهو صريع ، فقال طارق : ما ولدت النساء أذكر من هذا ، فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! هو أعبد لأننا محاصروه وليس هو فى حصن ولا خندق ولا منعة ينتصف منا ، بل يفضل علينا فى كل موقف ، فلما بلغ ذلك عبد الملك ضرب طارقاً . وروى ابن عساکر فى ترجمة الحجاج أنه لما قتل ابن الزبير ارتجت مكة بكاء على عبد الله بن الزبير رحمه الله ، فخطب الحجاج الناس فقال : أيها الناس ! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب فى الخلافة ونازعها أهلها وألحد فى الحرم فأذاق من عذابه الأليم ، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير ، وكان فى الجنة ، وهى أشرف من مكة ، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التى نهى عنها أخرجه الله من الجنة ، قوموا إلى صلاتكم

بلا لالا

برحمة الله ، وقيل إنه قال : يا أهل مكة ! كباركم واستمظامكم قتل ابن الزبير ، فان ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها ، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله ، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته . وعلمه أسماء كل شيء ، فلما عصاه أخرجته من الجنة وأهبطه إلى الأرض : وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، وان ابن الزبير غير كتاب الله . فقال له عبد الله بن عمر : لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت ، والله ! إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله ، بل كان قواماً به صواماً ، عاملاً بالحق . ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع ، وبعث برأس ابن الزبير مع رأس عبد الله بن صفوان وعمارة بن حزم إلى عبد الملك ، ثم أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها ، ثم يسيروا بها إلى الشام ، ففعلوا ما أمرهم به ، وأرسل بالرموس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار ، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصي أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير ، عليهم من الله ما يستحقون . ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كذا عند الحجون ، يقال منكسة ، فما زالت مصلوبة . حتى مر به عبد الله بن عمر فقال : رحمة الله عليك يا أبا خبيب ، أما والله لقد كنت صواماً قواماً ، ثم قال : أما أن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فبعث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك . ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان ، ولم يزل الحجاج مقبلاً بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا أيضاً وهو على مكة واليمامة واليمن .

وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، أبو بكر ويقال له أبو خبيب القرشي الأسدي ، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ذات النطاقين ، هاجرت وهي حامل به ثم فولدته بقبا أول مقدمهم المدينة وقيل إنما ولدته في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، قاله الواقدي ومصعب الزبيري وغيرهما ، والأول أصح لما رواه أحمد عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بمكة قالت : فخرجت به وأنا تم فأتيت المدينة فنزلت بقبا فولدته ، ثم أتيت به رسول الله . فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضعها ثم تفل في فيه ، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله . قالت : ثم حنكه ثم دعا له وتبرك عليه ، فكان أول مولود ولد في الإسلام . وهو صحابي جليل ، روى عن النبي . أحاديث ، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم . وعنه جماعة من التابعين ، وشهيد الجمل ، مع أبيه وهو صغير ، وحضر خطبة عمر بالجابية ، ورواها عنه بطولها ثبت ذلك من غير وجه . وقدم

للاطلاع

دمشق لغزو القسطنطينية ، ثم قدمها مرة أخرى وبويع بالخلافة أيلم يزيد بن معاوية لما مات معاوية ابن يزيد ، فكان على الحجاز واليمن والعراقين ومصر وخراسان وسائر بلاد الشام إلا دمشق ، وتمت البيعة له سنة أربع وستين وكان الناس بخير في زمانه . وثبت من غير وجه عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها خرجت بعبد الله من مكة مهاجرة وهي حبلى به فولدته بقبا أول مقدمهم المدينة ، فأتت به رسول الله (ص) ، فحنكه وسماه عبد الله ودعاه ، وفرح المسلمون به لأنه كانت اليهود قد زعموا أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة ، فلما ولد ابن الزبير كبر المسلمون ، وقد سمع عبد الله بن عمر جيش الشام حين كبروا عند قتله ، فقال : أما والله للذين كبروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبروا عند قتله . وأذن الصديق في أذنه حين ولد رضى الله عنهما ، ومن قال إن الصديق طاف به حول الكعبة وهو في خرقة فهو واهم والله أعلم . وإنما طاف الصديق به في المدينة ليشهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود . وقال مصعب الزبيري : كان عارضا عبد الله خفيفين ، وما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة ، وقال الزبير بن بكار : حدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه أن رسول الله (ص) كلم في غلظة ترعرعوا منهم عبد الله ابن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، وعمر بن أبي سلمة ، فقيل يارسول الله لو بايعتهم فتصديهم بركتك ويكون لهم ذكر ، فأتى بهم إليه فكأنهم تكلموا واقترح عبد الله بن الزبير ، فتبسم رسول الله (ص) وقال : « إنه ابن أبيه وبايعه » . وقد روى من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي (ص) ، « كان النبي (ص) قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فتر به فقال له لا تمسك النار إلا تحلة القسم ، وويل لك من الناس وويل للناس منك » . وفي رواية أنه قال له : « يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد ، فلما بعد عمد إلى ذلك الدم فشر به ، فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : إني شربته لأزداد به علما وإيمانا ، وليكون شئ من جسد رسول الله (ص) في جسدي ، وجسدي أولى به من الأرض ، فقال : ابشر لا تمسك النار أبداً . وويل لك من الناس وويل للناس منك » .

وقال محمد بن سعد : أنبأ مسلم بن إبراهيم ثنا الحارث بن عبيد ثنا أبو عمران الجوني أن نوحا كان يقول : إني لأجد في كتاب الله المنزل أن ابن الزبير فارس الخلفاء . وقال حماد بن زيد عن ثابت البناني قال : كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك . وقال الأعمش عن يحيى بن وثاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جندم حائط . وقال غيره : كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح ، ويركع إليه حتى

يُصْبِحُ ، وَيَسْجُدُ لَيْلَهُ حَتَّى يُصْبِحَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَكَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا فَقَرَأَتِ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ وَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ : كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي كَأَنَّهُ كَعْبٌ رَاسِبٌ ، وَفِي رِوَايَةٍ ثَابِتٌ . وَقَالَ أَحْمَدُ : تَعَلَّمَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصَّلَاةَ مِنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَابْنِ جُرَيْجٍ مِنْ عَطَاءٍ ، وَعَطَاءٌ مِنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الصَّدِيقِ ، وَالصَّدِيقُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ الْحَمِيدِيُّ عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيِّنَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ : لَوْ رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي كَأَنَّهُ غَصْنُ شَجَرَةٍ يَصْفَقُهَا الرِّيحُ ، وَالْمَنْجَنِيْقُ يَقَعُ هَاهُنَا وَهَاهُنَا . قَالَ سَفْيَانَ : كَأَنَّهُ لَا يَبَالِي بِهِ وَلَا يَعِدُهُ شَيْئًا . وَحَكَى بَعْضُهُمْ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ حَجْرًا مِنَ الْمَنْجَنِيْقِ وَقَعَ عَلَى شَرْفَةِ الْمَسْجِدِ فَطَارَتْ فَلَقَتْهُ مِنْهُ فَهَرَّتْ بَيْنَ لَحْيَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَحَلْقِهِ ، فَمَا زَالَ عَنْ مَقَامِهِ وَلَا عَرَفَ ذَلِكَ فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَ مَا وَصَفْتَ . وَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا لِابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ : صَفِّ لَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جَلِيًّا قَطُّ رَكِبَ عَلَى لَحْمٍ وَلَا لَحْمًا عَلَى عَصَبٍ وَلَا عَصَبًا عَلَى عَظْمٍ مِثْلَهُ ، وَلَا رَأَيْتُ نَفْسًا رَكِبَتْ بَيْنَ جَنْبَيْنِ مِثْلَ نَفْسِهِ ، وَلَقَدْ مَرَّتْ آجِرَةٌ مِنْ رَمَى الْمَنْجَنِيْقِ بَيْنَ لَحْيَتِهِ وَصَدْرِهِ فَوَاللَّهِ مَا خَشَعُ وَلَا قَطَعَ لَهَا قِرَاءَتَهُ ، وَلَا رَكَعَ دُونَ مَا كَانَ يَرَكَعُ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ خَرَجَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهَا . وَلَقَدْ كَانَ يَرَكَعُ فَيَكَادُ الرَّخْمُ أَنْ يَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَسْجُدُ فَكَأَنَّهُ ثَوْبٌ مَطْرُوحٌ .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ زَاذَانَ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى ابْنَ الزُّبَيْرِ يَسْرُبُ فِي صَلَاتِهِ وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْمُصَلِّينَ . [وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : كَانَ قَارِئًا لِكِتَابِ اللَّهِ ، مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، قَاتِنًا لِلَّهِ صَائِمًا فِي الْهَوَاجِرِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ ، ابْنُ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ، وَأُمُّهُ بِنْتُ الصَّدِيقِ ، وَخَالَتُهُ عَائِشَةُ حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَا يَجْهَلُ حَقَّهُ إِلَّا مِنْ أَعْمَاءِ اللَّهِ . وَرَوَى أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يَوْمًا يُصَلِّي فَسَقَطَتْ حِيَةٌ مِنَ السَّقْفِ فَطَوَّقَتْ عَلَى بَطْنِ ابْنِهِ هَاشِمَ فَصَرَخَ النَّسْوَةُ وَانزَعَجَ أَهْلُ الْمَنْزِلِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ تِلْكَ الْحِيَةِ فَقَتَلُوهَا ، وَسَلَّمَ الْوَلَدُ ، فَعَلُوا هَذَا كُلَّهُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يَلْتَفِتْ وَلَا دَرَى بِمَا جَرَى حَتَّى سَلَّمَ . وَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْخَزَامِيُّ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَنْ لَا أَحْصَى كَثْرَةَ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يُوَاصِلُ الصُّوْمَ سَبْعًا ، يَصُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَا يَفْطُرُ إِلَّا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الْآخِرَى ، وَيَصُومُ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَفْطُرُ إِلَّا بِمَكَّةَ ، وَيَصُومُ بِمَكَّةَ فَلَا يَفْطُرُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَوَّلَ مَا يَفْطُرُ عَلَى لَبَنٍ لِقْحَةٍ وَسَمْنٍ وَصَبْرٍ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فَأَمَّا اللَّبَنُ فَيَعْصَمُهُ ، وَأَمَّا السَّمْنُ فَيَقْطَعُ عِنْدَ الْعَطَشِ ، وَأَمَّا الصَّبْرُ فَيَفْتَقُ الْأَعْمَاءَ . وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ عَنْ رُوحٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ قَالَ : كَانَ ابْنُ



الزبير يواصل سبعة أيام ويصبح في الثامن وهو أليثنا . وروى مثله من غير وجه . وقال بعضهم : لم يكن يأكل في شهر رمضان سوى مرة واحدة في وسطه . وقال خالد بن أبي عمران : كان ابن الزبير لا يفطر من الشهر إلا ثلاثة أيام . ومكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره . وقال ليث عن مجاهد : لم يكن أحد يطبق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة رضى الله عنه . ولقد جاء سيل مرة فطبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة ، وقال بعضهم : كان ابن الزبير لا ينزع في ثلاث ، في العبادة والشجاعة والفصاحة . وقد ثبت أن عثمان جعله في النفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وذكره سعيد بن المسيب في خطباء الاسلام مع معاوية وابنه وسعيد بن العاص وابنه ، وقال عبد الواحد بن أيمن : رأيت على ابن الزبير رداءً يمانياً عدنياً يصلى فيه ، وكان صيتاً إذا خطب تجاوبه الجبلان أبو قبيس وزروراء . وكان آدم نحيفا ليس بالطويل ، وكان بين عينيه أثر السجود كثير العبادة مجتهداً شهماً فصيحاً صواماً قواماً شديد البأس ذا أنفة له نفس شريفة وهمة عالية ، وكان خفيف اللحية ليس في وجهه من الشعر إلا قليلاً . وكانت له حجة وكان له لحية صفراء . وقد ذكرنا أنه شهد مع ابن أبي سرح قتال البربر وكانوا في عشرين ومائة ألف ، والمسلمون عشرون ألفاً ، فأحاطوا بهم من كل جانب ، فما زال عبد الله بن الزبير يجتال حتى ركب في ثلاثين فارساً ، وسار نحو ملك البربر وهو منفرد وراء الجيش ، وجواربه يظلمه بريش النعام ، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاهب برسالة إلى الملك ، فلما فهمه الملك ولى مديراً فلحقه عبد الله فقتله واحتز رأسه وجعله في رأس رمح وكبر وكبر المسلمون ، وحملوا على البربر فهزموهم بين أيديهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا أموالاً وغنائم كثيرة جداً ، وبعث ابن أبي سرح بالبشارة مع ابن الزبير فقص على عثمان الخبر وكيف جرى ، فقال له عثمان : إن استطعت أن تؤدى هذا للناس فوق المنبر ، قال : نعم ! فصعد ابن الزبير فوق المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى ، قال عبد الله : فالتفت فاذا أبي الزبير في جملة من حضر ، فلما تبينت وجهه كاد أن يرتج على في الكلام من هيئته في قلبي ، فرمزي بعينه وأشار إلى ليحصني ، فمضيت في الخطبة كما كنت ، فلما نزلت قال : والله لكأني أسمع خطبة أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني . وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : خرج ابن الزبير في ليلة مقمرة على راحلة له فقتل في تبوك فالتفت فاذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية فشد عليه ابن الزبير فتنحى عنها فركب ابن الزبير راحلته ومضى ، قال فناداه : والله يا ابن الزبير لو دخل قلبك الليلة مني شجرة لجلبتك ، قال : ومنك أنت يا لعين يدخل قلبى شيء ؟ وقد روى لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة ، وروى عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير

قال : أقبل عبد الله بن الزبير من العمرة في ركب من قريش فلما كانوا عند اليناصب أبصروا رجلا عند شجرة ، فتقدمهم ابن الزبير ، فلما انتهى إليه سلم عليه فلم يعبا به ورد رداً ضعيفاً ، ونزل ابن الزبير فلم يتحرك له الرجل ، فقال له ابن الزبير : تنح عن الظل ، فأنحاز متكارها ، قال ابن الزبير : فجلست وأخذت بيده وقلت : من أنت ؟ فقال : رجل من الجن ، فسا عدا أن قالها حتى قامت كل شعرة مني فاجتذبتني وقلت : أنت رجل من الجن وتبدو إلى هكذا ؟ وإذا له سفلة وانكسر ونهرته وقلت : إلى تقبدا وأنت من أهل الأرض ، فذهب هاربا وجاء أصحابي فقالوا : أين الرجل الذي كان عندك ؟ فقلت : إنه كان من الجن فهرب . قال : فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته ، فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أتيت بهم الحج وما يعقلون . وقال سفيان بن عيينة قال ابن الزبير : دخلت المسجد ذات ليلة فاذا نسوة يطفن بالبيت فأعجبني ، فلما قضين طوافهن خرجن فخرجت في أثرهن لأعلم أين منزلهن ، فخرجن من مكة حتى أتيت العقبة ثم انحدرن حتى أتيت فجاء فدخلن خربة فدخلت في أثرهن . فاذا مشيخة جلوس فقالوا : ماجاء بك يا ابن الزبير ؟ فقلت : أشتهي رطبا ، وما بمكة يومئذ من رطبة ، فأنوني برطب فأكلت ثم قالوا : احمل ما بقي معك ، فحُثت به المنزل فوضعت في سفظ وجعلت السفظ في صندوق ، ثم وضعت رأسي لأنام ، فبينما أنا بين النوم واليقظان إذ سمعت جلبة في البيت ، فقال بعضهم لبعض أين وضعه ؟ قالوا : في الصندوق ، ففتحوه فاذا هو في السفظ داخله ، فهموا بفتحه فقال بعضهم : إنه ذكر اسم الله عليه ، فأخذوا السفظ بما فيه فذهبوا به ، قال . فلم آسف على شيء أسنى كيف لم أثب عليهم وهم في البيت . وقد كان عبد الله بن الزبير ممن حاجف عن عثمان يوم الدار ، وجرح يومئذ بضعة عشرة جراحة ، وكان على الراجلة يوم الجمل وجرح يومئذ تسعة عشرة جراحة أيضا ، وقد تبارز يومئذ هو ومالك بن الحارث بن الأشتر ، فاتحدا فصرع الأشتر ابن الزبير فلم يتمكن من القيام عنه ، بل احتضنه ابن الزبير وجعل ينادى : اقتلوني ومالكا ، واقتلوا مالكا معي ، فأرسلها مثلا . ثم تفرقا ولم يقدر عليه الأشتر ، وقد قيل إنه جرح يومئذ بضعة وأربعون جراحة ، ولم يوجد إلا بين القنلى وبه رمق ، وقد أعطت عائشة لمن بشرها أنه لم يقتل عشرة آلاف درهم وسجدت لله شكراً ، وكانت تحبه حباً شديداً ، لأنه ابن أختها ، وكان عزيزاً عليها ، وقد روى عن عروة أن عائشة لم تكن تحب أحداً بعد رسول الله . وأبي بكر مثل حبها ابن الزبير ، قال : وما رأيت أبي وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعاهما لابن الزبير .

وقال الزبير بن بكار : حدثني أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد عن يحيى بن عروة عن عمه عن عبد الله بن عروة قال أخطت ألسنة تابعة بني جمدة فدخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام فأنشد هذه الأبيات :-

حكيت لنا الصديق لما وليتها • وعثمان وفاروق فارتاح معدم  
وسويت بين الناس في الحق فاستروا \* فعاد صباحاً حالك اللون مظلم  
أناك أبو ليلي محبوب به الدجا \* دجى الليل جواب الفلاة غشمشم  
لتجير منه جائباً غدرت به • صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلي . فان الشعر أهون رسائك عندنا ، أما صفوه فما لنا فلان  
الزبير ، وأما عفوه فان بنى أسد يشغلها عنك وتبها ، ولكن لك في مال الله حقان ، حق لرؤيتك  
لرسول الله (ص) ، وحق لشركتك أهل الاسلام في فيهم ، ثم أخذ بيده فأدخله دار النعم فأعطاه  
قلائص سبعا وجملا وخيلا ، وأوقر له الركب براً ونمراً وثيابا ، فجعل النابغة يستعجل ويأكل الحب  
صرفاً ، فقال له ابن الزبير : ويح أبا ليلي ، لقد بلغ الجهد . فقال النابغة : أشهد لسمعت رسول الله  
(ص) يقول : « ما وليت قريش وعدلت ، واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ، ووعدت خيراً  
فأبجرت ، فأنا والنبيون فرط العاصفين »

وقال محمد بن مروان صاحب كتاب المجالسة : أخبرني خبيب بن نصير الأزدي ثنا محمد بن  
دينار الضبي ثنا هشام بن سليمان الخزومي عن أبيه قال : أذن معاوية للناس يوماً فدخلوا عليه  
فاحتفل المجلس وهو على سريره ، فأجال بصره فيهم فقال : أنشدوني لقدماء العرب ثلاثة أبيات  
جامعة من أجمع ما قالتها العرب ، ثم قال : يا أبا خبيب فقال : مهم ، قال أنشد ذلك ، فقال : نعم  
يا أمير المؤمنين بثلاثمائة ألف كل بيت بمائة ألف ، قال : نعم إن ساوت ، قال أنت بالخيار ، وأنت  
واف كاف ، فأنشده للأفوه الأزدي : -

بلوت الناس قرناً بعد قرن \* فلم أر غير ختالٍ وقالٍ فقال معاوية صدق  
ولم أر في الخطوب أشد وقعاً \* وكيداً من معادات الرجالٍ فقال معاوية صدق  
وذقت مرارة الأشياء طراً \* فهاشي أمرٌ من السؤالٍ فقال صدق

ثم قال معاوية : هيه يا خبيب ، قال : إلى ههنا انتهى ، قال : فدعا معاوية بثلاثين عبداً على عنق  
كل واحد منهم بكرة ، وهي عشرة آلاف درهم ، فروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره .  
وروى ابن أبي الدنيا عن أبي يزيد النميري عن أبي عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء أن  
معاوية لما حج تلقته الناس وتخلف ابن الزبير ثم جاءه وقد حلق رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين  
ما أكبر حجرة رأسك !! فقال له اتق أن لا يخرج عليك منها حية فتقتلك ، فلما أفاض معاوية طاف  
معه ابن الزبير وهو أخذ بيده ثم استدعاه إلى داره ومنازله بقميقان ، فذهب معه إليها ، فلما خرجا  
قال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون جاء معك أمير المؤمنين إلى دوره ومنازله ففعل معك ماذا ، لا والله

لا أدعك حتى تعطيني مائة ألف ، فأعطاه فجاه مروان فقال : والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك ، جاءك رجل قد سمى بيت مال الديوان وبيت الخلافة ، وبيت كذا ، وبيت كذا ، فأعطيته مائة ألف ، فقال له : ويلك كيف أصنع بابن الزبير ؟ وقال ابن أبي الدنيا : أخبرني عمر بن بكر عن علي بن مجاهد بن عروة قال : سأل ابن الزبير معاوية شيئاً فنعه ، فقال : والله ما أجهل أن ألزم هذه البنية فلا أشتم لك عرضاً ولا أقصم لك حساباً ، ولكني أسدل عما متي من بين يدي ذراعاً ، ومن خلفي ذراعاً في طريق أهل الشام وأذكر سيرة أبي بكر الصديق وعمر فيقول الناس : من هذا ؟ فيقولون ابن حوارى رسول الله (س) ، وابن بنت الصديق ، فقال معاوية : حسبك بهذا شرفاً ، ثم قال : هات حوائجك . وقال الأصمعي : ثنا غسان بن نصر عن سعيد بن يزيد . قال : دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابناً له صغيراً فلطمه لطمه دوخ منها رأسه ، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي : ادن مني ، فدنا منه ، فقال له : الطم معاوية ، قال : لا أفعل ، قال : ولم ؟ قال لأنه أبي ، فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبي لطمه جعل يدور منها كما تدور الدوامة ، فقال معاوية : تفعل هذا بغلام لم تجز عليه الأحكام ؟ قال : إنه والله قد عرف ما يضره مما ينفعه ، فأجبت أن أحسن أدبه . وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أبي بكر قال : لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام فوجده وهو ينعم على راحته ، فقال له : أنتعس وأنا معك ؟ أما تخاف مني أن أقتلك ؟ فقال : إنك لست من قتال الملوك ، إنما يصيد كل طائر قدره . قال لقد سرت تحت لواء أبي إلى علي بن أبي طالب ، وهو من تعلمه ، فقال : لأجزم قتلكم والله بشماله . قال : أما إن ذلك كان في نصرة عثمان ، ثم لم يجز بها . فقال : إنما كان لبغض علي لالنصرة عثمان ، فقال له ابن الزبير : إنا قد أعطيناك عهداً فنحن وافون لك به ما عشت ، فسيعلم من بعدك ، فقال : أما والله ما أخافك إلا على نفسك ، وكأنني بك قد خبطت في الحباله واستحكمت عليك الأنشودة ، فذكرتني وأنت فيها ، فقلت ليت أبا عبد الرحمن لها ، ليتني والله لها ، أما والله لأحلتك رويداً ، ولأطلقتك سريعاً ، ولبئس الولي أنت تلك الساعة . وحكى أبو عبد الله نحو هذا ، وقد تقدم أن معاوية لما مات وجاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة انشمر منها ابن الزبير والحسين بن علي فقصدوا مكة فأقاما بها ، ثم خرج الحسين إلى العراق وكان من أمره ما تقدم ، وتفرد بالرياسة والسؤدد بمكة ابن الزبير ، ولهذا كان ابن عباس يفتش : -

يالك من قبرة بمعمرى • خلالك الجوف فيضى واصفري • ونقرى ما شئت أن تنقرى  
يعرض بابن الزبير . وقيل إن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير يقول : إني قد بعثت إليك  
بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجامعة من فضة وحلفت لتأتيني في ذلك فأبر قسي ولا تشق

العصا ، فلما قرأ كتابه ألقاه من يده وقال : -

ولا أئین لغير الحق أسأله \* حتى تلین لضرس الماضع الحجر

فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريبا ، استفحل أمر عبد الله بن الزبير جدا ، وبويع له بالخلافة في جميع البلاد الإسلامية ، وبابيع له الضحاک بن قيس بدمشق وأعمالها ، ولكن عارضه مروان بن الحكم في ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ، ثم جبر السرايا إلى العراق ، ومات وتولى بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير بالعراق وأخذها ، ثم بعث إلى الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريبا من سبعة أشهر حتى ظفر به في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين ، وحج بالناس فيها كلها ، وبني الكعبة في أيام ولايته كما تقدم ، وكساها الحرير ، وكانت كسوتها قبل ذلك الانطاع والمسوح ، وكان ابن الزبير عالما عابدا مهيبا وقورا كثير الصيام والصلاة ، شديد الخشوع جيد السياسة ، قال أبو نعيم الاصبهاني : حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق الثقفي ثنا أحمد بن سعيد الدارمي ثنا أبو عاصم عن عمر بن تيس . قال : كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر ، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياء قلت : هذا رجل لم يرد الله والدار الآخرة طرفة عين ، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت : هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين . وقال الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال ، وكان يطيب الكعبة حتى كان يوجد ریحها من مسافة بعيدة . وقال ابن المبارك عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : دخل ابن الزبير على امرأته بنت الحسن فرأى ثلاثة مثل - يعني أفرشة - فقال : هذا لي وهذا لابنة الحسن ، وهذا للشيطان فأخرجوه . وقال الثوري عن عبد الله بن أبي بشير عن عبد الله بن مساور . قال : سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير على البخل ويقول : قال رسول الله . : « ليس بالمؤمن من يبيت شعبان وجاره إلى جنبه جائع » . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أزي عن عثمان بن عفان . قال قل له عبد الله بن الزبير حين حصر : إن عندي نجائب قد أعددتها لك ، فهل لك أن تتحول إلى مكة فياتيك من أراد أن يأتيك ؟ قال : لا ! إني سمعت رسول الله . يقول : « يلحد كبش من قريش اسمه عبد الله ، عليه مثل أوزار الناس » . وهذا الحديث منكر جدا وفي إسناده ضعف ، ويعقوب هذا هو القمي وفيه تشيع ، ومثل هذا لا يقبل تفردة به ، وبتقدير صحته فليس هو بعبد الله ابن الزبير ، فانه كان على صفات حميدة ، وقيامه في الامارة إنما كان لله عز وجل ، ثم هو كان الامام

بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة ، وهو أرشد من مروان بن الحكم ، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكرامة عليه ، وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ثنا إسحاق بن سعيد ثنا سعيد بن عمرو قال : أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير وهو في الحجر جالس فقال : يا ابن الزبير إياك والاحاد في حرم الله ، فاني أشهد لسمعت رسول الله (س) يقول : « يحلها ونحل به رجل من قریش ، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها » . فانظر أن لا تكونه ، فقال له : يا ابن عمر فانك قد قرأت الكتب وصحبت النبي (س) ، قال فاني أشهد أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً . وهذا قد يكون رفعه غلطاً ، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمر ، وما أصابه من الزاملتين يوم اليرموك من كلاء أهل الكتاب ، والله أعلم . وقال وكيع عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن حبشي الكناني عن عليم الكندي عن سلمان الفارسي . قال : « ليحرقن هذا البيت على يدي رجل من آل الزبير » . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن أبي فضيل ثنا سالم بن أبي حفصة عن منذر الثوري قال قال ابن الحنفية : اللهم إنك تعلم أنني كنت أعلم مما علمتني أن ابن الزبير لا يخرج منها إلا قتيلاً يطاف برأسه في الأسواق . وقد روى الزبير بن بكار عن هشام بن عروة قال : إن أول ما فصح به عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف السيف ، فكان لا يضعه من فيه ، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له : أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام ، وقد تقدم كيفية مقتله ، وأن الحجاج صلبه على جذع فوق الثنية ، وأن أمه جاءت حتى وقفت عليه فدعت له طويلاً ولا يقطر من عينها دمة ثم انصرفت ، وكذلك وقف عليه ابن عمر فدعاه وأثنى عليه ثناء كثيراً جداً . وقال الواقدي : حدثني نافع بن ثابت عن عبد الله مولى أسماء قال : لما قتل عبد الله خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه وهي على دابة ، فأقبل الحجاج في أصحابه فسأل عنها فأخبر بها ، فأقبل حتى وقف عليها فقال : كيف رأيت نصر الله الحق وأظهره ؟ فقالت : ربما أدب الباطل على الحق وأهله ، وإنك بين فرئها والجنة ، فقال إن ابنك ألد في هذا البيت ، وقد قال الله تعالى [ ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ] وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم ، قالت : كذبت ، كان أول مولود ولد في الاسلام بالمدينة ، وسر به رسول الله (س) ، وحسكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به ، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله ، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك ، وكان مع ذلك برأ بالوالدين صواماً قواماً بكتاب الله ، معظماً لحرم الله : يبغض من يعصى الله عز وجل ، أشهد على رسول الله (س) . لسمعته يقول : « يخرج من تقيف كذاب ومبير » وفي رواية : « سيخرج من تقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير » فانكسر الحجاج

وانصرف : فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يلومه في مخاطبته أسماء ، وقال : مالك ولا بنه الرجل الصالح ؟ وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه : ثنا عقبه بن مكرم حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي أنبأ الأسود بن شيبان عن أبي نوفل . قال : رأيت عبد الله بن الزبير على ثنية الحجون مصلوباً فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال : السلام عليك أبا خبيب ، السلام عليك أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهك عن هذا ، أما والله لقد كنت أنكهك عن هذا ، أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم ، أما والله لامة أنت شرها لامة خير ، ثم بعد عبد الله بن عمر . فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله ما قال ، فأرسل إليه فأنزله عن جذعه وألقى في قبور اليهود ، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبته أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتينني أولاً بعثن إليك من يسحبك من قرونك ، فأبته وقالت : والله لا آتية حتى يبعث إلي من يسحبني بقروني ، فقال الحجاج : أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال : كيف رأيتني صنعت بعد والله ؟ قالت رأيتك فسدت عليه ديناه ، وأفسدت عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول : يا ابن ذات النطاقين ، أنا والله ذات النطاقين ، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ص . وطعام أبي بكر ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه ، أما إن رسول الله حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه . قال : فقام عنها ولم يراجعها » انفرد به مسلم . وروى الواقدي أن الحجاج لما صلب ابن الزبير على ثنية الحجون بعثت إليه أسماء تدعو عليه ، وطلبت منه أن يدفن فأبى عليها ، حتى كتب إلى عبد الملك في ذلك فكتب إليه أن يدفن فدفن بالحجون ، وذكروا أنه كان يشتم من عند قبره ريح المسك .

وكان الحجاج قد قدم من الشام في ألفي فارس وانضاف إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف ، وروى محمد بن سعد وغيره بسنده أن الحجاج حاصر ابن الزبير ، وأنه اجتمع معه أربعون ألفاً : وأنه نصب المنجنيق على أبي قبيس ليرمي به المسجد الحرام ، وأنه أمن من خرج إليه من أهل مكة ونادى فيهم بذلك ، وقال : إنا لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير ، وأنه خير ابن الزبير بين ثلاث إما أن ينهب في الأرض حيث شاء ، أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد ، أو يقاتل حتى يقتل . فشاور أمه فأشارت عليه بالثالث فقط ، وروى أنها استدعت بكفن له وبخرته وشجعته على القتل ، فخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالاً شديداً فجاءته آجرة ففلقت رأسه فسقط على وجهه إلى الأرض ، ثم أراد أن ينهض فلم يقدر ، فاتكأ على مرفقه الأيسر وجعل يحدم بالسيف من جاءه ، فأقبل إليه رجل من أهل الشام فضربه فقطع رجلاه ، ثم

تكاثروا عليه حتى قتلوه واحتزوا رأسه ، وكان مقتله قريباً من الحجون ، ويقال : بل قتل وهو متعلق بأسنار الكعبة فله أعلم . ثم صلبه الحجاج متكساً على ثنية كذا عند الحجون ، ثم لما أنزله دفنه في مقابر اليهود كما رواه مسلم ، وقيل دفن بالحجون بالمكان الذي صلب فيه ، فله أعلم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال قال عبد الله بن الزبير لما جرى برأس المختار : ما كان يحدثنا كعب الأخبار شيئاً إلا وجدناه إلا قوله إن فتى تقيف يقتلني ، وهذا رأسه بين يدي ، قال ابن سيرين : ولم يشعر أنه قد خبي له الحجاج . وروى هذا من وجه آخر . قلت : والمشهور أن مقتل الزبير كان في سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى ، وقيل الآخرة منها ، وعن مالك وغيره أن مقتله كان على رأس اثنين وسبعين ، والمشهور الصحيح هو الأول ، وكانت بيعته في سابع رجب سنة أربع وستين ، وكان مولده في أول سنة إحدى من الهجرة ، وقيل في شوال سنة ثنتين من الهجرة ، فمات وقد جاوز السبعين قطعاً والله أعلم .

وأما أمه فأنها لم تعش بعده إلا مائة يوم ، وقيل عشرة أيام ، وقيل خمسة ، والأول هو المشهور وستأتي ترجمتها قريباً رضي الله عنها وعن أبيها وابنها ، وقد رثى ابن الزبير وأخوه مصعب بمرثيات كثيرة حسنة بليغة ، من ذلك قول معمر بن أبي معمر الذهلي يرثيها بأبيات : -

لعمرك ما أبقيت في الناس حاجة \* ولا كنت ملبوس الهدى متذبذباً  
غداة دعاني مصعب فأجبتة \* وقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً  
أبوك حوارى الرسول وسيفه \* فأنت بحمد الله من خيرنا أبا  
وذاك أخوك المهتدى بضياته \* بمكة يدعوننا دعاءً مثوباً  
ولم أك ذا وجهين وجه مصعب \* مريض ووجه لابن مروان إذ صبا  
وكنت امرأة ناصحة غير مؤثر \* عليه ابن مروان ولا متقرباً  
إليه بما تقضى به عين مصعب \* ولكنني ناصحت في الله مصعباً  
إلى أن رمت الحادثات بسهما \* فبالله سهماً ما أسد وأصوباً  
فإن يك هذا الدهر أردى بمصعب \* وأصبح عبد الله شلواً ملحياً  
فكل امرئ حاس من الموت جرعة \* وإن حاد عنها جهده وتهيباً

وقيل : إن عبد الله بن الزبير غسلته أمه أسماء بعد أن قطعت مفاصله وحنطته وطيبته وكفنته وصلت عليه وحملته إلى المدينة ، فدفنته بدار صفية بنت حبيبي ، ثم إن هذه الدار زينت في مسجد النبي (ص) فهو مدفون في المسجد مع النبي (ص) ، وأبي بكر وعمر ، وقد ذكر ذلك غير واحد فله أعلم . وقد روى الطبراني عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن النبي (ص) أعطاه دم



محاجمه بهر يقه فحساه ، فلما رجع إلى النبي (ص) ، قال : « ما صنعت يا عبد الله بالدم ؟ قلت : جعلته في مكان ظننت أنه خاف على الناس ، قال : فلعلك شربته ؟ قلت نعم ! قال : ومن أمرك أن تشرب الدم ؟ وويل لك من الناس ، وويل للناس منك » . ودخل سلمان الفارسي مرة على النبي (ص) فاذا عبد الله بن الزبير قائم في الدهليز ومعه طست يشرب منه ، فدخل سلمان ودخل عبد الله على رسول الله (ص) ، قال له : « فرغت ؟ قال : نعم : قال سلمان : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : أعطيته غسالة محاجمي بهر يق ما فيها ، قال سلمان : شربها والذي بعثك بالحق ، قال شربته ؟ قال : نعم ! قال : لم ؟ قال : أحببت أن يكون دم رسول الله (ص) في جوفى ، فقال بيده على رأس ابن الزبير ، وقال : وويل لك من الناس ، وويل للناس منك ، لا تمسك النار إلا تحلة القسم » . ولما بعث يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ذلك القيد من ذهب وسلسلة من فضة وجامعة من فضة وأقسم لتأديني فيها ، فقالوا له : بر قسم أمير المؤمنين فقال :

ولا ألينُ لغيرِ الحقِ أسألهُ \* حتى تلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرِ

ثم قال : والله لضربة بسيف بعز ، أحب إلى من ضربة بسوط في ذل ، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية . وروى الطبراني أن ابن الزبير دخل على أمه فقال : إن في الموت لراحة ، وكانت أمه قد أتت عليها مائة سنة لم تسقط لها سن ، ولم يفسد لها بصر ، فقالت : ما أحب أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك ، إما أن تملك فتقر عيني ، وإما أن تقتل فأحتسبك ، ثم خرج عنها وهو يقول :-

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبةٍ \* ولا بهر يقٍ من خشيةِ الموتِ سلماً

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول ليكن أحدكم سيفه كما وجهه فيدفع عن نفسه بيده كأنه أمراه ، والله ما بقيت زحفا قط إلا في الرعيل الأول ، وما ألت جرحاً إلا ألم الدواء ، ثم حمل عليهم ومعه سفينان ، فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله ، فقال له الأسود : أخ يا ابن الزانية ، فقال له ابن الزبير : أخساً يا ابن حام ، أسماء زانية ؟ ثم أخرجهم من المسجد ، وكان على ظهر المسجد جماعة من أعوانه يرمون أعداءه بالأجر ، فأصابته آجرة من أعوانه من غير قصد في مفرق رأسه ففلقت رأسه فوقف قائماً وهو يقول : لو كان قرني واحداً كفينه ويقول :-

ولسنا على الأعقابِ تدمى كلومنا \* ولكن على أقدامنا يقطرُ الدمُ

ثم وقع فأكب عليه موابان له وهما يقولان : العبد يحمي ربه ويحتمي . ثم أرسلوا إليه فحزوا رأسه . وروى الطبراني أيضاً عن إسحاق بن أبي إسحاق قال : أنا حاضر ممثل عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام ، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد ، وكلما دخل قوم من باب حمل

عليهم حتى يخرجهم ، فبينما هو على تلك الحال إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد ، فوقعت على رأسه فصرعته ، وهو يتمثل بهذه الأبيات :-

أسماءُ أسماءُ لا تبكيني • لم يبقَ إلا حسبي وديني

\* وصارمٌ لانت بهِ يميني \*

وقد روى أن أمه قالت للحجاج : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال الحجاج : ابنك المنافق ، فقالت : والله ما كان منافقا ، إن كان لصواما قواما وصولا للرحم ، فقال : انصرفي يا عجوز ، فانك قد خرفت ، فقالت والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت » . وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر فرأى علي ابن الزبير فوقف فترحم عليه ثم التفت إلى وقال : أخبرني أبو بكر الصديق أن رسول الله (ص) قال : « من يعمل سوءاً يجز به » . وروى سفيان عن ابن جريج عن أبي مليكة قال : ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس قال : كان عفيفا في الاسلام ، قارئاً للقرآن ، صواما قواما . أبوه الزبير ، وأمه أسماء ، ووجه أبو بكر ، وعمته خديجة ، وجدته صفية ، وخالته عائشة : والله لأحسبن له بنفسى محاسبة لم أحاسبها لأبي بكر ولا لعمر . وقال الطبراني : حدثنا زكريا الناجي ثنا حوثة بن محمد ثنا أبو أسامة ثنا سعيد بن المرزبان أبو سعيد العبسي ثنا محمد بن عبد الله الثقفى قال : شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنكم جئتم من آفاق شتى وفودا إلى الله عز وجل ، فحق على الله أن يكرم وفده ، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فإن طالب ما عند الله لا يخيب فصدقوا قولكم بفعل ، فإن ملاك القول الفعل والنية النية ، والقلوب القلوب ، الله الله في أيامكم هذه فانها أيام تغفر فيها الذنوب ، جئتم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها هاهنا ، ثم لبي ولبى الناس ، فما رأيت باكيا أكثر من يومئذ . وروى الحسن بن سفيان قال : ثنا حيان بن موسى ثنا عبد الله بن المبارك ثنا مالك بن أنس عن وهب بن كيسان قال : كتب إلى عبد الله بن الزبير بموعظة : أما بعد فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم ، صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وكظم الغيظ ، وصبر على البلاء ورضى بالقضاء ، وشكر للنعماء ، وذل لحكم القرآن ، وإعنا الأيام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها ، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهله . وإن نفق الباطل عنده حمل إليه وجاءه أهله

وقال أبو روية : ثنا هشام بن عروة عن وهب بن كيسان قال : ما رأيت ابن الزبير يعطى سلعة قط لرغبة ولا رهبة سلطان ولا غيره . وهذه الاسنادات أهل الشام كانوا يعيرون ابن الزبير ويقولون له : يا ابن ذات النطاقين . فقالت له أسماء : يا بني إنهم يعيرونك بالنطاقين وإنما كان لي

لطاق واحد شقته نصفين فجعلت في سفرة رسول الله (س)، أحدهما وأوكيت قربته بالآخر لما خرج هو وأبو بكر يريدان الهجرة إلى المدينة . فكان ابن الزبير بعد ذلك إذا عروه بالنطاقين يقول : إنها والله تلك شكاة ظاهر عنك عارها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومن قتل مع ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين بمكة من الأعيان

**عبدالله بن صفوان**

ابن أمية بن خلف الجمحي أبو صفوان المكي ، وكان أكبر ولد أبيه ، أدرك حياة النبي (س) ، وروى عن عمرو وجماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً حليماً يحتمل الأذى ، لوسبه عبد أسود ما استنكف عنه ، ولم يقصده أحد في شيء فرده خائباً ، ولا سمع بمفازة إلا حفر بها جيباً أو عمل فيها بركة ، ولا عقبه إلا سهلها . وقيل إن المهلب بن أبي صفرة قدم على ابن الزبير من العراق فأطال الخلوة معه ، فجاء ابن صفوان فقال : من هذا الذي شغلك منذ اليوم ؟ قال : هذا سيد العرب من أهل العراق ، فقال : ينبغي أن يكون المهلب . فقال المهلب لابن الزبير : ومن هذا الذي يسأل عني يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا سيد قريش بمكة ، فقال : ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان ، وكان ابن صفوان كريماً جليلاً .

وقال الزبير بن بكار بسنده : قدم معاوية حليماً فلقاه الناس فكان ابن صفوان في جملة من تلقاه ، فجعل يسأله عن معاوية وجعل أهل الشام يقولون : من هذا الذي يسأله أمير المؤمنين ؟ فلما انتهى إلى مكة إذا الجبل أبيض من الغنم ، فقال : يا أمير المؤمنين هذه غنم أجزتكها ، فإذا هي الفاشاة ، فقال أهل الشام : ما رأينا أكرم من ابن عم أمير المؤمنين . كان ابن صفوان من جملة من صبر مع ابن الزبير حين حصره الحجاج ، فقال له ابن الزبير : إني قد أقتلك بيعتي فذهب حيث شئت ، فقال إني إنما قاتلت عن ديني . ثم صبر نفسه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة في هذه السنة ، رحمه الله وأكرمه .

**عبدالله بن مطيع**

ابن الأسود بن حارثة القرشي العدوي المدني ، ولد في حياة رسول الله (س) ، وحنكه ودعاه بالبركة ، وروى عن أبيه عن رسول الله (س) أنه قال : « لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً إني يوم القيامة » . وعنه ابنه إبراهيم ومحمد والشعبي وعيسى بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن أبي موسى . قال الزبير بن بكار : كان ابن مطيع من كبار رجال قريش جليلاً وشجاعاً ، وأخبرني عمي مصعب أنه كان على قريش أميراً يوم الحرة ثم قتل مع ابن الزبير بمكة وهو الذي يقول :

أنا الذي فررت يوم الحرة \* والشيخ لا يفر إلا مره \* ولا جبرت فرة بكره رحمه الله

### عوف بن مالك رضي الله عنه

هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني صحابي جليل، شهد موقعة مع خالد بن الوليد والامراء قبله، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ، وشهد فتح الشام، وروى عن رسول الله (ص)، أحاديث، وروى عنه جماعة من التابعين وأبو هريرة، وقد مات قبله، وقال الواقدي وخليفة ابن خياط وأبو عبيد وغير واحد: توفي سنة ثلاث وسبعين بالشام

### أسما بنت أبي بكر الصديق

والدة عبد الله بن الزبير، يقال لها ذات النطاقين، وإنما سميت بذلك عام الهجرة حين شئت نطاقها فربطت به سفرة النبي (ص)، وأبي بكر حين خرجا عامدين إلى المدينة، وأما قبيلة وقيل قبيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي. أسلمت أسما قديماً وهم بمكة في أول الإسلام، وهاجرت هي وزوجها الزبير وهي حامل ثم ولدها عبد الله فوضعتة بقبا أول مقدمهم المدينة، ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر. وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً، وكانت هي وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو عتيق وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابيين رضي الله عنهم، وقد شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين. وقيل إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال: يا أمه إن أمير المؤمنين أو صاني بك فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأمر، وإنما أنا أم المصلوب على الثنية، ومالي من حاجة، ولكن أحدثك أني سمعت رسول الله (ص) يقول: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير» فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أراك إلا إياه. فقال: أنا مبير المناقين. وقيل إن ابن عمر دخل معه عليها وابنها مصلوب فقال لها: إن هذا الجسد ليس بشيء وإنما الأرواح عند الله فاتق الله واصبري، فقالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بني إسرائيل؟. وقيل إنها غسلته وحنطته وكفنته بطيبته وصلت عليه ثم دفنته، ثم ماتت بعده بأيام في آخر جمادى الآخرة، ثم إن الزبير لما كبرت طلقها، وقيل بل قال له عبد الله ابنه: إن مثلي لا توطأ أمه، فطلقها الزبير، وقيل: بل اختصمت هي والزبير فجاء عبد الله ليصلح بينهما فقال الزبير: إن دخلت فهي طالق، فدخلت فبانت فأنه أعلم. وقد عمرت أسما دهرًا صالحًا وأضرت في آخر عمرها، وقيل بل كانت صحيحة البصر لم يسقط لها سن. وأدركت قتل ولدها في هذه السنة كما ذكرنا، ثم ماتت بعده بخمسة أيام، وقيل بعشرة، وقيل بعشرين، وقيل بضع وعشرين يوماً، وقيل عاشت بعده مائة يوم وهو الأشهر، وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل رحمها الله. وقد روت عن النبي (ص)، عدة أحاديث طيبة مباركة رضي الله عنها ورحمها.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة - يعني سنة ثلاث وسبعين - عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وأضافها إلى أخيه بشر بن مروان مع الكوفة، فارتحل إليها واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث. وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم. وقيل إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية، وهو في أربعة آلاف، والروم في ستين ألفا فهزمهم وأكثرت القتلى فيهم. وأقام للناس الحج في هذه السنة الحجاج وهو على مكة واليمن واليمامة، وعلى الكوفة والبصرة بتر بن مروان، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة. وعلى إمرة خراسان بكير بن وشاح، يعني الذي كان نائباً لعبد الله بن خازم والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان غير من تقدم ذكره مع ابن الزبير

عبد الله سعد بن جشم الأنصاري له صحبة وشهد اليرموك، وكان كثير العبادة والقرآن.

عبد الله بن أبي حنيفة الأسامي أبو محمد له صحبة ورواية توفي بالمدينة.

مالك بن مسمع بن غسان البصري كان شديد الاجتهاد في العبادة والزهادة.

### ثابت بن الضحاك الأنصاري

له صحبة ورواية توفي بالمدينة، يقال له أبو زيد الأشمالي وهو من أهل البيعة تحت الشجرة. قال يحيى بن أبي كثير: أخبرني أبو قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع رسول الله - تحت الشجرة وأن رسول الله - قال: «من قذف مؤمناً بكفر فهو كفيل».

زينب بنت أبي سفيان الخزومي ربيبة النبي -، ولدتها أمها بالحبيشة، ولها رواية وصحبة.

### توبة بنت الصنعة

وهو الذي يقال له مجنون ليلي، كان توبة يشن الغارات على بني الحارث بن كعب، فرأى ليلي فهاها وتهتك بها وهام بها محبة وعشقا، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة، التي لم ينسب إليها ولم يلحق فيها لكثرة ما فيها من المعاني والحكم، وقد قيل له مرة: هل كان بينك وبين ليلي ريبة قط؟ فقال: برئت من شفاعته محمد - إن كنت قط حلت سراويلي على محرم. وقد دخلت ليلي على عبد الملك بن مروان تشكو ظلامه فقال لها: ماذا رأى منك توبة حتى عشقت هذا المشق كاه؟ فقالت: والله يا أمير المؤمنين لم يكن بيني وبينه قط ريبة ولا خنا، وإنما العرب تعشق وتعف وتقول الأشعار فيمن تهوى وتمحب مع العفة والضيافة لأنفسها عن الدناءات. فأزال ظلامتها وأجازها. توفي توبة في هذه السنة وقيل إن ليلي جاءت إلى قبره فبكت حتى ماتت والله أعلم.

تم الجزء الثامن من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء التاسع وأوله سنة أربع وسبعين من

الهجرة وما فيها من الحوادث. نسأل الله التوفيق والأعانة

فهرست الجزء الثامن من كتاب البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
وأما ام شريك الأنصارية	٢ فضيلة
وأما عمرو بن أمية الضمري	في ذكر شيء من سيرته الفاضلة
أما جبير بن مطعم	ومواعظه وقضاياه الفاضلة
وأما حسان بن ثابت	وخطبه وحكمه
وأما الحكم بن عمرو بن مجدع الفخاري	١١ غريبة من الغرائب وأبلة من الأوابد
وأما دحية بن خليفة الكلبي	١٤ خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه
وأما عقيل بن أبي طالب	١٧ سنة إحدى وأربعين
وأما كعب بن مالك الأنصاري السلمي	١٩ معاوية بن أبي سفيان ومملكه
المغيرة بن شعبة	٢٠ فضل معاوية بن أبي سفيان
جويرية بنت الحارث	٢٢ خروج طائفة من الخوارج عليه
سنة إحدى وخمسين	من أعيان من توفي هذا العام
فأما جرير بن عبدالله البجلي	٢٣ ركانة بن عبد العزيز
٥٥ جعفر بن أبي سفيان بن عبد المطاب	صفوان بن أمية
٥٦ وأما حارثة بن النعمان الأنصاري	عثمان بن طلحة
وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل	عمرو بن الأسود السكوني
وأما عبدالله أنيس بن الجهني أبو يحيى	عاتكة بنت زيد
وأما أبو بكر نقيع بن الحارث	٢٤ سنة ثنتين وأربعين
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين	سنة ثلاث ورأبعين
٥٨ ذكر من توفي فيها من الأعيان	سنة أربع وأربعين
خالد بن زيد بن كليب	٢٧ سنة خمس وأربعين
عبدالله بن المغفل المزني	٢٩ سنة ست وأربعين
٦٠ كعب بن عجرة الأنصاري	سنة ست وأربعين
معاوية بن خديج	٣١ سراقه بن كعب شهد بدرأ وما بعدها
٦١ هانئ بن نيار أبو بردة البلوي	عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين	سنة سبع وأربعين
رويفع بن ثابت	٣٢ سنة تسع وأربعين
٦٣ صعصعة بن ناجية	ذكر من توفي في هذه السنة
سنة أربع وخمسين	الحسن بن علي بن أبي طالب
٦٦ ذكر من توفي فيها من الأعيان	٤٥ سنة خمسين من الهجرة
٦٧ اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي	٤٦ صفية بنت حيي بن أخطب
ثوبان بن جند	
جبير بن مطعم	

صحيفة	٦٨	الحارث بن ربهى
ابو هريرة الدوسي رضي الله عنه		حكيم بن حزام
١١٥ سنة ستين من الهجرة النبوية		حويطب بن عبد العزيز العامري
١١٧ وهذه ترجمة معاوية	٦٩	معبد بن يربوع بن عنكثة
١٤٤ ذكر من تزوج من النساء ومن ولد	٧٠	مرة بن شراحيل الهمداني
١٤٥ فضائل		النعيمان بن عمرو
١٤٦ فضائل		سودة بن زمعة
ابو مسلم الخولاني	٧١	ثم دخلت سنة خمس وخمسين
يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه		ذكر من توفي من الأعيان
١٤٩ قصة الحسين بن علي وسبب خروجه		أرقم بن أبي الأرقم
من مكة في طلب الأمانة ومقتله		سحبان بن زفر بن إياس
١٥٩ صفة مخرج الحسين إلى العراق	٧٢	سعد بن أبي وقاص
١٧٢ ثم دخلت سنة إحدى وستين	٧٨	فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي
صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة الشأن		قثم بن العباس بن عبد المطلب
لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب		كعب بن عمرو أبو اليسر
١٩٨ فضائل	٨١	ثم دخلت سنة ست وخمسين
٢٠٣ وأما قبر الحسين رضي الله عنه		سنة سبع وخمسين
٢٠٤ فضائل		سنة ثمان وخمسين
وأما رأس الحسين رضي الله عنه		قصة غريبة
شيء من فضائله	٨٢	ذكر من توفي فيها من الأعيان
٢٠٩ فضائل	٨٣	شداد بن أوس بن ثابت
في شيء من أشعاره التي رويت عنه	٨٧	عبدالله بن عامر
من توفي فيها من الأعيان	٨٨	عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما
٢١٣ جابر بن عتيك حمزة بن عمرو		قصته مع ليلى بنت الجودي
شيبه بن عثمان بن أبي طلحة العبدي	٩١	عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب
الوليد بن عقبة بن أبي معيط	٩٤	أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق
أم سلمة أم المؤمنين	٩٥	ثم دخلت سنة تسع وخمسين
٢١٥ ثم دخلت سنة ثنتين وستين	٩٦	قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري
٢١٦ ومن توفي في هذه السنة من الأعيان		من توفي في هذه السنة من الأعيان
٢١٧ الربيع بن خثيم		الحطينة الشاعر
	٩٩	عبد الله بن مالك بن القشب
		قيص بن سعد بن عبادة الخزرجي
	١٠٢	مقل بن يسار المزني

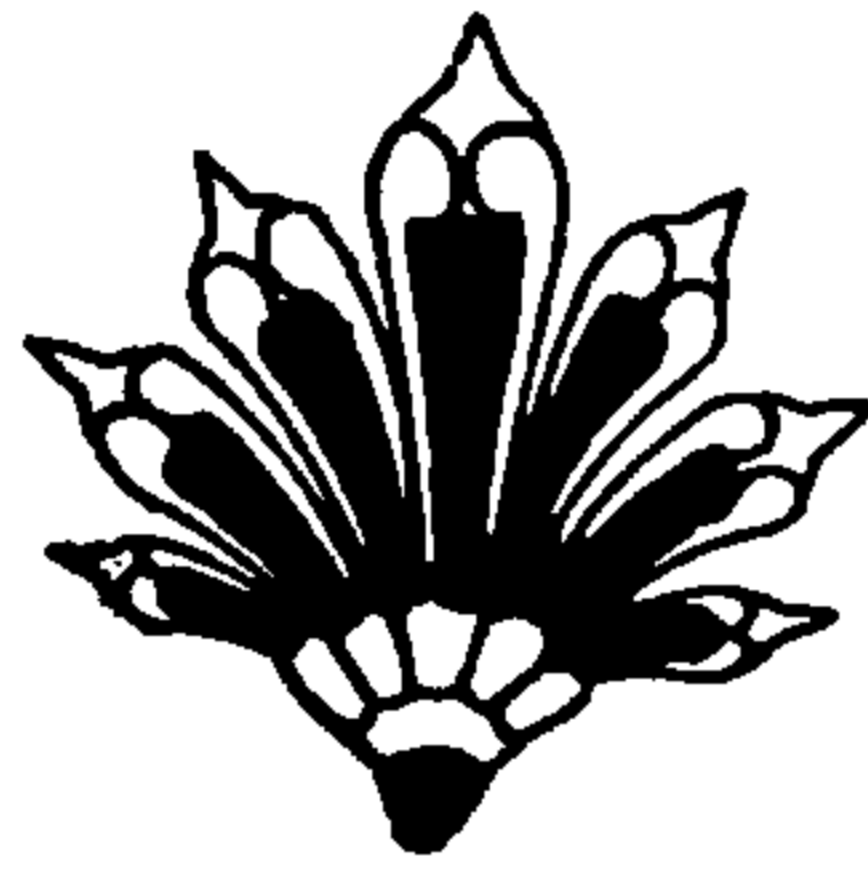
صحيفة	علقمة بن قيس ابو شبل النخعي الكوفي
٢٨٩	عقبة بن نافع القهري عمرو بن حزم
٢٩٢	مسلم بن معاوية الديلمي
٢٩٣	ثم دخلت سنة ثلاث وستين
٢٩٥	ثم دخلت سنة أربع وستين
عبدالله بن عباس ترجمان القرآن	٢٢٤
٢٩٨	وهذه ترجمة يزيد بن معاوية
٣٠٤	٢٣٦ أولاد يزيد بن معاوية وعددهم
٣٠٦	٢٣٧ إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية
٣٠٧	٢٣٨ إمارة عبدالله بن الزبير آنذاك
٣١٠	٢٣٩ ذكر بيعة مروان بن الحكم
٣١٢	٢٤١ وقعة مرج راهط ومقتل الضحاک
ابو الاسود الثوري اسماء بنت يزيد	٢٤٤ وفيها مقتل النعمان بن بشير الأنصاري
٣١٣	٢٤٦ المنذر بن الزبير بن العوام
قبصة بن ذؤيب الخزاعي الكلبي	مصعب بن عبد الرحمن بن عوف
قيس بن دريج	٢٥٠ هدم الكعبة وبنائها أيام ابن الزبير
٣١٤	٢٥١ ثم دخلت سنة خمس وستين
بشير بن النضر مالك بن يخامر	٢٥٣ وقعة عين وردة
٣١٧	٢٥٧ ترجمة مروان بن الحكم
٣٢٢	٢٦٠ خلافة عبد الملك بن مروان
٣٢٣	٢٦٤ ثم دخلت سنة ست وستين
ابراهيم بن الاشرع عبد الرحمن بن غسيلة	٢٦٨
عمر بن سلمة	٢٧٠ مقتل شمر بن ذي الجوشن
سفينة مولى رسول الله (ص)	٢٧١ يزعمهم ضرباً ويروي العاملا
٣٢٤	٢٧٢ مقتل خولي بن يزيد الأصبحي
عمر بن أخطب	٢٧٣ مقتل عمر بن سعد بن ابي وقاص
يزيد بن الاسود الجرشي السكوني	٢٧٦
٣٢٦	٢٧٨
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين	٢٨٠ ثم دخلت سنة سبع وستين
وهذه ترجمة عبدالله بن خازم	٢٨٣ وهذه ترجمة ابن زياد
ومن توفي فيها من الأعيان	٢٨٧ مقتل المختار بن ابي عبيد
الأحنف بن قيس	



صحيفة	صحيفة
٣٤٦	٣٢٨
عوف بن مالك رضي الله عنه	البراء بن عازب
اسماء بنت ابي بكر الصديق	عبدة السلماني القاضي
ثابت بن الضحاک الانصاري	عطية بن بشر
زينب بنت ابي سفيان الخزومي	عبدة بن فضيلة
توبة بنت الصنعة	عبدالله بن قيس الرقيات
	عبد الله بن حمام
	٣٢٩ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين
	٣٣٢ ترجمة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير
	٣٤٥ عبدالله بن صفوان وعبدالله بن مطيع

انتهى الفهرست





IBN KATHIR

*AL-BIDAYAT-WAL-NIHAYAT*

Maktabat Al-Maaref

P.O. B. 1751-Beirut